الكتاب والحكمة

(٣)

القرآن والمعاني الباطنة

الإشارات النظرية والعملية
التي يستوحيها متدبرو القرآن

١



أ. د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار
للنشر والتوزيع

الكتاب والحكمة

(٣)

القرآن والمعاني الباطنة

الإشارات النظرية والعملية
التي يستوحيها متدبرو القرآن

(١)

أ. د. نور الدين أبو لحية

الطبعة الأولى: ١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة

هذا هو الكتاب الثالث من سلسلة [الكتاب والحكمة]، وهو يحاول استخلاص المعاني الباطنة التي تشير إليها ظواهر الآيات القرآنية، أو ما يُعرف بالتفسير الإشاري، أو الباطني بمفهومه الصحيح، والذي ورد النص عليه بهذا اللفظ في الحديث المعروف بين الطوائف الإسلامية، وإن كانوا يختلفون في تصحيحه وتضعيفه، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا)

فهذا الحديث يدل على أن ظاهر اللفظ القرآني هو ذلك المحكم المتبادر إلى الأفهام، والذي عليه مدار الأحكام الشرعية والتكاليف العملية، وهو كالواجهة المضيئة للنص التي لا غنى عنها.. وأما البطن فهو ذلك المعنى الخفي المستكن تحت طيات اللفظ، والذي لا ينافس الظاهر ولا يلغيه، بل يزيده عمقا وبصيرة، وهو إشارات تفتح القلوب والعقول على حقائق لا تناقض التنزيل.. وأما الحد فهو منتهى مدلول اللفظ لغة واصطلاحا، أي تلك المعاني المحيطة بالنص والتي تقف عندها اللغة كحاجز لا يُتجاوز في التفسير اللغوي المحض.. وأما المطلع فهو الغاية القصوى والمنتهى الذي ينتهي إليه علم الخلق في فهم النصوص، أو هو ذلك البعد الذي استأثر الله بعلمه، ولا يطلع عليه إلا من اصطفى من عباده، ليكون الإيمان بالغيب ركنا ركينا في مواجهة هذه الأعماق المتعالية.

وهذا النوع من التفسير ظهر في التاريخ الإسلامي، ومن فترة متقدمة، مع كبار الصوفية، من أمثال: سهل بن عبد الله التستري، وأبي عبد الرحمن السلمي صاحب [حقائق التفسير] الذي جمع أقوال المشايخ في الإشارات التفسيرية، وأبي القاسم القشيري صاحب [لطائف الإشارات] الذي مزج بين البحث اللغوي والإشارات العرفانية، وابن عطاء الله الإسكندري الذي جعل من إشاراته تنبيها على علل النفس ومقامات اليقين.

كما أننا نجد نماذج عنه في التفاسير التي اهتمت بالعقائد، حيث تحاول تفسيرها بحسب رؤاها العقدية، من أمثال: تفسير فخر الدين الرازي [مفاتيح الغيب] الذي يُكثر من تأويل الآيات على وفق قواعد المتكلمين، ويستنبط منها الأدلة على التوحيد والصفات والتنزيه، بما يشبه الإشارة العقلية إلى المدلول الباطن للفظ.. وتفسير أبي منصور الماتريدي الذي يستخرج الحقائق العقدية من الآيات القرآنية بأسلوب

يجعل من النص القرآني محورا للاستدلال.. وتفسير الآلوسي [روح المعاني] الذي مزج بين الدراية والرواية، وأكثر من الإشارات الصوفية، فجعل الباطن العقدي قرينا للظاهر التنزيلي في تفسيره الشامل.

وهكذا نجد كل جهة تحاول أن تفسر القرآن على ضوء اختصاصها، فالفقهاء عندما يقفون عند الآيات التي تتعلق بالأحكام الشرعية العملية، أو حتى بغيرها، يستنبطون منها المعاني الباطنة المتعلقة بها، فيتأملون في باطن الأمر والنهي، ليستخلصوا مقاصد الشريعة التي تختفي من وراء ألفاظ الآيات الكريمة.

وهكذا نجد الفلاسفة ينظرون إلى الآيات من زاوية الوجود والماهية والعلة والمعلول، فيستبطنون منها حقائق الوجود الأعلى ونظام العلل، ويحاولون تطبيق قواعد المنطق على النص لاستخلاص معانٍ وجودية، كالتي أشاروا إليها في آيات النور والعرش والكرسي، محاولين ردها إلى مبادئهم الفلسفية في العقل الفعال والنفوس السماوية، وإن كان في هذا ما هو محط نقاش كبير.

وهكذا نجد العلماء بالعلوم الكونية يستنبطون من ظواهر الآيات التي تذكر الكون والطبيعة ما يشير إلى حقائق العلوم التجريبية الحديثة، فيستبطنون فيها إشارات دقيقة، كنظرية الانفجار الأعظم، أو دورة الماء، أو مراحل الجنين، أو اتساع الكون، ليثبتوا سبق القرآن لهذه الكشوف.

وبناءً على هذا، حاولنا في هذا الكتاب أن نجمع أكثر ما قدرنا عليه من المعاني الباطنة التي تشير إليها الآيات القرآنية، أو ما يمكن أن تشير إليه، وذلك بحسب الترتيب المصحفي، وبحسب المقاطع التي قسمنا بها الآيات القرآنية في السلاسل التفسيرية المختلفة، وخصوصا هذه السلسلة.

وننبّه إلى أننا لم ندرج في هذا الكتاب الإشارات الفقهية، باعتبارها ترتبط بالخلافات الفقهية، والتي لم نحبّ الخوض فيها في هذه السلسلة، ومثل ذلك الحديث المفصل عن الإشارات العقدية، لأنها أيضا مما وقع الخلاف في بعض توجيهاته، ولذلك اكتفينا بذكر ما تدل عليه الآيات عموما في الجوانب العقدية المتفق عليها.

وهكذا، عند حديثنا عن الإشارات الصوفية، لم نذكر إلا ما ذكره صوفية السلوك والعرفان، بعيدا عن الألغاز والمصطلحات الغريبة التي توجه إليها بعض الصوفية المتأخرين.

وهكذا، عند حديثنا عن الإشارات الفلسفية، لم نخص مدرسة فلسفية بعينها، وإنما اكتفينا بما يمكن أن يفهمه الفيلسوف من الآيات الكريمة، مع الإشارة إلى الجوانب الفلسفية المرتبطة بها.

وهكذا في باقي الإشارات، كالإشارات الأخلاقية أو الاجتماعية أو السياسية أو الإدارية أو التاريخية أو النفسية أو الاقتصادية أو التربوية.. أو غيرها.. لم نخض في التفاصيل الكثيرة المرتبطة بها، لأن ذلك سيخرج الكتاب عن مقصوده.

ولذلك، فإن غرض هذا الكتاب هو التعريف بالإشارات العامة التي تشير إليها الآيات الكريمة، ولكل جهة من الجهات، من غير استيعاب، لا للإشارات، ولا للجهات، لأن ذلك لا يمكن أن يحويه كتاب في الدنيا؛ فالقرآن أعظم من أن يحاط به.

ولذلك يمكن النظر إلى هذا الكتاب باعتباره مبينا كيفية التدبر في الآيات الكريمة، من زاوية ثراء المعاني القرآنية، وإمكانية استفادة كل الجهات منها، وليس دوره أن يفصل لكل جهة التفاصيل المرتبطة بتخصصها، فأهل مكة أدرى بشعابها.

وهو يدخل ضمن ما يطلق عليه [المركزية القرآنية]، والتي تعني أن القرآن الكريم هو الأصل الثابت والمعيار الأعلى الذي تُوزن به جميع المعارف والعلوم والأحوال الإنسانية، بحيث لا يُنظر إلى أي علم أو نظرية أو مذهب على أنه مستقل بذاته، بل يُقرأ في ضوء النص القرآني، ويُستمد منه مشروعيته، ويُرد إليه في النهاية؛ فالقرآن الكريم هو الحاكم والفيصل على كل قول أو فعل، فإذا تعارضت إشارة قرآنية مع نظرية وضعية، كان القرآن هو المُقَدَّم، لأن تعارضها يُعزى إلى قصور الفهم البشري لا إلى خلل في التنزيل.

وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة التي تصف القرآن الكريم بأنه تبيان لكل شيء، فمن دلالات ذلك اعتبار القرآن محور الوجود المعرفي والحياتي، بحيث يكون هو الهدى والنور والميزان، وكل ما عداه تابعٌ له، ومستمدٌ منه، ومُقيَّدٌ بها لا يخالف روحه ونصه.

أما علاقة هذا الكتاب بهذه السلسلة [الكتاب والحكمة]، فهو ما أشرنا إليه في مقدمة السلسلة من أن [الكتاب]، وهو القرآن الكريم، يشبه الأدوية، و[الحكمة] هي وضع تلك الأدوية في محالها المناسبة، وبالمقادير المحددة، فمن كان لديه الدواء، ولم يعرف كيف يستفيد منه، لا ينفعه، بل قد يضره إن استعمله استعمالا خاطئا.

ولذلك رأينا من يتضرر من تأويل الآيات القرآنية لتطبيقه لها على حسب ما يهواه، لا على حسب

ما تدل عليه، كما يشير إلى ذلك حديثه صلى الله عليه وآله وسلم عن حدثاء الأسنان الذين طبقوا الآيات القرآنية المرتبطة بالمشركين على المسلمين؛ فحكموا عليهم بالشرك والردة، كما ظهر ذلك في الواقع.

ولذلك، كان لضبط المعاني والدلالات والإشارات آثاره في الحماية من الاستعمال الخاطئ لآيات القرآن في غير ما أنزلت من أجله، وهو الهداية، بجميع صورها وأشكالها ومراتبها.

وننبه في الأخير إلى أن ما ذكرناه من الإشارات مجرد نماذج، وذلك من خلال اختيار بعض الجهات، وليس المراد منه الحصر، لا من جهة الإشارات، ولا من جهة الجهات؛ فالقرآن أعظم من أن يحاط به.

مع العلم أننا خصصنا بعض الجهات التي رأينا أهميتها بتفاصيل خاصة، مثل ما يرتبط بـ [التفسير الحركي] أو الإشارات الدعوية والواقعية للقرآن، وذلك لأهميتها، ولارتباطها بالواقع العالمي والدعوي.

سورة الفاتحة

هذه السورة الكريمة تحتوي على [٤] مقاطع، وهذه هي، مع المعاني الباطنة التي تشير إليها، ومن الجهات المختلفة:

١. البسملة:

المقطع [١] من سورة الفاتحة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن كل حركة وسكون في حياة العبد ينبغي أن تكون مفتتحة بذكر الله، وأن البسملة هي مفتاح الغيوب وسبيل الوصول إلى الحضرة الإلهية، ففيها يتجلى معنى الفناء عن الإرادة الذاتية والانطلاق بإرادة الله، إذ يستحضر الصوفي أن وجوده كله وفعله كله باسم الله وبالله.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى الرحمة الواسعة الشاملة التي سبقت الغضب، وهي التي تفيض على جميع المخلوقات بلا استثناء، وفيها يتأمل الصوفي معنى الرجاء الذي لا ينقطع، وأن الله بجماله وكماله يفيض على الوجود من رحمته ما يصلحه ويرعاه، وهذه الرحمة هي التي تشرح صدر العبد وتجعله يطمئن إلى مولاه.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير عند الصوفي إلى الرحمة الخاصة بالمؤمنين، وهي التي تتحول إلى ذوق وحال في القلب، فيشعر العبد بلطف الله به في خلواته ومناجاته، وهذه الرحمة هي التي تفيض على القلب فتجعله يذوق حلاوة الإيمان، وترقى به من مقام الخوف إلى مقام المحبة والأنس.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة ترمز عند الصوفي إلى أن الطريق إلى الله يبدأ بالتخلية ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي إفراغ القلب من كل ما سواه، ثم التحلية (الرحمن) أي امتلاء القلب بالرجاء والرحمة، ثم التجلية (الرحيم) أي الوصول إلى مقام الذوق والوجدان، فالبسملة هي مفتاح السير إلى الله في جميع مراحله.

ثانيا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤال العلاقة بين الذات الإلهية وأفعال المخلوقات، ففي البسملة إقرار بأن كل فعل إنما يبدأ بإرادة الله ومشيئته، وهذا يفتح باب التأمل في مسألة القضاء والقدر وحرية الإرادة، وكيف يلتقي الفعل الإنساني مع الفعل الإلهي دون تناقض.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الرحمة الإلهية صفة عامة شاملة للوجود كله، وهذا يثير عنده مسألة العناية الإلهية بالكون، وأن النظام الكوني ليس عبثيا، بل هو قائم على رحمة شاملة تدبره وتصلحه، وهذا يلتقي مع مبحث الغائية في الفلسفة.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن الرحمة الإلهية تتجلى في صور خاصة بالمؤمنين، وهذا يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الصفات الإلهية العامة والخاصة، وكيف يمكن التوفيق بين الرحمة الواسعة التي تشمل الجميع والرحمة الخاصة التي تميز المؤمنين، وهو ما يفتح باب التأمل في العدالة الإلهية.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تمثل عند الفيلسوف إشارة إلى أن المبدأ الأول الذي تصدر عنه جميع الموجودات هو الله، وأن صفتي الرحمن والرحيم هما مظهرا الفيض الإلهي على الوجود، فالرحمن هو الفيض العام الذي يصدر عنه كل موجود، والرحيم هو الفيض الخاص الذي يكمل به وجود المؤمنين، وهذا يلتقي مع فلسفة الفيض عند بعض الفلاسفة المسلمين.

ثالثا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن كل عمل أخلاقي ينبغي أن يكون مستندا إلى نية صادقة تبتغي وجه الله، فالبسملة تعلم الإنسان أن يخلص نيته في جميع أفعاله، وأن لا يخلط بها شيئا من الرياء أو السمعة، فهي أساس الإخلاص الذي هو روح الأخلاق.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ يشير إلى أن الرحمة صفة إلهية ينبغي أن يتخلق بها الإنسان، فكما أن الله يرحم جميع خلقه بلا استثناء، فكذلك ينبغي للإنسان أن يكون رحيما بجميع الناس، حتى من أساء إليه، فالرحمة هي أساس التعامل الأخلاقي الفاضل.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن الرحمة الخاصة بالمؤمنين تقتضي أن يكون المؤمن رحيما بإخوانه المؤمنين، وأن يخصهم بمزيد من العطف والمواساة، وهذه الرحمة الخاصة تظهر في صلة الرحم والتعاون على البر والتقوى.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تعلم عالم الأخلاق أن المنظومة الأخلاقية الإسلامية تقوم على أساسين: الإخلاص لله ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، والرحمة بالخلق ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، فلا يكفي الإخلاص دون رحمة، ولا تكفي الرحمة دون إخلاص، وهما معا يشكلان القاعدة التي تبنى عليها جميع الفضائل.

رابعا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات التي تبدأ أعمالها باسم الله تكون أكثر تماسكا واستقرارا، لأنها تربط نشاطها اليومي بمبدأ متعالٍ يوحد أفرادها ويمنحهم إحساسا بالهدف المشترك، وهذا يقلل من الصراعات والنزعات الفردية.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ يشير إلى أن الرحمة الإلهية الشاملة هي أساس النظام الاجتماعي العادل، فالمجتمع الذي يسوده مبدأ الرحمة الشاملة يكون مجتمعا متضامنا، لا يهمش الضعفاء ولا يستبعد الفقراء، بل يشمل الجميع برعايته وعنايته.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن الرحمة الخاصة بالمؤمنين تخلق روابط أخوة خاصة بين أفراد المجتمع المسلم، وهذه الروابط تتجاوز العلاقات العادية لتصل إلى درجة الإيثار والمواساة، مما يعزز التماسك الاجتماعي ويقوي أواصر الجماعة.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن البسملة ليست مجرد عبارة تقال، بل هي إعلان عن هوية المجتمع المسلم وقيمه، فهي تشكل جزءا من البنية الثقافية والرمزية التي تحدد سلوك الأفراد وتوجه تفاعلاتهم الاجتماعية.

خامسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الدولة المسلمة تبدأ أعمالها وتشريعاتها باسم الله، وهذا يعني أن السيادة في الإسلام لله وحده، وأن الحاكم والمحكومين جميعا خاضعون لشريعة الله، فلا حاكمية لأحد فوق شريعة الله.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ يشير إلى أن السياسة في الإسلام ينبغي أن تكون قائمة على الرحمة لا على القسوة، فالحاكم مطالب بأن يرحم رعيته، وأن يرفق بهم في جميع سياساته، وأن لا يكون جبارا عنيدا، فالرحمة هي أساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن الدولة المسلمة تتعامل مع المؤمنين برحمة خاصة، فترعى مصالحهم وتحمي حقوقهم وتوفر لهم العدالة، وهذه الرحمة الخاصة تظهر في سياسات الرعاية الاجتماعية والتكافل بين أفراد المجتمع.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تذكر عالم السياسة بأن الدولة المسلمة تستمد شرعيتها من الله، وأن جميع أعمالها ينبغي أن تكون باسمه ومرضاته، وأن الرحمة هي الأساس الذي تقوم عليه سياساتها الداخلية والخارجية، وهذا يمنعها من الاستبداد والظلم.

سادسا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن البدء باسم الله في الأعمال الإدارية يمنحها بركة وتوفيقا، ويجعل الموظفين يشعرون بأن عملهم عبادة، مما يرفع مستوى الإتقان والالتزام، فالنية الصالحة هي أساس الجودة في الأداء.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة هي التي تتعامل مع موظفيها برحمة ورفق، فالإدارة الرحيمة تحقق ولاء الموظفين وإخلاصهم، بينما الإدارة القاسية تولد النفور والمقاومة، فالرحمة في الإدارة هي أساس بناء بيئة عمل إيجابية.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن الإدارة الفعالة تخصص معاملة خاصة للمتميزين والمخلصين من موظفيها، فترعاهم وتكافئهم وتطورهم، وهذه المعاملة الخاصة تخلق روح المنافسة الشريفة وترفع مستوى الأداء العام.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تعلم عالم الإدارة أن الإدارة الإسلامية تقوم على أساسين: الإخلاص في العمل ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، والرحمة في التعامل ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وهما معا يشكلان المنهج المتكامل للإدارة الناجحة التي تجمع بين الإتقان والإنسانية.

سابعا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يجد فيه المؤرخ أن البسملة كانت علامة فارقة في التاريخ الإسلامي، فقد كانت تفتتح بها الرسائل والوثائق والمعاهدات، وكانت تعبر عن هوية الدولة المسلمة وتميزها عن غيرها من الدول، وهي شاهد تاريخي على عمق الإيمان في حياة المسلمين.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ يشير إلى أن مفهوم الرحمة الشاملة كان له أثر كبير في التاريخ الإسلامي، فقد كان دافعا للمسلمين في فتوحاتهم ومعاملاتهم مع غيرهم، وكان سببا في انتشار الإسلام بسرعة، لأن الناس وجدوا فيه رحمة لم يجدوها في غيره.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن الرحمة الخاصة بالمؤمنين كانت عاملا في توحيد الأمة الإسلامية عبر التاريخ، فقد كانت تخلق روابط أخوة تتجاوز الحدود القبلية والعرقية، وكانت سببا في استمرار الأمة وتماسكها رغم التحديات.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تلفت نظر المؤرخ إلى أن البسملة كانت من أبرز ملامح الحضارة الإسلامية، فقد كانت تزين المخطوطات والمساجد والعملات، وكانت تعبر عن روح الحضارة الإسلامية التي تجمع بين الإيمان والرحمة، وهذا ما ميزها عن غيرها من الحضارات.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللهَّ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن البدء باسم الله في الأعمال يمنح الإنسان شعورا بالأمان والطمأنينة، لأنه يستحضر أن الله معه في جميع أحواله، وهذا يقلل من القلق والتوتر الناتج عن الشعور بالوحدة والعجز.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ يشير إلى أن إدراك الإنسان لرحمة الله الواسعة التي تشمل جميع خلقه يمنحه شعورا بالطمأنينة والرضا، فمهما أخطأ الإنسان فإن رحمة الله أوسع من ذنوبه، وهذا يقلل من مشاعر اليأس والإحباط التي تؤدي إلى الاكتئاب.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن الشعور برحمة الله الخاصة بالمؤمنين يمنح الإنسان ثقة وأملا، فهو يعلم أن الله يرعاه بعناية خاصة ويلطف به في جميع أحواله، وهذا يعزز الصحة النفسية ويقي من الاضطرابات.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تعلم الطبيب النفسي أن التكرار اليومي لهذه العبارة في بداية الأعمال هو نوع من العلاج النفسي الوقائي، فهو يزرع في النفس الإيمان بالله ورحمته، وهما من أقوى العوامل الواقية من الاضطرابات النفسية، كما أن هذا التكرار يخلق حالة من الاسترخاء والتركيز تشبه التأمل الإيجابي.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن البدء باسم الله في المعاملات الاقتصادية يمنحها بركة ويمنع الغش والاحتيال، فالتاجر الذي يبدأ معاملته بسم الله يشعر بأن الله رقيب عليه، فيتحرى الحلال ويتجنب الحرام، وهذا يضمن نزاهة السوق.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ يشير إلى أن الرحمة الإلهية الشاملة تقتضي أن تكون المعاملات الاقتصادية قائمة على الرحمة والإنصاف، فلا يستغل القوي الضعيف، ولا يحتكر الغني الفقير، فالرحمة في الاقتصاد تعني العدالة في التوزيع وعدم الاستغلال.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن الرحمة الخاصة بالمؤمنين تقتضي أن يتعامل المؤمنون فيما بينهم برحمة خاصة، فيتسامحون في الديون ويعفون عن المعسرين ويواسون المحتاجين، وهذه الرحمة الخاصة تخلق نظاما اقتصاديا متضامنا.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تلفت نظر عالم الاقتصاد إلى أن النظام الاقتصادي الإسلامي يقوم على أساسين: الإخلاص لله في الكسب والإنفاق ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، والرحمة في التعاملات ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وهما معا يضمنان نظاما اقتصاديا عادلا ونزيها يخدم الفرد والمجتمع.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يجد فيه المربي أن تعليم الطلاب البدء باسم الله في جميع أعمالهم يغرس فيهم الإخلاص والنية الصالحة، ويعلمهم أن العلم عبادة، وأن طلب العلم ينبغي أن يكون ابتغاء وجه الله، وهذا يرفع من قيمة العلم والتعلم.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ يشير إلى أن المربي ينبغي أن يتعامل مع طلابه برحمة ورفق، وأن يراعي فروقهم الفردية وقدراتهم المختلفة، فالتربية الرحيمة تفتح عقول الطلاب وتشجعهم على التعلم، بينما التربية القاسية تنفرهم وتكبت مواهبهم.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن المربي الناجح يخصص معاملة خاصة للمتفوقين والمجتهدين من طلابه، فيكافئهم ويشجعهم ويرعاهم، وهذه المعاملة الخاصة تخلق روح المنافسة الشريفة وترفع مستوى التحصيل العلمي.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تعلم المربي أن التربية الإسلامية تقوم على أساسين: الإخلاص في التعليم ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، والرحمة في التعامل ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وهما معا يشكلان المنهج المتكامل للتربية الناجحة التي تجمع بين العلم والأخلاق.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يجد فيه القاضي أن البدء باسم الله في إصدار الأحكام يذكره بأنه نائب عن الله في تطبيق شريعته، وأنه سيحاسب على أحكامه، فيكون أكثر حرصا على العدل وأبعد عن الهوى والمحاباة.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ يشير إلى أن القاضي ينبغي أن يتحلى بالرحمة في أحكامه، فلا يكون قاسيا في تطبيق القانون، بل يراعي الظروف الإنسانية ويبحث عن الأعذار، فالرحمة في القضاء تعني العدل مع الإنسانية.

ج. قوله: ﴿الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن القاضي يتعامل مع المؤمنين برحمة خاصة، فيرفق بهم في أحكامه ويسعى إلى إصلاح ذات بينهم، وهذه الرحمة الخاصة تجعل القضاء في الإسلام قضاء إصلاحيا لا انتقاميا.

د. قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مجتمعة تذكر القاضي بأن العدالة في الإسلام تقوم على أساسين: الإخلاص لله في إصدار الأحكام ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، والرحمة في تطبيقها ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وهما معا يضمنان قضاء عادلا رحيما يحقق مقاصد الشريعة.

٢. الحمدلة:

المقطع [٢] من سورة الفاتحة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقرر أن الحمد المطلق والثناء الكامل لا يستحقه إلا الله وحده، فهو إثبات للتوحيد في أسمى صوره، إذ أن الحمد لا يكون إلا لمن له الكمال المطلق والفضل الكامل، وهذا يرسخ في النفس أن كل نعمة وفضل من الله، فلا يُحمد على نعمة سواه.

ب. قوله: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يثبت الربوبية العامة لله على جميع المخلوقات، وهو توحيد الربوبية

الذي يشمل الخلق والملك والتدبير، فالله هو المربي لخلقه بالنعم، والمدبر لشؤونهم، وهذا يستلزم توحيد الألوهية، فلا يُعبد إلا من كان ربا للعالمين.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يثبت صفتي الرحمة الواسعة والدائمة لله، وهما من الصفات الذاتية والفعلية، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء، والرحيم ذو الرحمة الدائمة بالمؤمنين، وهذا يقرر أن رحمة الله سبقت غضبه، وأنه لا تنافي بين كونه ربا قاهرا وكونه رحيما رؤوفا.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يثبت الإيمان باليوم الآخر وبملك الله المطلق فيه، فالله وحده هو المالك للجزاء والحساب في ذلك اليوم، وهذا يقرر عقيدة المعاد والجزاء، وأن الملك في الدنيا قد يكون ظاهريا لبعض البشر، أما ملك يوم الدين فهو خالص لله وحده لا شريك له فيه.

هـ. ترتيب هذه الأسماء والصفات في هذا المقطع يقرر أن التوحيد يبدأ بالحمد والثناء، ثم بالربوبية، ثم بالرحمة، ثم بالملك ليوم الدين، وهذا الترتيب يبني في قلب المؤمن تصورا متكاملا عن الله، يجعله محبا خائفا راجيا، لا ييأس من رحمة الله ولا يأمن من مكره.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يشير إلى مقام الرضا والشكر، فالحمد عند الصوفي ليس مجرد نطق باللسان، بل هو حال من حالات القلب التي يشهد فيها العبد أن كل ما يجري عليه من خير أو شر هو من الله، فيحمد الله على السراء والضراء، وهذا هو مقام الرضا الذي لا يبلغه إلا الصديقون.

ب. قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الله يربي عبده بنوعين من التربية: تربية عامة بالخلق والرزق والتدبير، وتربية خاصة بالقلوب والأسرار، فيشير إلى أن العبد الصوفي هو من يتلقى التربية الإلهية الخاصة التي تصقل روحه وتنقيه من الأكدار.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ هو عند الصوفي باب الرجاء والأمل، فإذا رأى العبد ذنوبه وتقصيره، تذكر أن الله الرحمن الرحيم، فيعود إليه بالتوبة والإنابة، ولا يقنط من رحمته، فالرحمة الإلهية هي التي تسوق العبد إلى الله وتحمله على سلوك طريق الوصول.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يثير في قلب الصوفي الخوف الإجلالي، فهو يرى أن يوم الدين هو يوم تجلي الجلال الإلهي، حيث لا ينفع فيه إلا القلب السليم، فيدفعه ذلك إلى محاسبة نفسه ومجاهدتها قبل

أن يوافي ذلك اليوم، وهذا هو مقام المراقبة والمحاسبة.

هـ. الجمع بين الرحمة والملك في هذا المقطع يشير إلى أن الصوفي يسير بين الخوف والرجاء، فلا يغلب عليه الخوف فيقنط، ولا يغلب عليه الرجاء فيأمن، بل هو بينهما كطائر له جناحان.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الغاية من الوجود، فالحمد لا يكون إلا لفاعل مختار عليم حكيم، وهذا يقوده إلى إثبات أن للعالم خالقا حكيما يستحق الحمد، وأن وجود العالم ليس عبثا، بل هو قائم على حكمة وغاية.

ب. قوله: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يطرح عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الخالق والمخلوق، ففكرة الربوبية تفيد أن الله ليس مجرد علة أولى للوجود، بل هو مدبر ومتصرف في كل لحظة، وهذا يرد على من قال بالتعطيل أو بالسببية الصرفة التي تستغني عن التدبير الإلهي.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن العلاقة بين الله والعالم ليست علاقة جبر وقهر فقط، بل هي علاقة رحمة وعناية، وهذا يفتح باب التأمل في العناية الإلهية التي تحكم الكون، وهي من الأدلة على وجود الله وحكمته.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العدالة الإلهية، فالعقل الفلسفي يدرك أن هذه الدنيا لا تتحقق فيها العدالة المطلقة، فلا بد من يوم آخر يحاسب فيه الناس على أعمالهم، وهذا اليوم هو مقتضى الحكمة الإلهية والعدل المطلق.

هـ. ترتيب هذه الصفات في المقطع يقدم للفيلسوف نموذجا متكاملا للتصور الإلهي، فهو يجمع بين الجمال (الرحمة) والجلال (الملك)، وبين الحكمة (الربوبية) والغاية ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾، وهذا التصور المتوازن هو ما تفتقر إليه الفلسفات التي تغلب جانبا على آخر.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ يغرس في النفس خلق الشكر والامتنان، فمن عرف أن كل نعمة من الله، حمده عليها، وهذا الشكر هو أساس الأخلاق الفاضلة، فالشاكر لا يجحد المعروف ولا ينكر الجميل، وهذه هي مكارم الأخلاق.

ب. قوله: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يربي في النفس خلق التواضع، فإذا علم الإنسان أن الله رب العالمين جميعا، أدرك أنه واحد من خلق كثير، فلا يتكبر على أحد، بل يعيش متواضعا مع الجميع، لأن الجميع تحت ربوبية الله.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يوجه الإنسان إلى التحلي بخلق الرحمة، فمن عرف أن ربه رحمن رحيم، اتصف بالرحمة مع الخلق، ورحم الصغير والكبير والضعيف والفقير، فالرحمة صفة تنتقل من الإيمان بالله إلى التعامل مع الناس.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يربي في النفس خلق المسؤولية، فمن أيقن أنه سيقف بين يدي الله ليحاسبه على أعماله، كان أحرص على فعل الخير وترك الشر، وهذا اليقين هو الرادع الأخلاقي الأقوى، لأنه يجعل الإنسان رقيبا على نفسه قبل أن يراقبه الآخرون.

هـ. هذه الآيات مجتمعة تبني شخصية أخلاقية متكاملة، تجمع بين الشكر والتواضع والرحمة والمسؤولية، وهذه هي الأخلاق التي إذا تحلى بها الإنسان كان من خيار الناس وأفضلهم.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ للهِ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تبدأ بالحمد والشكر لله هي مجتمعات إيجابية متفائلة، تنظر إلى الحياة بعين الرضا والامتنان، وهذا يخلق ثقافة مجتمعية إيجابية تقلل من التذمر والشكوى وتزيد من الإنتاجية.

ب. قوله: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يزرع في المجتمع شعور الوحدة والأخوة، فإذا أدرك الناس أنهم جميعا تحت ربوبية إله واحد، أدركوا أنهم متساوون في الأصل، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وهذا يقلل من الصراعات الطبقية والعنصرية.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يوجه المجتمع إلى بناء ثقافة الرحمة والتسامح، فالمجتمع الذي يستحضر رحمة الله يصبح مجتمعا متعاطفا، يرحم فيه الغني الفقير، والقوي الضعيف، وهذا يقلل من التفكك الاجتماعي ويقوي التماسك.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يخلق في المجتمع رقابة ذاتية، فحين يعلم أفراد المجتمع أن هناك يوما سيحاسبون فيه، يلتزمون بالسلوك القويم حتى في غياب الرقابة الخارجية، وهذا يقلل من الجريمة

والانحراف ويحقق الأمن الاجتماعي.

هـ. هذه الآيات تقدم للمجتمع نموذجا للخطاب الديني المؤسس للقيم، فهي تبدأ بالحمد ثم بالربوبية ثم بالرحمة ثم بالجزاء، وهذا الترتيب يبني في المجتمع تصورا متكاملا يجعله مجتمعا متماسكا قائما على أسس روحية وأخلاقية متينة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يذكر الحاكم بأنه ليس مصدر السلطة والقوة، بل هو عبد من عباد الله، وأن الحمد كله لله، فلا يغتر بمنصبه ولا يظن أنه فوق المحاسبة، وهذا يمنع الاستبداد والطغيان.

ب. قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقرر أن الحاكم ليس ربا على الرعية، بل هو خادم لهم، فالربوبية لله وحده، وهذا يضع حدودا لسلطة الحاكم، فلا يتجاوزها إلى ما لا يحل له، فالسلطة أمانة وليست ملكا.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يوجه الحاكم إلى الرحمة بالرعية، فالرحمة صفة من صفات الله، والحاكم الذي يترحم على رعيته يكون أقرب إلى الله، وأبعد عن القسوة والظلم، وهذا يخلق علاقة إيجابية بين الحاكم والمحكوم.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يذكر الحاكم بأنه سيحاسب على رعيته يوم القيامة، وأن الله سيسأله عن كل صغيرة وكبيرة، وهذا اليقين يجعله يعدل في حكمه ولا يظلم أحدا، لأنه يعلم أن الظلم ظلمات يوم القيامة.

هـ. هذه الآيات تقدم دستورا أخلاقيا للحاكم، فمن كان حامدا لله، معترفا بربوبيته، متصفا بالرحمة، خائفا من يوم الدين، كان حاكما عادلا رحيما، وهذا هو نموذج الحكم الرشيد الذي يضمن استقرار المجتمع.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يوجه القائد الإداري إلى أن يبدأ أعماله بالحمد والشكر لله، وهذا يزرع في الفريق روح الامتنان والإيجابية، فالبداية بالحمد تجعل الجميع ينظرون إلى الجوانب المشرقة في العمل، مما يزيد من الحماس والإنتاجية.

ب. قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يذكر المدير بأنه ليس المالك الحقيقي للمنظمة، بل هو مدير ومسؤول

أمام الله، وهذا يجعله يتواضع في إدارته، ويشاور فريقه، ولا يستبد بالقرارات، فالربوبية لله وحده، والمدير مجرد وكيل.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يوجه المدير إلى التعامل مع موظفيه برحمة ولين، فالرحمة في الإدارة تعني مراعاة ظروف الموظفين، وعدم التشدد معهم، وإعطائهم فرصا للتحسين، وهذا يخلق بيئة عمل إيجابية تزيد من الولاء والانتماء.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يذكر المدير بأن هناك محاسبة عادلة في الآخرة، وأنه سيُسأل عن أمانة الإدارة التي أوكلت إليه، وهذا يجعله يحرص على العدل في التعامل مع الموظفين، وعدم استغلال سلطته، لأن الحساب عند الله أشد.

هـ. هذه الآيات تقدم نموذجا إداريا متكاملا، يجمع بين الحمد والتفاؤل، والتواضع وعدم الاستبداد، والرحمة في التعامل، والعدل في المحاسبة، وهذا هو النموذج الذي يضمن نجاح المؤسسات واستمرارها.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يزرع في النفس خلق الامتنان الذي أثبتت الدراسات النفسية الحديثة أنه من أقوى العوامل في تحسين الصحة النفسية، فالشخص الذي يحمد الله على نعمه يكون أقل عرضة للاكتئاب والقلق، وأكثر رضا عن حياته.

ب. قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يمنح الإنسان شعورا بالأمان والاطمئنان، فمن يعلم أن له ربا يدبر أمره ويرعاه، يقل قلقه من المستقبل، ويشعر بأنه ليس وحيدا في هذه الحياة، وهذا يقلل من اضطرابات القلق والتوتر.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يعالج مشاعر اليأس والقنوط، فمن يعلم أن ربه رحمن رحيم، لا ييأس من رحمة الله مهما كانت ذنوبه، وهذا يمنحه أملا يدفعه للاستمرار في الحياة، ويحميه من الأفكار الانتحارية التي تنشأ من اليأس.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يمنح الإنسان إطارا معنويا للحياة، فالإيمان باليوم الآخر يعطي للحياة معنى وهدفا، وهذا المعنى هو ما يحتاجه الإنسان ليتغلب على الفراغ الوجودي الذي يعاني منه كثير

من الناس في العصر الحديث.

هـ. هذه الآيات مجتمعة تقدم وصفة نفسية متكاملة، تجمع بين الامتنان والأمان والأمل والمعنى، وهذه هي العناصر الأساسية للصحة النفسية التي يؤكد عليها علم النفس الإيجابي اليوم.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يوجه الإنسان إلى القناعة والرضا بما قسم الله له، فالحمد لله على ما أعطى يمنع الحسد والطمع، وهما من أسباب المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، فالقناعة تخلق مجتمعا اقتصاديا متوازنا.

ب. قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقرر أن الله هو الرازق وحده، وأن الأرزاق بيده، وهذا يمنح العامل والتاجر طمأنينة، فلا يقلق على رزقه، ولا يلجأ إلى الطرق المحرمة لكسب المال، فالرزق مقسوم ومضمون.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يوجه إلى الرحمة في التعاملات الاقتصادية، فالرحمة في البيع والشراء تعني عدم الغش والتدليس، وعدم استغلال حاجة الناس، وهذا يخلق سوقا نزيها يحفظ حقوق الجميع.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ هو الرادع الأقوى في الاقتصاد، فمن أيقن أن الله سيسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، كان أحرص على الكسب الحلال والإنفاق في وجوه الخير، وهذا يمنع الربا والغش والاحتكار.

هـ. هذه الآيات تقدم أساسا أخلاقيا للنظام الاقتصادي، يقوم على القناعة والطمأنينة والرحمة والمسؤولية، وهذا الأساس هو ما يضمن استقرار الاقتصاد وعدالته، ويحميه من الأزمات الناتجة عن الطمع والجشع.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يعلم المربي تلاميذه أن يبدأوا أعمالهم بالحمد والشكر لله، وأن يكونوا إيجابيين في نظرتهم للحياة، فالتربية على الحمد تخلق جيلا ممتنا راضيا، لا يشكو ولا يتذمر.

ب. قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يفتح أمام المربي مجالا واسعا لتعليم التلاميذ عظمة الله وقدرته، وأنه رب كل شيء، وهذا يوسع مداركهم ويربطهم بالكون كله، فيتعلمون أن الله خالق كل شيء ومدبره.

ج. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يربي في نفوس التلاميذ خلق الرحمة، فيتعلمون أن يكونوا رحماء مع

بعضهم البعض، ومع الحيوانات، ومع كل المخلوقات، فالرحمة صفة إلهية يجب أن يتحلى بها المسلم.

د. قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يغرس في نفوس التلاميذ الرقابة الذاتية، فيتعلمون أن الله يراهم ويحاسبهم، فيلتزمون بالسلوك القويم حتى في غياب المعلم أو الأهل، وهذا هو الهدف الأسمى للتربية.

هـ. هذه الآيات تقدم للمربي منهجا تربويا متكاملا، يبدأ بالحمد، ثم بالمعرفة بالله، ثم بالتحلي بالرحمة، ثم بالرقابة الذاتية، وهذا المنهج يبني شخصية متكاملة للمتعلم، تجمع بين العلم والعمل والروح والأخلاق.

٣. العبادة والاستعانة:

المقطع [٣] من سورة الفاتحة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يقرر توحيد العبادة الخالصة لله وحده، فهو إعلان بالبراءة من الشرك بجميع صوره، وأن العبادة بمعناها الشامل من صلاة ودعاء وغيرها لا تصرف إلا لله، وهذه هي حقيقة التوحيد التي بعث بها الرسل جميعا.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقرر توحيد الربوبية والاستعانة، فالمؤمن لا يعتمد في قضاء حوائجه وتيسير أموره إلا على الله، فهو مالك النفع والضر، والعبد مهما بلغت قوته فهو فقير إلى عون ربه.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة في آية واحدة يقرر أن العبادة لا تتم إلا بالاستعانة، وأن الاستعانة لا تنفع إلا مع العبادة، فمن عبد الله بغير استعانة به فقد أعجز نفسه، ومن استعان به بغير عبادة فقد خرج عن منهج الأنبياء، وهما معا أساس النجاة والفوز.

د. تقديم العبادة على الاستعانة فيه إشارة إلى أن الغاية من الخلق هي العبادة، وأن الاستعانة وسيلة لتحقيقها، فلا يقدم العبد وسيلته على غايته، وهذا يضبط ترتيب الأولويات في حياة المؤمن.

هـ. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بالخطاب المباشر يفيد الإخلاص الكامل، فالمؤمن يخاطب ربه مباشرة بلا وسيط، وهذا يقرر عقيدة أن الله قريب مجيب، وأن العبد لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين ربه في عبادته ودعائه.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يشير إلى مقام الإخلاص والصدق في العبادة، وهو عند الصوفي تصفية العمل من شوائب النفس وحظوظها، حتى لا يكون للعبد في عبادته نصيب من رؤية عمله أو الإعجاب به، بل تكون العبادة خالصة لوجه الله.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يرمز إلى مقام الافتقار والاضطرار إلى الله، وهو من أعلى مقامات الصوفي، حيث يشهد العبد أن لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأنه في كل حركة وسكون محتاج إلى عون ربه، وهذا هو حقيقة التوكل.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يشير إلى أن السلوك إلى الله لا يتم إلا بجناحين: جناح العبادة التي هي الطاعة والذكر، وجناح الاستعانة التي هي طلب العون من الله، فمن طار بجناح واحد سقط، ومن طار بهما معا وصل.

د. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها مرتين يشير عند الصوفي إلى مقام الفناء عن رؤية غير الله، فالعبد يذوب في شهود ربه فلا يرى في الوجود إلا فعله وعطاءه، وهذا هو سر قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حيث كرر الخطاب ليدل على أن العبادة والاستعانة كلاهما لله وحده في الظاهر والباطن.

هـ. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن العبادة الحقة تقتضي الاجتماع والجماعة، وأن السالك لا يصل إلى الله بمعزل عن إخوانه، بل في صحبتهم وبركتهم، وهذا يرد على من انعزل عن جماعة المؤمنين بحجة التفرغ للعبادة.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الغاية القصوى من الوجود الإنساني، فإذا كانت العبادة هي الغاية، فهذا يعني أن الإنسان ليس غاية نفسه، بل هو مخلوق لغاية متعالية عليه، وهذا يلتقي مع فلسفة الغائية التي ترى أن لكل موجود غاية يسعى إليها.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يثير مسألة العلاقة بين الإرادة الحرة والعون الإلهي، فالفيلسوف يتأمل في كيف يجتمع طلب العون من الله مع حرية الإنسان ومسؤوليته، والآية تحل هذا الإشكال بأن العبد يسعى ويطلب العون، والله يعين من شاء، فالأمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يقدم للفيلسوف نموذجا للعلاقة بين النظر والعمل، فالعبادة

عمل والتوجه إلى الله نظر، والمؤمن يجمع بينهما، وهذا يرد على من فصل الفلسفة النظرية عن الفلسفة العملية.

د. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بالخطاب المباشر يثير عند الفيلسوف مسألة إمكانية المعرفة المباشرة بالله، فالآية تفيد أن العبد يخاطب ربه بلا واسطة، وهذا يفتح بابا للنقاش حول إمكانية الاتصال المباشر بين الإنسان والخالق، وهو ما تناوله فلاسفة الدين في مباحث الوحي والإلهام.

هـ. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن العبادة ليست فعلا فرديا معزولا، بل هي ظاهرة إنسانية جماعية، وهذا يلتقي مع فلسفة الدين التي تدرس الدين كظاهرة اجتماعية لها أبعادها التاريخية والنفسية.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يضع أساس الأخلاق في الإخلاص، فالفعل الأخلاقي عند المؤمن ليس فعلا نفعيا أو اجتماعيا فقط، بل هو فعل خالص لوجه الله، وهذا يرفع الأخلاق من مستوى العرف إلى مستوى العبادة.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يربي في النفس خلق التواضع والافتقار، فالمؤمن لا يعتمد على قوته الذاتية، بل يستعين بالله في كل أمر، وهذا يمنعه من الكبر والعجب بنفسه، وهما من أسوأ الأخلاق.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يقرر أن الأخلاق لا تقوم على مجرد النوايا الحسنة، بل تحتاج إلى عون إلهي وتوفيق، فمن أراد أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة فعليه أن يستعين بالله، لأن النفس أمارة بالسوء.

د. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها يفيد أن الأخلاق الإسلامية كلها مبنية على التوحيد، فليس هناك خلق حسن لذاته فقط، بل هو خلق حسن لأنه لله وفي الله، وهذا يمنح الأخلاق بعدا تعبديا يرفعها عن النفعية.

هـ. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن الأخلاق الفردية لا تكتمل إلا في إطار الجماعة، فالمؤمن يعيش أخلاقه مع إخوانه، والعبادة الجماعية تربي في النفس خلق التعاون والتآزر.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يشير إلى أن العبادة هي الرابط الأعظم الذي يجمع أفراد المجتمع المسلم، فهم جميعا يتوجهون إلى إله واحد، ويعبدونه معا، وهذا يخلق تماسكا اجتماعيا ووحدة في الهدف والغاية.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يفيد أن المجتمع المسلم مجتمع متعاون على البر والتقوى، فأفراده يستعينون بالله في شؤونهم، ويستعين بعضهم ببعض في الخير، وهذا يبني شبكة علاقات اجتماعية قوية.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يشير إلى أن المجتمع لا يستقيم بالعبادة النظرية وحدها، بل يحتاج إلى العمل والتعاون، فالعبادة تربي الروح، والاستعانة تدفع إلى العمل، والمجتمع المتوازن هو الذي يجمع بينهما.

د. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن العبادة في الإسلام عبادة جماعية، والصلاة جماعة، والحج جماعة، وهذا يعزز روح الجماعة ويقلل من الفردانية، وهي من أهم عوامل التماسك الاجتماعي.

هـ. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها يفيد أن المجتمع المسلم مجتمع موحد في مرجعه، فجميع أفراده يرجعون في عبادتهم واستعانتهم إلى الله وحده، وهذا يمنع التشرذم والصراع الناتج عن تعدد المرجعيات.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يقرر أن السيادة المطلقة لله وحده، وأن الحاكم والمحكوم كلاهما عبد لله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا يضع حدا للاستبداد السياسي.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يذكر الحاكم بأنه لا يعتمد على قوته الذاتية أو جيشه أو أمواله فقط، بل يستعين بالله في إدارة شؤون الرعية، وهذا يمنحه تواضعا ويمنعه من الغرور والطغيان.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يشير إلى أن الدولة في الإسلام تقوم على العبادة والاستعانة معا، فهي دولة تعبد الله بإقامة شرعه، وتستعين به في مواجهة التحديات، وهذا يمنحها قوة معنوية تفوق القوة المادية.

د. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن الحاكم جزء من الأمة، وليس فوقها، فهو يعبد الله معهم ويستعين به معهم، وهذا يمنع تقديس الحاكم ويؤكد مبدأ الشورى والمساواة.

هـ. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها يفيد أن السياسة في الإسلام ليست علمانية منفصلة عن الدين، بل هي جزء من العبادة والاستعانة بالله، فالحاكم والمحكوم كلاهما يتوجه إلى الله في عبادته واستعانته.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يضع أساس الإدارة في الإخلاص، فالمدير والموظف يعملان لله، وهذا يرفع

مستوى الأداء ويقلل من الغش والتقصير، فمن يعبد الله لا يخون أمانته.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يذكر القائد الإداري بأنه ليس معتمدا على مهاراته الذاتية فقط، بل يستعين بالله في تيسير الأمور وحل المشكلات، وهذا يمنحه سكينة وثقة في مواجهة التحديات.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يشير إلى أن الإدارة الناجحة تجمع بين التخطيط والعمل (العبادة) وبين التوكل على الله (الاستعانة)، فلا إهمال للعمل بحجة التوكل، ولا اعتماد على العمل وحده بلا استعانة.

د. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن العمل الإداري عمل جماعي، وأن النجاح لا يتحقق بفرد واحد، بل بفريق متعاون، والعبادة الجماعية تربي روح الفريق.

هـ. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها يفيد أن المؤسسة الناجحة هي التي توحد مرجعيتها في القيم والمبادئ، فلا تتعدد المرجعيات فتتضارب القرارات، بل تكون مرجعيتها العليا هي الله وشرعه.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يمنح الإنسان إحساسا بالهدف والغاية، وهذا من أهم عوامل الصحة النفسية، فمن يعبد الله يعرف لماذا يعيش، وهذا يحميه من الفراغ الوجودي والاكتئاب.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يخفف من القلق والتوتر، فالمؤمن لا يحمل همومه وحده، بل يستعين بالله في كل أمر، وهذا يقلل من الضغط النفسي الناتج عن محاولة السيطرة على كل شيء.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يشير إلى أن الصحة النفسية تتطلب توازنا بين الفعل والاستسلام، فالمؤمن يعمل ويبذل جهده (عبادة) ثم يستعين بالله ويفوض أمره إليه (استعانة)، وهذا التوازن يمنع الإرهاق واليأس.

د. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها يفيد أن التركيز على الله وحده يمنع التشتت النفسي، فمن يوجه عبادته واستعانته إلى إله واحد يعيش بوحدة نفسية، بينما من يوزع توجهاته بين آلهة متعددة يعيش في صراع نفسي.

هـ. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن الصحة النفسية تعزز بالانتماء إلى جماعة، فالمؤمن يعبد مع إخوانه، وهذا يمنحه دعما اجتماعيا يحميه من العزلة والوحدة.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يقرر أن النشاط الاقتصادي ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة للعبادة، فالمسلم يعمل ويكسب المال ليعبد الله وينفق في سبيله، وهذا يمنع تحويل الاقتصاد إلى صنم يعبد من دون الله.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يذكر التاجر والمستثمر بأن الرزق بيد الله، وأنه لا يملك جلب النفع أو دفع الضر إلا بالله، وهذا يمنعه من الطمع والجشع والممارسات الاقتصادية المحرمة.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على الأخلاق والإيمان، فالمسلم يعبد الله في تجارته بالصدق والأمانة، ويستعين به في تيسير رزقه، وهذا يخلق اقتصادا نزيها.

د. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن الاقتصاد ليس فرديا فقط، بل هو جماعي، فالمسلمون يتعاونون في التجارة والصناعة، ويتبادلون المنافع، وهذا يعزز التكافل الاقتصادي.

هـ. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها يفيد أن الاقتصاد الإسلامي يرفض الربا والاحتكار والغش، لأن هذه الممارسات تجعل المال هو المعبود، بينما المؤمن يعبد الله وحده ويستعين به وحده.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يضع غاية التربية في تحقيق العبودية لله، فالمربي يسعى إلى تربية جيل يعبد الله حق عبادته، وهذا يعني أن التربية ليست مجرد نقل معرفة، بل بناء إنسان متعبد.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعلم المربي أن نجاحه في مهمته ليس بقوته الذاتية فقط، بل بعون الله وتوفيقه، فيكثر من الدعاء والاستعانة بالله في تربية أبنائه وطلابه.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يشير إلى أن التربية الناجحة تجمع بين التلقين والتدريب (عبادة) وبين التوكل على الله (استعانة)، فلا يهمل المربي وسائله التربوية، ولا يعتمد عليها وحدها بلا توفيق من الله.

د. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن التربية في الإسلام تربية جماعية، فالمربي يربي الفرد في إطار الجماعة، ويعلمه أن عبادته مع إخوانه أكمل وأتم.

هـ. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها يفيد أن المربي يجب أن يربي في نفوس طلابه التوحيد الخالص، فلا يعلقون آمالهم إلا بالله، ولا يخافون إلا الله، ولا يستعينون إلا بالله، وهذا هو أساس التربية الإيمانية.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يذكر القاضي بأنه عبد لله قبل أن يكون قاضيا، وأن حكمه يجب أن يكون لله، لا للهوى أو المصالح الشخصية، وهذا يمنعه من الظلم والمحاباة.

ب. قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يذكر القاضي بأنه يحتاج إلى عون الله في فهم القضايا وإصدار الأحكام العادلة، فيكثر من الاستعانة بالله قبل الحكم، ويسأله التوفيق والسداد.

ج. الجمع بين العبادة والاستعانة يشير إلى أن القضاء في الإسلام عبادة، فالقاضي يعبد الله بحكمه بالعدل، ويستعين به على ذلك، وهذا يرفع منزلة القضاء ويجعله عملا مقدسا.

د. قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن القاضي جزء من الأمة، وهو يخدمها بحكمه، وليس فوقها، وهذا يمنعه من الاستعلاء على الخصوم.

هـ. قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بتكرارها يفيد أن القاضي لا يخاف في الله لومة لائم، فهو لا يعبد إلا الله ولا يستعين إلا به، وهذا يمنحه شجاعة في إحقاق الحق ولو كان على نفسه أو أقاربه.

٤. الهداية والصراط المستقيم:

المقطع [٤] من سورة الفاتحة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يشير إلى أن الهداية ليست فعلا بشريا مستقلا، بل هي طلب يتوجه به العبد إلى ربه، مما يقرر أن الهداية بيد الله وحده، وأن العبد مهما بلغ من العلم والجهد فهو محتاج إلى توفيق الله، وفي هذا إثبات لمبدأ التوحيد في الأفعال، وأن المشيئة الإلهية نافذة في كل شيء.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يحدد أن الصراط المستقيم ليس ابتكارا بشريا، بل هو صراط الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ممن سبق ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يقرر أن الأمة الإسلامية يجب أن تكون على بينة من أمرين: الأول: تجنب طريق من غضب الله عليهم وهم الذين عرفوا الحق وتركوه، والثاني: تجنب طريق

من ضلوا وهم الذين عبدوا الله بغير علم، وفي هذا إشارة إلى أن الهداية الصحيحة تجمع بين العلم والعمل، فمن ترك العمل بعد العلم استحق الغضب، ومن عمل بغير علم استحق الضلال، والصراط المستقيم هو الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة الجمع يشير إلى أن الهداية مطلوبة للجماعة لا للفرد فقط، وفي هذا إشارة إلى أن العقيدة الإسلامية عقيدة جماعية، وأن المسلم يطلب الهداية لنفسه ولإخوانه، وأن الأمة كلها مطالبة بالسير على هذا الصراط، وليس الفرد فقط.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الهداية الحقيقية هي هداية القلب إلى الله، وأن الصراط المستقيم هو طريق الفناء عن الإرادة الذاتية والبقاء بإرادة الله، فهو طريق التخلية عن الأهواء والتحلية بالأنوار الإلهية، وكلما ازداد العبد طلبا للهداية ازداد قربا من الله.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن النعمة الحقيقية هي نعمة المعرفة والكشف، وأن المنعم عليهم هم أهل القلوب الحية الذين أشرقت قلوبهم بنور الله، وهم الذين وصلوا إلى مقام الشهود، فأنعم الله عليهم بمعرفته ومحبته، وهذه النعمة أعظم من نعم الدنيا كلها.

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن طريق السلوك إلى الله لا بد أن يتجنب آفتين: آفة الغضب وهي قسوة القلب وبعده عن الله بسبب اتباع الهوى، وآفة الضلال وهي الغلو في العبادة بغير علم أو اتباع خيالات وأوهام لا أصل لها في الشرع، فالصراط المستقيم عندهم هو طريق الاعتدال بين الخوف والرجاء، وبين الشريعة والحقيقة.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة الطلب المتكرر في كل ركعة يشير إلى أن الصوفي لا يصل إلى مقام اليقين دفعة واحدة، بل هو في ترقية مستمرة، وكلما ارتقى مقاما احتاج إلى هداية جديدة، فالهداية عندهم درجات، والطلب الدائم هو علامة الصدق في السلوك.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤالا عن ماهية الهداية ومصدرها، فهل هي معرفة عقلية أم فيض إلهي؟ والآية تشير إلى أن الهداية طلب يوجه إلى الله، مما يعني أن العقل البشري

قاصر عن الوصول إلى الحق بمفرده، وأن هناك حاجة إلى قوة متعالية تهدي الإنسان، وهذا يلتقي مع نقد العقل الخالص عند كانط في حدود العقل النظري.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الحقيقة ليست نتاجا فرديا، بل هي تراكم معرفي عبر التاريخ، وأن الصراط المستقيم هو صراط الحكماء والأنبياء الذين سبقوا، مما يفتح باب التأمل في فلسفة التاريخ والمعرفة الإنسانية المتراكمة.

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالية الخير والشر في التاريخ الإنساني، فالمغضوب عليهم هم الذين عرفوا الحق وتركوه، والضالون هم الذين لم يصلوا إليه، وفي هذا إشارة إلى أن الخطأ في المعرفة قد يكون بسبب قصور في العقل أو فساد في الإرادة، وهذه ثنائية أخلاقية معرفية تشغل الفلاسفة منذ أفلاطون.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة الدعاء تشير إلى أن الحكمة الحقيقية ليست مجرد معرفة نظرية، بل هي معرفة تتحول إلى طلب وتوجه، وأن الفيلسوف الحقيقي هو الذي يدرك حدود عقله فيلجأ إلى الله، وهذا يلتقي مع فلسفة الإشراق عند السهروردي التي تجعل المعرفة الحقة فيضا إلهيا لا اكتسابا عقليا محضا.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الهداية الأخلاقية ليست مجرد معرفة بالقيم، بل هي توفيق إلهي، وأن الإنسان مهما عرف الخير فهو بحاجة إلى عون الله ليثبت عليه، وهذا يضع الأخلاق في إطار ديني متعالٍ لا في إطار نفعي أو اجتماعي فقط.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن الأخلاق الفاضلة ليست اختراعا بشريا، بل هي منهج عاشه الصالحون عبر التاريخ، وأن القدوة الحسنة هي أنجع وسيلة للتربية الأخلاقية، فذكر المنعم عليهم يجعل المسلم يتأسى بهم ويسير على نهجهم.

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يحذر عالم الأخلاق من الانحرافين الأخلاقيين الكبيرين: انحراف الغضب وهو اتباع الهوى والانسياق وراء الشهوات، وانحراف الضلال وهو الغلو في التدين بغير علم أو التزمت الذي يؤدي إلى النفور من الدين، والأخلاق الإسلامية الوسطية تتجنب هذين الطرفين.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة التكرار في كل ركعة يشير إلى أن الأخلاق ليست حالة ثابتة، بل هي جهاد مستمر، وأن الإنسان يحتاج إلى تجديد الهداية كل لحظة، لأن النفس أمارة بالسوء، والثبات على الفضيلة يحتاج إلى مدد إلهي متجدد.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات تحتاج إلى منهج واضح يحدد لها طريقها، وأن الصراط المستقيم هو المنهج الذي يجمع بين الفرد والجماعة، ويوحد أهدافهم، فالمجتمع الذي يفتقر إلى صراط واضح يعيش في تشتت وصراع.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات الناجحة هي التي تستلهم من تراثها وتاريخها، وأن الاستمرارية الاجتماعية تقوم على ربط الحاضر بالماضي، فالمجتمع المسلم يرى نفسه امتدادا للمجتمعات الصالحة السابقة، وهذا يعزز الهوية والانتماء.

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يحذر عالم الاجتماع من نموذجين اجتماعيين فاسدين: مجتمع يعرف الحق ويتركه فيستحق الغضب، ومجتمع يجهل الحق فيعيش في الضلال، وكلا النموذجين يؤدي إلى انهيار القيم والتفكك الاجتماعي، أما المجتمع السوي فهو الذي يسير على الصراط المستقيم.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة الجمع تشير إلى أن الهداية الاجتماعية ليست فردية، بل هي جماعية، وأن المجتمع المسلم مطالب بأن يدعو بعضه لبعض بالهداية، وأن الصلاح الاجتماعي يبدأ بصلاح الأفراد، ثم ينتقل إلى الجماعة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الحكم الرشيد يحتاج إلى منهج واضح، وأن الصراط المستقيم هو المنهج الذي يضمن العدالة والحرية والكرامة، وأن السياسة التي تخرج عن هذا الصراط تتحول إلى استبداد أو فوضى.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن الحكم الصالح ليس بدعة، بل هو سنة تاريخية، وأن الحكام العادلين عبر التاريخ هم الذين ساروا على هذا الصراط، وفي هذا إشارة إلى أن السياسة

الإسلامية تستلهم من التجارب الناجحة السابقة.

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يحذر عالم السياسة من نموذجين سياسيين فاسدين: نموذج المغضوب عليهم وهم الذين عرفوا العدل وتركوه فاستحقوا الغضب، ونموذج الضالين وهم الذين يظنون أنهم على حق وهم على ضلال، وكلا النموذجين يؤدي إلى ظلم الشعوب وخراب البلاد.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة الدعاء تشير إلى أن الحاكم والمحكوم كلاهما محتاج إلى الهداية، وأن السياسة الرشيدة لا تقوم على القوة فقط، بل على التوفيق الإلهي، وأن الحاكم الذي لا يستشعر حاجته إلى الله يظلم ويفسد.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن المنظمات الناجحة تحتاج إلى رؤية واضحة واستراتيجية محددة، وأن الصراط المستقيم هو بمثابة الرسالة والرؤية التي تحدد اتجاه المنظمة، فالمنظمة التي تفتقر إلى رؤية واضحة تعيش في تخبط وفوضى.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة تستفيد من التجارب السابقة، وأن أفضل الممارسات الإدارية هي التي أثبتت نجاحها عبر التاريخ، وفي هذا إشارة إلى أهمية الدراسات المقارنة والاستفادة من الخبرات السابقة.

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يحذر عالم الإدارة من نموذجين إداريين فاسدين: إدارة تعرف الأهداف الصحيحة ولا تطبقها فتفشل، وإدارة تظن أنها على صواب وهي مخطئة، وكلا النموذجين يؤدي إلى خسائر وفشل، أما الإدارة الناجحة فهي التي تجمع بين المعرفة الصحيحة والتطبيق السليم.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة التكرار تشير إلى أن الإدارة الناجحة تحتاج إلى مراجعة مستمرة وتقويم دائم، وأن المنظمة لا تصل إلى الكمال مرة واحدة، بل تحتاج إلى تجديد الهداية والتصحيح المستمر لمسارها.

ثامنا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يجد فيه المربي أن غاية التربية هي الوصول بالمتعلم إلى الصراط

المستقيم، وأن التربية ليست مجرد نقل معلومات، بل هي توجيه للسلوك وبناء للقيم، وأن المعلم يحتاج إلى أن يطلب الهداية لنفسه ولطلابه.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن التربية الناجحة تعتمد على القدوة، وأن المعلم يجب أن يكون قدوة حسنة لطلابه، وأن يربيهم على الاقتداء بالصالحين عبر التاريخ، فالقدوة أبلغ من الموعظة.

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يحذر المربي من منهجين تربويين فاسدين: منهج يعرف الحق ولا يطبقه فيكون قدوة سيئة، ومنهج يربي على الجهل والضلال، وكلا المنهجين يؤدي إلى تخريج أجيال فاسدة، أما التربية الصحيحة فهي التي تجمع بين العلم والعمل.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة الدعاء تشير إلى أن التربية تحتاج إلى توفيق الله، وأن المعلم مهما أتقن أساليبه التربوية فهو محتاج إلى عون الله في هداية القلوب، فالهداية بيد الله وحده.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الصحة النفسية ترتبط بوجود اتجاه واضح في الحياة، وأن الإنسان الذي يعيش بلا هدف أو بوصلة يعاني من القلق والاكتئاب، والصراط المستقيم يمنح الإنسان معنى وهدفا يقيانه من الاضطرابات النفسية.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن الشعور بالانتماء إلى جماعة صالحة يعزز الصحة النفسية، وأن الإنسان الذي يجد قدوة حسنة يشعر بالأمان والطمأنينة، فالاقتداء بالصالحين يمنح الإنسان نموذجا إيجابيا يحتذي به.

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يحذر الطبيب النفسي من حالتين نفسيتين مرضيتين: حالة الغضب وهي الانفعالية المفرطة وعدم ضبط النفس، وحالة الضلال وهي التيه والضياع وعدم الاستقرار، وكلا الحالتين تؤديان إلى اضطرابات نفسية حادة.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة التكرار تشير إلى أن الاستقرار النفسي ليس حالة ثابتة، بل يحتاج إلى تجديد مستمر، وأن الإنسان يحتاج إلى طلب الهداية كل يوم ليواجه تقلبات الحياة وضغوطها.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن النشاط الاقتصادي يحتاج إلى منهج واضح يضبطه، وأن الصراط المستقيم هو المنهج الذي يجمع بين الكسب الحلال والإنفاق العادل، فالاقتصاد الذي يخرج عن هذا الصراط يتحول إلى استغلال وجشع.

ب. قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي ليس بدعة، بل هو امتداد للمناهج الاقتصادية العادلة عبر التاريخ، وأن الاستفادة من التجارب الاقتصادية الناجحة السابقة أمر مطلوب.

ج. قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يحذر عالم الاقتصاد من نموذجين اقتصاديين فاسدين: نموذج يعرف قواعد العدل ولا يطبقها فيستحق الغضب، ونموذج يظن أنه على صواب وهو على ضلال، وكلا النموذجين يؤدي إلى أزمات اقتصادية وظلم اجتماعي.

د. قوله: ﴿اهدنا﴾ بصيغة الدعاء تشير إلى أن النجاح الاقتصادي ليس بالكفاءة فقط، بل يحتاج إلى توفيق الله، وأن التاجر والمستثمر يحتاجان إلى هداية الله في معاملاتهم ليتجنبوا الحرام والشبهات.

سورة البقرة

هذه السورة الكريمة تحتوي على [١٤٥] مقطعا، وهذه هي، مع المعاني الباطنة التي تشير إليها، ومن الجهات المختلفة:

١. ألم.. والحروف المقطعة:

المقطع [١] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿الم﴾ [البقرة: ١]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن القرآن كتاب معجز، وأن هذه الحروف المقطعة التي افتتح بها السور هي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي دليل على أن هذا الكتاب من عند الله، إذ أن العرب وهم أهل الفصاحة عجزوا عن الإتيان بمثله مع أنه مؤلف من حروف هي ذات حروف لغتهم، ففيها إشارة إلى أن التحدي بالقرآن قائم حتى مع هذه الحروف التي هي مادة الكلام العربي.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يفيد أن الإيمان بالمتشابه جزء من الإيمان بالغيب، وأن المسلم يوقن بأن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فيؤمن بها كلها ولا يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، بل يرد علمه إلى الله، وهذا من علامات صدق الإيمان ورسوخ القدم في العقيدة.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يرمز إلى أن هذا القرآن محفوظ بحفظ الله، وأن هذه الحروف التي تظهر في أوائل السور هي من أسرار الإعجاز التي لا تنقضي عجائبها، وفيها إشارة إلى أن الله تعالى يتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كانوا بعضهم لبعض ظهيرا، فعجزوا، وهذا يثبت صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أسرار الحروف التي هي مفاتيح الغيوب، وأن لكل حرف منها عند الله سرا ومعنى لا يطلع عليه إلا من شاء من عباده، فهي رموز إلهية تفتح أبواب المعرفة الباطنية لمن فتح الله قلبه، وتدل على أن القرآن ذو وجوه متعددة لا تنحصر في ظاهره فقط.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير عند الصوفي إلى أن هذه الحروف هي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وفيها تدريب للنفس على التسليم والانقياد، وترك الاعتراض على ما غاب علمه، وهذا هو مقام الرضا والتسليم الذي هو من أعلى مقامات أهل الله، فالمؤمن الصادق لا يطلب كشف كل شيء، بل يسلم أمره لله.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن الخطاب الإلهي ينزل على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحروفه ومعانيه، وأن هذه الحروف هي أنوار إلهية تتجلى على قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وفيها إشارة إلى أن الذكر بالحروف والكلمات هو من أعظم أبواب الوصول إلى الله، فكما أن هذه الحروف مفتاح السور، فالذكر مفتاح القلوب.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالا حول طبيعة اللغة وعلاقتها بالمعنى، فهذه الحروف المقطعة لا تحمل معنى وضعيا متعارفا عليه، ومع ذلك فهي جزء من نص مقدس، مما يدفعه للتأمل في أن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل قد تحمل أبعادا إشارية تتجاوز الوظيفة التواصلية، وهذا يفتح بابا لفلسفة اللغة وتأويل النص.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يدفع الفيلسوف إلى التساؤل عن حدود العقل البشري في إدراك المتشابه، فإذا كان العقل عاجزا عن إدراك معنى هذه الحروف، فهذا دليل على أن هناك حقائق تفوق القدرة العقلية، وأن الوحي يتضمن ما لا يمكن بلوغه بالبرهان العقلي وحده، مما يقرر قصور العقل أمام النص الإلهي.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الإعجاز البلاغي، فالعرب الذين نزل فيهم القرآن كانوا أرباب الفصاحة، ومع ذلك عجزوا عن معارضة هذه الحروف التي هي من جنس كلامهم، وهذا يدفعه إلى التأمل في أن الإعجاز ليس في المعاني فقط، بل في التركيب اللفظي أيضا، وأن هناك سرا في هذه الحروف يجعلها معجزة رغم بساطتها الظاهرة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه عالم الأخلاق إشارة إلى أن التسليم لله في ما لا يدركه العقل هو من أعظم الأخلاق الفاضلة، فالمؤمن الذي يقرأ هذه الحروف ولا يفهم معناها ولا يعترض عليها يتدرب على

خلق التسليم والانقياد لله، وهذا هو جوهر الأخلاق الإسلامية التي تقوم على الخضوع لله في كل شيء.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يفيد أن من الأخلاق الرفيعة ترك الفضول المعرفي فيما لا يملك الإنسان الوصول إليه، فكما أن المسلم لا يسأل عن معنى هذه الحروف سؤال معترض، كذلك ينبغي أن يكون سلوكه في الحياة قائما على احترام حدود الله وعدم تجاوزها، وهذا يربي خلق القناعة والرضا.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن الإيمان بالمتشابه يربي خلق التواضع العلمي، فالإنسان الذي يعترف بأن هناك ما لا يعلمه يكون أكثر تواضعا وأبعد عن الكبر والغرور، وهذا من أهم الأخلاق التي يحتاجها طالب العلم والمتعلم.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن النص القرآني يفتتح سورة البقرة بهذه الحروف التي لا يعرف معناها عامة الناس، ومع ذلك يتلقونها بالقبول والتسليم، وهذا يدل على أن الجماعة المسلمة تقوم على أساس الإيمان المشترك الذي يوحدها حتى في ما لا تفهمه، فالإيمان بالغيب هو عامل تماسك اجتماعي قوي.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن هناك عناصر مشتركة في النص الديني تعمل كرموز جامعة للأمة، فهذه الحروف المقطعة وإن لم يفهمها الناس إلا أنها تمثل جزءا من هويتهم الدينية، وتخلق لديهم شعورا بالانتماء إلى نص مقدس واحد، وهذا يعزز الوحدة الاجتماعية.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات الدينية تتعامل مع النصوص المقدسة بمنطق التسليم لا بمنطق النقد، وهذا التسليم هو ما يحفظ تماسك الجماعة ويمنع تفككها بسبب الخلافات التأويلية، فوجود متشابه في النص يقبل التسليم به دون خوض هو عامل استقرار اجتماعي.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الخطاب القرآني يبدأ بالتحدي والإعجاز، وهذا يضع أساسا لشرعية الدولة الإسلامية، فهي دولة تقوم على الإيمان بهذا الكتاب المعجز، وعلى الحاكم أن يكون من المؤمنين بهذا الكتاب وبما فيه من متشابه، فلا يخوض فيه بغير علم.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن هناك حدودا للمعرفة البشرية في السياسة أيضا، فكما أن هذه

الحروف لا يعلم تأويلها إلا الله، كذلك هناك أمور في الحكم والسياسة لا يملك البشر إدراك كنهها، وعلى الحاكم أن يسلم لله في ما غاب عنه علمه، وألا يتجاوز حدود الشرع.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يذكر عالم السياسة بأن الأمة التي تؤمن بمتشابه كتابها تكون أكثر قدرة على الصبر والثبات في مواجهة الشبهات، لأنها تعودت على التسليم لله في ما لا تفهمه، وهذا يجعلها أقل تأثرا بالدعايات المضللة وأكثر صلابة في مواجهة الأعداء.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن هناك أمورا في المنظمة لا يمكن فهمها أو تفسيرها بشكل كامل، وعلى القائد أن يتعامل معها بالحكمة والتسليم، كما أن المؤمن يتعامل مع هذه الحروف بالتسليم، وهذا يعني أن الإدارة الناجحة تقبل بوجود غموض في بعض الأمور ولا تحاول تفسير كل شيء.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن النص القرآني يبدأ بهذه الحروف التي لا يفهمها الموظف العادي، ومع ذلك يتعامل معها كجزء من كتابه، وهذا يرمز إلى أن هناك رموزا تنظيمية في المؤسسات يجب على العاملين قبولها حتى لو لم يفهموا حكمتها، وأن الانضباط التنظيمي يتطلب التسليم لبعض القرارات العليا.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يفيد أن الإدارة الناجحة تدرك أن هناك أسرارا في النجاح لا يمكن كشفها أو نقلها للآخرين، كما أن هذه الحروف تحمل أسرارا لا يعلمها إلا الله، وعلى المدير أن يحتفظ ببعض المعلومات الاستراتيجية ولا يبوح بها لكل العاملين، وهذا من الحكمة الإدارية.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه المؤرخ أن هذه الحروف المقطعة كانت من أسباب إعجاز العرب في زمن النزول، فقد تحداهم الله بها وهم أهل الفصاحة، فعجزوا عن الإتيان بمثلها، وهذا يفسر لماذا كان القرآن معجزة خالدة في التاريخ، وأن هذه الحروف كانت حجة على العرب في عصرهم.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن المسلمين الأوائل تعاملوا مع هذه الحروف بالتسليم دون خوض في معناها، وهذا يفسر استقرار المجتمع المسلم الأول، فلم تشغلهم هذه الحروف عن الجهاد والبناء، بل آمنوا بها وتركوا علمها لله، وهذا درس تاريخي في أولويات الأمة.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن هذه الحروف المقطعة أثارت اهتمام العلماء عبر العصور، فحاولوا تفسيرها وتأويلها، مما يدل على أن النص القرآني كان محركا للبحث العلمي والتأمل الفكري عبر التاريخ، وأن هذه الحروف كانت بابا من أبواب الدراسات القرآنية.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن التسليم لما لا يفهمه الإنسان يمنحه راحة نفسية كبيرة، فالمؤمن الذي يقرأ هذه الحروف ولا يفهم معناها ولا ينزعج من ذلك يتدرب على تقبل الغموض في الحياة، وهذا يقلل من القلق والاضطراب النفسي الناتج عن محاولة فهم كل شيء.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن الإيمان بالمتشابه يمنح الإنسان شعورا بالأمان، لأنه يعلم أن هناك من يعلم كل شيء وهو الله، فيستريح من عناء البحث عن إجابات لكل الأسئلة، وهذا يخفف من الضغط النفسي الذي يعاني منه الكثيرون بسبب الحاجة المفرطة للمعرفة.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يفيد أن التعامل مع النص المقدس بتسليم تام يخلق حالة من الطمأنينة والسلام الداخلي، فالمؤمن لا يشعر بالحيرة أو التمزق النفسي عند مواجهة ما لا يفهمه، بل يمر عليه بسلام، وهذا من العوامل التي تعزز الصحة النفسية.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن هناك أسرارا في الأسواق والأنظمة الاقتصادية لا يمكن إدراكها بشكل كامل، وعلى المتعاملين في الاقتصاد أن يتعاملوا مع بعض الغموض بالتسليم والحذر، كما يتعامل المؤمن مع هذه الحروف بالتسليم، وهذا يقلل من المخاطرة غير المحسوبة.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على الإيمان بالغيب، وهذا يظهر في التعاملات المالية التي تعتمد على الثقة والنية الصادقة، فكما أن المؤمن يقبل هذه الحروف دون فهم، كذلك يقبل المتعاملون في الاقتصاد الإسلامي بعض العقود التي تقوم على الثقة والغيب.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يفيد أن هناك موارد اقتصادية لا يعلمها إلا الله، كما أن معنى هذه الحروف لا يعلمه إلا الله، وعلى الإنسان أن يسعى في طلب الرزق مع إيمانه بأن الرزق بيد الله، وهذا يمنعه من الطمع والجشع ويجعله أكثر قناعة ورضا.

حادي عشر - إشارات تربوية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه المربي أن من واجباته تعليم الطلاب التسليم لله في ما لا يفهمونه، وأنه ليس كل شيء في الحياة يمكن إدراكه بالعقل، فهذه الحروف المقطعة تعلم الطالب أن هناك حدودا للمعرفة البشرية، وأن الإيمان يتطلب التسليم لله في ما غاب علمه.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن المربي يجب أن يدرب طلابه على احترام النص المقدس وعدم الخوض فيه بغير علم، فكما أن الصحابة لم يسألوا عن معنى هذه الحروف سؤال معترض، كذلك يجب أن يتعلم الطلاب الأدب مع النصوص الدينية وعدم التسرع في تفسيرها.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يفيد أن التربية الإيمانية تبدأ بتعويد الطالب على تقبل المتشابه، وهذا يربي فيه خلق التواضع العلمي، فالعالم الحقيقي هو من يعترف بجهله أمام عظمة الله، وهذا من أهم القيم التي يجب أن يغرسها المربي في نفوس طلابه.

ثاني عشر - إشارات قضائية:

أ. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يجد فيه القاضي أن هناك نصوصا في الشريعة لا يدرك حكمتها بشكل كامل، ومع ذلك يجب عليه أن يسلم بها ويطبقها، كما يسلم المؤمن بهذه الحروف، وهذا يمنعه من رد النصوص الشرعية التي قد لا تتفق مع عقله أو هواه.

ب. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يكون على يقين بأن هناك أمورا غيبية لا يعلمها إلا الله، وأن أحكامه يجب أن تستند إلى النص الشرعي حتى لو لم يدرك الحكمة من ورائه، وهذا يمنعه من الاجتهاد المخالف للنص.

ج. قوله تعالى: ﴿الم﴾ يفيد أن التسليم للنص الشرعي هو أساس العدالة، فالقاضي الذي يسلم للنصوص الإلهية كما يسلم المؤمن لهذه الحروف يكون أكثر إنصافا وأبعد عن الهوى، لأن تسليمه لله يجعله يطبق الشريعة بحذافيرها دون تحريف أو تأويل باطل.

٢. الكتاب هدى للمتقين وأركان التقوى:

المقطع [٢] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ

قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٢-٥]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقرر أن القرآن كتاب بلغ الغاية في اليقين والثبوت، فلا مجال للشك في صدقه، وهذا يضع الأساس العقدي الأول وهو الإيمان بأنه كلام الله المنزل، وأنه محفوظ من التحريف والتبديل، فاليقين بصدق المصدر هو مدخل كل تصور عقدي سليم.

ب. قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يخصص الهداية الكاملة بالمتقين، وفيه إشارة عقدية إلى أن الهداية ليست مجرد إدراك عقلي، بل هي توفيق إلهي يمنحه الله لمن اتصف بالتقوى، والتقوى هنا هي حالة القلب التي تجعله مستعدا لتلقي الهدى، فمن لم يتق الله لم ينتفع بالكتاب، وإن كان الكتاب حقا في ذاته.

ج. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يبين أن الإيمان بالغيب هو الأصل الأول في العقيدة الإسلامية، والغيب يشمل كل ما أخبر الله به مما لا تدركه الحواس ولا العقول من ذات الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان به يستلزم التسليم المطلق للخبر الإلهي، وهذا هو الفارق بين الإيمان والعلم الحسي، فالمؤمن يصدق بما غاب عنه تصديقا جازما.

د. قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يربط الإيمان بالغيب بالعمل الظاهر، فالصلاة هي الركن العملي الأول بعد الشهادتين، وإقامتها تعني أداءها على وجهها الصحيح في أوقاتها بخشوع وحضور قلب، وهي علامة على صدق الإيمان، لأنها صلة مباشرة بين العبد وربه، ولا يقوم بها إلا من أيقن باطلاع الله عليه.

هـ. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يقرر أن المال رزق من الله، وأن الإنفاق منه في وجوه الخير هو مظهر من مظاهر الشكر على النعمة، وفيه إشارة عقدية إلى أن الملكية الحقيقية لله وحده، وأن الإنسان مستخلف في المال، فينفق منه امتثالا لأمر الله، لا تفضلا منه على المحتاج.

و. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يثبت وحدة المصدر الإلهي للرسالات، وأن الإيمان بالرسل جميعا ركن من أركان العقيدة، فلا يصح إيمان من آمن ببعض وكفر ببعض، وهذا يقرر مبدأ شمولية الإيمان وعدم التبعيض فيه، وأن دين الأنبياء واحد في أصله وجوهره.

ز. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ اليقين بالآخرة هو الركن العقدي الذي يثمر العمل والجزاء،

واليقين هنا أعلى من مجرد الإيمان، فهو العلم الجازم المطابق للواقع عن دليل، وهو الذي يحرك السلوك، فمن أيقن بالبعث والجزاء استعد له، ومن شك فيه تهاون في التكليف.

ح. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يقرر أن الهدى الحقيقي هو ما كان من الله، لا ما ابتدعه البشر، وأن من اتصف بهذه الصفات المذكورة فقد حصل على الهدى الرباني الذي لا يضل معه صاحبه، وهذا يثبت أن الهداية صفة كمال يمنحها الله لمن أطاعه، وأنها ثمرة الإيمان والعمل.

ط. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يبين أن الفلاح هو الفوز بالخير كله في الدنيا والآخرة، وهو غاية العقيدة، فالفلاح ليس مجرد النجاة من العذاب، بل هو الفوز بالسعادة الأبدية، وهذا يربط العقيدة بالثمرة العملية، فالإيمان الصحيح لا بد أن ينتهي إلى فلاح صاحبه.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يشير إلى أن اليقين الذي يصل إليه الصوفي ليس يقينا عقليا استدلاليا، بل هو يقين ذوقي كشفي يذوقه القلب فيجد حلاوة الإيمان، فلا يبقى معه شك ولا تردد، وهذا هو مقام اليقين الذي يصفه الصوفية بأنه نور يقذفه الله في القلب.

ب. قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يجد فيه الصوفي أن الهداية على درجات، وأن التقوى هي مفتاحها، فالتقوى عنده ليست مجرد اجتناب المحرمات، بل هي صفاء القلب من كل ما سوى الله، وهي التي تجعل القلب قابلا لتجليات الأنوار الإلهية، فكلما زادت التقوى زاد الهدى.

ج. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ هو أصل الطريق عند الصوفي، فالغيب عنده ليس مجرد ما أخبر الله به، بل هو عالم الأسرار الذي يكشفه الله لأوليائه، والإيمان به يعني الإذعان لوجود حقائق لا تدرك بالحواس، وهي التي يسعى الصوفي إلى الوصول إليها بالمجاهدة والذكر والخلوة.

د. قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يرى فيه الصوفي أن الصلاة هي المعراج الروحي، وأن إقامتها الحقيقية هي حضور القلب مع الله في كل لحظاتها، فالصلاة عندهم ليست حركات وأقوالا فقط، بل هي مواقف يقف فيها العبد بين يدي ربه بقلب خاشع وروح خاشعة، وهي التي تربي في النفس دوام الذكر والمراقبة.

هـ. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يشير عند الصوفي إلى مقام الزهد والتجرد، فالإنفاق عندهم

يشمل إنفاق المال وإنفاق النفس والوقت والجهد في سبيل الله، وهو تطهير للقلب من الشح والتعلق بالماديات، فمن أراد الوصول إلى الله لا بد أن يخرج من قلبه حب الدنيا وما فيها.

و. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يرمز عندهم إلى وحدة الحقيقة المحمدية مع الحقائق النبوية السابقة، وأن جميع الأنبياء كانوا على نور واحد، وأن المؤمن الصادق يرى أن كل الشرائع تدعو إلى جوهر واحد هو التوحيد والفناء في الله، وهذا يوسع أفق الصوفي ويمنعه من التعصب.

ز. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ هو عند الصوفي ثمرة الكشف والمشاهدة، فاليقين بالآخرة ليس مجرد تصديق بخبر، بل هو رؤية القلب للجنة والنار كما يرى المبصر الشيء بعينه، وهذا اليقين هو الذي يجعل الصوفي يعيش في الدنيا كأنه غريب، لا يأنس إلا بذكر الله والاستعداد للقائه.

ح. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى الهداية اللدنية التي هي من الله مباشرة، وهي نور يقذفه الله في قلب من أحب، فيرى به ما لا يراه غيره، ويهتدي به في ظلمات الشك والجهل، وهذه الهداية هي التي يسميها الصوفية الفتح الرباني أو الإلهام الإلهي.

ط. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هو غاية السير عند الصوفي، فالفلاح هو الوصول إلى الله والفوز بالقرب منه، وهو أعظم من الفوز بالجنة، لأن الجنة مطلوبة لذاتها عند العامة، أما الخاصة فيطلبون الله نفسه، والفلاح عندهم هو الفناء عن رؤية الأعمال والوصول إلى شهود المنان.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية اليقين والشك، فالقرآن يقدم نفسه بوصفه حقيقة يقينية لا تقبل الشك، وهذا يلتقي مع مسعى الفلسفة إلى تأسيس معرفة يقينية، لكن الفيلسوف يتساءل: هل اليقين هنا يقين برهاني أم يقين إيماني؟ والآية تشير إلى أن اليقين هنا ناتج عن سلامة الفطرة واستعداد القلب، لا عن برهان عقلي محض، وهذا يفتح باب النقاش حول حدود العقل ومصادر المعرفة.

ب. قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الهدى ليس معرفة نظرية خالصة، بل هو معرفة عملية مرتبطة بالسلوك والاستعداد القلبي، وهذا يقربه من مفهوم الفلسفة العملية التي لا تكتفي بالتأمل النظري، بل تهدف إلى تحويل الإنسان وتغيير سلوكه، فالهدى هنا يشبه ما يسميه الفلاسفة الحكمة العملية.

ج. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يطرح على الفيلسوف إشكالية حدود المعرفة الإنسانية، فالعقل البشري محدود بإدراك المحسوسات والمعقولات، وهناك ما وراء ذلك لا يصل إليه العقل بذاته، والإيمان بالغيب يعني الإقرار بوجود حقائق تتجاوز القدرة العقلية، وهذا يضع حدا للعقلانية المتطرفة التي تزعم أن كل شيء قابل للإدراك العقلي.

د. قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يثير عند الفيلسوف التأمل في العلاقة بين النظر والعمل، فالصلاة هي ممارسة عملية تجسد الإيمان النظري، وفيها إشارة إلى أن المعرفة الحقة لا تكتمل إلا بالعمل، وهذا يلتقي مع مبدأ الوحدة بين النظرية والتطبيق الذي نادى به فلاسفة الأخلاق.

هـ. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية العلاقة بين الفرد والمجتمع، فالإنفاق يقرر أن الفرد ليس غاية في ذاته، بل هو جزء من كل أكبر، وأن ماله ليس ملكا مطلقا له، وهذا يلتقي مع النظريات الفلسفية التي تنتقد الفردانية المفرطة وتدعو إلى التضامن الاجتماعي.

و. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة وحدة الحقيقة عبر التاريخ، فالوحي الإلهي واحد في جوهره، والرسالات المتعاقبة هي مراحل لتقديم الحقيقة نفسها، وهذا يلتقي مع فكرة الحكمة الخالدة التي تؤمن بها الفلسفة الإشراقية، وهي أن الحكمة واحدة تتجلى في صور مختلفة عبر العصور.

ز. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية العدالة الإلهية والغائية في الخلق، فالإيمان بالآخرة يقدم إجابة عن سؤال العدالة، إذ لا يمكن تصور عدالة كاملة في هذه الدنيا، والآخرة هي التي تحقق العدالة المطلقة، وهذا يلتقي مع فلسفة الأخلاق التي ترى أن الجزاء ضرورة عقلية لتحقيق النظام الأخلاقي.

ح. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية مصدر الهداية، فالهدى هنا ليس نتاجا للعقل البشري وحده، بل هو فيض إلهي، وهذا يلتقي مع الفلسفة التي تؤمن بأن المعرفة العليا لا تتحقق بالعقل وحده، بل تحتاج إلى إشراق إلهي أو إلهام، وهذا هو موقف الفلسفة الإشراقية من المعرفة.

ط. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية السعادة والغاية القصوى، فالفلاح هو بلوغ الغاية التي خلق الإنسان من أجلها، والسعادة الحقيقية عند الفيلسوف هي التي تجمع بين الخير

النظري والخير العملي، والآية تشير إلى أن الفلاح هو ثمرة الإيمان والعمل معا، وهذا يلتقي مع تصورات الفلاسفة عن السعادة الكاملة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن التقوى هي الأساس الذي تقوم عليه المنظومة الأخلاقية في القرآن، فالتقوى تعني أن يكون سلوك الإنسان محكوما بمراقبة الله في السر والعلن، وهي التي تجعل الأخلاق ذاتية داخلية لا خارجية فقط، فالإنسان التقي لا يفعل الخير لأنه مراقب من الناس، بل لأنه يعلم أن الله مطلع عليه.

ب. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يشير إلى أن الأخلاق في القرآن ليست نفعية ولا عرفية، بل هي متعالية على المصالح المادية، فالإيمان بالغيب يمنح الفعل الأخلاقي بعدا أخرويا، فيصبح الخير فاعله يرجو ثواب الله ويخاف عقابه، وهذا يمنح الأخلاق قوة دافعة لا توفرها النظريات الوضعية التي تجعل المنفعة أو العرف أساسا للقيم.

ج. قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يدل على أن العبادة هي المدرسة الأخلاقية الأولى، فالصلاة تربي في النفس فضائل الصدق والإخلاص والانضباط والخشوع، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فمن أقام الصلاة على وجهها الصحيح كانت له رادعا عن المعاصي، وهذا يبين أن الأخلاق في الإسلام لا تنفصل عن العبادة.

د. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يحيل إلى خلق الكرم والبذل والإيثار، فالإنفاق يربي في النفس التخلص من الشح والبخل، وهما من أخطر الأمراض الأخلاقية، وفيه إشارة إلى أن المال ليس غاية بل وسيلة، وأن السعادة الحقيقية في العطاء لا في الأخذ، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية الحديثة من أن البذل يزيد من السعادة والرضا.

هـ. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الفضائل ليست منتجة عصرية ولا خاصة بأمة دون غيرها، بل هي قيم ثابتة جاءت بها كل الشرائع، وهذا يعطي الأخلاق بعدا إنسانيا عالميا، ويمنع النزعة العنصرية في الأخلاق.

و. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ هو الضامن الأقوى للالتزام الأخلاقي، فاليقين بالحساب

والجزاء يجعل الإنسان محاسبا لنفسه قبل أن يحاسبه الناس، ويمنعه من الرياء والسمعة، لأن غايته رضا الله لا رضا الناس، وهذا هو أعلى مستويات الأخلاق.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني أن الأخلاق الحقيقية ليست مجرد سلوك ظاهري، بل هي هدى نابع من القلب وتوفيق إلهي، فمن اتصف بهذه الصفات كان على بصيرة من أمره، لا يتأثر بتقلبات الأهواء ولا بتغير الظروف، وهذا هو الثبات الأخلاقي الذي يطمح إليه كل مربي.

ح. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يبين أن الغاية من الأخلاق هي الفلاح، والفلاح هو الفوز بالسعادة في الدارين، فالأخلاق ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق الفلاح، وهذا يربط الأخلاق بالجزاء الأخروي، فيكون العمل الأخلاقي مدفوعا بالرجاء والخوف معا.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمع لا يستقيم إلا بوجود نظام قيمي مشترك، وأن التقوى هي الضابط الاجتماعي الذي يربط الأفراد برباط أخوة ومسؤولية، فالمجتمع الذي تقوم علاقاته على التقوى يكون أكثر تماسكا وأقل عرضة للتفكك والصراع.

ب. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يشير إلى أن المجتمعات لا تقوم على المادة فقط، بل على المعتقدات والتصورات الجماعية التي تشكل هويتها، والإيمان بالغيب هو أحد أهم هذه التصورات التي توحد الجماعة وتمنحها معنى، فالرموز الدينية المشتركة هي التي تصنع التماسك الاجتماعي.

ج. قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يدل على أن الصلاة ليست عبادة فردية فحسب، بل هي مؤسسة اجتماعية تجمع الناس وتوحدهم وتعزز التماسك الاجتماعي، فالصلاة جماعة في المساجد تخلق نظاما يوميا يحقق الانضباط، وتجعل الأفراد يلتقون في مكان واحد خمس مرات في اليوم، وهذا يخلق شبكة علاقات اجتماعية قوية.

د. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يشير إلى مبدأ التكافل الاجتماعي، وأن الإنفاق ليس صدقة اختيارية فقط، بل هو نظام اقتصادي اجتماعي يهدف إلى تضييق الفجوات الطبقية، فالزكاة والصدقات هما أداتان لإعادة توزيع الثروة، وهذا يمنع تراكم الثروة في أيدي فئة قليلة، ويحقق العدالة الاجتماعية.

هـ. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن الأديان ليست

ظواهر منعزلة، بل هي خط متصل، وأن المجتمع المسلم ينظر إلى نفسه كجزء من أمة تاريخية لها تراث مشترك مع الأمم السابقة، وهذا يعزز وعيه التاريخي ويمنع الانغلاق، ويفتحه على الحوار مع الآخر.

و. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يجعل المجتمع يتحرك نحو أهداف أسمى من المكاسب العاجلة، لأنه يعيش في توتر خلاق بين الواقع الحاضر والمستقبل الأخروي، وهذا يعطيه قدرة على الصبر والتضحية من أجل القيم العليا، ويمنعه من الانغماس في المادية والاستهلاكية.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني أن المجتمع الفاضل هو من يستمد تشريعاته وقيمه من الوحي الإلهي، وليس من الأهواء البشرية المتقلبة، فالهدى الرباني هو أساس البناء الاجتماعي الصحيح، ويضمن استقراره، لأن القيم المستمدة من الوحي ثابتة لا تتغير بتغير الأهواء.

ح. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني أن المجتمعات التي تلتزم بهذه الصفات هي التي تفلح وتنجح في تحقيق أهدافها، فالفلاح الاجتماعي ليس في الكثرة العددية ولا في القوة المادية فقط، بل في الالتزام بالقيم والمبادئ التي تصلح المجتمع.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يشير إلى أن الحاكم والمحكوم لا بد أن يكونوا على منهج واضح من التقوى، لأنها الضمانة الأكبر لعدالة الحكم وعدم استبداده، فالتقي لا يظلم ولا يستغل سلطته، لأنه يعلم أن الله مطلع عليه، وأنه سيحاسبه على رعيته، والسياسة بلا تقوى تتحول إلى صراع مصالح وقوة.

ب. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يشير إلى أن الشرعية السياسية ليست مستمدة من البيعة الشعبية وحدها، بل من الالتزام بمبادئ متعالية لا تخضع للمزاج العام، وهذا يضع قيودا على السلطة ويمنع استبداد الأغلبية، فالحاكم المؤمن بالغيب يعلم أن هناك رقيبا أعلى من الشعب، وهو الله، فيكون أكثر حرصا على العدل.

ج. قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الدولة مسؤولة عن إقامة الشعائر، وأن الصلاة ليست شأنا فرديا فقط، بل هي من الشعائر العامة التي تعبر عن هوية الدولة، وإقامتها هي أحد أهداف الدولة في المنظور الإسلامي، وهذا يعني أن الدولة لا تكون محايدة تجاه الدين، بل تعمل على إحيائه.

د. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يشير إلى أن السياسة المالية للدولة لا تقوم على الجباية فقط، بل على الإنفاق في وجوه البر، وأن الدولة مطالبة بتنظيم حركة الأموال بما يحقق العدالة الاجتماعية، والزكاة هنا ليست تطوعا بل نظاما ماليا يمكن أن يكون له مؤسساته، وهذا يعني أن الدولة مسؤولة عن رعاية الفقراء والمحتاجين.

هـ. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الدولة لا تنعزل عن الإرث الإنساني، وأنها تؤمن بالرسالات السابقة، مما يضعها في موقع إيجابي تجاه الآخرين، ويؤكد على مبدأ التعايش واحترام الأديان، فالسياسة الإسلامية تقوم على الاعتراف بالآخر لا على إنكاره.

و. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يذكر عالم السياسة بأن غاية السياسة ليست الدنيا فقط، بل هي وسيلة للفوز بالآخرة، وهذا يحول السياسة من صراع على السلطة إلى تكليف ومسؤولية وأمانة، ويجعل الحاكم يخاف الله في رعيته، فلا يستغل منصبه لتحقيق مصالحه الشخصية.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني أن المنهج السياسي الرباني هو الأصل، وأن الهدى الإلهي هو الذي يحدد حدود الحكم وواجباته، وليس ما تسفر عنه الانتخابات أو الصراعات الحزبية من حلول ظرفية، فالسياسة في الإسلام ليست مجرد فن الممكن، بل هي تطبيق للهدى الرباني في إدارة شؤون الناس.

ح. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني أن الدولة التي تحكم بهذه المبادئ هي التي تفلح في تحقيق الأمن والاستقرار والعدالة، فالفلاح السياسي ليس في القوة العسكرية أو الاقتصادية فقط، بل في تحقيق العدل والرضا الإلهي.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يشير إلى أن المنظمة الناجحة هي التي تمتلك رؤية واضحة وقيما تحكم سلوك أفرادها، وأن التقوى هي قيمة أساسية تضبط أداء الموظفين وتجعلهم يعملون برقابة داخلية، مما يقلل الحاجة إلى الرقابة الخارجية المكلفة، فالموظف التقي يعمل بإتقان حتى لو لم يكن هناك مشرف عليه.

ب. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يشير إلى أن الإدارة الفعالة لا تكتفي بالحوافز المادية الظاهرة، بل تستثمر الدوافع المعنوية والروحية لدى العاملين، فالإيمان بالغيب يخلق شعورا بالمسؤولية تجاه الله، وهو

دافع أقوى من الخوف من المدير، فالموظف الذي يعمل ليرضي الله يكون أكثر إخلاصا وأقل عرضة للفساد.

ج. قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ في سياق إداري يفيد أن الإتقان في العمل يتطلب نظاما يوميا دقيقا، وأن الصلاة في أوقاتها تربي في النفس الانضباط والالتزام بالوقت، وهي نموذج للعمل المؤسسي القائم على المواعيد، فالموظف الذي يحافظ على الصلاة في أوقاتها يكون أكثر قدرة على تنظيم وقته وإدارة مهامه.

د. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يذكر عالم الإدارة بمبدأ المشاركة في الأرباح أو الإنفاق في وجوه الخير، وأن المنظمة لا تهدف إلى الربح المادي فقط، بل لها مسؤولية اجتماعية تجاه المجتمع، وأن الإنفاق على الآخرين يعزز روح الفريق والانتماء، فالمنظمة التي تساهم في الخير الاجتماعي تكسب ولاء موظفيها وعملائها.

هـ. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أهمية الاستمرارية والاستفادة من التجارب السابقة، فالإدارة الناجحة لا تنكر الماضي، بل تبني عليه وتستلهم من الخبرات التاريخية، سواء في الشركات أو الدول، فالاستمرارية هي التي تضمن النجاح على المدى الطويل.

و. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعني أن التخطيط في المنظمة يجب أن يكون بعيد المدى، ليس فقط على مستوى الشركة، بل على مستوى البقاء الأبدي، وهذا يدفع إلى تبني ممارسات أخلاقية ومستدامة، لأن اليقين بالآخرة يمنع الغش والاستغلال، فالموظف الذي يؤمن بالحساب يكون أكثر حرصا على النزاهة.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يفيد أن هناك منهجا إداريا محددا مستمدا من الوحي، يمكن تطبيقه في جميع مجالات الإدارة، سواء في القيادة، أو التخطيط، أو الموارد البشرية، حيث أن الهدى الرباني هو البوصلة التي تضبط القرارات الإدارية، وتمنعها من الانحراف عن الأهداف النبيلة.

ح. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني أن المنظمات التي تلتزم بهذه المبادئ هي التي تفلح في تحقيق أهدافها، فالفلاح الإداري ليس في تحقيق الأرباح فقط، بل في تحقيق التوازن بين المصلحة المادية والمصلحة الروحية والاجتماعية.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يشير إلى أن هذا الكتاب أحدث تحولا حضاريا كبيرا في التاريخ، وأن هذه الآيات تحديدا كانت أساسا في تكوين هوية المجتمع المسلم الأول، ودفعته إلى التميز والتفوق على الأمم الأخرى، فالتاريخ الإسلامي شاهد على أن الالتزام بهذا الهدى كان سببا في بناء حضارة عظيمة.

ب. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يشير إلى أن العقائد الغيبية كانت ولا تزال أحد أهم محركات التاريخ، فمعظم الحركات التاريخية الكبرى قامت على أفكار غير مادية كالجنة والجحيم والخلاص، فالإيمان بالغيب يمنح الناس قوة دافعة للتضحية والصبر، وهذا ما نراه في تاريخ الصحابة والتابعين.

ج. قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يشير إلى أن الشعائر الدينية ليست ترفا روحيا، بل هي مؤسسات تاريخية شكلت المجتمعات، وكانت عوامل تماسك ووحدة للأمة عبر العصور، فالمساجد التي تقام فيها الصلاة كانت مراكز للعلم والقضاء والسياسة، والصلاة كانت من أبرز ملامح المجتمع المدني الإسلامي.

د. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يشير إلى أن النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على الإنفاق والزكاة أسهم في تشكيل البنى الاجتماعية والاقتصادية للدول الإسلامية، وكانت له آثار بعيدة المدى في توزيع الثروة وتقليل الفقر، فبيت المال كان يقوم على مبدأ الإنفاق، وهذا ساهم في استقرار المجتمعات الإسلامية.

هـ. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يظهر عند المؤرخ أن المسلمين كانوا أكثر مرونة تاريخية من غيرهم، لأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء، مما سهل التفاعل مع الحضارات السابقة وامتصاص علومها، وفتح بابا واسعا للترجمة والاقتباس، فهذا الإيمان كان سببا في ازدهار الحضارة الإسلامية.

و. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يفسر للمؤرخ قدرة المسلمين على الصبر أمام الشدائد والمحن، لأن هذه الرؤية الأخروية منحتهم عزيمة وقوة تحمل، وجعلت منهم أمة تعمل للدنيا والآخرة معا، فالمؤرخ يجد أن المسلمين صمدوا أمام الحروب والمحن لأنهم كانوا يوقنون بأن الأجر عند الله.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني بالنسبة للمؤرخ أن هذا الهدى لم يكن مجرد أفكار، بل كان محركا فعليا لصناعة الأحداث، وأن تمسك المسلمين به كان سببا في استمرار حضارتهم وتميزها عبر العصور، فكلما تمسك المسلمون بهذا الهدى ازدهرت حضارتهم، وكلما ابتعدوا عنه ضعفت.

ح. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني أن الفلاح التاريخي للأمم ليس في القوة المادية فقط، بل في الالتزام بالقيم والمبادئ، فالأمم التي تلتزم بهذه الصفات هي التي تفلح في التاريخ، والأمم التي تنحرف عنها تفشل وتنهار، وهذا درس تاريخي مهم.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يشير إلى أن الصحة النفسية مرتبطة بوجود هدف ومعنى في الحياة، وأن التقوى هي إحدى الركائز الأساسية للصحة النفسية، فهي تخلص الإنسان من القلق والاضطراب الناتج عن الفراغ الروحي، فالذي يعيش بلا هدف ولا معنى يعاني من الفراغ الوجودي الذي يؤدي إلى الاكتئاب والقلق.

ب. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يخفف من القلق الوجودي لدى الإنسان، لأنه يجد إجابة عن أسئلة المصير والمعنى، ويمنح الأمان النفسي بأن الكون ليس فوضى، وأن هناك قدرا وحكمة، وهذا يحد من اضطرابات القلق والاكتئاب، فالإيمان بالغيب يمنح الإنسان طمأنينة بأن هناك من يدبر الأمور.

ج. قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ هي تمارين يومية للاسترخاء والتركيز والتأمل، وهي تشبه كثيرا تقنيات اليقظة الذهنية التي ينصح بها المعالجون النفسيون اليوم، فالصلاة تمنح العبد لحظة انقطاع عن ضغوط الحياة، وتوازن بين الجسد والنفس والروح، وقد أثبتت الدراسات أن الصلاة تخفض من التوتر والقلق.

د. قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فيه علاج للأنانية والتمركز حول الذات، والبذل والعطاء يمنح الإنسان شعورا بالسعادة والإشباع النفسي، كما تؤكد الدراسات الحديثة أن البذل يقلل من الاكتئاب ويزيد من الرضا، فالإنسان الذي يعيش لنفسه فقط يشعر بالوحدة والفراغ، أما الذي يعطي للآخرين فيشعر بالانتماء والمعنى.

هـ. قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعزز شعور الانتماء للإنسانية كلها، ويقلل من النزعة العدوانية والعصبية، فالمؤمن يرى الآخرين على اختلاف أديانهم جزءا من السياق الإلهي الواحد، وهذا يمنحه اتساعا نفسيا ويمنعه من الكراهية والتعصب.

و. قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعالج الخوف من الموت الذي هو من أعمق المخاوف

الإنسانية، ويمنح الأمل، ويجعل الإنسان يتجاوز ألم الفقدان والحسرة، بربطه بوعد اللقاء والخلود، فالذي يؤمن بالآخرة لا يخاف الموت، بل يراه انتقالا إلى حياة أفضل.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني أن السعادة الحقيقية في الاستقرار النفسي مصدرها الهدى الإلهي، وأن من عاش بلا هدى أو بوصلة يعيش في ضياع نفسي واضطراب مستمر، فالهدى الرباني يمنح الإنسان اتجاها واضحا في الحياة، وهذا الاتجاه هو الذي يمنحه الطمأنينة.

ح. قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني أن الفلاح النفسي هو الوصول إلى حالة من التوازن والرضا والسعادة، وهذا لا يتحقق إلا بالإيمان والعمل الصالح، فالطبيب النفسي يجد في هذه الآيات وصفة للصحة النفسية المتكاملة التي تجمع بين الروح والجسد والعقل.

٣. ختم الله على قلوب الكافرين وعذابهم العظيم:

المقطع [٣] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يثير إشكالا عقديا دقيقا حول الجمع بين عدل الله وحكمته وبين كون الختم هو سبب كفرهم أو نتيجة له، والجواب أن الختم جزاء على كفرهم السابق وإعراضهم عن الحق، وليس ظلما ابتدائيا، فهو عقوبة إلهية عادلة على استكبارهم وعنادهم، وقد سبق ذلك في علم الله الأزلي علمهم بأنهم سيختارون الكفر بإرادتهم الحرة.

ب. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يشير إلى أن السمع الذي هو من أعظم وسائل الهداية قد تعطل عن أداء وظيفته بسبب إصرارهم على عدم الاستماع للحق، فالختم هنا معنوي وليس حسيا، إذ لا يمنعهم من سماع الأصوات، بل يمنعهم من الانتفاع بالسمع في التدبر والاعتبار، وهذا من سنن الله في الذين يعرضون عن آياته.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يبين أن البصر وإن كان سليما من الناحية الحسية، إلا أن هناك غشاوة تمنع صاحبه من رؤية الآيات الكونية والشرعية رؤية اعتبارية، فهم يرون ولا يتعظون، ويشاهدون

ولا يتدبرون، وهذه الغشاوة هي حجاب على البصيرة لا على العين المجردة.

د. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يقرر أن العذاب ليس مقصورا على العذاب الأخروي، بل يشمل عذاب الدنيا أيضا كالقتل والأسر والذل، والعذاب العظيم في الآخرة هو الخلود في النار، وهذا يبين أن الكفر له عواقب وخيمة في الدارين، وأن الله لا يظلم أحدا، بل هم الذين ظلموا أنفسهم.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يشير إلى أن القلب هو محل الإيمان ومحل الخطاب الإلهي، وأن الختم هو حرمان القلب من تلقي أنوار الهداية، وهذا عند الصوفي نتيجة لتراكم الذنوب والغفلة حتى يصبح القلب مقفلا لا يدخله نور، فهم يرون أن الذنوب إذا تراكمت على القلب صارت رينا ثم طبعا ثم ختما، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]

ب. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن السماع الحقيقي هو سماع القلب لكلام الله، فإذا ختم على السمع لم يعد الإنسان ينتفع بسماع المواعظ والآيات، بل يصبح كالبهائم تسمع الصوت ولا تفقه المعنى، وهذا يبين أن السماع النافع هو الذي يحرك القلب ويوقظه من غفلته.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يشير إلى أن البصيرة هي التي ترى الحقائق، فإذا غشيت البصيرة لم تنفع العين، والصوفي يرى أن الكشف الحقيقي هو كشف البصيرة لا كشف البصر، وأن الغشاوة هي حجاب من الحجب التي تحجب العبد عن رؤية جمال الله وآياته في الكون والأنفس.

د. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يجد فيه الصوفي أن أعظم العذاب هو الحرمان من الله، فالعذاب العظيم ليس النار فقط، بل هو البعد عن الحضرة الإلهية، وهذا أشد من عذاب النار عند أهل الذوق، لأن النار عذاب للجسد، أما الحرمان فهو عذاب للروح والقلب.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول مسألة الجبر والاختيار، فهل الختم يلغي حرية الإنسان وإرادته؟ والجواب الفلسفي أن الختم لا يلغي الاختيار، بل هو نتيجة لسوء استخدام الاختيار، فالله لا يجبر أحدا على الكفر، بل يخذل من أعرض عن الحق بعد قيام الحجة عليه، وهذا يلتقي مع مبدأ السببية حيث أن الكفر سبب للختم، والختم نتيجة طبيعية للكفر.

ب. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة حدود المعرفة الحسية، فالسمع من الحواس التي يعتمد عليها الإنسان في اكتساب المعرفة، وإذا تعطل السمع عن وظيفته المعرفية بسبب الإعراض، فهذا يدل على أن المعرفة ليست حاصلة بالحواس وحدها، بل تحتاج إلى استعداد باطني وقابلية نفسية لتلقي الحق.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يثير مسألة العلاقة بين الحس والعقل، فالبصر الحسي لا يكفي لإدراك الحقائق، بل لا بد من البصيرة العقلية والقلبية، والغشاوة هنا ترمز إلى الحجب المعرفية التي تمنع الإنسان من الوصول إلى اليقين، وهذا يلتقي مع نقد الفلاسفة للاكتفاء بالمعرفة الحسية الظاهرة.

د. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يثير مسألة العدالة الإلهية والغائية من الخلق، فالعذاب العظيم للكافرين يبين أن هناك نظاما أخلاقيا في الكون، وأن الأفعال لها عواقب، وأن الله لا يخلق الخلق عبثا، بل هناك غاية نهائية يتحقق فيها العدل المطلق.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يبين أن الأخلاق ليست مجرد سلوك ظاهري، بل هي مرتبطة بحالة القلب، فالقلب إذا ختم عليه فسدت الأخلاق كلها، وإذا استنار بالهدى صلحت الأخلاق، وهذا يؤكد أن التزكية الأخلاقية تبدأ من القلب قبل الجوارح.

ب. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يشير إلى أن الاستماع للأخلاق الفاضلة والمواعظ النافعة هو وسيلة من وسائل تهذيب النفس، فإذا ختم على السمع لم تعد المواعظ تؤثر في النفس، وهذا يبين أن الأخلاق تحتاج إلى قابلية للاستماع والقبول.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يلفت إلى أن الرؤية الأخلاقية الصحيحة هي التي ترى الخير والشر كما هما، فالغشاوة على البصر تمنع الإنسان من التمييز بين الفضائل والرذائل، فتراه يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا، وهذا من أعظم أسباب الانحدار الأخلاقي.

د. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يبين أن للفساد الأخلاقي عواقب وخيمة، وأن العذاب ليس فقط في الآخرة، بل في الدنيا أيضا، فالذي يختم على قلبه وسمعه وبصره يعيش في شقاء نفسي واجتماعي، لأن الأخلاق الفاسدة تفسد الحياة كلها.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تعرض عن الحق تفقد البوصلة الأخلاقية والروحية، فتصبح قلوب أفرادها مقفلة لا تتأثر بالمواعظ ولا تنفع معها النصائح، وهذا يؤدي إلى تفكك المجتمع وانهيار قيمه.

ب. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يبين أن المجتمعات التي لا تستمع إلى صوت الحق تفقد القدرة على الإصلاح، فتصبح منغلقة على ذاتها، لا تقبل النقد ولا تستفيد من التجارب، وهذا يؤدي إلى الجمود والتخلف.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تفقد البصيرة لا ترى الواقع كما هو، بل تراه مشوها، فتتخذ قرارات خاطئة مبنية على رؤية مغلوطة، وهذا يفسر كثيرا من الانهيارات الاجتماعية والحضارية.

د. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يبين أن المجتمعات الكافرة أو المنحرفة عن الحق لا بد أن تلقى عذابا في الدنيا قبل الآخرة، إما بالحروب والفتن، أو بالانهيار الاقتصادي والاجتماعي، وهذا من سنن الله في الأمم السابقة، كما قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٥]

سادسا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يشير إلى ظاهرة نفسية عميقة وهي تبلد المشاعر وفقدان الاستجابة الانفعالية للمؤثرات الروحية والأخلاقية، وهذا ما يسمى في علم النفس الحديث بالحساسية المفرطة أو فقدان الإحساس، حيث يصبح الإنسان لا يتأثر بما حوله من مؤثرات إيجابية أو سلبية.

ب. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يبين أن هناك نوعا من الصمم النفسي، حيث يفقد الإنسان القدرة على الاستماع الفعال، فلا يسمع إلا ما يريد سماعه، ويتجاهل ما يخالف هواه، وهذا من أنماط الدفاع النفسي التي تحمي الإنسان من مواجهة الحقيقة.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يشير إلى ظاهرة العمى النفسي أو الإنكار، حيث يرفض الإنسان رؤية الحقائق الواضحة أمامه، ويمارس ما يسمى في علم النفس بالتبرير والإنكار، فيرى الأشياء مشوهة وفق تصوراته المسبقة.

د. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يبين أن هذه الحالة النفسية المرضية تؤدي إلى معاناة نفسية شديدة، فالذي يعيش في إنكار وتبلد وجمود يعيش في صراع داخلي وقلق مستمر، وهذا ما يسمى في علم النفس الحديث بالاضطرابات النفسية الناتجة عن عدم التوافق مع الواقع.

سابعا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية الفعالة تحتاج إلى قلب مفتوح قابل للتلقي، وأن إغلاق القلب هو أخطر عائق أمام العملية التربوية، لذا يجب على المربي أن يسعى لفتح قلوب المتعلمين قبل عقولهم، وأن يهتم ببناء العلاقة الوجدانية معهم.

ب. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يبين أن التربية تعتمد على الاستماع الفعال، وأن المتعلم الذي يغلق أذنيه عن المعلم لا يمكن أن يستفيد، لذا يجب على المربي أن يبحث عن الوسائل التي تجعل المتعلم يستمع باهتمام وانفتاح، وأن يتجنب الأساليب التي تثير نفوره وعدم استماعه.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يشير إلى أن التربية تحتاج إلى بصيرة نافذة، وأن المتعلم الذي يرى الأمور مشوشة لا يمكن أن يصل إلى الفهم الصحيح، لذا يجب على المربي أن يعمل على تنمية البصيرة لدى المتعلمين، وأن يساعدهم على رؤية الحقائق بوضوح.

د. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوجه المربي إلى أن الإعراض عن التربية والتعليم له عواقب وخيمة، وأن الجهل ليس مجرد نقص معرفي، بل هو سبب للعذاب والشقاء في الدنيا والآخرة، لذا يجب على المربي أن يبذل جهده في إنقاذ المتعلمين من الجهل بكل الوسائل الممكنة.

ثامنا ـ إشارات دعوية:

أ. قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يوجه الداعية إلى أن هناك فئة من الناس لا تنفع معها الدعوة مهما بلغت من الحكمة والموعظة الحسنة، وهذا لا يعني ترك الدعوة، بل يعني أن الداعية يجب أن يبذل جهده ثم يترك النتيجة لله، وأنه لا يملك هداية أحد، فالهداية بيد الله وحده.

ب. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يعلم الداعية أن هناك قلوبا مقفلة لا تفتحها المواعظ، فلا يصيبه الإحباط إذا لم يستجب الناس لدعوته، بل يعلم أن هذا من سنن الله في بعض العباد، وأن عليه البلاغ فقط.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يبين للداعية أن هناك من يسمع ولا ينصت، ومن يحضر المجالس ولا يتأثر، وهذا لا يمنع الداعية من مواصلة دعوته، فالعبرة ليست بالنتائج المباشرة، بل بتحقيق الحجة وإبلاغ الرسالة.

د. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يوجه الداعية إلى أن هناك من يرى الآيات ولا يهتدي بها، فلا ينبغي للداعية أن ييأس من استمرار دعوته، بل عليه أن يذكر نفسه بأنه نذير مبين، وأن الهداية من الله وحده.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعطي الداعية حافزا قويا لمواصلة دعوته، لأنه يعلم أن الناس في خطر عظيم إذا لم يستجيبوا، وأن إنقاذهم من هذا العذاب هو غاية الدعوة، وهذا يدفعه إلى بذل المزيد من الجهد والصبر في سبيل تبليغ الرسالة.

تاسعا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يبين أن هناك فئة لا تنفع معها السياسات الإصلاحية ولا الخطابات التوعوية، وهذا يدفع عالم السياسة إلى دراسة طبيعة هذه الفئة ووضع سياسات مناسبة للتعامل معها، سواء بالردع أو بالعزل أو بالحوار بحسب المصلحة العامة.

ب. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يشير إلى أن هناك أنظمة سياسية أو جماعات وصلت إلى درجة من الجمود الفكري لا تقبل الإصلاح، وهذا يستدعي من عالم السياسة أن يبحث عن بدائل للتعامل معها، وأن لا يراهن على تغييرها من الداخل إذا كانت قلوبها مقفلة.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يبين أن هناك فئات لا تستمع إلى الحجج والبراهين، وهذا يدفع عالم السياسة إلى عدم إضاعة الوقت في الحوار العقيم معها، والتركيز على الفئات التي يمكن أن تستمع وتستجيب.

د. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يشير إلى أن هناك فئات ترى الواقع مشوها، فلا يمكن الاعتماد عليها في بناء السياسات أو اتخاذ القرارات، لأن رؤيتها مغلوطة، وهذا يستدعي الحذر من تأثيرها في صنع القرار.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يبين أن للسياسات الظالمة والأنظمة الكافرة عواقب وخيمة،

وأن العذاب قد يكون في الدنيا قبل الآخرة، وهذا يدفع عالم السياسة إلى تجنب الظلم والاستبداد، والسعي إلى إقامة العدل الذي يقي المجتمع من العذاب والانهيار.

عاشرا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يشير إلى أن الموظف الذي يختم على قلبه لا تنفع معه الحوافز ولا التوجيهات، لأنه فقد القدرة على الاستجابة الإيجابية، وهذا يدفع مدير الموارد البشرية إلى دراسة حالات الموظفين المقاومين للتغيير، والبحث عن أسباب هذه المقاومة وعلاجها قبل فوات الأوان.

ب. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يبين أن هناك موظفين لا يستمعون للتوجيهات والتعليمات، وهذا يستدعي من الإدارة استخدام وسائل اتصال متعددة، والتأكد من وصول الرسالة الإدارية إلى جميع المستويات، وعدم الاكتفاء بالتعليمات الشفهية التي قد لا تصل إلى من ختم على سمعه.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يشير إلى أن هناك موظفين يرون الواقع الإداري مشوها، فلا يدركون حقيقة الأهداف والخطط، وهذا يستدعي من الإدارة العمل على توضيح الرؤية والأهداف بشكل مستمر، وإزالة الغشاوة عن أعين الموظفين من خلال الشفافية والوضوح.

د. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يبين أن الإدارة الفاشلة التي تختم على قلوب موظفيها وسمعهم وأبصارهم ستلقى عواقب وخيمة، تتمثل في فشل المنظمة وانهيارها، وهذا يدفع الإدارة إلى الاهتمام بالعنصر البشري وتنمية قدراته، وعدم إهمال الجانب المعنوي والروحي في العمل.

حادي عشر ـ إشارات طبية:

أ. قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يشير إلى أن هناك أمراضا قلبية معنوية تؤثر على صحة الإنسان العامة، فالقلب إذا ختم عليه بالإعراض عن الله أصيب بالقسوة والجفاف الروحي، وهذا ينعكس سلبا على الصحة النفسية والجسدية، فالقلب السليم هو أساس الصحة العامة.

ب. قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ يبين أن هناك صمما معنويا يؤثر على حياة الإنسان، فالذي لا يستمع إلى الحق ولا يتأثر بالمواعظ يعيش في عزلة عن مصادر الهداية، وهذا يؤثر على توازنه النفسي والاجتماعي، وقد يؤدي إلى أمراض نفسية كالاكتئاب والقلق.

ج. قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ يشير إلى أن هناك عمى معنويا يؤثر على رؤية الإنسان

للحياة، فالذي يرى الأمور مشوشة لا يمكن أن يعيش حياة صحية متوازنة، لأن الرؤية الصحيحة للحياة هي أساس الصحة النفسية والروحية.

د. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يبين أن الإعراض عن الله وعدم الاستجابة للحق يؤدي إلى عذاب نفسي وجسدي في الدنيا، فالقلق والاكتئاب والأمراض النفسية هي صور من هذا العذاب، وهذا يؤكد أن الصحة الحقيقية لا تتحقق إلا بالإيمان والاستقامة.

٤. صفات المنافقين وخداعهم لأنفسهم:

المقطع [٤] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ٨-١٦]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن الإيمان قول باللسان قد يخالف حقيقة القلب، وأن العبرة في الإيمان ليست بالتصريح الظاهري بل بما استقر في القلب وصدقه العمل، فالنفاق هو إظهار خلاف ما أبطن، وهو من أخطر أمراض القلوب التي تهدد العقيدة من الداخل.

ب. قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يبين أن محاولة خداع الله محال في ذاته، لأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فالمخادع لا يخدع إلا نفسه لأنه يؤخر عقابه ويستدرج في طغيانه، وهذا من مقتضى عدل الله وحكمته في معاملة الماكرين.

ج. قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يدل على أن مرض النفاق مرض قلبي معنوي،

وأن الله يزيد المنافقين مرضا بسبب كذبهم وإصرارهم، فالزيادة هنا عقوبة إلهية من جنس عملهم، وفي هذا إشارة إلى أن الذنوب إذا أصر عليها العبد صارت طبعا يزيده ضلالا.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يشير إلى أن الفساد قد يقع تحت شعار الإصلاح، وأن المنافقين يلبسون الباطل ثوب الحق، فالحكم على الأعمال ليس بظواهرها ولا بدعاوى أصحابها، بل بحقيقتها ونتائجها، وهذا أصل في تمييز الإصلاح من الإفساد.

هـ. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يبين أن المنافقين ينظرون إلى المؤمنين باستعلاء واحتقار، وأنهم يرفضون الإيمان لأنه يلزمهم بالتزامات، ويرون أنفسهم أعقل من المؤمنين، وفي هذا إشارة إلى أن الكبر من أعظم موانع الإيمان، وأن السفه الحقيقي هو الذي يصد عن الهدى.

و. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ يصور حال المنافقين في التلون والانبطاح أمام كل فريق بما يرضيه، فهم مع المؤمنين بإيمان مزعوم، ومع شياطينهم من الكافرين والمنافقين بالكفر الصريح، وهذا دليل على أن النفاق انقسام في الشخصية وازدواجية في السلوك.

ز. قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يشير إلى أن استهزاء الله بهم هو إمهالهم وتركهم في ضلالهم حتى يزدادوا عتوا، فالإمهال ليس إكراما بل هو استدراج وعقوبة عاجلة، وفي هذا إشارة إلى سنة الله في معاملة المستهزئين بآياته.

ح. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ يصور النفاق على أنه صفقة خاسرة، فقد استبدلوا الهدى بالضلال، فخسروا الدنيا والآخرة، وفي هذا إشارة إلى أن كل من آثر الباطل على الحق فهو تاجر خاسر، وأن الربح الحقيقي في اتباع الهدى.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن الإيمان عند الصوفي ليس مجرد نطق باللسان، بل هو نور يقذفه الله في القلب، فمن لم يجد حلاوة الإيمان في قلبه فإيمانه صورة بلا روح، والنفاق عندهم هو ادعاء مقام لم يتحقق صاحبه منه.

ب. قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن القلب له صحة ومرض، وأن مرض القلب هو انحرافه عن الفطرة وحجبه عن نور الحق، وأن دواء هذا المرض لا يكون إلا بالذكر والمراقبة ومجاهدة النفس، وأن من أعرض عن الدواء زاده الله مرضا.

ج. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن الفساد قد يكون في الظاهر وقد يكون في الباطن، وأن أفسد الفساد فساد القلب عن الله، فالقلب إذا خرب خربت الجوارح كلها، وإذا صلح صلحت الأعمال كلها.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الإيمان الذي يدعو إليه الأنبياء ليس إيمانا تقليديا، بل هو إيمان ذوق وكشف، وأن من لم يذق حلاوة الإيمان يظن أن المؤمنين سفهاء، لأنه لا يدرك ما عندهم من أنوار وأسرار.

هـ. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يشير إلى أن الصوفي يرى أن الصدق مع الله هو أساس الطريق، وأن التلون والمداهنة من علامات الغش والمرض، فالمؤمن الصادق لا يكون له وجهان، بل يكون ظاهره كباطنه.

و. قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن من حجب بنفسه عن الله تركه الله مع نفسه، فكان جزاؤه أن يخلى بينه وبين هواه، وهذا أشد العذاب عند أهل القلوب، لأن البعد عن الله هو أعظم من عذاب النار.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ يشير إلى أن القلب إذا خلا من نور الهدى امتلأ بظلمة الضلال، وأن صفقة القلب مع الله هي أعظم الصفقات، فمن باع هداه بضلاله فقد خسر نفسه، ومن باع دنياه بآخرته فقد ربح.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالا حول طبيعة الوعي والذات، فكيف يخدع الإنسان نفسه دون أن يشعر؟ وهذا يشير إلى أن الإنسان قد يجهل حقيقة نفسه، وأن وعيه بذاته ليس وعيا كاملا، بل هناك طبقات خفية من النفس تخفى على صاحبها.

ب. قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول العلاقة بين الحرية والقدر، فإذا كان الله يزيدهم مرضا فهل هم مجبرون على النفاق؟ والجواب أن الزيادة عقوبة على اختيارهم الحر، فالله لا يظلم الناس شيئا، ولكن أنفسهم يظلمون، وهذا يلتقي مع مبحث الجبر والاختيار في الفلسفة.

ج. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يثير إشكالا حول معيار الحقيقة، فهل الحكم على الأفعال بالظواهر أم بالبواطن؟ وهل يمكن أن يكون الفساد في صورة إصلاح؟ وهذا يدفع الفيلسوف إلى التأمل في نسبية المفاهيم الأخلاقية، وأن الخير والشر ليسا دائما واضحين.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يطرح إشكالا حول معيار العقلانية، فالمنافقون يرون أنفسهم عقلاء والمؤمنين سفهاء، وهذا يثير سؤال: ما هو معيار العقل؟ هل هو الموافقة للهوى أم الموافقة للحقيقة؟ وفي هذا إشارة إلى أن العقل قد يكون أسيرا للأوهام.

هـ. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ يثير إشكالا حول مفهوم الربح والخسارة، فهل الربح مادي فقط أم معنوي؟ وهل يمكن أن يربح الإنسان في الدنيا ويخسر في الحقيقة؟ وهذا يدفع إلى التأمل في مفهوم القيمة، وأن القيم الحقيقية ليست هي القيم المادية الظاهرة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن الأخلاق لا تقوم على الأقوال بل على الأفعال، وأن الصدق هو أساس كل فضيلة، فمن كذب في إيمانه كان كذبه مدخلا لكل رذيلة، والنفاق هو أم الرذائل لأنه يجمع الكذب والرياء والخيانة.

ب. قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ يبين أن الخداع والغش من أسوأ الصفات الأخلاقية، وأن من يخدع غيره فهو في الحقيقة يخدع نفسه، لأن الخداع يفسد النفس قبل أن يفسد العلاقات، وأن الصدق والأمانة هما أساس الثقة بين الناس.

ج. قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يشير إلى أن الأخلاق ليست سلوكا ظاهريا فقط، بل هي انعكاس لحالة القلب، فالقلب السليم تنتج عنه أخلاق سليمة، والقلب المريض تنتج عنه أخلاق فاسدة، وهذا يربط الأخلاق بالتربية الروحية والقلبية.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يدل على أن من علامات فساد الأخلاق تبرير الفساد وتسميته بأسماء حسنة، فالمنافق لا يكتفي بارتكاب الفساد بل يزينه ويبرره، وهذا أخطر من الفساد نفسه، لأنه يطمس معالم الخير والشر.

هـ. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يشير إلى أن الكبر والاستعلاء على الآخرين من أقبح الصفات الأخلاقية، وأن احتقار المؤمنين والاستهانة بهم دليل على سفه صاحبه، فالكبر يمنع صاحبه من قبول الحق والانقياد له.

و. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يصور الازدواجية الأخلاقية، وهي أن يكون للإنسان وجهان، وجه للمؤمنين ووجه للمنافقين، وهذا من أسوأ صور النفاق الأخلاقي، فالإنسان الصادق واحد في سره وعلنه.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ يشير إلى أن الأخلاق تقوم على المفاضلة بين القيم، وأن الإنسان يختار في كل لحظة بين الخير والشر، فالمنافق اختار الضلالة على الهدى، وهذه هي الخسارة الأخلاقية الكبرى.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن المجتمعات قد تضم عناصر غير منسجمة مع قيمها، وأن النفاق ظاهرة اجتماعية خطيرة تهدد تماسك المجتمع، لأنه يخلق فجوة بين الظاهر والباطن، وبين الأقوال والأفعال.

ب. قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يبين أن النفاق يفسد العلاقات الاجتماعية، لأنه يقوم على الخداع والغش، وأن الثقة التي هي أساس العلاقات الاجتماعية تنهار عندما ينتشر النفاق، فالمجتمع الذي يكثر فيه المنافقون مجتمع هش لا يمكن أن يبنى على أسس متينة.

ج. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يشير إلى أن الفساد الاجتماعي قد يأتي ملبسا بثوب الإصلاح، وأن المنافقين من أخطر المفسدين في المجتمعات، لأنهم يفسدون ولا يشعرون، بل يظنون أنهم مصلحون، وهذا يضاعف خطورتهم على المجتمع.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يدل على أن النفاق

الاجتماعي يرتبط بالاستعلاء الطبقي، فالمنافقون ينظرون إلى عامة المؤمنين بازدراء، ويظنون أنفسهم نخبة مثقفة، وهذا يخلق فجوة طبقية وعداء اجتماعيا.

هـ. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يصور ظاهرة الانتماء المزدوج، وهي أن يكون الفرد عضوا في جماعتين متناقضتين، فيظهر لكل جماعة بما يرضيها، وهذا يضعف الولاء الاجتماعي ويجعل الفرد بلا هوية ثابتة.

و. قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي ينتشر فيها النفاق تتردى في الضلال، لأن المنافقين يعمون عن رؤية الحق، ويمدهم الله في طغيانهم حتى يهلكوا، وهذا يبين أن النفاق سبب من أسباب انهيار المجتمعات.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن النفاق السياسي ظاهرة قديمة، وهي أن يظهر الإنسان الإيمان أو الانتماء لتحقيق مكاسب سياسية، دون أن يكون صادقا في ذلك، وهذا يهدد شرعية الأنظمة التي تقوم على مثل هذه الادعاءات.

ب. قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يبين أن الخداع في السياسة من أخطر الآفات، فالسياسة التي تقوم على الخداع والغش لا يمكن أن تكون سياسة ناجحة، لأنها تبني على أساس هش، والله يمكر بمن يمكر بهم.

ج. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يشير إلى أن الفساد السياسي قد يتستر بشعارات الإصلاح، وأن أخطر المفسدين في الأرض هم الذين يفسدون ويدعون أنهم مصلحون، وهذا يوجب على المجتمعات تمييز الإصلاح الحقيقي من الإصلاح المزعوم.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يدل على أن الاستعلاء السياسي والفكري على الجماهير من علامات النفاق السياسي، فالسياسي الذي يحتقر الناس ويظن نفسه أعلاهم لا يمكن أن يكون قائدا صادقا.

هـ. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يصور الازدواجية السياسية، وهي أن يكون السياسي وجها لوجهين، يظهر للمؤمنين إيمانا ولأعدائهم كفرا،

وهذا من أخطر صور الخيانة السياسية.

و. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ يشير إلى أن السياسة التي تقوم على النفاق والكذب هي صفقة خاسرة، حتى لو حققت مكاسب ظاهرية، فالخسارة الحقيقية هي خسارة المبادئ والقيم، وهي خسارة لا تعوض.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة لا تقوم على الأقوال بل على الأفعال، وأن الموظف الذي يظهر الالتزام دون أن يكون صادقا فيه يضر المؤسسة أكثر مما ينفعها، فالالتزام الحقيقي هو التزام القلب قبل اللسان.

ب. قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ يبين أن الخداع في بيئة العمل من أخطر المشكلات الإدارية، فالموظف الذي يخدع مديره أو زملاءه يظن أنه يربح، لكنه في الحقيقة يخسر ثقتهم، والثقة هي رأس مال المؤسسات.

ج. قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يشير إلى أن السلوك السلبي في العمل ليس مجرد مشكلة سلوكية، بل هو انعكاس لحالة داخلية، وأن المؤسسة الناجحة هي التي تهتم بالجانب النفسي والروحي لموظفيها، لأن الموظف السليم النفس ينتج عملا سليما.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يدل على أن بعض الموظفين قد يفسدون في العمل ويدعون أنهم يصلحون، وهذا يوجب على الإدارة وجود معايير واضحة لتقييم الأداء، وعدم الاكتفاء بالادعاءات.

هـ. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يشير إلى أن بعض الموظفين ينظرون بازدراء إلى زملائهم الملتزمين، ويظنون أنفسهم أذكى منهم، وهذا الاستعلاء يضر بروح الفريق ويضعف التعاون.

و. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يصور ظاهرة الموظف المزدوج، الذي يظهر في وجهه صورة وفي غيابه صورة أخرى، وهذا من أخطر ما يهدد تماسك المؤسسات، لأنه يزرع الشك والريبة بين العاملين.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ يشير إلى أن المؤسسات التي تختار السلوكيات غير الأخلاقية على السلوكيات القويمة تخسر في النهاية، حتى لو حققت أرباحا مادية، فالاستدامة الحقيقية تقوم على الأخلاق والقيم.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ يشير إلى أن هناك أمراضا نفسية وروحية تصيب القلب، وأن هذه الأمراض تتفاقم إذا لم تعالج، فالمرض النفسي إذا أهمل زاد وتطور، وهذا يلتقي مع مفاهيم الصحة النفسية الحديثة التي تؤكد على أهمية التدخل المبكر.

ب. قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يصف حالة من انعدام البصيرة الذاتية، وهي أن الإنسان يخدع نفسه دون أن يشعر، وهذا يشبه ما يسمى في علم النفس بالدفاعات اللاشعورية، حيث يبرر الإنسان سلوكه الخاطئ دون وعي منه.

ج. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يشير إلى ظاهرة التبرير الذاتي، وهي أن الإنسان يبرر سلوكه الخاطئ بأعذار مقنعة لنفسه، وهذا من آليات الدفاع النفسي التي تحمي النفس من الشعور بالذنب، لكنها في الحقيقة تزيد المرض.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يدل على أن الاستعلاء واحتقار الآخرين قد يكون تعويضا نفسيا عن شعور داخلي بالنقص، فالمنافق يظهر الكبر ليخفي ضعفه الداخلي، وهذا من أهم مفاهيم التحليل النفسي.

هـ. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يصف حالة ازدواج الشخصية، وهي من الاضطرابات النفسية الخطيرة، حيث يعيش الإنسان في تناقض بين شخصيتين، وهذا التناقض يسبب له قلقا وصراعا داخليا مستمرا.

و. قوله: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يشير إلى أن الإصرار على السلوك الخاطئ يؤدي إلى فقدان البصيرة، فالمنافق يعمه في طغيانه ولا يرى الحقيقة، وهذا يشبه ما يسمى في علم النفس بالتصلب المعرفي، حيث يفقد الإنسان قدرته على تصحيح مساره.

تاسعا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن النفاق ظاهرة تاريخية قديمة، فقد كان موجودا في كل المجتمعات التي جاءتها الرسل، وأن تاريخ الأمم مليء بأمثلة المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يبين أن الفساد تحت شعار الإصلاح ظاهرة تاريخية متكررة، فقد استخدمها كثير من المفسدين عبر التاريخ لتبرير أعمالهم، وأن على المؤرخ أن يكشف زيف هذه الادعاءات.

ج. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يشير إلى أن النخب المستعلية كانت دائما تعترض على دعوات الإصلاح، وتنظر بازدراء إلى أتباعها، وهذا يفسر كثيرا من الصراعات التاريخية بين النخب والجماهير.

د. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يصور ظاهرة التحالف المزدوج في التاريخ، حيث كانت بعض الجماعات تتحالف مع المؤمنين ظاهرا ومع أعدائهم باطنا، وهذا يفسر كثيرا من الخيانات التاريخية.

هـ. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ يشير إلى أن الأمم التي اختارت الضلال على الهدى خسرت في التاريخ، حتى لو حققت انتصارات ظاهرية، فالخسارة الحقيقية هي خسارة القيم والمبادئ التي تنهض بها الأمم.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن التربية لا تقوم على التلقين الظاهري، بل على بناء القناعات الداخلية، فالمتعلم الذي يحفظ الأقوال دون أن تؤثر في سلوكه لم يتحقق منه التربية الحقيقية.

ب. قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يبين أن التربية الحقيقية هي تربية القلوب قبل العقول، وأن المعلم الناجح هو الذي يعتني بسلامة قلوب طلابه، لأن القلب السليم هو الأساس الذي تبنى عليه المعارف والسلوكيات.

ج. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يشير إلى أن المربي يجب

أن يعلم طلابه الفرق بين الإصلاح الحقيقي والإفساد المزعوم، وأن يربيهم على الصدق مع النفس قبل الصدق مع الآخرين.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يدل على أن المربي يجب أن يحذر طلابه من الاستعلاء على الآخرين، وأن يعلمهم التواضع، لأن الكبر يمنع من قبول الحق والانقياد له.

هـ. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يصور سلوك التلميذ المزدوج، الذي يظهر للمعلم صورة وفي غيابه صورة أخرى، وهذا يوجب على المربي أن يربي طلابه على الصدق والاتساق بين الظاهر والباطن.

و. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ يشير إلى أن التربية القويمة هي التي تعلم الطالب المفاضلة بين القيم، وأن يختار الهدى على الضلال، وأن يعلم أن الخسارة الحقيقية هي خسارة المبادئ والقيم.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يكون حذرا من الشهادات والأقوال التي قد تخفي خلاف ما تظهر، وأن الحكم بالظاهر لا يغني عن التحقق من البواطن ما أمكن.

ب. قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ يبين أن الخداع في القضاء من أخطر الآفات، فالمنافق قد يقدم بين يدي القاضي ما يخالف حقيقته، وعلى القاضي أن يكون فطنا يميز الصادق من الكاذب.

ج. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يشير إلى أن بعض المتخاصمين قد يقدمون أنفسهم كمصلحين وهم في الحقيقة مفسدون، وهذا يوجب على القاضي التثبت من الحقائق قبل إصدار الأحكام.

د. قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ يدل على أن الاستعلاء قد يصل إلى ساحات القضاء، حيث يحتقر بعض الخصوم خصومهم، وهذا يوجب على القاضي أن يكون

عادلا لا يميل مع المستكبرين.

هـ. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يختار الضلال على الهدى في أحكامه هو خاسر، حتى لو حقق مكاسب دنيوية، فالعدل هو أساس القضاء، ومن حاد عنه فقد خسر الدنيا والآخرة.

٥. مثل المنافقين:

المقطع [٥] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧-٢٠]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ يصور حالة المنافقين بأنهم كانوا على بصيرة من أمرهم في الظاهر، فآمنوا بألسنتهم واستضاءوا بنور الإسلام، لكن الله سلبهم هذا النور بسبب خبث بواطنهم، فصاروا في ظلمات الكفر والريب، وهذا يبين أن الإيمان الحقيقي ليس مجرد إقرار لفظي، بل هو نور يقذفه الله في القلب، فإذا فسد القلب ذهب النور وبقي صاحبه في حيرة وظلام.

ب. قوله: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ يشير إلى أن الهداية والإضلال بيد الله وحده، وأن النفاق ليس صفة ثابتة بل هو حال يطرأ على القلب فيعاقب صاحبه بسلب التوفيق، وفيه دلالة على أن الله يعامل العباد بعدله وحكمته، فيجازي من أظهر خلاف ما أضمر بالخذلان والعمى المعنوي.

ج. قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يصف المنافقين بأنهم فقدوا أدوات الإدراك النافعة، فصموا عن سماع الحق، وبكموا عن النطق به، وعموا عن رؤية آياته، وهذه ليست صفات حسية فقط، بل هي صفات معنوية تدل على موت القلوب، وأنهم لا يرجعون عن ضلالهم لأنهم فقدوا وسائل الاهتداء، وهذا يبين أن الحرمان من الفهم أشد من الحرمان من الحواس.

د. قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ يضرب الله مثلا ثانيا لحالهم، فالصيب هو المطر الغزير، وفيه ظلمات ورعد وبرق، وهذه مشاهد مركبة تثير الخوف والقلق، وفيها إشارة إلى أن المنافقين يعيشون في اضطراب دائم بين الخوف والرجاء، وبين الإظهار والإخفاء، فهم في عذاب نفسي مستمر بسبب تذبذبهم بين الإيمان والكفر.

هـ. قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ يصور هروب المنافقين من الحق خوفا على مصالحهم وحياتهم، فهم يفرون من المواجهة ويتحصنون بالتقية، وفيه إشارة إلى أن الخوف من الموت هو أحد دوافع النفاق، وأنهم يفضلون العيش في الذل على الموت في العزة، وهذا يخالف منهج المؤمنين الذين لا يخافون الموت في سبيل الله.

و. قوله: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يؤكد أن هروب المنافقين لا ينجيهم من قدر الله، فالله محيط بهم علما وقدرة وسلطانا، ولا مفر من حكمه، وفيه تهديد ووعيد لهم بأنهم مهما تحصنوا بالحيل فإن الله مدركهم لا محالة.

ز. قوله: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يبين أن الحق الذي يظهر لهم بين الحين والآخر يكاد يبهرهم ويأخذ أبصارهم، لكنهم لا يثبتون عليه، فهم في تردد دائم، كلما ظهر لهم شيء من الحق مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم وقفوا حائرين، وهذه حال من لا يستند إلى يقين راسخ.

ح. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يقرر أن الله قادر على أن يعاقبهم في الدنيا بسلب حواسهم الظاهرة، لكنه يؤخر عقابهم إلى الآخرة، وفيه إشارة إلى أن قدرة الله لا تعجز عن شيء، وأن ما أصابهم من عمى معنوي هو مقدمة للعذاب الأكبر يوم القيامة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ يرمز عند الصوفي إلى النور الإيماني الذي يضيء القلب في بداية السلوك، لكنه قد يخبو إذا لم يصاحبه صدق وإخلاص، فالنار التي استوقدها المنافقون هي نور ظاهري من غير حقيقة باطنية، وهذا يبين أن الأعمال الظاهرة بلا روح باطنية لا تسمن ولا تغني من جوع.

ب. قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يشير إلى أن النور الحقيقي هبة إلهية، فإذا لم يحافظ العبد على صفاء قلبه وصدق توجهه، سلب منه النور وبقي في ظلمات الغفلة والحجاب، وهذه

إشارة إلى أن القلب إذا أظلم بالذنوب والمعاصي فقد نور البصيرة.

ج. قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الحواس الظاهرة قد تكون سليمة، لكن القلب إذا مات صار صاحبه أصم عن سماع النداء الإلهي، وأبكم عن ذكر الله، وأعمى عن رؤية آياته في الآفاق والأنفس، وهذا هو العمى الحقيقي الذي حذر منه القرآن.

د. قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يرمز به إلى الفيض الإلهي الذي ينزل على القلوب، لكنه قد يكون رحمة لمن يستقبله بصدق، وعذابا لمن يفر منه، فالمنافقون يفرون من هذا الفيض كما يفر الإنسان من المطر الغزير المصحوب بالرعد والبرق، بينما المؤمنون يستقبلونه بفرح وشكر.

هـ. قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يرمز إلى أن المنافقين يسدون منافذ القلب عن سماع الحق، كما يسدون آذانهم عن سماع الصواعق، فهم يهربون من الذكر والقرآن الذي يزعجهم ويكشف حقيقتهم، وهذا يشبه حال من يهرب من الطبيب لأنه يخاف من التشخيص.

و. قوله: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى لمعات الأنوار الإلهية التي تتجلى للقلوب، فإذا كانت القلوب سليمة ثبتت عند هذه اللمعات، وإذا كانت مريضة كادت هذه اللمعات أن تذهب بأبصارها، لأنها لا تحتمل شدة النور.

ز. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يقرر الصوفي أن الله قادر على أن يرفع عن العبد جميع الحجب، أو أن يزيده عمى، بحسب حاله، وأن المشيئة الإلهية هي الفاعلة في كل شيء، فلا يتحرك قلب ولا تسكن نفس إلا بإذنه.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ يثير عند الفيلسوف تأملات في طبيعة المعرفة الإنسانية، فالنار التي استوقدها المنافقون ترمز إلى المعرفة الظاهرية التي يحصل عليها الإنسان بجهده، لكنها معرفة ناقصة لأنها لا ترتبط بالحقيقة الباطنية، وهذا يبين أن المعرفة الحقة ليست مجرد اكتساب ظاهري، بل هي نور يفيض على النفس من مصدر متعال.

ب. قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول العلاقة بين الحرية والقدر، فهل سلب النور هو عقوبة إلهية على سوء اختيارهم، أم هو قدر محتوم؟ والجواب عند الفيلسوف

أن الله لا يظلم أحدا، وأن سلب النور هو نتيجة طبيعية لاختياراتهم الخاطئة، فالله يهدي من يريد الهداية، ويخذل من يعرض عنها.

ج. قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الحواس ليست هي الطريق الوحيد للمعرفة، فهناك معرفة قلبية وبصيرة داخلية، ومن فقد هذه البصيرة يكون أصم وأبكم وأعمى عن إدراك الحقائق، حتى لو كانت حواسه الظاهرة سليمة، وهذا يلتقي مع نظريات المعرفة التي تميز بين الإدراك الحسي والإدراك العقلي والإدراك الحدسي.

د. قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يثير عند الفيلسوف تأملات في طبيعة الوجود، فالصيب الذي فيه ظلمات ورعد وبرق يمثل العالم المادي بما فيه من تناقضات، ففيه الخير والشر، والنور والظلمة، والرعب والأمل، والإنسان في هذا العالم يعيش حالة من التذبذب بين هذه الأضداد، وهذا يذكره بمبحث الثنائيات في الفلسفة.

هـ. قوله: ﴿وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يطرح عند الفيلسوف مسألة الإحاطة الإلهية، فالله محيط بكل شيء علما وقدرة، وهذا يعني أن الكون ليس فوضى، بل هو خاضع لنظام إلهي شامل، وأن الإنسان مهما حاول الهروب من هذه الإحاطة فإنه لا يخرج عن دائرة العلم الإلهي.

و. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يثير مسألة الإمكان والوجوب عند الفيلسوف، فالله قادر على كل شيء، لكنه لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته، فقدرته لا تنفصل عن حكمته، وهذا يبين أن الإرادة الإلهية ليست اعتباطية، بل هي مقيدة بالحكمة والعدل.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ يبين أن النفاق ليس مجرد خلق ذميم، بل هو مرض أخلاقي يفسد القلب، ويجعل صاحبه يفقد البوصلة الأخلاقية، فإذا فقد الإنسان نور الضمير، سقط في مستنقع الرذائل دون أن يشعر بخطورة ما يفعل.

ب. قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يشير إلى أن الأخلاق الحسنة تحتاج إلى حواس معنوية سليمة، فالإنسان الخلوق هو من يسمع صوت الحق، وينطق بالصدق، ويرى العواقب، أما المنافق فهو معطل هذه الحواس، فلا يسمع الوعظ، ولا ينطق بالحق، ولا يرى عاقبة أفعاله.

ج. قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يصور هروب المنافق من سماع النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو يرفض أن يسمع كلمة الحق لأنها تزعجه وتكشف تناقضه، وهذا من أسوأ الأخلاق، لأن صاحب الخلق الرفيع يتقبل النقد ويستمع للنصيحة.

د. قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يبين أن المنافق لا يملك مبادئ ثابتة، فهو يتنقل بين المواقف بحسب المصالح، إذا ظهر له خير مشى فيه، وإذا اختفى وقف حائرا، وهذا هو التذبذب الأخلاقي الذي يرفضه الإسلام، فالمؤمن الحق ثابت على مبادئه في السراء والضراء.

هـ. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يذكر عالم الأخلاق بأن الله قد يؤخر العقوبة على الأعمال السيئة، لكنه لا يهملها، وأن الإنسان الذي يسلك مسلك النفاق والرياء سيجد جزاء أعماله ولو بعد حين، وهذا يربي في النفس خلق المراقبة الذاتية.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ يبين أن المنافقين في المجتمع الإسلامي كانوا يعيشون على هامش الجماعة، يستفيدون من نورها دون أن يكونوا جزءا حقيقيا منها، وهذا يخلق حالة من الازدواجية الاجتماعية، حيث يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، مما يهدد تماسك المجتمع.

ب. قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تفقد قيمها الروحية تعيش في ظلمات اجتماعية، حتى لو كانت تمتلك وسائل مادية متطورة، فالظلمات هنا ليست حسية بل هي ظلمات القيم والمعاني، التي تجعل المجتمع يعيش في تخبط وضياع.

ج. قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يصف حالة العزلة الاجتماعية التي يعيشها المنافقون، فهم لا يسمعون نداء الجماعة، ولا ينطقون بكلمة الحق، ولا يرون مصلحة المجتمع، وهذا يجعلهم عنصرا سلبيا لا يسهم في بناء المجتمع، بل يعمل على هدمه من الداخل.

د. قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يصور حالة المجتمع الذي تتعرض له الأزمات والفتن، فكما أن الصيب فيه ظلمات ورعد وبرق، كذلك المجتمعات تمر بظروف صعبة تمتحن فيها ثبات أفرادها، والمنافقون هم أول من ينهار عند هذه الامتحانات.

هـ. قوله: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يطمئن المجتمع المؤمن بأن الله محيط بالمنافقين والكافرين، وأن

كيدهم لن يضر المجتمع المؤمن، لأن الله حافظ لدينه وأوليائه، وهذا يعزز الثقة في نفوس المؤمنين ويقلل من الخوف من مؤامرات المنافقين.

و. قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يبين أن المنافقين في المجتمع لا يملكون موقفا ثابتا، فهم مع الأغلبية دائما، إذا رأوا النصر أقبلوا، وإذا رأوا الهزيمة انسحبوا، وهذا يضعف الثقة بهم، ويجعل المجتمع لا يعتمد عليهم في الأزمات.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ يشير إلى أن المنافقين في الدولة الإسلامية كانوا يحاولون الاستفادة من قوة الدولة ونورها، دون أن يكونوا مخلصين لها، وهذا يذكر عالم السياسة بضرورة الحذر من العناصر التي تظهر الولاء وتخفي العداء، وأن هذه العناصر تشكل خطرا على أمن الدولة واستقرارها.

ب. قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يبين أن الدولة التي تفقد البوصلة الأخلاقية والدينية تتحول إلى ظلمات، حتى لو كانت تمتلك قوة عسكرية واقتصادية، فالظلمات المعنوية أشد فتكا من الظلمات الحسية، لأنها تفتك بالمجتمع من الداخل.

ج. قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يصور هروب المنافقين من سماع الحقائق السياسية، ورفضهم مواجهة الواقع، فهم يفضلون العيش في الأوهام على مواجهة الحقيقة، وهذا يذكر عالم السياسة بأن القيادة الناجحة هي التي تواجه الحقائق بشجاعة، ولا تخدع نفسها بالتمنيات.

د. قوله: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يطمئن الدولة المؤمنة بأن الله محيط بأعدائها، وأن مؤامراتهم لن تنجح، لأن الله مع الذين آمنوا، وهذا يعزز الثقة في نفوس القادة والمحكومين، ويجعلهم أكثر صمودا في وجه التحديات.

هـ. قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يبين أن المنافقين في السياسة لا يملكون مبادئ ثابتة، فهم يتنقلون بين الأحزاب والتحالفات بحسب المصالح، وهذا يجعلهم غير جديرين بالثقة، ويجب على الدولة أن تحذر من الاعتماد عليهم في المواقع الحساسة.

و. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الله قادر على أن يزيل نعمة السمع والبصر عن المنافقين، كما أزال عنهم نور الإيمان، وهذا يعني أن كل القوى التي يعتمدون

عليها هي نعم إلهية يمكن أن تسلب في أي لحظة، فلا ينبغي أن يغتروا بها.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ يرمز إلى أن المنظمة أو المؤسسة التي تبني نجاحها على أسس ظاهرية دون جذور راسخة، تكون عرضة للانهيار، فالمنافقون استوقدوا نارا من غير حطب حقيقي، فما لبثت أن خبت، وهذا يذكر عالم الإدارة بأهمية بناء المؤسسات على أسس متينة من القيم والأخلاق.

ب. قوله: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يشير إلى أن المؤسسات التي تفقد رؤيتها الواضحة تعيش في ظلمات إدارية، حيث يفتقد العاملون إلى التوجيه والإلهام، وهذا يؤدي إلى تراجع الأداء وفقدان الإنتاجية، فالرؤية الواضحة هي نور المؤسسة.

ج. قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يصف حالة العاملين الذين لا يستمعون لتوجيهات القيادة، ولا ينقلون المعلومات، ولا يرون أهداف المؤسسة، وهذا يؤدي إلى فشل الاتصال الداخلي، وانهيار العمل الجماعي، فالمؤسسة الناجحة تحتاج إلى عمال يسمعون وينطقون ويرون.

د. قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يرمز إلى مقاومة التغيير في المؤسسات، فالمنافقون يسدون آذانهم عن سماع التعليمات الجديدة، ويرفضون التكيف مع المتغيرات، وهذا يعيق تطور المؤسسة ويجعلها عاجزة عن مواكبة العصر.

هـ. قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يبين أن بعض العاملين لا يلتزمون بخطة ثابتة، بل يتنقلون بين المهام بحسب ما يناسبهم، إذا رأوا مصلحة شخصية مشوا فيها، وإذا لم يجدوا وقفوا، وهذا يضعف الانضباط المؤسسي ويؤدي إلى فوضى في العمل.

و. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن كل الإمكانيات التي يمتلكها العاملون هي نعم من الله، وقد تسلب في أي لحظة، فلا ينبغي أن يغتروا بها، بل يجب أن يستخدموها في خدمة المؤسسة بإخلاص وأمانة.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يصف حالة من الاضطراب النفسي الحاد، حيث يعيش المنافق في ظلمة نفسية دائمة، لا يرى فيها طريقا واضحا، وهذا يشبه حالات الاكتئاب والقلق

المزمن، حيث يفقد الإنسان البوصلة الداخلية التي توجهه في الحياة.

ب. قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يبين أن المنافق يعاني من انغلاق في قنوات التواصل مع الآخرين، فهو لا يسمع ولا ينطق ولا يرى بشكل صحيح، وهذا يؤدي إلى العزلة الاجتماعية والشعور بالاغتراب، وهي أعراض تظهر في كثير من الاضطرابات النفسية.

ج. قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ يصور حالة من الخوف المرضي والقلق الشديد، فالمنافق يعيش في حالة خوف دائم من الموت، وهذا الخوف يجعله غير قادر على مواجهة الحياة، وهذا يشبه اضطراب القلق العام الذي يجعل الإنسان يعيش في حالة ترقب وخوف دائمين.

د. قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يصف حالة من عدم الاستقرار النفسي، حيث يتنقل الإنسان بين حالات الأمل واليأس، بين النور والظلمة، دون أن يجد لنفسه مركزا ثابتا، وهذا يشبه اضطراب المزاج الدوري الذي يتأرجح فيه الإنسان بين الهوس والاكتئاب.

هـ. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يذكر الطبيب النفسي بأن هناك قوى خارجة عن سيطرة الإنسان قد تسلب حواسه وقدراته، وهذا يفتح باب التأمل في العلاقة بين النفس والجسد، وبين العوامل الروحية والنفسية في الصحة والمرض.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ يرمز إلى أن الاقتصاد الذي يقوم على المضاربة والمظاهر الخادعة دون أساس حقيقي، يكون عرضة للانهيار، فالمنافقون استوقدوا نارا من غير وقود حقيقي، فما لبثت أن خبت، وهذا يذكر عالم الاقتصاد بأهمية الاقتصاد الحقيقي القائم على الإنتاج الفعلي، لا على الفقاعات المالية.

ب. قوله: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الذي يفقد القيم الأخلاقية يعيش في ظلمات، حيث تنتشر الرشوة والغش والاحتكار، وهذا يفسد النظام الاقتصادي برمته، فالشفافية والنزاهة هما نور الاقتصاد.

ج. قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يرمز إلى رفض سماع النصائح الاقتصادية السليمة، والانغلاق على الذات، وهذا يؤدي إلى اتخاذ قرارات اقتصادية خاطئة، فالاقتصاد الناجح يحتاج إلى انفتاح على الخبرات والتجارب.

د. قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يبين أن بعض المستثمرين لا يملكون استراتيجية ثابتة، بل يتنقلون بين الفرص بحسب المضاربات اللحظية، إذا رأوا ربحا سريعا استثمروا، وإذا رأوا خسارة انسحبوا، وهذا يؤدي إلى عدم استقرار الأسواق.

هـ. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن كل الثروات والقدرات هي نعم من الله، وقد تسلب في أي لحظة، فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بماله وقدراته، بل يجب أن يستخدمها في ما يرضي الله وينفع الناس.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ يبين أن التعليم الذي يعتمد على الحفظ والتلقين دون فهم عميق، يكون كالنار التي استوقدها المنافقون، سرعان ما تخبو، فالتربية الحقيقية هي التي تغرس القيم في النفوس، وتجعل المتعلم يدرك الحقائق ببصيرة داخلية.

ب. قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الطالب الذي يتعلم دون إخلاص أو رغبة حقيقية في العلم، يفقد نور العلم سريعا، ويبقى في ظلمات الجهل، فالنية والإخلاص هما مفتاح العلم النافع.

ج. قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يصف حالة الطالب الذي لا يستمع للشرح، ولا ينطق بالأسئلة، ولا يرى الأمثلة، وهذا يؤدي إلى فشله الدراسي، فالتعلم الناجح يحتاج إلى حواس يقظة وعقل متفتح.

د. قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يرمز إلى الطالب الذي يرفض سماع النصيحة والتوجيه، ويغلق أذنيه عن كلام المعلم، وهذا يحرمه من الاستفادة من خبرات الآخرين، ويجعله يكرر أخطاءه باستمرار.

هـ. قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يبين أن بعض الطلاب لا يملكون منهجية ثابتة في الدراسة، فهم يدرسون بشكل متقطع، إذا فهموا درسا مشوا فيه، وإذا صعب عليهم درس توقفوا، وهذا يؤدي إلى ضعف التحصيل العلمي.

و. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يذكر المربي بأن قدرات الطلاب هي نعم من الله، وقد تسلب في أي لحظة، فلا ينبغي أن يغتر الطالب بذكائه، بل يجب أن يشكر الله على نعمه،

ويستخدمها في طلب العلم النافع.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يبين أن القاضي الذي يفقد نور البصيرة، يعيش في ظلمات الشبهات، فلا يستطيع التمييز بين الحق والباطل، وهذا يؤدي إلى أحكام جائرة، فالعدل يحتاج إلى بصيرة نافذة ونور إلهي.

ب. قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يصف حالة القاضي الذي لا يسمع أقوال الخصوم جيدا، ولا ينطق بالحق، ولا يرى الأدلة بوضوح، وهذا يؤدي إلى ظلم الناس، فالقاضي العادل هو من يستمع بإنصاف، وينطق بالحق، ويرى الأدلة بعين البصيرة.

ج. قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يرمز إلى القاضي الذي يرفض سماع الشهود أو دفوع المتهمين، ويغلق أذنيه عن الحجج، وهذا يؤدي إلى أحكام غير عادلة، فالقاضي الناجح هو من يستمع للجميع قبل أن يحكم.

د. قوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يبين أن بعض القضاة يتأثرون بالضغوط الخارجية، إذا ظهرت لهم الأدلة الواضحة حكموا بالحق، وإذا التبست الأمور توقفوا أو مالوا مع الضغوط، وهذا يضعف الثقة في القضاء.

هـ. قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ يذكر القاضي بأن قدرته على السمع والبصر هي نعمة من الله، وقد تسلب في أي لحظة، فلا ينبغي أن يغتر بها، بل يجب أن يستخدمها في إحقاق الحق وإبطال الباطل.

٦. دعوة الناس لعبادة الخالق والتوحيد الخالص:

المقطع [٦] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يقرر أن العبادة حق للخالق وحده، وهي الغاية من الخلق، وأن التوحيد الخالص هو أساس الدين، فالدعوة هنا موجهة للناس جميعا، لا لفئة دون أخرى، مما يدل على عموم رسالة الإسلام وشمولها.

ب. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يبرهن على أن استحقاق العبادة إنما هو للخالق الذي أوجد الإنسان من العدم، وأوجده بعد أن لم يكن، وخلق من سبقه من الأمم، فالخلق هو الدليل الأقوى على الألوهية، وهو ما يقرره علماء العقيدة في باب إثبات وجود الله ووحدانيته.

ج. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن ثمرة العبادة هي التقوى، وهي حالة قلبية وعملية تجعل العبد ممتثلا لأوامر الله مجتنبا نواهيه، فالتقوى ليست مجرد شعور، بل هي حقيقة الإيمان التي تثمر العمل الصالح.

د. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ هو نهي صريح عن الشرك بجميع صوره، سواء كان شركا في الذات أو الصفات أو العبادة، وأن اتخاذ الأنداد مع العلم بأن الله هو الخالق الرازق هو من أقبح الظلم وأعظم الكفر، لأن المعرفة بالله توجب إفراده بالعبادة.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يدل على أنهم كانوا مقرين بأن الله هو الخالق، ومع ذلك كانوا يشركون به في العبادة، وهذا يبين أن الإقرار بالربوبية لا يكفي وحدَه، بل لا بد من إخلاص العبادة لله وحده، وهو مبدأ التوحيد الذي بعثت به الرسل.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يشير إلى أن العبادة عند الصوفي ليست مجرد طقوس ظاهرية، بل هي حقيقة الباطن، وهي إقبال القلب على الله بصدق وإخلاص، والعبادة الحقة هي التي يشهد فيها العبد ربه في كل حركة وسكون، فتكون عبادته ذوقا وحالا لا عادة وتقليدا.

ب. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن العبد في كل أطوار وجوده مفتقر إلى خالقه، وأن هذا الافتقار هو مقام العبودية الحقيقي، فمن عرف نفسه بالافتقار عرف ربه بالغنى، ومن عرف ربه بالخلق عرف نفسه بالفناء.

ج. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يرى فيه الصوفي أن التقوى هي ثمرة العبادة، وهي عندهم مقام المراقبة، وهو أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يعلم أنه يراه، وهذه هي درجة الإحسان التي

فسرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

د. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن هذا العالم كله مسخر للإنسان، وأنه مظهر من مظاهر رحمة الله ولطفه بعباده، فيرى في الأرض فراشا يبسطه الله لعباده، وفي السماء بناء يظلهم، وهذا يملأ قلبه شكرا ومحبة لله.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يشير إلى أن الرزق كله من الله، وأن الماء الذي ينزل من السماء هو رمز للحياة والرحمة، فكما يحيي الله الأرض بالماء يحيي القلوب بالمعرفة والإيمان، فالماء المادي يخرج الثمرات، وماء المعرفة يخرج ثمرات القلوب من اليقين والمحبة.

و. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يحذر فيه الصوفي من أخطر آفة تعتري القلب، وهي التعلق بغير الله، فكل ما يشغل القلب عن الله من مال أو جاه أو خلق أو حتى نفس، فهو ند لله في القلب، والتوحيد عندهم هو تصفية القلب من كل ما سوى الله، وإفراده بالحب والخوف والرجاء.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤال الغاية من الوجود، فالعبادة هنا ليست مجرد طقس، بل هي غاية وجودية، وهي الإجابة عن سؤال: لماذا نحن هنا؟ والقرآن يقرر أن الغاية من الخلق هي العبادة، وهذا يلتقي مع ما ذهب إليه فلاسفة الإسلام من أن الغاية القصوى للإنسان هي معرفة الله وعبادته.

ب. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يقدم حجة عقلية على وجود الخالق، وهي حجة الخلق والحدوث، فكل مخلوق محدث، وكل محدث لا بد له من محدث، وهذا هو برهان الحدوث الذي استعمله المتكلمون والفلاسفة في إثبات وجود الله.

ج. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يجد فيه الفيلسوف أن العبادة ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لغاية أسمى، وهي التقوى، وهي حالة من الوعي الأخلاقي والروحي، وهذا يقرّب بين الدين والفلسفة العملية، حيث أن الغاية من السلوك هي تهذيب النفس والوصول إلى الفضيلة.

د. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يثير تأمل الفيلسوف في نظام الكون وغائيته، فالأرض فراش والسماء بناء، وهذا يدل على أن الكون ليس عبثا، بل هو مسخر للإنسان، وهذا

يفتح باب التأمل في الحكمة الإلهية من الخلق، وهو ما يسمى بالبرهان الغائي.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الرزق ليس من صنع الإنسان، بل هو من فضل الله، وأن الأسباب الطبيعية كالماء والأرض هي مجرد وسائط، والفاعل الحقيقي هو الله، وهذا يثير مسألة العلاقة بين الأسباب والمسببات، وهي من أعقد المسائل الفلسفية.

و. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يثير عند الفيلسوف نقد الشرك والوثنية، فالشرك عند الفلاسفة هو نوع من الجهل بعلل الأشياء، حيث أن المشرك ينسب التأثير لغير الله، والحقيقة أن المؤثر الحقيقي هو الله وحده، وهذا يلتقي مع مبدأ التوحيد الفلسفي الذي يقرر أن الواجب الوجود واحد لا شريك له.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يشير إلى أن العبادة هي الأساس الذي تبنى عليه الأخلاق، فالعبادة تربي في النفس الخضوع والطاعة والانضباط، وهي تدريب عملي على الفضائل، فمن أحسن عبادة الله أحسن معاملة خلقه.

ب. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يذكر الإنسان بأصله ووجوده، وأنه مخلوق مربوب، وهذا يزرع في النفس التواضع وعدم الكبر، فمن عرف أن الله خلقه من العدم لم يتكبر على بني جنسه، بل يعاملهم برحمة ولطف.

ج. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن الغاية من العبادة هي التقوى، وهي أم الفضائل كلها، فالتقوى هي التي تحمل الإنسان على الصدق والأمانة والعدل والوفاء، وهي التي تمنعه من الكذب والخيانة والظلم، فالتقوى هي الضابط الأخلاقي الأعلى.

د. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يثير في النفس الشعور بالامتنان والشكر لله على نعمه، والشكر يربي في النفس خلق القناعة والرضا، وعدم الطمع فيما في أيدي الآخرين، فمن شكر النعمة استعملها في طاعة الله وخدمة الناس.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يذكر الإنسان بأن الرزق مقسوم من الله، وهذا يربي في النفس خلق التوكل على الله، وعدم الحسد والحقد على الآخرين، فمن أيقن

أن الرزق بيد الله لم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

و. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ هو نهي عن الشرك، والشرك من أعظم الأخلاق فسادا، لأنه يجعل الإنسان عبدا لغير الله، ويذله لغير خالقه، فالتوحيد هو أساس كرامة الإنسان وعزته، ومن أخلص التوحيد لله لم يذل لأحد من الخلق.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يوجه الخطاب إلى الناس جميعا، دون تمييز بين جنس أو لون أو طبقة، وهذا يؤسس لمبدأ المساواة الإنسانية، وأن الدعوة الإسلامية موجهة للبشرية كلها، وهذا من أعظم مبادئ التضامن الاجتماعي.

ب. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يبين أن العبادة هي الرابط الذي يجمع الناس على كلمة سواء، فإذا عبد الناس ربا واحدا، صاروا أمة واحدة، وتوحدت قلوبهم وأهدافهم، فالعبادة هي عامل التوحيد الاجتماعي.

ج. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يذكر المجتمع بأصله الواحد، فالناس جميعا من خلق الله، وهم متساوون في الخلق، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وهذا يرسخ مبدأ الأخوة الإنسانية ويزيل العصبيات الجاهلية.

د. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن التقوى هي الرابطة الحقيقية بين أفراد المجتمع، فالمجتمع المتقي هو المجتمع المتماسك، الذي يسود فيه التعاون والتراحم والعدل، أما المجتمع الذي لا تقوى فيه فيفشو فيه الظلم والفساد.

هـ. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يذكر المجتمع بأن الأرض والسماء مسخرتان له، وأن عليه أن يعمر الأرض ويستثمرها، وهذا يدفع إلى العمل والإنتاج، وبناء الحضارة، فالتسخير الإلهي للكون هو أساس التقدم الاجتماعي.

و. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يبين أن الرزق يأتي من الله، وأنه موزع بين الناس، وهذا يقتضي التكافل الاجتماعي، فمن ملك فاضلا من الرزق وجب عليه أن يواسي من لا يملك، وهذا هو أساس نظام التكافل في الإسلام.

ز. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يحذر المجتمع من الشرك بجميع صوره، سواء كان شركا في العقيدة أو في الطاعة أو في الحب، فالشرك يفرق المجتمع ويشتت صفه، بينما التوحيد يوحده ويجمع كلمته.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يوجه الخطاب إلى الناس جميعا، وهذا يعني أن الحاكم والمحكوم سواء في الخطاب، وأن السياسة الإسلامية تقوم على مخاطبة الناس جميعا، لا على تفضيل فئة على أخرى، فالسلطة مسؤولية وليست امتيازا.

ب. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يبين أن غاية الدولة الإسلامية هي تحقيق العبادة لله، وإقامة الدين، فالدولة ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق مراد الله في الأرض، وهذا يحدد فلسفة الحكم في الإسلام.

ج. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يذكر الحاكم بأنه مخلوق لله، وسيحاسب على ما استرعاه، فلا يستبد ولا يتجبر، فالخلق كله لله، والحاكم واحد من الخلق، وهو مسؤول أمام الله عن رعيته.

د. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن التقوى هي أساس الحكم الرشيد، فالحاكم المتقي لا يظلم ولا يستبد، والمحكوم المتقي لا يخون ولا يعصي، فالتقوى هي الضمانة الحقيقية لاستقرار الدولة وعدالتها.

هـ. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يذكر الدولة بأن الأرض مسخرة لها، وعليها أن تعمرها وتستثمرها لصالح الناس، وأن توزع خيراتها بالعدل، فالسياسة الاقتصادية في الإسلام تقوم على استثمار الموارد وتوزيعها بالعدل.

و. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يبين أن الرزق يأتي من الله، وأن الدولة مسؤولة عن تأمين الرزق لمواطنيها، وتوفير الأمن الغذائي، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، فالسياسة الاقتصادية في الإسلام تهدف إلى تحقيق الرفاهية للجميع.

ز. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يحذر الدولة من اتخاذ قوانين أو أنظمة تخالف شرع الله، فمن اتخذ غير الله حكما فقد جعل له ندا، والدولة الإسلامية يجب أن تحكم بما أنزل الله، ولا تطيع أحدا في معصية الله.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يوجه الخطاب إلى الناس جميعا، وهذا يعني أن الإدارة في الإسلام تقوم على مبدأ المشاركة، وأن كل فرد في المنظمة مسؤول عن عمله، وأن القائد لا يحتكر القرار، بل يشاور ويساند.

ب. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يبين أن العمل في المنظمة الإسلامية يجب أن يكون عبادة، أي أن يكون بنية صالحة وإخلاصا لله، فالعمل ليس مجرد وسيلة لكسب المال، بل هو طاعة لله وخدمة للمجتمع، وهذا يرفع من جودة العمل وإتقانه.

ج. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يذكر المدير والموظف بأنهم جميعا مخلوقون لله، وأنهم متساوون في الإنسانية، فلا يتعالى مدير على موظف، ولا يستصغر موظف مديره، بل يسود الاحترام المتبادل والتعاون.

د. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن التقوى هي الرقابة الذاتية في العمل، فالموظف المتقي يؤدي عمله بإتقان حتى لو لم يكن هناك رقيب، لأنه يعلم أن الله مطلع عليه، وهذا يقلل من الحاجة إلى الرقابة الخارجية المكلفة.

هـ. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يذكر الإدارة بأن الموارد الطبيعية مسخرة للإنسان، وعليها أن تستثمرها بحكمة وعدل، وأن تحافظ عليها من الإسراف والتبذير، فالإدارة الرشيدة هي التي توازن بين الاستثمار والمحافظة.

و. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يبين أن الإنتاج يأتي من الله، وأن على الإدارة أن تشكر الله على نعمه، وأن توزع الأرباح بالعدل بين العاملين، وأن تلتزم بالمسؤولية الاجتماعية تجاه المجتمع.

ز. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يحذر الإدارة من اتخاذ أنداد لله في العمل، كأن تطيع المدير في معصية الله، أو تقدم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، فالتوحيد في العمل يعني أن تكون الغاية رضا الله أولا، ثم رضا الناس.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن العبادة هي حاجة نفسية فطرية، فالإنسان

بطبعه يميل إلى عبادة شيء ما، فإن لم يعبد الله عبد الأصنام أو المال أو الشهوات، والعبادة الصحيحة تمنح الإنسان الطمأنينة والسلام النفسي.

ب. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يذكر الإنسان بأصله، وأنه مخلوق من خالق حكيم، وهذا يمنحه الشعور بالأمان والثقة، فمن عرف أن له خالقا يرعاه ويحفظه، قل قلقه وقل اضطرابه.

ج. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن التقوى هي حالة من الوعي الذاتي والرقابة الداخلية، وهي تشبه ما يسميه علماء النفس بالضمير الأخلاقي، فالتقوى تمنح الإنسان شعورا بالمسؤولية تجاه نفسه وتجاه الآخرين، وهذا يعزز الصحة النفسية.

د. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يثير في النفس الشعور بالأمان والاستقرار، فالأرض فراش والسماء بناء، وهذا يوحي بالحماية والرعاية، فيشعر الإنسان أنه في حضن الله، وهذا يقلل من مشاعر الخوف والتهديد.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يبين أن الرزق يأتي من الله، وأن الله هو الذي يضمن رزق عباده، وهذا يقلل من القلق المادي، فمن أيقن أن رزقه بيد الله، لم يقلق على مستقبله المادي، وهذا يخفف من التوتر والاكتئاب.

و. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يحذر من الشرك، والشرك هو تعلق القلب بغير الله، وهذا التعلق هو مصدر القلق والاضطراب، فمن تعلق بغير الله خاف عليه، ومن تعلق بالله أمن، فالتوحيد هو العلاج النفسي الأنجع للقلق والوساوس.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يبين أن العبادة هي الغاية من النشاط الاقتصادي، فالإنسان لا يعمل ويكسب المال إلا ليعبد الله ويؤدي فرائضه، فالاقتصاد في الإسلام ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق العبادة والتقوى.

ب. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يذكر الإنسان بأن الله هو الخالق الرازق، وأن الرزق كله بيده، وهذا يبني في النفس الثقة بالله، ويقلل من الطمع والحرص على المال، فمن عرف أن رزقه بيد الله لم يلهث وراء الدنيا.

ج. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن التقوى هي الضابط الأخلاقي للنشاط الاقتصادي، فالتقي لا يغش ولا يحتكر ولا يستغل حاجة الناس، بل يتقي الله في كسبه وإنفاقه، فالتقوى هي الرقابة الذاتية في السوق.

د. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يذكر الاقتصادي بأن الأرض مسخرة للإنسان، وعليه أن يعمرها ويستثمرها، فالموارد الطبيعية هي أمانة في يد الإنسان، وعليه أن يستثمرها بحكمة وعدل، دون إسراف أو تبذير.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يبين أن الإنتاج الزراعي هو أساس الاقتصاد، وأن الماء هو أساس الحياة، فالدولة والمجتمع مطالبان بالاهتمام بالزراعة وتوفير المياه، لتحقيق الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي.

و. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يحذر الاقتصادي من اتخاذ أنداد لله في الاقتصاد، كأن يقدس المال أو يقدس السوق، أو يخضع لقوانين اقتصادية تخالف شرع الله، فالتوحيد في الاقتصاد يعني أن يكون الربح الحلال هو الأساس، وأن تكون الممارسات الاقتصادية متوافقة مع الشريعة.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية موجهة للناس جميعا، دون تمييز، وأن على المربي أن يربي الجميع على التوحيد والعبادة، وأن لا يقتصر التعليم على فئة دون أخرى.

ب. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يبين أن غاية التربية هي تحقيق العبادة لله، فالتربية ليست مجرد تعليم مهارات أو نقل معلومات، بل هي بناء إنسان يعبد الله حق عبادته، ويعمر الأرض بأمر الله.

ج. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يذكر المربي بأن الله هو الخالق، وأن التربية يجب أن تبنى على الإيمان بالله، وأن تزرع في نفوس الطلاب حب الله ومعرفته، فالمعرفة بالله هي أساس التربية الإيمانية.

د. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن التقوى هي ثمرة التربية، وعلى المربي أن يسعى إلى غرس التقوى في نفوس الطلاب، وأن يربيهم على مراقبة الله في السر والعلن، وأن يجعل التقوى هي البوصلة التي توجه سلوكهم.

هـ. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يوجه المربي إلى تعليم الطلاب التأمل في الكون، والنظر في آيات الله، فالتأمل في الخلق يزيد الإيمان، ويفتح آفاق المعرفة، فالتربية الإسلامية تربي العقل على التفكر والتدبر.

و. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يوجه المربي إلى تعليم الطلاب شكر النعم، والاهتمام بالزراعة والبيئة، وأن يعلمهم أن الرزق يأتي من الله، وأن عليهم أن يسعوا في طلب الرزق الحلال.

ز. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يحذر المربي من أن يربي الطلاب على الشرك أو التقليد الأعمى، بل يجب أن يربيهم على التوحيد الخالص، وأن يعلمهم أن الله وحده هو المستحق للعبادة، وأن كل ما سواه فهو مخلوق لا يستحق العبادة.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يوجه الخطاب إلى الناس جميعا، وهذا يعني أن القضاء في الإسلام يقوم على المساواة بين الناس، فلا فرق بين غني وفقير، ولا بين قوي وضعيف، فالجميع أمام القضاء سواء.

ب. قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يبين أن العبادة هي الأساس الذي يقوم عليه القضاء، فالقاضي الذي يعبد الله حق عبادته، يخشاه في أحكامه، ولا يخاف في الله لومة لائم، فالعبادة تمنح القاضي الشجاعة والعدالة.

ج. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يذكر القاضي بأن الله هو الخالق، وأن الناس جميعا مخلوقون لله، متساوون في الخلق، فلا يجوز للقاضي أن يميز بينهم بسبب نسب أو لون أو جاه.

د. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن التقوى هي أساس العدالة، فالقاضي المتقي لا يقبل الرشوة، ولا يحابي قريبا، ولا يظلم خصما، فالتقوى هي الضمانة الحقيقية للعدل في القضاء.

هـ. قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يذكر القاضي بأن الأرض والسماء مسخرتان للإنسان، وأن عليه أن يحكم بين الناس بالعدل في هذه الأرض، وأن يمنع الظلم والاعتداء على الحقوق.

و. قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يبين أن الرزق يأتي من الله،

وأن على القاضي أن يحكم بالعدل في قضايا الأموال والميراث، وأن يضمن وصول الحقوق إلى أصحابها، دون ظلم أو محاباة.

ز. قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا﴾ يحذر القاضي من أن يجعل لله ندا في حكمه، كأن يتبع الهوى أو يخضع لضغوط أصحاب النفوذ، فالقاضي يجب أن يحكم بما أنزل الله، ولا يخاف في الله لومة لائم.

٧. تحدي القرآن وعجز البشر عن الإتيان بمثله:

المقطع [٧] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ يقرر أن القرآن معجز بذاته، وأن التحدي موجه للبشر جميعا في كل عصر، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله مع توفر الدواعي وانتفاء الموانع يعد دليلا قطعيا على أنه من عند الله، وأن هذا التحدي قائم إلى يوم القيامة، إذ لم يثبت عبر التاريخ أن أحدا استطاع معارضته.

ب. قوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ يشير إلى أن التحدي لم يقتصر على البشر أنفسهم، بل تعداه إلى الاستعانة بكل ما يعبدون من دون الله، فلو كان للآلهة المزعومة قدرة على الإتيان بمثل القرآن لفعلت، وعجزها دليل على بطلان ألوهيتها، وهذا يبرز أن التحدي يشمل كل ما يُتخذ إلها من دون الله.

ج. قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ يفيد أن العجز ليس عجزا فعليا مؤقتا، بل هو عجز مستمر ومقدر، فقوله (وَلَنْ) تفيد نفي المستقبل، وهذا يقطع بأن المعارضة محال في كل زمان ومكان، وأن القرآن باقٍ معجزا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

د. قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ يربط الإيمان بالمعجزة بالجزاء الأخروي، فمن لم يستجب لدليل الوحي بعد قيام الحجة عليه، فمصيره النار، وهذه النار وقودها الناس والحجارة، وهي أعدت للكافرين، وفي هذا تهديد ووعيد يقرر أن التكذيب بعد البيان يستوجب العقاب.

ثانيا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة منهج التحقق من

صدق الدعاوى، فالآية تدعو المشكك إلى اختبار صدق الدعوى عن طريق التحدي العملي، وهذا يلتقي مع المنهج التجريبي الذي يعتمد على الاختبار والبرهان العملي، فالقرآن لا يطلب إيمانا أعمى، بل يفتح باب التحقق لمن كان في شك.

ب. قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ يمثل تحويل القضية من النظر النظري إلى التطبيق العملي، وهذا هو جوهر المنهج العلمي الذي يختبر الفرضيات بالتجربة، فالقرآن يقدم نفسه كظاهرة لغوية وفكرية يمكن اختبارها، وعجز البشر عن محاكاتها يعد دليلا تجريبيا على تفردها.

ج. قوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول مصادر المعرفة، فالآية تدعو إلى الاستعانة بكل الوسائل المتاحة، سواء كانت بشرية أو غير بشرية، لإثبات إمكان المعارضة، وهذا يوسع دائرة البحث الفلسفي ليشمل كل ما يمكن أن يقدم حجة، ثم يقرر عجز الجميع، مما يدل على أن مصدر القرآن يتجاوز القدرات البشرية المألوفة.

د. قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ يقرر حقيقة مطلقة عن المستقبل، وهذا يثير عند الفيلسوف مسألة القوانين الثابتة في الكون، فكما أن القوانين الطبيعية لا تتغير، فإن عجز البشر عن معارضة القرآن هو قانون ثابت لا يقبل النسخ، وهذا يشير إلى أن القرآن ليس ظاهرة تاريخية عابرة، بل حقيقة مطلقة.

هـ. قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ يثير مسألة الغائية والجزاء، فالفيلسوف يرى أن العقل وحده لا يكفي لضبط السلوك، بل لا بد من وجود غاية قصوى تبرر الأخلاق، والآية تقدم هذه الغاية في صورة التحذير من عاقبة التكذيب، مما يربط المعرفة بالمسؤولية الأخلاقية.

ثالثا ـ إشارات لغوية وأدبية:

أ. قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ يقرر أن القرآن بلغ الغاية في الفصاحة والبيان، وأن التحدي بسورة واحدة، وهي أقصر وحدة قرآنية، يبرز أن الإعجاز لا يقتصر على الطول والكثرة، بل يشمل أقصر النصوص، وهذا يلفت نظر عالم اللغة إلى أن الإعجاز يكمن في النظم والتركيب والأسلوب، وليس في مجرد الألفاظ.

ب. قوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن التحدي موجه للبلغاء والفصحاء والشعراء والخطباء، وأنهم لو اجتمعوا وتعاونوا لما استطاعوا، وهذا يقرر أن القرآن فوق مستوى الطاقة

البشرية اللغوية، وأن بلاغته ليست من جنس بلاغة البشر، بل هي معجزة تتجاوز سنن اللغة المألوفة.

ج. قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ يقرر حقيقة لغوية تاريخية، وهي أن العرب وهم أهل الفصاحة والبيان لم يستطيعوا المعارضة، رغم أنهم كانوا أحرص الناس على إبطال دعوة النبي، وهذا يعد دليلا لغويا على أن القرآن ليس من كلام البشر، إذ لو كان من كلامهم لعارضوه بما هو أبلغ منه.

د. قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ يلفت نظر عالم اللغة إلى أن القرآن يستخدم أسلوب الوعيد والتهديد بأبلغ صورة، فالجمع بين (الناس) و(الحجارة) في وقود النار يثير الرعب في النفوس، وهذا الأسلوب التصويري البديع يعد من مظاهر الإعجاز البلاغي في القرآن.

رابعا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ يخاطب المجتمع في حالة الشك والتردد، وهذا يشير إلى أن المجتمعات تمر بمراحل من الشك في القيم والمعتقدات، والقرآن يقدم نفسه كحل لهذه الأزمة، ويدعو المجتمع إلى التحقق بدلا من البقاء في الحيرة.

ب. قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ يمثل تحديا جماعيا للمجتمع كله، وليس لفرد بعينه، وهذا يبرز أن القضية ليست فردية، بل هي قضية مجتمعية، وأن عجز المجتمع بأكمله عن الإتيان بمثل القرآن يعد دليلا على أن هذا الكتاب يتجاوز القدرات المجتمعية مجتمعة.

ج. قوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن المجتمع كان يعتمد على آلهة مزعومة وشهداء من دونه، أي أن البنية الاجتماعية كانت قائمة على الشرك والوثنية، والآية تتحدى هذه البنية كلها، وتدعوها إلى إثبات قدرتها، وعجزها يقرر أن التحول الاجتماعي من الشرك إلى التوحيد كان ضروريا.

د. قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ يقرر أن المجتمع البشري مهما تطور وتقدم، فلن يستطيع معارضة القرآن، وهذا يشير إلى أن القرآن يتجاوز المراحل التاريخية والاجتماعية، ويبقى صالحا لكل زمان ومكان، وأن المجتمعات مهما بلغت من الرقي المعرفي، تبقى عاجزة عن الإتيان بمثله.

هـ. قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ يحذر المجتمع من عاقبة التكذيب، وهذا يشير إلى أن المجتمعات التي تكذب الحق وتستكبر عنه تتعرض للعقاب الجماعي، وأن النار أعدت للكافرين، وهذا يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن مصير المجتمعات مرتبط بموقفها من الحق والقيم الإلهية.

خامسا ـ إشارات دعوية:

أ. قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ يوجه الداعية إلى أن الدعوة لا تبدأ بالتهديد، بل تبدأ بمعالجة الشك، فالآية تخاطب المشككين بأسلوب هادئ، وتدعوهم إلى التحقق، وهذا يرشد الداعية إلى أن يبدأ بالحوار والمناقشة مع المخالفين، ولا يقابل الشك بالعنف أو الإقصاء.

ب. قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ يوجه الداعية إلى استخدام أسلوب التحدي والإقناع بالحجة، فبدلا من الجدال العقيم، يدعو القرآن إلى التحدي العملي، وهذا يرشد الداعية إلى أن يقدم الأدلة العملية على صدق دعوته، وأن يترك المجال للمخالف ليجرب ويعجز بنفسه.

ج. قوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ يوجه الداعية إلى أن يوسع دائرة الحوار لتشمل كل المعتقدات والآلهة المزعومة، وأن يطلب من المخالفين الاستعانة بكل ما يعتقدون فيه، ليثبت عجزهم، وهذا يعد أسلوبا دعويا حكيما يقطع حجة المخالف من جميع الجهات.

د. قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ يمنح الداعية ثقة كبيرة في دعوته، فهو يعلم أن المخالفين لن يستطيعوا المعارضة أبدا، وهذا يجعله مطمئنا في دعوته، غير مهزوز أمام التحديات، لأنه يعلم أن الحق منصور وأن الباطل زاهق.

هـ. قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ يوجه الداعية إلى أن الدعوة لا تخلو من الترهيب والتحذير، فبعد إقامة الحجة وإظهار العجز، يأتي دور التحذير من عاقبة التكذيب، وهذا يرشد الداعية إلى الموازنة بين الترغيب والترهيب في دعوته، وأن يخاطب العقل والعاطفة معا.

سادسا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ يشير إلى أن القرآن نزل في بيئة تاريخية محددة، كانت مليئة بالشكوك والتساؤلات حول صدق النبي، وأن هذه الآيات كانت جزءا من الحوار التاريخي بين النبي وقومه، وهذا يساعد المؤرخ على فهم السياق التاريخي للدعوة الإسلامية.

ب. قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن هذا التحدي كان حدثا تاريخيا فريدا، فقد تحدى القرآن العرب في ذروة فصاحتهم وبلاغتهم، ولم يستجيبوا له، وهذا يعد من أهم الأحداث التاريخية التي تثبت صدق النبي، ويفسر للمؤرخ كيف استطاع الإسلام أن ينتشر رغم المعارضة الشديدة.

ج. قوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن المجتمع العربي قبل الإسلام كان يعتمد على آلهة متعددة، وأن هذه الآلهة كانت جزءا من البنية الاجتماعية والسياسية، والآية تتحدى هذه البنية كلها، وهذا يساعد المؤرخ على فهم طبيعة المجتمع الجاهلي وتحولاته.

د. قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ يقرر حقيقة تاريخية، وهي أن العرب لم يستجيبوا للتحدي في عصر النبوة، ولا في العصور اللاحقة، وهذا يفسر للمؤرخ أن القرآن ظل محفوظا ومعجزا عبر التاريخ، وأن محاولات المعارضة التي ظهرت في بعض العصور باءت بالفشل.

هـ. قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ يشير إلى أن التحذير من النار كان جزءا من الخطاب التاريخي للأنبياء، وأن فكرة الجزاء الأخروي كانت محورية في الدعوات الإصلاحية، وهذا يساعد المؤرخ على فهم الدوافع الدينية للحركات التاريخية الكبرى.

سابعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ يخاطب حالة الشك التي تعتري النفس البشرية، وهذا يلفت نظر عالم النفس إلى أن الشك حالة نفسية طبيعية، وأن القرآن لا يهاجم الشاك، بل يدعوه إلى التحقق، وهذا أسلوب نفسي حكيم يقلل من حدة المقاومة النفسية لدى المشكك.

ب. قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ يحول الطاقة النفسية من حالة الشك والقلق إلى حالة الفعل والمحاولة، وهذا يشبه ما يعرف في علم النفس بالعلاج بالفعل، حيث يتم توجيه طاقة المريض نحو سلوك إيجابي بدلا من الانشغال بالقلق، فالآية تدعو المشكك إلى أن يجرب بنفسه، وعندما يعجز، يصل إلى قناعة داخلية بصدق القرآن.

ج. قوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الإنسان يميل بطبيعته إلى الاستعانة بالآخرين عند مواجهة التحديات، وهذا سلوك نفسي معروف، والآية تسمح بهذا السلوك ثم تثبت عجزه، مما يحدث أثرا نفسيا عميقا في إقناع المشكك.

د. قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ يزرع في النفس شعورا بالعجز أمام القرآن، وهذا الشعور بالعجز إذا كان مبنيا على دليل عملي، فإنه يؤدي إلى الخضوع والتصديق، وهذا ما يعرف في علم النفس بالتنافر المعرفي، حيث يحدث توتر نفسي عندما يعجز الإنسان عن تحقيق هدف، فيحل هذا التوتر بتغيير

المعتقد.

هـ. قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ يستخدم أسلوب الترهيب الذي يثير الخوف في النفس، والخوف من العواقب هو دافع نفسي قوي لتغيير السلوك، وهذا يلتقي مع ما يعرفه علماء النفس من أن الخوف من العقاب يعد من أقوى الدوافع لتعديل السلوك، خاصة إذا كان العقاب محسوسا ومصورا بأسلوب بديع.

ثامنا ـ إشارات علمية:

أ. قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ يقرر حقيقة علمية قاطعة، وهي أن البشر مهما تطورت قدراتهم المعرفية والتقنية، فلن يستطيعوا الإتيان بمثل القرآن، وهذا يشير إلى أن القرآن يتجاوز القدرات البشرية في جميع العصور، وأن الإعجاز ليس محصورا في عصر نزوله، بل هو ممتد إلى يوم القيامة.

ب. قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ يثير تساؤلات علمية حول طبيعة هذه النار ووقودها، فالحجارة التي تكون وقودا للنار تثير فضول عالم العلوم الكونية، وقد أشار بعض الباحثين إلى أن هذه الحجارة قد تكون من الأحجار التي تشتعل كالصخور البركانية أو النيازك، وهذا يفتح باب التأمل في الإعجاز العلمي للقرآن، وإن كان المقصود الأساسي هو التهديد والوعيد، إلا أن اللفظ يحتمل دلالات علمية تستحق الدراسة.

ج. قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن النار مخلوقة ومعدة مسبقا، وهذا يثير تساؤلات حول طبيعة الخلق والغيب، ويدعو عالم العلوم إلى التأمل في أن القرآن يخبر عن حقائق غيبية لا يمكن للعلم البشري إدراكها، مما يبرز أن القرآن مصدره علم الله المحيط بكل شيء.

٨. بشارة المؤمنين بالجنة ونعيمها الدائم:

المقطع [٨] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقرر أن الإيمان والعمل الصالح متلازمان لا

ينفكان، فالإيمان بلا عمل إيمان ناقص، والعمل بلا إيمان عمل باطل، وهذا يبين أن النجاة في الآخرة مرتبطة بالجمع بينهما، وهو أصل من أصول العقيدة في أن الجزاء على الإيمان المثمر بالطاعة.

ب. قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يثبت حقيقة الجنة كمكان حقيقي مادي وروحي، وأن نعيمها ليس مجازيا أو روحيا فقط، بل فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأن الأنهار تجري من تحت أشجارها وقصورها، وهذا يرسخ الإيمان بالغيب كما ورد في المقطع الثاني من السورة.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن نعيم الجنة متجدد لا ينقطع، وأن ثمارها تتشابه في صورتها مع ما سبق، لكنها تختلف في لذتها وحقيقتها، وهذا يدل على أن الله يعطي عباده فوق ما يتخيلون، وأن التكرار في الجنة لا يورث الملل بل يزيد السرور.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يفيد أن التشابه في الجنة ليس نقصا، بل هو من تمام النعيم، إذ أن المؤمن يجد ما يعهده من الطيب في كل مرة، وهذا يختلف عن تكرار الدنيا الذي يبعث على السأم، فالتشابه الأخروي مقرون بالزيادة في اللذة والكمال.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يقرر أن من نعيم الجنة الأزواج المطهرة من كل عيب، مطهرة من الحيض والنفاس والأذى، ومن سوء الخلق، وهذا يدل على كمال النعيم النفسي والجسدي، وأن الطهارة صفة جوهرية في أهل الجنة.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يثبت الخلود في الجنة، وهو أصل عقدي يفرق بين دار الدنيا الفانية ودار الآخرة الباقية، وأن المؤمنين لا يخرجون منها أبدا، وهذا يمنح المؤمن طمأنينة لا يعرفها أهل الدنيا، لأنه يعلم أن نعيمه لا ينقطع.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يجد فيه الصوفي أن البشارة لا تكون إلا لمن جمع بين الإيمان والعمل، وأن العمل الصالح عندهم هو ما صفا من شوائب الرياء، فالبشارة الحقيقية لمن عمل لله خالصا، لا لمن عمل ليرى الناس عمله.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يرمز عند الصوفي إلى جنات القلوب التي تسقيها أنهار المعرفة والذكر، فكما تجري الأنهار في الجنة، تجري في القلب أنهار المحبة والخشية والرجاء، والجنة

الحقيقية عندهم هي حضور القلب مع الله، وهي نعيم يعيشه المؤمن في الدنيا قبل الآخرة.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن الذائق لله في كل وقت يجد من المعاني ما يشبه ما سبق، لكنه يتجدد في كل مرة، فالمقامات والأحوال تتكرر صورها وتزداد حقائقها، وهذا يدفع الصوفي إلى عدم الوقوف عند حال، بل السير الدائم إلى الله.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن التجليات الإلهية تتشابه في صورها، لكنها تختلف في إشراقها، فكل تجلٍ يذكر بالتجلِ السابق، لكنه أعلى منه، وهذا يفسر حالهم في الترقّي الدائم في المعرفة والذوق.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يرمز عندهم إلى النفس المطهرة من الأخلاق الذميمة، فالزوج المطهرة هي النفس التي طهرت من الشهوات والصفات الرديئة، وتزوجت بالصفات الإلهية من علم وحلم وعفة، وهذا هو النكاح الروحي الذي يشيرون إليه في كلامهم.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني عند الصوفي أن من وصل إلى الله وذاق حلاوة معرفته، لا يخرج من هذا المقام أبدا، فالخلود ليس فقط في الآخرة، بل هو خلود روحي في الدنيا لمن دخل حضرة الله، فلا تنقطع عنه أنواره ولا تغيب عنه معارفه.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يرى فيه الفيلسوف أن السعادة القصوى ليست في المعرفة النظرية وحدها، بل في اقترانها بالفعل، وهذا يلتقي مع نظرية أرسطو في أن السعادة هي نشاط النفس وفق الفضيلة، فالإيمان بلا عمل معرفة ناقصة.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة طبيعة النعيم الأخروي، هل هو مادي أم روحي أم كلاهما؟ والآية تجمع بين الأمرين، مما يدل على أن الإنسان مركب من جسد وروح، وأن كمال سعادته في إشباع الجانبين معا، وهذا يرد على من أنكر اللذات الجسمانية في الآخرة.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يلفت الفيلسوف إلى أن اللذة الأخروية ليست لذة آنية تنقضي، بل هي لذة متجددة، وهذا يحل إشكال الملل من التكرار الذي يعاني منه الإنسان في الدنيا، فالنعيم الأخروي مصمم بحيث لا يدخله الملل ولا السأم.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يثير مسألة الهوية والاختلاف، فالتشابه مع الاختلاف في الجوهر هو ما يمنح النعيم استمراريته، وهذا يدفع الفيلسوف للتأمل في فلسفة الكمال، إذ أن الكمال الأخروي لا ينقص ولا يتغير، بل يزداد تجددا.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين اللذة والطهارة، فالنعيم الأخروي ليس نعيما حيوانيا، بل هو نعيم مطهر من كل شائبة، وهذا يلتقي مع مفهوم السعادة عند الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا، حيث السعادة العليا هي اتصال النفس بالعقل الفعال، وهي سعادة مطهرة من الشوائب المادية.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يثير مسألة الخلود والزمان، فالخلود يعني الخروج عن الزمان الحاضر إلى زمان لا نهاية له، وهذا يطرح إشكالا فلسفيا حول مفهوم الزمن في الآخرة، وهل هو زمان متصل أم منقطع، والآية تقرر الخلود كحقيقة عقدية لا تحتاج إلى برهان فلسفي، بل هي من الغيب الذي يؤمن به المؤمنون.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشير إلى أن الأخلاق ليست نظرية مجردة، بل هي سلوك عملي، وأن العمل الصالح هو الترجمة الفعلية للإيمان، فالأخلاق في القرآن ليست أقوالا تقال، بل أفعال تقام، وهذا هو جوهر المنهج الأخلاقي القرآني.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يحفز على الأخلاق من خلال الوعد، فالبشارة بالجنة تجعل الأخلاق مدفوعة بالرجاء لا بالخوف فقط، وهذا يربي في النفس حب الخير والطاعة، لا كرها ولا خوفا، بل شوقا إلى النعيم المقيم.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن الأخلاق الحسنة في الدنيا لها ثمار متجددة، فمن عمل خيرا وجد أثره في الدنيا والآخرة، وأن الجزاء من جنس العمل، فمن زرع خيرا حصد خيرا، وهذا يدفع الإنسان إلى الاستمرار في فعل الخير دون ملل.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني أن الأخلاق الفاضلة تتشابه في صورها عبر الزمان والمكان، فالصدق والأمانة والعفة قيم ثابتة لا تتغير، وهذا يرسخ فكرة أن الأخلاق ليست نسبية، بل هي مطلقة

ثابتة، وأن الفضيلة واحدة في كل العصور.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يرمز إلى أن الطهارة الأخلاقية هي شرط النعيم، فالزوج المطهرة هي ثمرة الأخلاق المطهرة، ومن لم يتطهر في الدنيا من الأخلاق الذميمة، حرم من هذا النعيم، فالطهارة الأخلاقية هي مفتاح السعادة الأخروية.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني أن الأخلاق ليست مؤقتة، بل هي صفات دائمة، ومن اتصف بها في الدنيا كان جزاؤه الخلود في دار الكرامة، وهذا يبين أن الأخلاق الحسنة لها أثرها الباقي، وأن الإنسان يخلد بما قدم من عمل صالح.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشير إلى أن المجتمع الفاضل هو الذي يجمع بين الإيمان والعمل، فالإيمان يمنح المجتمع القيم والمعنى، والعمل الصالح يمنحه البناء والتقدم، والمجتمع الذي يفصل بينهما مجتمع هش لا يستقيم.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يرمز إلى أن المجتمع المثالي هو الذي تتدفق فيه الخيرات والبركات، وأن الأنهار الجارية إشارة إلى الحركة والحيوية، فالمجتمع الساكن الذي لا تتدفق فيه عجلة الإنتاج والعمل هو مجتمع ميت، بينما المجتمع الحي هو الذي تسري فيه روح التعاون والعمل.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن المجتمعات الناجحة هي التي تعرف قيمة ما لديها، وتستمر في الشكر والامتنان، فالمجتمع الذي ينسى نعم الله عليه ويجحدها مجتمع يزول، بينما المجتمع الشاكر هو الذي تستمر نعمه.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني أن المجتمعات المستقرة هي التي تحافظ على هويتها وقيمها عبر الأجيال، فالتشابه في القيم والمبادئ هو ما يمنح المجتمع تماسكه، بينما المجتمعات التي تتغير قيمها مع كل جيل هي مجتمعات مضطربة.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يرمز إلى أن المجتمع الفاضل هو الذي تقوم فيه العلاقات على الطهارة والعفة، فالأسرة المطهرة هي نواة المجتمع السليم، والمجتمع الذي تنتشر فيه العلاقات غير المشروعة هو مجتمع متعفن ينهار من الداخل.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني أن المجتمعات التي تسعى إلى بناء نفسها على القيم الصالحة هي مجتمعات باقية، بينما المجتمعات التي تبني على الفساد هي مجتمعات زائلة، فالخلود الاجتماعي مرتبط بصلاح الأساس.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشير إلى أن الدولة الناجحة هي التي تجمع بين الإيمان والعمل، فالإيمان يمنحها الشرعية والقيم، والعمل الصالح يمنحها التنمية والبناء، والدولة التي تفصل بينهما دولة فاشلة.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يرمز إلى أن الدولة المثالية هي التي تتدفق فيها الخيرات على المواطنين، وأن الأنهار الجارية إشارة إلى توزيع الثروة بعدالة، فالدولة التي تحتكر الخيرات لفئة دون أخرى هي دولة ظالمة.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن الدولة الناجحة هي التي تحقق لمواطنيها الأمن والاستقرار، بحيث يشعرون بأن خيرات الدولة مستمرة لا تنقطع، وهذا يخلق ولاء وانتماء للوطن.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني أن الدولة المستقرة هي التي تحافظ على ثوابتها ومبادئها، ولا تتغير مع كل حكومة، فالدول التي تتغير سياساتها مع كل رئيس هي دول غير مستقرة، بينما الدول التي تلتزم بثوابتها هي دول قوية.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يرمز إلى أن الدولة الفاضلة هي التي تحفظ الأعراض وتحمي الأسرة، فالدولة التي تسن القوانين التي تحمي الأسرة وتحارب الفساد الأخلاقي هي دولة ناجحة، بينما الدولة التي تتساهل في ذلك هي دولة متدهورة.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني أن الدول التي تبني على العدل والصلاح هي دول باقية، بينما الدول التي تبني على الظلم والفساد هي دول زائلة، فالخلود السياسي مرتبط بالعدل.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشير إلى أن المنظمة الناجحة هي التي تجمع بين

الرؤية الإيمانية والعمل الجاد، فالإيمان يمنح العاملين الدافع والمعنى، والعمل الصالح يمنحهم الإتقان والجودة، والمنظمة التي تفصل بينهما منظمة فاشلة.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يرمز إلى أن المنظمة المثالية هي التي تتدفق فيها الموارد والخبرات، وأن الأنهار الجارية إشارة إلى تدفق المعلومات والاتصالات، فالمنظمة التي لا تتدفق فيها المعلومات هي منظمة جامدة.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن المنظمة الناجحة هي التي تحقق لموظفيها الرضا الوظيفي المستمر، بحيث يشعرون بأن عطاء المنظمة لهم متجدد، وهذا يزيد من ولائهم وإنتاجيتهم.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني أن المنظمة المستقرة هي التي تحافظ على ثقافتها وقيمها عبر الزمن، فالمنظمات التي تغير ثقافتها مع كل مدير هي منظمات مضطربة، بينما المنظمات التي تلتزم بقيمها هي منظمات ناجحة.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يرمز إلى أن المنظمة الفاضلة هي التي تحافظ على نقاء بيئتها الداخلية من الصراعات والمشاحنات، فالمنظمة التي تسود فيها العلاقات النقية هي منظمة منتجة، بينما المنظمة التي تنتشر فيها الصراعات هي منظمة فاشلة.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني أن المنظمات التي تبني على أسس سليمة هي منظمات باقية، بينما المنظمات التي تبني على أسس هشة هي منظمات زائلة، فالاستمرارية في الإدارة مرتبطة بجودة الأساس.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشير إلى أن الصحة النفسية مرتبطة بالإيمان والعمل، فالإيمان يمنح الإنسان الطمأنينة، والعمل الصالح يمنحه الشعور بالإنجاز والقيمة، والإنسان الذي يجمع بينهما هو إنسان سعيد نفسيا.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يرمز إلى أن السعادة النفسية هي حالة من التدفق والانسياب، كما يقول علماء النفس الإيجابي، فالأنهار الجارية إشارة إلى الحالة التي يكون فيها الإنسان

منغمسا في نشاطه بشكل كامل، وهي حالة السعادة الحقيقية.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن السعادة الحقيقية ليست في تجربة جديدة فقط، بل في تجربة متجددة، فالإنسان السعيد هو الذي يجد في كل يوم جديدا من الخير، وهذا يمنعه من الملل والاكتئاب.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني أن الاستقرار النفسي يأتي من الثبات على القيم والمبادئ، فالإنسان الذي يتغير مع كل موجة هو إنسان مضطرب، بينما الإنسان الثابت على مبادئه هو إنسان مستقر نفسيا.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يرمز إلى أن العلاقات النقية المطهرة هي أساس الصحة النفسية، فالعلاقات السامة هي سبب رئيسي للاضطرابات النفسية، بينما العلاقات النقية المبنية على الحب والاحترام هي سبب السعادة والاستقرار.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني أن الشعور بالاستمرارية والأمان هو أساس الصحة النفسية، فالخوف من الزوال والفناء هو سبب القلق والاكتئاب، بينما اليقين بالخلود يمنح الإنسان الطمأنينة والسكينة.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي لا يفصل بين الإيمان والعمل، فالإيمان يضبط السلوك الاقتصادي، والعمل الصالح يشمل العمل المنتج، والاقتصاد الذي يفصل بينهما اقتصاد فاسد.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يرمز إلى أن الاقتصاد المثالي هو الذي تتدفق فيه الثروات وتتوزع بعدالة، فالأنهار الجارية إشارة إلى السيولة المالية التي تتحرك في الاقتصاد، والاقتصاد الراكد هو اقتصاد ميت.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الناجح هو الذي يحقق الرفاهية المستمرة للمواطنين، بحيث يشعرون بأن خيرات الاقتصاد متجددة، وهذا يزيد من ثقتهم بالاقتصاد واستقرارهم.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني أن الاقتصاد المستقر هو الذي يحافظ على استقرار أسعاره وقيمه، فالاقتصاد الذي يتقلب بشكل كبير هو اقتصاد مضطرب، بينما الاقتصاد المستقر هو اقتصاد ناجح.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يرمز إلى أن الاقتصاد الفاضل هو الذي يقوم على الطهارة من الربا والغش والاحتكار، فالاقتصاد الذي يخلو من هذه الممارسات هو اقتصاد ناجح، بينما الاقتصاد الملوث بها هو اقتصاد فاسد.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني أن الاقتصاد الذي يبني على أسس سليمة هو اقتصاد باقٍ، بينما الاقتصاد الذي يبني على المضاربات والفقاعات هو اقتصاد زائل، فالاستدامة الاقتصادية مرتبطة بالأسس الصحيحة.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشير إلى أن التربية الناجحة هي التي تجمع بين الإيمان والعمل، فالإيمان يمنح الطالب القيم والمعنى، والعمل الصالح يمنحه المهارات والإتقان، والتربية التي تفصل بينهما تربية ناقصة.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يرمز إلى أن البيئة التعليمية المثالية هي التي تتدفق فيها المعارف والخبرات، فالأنهار الجارية إشارة إلى تدفق العلم والمعرفة، والبيئة التعليمية الراكدة هي بيئة فاشلة.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن التعلم الناجح هو الذي يتجدد باستمرار، فالمعلم الناجح هو الذي يجد في كل درس جديدا، والطالب الناجح هو الذي يشعر بأنه يتعلم كل يوم شيئا جديدا.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني أن التربية الناجحة هي التي تحافظ على الثوابت والقيم، فالتربية التي تتغير مع كل موضة هي تربية مضطربة، بينما التربية الثابتة على القيم هي تربية ناجحة.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يرمز إلى أن البيئة التعليمية الفاضلة هي التي تسود فيها العلاقات النقية بين المعلمين والطلاب، فالبيئة التي تنتشر فيها العلاقات غير السليمة هي بيئة فاشلة.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني أن التربية التي تبني على أسس سليمة لها أثر باقٍ، فالتربية

الصالحة هي التي تنتج جيلا صالحا يبقى أثره، بينما التربية الفاسدة هي التي تنتج جيلا فاسدا يزول.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يشير إلى أن العدالة لا تتحقق إلا بالإيمان والعمل الصالح، فالقاضي المؤمن الذي يعمل الصالحات هو القاضي العادل، والقاضي الذي يفصل بين الإيمان والعمل قاضٍ جائر.

ب. قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يرمز إلى أن العدالة هي النعيم الذي تتدفق فيه الحقوق لأصحابها، فالأنهار الجارية إشارة إلى تدفق الحقوق، والقاضي العادل هو الذي يجري الحقوق إلى أصحابها.

ج. قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يشير إلى أن القاضي العادل هو الذي يشعر الناس فيه بالأمان والاستقرار، بحيث يثقون بأن حقوقهم محفوظة، وهذا يزيد من ثقتهم بالعدالة.

د. قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني أن العدالة يجب أن تكون ثابتة لا تتغير، فالقاضي الذي يحكم بالهوى في كل قضية هو قاضٍ فاسد، بينما القاضي الذي يلتزم بالثوابت هو قاضٍ عادل.

هـ. قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ يرمز إلى أن القاضي الفاضل هو الذي يكون مطهرا من الرشوة والمحاباة، فالقاضي الذي يلوث نفسه بالرشوة هو قاضٍ فاسد، بينما القاضي المطهر هو قاضٍ عادل.

و. قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني أن العدالة التي تبني على أسس سليمة هي عدالة باقية، بينما العدالة التي تبني على الهوى هي عدالة زائلة، فالعدالة الحقيقية هي التي تستمد من الهدى الرباني.

٩. ضرب الأمثال الإلهية وموقف المؤمنين والكافرين منها:

المقطع [٩] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُّ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهَّ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُّ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يقرر أن الله منزه عن كل نقص، وأن ضرب الأمثال بالصغير والحقير لا ينافي كماله المطلق، فالله لا يستحيي من الحق، ولو كان في صورة بعوضة، وهذا يربي في المؤمن تعظيما لله وتنزيها له عن كل ما يظنه الجاهلون نقصا.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يبين أن الإيمان ليس مجرد تصديق، بل هو علم ويقين بأن كل ما جاء من الله هو الحق، وأن المؤمنين يتلقون الأمثال بالقبول والتسليم، لأنهم يعلمون أن الله لا يضرب مثلا إلا لحكمة بالغة.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُّ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور موقف الكافرين من النصوص الإلهية، حيث يقابلونها بالاستهزاء والتشكيك، وهذا دليل على أن الكفر ليس قصورا في الدليل، بل هو اتباع للهوى وعدم استسلام للحق.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يقرر أن الهداية والضلال بيد الله وحده، وأن الأمثال الإلهية تكون سببا في زيادة هدى المؤمنين وزيادة ضلال الكافرين، وهذا من سنن الله في الابتلاء والتمييز بين الخبيث والطيب.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يخصص الضلال بالفساق، وهم الخارجون عن طاعة الله، وهذا يبين أن الضلال ليس ظلما من الله، بل هو نتيجة طبيعية لفسق العبد وإعراضه عن الحق.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهَّ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يشير إلى أن الفسق الحقيقي هو نقض العهود والمواثيق، وأعظمها عهد الفطرة والميثاق الذي أخذه الله على عباده، وهذا يربط الضلال بالخيانة وعدم الوفاء.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُّ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يبين أن من علامات الفسق قطع ما أمر الله بوصلته، من الأرحام والإيمان بالرسل والكتب، وهذا يوضح أن الفسق ليس مجرد معصية، بل هو تخريب لبنية الدين والاجتماع.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقرر أن الفساد في الأرض هو ثمرة الفسق ونقض العهود، وأن المفسدين هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، لأنهم خسروا الإيمان والهداية والفلاح.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الله يتجلى في أصغر المخلوقات وأدقها، وأن العبد الصادق يرى آثار الحكمة الإلهية في كل شيء، حتى في البعوضة، فكل مخلوق هو آية من آيات الله.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن المعرفة الحقة عند الصوفي ليست معرفة عقلية، بل هي معرفة ذوقية كشفية، يجد فيها القلب حقيقة ما أخبر الله به، فيكون الإيمان عيانا لا برهانا.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يبين أن القلب إذا لم يتطهر من الكدرات لم يدرك حكمة الله في أفعاله وأقواله، فالكافر محجوب عن أسرار الأمثال، بينما الصوفي يرى في كل مثل نورا وحكمة.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الهداية والضلال من الله، وأن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فيسلم أمره كله لله، ويرضى بقضائه في الهداية والضلال.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يعني عند الصوفي أن الضلال ليس من الله ابتداء، بل هو بسبب فساد القلب وانحرافه عن الفطرة، فالقلب السليم يهتدي بكل شيء، والقلب الفاسد يضل بكل شيء.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يشير إلى أن العهد الذي أخذه الله على عباده هو عهد المحبة والمعرفة، ونقضه هو نسيان الله والإعراض عن ذكره، والصوفي يسعى جاهدا للوفاء بهذا العهد بدوام الذكر والمراقبة.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يرمز عند الصوفي إلى قطع الصلة بالله وبأوليائه، فالقلب المتصل بالله لا يقطع ما أمر الله به، بل يصل ما أمر الله به من الإيمان والمحبة والبر.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أن الفساد في الأرض هو أثر من آثار انقطاع القلب عن الله، فإذا صلح القلب صلحت الأرض، وإذا فسد القلب فسدت الأرض، وهذا يربط الإصلاح الروحي بالإصلاح الاجتماعي.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة تنزيه الله عن النقائص، وأن ضرب الأمثال بالحقير لا ينافي الكمال الإلهي، لأن الحكمة لا تتقيد بصغر المثال أو كبره، بل بمدى دلالته على المعنى المقصود.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يقرر أن الإيمان له طابع معرفي، وأن المؤمنين يدركون حقيقة الأمثال بعلم يقيني، وهذا يلتقي مع مبحث المعرفة اليقينية عند الفلاسفة، وأن اليقين ليس حصرا على العقل بل يشمل الوحي.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور موقف العقل الجدلي الذي يرفض ما لا يدركه، وهذا يثير إشكالية حدود العقل في إدراك الحكمة الإلهية، وأن العقل القاصر قد يعجز عن فهم بعض الأمثال فيتخذ موقفا سلبيا.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يطرح إشكالية فلسفية عميقة حول العلاقة بين الهداية والضلال والإرادة الإلهية، وأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهذا يفتح باب التأمل في مسألة القضاء والقدر والعدل الإلهي.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يبين أن الضلال ليس اعتباطيا، بل له علاقة بحال العبد وفسقه، وهذا يلتقي مع مبدأ السببية في الفلسفة، حيث أن الفسق هو السبب المهيئ للضلال.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العقد الاجتماعي، وأن المجتمعات تقوم على عهود ومواثيق، ونقضها يؤدي إلى الفوضى والفساد، وهذا يشبه ما طرحه فلاسفة العقد الاجتماعي في العصر الحديث.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يشير إلى أن النظام الكوني قائم على الوصل والترابط، وأن القطع والانفصال هو خروج عن النظام الأصلي، وهذا يلتقي مع مفاهيم الفلسفة العضوية التي ترى الكون ككيان مترابط.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الغائية، وأن الفساد هو انحراف عن الغاية التي خلق الله لها الأشياء، وأن الخاسرين هم الذين يفسدون ولا يصلحون.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يربي في النفس خلق التواضع وعدم الاستكبار عن قبول الحق مهما كان مصدره صغيرا، فالحق لا يُحتقَر لصغره، وهذا من مكارم الأخلاق.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يبين أن الإيمان بالحق يثمر خلق التسليم والانقياد، وأن المؤمن الحق لا يجادل في ما جاء من الله، بل يتلقاه بالقبول والرضا، وهذا هو خلق الورع.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور خلق السخرية والاستهزاء الذي هو من أبغض الأخلاق، وأن الكافرين يقابلون النصوص الإلهية بالتهكم بدل التأمل، وهذا يبين أن سوء الأدب مع الله من أعظم الأخلاق الذميمة.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يشير إلى أن الأعمال والأقوال تكون سببا في الهداية أو الضلال بحسب حال القلب، وأن الأخلاق هي التي تحدد اتجاه الإنسان، فالقلب النقي يهتدي والقلب الفاسد يضل.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يقرر أن الفسق هو أساس الانحراف الخلقي، وأن الفاسق هو الخارج عن الطاعة، وهذا يبين أن الأخلاق الفاضلة مرتبطة بالطاعة، والأخلاق الرذيلة مرتبطة بالمعصية.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يبين أن الوفاء بالعهد من أعظم الأخلاق، ونقضه من أقبح الخصال، وأن العهد مع الله هو أساس كل عهد، ومن خان الله خان الناس.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يشير إلى أن صلة الأرحام والبر والإحسان من أعظم الأخلاق، وأن قطعها من علامات الفسق، فالأخلاق الإسلامية تقوم على الوصل لا القطع، وعلى البناء لا الهدم.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبين أن الفساد في الأرض هو نتيجة طبيعية للانحلال الخلقي، وأن المصلحين هم الذين يسعون في الأرض بالخير والبر، والمفسدون هم الخاسرون.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن

القيم والمفاهيم العليا لا ترتبط بحجم الأشياء، بل بمدلولاتها، وأن المجتمعات الراقية هي التي تعرف كيف تستخرج العبر من الصغير قبل الكبير.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات المؤمنة تتسم بالوحدة والانسجام في تلقي النصوص، لأن الإيمان يوحد تصوراتها ومواقفها، وهذا يعزز التماسك الاجتماعي.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور حالة الانقسام الاجتماعي بين مؤمن وكافر، وأن المجتمعات التي تكفر بالنصوص الإلهية تعيش في حيرة وتشتت، لأنها فقدت البوصلة التي توحدها.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يبين أن النصوص الإلهية تعمل كعامل تمييز في المجتمع، فتميز المؤمن من الكافر، وهذا التمييز ضروري لبناء مجتمع متماسك قائم على القيم الواضحة.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يشير إلى أن الفسق هو حالة اجتماعية خطيرة، لأن الفاسقين لا يضلون وحدهم، بل يجرون المجتمع معهم إلى الفساد، فهم عناصر هدامة في البنية الاجتماعية.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يبين أن المجتمعات تقوم على العهود والمواثيق، ونقضها يؤدي إلى انهيار الثقة الاجتماعية، وهذا من أهم عوامل تفكك المجتمعات.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يشير إلى أن صلة الأرحام والروابط الاجتماعية هي أساس تماسك المجتمع، وقطعها يؤدي إلى التفكك الأسري والاجتماعي، وهذا ما تؤكده الدراسات الاجتماعية الحديثة.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبين أن الفساد الاجتماعي ليس فرديا فقط، بل هو جماعي، وأن المفسدين في الأرض هم الذين ينشرون الفوضى والظلم، وهم الخاسرون في ميزان الله.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن العبرة ليست بحجم القضايا، بل بحقيقتها، وأن السياسة الحكيمة هي التي تهتم بالجوهر لا بالشكل، وبالمبادئ لا بالمظاهر.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن القيادة المؤمنة هي التي تستند إلى الحق الإلهي في قراراتها، وأن الإيمان يمنحها الثبات والوضوح في مواجهة الشبهات.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور موقف المعارضة الكافرة التي تستهزئ بالخطاب الإلهي، وهذا يبين أن المعارضة السياسية في المنظور القرآني قد تكون معارضة وجودية لا تبحث عن الحق، بل عن الهدم.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يبين أن السياسة الإلهية في الهداية والضلال تخضع لحكمة بالغة، وأن على الحاكم أن يدرك أن الهداية والضلال بيد الله، فلا يغتر بنجاحه ولا ييأس من إصلاح رعيته.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يشير إلى أن الفسق السياسي هو الخروج عن طاعة الله وطاعة أولي الأمر، وأن الفاسقين هم الذين ينقضون العهود ويقطعون ما أمر الله به، وهذه هي صفات المفسدين في الأرض.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يبين أن العهود السياسية والمواثيق الدولية يجب أن تحترم، وأن نقضها من علامات الفسق، وهذا يضع أساسا أخلاقيا للعلاقات السياسية.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يشير إلى أن السياسة الإسلامية تقوم على الوصل لا القطع، وعلى توحيد الصفوف لا تفريقها، وأن قطع العلاقات المشروعة من علامات الفساد السياسي.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبين أن الفساد السياسي هو إفساد في الأرض، وأن الحكام الفاسقين هم الذين ينشرون الفساد بدل الإصلاح، وهم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يوجه المدير إلى أن الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة هو من علامات الإدارة الناجحة، وأن إهمال الصغير قد يؤدي إلى فشل الكبير، فالإدارة الحكيمة تهتم بالدقائق كما تهتم بالكليات.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن المؤسسة الناجحة هي التي تمتلك رؤية واضحة يثق بها العاملون، وأن الإيمان بالرسالة المؤسسية يمنح العاملين دافعا للعمل

والإخلاص.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور حالة الموظفين غير المقتنعين برسالة المؤسسة، الذين يقابلون كل قرار بالتشكيك والاستهزاء، وهؤلاء هم عناصر الهدم في أي مؤسسة.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يبين أن القرارات الإدارية قد تكون سببا في نجاح البعض وفشل البعض الآخر، بحسب استعدادهم وتفاعلهم، وأن المدير الناجح هو الذي يدرك أن النتائج تختلف باختلاف الأفراد.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يشير إلى أن العناصر الفاسدة في المؤسسة هي التي تعرقل مسيرتها، وأن الفسق الإداري هو الخروج عن الأنظمة والتعليمات، وهؤلاء يجب معالجتهم أو استبعادهم.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يبين أن الوفاء بالعهود والعقود من أساسيات الإدارة الناجحة، وأن نقض العهود يؤدي إلى فقدان الثقة وانهيار العلاقات المؤسسية.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة تقوم على التواصل والترابط بين الأقسام والأفراد، وأن قطع التواصل يؤدي إلى الفوضى والفشل، فالإدارة فن الوصل لا القطع.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبين أن الفساد الإداري هو إفساد في الأرض، وأن المدير الفاسق الذي يظلم موظفيه ويضيع أموال المؤسسة هو من المفسدين الخاسرين.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي إشارة إلى أن الصحة النفسية لا ترتبط بحجم الأحداث، بل بطريقة التعامل معها، فالمؤمن يتعامل مع الصغير والكبير بنفس الاتزان والرضا.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن الإيمان يمنح الإنسان طمأنينة نفسية، لأنه يدرك أن كل ما يأتي من الله هو حق وحكمة، وهذا يقلل من القلق والاضطراب الناتج عن عدم الفهم.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور حالة الحيرة والقلق

الوجودي التي يعيشها الكافر، الذي لا يجد إجابة عن أسئلته، فيعيش في تشكك دائم وعدم استقرار نفسي.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يبين أن النصوص الإلهية لها أثر نفسي مزدوج، فهي تهدي القلوب السليمة وتزيدها اطمئنانا، وتضل القلوب المريضة وتزيدها حيرة، وهذا يشبه ما يحدث في العلاج النفسي حيث يستجيب المرضى بشكل مختلف.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يشير إلى أن الفسق هو حالة نفسية مرضية، حيث أن الخروج عن الطاعة يؤدي إلى اضطراب نفسي، وأن الفاسق يعيش في صراع داخلي بسبب مخالفته للفطرة.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يبين أن نقض العهود والمواثيق يسبب شعورا بالذنب والقلق، وأن الوفاء بالعهد يمنح الإنسان راحة نفسية واتزانا، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية حول أهمية الالتزام.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يشير إلى أن قطع الصلات الاجتماعية والأسرية يسبب الاكتئاب والعزلة، وأن الوصل والتواصل الاجتماعي من أهم عوامل الصحة النفسية.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبين أن الفساد والسلوك الهدام يسببان اضطرابات نفسية، وأن الإصلاح والعمل الخيري يمنحان الإنسان شعورا بالرضا والسعادة، فالخاسرون نفسيا هم المفسدون.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن العبرة ليست بحجم المشاريع، بل بجدواها وفائدتها، وأن المشاريع الصغيرة قد تكون أكثر نفعا من المشاريع الكبيرة إذا أحسن إدارتها.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على الإيمان بالله والثقة به، وأن المؤمن يتعامل في السوق برضا ويقين، مما يقلل من التوتر والطمع المرتبطين بالمعاملات الاقتصادية.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور موقف الكافرين من التشريعات الاقتصادية الإسلامية، الذين يستغربونها ويرفضونها، مثل تحريم الربا والغش، لأنهم لا

يدركون حكمتها.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يبين أن التشريعات الاقتصادية الإلهية تكون سببا في نجاح من يلتزم بها وفشل من يخالفها، وأن الالتزام بالضوابط الشرعية يضمن بركة المال ونماءه.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يشير إلى أن الفاسقين في الاقتصاد هم الذين يتعاملون بالربا والغش والاحتكار، وهؤلاء يضلون عن بركة المال، ويعيشون في قلق دائم بسبب كسبهم الحرام.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يبين أن نقض العهود في المعاملات الاقتصادية، كالغدر في العقود والوعود، من علامات الفسق، وأن الوفاء بالعقود هو أساس الاقتصاد الإسلامي.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على التكافل والتراحم، وأن قطع الصلات الاقتصادية بين أفراد المجتمع، كمنع الزكاة والصدقات، من علامات الفسق.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبين أن الفساد الاقتصادي، كالرشوة والاختلاس واستغلال المال العام، هو إفساد في الأرض، وأن المفسدين اقتصاديا هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يوجه المربي إلى أن التعليم لا يقتصر على الموضوعات الكبيرة، بل يجب أن يشمل الأمثلة الصغيرة والتفاصيل الدقيقة، لأن العبرة بالمعنى لا بالحجم.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن التربية الإيمانية تزرع في نفس المتعلم التسليم للحق، وأن المعلم الناجح هو الذي يربي تلاميذه على قبول الحق أيا كان مصدره.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور موقف المتعلمين الذين يقابلون العلم بالاستهزاء والتشكيك، وهؤلاء يحتاجون إلى معالجة تربوية خاصة لتصحيح مواقفهم.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يبين أن المادة التعليمية الواحدة قد تؤثر في الطلاب بشكل مختلف، فبعضهم يهتدي بها وبعضهم يضل، وهذا يتطلب من المربي مراعاة الفروق الفردية.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يشير إلى أن الطلاب الفاسقين هم الذين لا يستفيدون من العلم، بل قد يزدادون ضلالا، وهذا يبين أن التربية الأخلاقية مكملة للتربية العلمية.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يوجه المربي إلى أهمية تربية التلاميذ على الوفاء بالعهود والمواثيق، وأن نقض العهد من علامات الفسق التي يجب أن يحذر منها.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يشير إلى أن التربية الإسلامية تربي على صلة الأرحام والبر بالوالدين، وأن قطع هذه الصلات من علامات الفسق، فيجب على المربي أن يعزز قيم الوصل.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبين أن التربية الصحيحة هي التي تربي على الإصلاح لا الإفساد، وأن المربي يجب أن يغرس في نفوس تلاميذه حب الخير والبناء، وأن يحذرهم من الفساد والهدم.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ يوجه القاضي إلى أن العدالة لا تتقيد بحجم القضية، فالقضية الصغيرة لها حقها من العدل مثل القضية الكبيرة، وأن الحق لا يُهدر لصغره.

ب. قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن القاضي المؤمن يستند في أحكامه إلى الحق الإلهي، وأن إيمانه يمنحه الثقة والاطمئنان في إصدار الأحكام العادلة.

ج. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ يصور موقف الخصوم الذين يرفضون الأحكام الشرعية ويستهزئون بها، وهؤلاء يحتاجون إلى بيان الحكمة من الأحكام لا إلى مجرد فرضها.

د. قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يبين أن الأحكام الشرعية تكون سببا في هداية من يلتزم بها وضلال من يعاندها، وأن القاضي يجب أن يدرك أن حكمه قد يكون سببا في هداية أو ضلال الخصوم.

هـ. قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يشير إلى أن الفاسقين هم الذين يعاندون الأحكام الشرعية ولا يرضون بها، وأن القاضي يجب أن يكون حذرا من الفاسقين الذين يحاولون تحريف الحق.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يبين أن نقض العهود والمواثيق من علامات الفسق، وأن القاضي يجب أن يعامل ناقضي العهود بصرامة، لأنهم يهددون استقرار المجتمع.

ز. قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يحكم بوصل ما أمر

الله به، كصلة الأرحام وحقوق الورثة، وأن يمنع قطع هذه الصلات.

ح. قوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبين أن القاضي يجب أن يكون حصنا ضد الفساد في الأرض، وأن أحكامه يجب أن تهدف إلى الإصلاح لا الإفساد، وأن المفسدين هم الخاسرون الذين يجب أن ينالوا جزاءهم العادل.

١٠. إحياء الله للإنسان وتدبير الخلق في السماوات والأرض:

المقطع [١٠] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨-٢٩]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ يقرر أصل الإيمان بوجود الله من خلال بداهة الحياة والموت، فالإنسان لم يوجد نفسه، بل كان عدما ثم أحياه الله، وهذا يبطل كل شبهة للملحدين في إنكار الخالق، إذ أن الانتقال من العدم إلى الوجود أعظم دليل على وجود فاعل مختار.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يثبت حقيقة البعث بعد الموت، وهي من أصول العقيدة الإسلامية، فمن أنكر البعث فقد أنكر أصل الإيمان، والآية تسوق هذه الحقيقة مساق التقرير الذي لا يقبل الجدل، لأن من قدر على الإحياء الأول قادر على الإحياء الثاني.

ج. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقرر مبدأ المرجعية الإلهية المطلقة، وأن النهاية كلها إلى الله، فيكون الإنسان مسؤولا عن أعماله، وهذا يثبت أصل الحساب والجزاء، وهو من لوازم الإيمان باليوم الآخر.

د. قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يقرر أن الأرض وما فيها مسخرة للإنسان، وأن الله هو الخالق المالك، والإنسان مستخلف فيها لا مالك حقيقي، وهذا يثبت أصل الاستخلاف في العقيدة الإسلامية.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يثبت أن الله تعالى علا على خلقه علوَّ قهرٍ وتدبيرٍ واستيلاءٍ يليق بجلاله، لا علوَّ مكانٍ ولا جهة.

و. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يثبت صفة العلم المطلق لله تعالى، وأن علمه محيط بكل شيء، وهذا من أصول العقيدة في إثبات الكمال الإلهي، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ يشير إلى الموتة الأولى التي سبقت الحياة الدنيا، وفيها يجد الصوفي إشارة إلى الموت الاختياري قبل الموت الحتمي، وهو موت النفس عن الشهوات والإرادات، لتحيا الروح بنور الله، فالإحياء الحقيقي عندهم هو إحياء القلوب بالمعرفة والمحبة.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يرمز عند الصوفي إلى مقام الفناء والبقاء، فالإماتة الثانية هي فناء الإرادة البشرية في الإرادة الإلهية، والإحياء الثاني هو البقاء بالله بعد الفناء عن النفس، وهذه إشارة إلى أعلى المقامات في السلوك الروحي.

ج. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى الرجوع إلى الله في كل لحظة، وأن الرجوع الأكبر يوم القيامة هو ثمرة الرجوع الأصغر في كل نفس، وهو ما يعرف عندهم بذكر الموت ومراقبة الله في كل حال.

د. قوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن الدنيا وما فيها مسخرة للعباد، لكن الصوفي يرى أن هذه التسخير ليس غاية بل وسيلة، وأن العبد إذا نظر إلى الدنيا على أنها مسخرة له، نظر إليها بعين الفناء والزوال، فلا يتعلق بها، بل يراها مزرعة للآخرة.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى العروج الروحي، وأن القلب إذا صفا ارتقى في مدارج القرب، كما أن السماء لها طبقات، فكذلك للقلب مقامات ودرجات، والاستواء إلى السماء يرمز إلى علو الهمة والارتقاء عن سفاسف الأمور.

و. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يجد فيه الصوفي أن علم الله المحيط بكل شيء يقتضي مراقبة دائمة، وأن العبد إذا علم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، استحيا من الله حق الحياء، وهذا من مقامات الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ يطرح على الفيلسوف إشكال الوجود

والعدم، فكيف ينتقل العدم إلى الوجود؟ وهذا يفتح باب البراهين الفلسفية على وجود الله، كبرهان الإمكان والحدوث، فالإنسان كان ممكنا ثم وجد، والممكن لا يوجد بنفسه بل يحتاج إلى واجب الوجود.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكال الحركة الدائرية بين الوجود والعدم، وأن الموت ليس فناء مطلقا بل انتقال من طور إلى طور، وهذا يلتقي مع فلسفة الحركة الجوهرية عند من قال بها من الفلاسفة، وأن الوجود في تطور مستمر.

ج. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يطرح إشكال الغاية النهائية للوجود الإنساني، وأن الكون ليس عبثا، بل له غاية يرجع إليها، وهذا يلتقي مع مبحث العلة الغائية في الفلسفة، وأن كل موجود يسعى إلى غايته القصوى.

د. قوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يثير إشكال العلاقة بين الإنسان والعالم، فهل العالم مسخر للإنسان أم الإنسان جزء من العالم؟ والآية تقرر أن العالم مسخر للإنسان، وهذا يضع الإنسان في موقع متميز في سلسلة الوجود، ويفتح باب فلسفة الطبيعة والأنثروبولوجيا الفلسفية.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكال ترتيب الوجود وطبقاته، وأن الكون ليس متجانسا بل ذا مراتب ودرجات، وهذا يلتقي مع فلسفة التسلسل الوجودي عند الفلاسفة، من العقل الأول إلى العقول العشرة عند بعضهم، وإن اختلف التصور.

و. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يطرح إشكال العلاقة بين العلم الإلهي والوجود، فهل العلم الإلهي سابق على الوجود أم مقارن له؟ والآية تقرر أن علم الله محيط بكل شيء، وهذا يفتح باب البحث في العلم الإلهي وعلاقته بالممكنات، وهو من أعقد المباحث الفلسفية.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ يضع الأساس الأخلاقي الأول وهو الشكر، فمن تذكر أن حياته من الله، وجد نفسه مدفوعا إلى شكر المنعم، والشكر رأس الأخلاق كلها، لأنه يربي في النفس التواضع والاعتراف بالفضل.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يذكر الإنسان بأن حياته قصيرة وأن الموت آتٍ، وهذا يربي في النفس خلق الزهد في الدنيا وعدم التعلق بها، ويحفز على اغتنام الوقت في الأعمال الصالحة، فالموت هو

المذكّر الأخلاقي الأعظم.

ج. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يرسخ خلق المسؤولية، فمن علم أنه سيرجع إلى الله ويحاسبه، كان أحرص على أداء الواجبات واجتناب المحرمات، وهذا هو الضمير الأخلاقي الذي يضبط السلوك في السر والعلن.

د. قوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يربي خلق القناعة والرضا، فمن علم أن الله خلق له ما في الأرض جميعا، أدرك أن الله لم يبخل عليه، فيرضى بما قسمه الله له، ولا يحسد الآخرين، ويستخدم ما خلق له في الخير لا في الشر.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يذكر الإنسان بعظمة الخالق وكمال قدرته، وهذا يربي في النفس خلق الخشية والتعظيم، فمن تأمل في خلق السماوات، خشع قلبه لله، وانكسرت نفسه عن الكبر والغرور.

و. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يرسخ خلق المراقبة الذاتية، فمن علم أن الله يعلم كل شيء، استحيا أن يفعل ما يخالف أمره، وهذا هو أساس الأخلاق الداخلية التي لا تحتاج إلى رقيب خارجي، بل الرقيب في القلب.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الإيمان بالله هو الفطرة التي فطر الناس عليها، وأن الكفر حالة طارئة على المجتمعات، فالمجتمعات السليمة هي التي تحافظ على فطرة الإيمان، وأي انحراف عنها هو انحراف عن الأصل.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات تمر بدورات من الحياة والموت، فكما يحيي الله الأفراد، يحيي الأمم بعد موتها، وهذا يفسر ظاهرة النهضة والانحطاط في المجتمعات، وأن الأمة التي تموت قيمها يمكن أن تحيا من جديد.

ج. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يبين أن المجتمعات ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق مرضاة الله، وأن المجتمع الذي ينسى مرجعيته الإلهية يفقد بوصلته الأخلاقية، ويتيه في متاهات الماديات.

د. قوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يقرر مبدأ تسخير الموارد لخدمة الإنسان، وهذا يوجه

عالم الاجتماع إلى أن الموارد الطبيعية ليست ملكا لفرد أو طبقة، بل هي للجميع، وأن العدالة الاجتماعية تقتضي توزيع هذه الموارد بشكل عادل، وهذا يلتقي مع مبادئ التكافل الاجتماعي.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن هناك نظاما كونيا دقيقا، وأن المجتمعات الإنسانية ينبغي أن تحاكي هذا النظام في دقته وترتيبه، فالمجتمع الفاضل هو المجتمع المنظم الذي يعرف كل فرد فيه مكانه ووظيفته.

و. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعني أن الله يعلم أحوال المجتمعات كلها، وأنه لا يخفى عليه شيء من ظلم الظالمين أو عدل المحسنين، وهذا يمنح عالم الاجتماع يقينا بأن العدالة الإلهية ستتحقق، وأن الظلم الاجتماعي لن يدوم.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ يبين أن أصل وجود الإنسان من الله، وأن السلطة السياسية ليست مصدر وجود الإنسان، بل هي وكالة عن الله، فالحاكم لا يملك حق الحياة والموت، بل هو مسخر لخدمة الناس، وهذا يحد من طغيان السلطة.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يذكر الحكام بأنهم ليسوا خالدين، وأن الموت سينهي سلطتهم، فيتواضعون ولا يستبدون، ويعلمون أن سلطتهم مؤقتة، وأنهم سيحاسبون على ما ولوّه الله عليهم.

ج. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقرر أن المرجعية العليا لله، وأن الحاكم والمحكوم كلاهما راجع إلى الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا يضع حدودا للسلطة السياسية، ويمنع الاستبداد باسم الدين أو باسم الشعب.

د. قوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعني أن الموارد الطبيعية ملك للجميع، وأن الدولة مسؤولة عن توزيعها بعدالة، فلا يجوز للحكام أن يستأثروا بها، بل عليهم أن يضمنوا وصولها إلى جميع أفراد المجتمع، وهذا هو أساس السياسة الاقتصادية العادلة.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يذكر عالم السياسة بأن هناك نظاما كونيا متقنا، وأن الدولة الناجحة هي التي تحاكي هذا النظام في إتقانها وتنظيمها، وأن الفوضى والاضطراب

مخالفان للنظام الكوني الذي خلقه الله.

و. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعني أن الله يعلم ما يخفيه الحكام من نوايا وما يعلنونه، وأنهم سيحاسبون على أعمالهم، وهذا يمنعهم من خداع الرعية، ويجعلهم أكثر شفافية ومساءلة.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ يذكر المدير بأن أصل وجوده ومنصبه من الله، وأنه ليس مالكا للمنظمة بل مستخلفا فيها، وهذا يزرع فيه التواضع ويبعده عن الغرور والتعالي على مرؤوسيه.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يذكر المدير بأن كل شيء زائل، وأن المناصب والسلطات مؤقتة، فلا يتعلق بمنصبه تعلقا يفقده العدالة والموضوعية، بل يعمل كأنه سيغادر منصبه في أي لحظة.

ج. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يعني أن المدير سيحاسب على أمانته أمام الله، فيكون أكثر حرصا على أداء واجباته بإخلاص، وأكثر شفافية في تعاملاته، لأنه يعلم أن هناك رقيبا أعلى من الرقابة الإدارية.

د. قوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يوجه المدير إلى أن الموارد المتاحة له ليست ملكا خاصا، بل هي أمانة يجب أن يستثمرها لصالح الجميع، وأنه مسؤول عن توزيعها بعدالة بين العاملين، وهذا يمنع المحسوبية والاستئثار.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يلفت نظر المدير إلى أهمية النظام والترتيب في العمل، فكما أن السماوات سبع في نظام دقيق، كذلك المنظمة الناجحة تحتاج إلى هيكل تنظيمي دقيق، ووظائف محددة، ومسؤوليات واضحة.

و. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعني أن الله يعلم كل تصرفات المدير، حتى ما يخفيه عن مرؤوسيه، فيكون أكثر صدقا وأمانة، وأبعد عن الغش والخداع في التعاملات الإدارية.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي علاجا للقلق الوجودي، فالإنسان الذي يعرف أن حياته هبة من الله، يجد معنى لوجوده، ولا يعاني من الفراغ الوجودي الذي يسبب كثيرا من الاضطرابات النفسية.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يخفف من الخوف من الموت، فمن علم أن الموت ليس نهاية بل انتقال إلى حياة أخرى، هان عليه الموت، وقل عنده القلق المرتبط بفكرة الفناء، وهذا يقلل من اضطرابات القلق والاكتئاب المرتبطة بالموت.

ج. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يمنح الإنسان إحساسا بالأمان والطمأنينة، فمن علم أن له مرجعا يرجع إليه، وأنه ليس تائها في هذا الكون، شعر بالاستقرار النفسي، وهذا يعالج مشاعر الوحدة والاغتراب.

د. قوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعزز الشعور بالأمان الوجودي، فمن علم أن الله خلق له ما في الأرض جميعا، شعر بأن الكون في خدمته، لا ضده، وهذا يقلل من مشاعر الخوف والتهديد التي تسبب القلق.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يثير في النفس شعورا بالرهبة والإجلال، وهذا الشعور الديني العميق له أثر إيجابي على الصحة النفسية، فهو يمنح الإنسان إطارا معنويا يفهم من خلاله حياته، ويقلل من مشاعر العبثية واللامعنى.

و. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يمنح الإنسان شعورا بأنه ليس وحيدا، وأن هناك من يعلمه ويراه ويسمعه، وهذا يقلل من مشاعر العزلة والوحدة، ويعزز الشعور بالاتصال بالآخر الأسمى، وهو ما يحتاجه الإنسان لتحقيق التوازن النفسي.

تاسعا ـ إشارات أحيائية:

أ. قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ يشير إلى أصل الحياة الإنسانية، فالإنسان يمر بمراحل تطورية من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى جنين، وهذه المراحل كانت في حكم الموت ثم تحيا، وهذا يلتقي مع ما يعرفه علم الأحياء عن دورة الحياة الخلوية، وأن الحياة تنتقل من حالة إلى أخرى.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يشير إلى أن الموت ليس نهاية الحياة بل تحول، وهذا يلتقي مع ما يعرفه علم الأحياء من أن المادة لا تفنى ولا تستحدث، بل تتحول من شكل إلى آخر، وأن عناصر الجسد بعد الموت تدخل في دورات بيولوجية جديدة.

ج. قوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن الأرض وما فيها من كائنات وموارد

مسخرة للإنسان، وهذا يلتقي مع مفهوم التوازن البيئي، وأن الإنسان جزء من هذا النظام البيئي، وعليه أن يحافظ عليه ولا يفسد فيه.

د. قوله: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يشير إلى نظام الكون ودقته، وهذا يلتقي مع ما اكتشفه علم الفلك الحديث من أن الكون مبني على نظام دقيق ومتوازن، وأن السماوات السبع قد تشير إلى طبقات الغلاف الجوي أو الأكوان المتعددة التي يتحدث عنها العلماء.

عاشرا ـ إشارات فلكية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يشير إلى أن السماوات سبع، وهذا يلتقي مع ما توصل إليه علم الفلك الحديث من أن الكون المرئي يتكون من طبقات أو مستويات متعددة، وأن هناك عوالم متعددة قد لا نراها بأعيننا المجردة، بل بأدواتنا الحديثة.

ب. قوله: ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ يشير إلى أن السماوات خلقت في نظام متقن ومتوازن، وهذا يلتقي مع ما يعرفه علم الفلك من أن الكون يخضع لقوانين فيزيائية دقيقة، وأن أي خلل في هذه القوانين يجعل الحياة مستحيلة، وهذا ما يعرف بمبدأ الضبط الدقيق في الكون.

ج. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يشير إلى أن العلم الإلهي محيط بكل ما في الكون، وهذا يلتقي مع ما يكتشفه علم الفلك من أسرار الكون، فكلما اكتشف العلماء شيئا جديدا، وجدوا أن الله قد أحاط به علما، وأن العلم البشري مهما تقدم يبقى محدودا أمام العلم الإلهي.

د. قوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن الأرض وما فيها من عناصر وموارد هي مناسبة لحياة الإنسان، وهذا يلتقي مع ما يعرفه علم الفلك من أن الأرض تقع في المنطقة الصالحة للحياة في المجموعة الشمسية، وأن الظروف على الأرض مهيأة بشكل دقيق لاستمرار الحياة.

١١. استخلاف الله للإنسان في الأرض وحكمة اختياره:

المقطع [١١] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يقرر أن الله هو المالك الحقيقي للكون، وأنه يتصرف فيه كيف يشاء، وأن استخلاف الإنسان في الأرض هو فعل إلهي صادر عن مشيئة وحكمة، وليس نتيجة تطور طبيعي أو صدفة عمياء، فالإنسان مخلوق مكرم مختار، والاستخلاف تكليف لا تشريف فقط.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يكشف عن أن الملائكة علمت بطبائع البشر أو أطلعت على ما سيكون منهم، وهذا يثير إشكالا عقديا حول مصدر علمهم هذا، والجواب أن الله ألهمهم ذلك أو أظهر لهم من حال بني الجان أو من اللوح المحفوظ ما جعلهم يتساءلون، وفيه إثبات لعلم الملائكة المحدود مقابل علم الله المطلق.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة قدموا طاعتهم وعبادتهم كسبب يرجحون به أنفسهم للخلافة، وفيه أن العبادة والتسبيح والتقديس هي الغاية من خلق المخلوقات، وأن الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، لكنهم لم يطلعوا على الحكمة الكاملة في خلق الإنسان.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر قاعدة عقدية جوهرية وهي أن علم الله محيط بكل شيء، وأنه يعلم من الحكم والمصالح ما لا تعلمه الملائكة ولا البشر، وأن اعتراض الملائكة لم يكن معصية بل طلب استفسار واستيضاح، وفيه أن الله لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وأن الحكمة الإلهية فوق إدراك المخلوقين.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يثبت أن الإنسان له وظيفة وجودية كبرى، وهي عمارة الأرض وإقامة شرع الله فيها، وأنه ليس خلقا عبثيا، بل هو خليفة عن الله في أرضه، وهذا يمنحه كرامة ومسؤولية، ويجعل حياته ذات معنى وهدف.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الإنسان هو المظهر الجامع لأسماء الله الحسنى، وأن الخلافة هي تحقيق للفطرة الإلهية في الإنسان، فهو خليفة الله في أرضه يحمل أسرار الألوهية ويتجلى فيه النور الرباني، فيكون مرآة تعكس صفات الجمال والجلال.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يرى فيه الصوفي أن الملائكة نظروا إلى ظاهر الإنسان الترابي وما فيه من استعداد للفساد، بينما نظر الله إلى باطنه وما فيه من أسرار القرب

والولاية، فالإنسان عندهم هو الجامع بين الظلمة والنور، وبين التراب والروح، وبين الفساد والصلاح، وهذا سر ابتلائه وامتحانه.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يجد فيه الصوفي أن التسبيح والتقديس هو مقام الملائكة، لكن مقام الإنسان أعلى لأنه مقام الجمع بين العبادة والخلافة، فالإنسان الكامل يجمع بين تسبيح الملائكة وعمارة الأرض، بينما الملائكة وقفوا عند حد التسبيح والتقديس ولم يبلغوا مقام الخلافة.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو عند الصوفي إشارة إلى علم الأسرار والبطون، وأن الله أودع في الإنسان من العلوم اللدنية والأسرار الربانية ما لا تعلمه الملائكة، وأن العبد الصالح إذا صفت سريرته وتجرد عن حوله وقوته، أطلعه الله على ما لا تعلمه الملائكة من لطائف الحكم وحقائق الأمور.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن الإنسان هو المقصود بالذات من الخلق، وأنه هو الكائن الذي يسجد له الملائكة، وأن الخلافة هي مقام القرب والاصطفاء، فينبغي للسالك أن يترقى في مدارج الكمال حتى يتحقق بأسرار هذه الخلافة، فيكون عبدا خليفة، جامعا بين العبودية والنيابة.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الغائية في الوجود، فالإنسان ليس كائنا عابرا في هذا الكون، بل له غاية وهدف، وهو استخلاف الله له في الأرض، وهذا يلتقي مع فلسفة الغائية التي ترى أن لكل مخلوق غاية يسعى نحوها، وأن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على تحقيق معنى وجوده بوعي وإرادة.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول وجود الشر في العالم، فكيف يخلق الله كائنا يعلم أنه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء؟ والجواب الفلسفي أن وجود الشر الجزئي ضروري لتحقيق الخير الكلي، وأن حرية الإنسان هي التي تجعل للخير قيمة، فلو كان الإنسان مجبرا على الخير لما كان له فضل، فالشرور الناشئة عن إساءة استخدام الحرية هي ثمن ضروري لوجود إنسان حر مسؤول.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة مراتب الوجود،

فالملائكة يمثلون العقول المجردة التي لا تشوبها مادة، وهم في تسبيح دائم، لكن الإنسان يمثل مرتبة أعمق وأشمل، لأنه يجمع بين الروح والجسد، وبين العقل والمادة، وهذا الجمع هو ما يجعله قادرا على المعرفة والخلق والعمران.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر الفيلسوف أن الحكمة الإلهية تتجاوز إدراك العقول المحدودة، وأن هناك حقائق لا تدرك بالبرهان العقلي وحده، بل تحتاج إلى إيمان وتسليم، وهذا يضع حدودا للعقل البشري ويقر بوجود ما وراء الطبيعة، وهو ما يلتقي مع فلسفة الحدود التي ترى أن العقل لا يستطيع إدراك الكليات المطلقة.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يدفع الفيلسوف إلى التأمل في فلسفة الإنسان، فالإنسان عند الفلاسفة هو الحيوان الناطق، لكن القرآن يضيف بعدا أعمق، فهو خليفة الله، أي كائن يحمل مسؤولية أخلاقية ووجودية، وهذا يجعله متفردا عن سائر المخلوقات، ويفتح بابا للتفكير في العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان وخالقه.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الإنسان خلق ليكون مسؤولا، وأن الأخلاق ليست ترفا فكريا، بل هي شرط لتحقيق الخلافة، فالخليفة يجب أن يكون أمينا عادلا حكيما، وإلا كان مستخلفا بالفساد لا بالصلاح، فالخلافة تكليف أخلاقي قبل أن تكون منصبا.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يلفت عالم الأخلاق إلى أن الفساد وسفك الدماء هما النقيضان الأخلاقيان للخلافة، فالخليفة الحقيقي هو من يعمر الأرض ويحفظ الدماء، وليس من يخرب ويسفك، وهذه الآية تحدد معيارا أخلاقيا واضحا: الاستخلاف يقتضي الإصلاح لا الإفساد، وحفظ الحياة لا إزهاقها.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة قدموا نموذجا أخلاقيا قائما على الطاعة والعبادة والتقديس، لكن الله أراد أن يريهم أن هناك أخلاقا أسمى، وهي أخلاق الخلافة التي تجمع بين العبادة والعمل، وبين التسبيح والعمران، فالأخلاق الإسلامية ليست أخلاق رهبنة، بل أخلاق بناء وتكليف.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الله يعلم من الإنسان استعدادا للخير والصلاح لا تعلمه الملائكة، وأن الحكم الأخلاقي على الإنسان لا يكون بالنظر إلى استعداده للشر فقط، بل بالنظر إلى قدرته على الخير وترقيته، فالإنسان قادر على أن يكون أفضل من الملائكة، كما أنه قادر على أن يكون أسوأ من الشياطين، وهذا سر تكريمه وابتلائه.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يضع عالم الأخلاق أمام مسؤولية الإنسان الكونية، فالأخلاق ليست علاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان فقط، بل هي علاقة بين الإنسان والكون كله، فهو خليفة الله في أرضه، وعليه أن يحفظ التوازن البيئي والاجتماعي، وأن يكون راعيا للطبيعة وللبشر، وهذا يوسع دائرة الأخلاق لتشمل كل المخلوقات.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمع البشري له أصل إلهي، وأن الإنسان خلق ليعيش في جماعة، فالخلافة لا تتحقق بفرد واحد، بل بمجتمع متعاون، وأن التنظيم الاجتماعي هو وسيلة لتحقيق الغاية من الخلق، وهي عمارة الأرض وإقامة العدل.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يلفت عالم الاجتماع إلى أن الفساد وسفك الدماء هما من أخطر المشكلات الاجتماعية التي تهدد تماسك المجتمعات، وأن المجتمعات البشرية تعاني من هذه الآفات عبر التاريخ، وهذه الآية تشخص الداء قبل أن تقدم الدواء، فالمجتمع الصالح هو الذي يمنع الفساد ويحفظ الدماء.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة مجتمع متجانس في الطاعة والعبادة، لكن الله أراد أن يخلق مجتمعا مختلفا، مجتمعا بشريا يقوم على التنوع والاختلاف، وهذا التنوع هو مصدر غنى وتطور، فالمجتمعات البشرية تزدهر بالاختلاف والتكامل، لا بالتشابه والتطابق.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الله يعلم من الإنسان قدرته على بناء المجتمعات والحضارات، وأنه سينجب الأنبياء والصالحين والشهداء، وأن المجتمع البشري سيكون مسرحا للصراع بين الخير والشر، لكن الخير سينتصر في النهاية، وهذا يعطي عالم الاجتماع رؤية متفائلة بمستقبل البشرية.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يضع عالم الاجتماع أمام مسؤولية المجتمع في تحقيق

العدالة والمساواة، فالخلافة تعني أن البشر جميعا متساوون في الكرامة، وأن التفاضل بينهم بالتقوى والعمل الصالح، وأن المجتمع الذي لا يحقق العدل إنما يخون الأمانة التي حمله الله إياها.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه عالم السياسة أن السلطة السياسية أصلها إلهي، وأن الحاكم هو خليفة الله في أرضه، لكن هذه الخلافة ليست تفويضا مطلقا، بل هي تكليف ومسؤولية، فالحاكم مسؤول أمام الله عن رعيته، وعليه أن يحكم بشرع الله وعدله.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يلفت عالم السياسة إلى أن الفساد وسفك الدماء هما أخطر ما يهدد الدولة والمجتمع، وأن السياسة الحكيمة هي التي تمنع الفساد وتحفظ الدماء، وأن الحاكم الظالم الذي يسفك الدماء إنما يخون الأمانة التي حمله الله إياها.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة قدموا أنفسهم كبديل أفضل، لكن الله اختار الإنسان، وهذا يعني أن السياسة الإلهية اختارت الإنسان ليكون خليفة، وأن الحكم البشري أفضل من الحكم الملائكي، لأن الإنسان يعيش بين الناس ويعرف حاجاتهم، وهذا يبرر مبدأ الشورى والاختيار الشعبي.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الله يعلم أن الإنسان سينتج حضارات ودولا، وأنه سيبني المدن وينظم المجتمعات، وأن هذه الخلافة ستكون سببا في تطور البشرية، وهذا يعطي عالم السياسة رؤية إيجابية عن قدرة الإنسان على الحكم والإدارة.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يضع عالم السياسة أمام مبدأ أساسي، وهو أن السلطة أمانة وليست مغنما، وأن الحاكم يجب أن يشعر بأنه خليفة الله في أرضه، فيحكم بالعدل ويحفظ الحقوق، وأن أي حكم لا يستمد شرعيته من الله وعدله فهو حكم جائر.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الإدارة الحقيقية هي إدارة بالتفويض، فالله فوّض الإنسان إدارة الأرض، وهذا يعني أن المدير الناجح هو من يفوض صلاحياته لمن يثق بهم، وأن التفويض ليس تخليا عن المسؤولية، بل هو أسلوب لتحقيق الأهداف.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يلفت عالم الإدارة إلى أن التخطيط الجيد يستلزم توقع المخاطر، فالملائكة توقعوا الفساد وسفك الدماء، لكن الله كان يعلم أن الفوائد أكبر من المخاطر، وأن الإنسان قادر على تجاوز هذه المخاطر، وهذا يذكر المدير بأن التخطيط يجب أن يتضمن تقييم المخاطر ووضع حلول لها.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة قدموا مؤهلاتهم للخلافة، لكن الله اختار الإنسان لمؤهلات أخرى، وهذا يعني أن الاختيار للقيادة لا يكون بالشهادات والمؤهلات الظاهرة فقط، بل بالكفاءة والقدرة على التعامل مع الواقع، وأن المدير الناجح هو من يجمع بين الكفاءة العملية والرؤية الحكيمة.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الله يعلم من الإنسان قدرات كامنة لا يعرفها الملائكة، وهذا يذكر عالم الإدارة بأن الموظفين لديهم قدرات كامنة لا تظهر إلا بالتدريب والتمكين، وأن المدير الناجح هو من يكتشف هذه القدرات ويوظفها في خدمة المنظمة.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يضع عالم الإدارة أمام مسؤولية الإدارة في تحقيق الأهداف، فالخلافة هي إدارة للأرض وتحقيق لعمارتها، وهذا يعني أن الإدارة الناجحة هي التي تحقق الأهداف المرسومة وتستثمر الموارد المتاحة بأفضل طريقة ممكنة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه المؤرخ أن التاريخ البشري له بداية إلهية، وأن الإنسان لم يظهر في الأرض صدفة، بل كان بتقدير إلهي، وأن التاريخ هو مسيرة الخلافة الإنسانية في الأرض، وأن هذه الخلافة هي التي تفسر صعود الحضارات وسقوطها.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يجد فيه المؤرخ تأكيدا على أن الفساد وسفك الدماء كانا حاضرين في التاريخ البشري منذ البداية، وأن الحروب والصراعات هي جزء من التاريخ الإنساني، لكنها ليست كل التاريخ، فهناك أيضا عصور البناء والازدهار.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة يمثلون التاريخ الملائكي الثابت الذي لا يتغير، بينما الإنسان يمثل التاريخ المتحرك المتطور، وهذا يعني أن التاريخ البشري هو تاريخ صراع

وتطور، وليس تاريخا جامدا، وأن الإنسان هو صانع التاريخ.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الله يعلم أن التاريخ البشري سيشهد أنبياء ورسلا، وسيشهد حضارات عظيمة، وسيشهد انتصارات للخير على الشر، وهذا يعطي المؤرخ رؤية تفاؤلية عن مسار التاريخ، وأن النهاية ستكون للخير والصلاح.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يضع المؤرخ أمام مسؤولية الإنسان في صناعة التاريخ، فالإنسان ليس ضحية للظروف، بل هو فاعل في التاريخ، وعليه أن يتعلم من دروس الماضي، وأن يعمل على بناء مستقبل أفضل، وأن الخلافة هي التي تعطي التاريخ معنى واتجاها.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الإنسان يمتلك إحساسا بالهدف والمعنى في الحياة، وأن هذا الإحساس هو أساس الصحة النفسية، فالخلافة تمنح الإنسان شعورا بأن له دورا في هذا الكون، وأن حياته ليست عبثية، وهذا يقي من الاكتئاب الوجودي والفراغ الروحي.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يلفت الطبيب النفسي إلى أن الإنسان يحمل في داخله نزعات عدوانية وتدميرية، وأن هذه النزعات هي جزء من طبيعته، لكنها ليست كل طبيعته، وأن العلاج النفسي يهدف إلى توجيه هذه النزعات وتفريغها بطرق إيجابية بدلا من التفريغ المدمر.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة يمثلون النموذج المثالي للطاعة والعبادة، لكن الله اختار الإنسان الذي يحمل الصراع الداخلي بين الخير والشر، وهذا يعني أن الصراع النفسي هو جزء من الطبيعة البشرية، وأن الصحة النفسية ليست في خلو النفس من الصراع، بل في إدارته وتوجيهه.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الله يعلم من الإنسان قدرته على تجاوز ذنوبه وأخطائه، وأن الإنسان قادر على التوبة والتغيير، وهذا يعطي الطبيب النفسي رؤية متفائلة عن قدرة الإنسان على الشفاء والتعافي، وأن الفشل ليس نهاية المطاف.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يضع الطبيب النفسي أمام مسؤولية الإنسان في تحقيق ذاته، فالخلافة تعني أن الإنسان مطالب بأن يحقق إمكاناته وأن يستثمر طاقاته، وأن عدم تحقيق هذه

الإمكانات يؤدي إلى الشعور بالإحباط والفشل، وأن العلاج النفسي يهدف إلى مساعدة الإنسان على تحقيق ذاته.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن الأرض هي مورد أساسي للثروة، وأن الإنسان خليفة الله فيها، وهذا يعني أن الموارد الطبيعية ليست ملكا لأحد، بل هي أمانة في يد الإنسان، وعليه أن يستثمرها ويحافظ عليها، وأن الاقتصاد الإسلامي يقوم على مبدأ الاستخلاف في المال والأرض.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يلفت عالم الاقتصاد إلى أن الفساد الاقتصادي كالاحتكار والغش والربا هو من صور الإفساد في الأرض، وأن الاقتصاد الصحي هو الذي يمنع هذه الممارسات، وأن التنمية الاقتصادية الحقيقية هي التي تحقق العدالة وتوزع الثروة.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة قدموا العبادة كقيمة عليا، لكن الله اختار الإنسان الذي يجمع بين العبادة والعمل، وهذا يعني أن الاقتصاد ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق العبادة والعمران، وأن العمل الصالح هو الذي يجمع بين الكسب الحلال والنية الصالحة.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الله يعلم أن الإنسان سيطور الاقتصاد ويبتكر وسائل الإنتاج، وأنه سيبني الحضارات المادية، وهذا يعطي عالم الاقتصاد رؤية إيجابية عن قدرة الإنسان على التنمية والابتكار.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يضع عالم الاقتصاد أمام مسؤولية الإنسان في عمارة الأرض، فالخلافة تعني أن الإنسان مطالب باستثمار الموارد وتنميتها، وأن الاقتصاد الإسلامي هو اقتصاد تنموي يهدف إلى تحقيق الرفاهية للإنسان والمحافظة على البيئة.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه المربي أن التربية تهدف إلى إعداد الإنسان لتحقيق رسالة الخلافة، وأن التعليم ليس مجرد نقل معلومات، بل هو بناء شخصية متكاملة قادرة على تحمل المسؤولية، وأن المربي هو الذي يعد الأجيال ليكونوا خلفاء الله في أرضه.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يلفت المربي إلى أن التربية يجب أن تعالج الجوانب السلبية في الإنسان، وأن تعلمه كيفية التحكم في نزعاته العدوانية، وأن تحوله من شخص قد يفسد في الأرض إلى شخص يعمرها ويصلح فيها، فالتربية هي عملية تحويل الطاقات السلبية إلى طاقات إيجابية.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة قدموا نموذجا في الطاعة، لكن الله اختار الإنسان ليكون خليفة، وهذا يعني أن التربية لا تهدف إلى صنع ملائكة، بل إلى صنع بشر صالحين، يعيشون في الأرض ويتعاملون معها، ويجمعون بين العبادة والعمل.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الله يعلم أن الإنسان قابل للتربية والتغيير، وأن لديه استعدادا للخير والصلاح، وهذا يعطي المربي أملا في إصلاح الطلاب مهما كانت حالاتهم، وأن التربية هي عملية اكتشاف للقدرات الكامنة وتنميتها.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يضع المربي أمام مسؤولية إعداد الإنسان ليكون خليفة صالحا، فالتربية هي إعداد للقيادة والمسؤولية، وأن المربي الناجح هو من يزرع في طلابه الإحساس بالمسؤولية والقدرة على اتخاذ القرار، وأن التربية الحقيقية هي التي تخرج قادة صالحين.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يجد فيه القاضي أن العدالة هي أساس الخلافة، فالله جعل الإنسان خليفة في الأرض ليقيم العدل، وأن القاضي هو أحد ركائز هذه الخلافة، لأنه يحكم بين الناس بالعدل، وأن القضاء هو أمانة عظيمة تتطلب التقوى والعدل.

ب. قوله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يلفت القاضي إلى أن الفساد وسفك الدماء هما من أخطر الجرائم التي تهدد المجتمع، وأن القاضي مطالب بالحكم فيها بحزم وعدل، وأن حماية الدماء والأموال والأعراض هي من أهم وظائف القضاء.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يبين أن الملائكة قدموا أنفسهم كبديل، لكن الله اختار الإنسان، وهذا يعني أن القضاء البشري أفضل من القضاء الملائكي، لأن القاضي البشري يعيش بين الناس ويعرف ظروفهم، وهذا يبرر مبدأ الاجتهاد في الأحكام.

د. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الله يعلم أن الإنسان سيكون عادلا في بعض الأحيان وظالما في أخرى، وأن القاضي يجب أن يجتهد في الوصول إلى الحق، وأن الله سيعينه إذا أخلص النية، وأن الخطأ في الاجتهاد مغفور إذا كان صاحبه مخلصا.

هـ. قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يضع القاضي أمام مسؤوليته في إقامة العدل، فالخلافة تعني أن الإنسان مسؤول عن إقامة العدل في الأرض، وأن القاضي هو أحد الذين يحملون هذه المسؤولية، وأنه سيُسأل أمام الله عن كل حكم حكم به.

١٢. تعليم الله آدم الأسماء وإظهار فضله:

المقطع [١٢] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يدل على أن التعليم الإلهي المباشر هو مصدر المعرفة الأولى للإنسان، وأن الله سبحانه وتعالى هو المعلم الحقيقي، فيقرر أن العلم ليس نتاجا بشريا محضا، بل هو فيض إلهي وهبة ربانية، وأن آدم عليه السلام نال هذا التكريم ليكون خليفة الله في أرضه.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يبين أن الله تعالى أراد إظهار فضل آدم وعلو مرتبته على الملائكة، وأن هذا العرض كان اختبارا للملائكة وإظهارا لحكمة الله في استخلاف الإنسان، فالعرض لم يكن لجهل الملائكة، بل لبيان فضل آدم وتكريمه.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى يختبر صدق ادعاءات الملائكة الذين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فجاء هذا التحدي ليكشف أنهم لا يملكون من العلم إلا ما علمهم الله، وأن علمهم محدود، وأن علم آدم أوسع بما خصه الله به.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يقرر أن علم المخلوقات كلها محدود، وأنهم

لا يملكون علما ذاتيا مستقلا عن تعليم الله، وأن العلم كله من الله، وهذا يثبت أن الله هو العليم الحكيم، وأن كل علم في الكون إنما هو من تعليمه وإلهامه.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يثبت أن العلم والحكمة صفتان ذاتيتان لله تعالى، وأنه لا يعلم الغيب إلا هو، وأن الحكمة الإلهية في أفعاله وأقضيته لا يعترض عليها أحد، وأن ما فعله الله من استخلاف آدم وتكريمه هو عين الحكمة.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى مكن آدم من إظهار علمه أمام الملائكة، وأن هذا الإظهار كان تكريما لآدم وإقامة للحجة على الملائكة، وأن الإنسان مكرم بالعلم والمعرفة التي لم تمنح للملائكة.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقرر أن الله يعلم الغيب كله في السماوات والأرض، وأن علمه شامل لا يخفى عليه شيء، وأن ما أظهره من تعليم آدم كان ضمن علمه المحيط، وأنه يعلم ما يبدون وما يكتمون، وهذا يثبت كمال علم الله المطلق.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى أن المعرفة الحقيقية عند الصوفي هي معرفة الأسماء الإلهية، وأن آدم عليه السلام هو مظهر الأسماء والصفات الإلهية، وأن تعليمه الأسماء هو إشارة إلى أن الإنسان الكامل هو من تجلت فيه الأسماء الإلهية، وأن العلم اللدني هو علم الأسماء الذي يهبه الله لمن اصطفى من عباده.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الله تعالى يظهر أسرار المعرفة لملائكته، وأن هذا العرض هو إظهار لأسرار الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وأن العارف بالله يشاهد هذه الأسرار بعين البصيرة لا بعين الرأس.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يرى فيه الصوفي أن الله تعالى يختبر عباده في مقام الصدق، وأن من ادعى معرفة الله بغير تعليم منه فهو كاذب، وأن الصدق في دعوى المعرفة لا يتحقق إلا بالعلم اللدني الذي يهبه الله لخاصته.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يجد فيه الصوفي إقرار الملائكة بالعجز عن

إدراك أسرار الأسماء، وأنهم لم يملكوا من العلم إلا ما علمهم الله، وهذا يبين أن العلم الحقيقي هو ما يفيض على القلب من الله، وأن العبد لا يملك علما ذاتيا، بل هو فقير إلى تعليم ربه.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يرى فيه الصوفي أن العلم والحكمة صفتان إلهيتان يتصف بهما الله وحده، وأن العارف يصل إلى مقام الفناء في علم الله وحكمته، فلا يرى علما إلا من الله، ولا حكمة إلا منه.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الإنسان الكامل هو الذي يعلم الأسماء الإلهية، وأنه مأمور بإظهار هذا العلم وإفاضته على الخلق، وأن العارف بالله هو الذي ينبئ عن أسرار الأسماء والصفات، ويكون واسطة بين الله والخلق في إيصال المعرفة.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرى فيه الصوفي أن الله يعلم غيب الذوات والأسرار، وأن العارف يسعى إلى كشف الحجب ليشاهد هذا الغيب بنور الله، وأن الله يعلم ما تكنه الصدور وما تخفيه النفوس، وهذا يدفع العبد إلى تصفية قلبه من كل ما يخالف مراد الله.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يثير عند الفيلسوف سؤالا عن مصدر المعرفة الإنسانية، فهل المعرفة فطرية أم مكتسبة؟ والآية تقرر أن المعرفة الأولى كانت بتعليم إلهي مباشر، وهذا يلتقي مع القائلين بوجود معرفة قبلية أو فطرية لدى الإنسان، وأن العقل البشري ليس مصدر المعرفة الأول بل هو أداة لكشف ما وضعه الله في الفطرة.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يدفع الفيلسوف للتأمل في طبيعة المعرفة وحدودها، فالعرض على الملائكة يبين أن المعرفة الكلية لا يملكها إلا الله، وأن المخلوقات مهما بلغت في العلم تبقى محدودة، وهذا يطرح إشكالا فلسفيا حول إمكانية بلوغ الإنسان للحقيقة المطلقة.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يجد فيه الفيلسوف أن الصدق في الدعوى لا يكفي، بل لا بد من البرهان والإثبات، فالملائكة ادعوا أنهم يعلمون ما يفسد في الأرض، فطالبهم الله بالدليل على صدق دعواهم، وهذا يلتقي مع المنهج الفلسفي الذي يشترط البرهان في كل قضية.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يقرر الفيلسوف أن المعرفة البشرية محدودة، وأن الإنسان لا يملك علما مطلقا، وأن كل علم هو هبة من الله، وهذا يلتقي مع نقد العقل البشري وبيان قصوره عن إدراك الكليات، وأن المعرفة اليقينية لا تتحقق إلا بالوحي.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يجد فيه الفيلسوف أن العلم والحكمة صفتان متلازمتان في الله، وأن الحكمة هي وضع الأشياء في مواضعها، وهذا يفتح باب التأمل في غائية الكون، وأن كل ما في الوجود له حكمة وغاية، وأن العلم الإلهي محيط بكل شيء.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة اللغة والاصطلاح، فتعليم الأسماء هو تعليم اللغة والمفاهيم، وأن الإنسان يتميز عن غيره بقدرته على الرمز والتعبير، وأن اللغة هي التي مكنت الإنسان من بناء الحضارة والمعرفة، وهذا يلتقي مع فلسفة اللغة التي ترى أن اللغة شرط المعرفة.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يجد فيه الفيلسوف أن العلم الإلهي يشمل الغيب والشهادة، وأن الله يعلم ما يبدون وما يكتمون، وهذا يطرح إشكالا فلسفيا حول العلاقة بين العلم الإلهي والإرادة الإنسانية، وأن الله يعلم ما سيفعله الإنسان قبل أن يفعله، دون أن ينفي ذلك حرية الإنسان.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى أن العلم هو أساس الأخلاق الفاضلة، فالإنسان الذي علمه الله الأسماء صار أهلا للخلافة، وأن الجهل هو أصل كل رذيلة، وأن العلم النافع هو الذي يثمر عملا صالحا وأخلاقا كريمة.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يشير إلى أن الأخلاق الفاضلة لا تتحقق بالادعاء، بل بالعلم والعمل، فالملائكة ادعوا أنهم خير من آدم، فظهر أنهم لا يملكون العلم الذي يبرر هذا الادعاء، وأن التواضع خلق الملائكة حين أقروا بجهلهم.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يربي خلق الصدق، فالله تعالى يطالب بالصدق مع الدليل، وأن الصدق ليس مجرد قول، بل هو قول مطابق للواقع، وأن من ادعى فضلا بغير

علم فهو كاذب، وأن الصدق من أعظم الأخلاق التي يربيها القرآن.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يربي خلق الاعتراف بالجهل والتواضع، فالملائكة لم يتكبروا ولم يدافعوا عن أنفسهم، بل أقروا بحدود علمهم، وهذا من أعظم الأخلاق، فمن عرف قدر نفسه لم يتكبر على غيره، والاعتراف بالجهل بداية العلم.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يربي خلق التسليم لله والرضا بحكمه، فالملائكة سلموا لله بعلمه وحكمته، ولم يعترضوا على حكمه في استخلاف آدم، وهذا يربي في الإنسان خلق التسليم لله والانقياد لأمره.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يشير إلى أن إظهار العلم ليس للتفاخر، بل لإقامة الحجة وبيان الحق، وأن الإنسان الذي يعلم يجب أن يستخدم علمه في بيان الحق وإظهاره، وأن كتمان العلم من الرذائل، وأن إظهاره من الفضائل.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يربي خلق المراقبة، فالله يعلم ما يبدون وما يكتمون، وأن الإنسان يجب أن يكون مستحضرا لرقابة الله في كل أحواله، وأن هذا الاستحضار هو الضامن الأكبر للسلوك الأخلاقي القويم.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى أن العلم هو أساس التمايز الاجتماعي، وأن المجتمعات التي تملك العلم والمعرفة هي التي تقود الحضارة، وأن تعليم الأسماء هو رمز لنقل المعرفة بين الأجيال، وأن المجتمعات الإنسانية قامت على اللغة والمعرفة المشتركة.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يشير إلى أن التمايز بين الكائنات ليس بالجنس أو النوع، بل بالعلم والمعرفة، فالملائكة مع علو منزلتهم أقروا بفضل آدم لما علمه الله، وأن المجتمعات الإنسانية تتفاضل بالعلم والمعرفة لا بالعرق أو اللون.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الادعاءات الاجتماعية لا تقبل بلا برهان، وأن من يدعي فضلا أو حقا عليه أن يقدم دليله، وأن المجتمعات العادلة هي التي تحكم بالبراهين لا بالادعاءات.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يبين أن الاعتراف بالجهل هو أساس التعلم الاجتماعي، وأن المجتمعات التي تعترف بجهلها وتطلب العلم هي التي تتقدم، وأن التكبر على المعرفة يمنع التطور الاجتماعي.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يقرر أن الحكمة الإلهية في توزيع الأدوار والوظائف الاجتماعية، وأن الله وضع كل شيء في موضعه، وأن المجتمعات الناجحة هي التي تحترم هذا النظام الإلهي في التمايز والاختصاص.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يشير إلى أن المعرفة لها وظيفة اجتماعية، وهي إظهار الحق وبيانه للناس، وأن العالم في المجتمع له مكانة مرموقة، وأن نقل العلم وتعليمه من أهم وظائف المجتمع، وأن آدم هنا هو المعلم الأول للبشرية.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن الله يعلم ما يبدو من المجتمعات وما تخفيه من نوايا، وأن الضمير الاجتماعي لا يغني عن رقابة الله، وأن المجتمعات التي تنسى رقابة الله تفسد وتنحرف.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى أن العلم والمعرفة هما أساس الشرعية السياسية، فآدم عليه السلام لما علمه الله الأسماء صار أهلا للخلافة في الأرض، وأن الحاكم يجب أن يكون من أهل العلم والمعرفة، وأن الجهل يفسد الحكم ويضيع الرعية.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يشير إلى أن تولية الحكام لا تكون بالادعاء، بل بالكفاءة والعلم، فالملائكة ادعوا أنهم أولى بالخلافة، فظهر أن آدم أولى بها لما خصه الله به من العلم، وأن الحكم يجب أن يكون للأكفأ لا للأدعياء.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقرر أن من يدعي حقا في الحكم عليه أن يقدم برهانه، وأن السياسة العادلة هي التي تقوم على الحجة والبرهان، وأن الحاكم الذي لا يملك علما ولا كفاءة لا يصح له أن يحكم.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يبين أن الاعتراف بالعجز عن الحكم خلق

فاضل، فالملائكة أقروا أنهم لا يملكون العلم الذي يؤهلهم للخلافة، وأن من لا يصلح للحكم فعليه أن يعترف بذلك ولا يتطلع إلى ما ليس له بأهل.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يقرر أن الحكمة الإلهية في اختيار الحكام، وأن الله يختار لمن يشاء، وأن الحاكم يجب أن يكون مستحضرا أن الله هو الحكيم في تدبير الأمور، وأنه نائب عن الله في أرضه.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يشير إلى أن الحاكم مطالب بإظهار كفاءته وعلمه، وأن البيان والحجة من أدوات الحكم، وأن الحاكم الذي لا يستطيع أن يبين ويقنع لا يصلح للحكم، وأن آدم أثبت كفاءته بإظهار العلم.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن الله يعلم ما يظهره الحكام وما يخفونه، وأن الحاكم الذي يعلم أن الله مطلع عليه يكون أكثر عدلا وأبعد عن الفساد، وأن رقابة الله هي الضمانة الأكبر لعدالة الحكم.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى أن التدريب والتأهيل هما أساس تولية المناصب، فآدم لم يول الخلافة إلا بعد أن تعلم الأسماء، وأن الإدارة الناجحة تبدأ بالتأهيل العلمي والتدريب العملي قبل تولي المسؤولية.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يشير إلى أن التقييم والمقارنة بين المرشحين للمناصب أمر ضروري، فالله عرض الأسماء على الملائكة ليبين أيهم أولى بالخلافة، وأن الإدارة الناجحة تقوم على التقييم الموضوعي للمرشحين.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقرر أن من يدعي الكفاءة عليه أن يثبتها بالاختبار، فالملائكة اختبروا فلم ينجحوا، وآدم اختبر فنجح، وأن الإدارة الناجحة تعتمد على الاختبارات العملية لا على الادعاءات.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يبين أن الاعتراف بالعجز عن المهمة خلق إداري فاضل، فالملائكة أقروا أنهم لا يملكون العلم اللازم للخلافة، وأن الموظف الذي يعترف بحدود قدراته أفضل ممن يدعي ما لا يحسن.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يقرر أن الحكمة في اختيار الشخص المناسب للمنصب المناسب، وأن الله الحكيم اختار آدم لأنه الأنسب، وأن الإدارة الناجحة هي التي تضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يشير إلى أن المدير الناجح هو الذي يثبت كفاءته بالعمل لا بالكلام، فآدم أثبت جدارته بإظهار العلم، وأن الإدارة الفعالة تقوم على النتائج الملموسة لا على الشعارات.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن الله يعلم ما يظهره الموظفون وما يخفونه، وأن الإدارة الناجحة تحتاج إلى رقابة داخلية تضبط السلوك، وأن مراقبة الله هي أرقى صور الرقابة الذاتية.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى أن بداية التاريخ الإنساني كانت بالعلم والمعرفة، وأن الإنسان بدأ تاريخه بتعلم الأسماء، وأن الحضارة الإنسانية قامت على أساس العلم، وأن أول صفحة في تاريخ البشرية كانت صفحة تعليم.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يشير إلى أن التاريخ الإنساني بدأ باختبار وتمييز، وأن الله أراد أن يبين فضل الإنسان على غيره من المخلوقات، وأن هذا التفضيل كان سببا في بدء الصراع التاريخي بين الخير والشر.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن الأحداث التاريخية الكبرى كانت تقوم على الاختبارات والامتحانات، وأن من يثبت جدارته في الاختبار هو الذي يقود التاريخ، وأن آدم أثبت جدارته فكان أبا البشرية وقائدها.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يبين أن الاعتراف بالجهل كان سمة الملائكة في بداية التاريخ، وأن الأمم التي تعترف بجهلها وتطلب العلم هي التي تصنع التاريخ، وأن التكبر على العلم يؤدي إلى الانحطاط.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يقرر أن الحكمة الإلهية هي التي تدير التاريخ، وأن الله يعلم

ما كان وما سيكون، وأن الأحداث التاريخية تجري وفق علم الله وحكمته، وأن المؤرخ الذي يدرس التاريخ دون إدراك هذه الحقيقة يفوته جوهر التاريخ.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يشير إلى أن إظهار العلم كان لحظة فارقة في التاريخ، ففي هذه اللحظة ثبت تفوق الإنسان على الملائكة، وبدأت مسيرة الإنسان في الأرض، وأن العلم كان أداة التمكين الأولى.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن الله يعلم ما أبداه الملائكة من اعتراض وما كتموه في أنفسهم، وأن التاريخ البشري كله مكشوف لله، وأن الله يعلم بواطن الأمم كما يعلم ظواهرها.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى أن المعرفة والتعلم من أهم عوامل الصحة النفسية، فالإنسان الذي يتعلم ويتطور يشعر بقيمته وذاته، وأن تعلم الأسماء أعطى آدم ثقة بنفسه وأهله للخلافة، وأن الجهل والفراغ المعرفي من أسباب الاضطرابات النفسية.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يشير إلى أن الاختبارات والتحديات جزء من الحياة النفسية، وأن مواجهة التحديات تزيد الثقة بالنفس، وأن آدم واجه التحدي فنجح، وأن تجنب التحديات يؤدي إلى الضعف النفسي.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يلفت نظر الطبيب النفسي إلى أن الصدق مع النفس ومع الآخرين أساس الصحة النفسية، وأن ادعاء معرفة ما لا نعرفه يؤدي إلى القلق والاضطراب، وأن الملائكة حين أقروا بجهلهم حافظوا على صحتهم النفسية.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يشير إلى أن الاعتراف بالجهل والحدود الذاتية من علامات النضج النفسي، وأن من يعرف حدوده لا يصاب بالإحباط، وأن تقبل الذات بحدودها هو أساس الصحة النفسية.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يبين أن التسليم لله والرضا بحكمه يمنح الإنسان الطمأنينة النفسية، فالملائكة سلموا لله فسكنت نفوسهم، وأن من يسلم لله يجد راحة البال، ومن يعترض على قدره

يصاب بالقلق.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يشير إلى أن إظهار الكفاءة والنجاح في المهام يعزز الثقة بالنفس، فآدم لما أنبأهم بأسمائهم شعر بقيمته، وأن النجاح في الأداء من أهم عوامل الصحة النفسية.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن الإيمان بأن الله يعلم ما يبدو وما يخفى يمنح الإنسان الأمان النفسي، فالله يعلم حقيقة الإنسان ونواياه، وأن هذا الإيمان يريح النفس من عناء الرياء والتصنع.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى أن رأس المال الحقيقي هو المعرفة، فآدم لما تعلم الأسماء صار أهلا للخلافة وإدارة الأرض، وأن الاقتصاد الحديث يقوم على المعرفة، وأن من يملك المعرفة يملك الثروة.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يشير إلى أن التقييم والمقارنة بين الفرص الاستثمارية أمر ضروري، فالله عرض الأسماء على الملائكة ليبين أيهم أولى، وأن الاقتصاد الناجح يقوم على التقييم الدقيق للفرص.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقرر أن من يدعي الكفاءة الاقتصادية عليه أن يثبتها بالنتائج، فالملائكة لم يستطيعوا إثبات كفاءتهم، وأن الاقتصاد الحقيقي يقوم على النتائج لا على الادعاءات.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يبين أن الاعتراف بالجهل في المجال الاقتصادي خلق فاضل، فمن لا يعرف السوق عليه أن يتعلم أو يستشير، وأن التهور في الاستثمار دون علم يؤدي إلى الخسارة.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يقرر أن الحكمة في التصرف الاقتصادي مطلوبة، وأن الله الحكيم يرشد من يشاء إلى الرشد في المال، وأن الاقتصاد الناجح يحتاج إلى حكمة في التصرف.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يشير إلى أن إظهار الكفاءة في إدارة الموارد هو أساس النجاح الاقتصادي، فآدم أثبت كفاءته في إدارة المعرفة، وأن من يدير الموارد بحكمة ينجح في الاقتصاد.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن الله يعلم ما يظهره التجار وما يخفونه من غش وخداع، وأن الاقتصاد النزيه هو الذي يستحضر رقابة الله، وأن الغش في المعاملات يؤدي إلى فساد الاقتصاد.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ يشير إلى أن التعليم هو أساس التكريم الإنساني، فالله كرم آدم بالتعليم، وأن المعلم هو الذي يصنع الأجيال، وأن التعليم هو أول مهمة قام بها الله مع الإنسان، وأن المعلم يجب أن يقتدي بالله في تعليمه.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يشير إلى أن التقييم والاختبار جزء من العملية التعليمية، فالله اختبر الملائكة وآدم، وأن الاختبارات تكشف مستوى المتعلمين، وأن المعلم الناجح يستخدم التقييم لتحسين التعليم.

ج. قوله: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقرر أن التعليم لا يقبل الادعاء، بل لا بد من إثبات التعلم، فالملائكة لم يستطيعوا الإجابة، وآدم أجاب، وأن المعلم يجب أن يتأكد من فهم الطلاب لا من حفظهم فقط.

د. قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ يبين أن الاعتراف بالجهل بداية التعلم، فالملائكة أقروا بجهلهم فتعلموا، وأن الطالب الذي يعترف بجهله يستطيع أن يتعلم، وأن المعلم يجب أن يشجع الطلاب على الاعتراف بالجهل.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يقرر أن المعلم الحقيقي هو الله، وأن المعلمين البشر وسائط في التعليم، وأن المعلم الناجح هو الذي يستحضر أن الله هو المعلم الحقيقي، وأنه مجرد ناقل للعلم.

و. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ يشير إلى أن المعلم الناجح هو الذي يمنح طلابه الثقة ويشجعهم على إظهار ما تعلموه، فالله شجع آدم على الإجابة، وأن المعلم يجب أن يدفع طلابه إلى المشاركة والإبداع.

ز. قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن المعلم يجب أن يكون عادلا في تقييمه، فالله يعلم حقيقة كل طالب، وأن المعلم يجب أن يحرص على العدل في التقييم، وألا يظلم طالبا

بسبب ظاهره، فالله يعلم ما يبدو وما يخفى.

١٣. سجود الملائكة لآدم واستكبار إبليس وطرده:

المقطع [١٣] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يقرر حقيقة أن السجود كان تكريما لآدم وتعظيما لأمر الله، لا عبادة لآدم، فالسجود في الشرائع السابقة كان جائزا كتحية، ثم حُرم في شريعة الإسلام، وهذا يبين أن العبادة لا تكون إلا لله وحده، وأن الأمر الإلهي هو الفيصل في تحديد أنواع التعظيم الجائزة.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يدل على أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة، بدليل أنه استثني منهم مع أنه كان مأمورا معهم، وهو من الجن، لأنه خُلق من نار، والملائكة خلقوا من نور، وهذا يبين أن العصيان والاستكبار يمكن أن يوجد في الجن كما يوجد في الإنس، وأن الطاعة لا تنفع مع الكبر.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يفيد أن الإباء والاستكبار هما رأس الخطايا وأصل المعاصي، فإبليس لم يكتفِ بمخالفة الأمر، بل أظهر الكبر والتعالي على أمر الله، وهذا يبين أن الكبر هو الحاجز الأعظم بين العبد وبين طاعة الله، وأنه أول ذنب عُصي الله به في السماوات.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يدل على أن الكفر ليس وليد اللحظة، بل هو نتيجة تراكمية لمواقف سابقة، وأن الله علم في علمه الأزلي أن إبليس سيكفر، فوصفه بذلك قبل أن يقع منه الكفر، وهذا يقرر عقيدة القضاء والقدر، وأن علم الله السابق لا ينافي عدله في المحاسبة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يشير إلى أن آدم عليه السلام هو مظهر التجلي الإلهي في الخليقة، وأن سجود الملائكة له كان سجود تكريم لسر الروح الذي نفخه الله فيه، فيرى الصوفي في هذا الموقف إشارة إلى أن الإنسان الكامل هو الذي تتجلى فيه أسماء الله وصفاته، وأن الملائكة سجدوا لآدم لأنه حمل الأمانة التي عجزت عن حملها السماوات والأرض والجبال.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن السجود لله هو غاية العبودية، وأن

من لم يسجد لله في الدنيا سجود طاعة وإرادة، فلن ينفعه سجود الجسد، فإبليس لم يسجد مع أن جسده كان قادرا، لكن قلبه كان مستكبرا، وهذا يدل على أن العبرة في الأعمال بحضور القلب وسلامة القصد.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يرى فيه الصوفي أن الكبر هو الحجاب الأعظم الذي يحجب العبد عن ربه، وأن إبليس حُجب برؤية نفسه ورؤية أصله، فقال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، فصار نظره مقصورا على ظاهر الخلقة، ولم يتجاوز إلى باطن الأمر، وهذا يبين أن المعرفة الحقة تتطلب الفناء عن رؤية النفس والخلق، والبقاء برؤية الحق.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن الكفر ليس مجرد إنكار باللسان، بل هو حال من حالات القلب، وأن إبليس كان كافرا في علم الله قبل أن يظهر كفره، وهذا يبين أن الأعمال الظاهرة إنما تصدر عن أحوال باطنة، وأن التزكية الحقيقية هي تطهير القلب من دقائق الكفر كالعجب والكبر والرياء.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤالا عن طبيعة التكريم الإلهي للإنسان، وما الذي جعله أهلا لهذا التكريم مع أن الملائكة أسبق منه في الوجود والعبادة، فيجد أن التكريم كان بسبب العلم الذي علمه الله آدم، كما ورد في الآيات الأخرى، وهذا يبين أن القيمة الحقيقية للإنسان ليست في أصله المادي، بل في معرفته وعلمه الذي وهبه الله إياه.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول إمكانية عصيان المخلوق للأمر الإلهي، وكيف يمكن التوفيق بين إرادة الله ومشيئته وبين عصيان إبليس، فيجد الفيلسوف أن هذا الموقف يكشف عن طبيعة الاختيار الإنساني، وأن الله خلق الخلق وهم قادرون على الطاعة والمعصية، وأن الأمر الإلهي لا يجبر أحدا على الفعل، بل هو تكليف يقتضي حرية الاختيار.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الاستكبار هو تعطيل للعقل عن إدراك الحقيقة، لأن إبليس استند إلى قياس ظاهري خاطئ حين فضل النار على الطين، مع أن التفضيل الحقيقي ليس بالعنصر، بل بالطاعة والامتثال، وهذا يبين أن العقل إذا لم يستند إلى وحي صحيح فإنه يضل في أحكامه.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلم الإلهي السابق وعلاقته بالفعل الإنساني، فكيف يوصف إبليس بالكفر قبل أن يفعل؟ فيجد أن العلم الإلهي ليس سببا للإلجاء، بل هو كاشف لما سيكون، وأن وصف الله للأشياء قبل وقوعها يبين أن الزمن ليس حاجزا أمام العلم الإلهي، فهو يعلم الغيب والشهادة معا.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يبين أن الأخلاق الفاضلة تقوم على التواضع، وأن سجود الملائكة لآدم كان نموذجا أخلاقيا في الاعتراف بفضل الآخرين، حتى لو كانوا أقل منهم في المرتبة، فالتواضع هو خلق الملائكة، والكبر هو خلق إبليس.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يلفت عالم الأخلاق إلى أن الامتثال للأمر الأخلاقي لا يكون بالاختيار الفردي فقط، بل بالخضوع للحق مهما كانت تكلفته، فالملائكة لم يتوقفوا عند سؤال لماذا نسجد لمن خُلق بعدنا؟ بل امتثلوا، وهذا يبين أن الأخلاق الحقة تقوم على التسليم للحق لا على المجادلة.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يحلل عالم الأخلاق الكبر بوصفه مرضا أخلاقيا يفسد جميع الفضائل، فإبليس كان عابدا قبل ذلك، لكن كبره أحبط عمله، وهذا يبين أن الكبر يهدم ما بناه الإنسان من فضائل، وأن التواضع هو أساس كل خلق كريم.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يبين أن الأخلاق الظاهرة قد تخفي خلفها كفرا باطنا، وأن العبرة في الأخلاق ليست بالسلوك الظاهري فقط، بل بالنية والاعتقاد، فإبليس كان يظهر الطاعة ثم بطن به الكفر، وهذا يوجب على المربي أن يهتم بتزكية الباطن كما يهتم بتهذيب الظاهر.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يبين أن المجتمعات تقوم على نظام هرمي من التكريم والاحترام، وأن الله نفسه شرع هذا التكريم لآدم، مما يدل على أن التمايز في المراتب ليس ظلما، بل هو سنة إلهية، وأن على المجتمع أن يحترم الكفاءات ويعترف بفضلها.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يلفت عالم الاجتماع إلى أن التماسك الاجتماعي يتطلب امتثال جميع الأفراد للأوامر المشروعة، وأن مخالفة فرد واحد كإبليس يمكن أن تكون بذرة تفكك وتمرد في

المجتمع، فالانحراف الفردي قد يتحول إلى ظاهرة اجتماعية إذا لم يُعالج.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يبين أن الاستكبار هو سبب التمايز الطبقي والصراع الاجتماعي، فإبليس رأى نفسه أفضل من آدم بسبب أصله، وهذا هو عين العنصرية التي ترفضها المجتمعات العادلة، فالمجتمع الذي يقوم على الكبر والتفاخر بالأصول هو مجتمع هش قابل للانهيار.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن التصنيف الاجتماعي ليس بالظاهر فقط، بل بالباطن، وأن المجتمع قد يضم في داخله عناصر منحرفة لا تظهر إلا في المواقف الحرجة، وهذا يستدعي من المجتمع أن يكون يقظا تجاه التيارات الخفية التي قد تهدد تماسكه.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يبين أن السلطة والقيادة في المنظور الإلهي ليست بالوراثة أو القوة، بل بالاستحقاق والتكريم الإلهي، فآدم لم يطلب السجود لنفسه، بل الله هو الذي أمر به، وهذا يبين أن الشرعية السياسية الحقة تأتي من الله قبل أن تأتي من الناس.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يلفت عالم السياسة إلى أن المعارضة قد تكون فردية في بدايتها، لكنها قد تتطور إلى تمرد شامل، فإبليس كان أول معارض لنظام الله، وقد استمر في معارضته إلى يوم القيامة، وهذا يبين أن على النظام السياسي أن يتعامل بحكمة مع المعارضة قبل أن تتحول إلى فتنة.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يبين أن الاستكبار هو سبب سقوط الأنظمة، فإبليس أُخرج من الجنة بسبب كبره، وكذلك الأنظمة التي تستكبر على شعوبها أو على الحق تكون عاقبتها الزوال، فالسياسة التي تقوم على الكبر والاستعلاء محكوم عليها بالفشل.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن بعض العناصر في المجتمع قد تكون كافرة بالحق رغم ظهورها في صفوف الطائعين، وهذا يستدعي من القيادة السياسية أن تكون حذرة من المنافقين والمتمردين الذين يظهرون الطاعة ويبطنون المعصية.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يبين أن الإدارة الناجحة تتطلب الاعتراف بالكفاءات وتكريمها، فالله كرم آدم بالعلم ثم أمر الملائكة بالسجود له، وهذا يبين أن التكريم يجب أن يسبق التكليف، وأن الموظف

الذي يشعر بالتقدير يكون أكثر إنتاجية والتزاما.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يلفت عالم الإدارة إلى أن وجود عنصر واحد متمرد في المؤسسة قد يعطل العمل ويؤثر على بقية الفريق، فالملائكة سجدوا جميعا إلا إبليس، وهذا الاستثناء كان بداية الفساد، فيجب على الإدارة أن تتعامل بحسم مع العناصر المتمردة قبل أن تفسد المناخ العام.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يبين أن الكبر في بيئة العمل يؤدي إلى الفشل، فالموظف المستكبر يرفض الأوامر ويحتقر زملاءه، وهذا يخلق بيئة سامة تقلل الإنتاجية، فالإدارة الناجحة تقوم على التواضع والتعاون لا على الكبر والاستعلاء.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن بعض الموظفين قد يكونون غير مؤمنين برسالة المؤسسة رغم بقائهم فيها، وهذا يستدعي من الإدارة أن تختار موظفيها بعناية، وأن تتأكد من انسجامهم مع قيم المؤسسة وأهدافها، لأن العنصر غير المقتنع قد يخرب العمل من الداخل.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يبين أن التقدير الاجتماعي والاعتراف بالآخرين هو حاجة نفسية أساسية، فالملائكة سجدوا لآدم تكريما له، وهذا التكريم يعزز الشعور بالانتماء والقيمة الذاتية، وهو ما يحتاجه الإنسان لتحقيق الصحة النفسية.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يلفت الطبيب النفسي إلى أن الشعور بالاستثناء السلبي قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية، فإبليس لم يسجد لأنه رأى نفسه استثناء، وهذا الشعور بالتميز السلبي ولّد لديه الحسد والكراهية، وهما من مسببات الاضطرابات النفسية.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يحلل الطبيب النفسي الكبر بوصفه آلية دفاعية غير صحية، فإبليس استخدم الكبر للتعويض عن شعوره بالنقص، لأنه رأى أن أصله النار أقل من أصل آدم الطين، فالكبر هنا يظهر كقناع يخفي الشعور بالدونية، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية الحديثة.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن الكفر والجحود قد يكونان نتيجة لاضطراب في الإدراك، فإبليس لم يستطع رؤية الحقيقة بسبب تشوهه المعرفي، وهذا يبين أن الصحة النفسية ترتبط ارتباطا وثيقا بسلامة التصورات والمعتقدات.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يبين أن التكريم الإلهي للإنسان ليس مرتبطا بموارده المادية، بل بعلمه وقيمته الذاتية، وهذا يوجه عالم الاقتصاد إلى أن التنمية الحقيقية تقوم على الاستثمار في الإنسان أولا، قبل الاستثمار في الموارد المادية.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يلفت عالم الاقتصاد إلى أن الاستثناءات الفردية قد تؤدي إلى اختلال النظام الاقتصادي، فإبليس كان استثناء في الطاعة، وهذا الاستثناء أدى إلى فساد كبير، وكذلك في الاقتصاد، فالعناصر الفاسدة القليلة قد تفسد النظام الاقتصادي كله.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يبين أن الكبر والاستعلاء يؤديان إلى قرارات اقتصادية خاطئة، فإبليس رفض الأمر لأنه رأى نفسه أفضل، وهذا هو عين ما يقع فيه بعض الاقتصاديين والمستثمرين حين يغترون بآرائهم ويرفضون النصائح، مما يؤدي إلى خسائر فادحة.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن الجحود وعدم الاعتراف بالحقائق الاقتصادية قد يكون سببا في الانهيار، فمن ينكر الحقائق الاقتصادية كالتضخم أو البطالة أو الأزمات المالية، يكون مصيره كإبليس الذي أنكر فضل آدم فطرد من الجنة.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يبين أن التربية الحقة تقوم على التكريم والتحفيز الإيجابي، فالله كرم آدم بالعلم ثم أمر الملائكة بالسجود له، وهذا يبين أن المعلم يجب أن يكرّم طلابه ويثق بقدراتهم قبل أن يطلب منهم الإنجاز، فالتكريم يولد الثقة ويحفز على التعلم.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يلفت المربي إلى أن البيئة التعليمية قد تضم طلابا متمردين لا يستجيبون للتوجيه، مثل إبليس الذي رفض السجود، وهذا يستدعي من المربي أن يتعامل مع هذه الحالات بحكمة وصبر، وأن يحاول فهم أسباب التمرد قبل إصدار الأحكام.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يبين أن الكبر هو عائق التعلم الأول، فالطالب المستكبر يرفض التعلم من معلمه أو من زملائه، لأنه يرى نفسه أفضل منهم، وهذا يحرمه من الاستفادة من الخبرات، فالتواضع هو شرط التعلم الحقيقي.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن بعض الطلاب قد يكونون غير مقتنعين بالمنهج التعليمي رغم حضورهم، وهذا يستدعي من المربي أن يعمل على بناء القناعة الداخلية لدى الطلاب، لا أن يكتفي بالامتثال الظاهري، فالإيمان الداخلي هو الضامن للاستمرار في التعلم.

حادي عشر - إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يبين أن العدل يقتضي الاعتراف بالحقوق لأصحابها، فالله أمر الملائكة بالسجود لآدم اعترافا بفضله، وكذلك القاضي يجب أن يعترف بحقوق الناس ويحكم بها دون تحيز أو محاباة.

ب. قوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ يلفت القاضي إلى أن مخالفة الأمر الإلهي كانت بداية الفساد، وكذلك القاضي الذي يخالف القانون أو يحكم بغير الحق يكون بداية للفساد في المجتمع، فالعدل هو أساس الملك، والجور هو أساس الخراب.

ج. قوله: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ يبين أن الكبر يمنع القاضي من قبول الحق، فإبليس رفض السجود لأنه استكبر، وكذلك القاضي الذي يستكبر عن الرجوع إلى الحق إذا تبين له خطأ حكمه، يكون قد وقع في خلق إبليس، فالتواضع للحق من صفات القاضي العادل.

د. قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كافرا بحكم الله، كما أن إبليس كان كافرا بأمر الله، وهذا يوجب على القاضي أن يكون ملتزما بالشريعة في أحكامه، وألا يقدم عليها القوانين الوضعية المخالفة لها.

١٤. إسكان آدم الجنة والنهي عن الشجرة:

المقطع [١٤] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا - إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يدل على أن الله تعالى هو الفاعل المطلق، وأن سكنى آدم الجنة كانت بتدبير إلهي مباشر، لا بمحض اختيار بشري، وهذا يثبت عقيدة القضاء والقدر، وأن أفعال

العباد واقعة بمشيئة الله وإرادته، مع إثبات الاختيار والمسؤولية عليهم.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يبين أن الجنة دار نعيم وسعة، وأن الله لم يمنع آدم وزوجه إلا عن شجرة واحدة، وهذا يدل على أن التكليف الإلهي لا يمنع من التمتع بالطيبات، بل يضع حدودا يسيرة، وأن الامتثال للأمر هو طريق البقاء في النعيم.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فيه إشارة إلى أن النهي الإلهي ابتلاء واختبار، وأن الله يريد من عباده طاعته امتثالا لأمره لا لمصلحة ذاتية، فالقرب من المنهي عنه هو بداية السقوط، والوقوف عند حدود الله هو علامة الإيمان.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يبين أن مخالفة أمر الله ظلم، وأن الظلم يتعدى تعدي الإنسان على غيره إلى تعديه على حدود الله، وفيه إشارة إلى أن الظلم يخرج الإنسان من دائرة العدل الإلهي، ويجعله في زمرة الخاسرين، وأن الله لا يحب الظالمين.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن السكن الحقيقي هو سكنى القلوب في حضرة الله، وأن الجنة التي أسكنها آدم هي جنة القرب والأنس، وأن المؤمن يسعى إلى سكنى جنة المعرفة والذوق في الدنيا قبل جنة الآخرة.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن الرزق الروحي والمعرفي عند الصوفي واسع لا حدود له، وأن القلب إذا دخل في رياض الذكر والمعرفة وجد من الثمار ما يشاء، وأن التوسعة الإلهية لا تنقطع عن السالك ما دام في مقام الطاعة.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يرمز عند الصوفي إلى الشجرة التي هي رمز الحظوظ النفسانية والشهوات الخفية، وأن النهي عنها نهي عن الالتفات إلى غير الله، فمن قرب من شهوات النفس فقد خرج من مقام الجمع إلى مقام الفرق، وسقط من عين ربه.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يجد فيه الصوفي أن الظلم الحقيقي هو وضع الشيء في غير موضعه، وأن من ترك مقام العبودية إلى مقام الاختيار فقد ظلم نفسه، وأن الظلم عندهم هو الحجاب عن الله، فمن أطاع هواه فقد حجب عن مولاه.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الحرية والاختيار، فالإنسان مأمور بالسكنى والتمتع، لكنه في الوقت نفسه مكلف بترك شجرة معينة، وهذا يطرح إشكالية الجبر والاختيار، وأن التكليف لا يكون إلا مع وجود إرادة حرة قادرة على الطاعة أو المعصية.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن الله يقر مبدأ الانتفاع بالخيرات، وأن اللذة المباحة ليست مذمومة في ذاتها، بل المذموم هو تجاوز الحدود، وهذا يلتقي مع النظريات الأخلاقية التي تفرق بين اللذة المشروعة والمحرمة.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يطرح مسألة ماهية الخير والشر، وأن النهي الإلهي هو الذي يحدد الخير والشر، وليس العقل البشري وحده، فالشجرة لم تكن شرا في ذاتها، بل صارت شرا بمخالفة الأمر، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الأخلاق الإلهية.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العدالة الإلهية، فالله لم يظلم آدم حين أخرجه من الجنة، بل آدم ظلم نفسه باختياره المخالفة، وهذا يؤكد أن الظلم هو فعل الإنسان لا فعل الله، وأن الله منزه عن الظلم، وأن العقوبة الإلهية هي نتيجة طبيعية للفعل الحر.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يشير إلى أن الأخلاق الفاضلة تبدأ من الطاعة لله، وأن السكنى في الجنة كانت مشروطة بالامتثال، فالأخلاق ليست مجرد قيم نظرية، بل هي التزام عملي بأوامر الله ونواهيه.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن الأخلاق الإسلامية لا تدعو إلى الحرمان والزهد المطلق، بل إلى التمتع بالطيبات في حدود الشرع، وأن الاعتدال في الاستمتاع هو من مكارم الأخلاق، فالإسراف والتبذير مذموم، والاقتصاد محمود.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يربي في النفس خلق الورع والتقوى، فالورع هو ترك ما يريب إلى ما لا يريب، وأن القرب من الشبهات هو بداية السقوط في المحرمات، وأن أعظم الأخلاق هو الوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يبين أن الظلم ليس فقط في حق الآخرين، بل في حق النفس أيضا، وأن من يخالف الأوامر الإلهية يظلم نفسه، وهذا يرسخ خلق المسؤولية الفردية، وأن الإنسان هو المسؤول الأول عن أفعاله أمام الله.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يشير إلى أن الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، وأن الله خاطب آدم وزوجه معا، مما يدل على أن الحياة الاجتماعية تبدأ من العلاقة الزوجية، وأن السكنى المشتركة أساس الاستقرار الاجتماعي.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن المجتمع الفاضل هو الذي تتوفر فيه سبل العيش الرغد، وأن التمتع بالخيرات يجب أن يكون متاحا للجميع دون استثناء، وأن العدالة الاجتماعية تقتضي توزيع النعم بشكل عادل.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات تحتاج إلى قوانين وحدود تحكم سلوك الأفراد، وأن الحرية المطلقة تؤدي إلى الفوضى، وأن النهي عن بعض الأفعال هو ضرورة اجتماعية لحفظ النظام العام.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يبين أن مخالفة القوانين الاجتماعية تؤدي إلى اختلال التوازن، وأن الظلم الاجتماعي يبدأ من الأفراد الذين يتجاوزون الحدود، وأن المجتمع الذي ينتشر فيه الظلم يفقد تماسكه واستقراره.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يشير إلى أن السلطة السياسية في المنظور الإسلامي هي تكليف ومسؤولية، وأن الحاكم لا يملك الأرض ولا الناس، بل هو مستخلف فيها، وأن الحكم الصالح هو الذي يحقق السكنى الآمنة للناس.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن الدولة مسؤولة عن توفير الرخاء والرفاهية للمواطنين، وأن السياسة الاقتصادية يجب أن تهدف إلى تحقيق العيش الكريم للجميع، وأن التمتع بالخيرات حق مشروع لكل فرد.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يذكر عالم السياسة بأن هناك خطوطا حمراء لا يجوز تجاوزها في الحكم، وأن السلطة ليست مطلقة، بل مقيدة بحدود الله، وأن الحاكم الذي يتجاوز هذه الحدود يخسر شرعيته ويصبح ظالما.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يحذر عالم السياسة من أن الظلم في الحكم يؤدي إلى زوال الدول وسقوطها، وأن العدل هو أساس الملك، وأن الحاكم الظالم يظلم نفسه قبل أن يظلم رعيته، وأن عاقبة الظلم وخيمة في الدنيا والآخرة.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة تبدأ بتحديد الأدوار والمسؤوليات، فالله حدد لآدم وزوجه مكان السكنى، وهذا يشبه تحديد المهام في المنظمات، وأن وضوح الرؤية والرسالة هو أساس العمل المؤسسي.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن الإدارة الفعالة تتيح للموظفين حرية التصرف في حدود صلاحياتهم، وأن التمكين الإداري يزيد من الإنتاجية، وأن القيادة الناجحة لا تقيد الموظفين بتفاصيل صغيرة، بل تترك لهم مساحة للإبداع.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن هناك سياسات وإجراءات يجب الالتزام بها، وأن تجاوز الصلاحيات يؤدي إلى الفوضى التنظيمية، وأن وضع حدود واضحة للسلوك التنظيمي هو ضرورة لضبط العمل.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يحذر عالم الإدارة من أن مخالفة السياسات التنظيمية تؤدي إلى نتائج سلبية على الفرد والمنظمة، وأن الظلم في الإدارة، كالمحاباة والرشوة، يهدم الثقة ويؤدي إلى فشل المنظمة.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يشير إلى أن السكنى النفسية تعني الطمأنينة والاستقرار، وأن الإنسان يحتاج إلى بيئة آمنة لتحقيق الصحة النفسية، وأن العلاقة الزوجية السوية هي أساس السكن النفسي للفرد.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن التمتع بالحياة والانفتاح على الخيرات يقي من الاكتئاب والقلق، وأن الحرمان المفرط يؤدي إلى اضطرابات نفسية، وأن التوازن بين الإشباع والانضباط هو مفتاح الصحة النفسية.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يلفت نظر الطبيب النفسي إلى أن وضع الحدود النفسية ضروري للصحة العقلية، وأن الإنسان الذي لا يعرف حدودا لرغباته يعاني من القلق والإدمان، وأن القدرة على تأجيل الإشباع هي علامة على النضج النفسي.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يبين أن الشعور بالذنب الناتج عن مخالفة القيم يؤدي إلى اضطرابات نفسية، وأن الإنسان الذي يظلم نفسه باتباع هواه يعاني من الصراع الداخلي، وأن التوبة والاستغفار هما طريق استعادة السلام النفسي.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يهدف إلى تحقيق السكنى والاستقرار للإنسان، وأن التنمية الاقتصادية ليست غاية في ذاتها، بل وسيلة لتحقيق حياة كريمة للإنسان.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يشجع على الإنتاج والاستهلاك في حدود الحلال، وأن الرغد في العيش هو حق مشروع، وأن الاقتصاد لا يهدف إلى التقتير بل إلى التوسعة في حدود الشرع.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن هناك قطاعات اقتصادية محرمة، كالربا والغش والاحتكار، وأن الاقتصاد الإسلامي يقوم على مبدأ الحلال والحرام، وأن تجاوز هذه الحدود يؤدي إلى فساد اقتصادي.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يحذر عالم الاقتصاد من أن الكسب غير المشروع هو ظلم للنفس وللمجتمع، وأن الاقتصاد القائم على الظلم والاستغلال يؤدي إلى الأزمات المالية، وأن العدالة الاقتصادية هي أساس الاستقرار.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يشير إلى أن التربية تبدأ من البيت، وأن الأسرة هي المدرسة

الأولى، وأن المربي يجب أن يغرس في نفوس المتعلمين حب الطاعة والالتزام بالأوامر.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن التربية لا تقوم على الترهيب والتخويف فقط، بل على الترغيب والتحبيب، وأن المربي الناجح يقدم للمتعلم خيارات واسعة في حدود القيم، ويشجعه على الاستكشاف والتعلم.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يذكر المربي بأن التربية تقوم على وضع حدود واضحة للمتعلم، وأن تعليم الطفل كلمة (لا) في المواضع الصحيحة هو أساس التربية السليمة، وأن الحزم في تطبيق القواعد ضروري لبناء الشخصية.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يبين للمربي أن مخالفة القواعد لها عواقب، وأن تعليم المتعلم تحمل مسؤولية أفعاله هو جزء أساسي من التربية، وأن الظلم يبدأ من التهاون في تطبيق الحدود، وأن العدل في التربية هو أساس الثقة بين المربي والمتعلم.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يحرص على تحقيق العدل الذي به تستقيم الحياة، وأن العدل هو أساس السكنى الآمنة في المجتمعات، وأن القاضي نائب عن الله في إقامة العدل.

ب. قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يراعي في أحكامه مصلحة الناس وتحقيق الرخاء لهم، وأن العدل لا يعني التقتير على الناس في حقوقهم، بل إعطاء كل ذي حق حقه.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يذكر القاضي بأن هناك حدودا لا يجوز تجاوزها في الأحكام، وأن القاضي يجب أن يلتزم بنصوص الشرع ولا يتجاوزها بهواه، وأن الاجتهاد لا يكون في مخالفة النصوص القطعية.

د. قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يحذر القاضي من أن الحكم بغير ما أنزل الله هو ظلم، وأن القاضي الظالم يظلم نفسه قبل أن يظلم الخصوم، وأن العدل في القضاء هو السبيل لنجاة القاضي في الدنيا والآخرة.

١٥. وسوسة الشيطان وإخراج آدم وزوجه من الجنة:

المقطع [١٥] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا

كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يقرر حقيقة أن الشيطان عدو للإنسان منذ بداية الخليقة، وأن العداوة بينهما ليست طارئة أو عابرة، بل هي عداوة أزلية مقررة في علم الله، وأن الشيطان لا يملك من الأمر شيئا إلا الوسوسة والإغواء، فهو لا يجبر ولا يقسر، بل يزيغ ويزل، وهذا يبين أن فعل الإنسان اختياري، وأن المسؤولية تقع عليه هو لا على الشيطان، فالله لم يقل (فأخرجهما الشيطان) بل قال (فأزلهما) أي جعلهما يزلان بفعلهما واختيارهما.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على أن المخالفة لها عواقب دنيوية قبل الأخروية، وأن الطرد من الجنة كان نتيجة مباشرة للأكل من الشجرة، وهذا يقرر سنة إلهية أن المعصية تحرم الإنسان من النعم، وأن الطاعة سبب لدوام النعم وبقائها.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يثبت أن الأمر الإلهي نافذ لا مرد له، وأن الهبوط كان قضاء إلهيا مقدرا، وفيه إشارة إلى أن الله وحده هو المتصرف في الخلق، يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، وأن مشيئته لا تعارضها مشيئة أحد.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يقرر حقيقة أن العداوة بين الإنسان والشيطان عداوة متبادلة، وأن الشيطان عدو مبين للإنسان، وعلى الإنسان أن يعامله معاملة العدو، بالحذر والترقب وعدم الأمن لمكره، وهذه العداوة مستمرة إلى يوم القيامة، ولا تنقطع إلا بدخول المؤمنين الجنة.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يبين أن الحياة الدنيا ليست دار خلود، بل هي دار انتقال وابتلاء، وأن الاستقرار فيها مؤقت، والمتاع فيها إلى أجل مسمى، وهذا يقرر عقيدة أن الدنيا دار ممر لا دار مقر، وأن الآخرة هي دار القرار.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يشير إلى أن الشيطان لا يصل إلى القلب السليم إلا من باب الغفلة والنسيان، وأن الزلة الأولى كانت بسبب نسيان العهد والميثاق، فالصوفي مطالب بدوام الذكر

والحضور مع الله، لأن الغفلة هي مدخل الشيطان إلى القلب.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن المعصية تحجب العبد عن مقام القرب، وأن الحجاب أعظم من العقوبة، فآدم خرج من الجنة بسبب ذنب واحد، فكيف بمن يكثر من الذنوب؟ وفيه إشارة إلى أن الحجاب عن الله هو أشد العذاب، وأن القرب منه هو أسمى الغايات.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الهبوط إلى الأرض ليس عقوبة محضة، بل هو بداية رحلة العودة إلى الله، فالأرض دار التزكية والابتلاء، وفيها يترقى العبد بالمجاهدة والعبادة حتى يعود إلى الله أطهر مما كان، فالذنب كان سببا في هبوط، والهبوط كان سببا في ترقية.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يرى فيه الصوفي أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس والشيطان، وأن العدو الحقيقي هو النفس الأمارة بالسوء التي تتلبس بوساوس الشيطان، فالمجاهدة هي طريق الوصول، ولا وصول بلا محاربة للهوى والشيطان.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يشير إلى أن الدنيا عند الصوفي متاع زائل لا قيمة له إلا بقدر ما يوصل إلى الله، وأن الاستقرار الحقيقي هو في جوار الله، فالصوفي لا يطمئن إلى الدنيا ولا يسكن إليها، بل يعيش فيها كأنه غريب أو عابر سبيل.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالية الشر في العالم، فكيف يسمح الله للشيطان بإغواء آدم؟ وهل كان ذلك ضروريا لتحقيق غاية أعلى؟ ويرى الفيلسوف أن وجود الشر والخطيئة الأولى كان ضروريا لظهور الإنسان في صورته الكاملة، فالإنسان لا يتحقق بوجوده الفردوسي الساكن، بل بوجوده التاريخي المتحرك، فالهبوط كان بداية التاريخ الإنساني.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يثير عنده مسألة الحرية والمسؤولية، فآدم لم يكن مجبرا على الأكل، بل كان حرا في اختياره، والطرد من الجنة كان نتيجة طبيعية لسوء الاختيار، وهذا يؤكد أن الإنسان كائن حر مسؤول، وأن الحرية هي أساس التكليف والجزاء.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الكمال الإنساني لا يتحقق في حالة السكون والخلود، بل في حالة الحركة والتحول، فالهبوط إلى الأرض كان ضروريا ليتحقق الإنسان بالعلم

والعمل، وليظهر ما فيه من استعدادات كانت كامنة.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يثير عنده إشكالية الصراع في الوجود الإنساني، فالصراع بين الخير والشر، وبين الإنسان والشيطان، هو محرك التاريخ الإنساني، ومن هذا الصراع تنشأ الحضارات والقيم، فالحياة الإنسانية قائمة على التوتر بين المتناقضات.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يثير عنده مسألة الغائية، فالحياة الدنيا ليست غاية في ذاتها، بل هي مرحلة مؤقتة لغاية أبعد، وهذا يلتقي مع رؤية الفلسفة التي ترى أن الوجود الإنساني لا يكتمل إلا بتحقيق غاية أسمى تتجاوز المادة والزمن.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يبين أن الخطيئة الأولى كانت نتيجة لاستجابة الإنسان للوسوسة، وأن الضعف الأخلاقي يبدأ من القلب قبل الجوارح، فالزلة الأخلاقية تبدأ بالاستماع إلى صوت الشيطان الداخلي، ثم تتحول إلى فعل، وهذا يوجه عالم الأخلاق إلى ضرورة تحصين القلب قبل الجوارح.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على أن الأخلاق لها أثر وجودي، فليست الأخلاق مجرد سلوك ظاهري، بل هي التي تحدد مكانة الإنسان ومصيره، فالخروج من الجنة كان بسبب خلق ذميم هو المعصية، وهذا يبين أن الأخلاق هي أساس السعادة والشقاء.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يبين أن الأخلاق لا تتحقق في الفردوس، بل في الأرض، فالأرض هي ميدان الاختبار الأخلاقي، وفيها تتجلى الفضائل من صبر وشكر وتوبة وعفو، فالهبوط كان فرصة لظهور الأخلاق الفاضلة.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يحذر من أن العداوة الأخلاقية الأخطر هي عداوة الشيطان، وأن على الإنسان أن يتخذ من التقوى سلاحا ضد هذه العداوة، وأن الحذر الأخلاقي من الشيطان يكون بمراقبة النفس ومحاسبتها.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يبين أن المتاع الدنيوي ليس هو الغاية الأخلاقية، بل هو وسيلة، وأن الأخلاق الفاضلة هي التي تجعل الإنسان يستعمل المتاع في حدود ما يرضي

الله، فلا يطغى ولا يبطر، بل يشكر ويؤدي الحقوق.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يبين أن الانحراف الاجتماعي يبدأ بفرد أو زوجين، ثم ينتشر، فآدم وحواء كانا نواة المجتمع البشري الأول، وانحرافهما كان بداية الصراع الاجتماعي، وهذا يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح الأسرة والفرد.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على أن المجتمعات التي تنحرف عن القيم تفقد ما كانت تتمتع به من نعم واستقرار، فالخروج من الجنة كان خروجا من حالة الكمال الاجتماعي إلى حالة النقص، وهذا يبين أن الاستقرار الاجتماعي مرتبط بالالتزام بالقيم.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يبين أن الحياة الاجتماعية على الأرض قائمة على الابتلاء والاختبار، وأن المجتمعات الإنسانية كلها تنحدر من أصل واحد، فالهبوط كان بداية التعدد البشري والتنوع الاجتماعي، وهذا يقرر وحدة الأصل الإنساني رغم تعدد الثقافات.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الصراع هو أحد مكونات الحياة الاجتماعية، وأن العداوة بين الإنسان والشيطان تنعكس على العلاقات الاجتماعية، فالمجتمع الإنساني يعيش صراعا دائما بين الخير والشر، وبين الحق والباطل.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يبين أن المجتمعات البشرية مؤقتة في هذه الأرض، وأن الاستقرار الحقيقي ليس في الدنيا، وهذا يوجه عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات التي تظن أنها خالدة في الأرض تفسد وتطغى، بينما المجتمعات التي تستشعر أن أجلها محدود تعمل للاستقرار الحقيقي في الآخرة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يبين أن الانحراف يبدأ بالاستماع إلى وساوس الشيطان، وأن الحاكم الذي يستمع إلى المفسدين والمغرضين يزل ويسقط، فالحكم الصالح يحتاج إلى حذر من وساوس الشيطان التي تزين للظلم والاستبداد.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على أن سوء الإدارة والانحراف عن المنهج يؤدي إلى

فقدان السلطة والنعيم، فآدم فقد الجنة بسبب مخالفته، وكذلك الحاكم الذي يخالف المنهج يفقد سلطانه، فالسلطة أمانة وليست مغنما.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يبين أن الهبوط من الجنة كان بداية لمرحلة جديدة من الابتلاء السياسي، فالأرض دار الحكم والعدل، وفيها يظهر الحاكم العادل والظالم، فالسياسة على الأرض اختبار إلهي.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يحذر من أن العداوة بين الإنسان والشيطان تنعكس على الساحة السياسية، فالشيطان يوسوس للحكام بالاستبداد، وللشعوب بالتمرد، والسياسة الرشيدة هي التي تدرك هذه الحقيقة وتتعامل معها بالتقوى والعدل.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يبين أن السلطة السياسية مؤقتة، وأن الحاكم الذي يظن أنه باقٍ في سلطانه يطغى، بينما الحاكم الذي يستشعر أن سلطانه إلى حين يعمل للآخرة، ويحكم بالعدل، ويترك أثرا طيبا.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يبين أن الخطأ الإداري يبدأ بثغرة صغيرة، فالزلة كانت بسبب الأكل من شجرة واحدة، وهذا يوجه عالم الإدارة إلى أن الرقابة الدقيقة على النقاط الحرجة تمنع الكوارث الكبرى، فالإدارة الناجحة تسد الثغرات الصغيرة قبل أن تكبر.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على أن الخطأ الواحد قد يؤدي إلى خسارة كل شيء، فآدم خسر الجنة بخطأ واحد، وكذلك المنظمة قد تخسر مكانتها بخطأ إداري واحد، وهذا يبين أهمية إدارة المخاطر وتوقع العواقب.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يبين أن الفشل ليس نهاية المطاف، بل هو بداية جديدة، فالهبوط من الجنة كان بداية لإدارة جديدة على الأرض، وهذا يوجه عالم الإدارة إلى أن الأزمات قد تكون فرصا للتحول والتطوير، وأن الإدارة الناجحة تحول الفشل إلى نجاح.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يحذر من أن الصراع الداخلي هو أخطر ما يهدد المنظمات، فالعداوة بين الإنسان والشيطان تنعكس على شكل صراعات داخلية في المؤسسات، والإدارة الناجحة هي التي تحتوي هذه الصراعات وتوجهها نحو الأهداف المشتركة.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يبين أن التخطيط الإداري يجب أن يكون بعيد المدى، وأن الموارد المتاحة مؤقتة، فالإدارة الحكيمة تستثمر المتاح في ضوء المستقبل، ولا تركن إلى الاستقرار المؤقت، بل تستعد للمتغيرات.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يبين أن الإنسان عرضة للانزلاق النفسي، وأن الضعف الإنساني هو مدخل الشيطان، فالوسوسة تشبه الأفكار التلقائية السلبية التي تغزو عقل الإنسان، وهذا يوجه الطبيب النفسي إلى أن علاج الاضطرابات النفسية يبدأ بمعالجة الأفكار قبل السلوك.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على أن الذنب والمعصية ينتجان شعورا بالخسارة والفقدان، وهذا يشبه حالات الاكتئاب التي يشعر فيها الإنسان بفقدان المتع، فالخروج من الجنة كان صدمة نفسية لآدم، وتعلمه التوبة كان طريقا للتعافي.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يبين أن الحياة على الأرض تتطلب التكيف مع الواقع الجديد، وهذا يشبه ما يسمى في علم النفس بالمرونة النفسية، فآدم لم يبقَ في حالة الحزن والندم، بل هبط وتكيف مع الحياة الجديدة، وهذا هو النموذج الصحي للتعامل مع الصدمات.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يلفت نظر الطبيب النفسي إلى أن الشعور بالتهديد المستمر من عدو يسبب القلق والتوتر، والإنسان المؤمن يعيش في حالة تأهب دائم ضد الشيطان، وهذا التأهب إذا كان متزنا يقي من الاضطرابات، وإذا كان مفرطا قد يسبب الوسواس القهري، لذا فالتوازن مطلوب.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يبين أن الإحساس بالاستقرار المؤقت يمنح الإنسان طمأنينة نفسية، فمن يعلم أن له مستقرا ومتاعا إلى حين يعيش مطمئنا، بينما من يظن أن لا مستقر له يعيش في قلق، والإيمان بأن الدنيا مؤقتة يخفف من حدة التعلق بها ومن القلق على فقدانها.

تاسعا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يبين أن التربية لا تخلو من الأخطاء، وأن المربي الناجح هو الذي يتعامل مع أخطاء المتعلمين بحكمة، فآدم أخطأ فلم يطرده الله من رحمته، بل علمه التوبة، وهذا يوجه المربي إلى أن الخطأ جزء من عملية التعلم، وأن المهم هو تصحيح الخطأ لا معاقبة المخطئ.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على أن الأخطاء لها عواقب، وأن على المربي أن يبين للمتعلم أن كل فعل له نتيجة، فالخروج من الجنة كان نتيجة طبيعية للمخالفة، وهذا يربي في المتعلم المسؤولية ووعي العواقب.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يبين أن الحياة العملية تبدأ بعد التعلم من الخطأ، فالهبوط إلى الأرض كان بداية لمرحلة جديدة من التربية والتزكية، وهذا يوجه المربي إلى أن الأخطاء ليست نهاية الطريق، بل هي بداية لمرحلة أعمق من التعلم.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يحذر المربي من أن التربية يجب أن تشمل التحذير من الأعداء، فكما حذر الله آدم من الشيطان، على المربي أن يحذر المتعلمين من أعدائهم، سواء كانوا شياطين الإنس أو الجن، وأن يعلمهم كيف يتعاملون معهم.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يبين أن التربية الدنيوية مؤقتة، وأن الغاية منها هي التربية الأخروية، فعلى المربي أن يربط المتعلم بالآخرة، وألا يجعله يعيش للدنيا فقط، بل يجعله يعمل للدنيا والآخرة معا.

عاشرا- إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يبين أن الشيطان قد يدخل على القاضي من باب الشبهات والشهوات، فيزيغه عن الحق، فعلى القاضي أن يحذر من وساوس الشيطان التي تزين له الجور، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم قبل الحكم.

ب. قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يدل على أن الحكم الجائر له عواقب وخيمة، فآدم خسر الجنة بسبب مخالفته، والقاضي الذي يجور يخسر الآخرة، وهذا يبين أن العدل هو أساس الحكم، وأن الجور سبب للخسران.

ج. قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ يبين أن القضاء على الأرض يختلف عن القضاء في الجنة، ففي الأرض تكثر الخصومات والمنازعات، وعلى القاضي أن يتحمل هذه المسؤولية، وأن يكون على بصيرة في أحكامه.

د. قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يحذر القاضي من أن العداوة بين الناس قد تصل إلى المحاكم، وأن عليه أن يكون حكما عادلا بين المتخاصمين، وألا تميل به العداوة إلى أحد الخصوم، فالعدل مطلوب

حتى مع العدو.

هـ. قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ يذكر القاضي بأن الدنيا مؤقتة، وأن أحكامه ستُعرض على الله، فمن حكم بالعدل فاز، ومن حكم بالجور خسر، وهذا الاستشعار بالآخرة هو الضمان الأقوى لعدالة القاضي.

١٦. توبة آدم بكلمات من ربه ووعد الله بالهداية للمتبعين:

المقطع [١٦] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٧-٣٩]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن التوبة النصوح لا تكون إلا بتوفيق من الله، فآدم لم يبتدئ التوبة من نفسه، بل لقنه الله كلماتٍ هي مفتاح قبولها، وفي هذا دلالة على أن الله ييسر لعباده أسباب المغفرة ويفتح لهم أبواب الرجوع إليه، وأن العبد مهما أذنب فباب التوبة مفتوح أمامه.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يقرر أن التوبة صفة ذاتية لله تعالى، وأنه يقبل توبة عبده متى صدق في رجوعه، وفي هذا بيان أن رحمته سبقت غضبه، وأن التوبة تمحو ما قبلها مهما عظم الذنب.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يدل على أن الهبوط من الجنة كان قدرا إلهيا مقضيا، وأنه ليس عقابا فقط بل هو جزء من خطة إلهية لاستخلاف الإنسان في الأرض، فالهبوط لم يكن نهاية القصة بل بداية مرحلة جديدة من الابتلاء والتمكين.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يثبت أن الهدى يأتي من الله وحده، وأنه ليس من البشر ولا من العقل البشري المجرد، فالهدى الإلهي هو المنهج الذي يخرج الإنسان من الضلال، وهو يتنزل على الأنبياء والرسل لتبليغه للناس.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يبين أن اتباع الهدى الإلهي هو

الضمان الوحيد للأمن النفسي والنجاة من العذاب، فالخوف والحزن منفيان عن أتباع الهدى، وهذه بشارة عظيمة تخص المؤمنين المتبعين لهدى الله في كل زمان ومكان.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يقرر أن الكفر والتكذيب بآيات الله هما سبب الخلود في النار، وأن الجزاء من جنس العمل، فمن كذب بآيات الله عذب في نار الله، والخلود هنا يدل على أن الكفر ليس ذنبا عابرا بل هو انقلاب على الفطرة يستحق الخلود.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن العبد لا يصل إلى مقام التوبة الحقيقية إلا بتعليم إلهي، فالكلمات التي تلقاها آدم هي أذكار وأدعية علمه الله إياها، وفي هذا دلالة على أن الذكر هو وسيلة الوصول إلى الله، وأن العبد الفقير لا يملك من نفسه شيئا بل يتلقى من ربه كل شيء.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يشير إلى أن التوبة الحقيقية هي توبة الله على العبد قبل توبة العبد على نفسه، فالله يوفق العبد للتوبة ثم يقبلها منه، وفي هذا سر من أسرار القرب الإلهي، فالتوبة هبة من الله لا مجرد فعل بشري.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يرى فيه الصوفي أن الهبوط هو مرحلة الغربة والفراق عن الحضرة الإلهية، وأن الإنسان في هذه الدنيا يعيش حالة من الاغتراب عن وطنه الأصلي، فلا يستريح قلبه إلا بالعودة إلى الله، وهذا يفسر حنين الروح إلى عالمها العلوي.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يجد فيه الصوفي أن الهدى الإلهي هو النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو ليس مجرد علم نظري بل هو ذوق وحال يكشف به الله عن قلوب أوليائه، فالهدى الحقيقي هو ما يصل إلى القلب لا إلى العقل فقط.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يشير إلى أن من وصل إلى مقام الاتباع الكامل للهدى الإلهي يصل إلى مقام الأمن والطمأنينة، فلا خوف عليه من المستقبل ولا حزن على الماضي، وهذا هو مقام الرضا الذي يصفو فيه القلب من كل شائبة.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يرى فيه الصوفي أن الكفر ليس مجرد إنكار عقلي، بل هو حجاب يغطي القلب ويمنعه من رؤية آيات الله في الآفاق والأنفس، فالكفر حالة قلبية قبل أن يكون موقفا

فكريا.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤال طبيعة المعرفة الأولى، فآدم تلقى كلمات من ربه قبل أن يمارس أي تفكير فلسفي، مما يدل على أن المعرفة الدينية تسبق المعرفة العقلية، وأن هناك علما يأتي بالوحي لا بالاستدلال.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يطرح على الفيلسوف مسألة الحرية والجبر، فآدم أذنب بمحض اختياره ثم تاب باختياره، والله تاب عليه، فكيف يجتمع فعل العبد مع فعل الله؟ وهذه من أعقد المسائل الفلسفية التي شغلت الفلاسفة والمتكلمين.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يثير إشكالية الشر والابتلاء في العالم، فلماذا أهبط الله آدم من الجنة؟ وهل كان الهبوط ضروريا لتحقيق الغاية من الخلق؟ وهذه إشارة إلى أن الشرور النسبية في العالم قد تكون ضرورية لتحقيق خيرات أعظم.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يقرر الفيلسوف أن الهدى الإلهي هو المصدر الأعلى للمعرفة اليقينية، وأن العقل البشري مهما بلغ من التطور لا يمكنه الاستغناء عن هذا الهدى، لأنه يجاوز حدود العقل التجريبي.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يجد فيه الفيلسوف إجابة عن سؤال السعادة الأسمى، فالسعادة الحقيقية ليست في اللذات الحسية ولا في المعرفة العقلية المجردة، بل في اتباع الهدى الإلهي الذي يحقق الأمن الوجودي للإنسان.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العدالة الإلهية، فهل من العدل أن يخلد الكافر في النار؟ والجواب عند الفيلسوف المؤمن أن الكفر والتكذيب بآيات الله هو انحراف عن الحقيقة نفسها، والخلود في النار هو نتيجة طبيعية للانفصال عن مصدر الوجود.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الاعتراف بالخطأ هو أول خطوات الإصلاح الأخلاقي، فآدم لم يبرر خطأه ولم يلق باللوم على غيره، بل تلقى كلمات التوبة واعترف بذنبه، وهذا هو

أساس الأخلاق الفاضلة.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يدل على أن الأخلاق لا تقوم على اليأس من رحمة الله، فالإنسان مهما أخطأ فباب التوبة مفتوح، وهذا يمنحه أملا يدفعه للتحسن وعدم الاستسلام للخطأ، فالتوبة هي محرك التغيير الأخلاقي.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن الحياة الدنيا هي دار الابتلاء والاختبار، وأن الأخلاق لا تظهر قيمتها إلا في هذه الدار، فالأخلاق هي وسيلة الابتلاء.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يعني أن الأخلاق الفاضلة لا يمكن أن تستمد من العقل البشري وحده، بل لا بد لها من مصدر متعالٍ يضبطها، فالهدى الإلهي هو الذي يحدد معالم الخير والشر، وبدونه تبقى الأخلاق نسبية متقلبة.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يبين أن الأخلاق ليست مجرد التزام بقواعد اجتماعية، بل هي طريق لتحقيق السعادة والطمأنينة النفسية، فصاحب الأخلاق الفاضلة يعيش في أمن وسلام مع نفسه ومع الله.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يلفت عالم الأخلاق إلى أن الكفر والتكذيب ليسا مجرد خطأ فكري، بل هما فساد أخلاقي شامل، لأن من كذب بآيات الله فقد أسقط كل القيم والمبادئ التي تقوم عليها الأخلاق.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن المجتمعات لا تنهض إلا بالاعتراف بالأخطاء وتصحيح المسار، فمجتمع آدم الأول قام على التوبة بعد الخطأ، وهذا يعلمنا أن الأمم لا تسقط بوقوعها في الأخطاء بل بإصرارها عليها.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تتيح لأفرادها فرصة التغيير والإصلاح هي مجتمعات صحية، أما المجتمعات التي تحكم على أفرادها باليأس والاستئصال فهي مجتمعات مريضة، فالتوبة مبدأ اجتماعي قبل أن تكون مبدأ فرديا.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يبين أن الحياة الاجتماعية تقوم على الابتلاء والاختبار، وأن

الهبوط إلى الأرض كان بداية لتكوين المجتمعات البشرية، فالتعايش الاجتماعي لا يكون في الجنة بل في الأرض حيث الاختلاف والتنافس.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يعني أن المجتمعات لا تستقيم إلا بمنهج إلهي يوجهها، فالهدى الإلهي هو الذي يمنع تفكك المجتمعات ويوحد رؤاها، وأي مجتمع يفقد هذا الهدى يفقد تماسكه.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يبين أن المجتمعات التي تتبع الهدى الإلهي تعيش في أمن واستقرار، فلا خوف من المستقبل ولا حزن على الماضي، وهذا هو الضمان الاجتماعي الحقيقي الذي لا توفره الأنظمة الوضعية.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تكذب بآيات الله وتنكر الهدى الإلهي تكون مصيرها الفشل والانهيار، فالكفر بالهدى الإلهي هو سبب انحلال المجتمعات وسقوطها.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الحاكم الذي يعترف بأخطائه ويطلب الصفح من شعبه هو حاكم ناجح، فآدم أبو البشر اعترف بخطئه وتاب، وهذا درس في التواضع السياسي وعدم التعنت.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يشير إلى أن القيادة الناجحة تقوم على مبدأ العفو والتصالح، فالله تاب على آدم بعد خطئه، والحاكم الناجح هو الذي يقبل اعتذار من أخطأ من رعيته ولا يستأصلهم.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني أن السلطة السياسية في الأرض هي تكليف وابتلاء وليست تشريفا، فالهبوط إلى الأرض كان بداية لتحمل المسؤولية، والحاكم مسؤول عن رعيته وسيحاسب على ذلك.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يبين أن السياسة لا تنجح إلا إذا كانت مستندة إلى الهدى الإلهي، فالأنظمة السياسية التي لا تستمد شرعيتها من هذا الهدى تكون عرضة للفشل والظلم، والهدى الإلهي هو الذي يحدد معالم العدل في الحكم.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن الدولة التي تتبع الهدى

الإلهي تعيش في أمن واستقرار، فلا خوف من الأعداء ولا حزن على ما فات، وهذا هو الأمن السياسي الذي تسعى إليه كل الدول.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن الأنظمة التي تكذب بآيات الله وتنكر الهدى الإلهي تكون مصيرها الزوال، فالكفر بالهدى الإلهي هو سبب سقوط الدول وانهيارها.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة تبدأ بالاعتراف بالأخطاء، فآدم أخطأ ثم اعترف وتاب، والمدير الناجح هو الذي يعترف بأخطائه ولا يلقي باللوم على مرؤوسيه.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يشير إلى أن المؤسسات الناجحة هي التي تتيح لأفرادها فرصة تصحيح الأخطاء، فالتوبة في الإدارة تعني إعطاء فرصة ثانية لمن أخطأ، وهذا يزيد الولاء والانتماء للمؤسسة.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني أن العمل في الأرض هو ابتلاء واختبار، وأن المؤسسات تعمل في بيئة مليئة بالتحديات، وعلى الإدارة أن تتعامل مع هذه التحديات بحكمة وصبر.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يبين أن الإدارة الناجحة تحتاج إلى منهج واضح يوجهها، فالهدى الإلهي هو المنهج الأمثل للإدارة، لأنه يضبط العلاقات ويحدد الأولويات ويضمن العدالة.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن المؤسسات التي تتبع منهجا واضحا وقيما ثابتة تعيش في استقرار، فلا خوف من التغيرات ولا حزن على الأخطاء، وهذا هو النجاح الإداري الحقيقي.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن المؤسسات التي تنكر القيم والمبادئ وتكذب بالحقائق تكون مصيرها الفشل، فالإنكار والتكذيب هما سبب انهيار المؤسسات.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الاعتراف بالخطأ هو خطوة علاجية أساسية في الصحة النفسية، فآدم لم يكبت خطأه ولم يبرره، بل اعترف به وتلقى كلمات التوبة، وهذا يخفف من الشعور بالذنب والقلق.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يشير إلى أن قبول الذات بعد الخطأ هو أساس الصحة النفسية، فالله تاب

على آدم، والإنسان يحتاج إلى أن يتصالح مع نفسه بعد أخطائه، وإلا عاش في صراع نفسي دائم.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني أن الحياة الدنيا مليئة بالتحديات والضغوط، وعلى الإنسان أن يتكيف مع هذه الضغوط ولا يعيش في الماضي، فالهبوط كان بداية حياة جديدة تتطلب التكيف.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يبين أن الهدى الإلهي هو مصدر الطمأنينة النفسية، فالإنسان الذي يتبع الهدى الإلهي يعيش في سلام داخلي، أما من يفتقد هذا الهدى فيعيش في حيرة وقلق.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هو وصفة طبية نفسية بامتياز، فنفي الخوف والحزن عن أتباع الهدى يعني أنهم يعيشون في صحة نفسية كاملة، فالخوف من المستقبل والحزن على الماضي هما سببا معظم الاضطرابات النفسية.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن الكفر والتكذيب يرتبطان بالاضطرابات النفسية، فمن ينكر الحقائق ويكذب بها يعيش في صراع داخلي وقلق وجودي، وهذا يؤثر سلبا على صحته النفسية.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الاعتراف بالخطأ في القرارات الاقتصادية هو بداية الإصلاح، فالاقتصادي الناجح هو الذي يعترف بأخطائه ويصحح مساره بدلا من التمسك بالخطأ.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد لا يقوم على اليأس، فحتى بعد الأزمات الاقتصادية هناك فرصة للتعافي، والتوبة هنا تعني إعادة الهيكلة والإصلاح بعد الأزمات.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني أن الاقتصاد في الأرض يقوم على الندرة والابتلاء، فليس كل شيء متاحا بسهولة، وعلى الإنسان أن يعمل ويجتهد لتحقيق الرزق، وهذا هو أساس الاقتصاد.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يبين أن الاقتصاد الإسلامي يستمد قواعده من الهدى الإلهي، فالهدى الإلهي يحدد الحلال والحرام في المعاملات، ويمنع الربا والغش والاحتكار.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن الاقتصاد القائم على الهدى الإلهي يعيش في أمن واستقرار، فلا خوف من الأزمات المالية ولا حزن على الخسائر، لأن المؤمن يوقن بأن الرزق بيد الله.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن الأنظمة الاقتصادية التي تنكر الهدى الإلهي وتكذب به تكون مصيرها الأزمات والانهيارات، فالاقتصاد بلا قيم أخلاقية يؤدي إلى الفساد والظلم.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن التربية تبدأ بتعليم الكلمات الصحيحة، فآدم تعلم كلمات التوبة من ربه، والمربي الناجح هو الذي يعلم تلاميذه الكلمات الصحيحة التي تواجه بها الأخطاء.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يشير إلى أن التربية تقوم على مبدأ التصحيح لا التدمير، فالمربي الناجح لا يحطم شخصية التلميذ عند الخطأ، بل يعلمه كيف يتوب ويصحح مساره.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني أن التربية في الدنيا تقوم على الابتلاء والاختبار، فالتلميذ يتعلم من أخطائه، والمربي يهيئ تلاميذه لمواجهة تحديات الحياة.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يبين أن غاية التربية هي إيصال الهدى الإلهي إلى التلاميذ، فالتربية ليست مجرد نقل معلومات، بل هي توجيه للهدى الإلهي الذي يصلح الحياة.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن التربية الناجحة هي التي تنتج أفرادا يتبعون الهدى الإلهي، وهؤلاء يعيشون في أمن وسلام، وهذا هو الهدف الأسمى للتربية.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن التربية الفاشلة هي التي تنتج أفرادا يكذبون بآيات الله وينكرون الهدى الإلهي، وهؤلاء يكون مصيرهم الفشل في الدنيا والآخرة.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن القاضي الناجح هو الذي يعترف بأخطائه في الأحكام ويصححها، فآدم اعترف بخطئه، والقاضي الذي يخطئ في حكم ثم يصححه أفضل ممن يتمسك بالخطأ.

ب. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يشير إلى أن القضاء يقوم على مبدأ الرحمة والعفو، فالله تاب على آدم، والقاضي الناجح هو الذي يوازن بين العدل والرحمة في أحكامه.

ج. قوله: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني أن القضاء في الأرض يقوم على الابتلاء والاختبار،

فالقاضي يواجه قضايا معقدة تتطلب حكمة وعدلا، وهذا هو جوهر العمل القضائي.

د. قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يبين أن القاضي لا بد أن يستمد أحكامه من الهدى الإلهي، فالهدى الإلهي هو المصدر الأعلى للتشريع، والقاضي الذي يحكم بغير هذا الهدى يكون جائرا.

هـ. قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن القاضي الذي يتبع الهدى الإلهي في أحكامه يعيش في أمن وسلام، فلا يخاف من الله ولا يحزن على ما فاته من منافع الدنيا.

و. قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يكذب بآيات الله وينكر الهدى الإلهي يكون حكمه جائرا، ومصيره في الآخرة النار، وهذا يوجب على القاضي أن يكون من أتباع الهدى.

١٧. تذكير بني إسرائيل بالنعم ودعوتهم للوفاء بعهد الله:

المقطع [١٧] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤٠-٤١]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ يشير إلى أن أصل الدين قائم على تذكر النعم والاعتراف بها، وأن نسيان النعم هو بداية الكفر والجحود، فمن لم يشكر النعمة فقد ضيع أصل الإيمان، ومن شكرها فقد أقر بالمنعم ووحدانيته.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ يقرر أن العلاقة بين الله وعباده علاقة عهد متبادل، فالله عهد على نفسه بالثواب والجزاء لمن أطاعه، وعلى العبد أن يفي بطاعته وعبوديته، وهذا العهد هو ميثاق الفطرة الذي أخذ على بني آدم، وهو ما يعرف في العقيدة بمسألة الميثاق الأصلي.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يفيد أن الرهبة من الله وحده هي أساس التوحيد، فلا يرهب العبد إلا الله ولا يخاف إلا إياه، وهذه الرهبة هي التي تحقق الإخلاص في العبادة وتمنع من الشرك، فالخوف من غير الله بمعنى التأليه والعبادة شرك أكبر.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالكتب السابقة جزء من الإيمان

بالقرآن، وأن التصديق بالقرآن يستلزم التصديق بما قبله من الكتب، فمن كذب بالقرآن فقد كذب بالتوراة والإنجيل أيضا، لأنها كلها من عند الله.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يحذر من أن تكون البداية في الكفر من أهل الكتاب، فمن سبق إلى الكفر بالرسالة الجديدة يكون إثمه أعظم، وفي هذا إشارة إلى أن الريادة في الخير أو الشر لها أثر عظيم في العقيدة، وأن السبق إلى الكفر يضاعف الوزر.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يشير إلى أن استبدال آيات الله بالعرض الدنيوي هو من أعظم صور الكفر، وأن من يقدم المال أو المنصب على الحق فقد اشترى الضلالة بالهدى، وهذا يمس جوهر العقيدة في تقديم الوحي على كل شيء.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ يؤكد أن التقوى هي الجامعة لجميع أحكام العقيدة، فهي تجمع بين الخوف والرجاء والمحبة والطاعة، وهي وصية الله للأولين والآخرين، وفيها إشارة إلى أن التقوى هي ثمرة الإيمان الكامل.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن الذكر ليس مجرد ترديد للسان، بل هو استحضار قلبي للنعم الإلهية، وهذا الاستحضار يورث المحبة والشكر، وهو من مقامات الذكر التي يربي الصوفي نفسه عليها، فذكر النعم طريق إلى شهود المنعم.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى العهد الذي أخذه الله على الأرواح في عالم الذر، وأن الوفاء بهذا العهد هو سر السير إلى الله، فالمؤمن الصادق يحافظ على هذا العهد بمراقبة الله في كل أحواله، وهذا هو معنى الصدق في الطلب.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يشير إلى مقام الخوف الذي هو من مقامات السالكين، فالرهبة عند الصوفي ليست خوفا من العقاب فقط، بل هي خوف من الحجاب والبعد عن الله، وهي رهبة المحبين الذين يخافون أن يحال بينهم وبين محبوبهم.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يرمز عند الصوفي إلى وحدة المشرب الروحي، فجميع الكتب السماوية جاءت من مشكاة واحدة، والأنبياء كلهم على طريق واحد، والقلب السليم يجد

في كل وحي نورا يهديه إلى الله.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يحمل إشارة صوفية إلى ترك التعلق بالدنيا وأعراضها، فمن اشترى الدنيا بالآيات فقد خسر الآخرة، والصوفي يرى أن الدنيا كلها ثمن قليل لا يساوي شيئا أمام كلام الله، فيزهد فيها ويقبل على الله.

و. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هي وصية الصوفي الدائمة، فالتقوى عنده هي مراقبة الله في السر والعلن، وهي التي تصفي القلب من الأغيار، وتجعل السالك في مقام الإحسان حيث يعبد الله كأنه يراه.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الشكر بوصفه فعلا معرفيا وأخلاقيا، فالشكر اعتراف بالفضل، وهو يقتضي إدراك النعمة ومعرفة مصدرها، وهذا يفتح باب التأمل في طبيعة المعرفة الإنسانية وعلاقتها بالوجود.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ يطرح إشكالية العلاقة بين الإلهي والإنساني من حيث هي علاقة تعاقدية، فالفيلسوف يرى أن العقل الأخلاقي يقوم على فكرة الالتزام والوفاء، وهذه الآية تقدم نموذجا للتعاقد المقدس الذي تقوم عليه العلاقة بين الخالق والمخلوق.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الخوف ليس مجرد انفعال نفسي، بل هو قوة معرفية تدفع الإنسان إلى التفكير في مصيره، وهو ما يسميه الفلاسفة بالقلق الوجودي الذي يوقظ العقل من غفلته ويوجهه نحو البحث عن المعنى.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يثير قضية وحدة الحقيقة عبر التاريخ، فالفيلسوف يرى أن الحقيقة واحدة لا تتعدد، وأن ما جاء به الأنبياء هو تأكيد لما سبق، وهذا يدفع إلى التأمل في فلسفة التاريخ الديني ووحدة الرسالة.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يطرح مسألة المسؤولية الأخلاقية عن الأفعال الأولى، فالفيلسوف يدرك أن الأفعال التأسيسية لها أثر كبير في توجيه المجتمعات، وأن السبق إلى الخطأ يتحمل صاحبه وزرا مضاعفا، وهذا يلتقي مع مفاهيم العلة والغائية في الفلسفة.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يثير إشكالية الصراع بين القيم المادية والقيم الروحية،

فالفيلسوف يرى أن الإنسان الذي يقدم المادة على المعنى يفقد جوهر إنسانيته، وأن الحكمة تقتضي تقديم الحق على المنفعة.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هي دعوة فلسفية إلى الفضيلة العليا، فالتقوى عند الفيلسوف هي الحكمة العملية التي تجمع بين المعرفة والفعل، وهي التي تحقق السعادة الحقيقية التي هي غاية الفلسفة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن الشكر هو أساس الأخلاق الفاضلة، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والشكر يربي في النفس خلق التواضع والاعتراف بالفضل، وهو ضد خلق الكبر والجحود.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ يشير إلى أن الوفاء بالعهد هو من أعظم الأخلاق، وهو أساس الثقة بين الناس، فالوفاء بالوعد والعهد هو الذي يبني المجتمعات، ونقض العهد من علامات النفاق، كما ورد في الحديث الشريف.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يشير إلى أن الخوف من الله هو الضابط الأخلاقي الأعظم، فمن خاف الله أطاعه واجتنب معاصيه، وهذا الخوف يمنع الإنسان من ارتكاب المنكرات حتى في الخفاء، فهو رقابة داخلية أشد من رقابة المجتمع.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الفضائل ليست حكرا على أمة دون أخرى، بل هي مشتركة بين جميع الأمم، وأن الإيمان بالرسالات السابقة يربي خلق التسامح والاعتراف بالآخر.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ فيه تربية على خلق المبادرة إلى الخير وعدم التردد، فمن يتأخر عن الحق ويترك غيره يسبقه إلى الكفر يكون قد فرط في خلق الشجاعة الأخلاقية، والمبادرة إلى الحق من علامات الصدق.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يحذر من خلق الطمع والجشع، فالذي يبيع دينه بعرض الدنيا قد فقد الأمانة والصدق، والأخلاق الإسلامية ترفض أن تكون المادة هي المهيمنة على القيم.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هي الجامعة لكل الأخلاق، فالتقوى هي التي تجعل الإنسان يعمل الصالحات ويترك المنكرات، وهي التي تحقق له الكمال الأخلاقي، فمن اتقى الله كان أصدق الناس

وأوفاهم وأعدلهم.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الذاكرة الجماعية هي أساس الهوية، فالمجتمعات التي تنسى تاريخها ونعمها تفقد تماسكها، وتذكير بني إسرائيل بنعم الله هو محاولة لاستعادة الوعي الجمعي وربط الجماعة بجذورها.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ يشير إلى أن المجتمعات تقوم على العقود والمواثيق، وأن الوفاء بالعهد هو الضامن للاستقرار الاجتماعي، فالمجتمع الذي ينتشر فيه نقض العهود هو مجتمع مفكك لا يمكن أن يقوم له بناء.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يبين أن الخوف من الله هو الرادع الاجتماعي الأقوى، فحين يخاف الأفراد الله فإنهم يلتزمون بالقوانين والأخلاق دون حاجة إلى رقابة خارجية، وهذا يقلل من الجريمة والانحراف في المجتمع.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات الدينية ترتبط ببعضها عبر التاريخ، وأن الإيمان بالرسالات السابقة يخلق جسورا من التفاهم بين أتباع الأديان، ويمنع التعصب والانغلاق.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يحذر من أن المجتمعات التي تسبق إلى إنكار الحق تكون قدوة سيئة للأمم الأخرى، فالمجتمع الصالح هو الذي يسبق إلى الخير ويكون قدوة حسنة، والمجتمع الفاسد هو الذي يسبق إلى الشر.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تبيع مبادئها من أجل المصالح المادية تفقد قيمها وهويتها، فالاستقامة الاجتماعية تقتضي تقديم المبادئ على المصالح، وإلا انهار البناء الاجتماعي.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هي أساس الضبط الاجتماعي، فالتقوى تجعل الأفراد يعملون بمقتضى القيم الدينية والأخلاقية، وهذا يخلق مجتمعا متماسكا يقوم على الثقة والعدل.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن الدولة التي تنسى تاريخها ونعمها تفقد شرعيتها، فالذاكرة الوطنية هي أساس الولاء السياسي، والدولة الناجحة هي التي تحافظ على ذاكرة الأمة وتربط الحاضر بالماضي.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ يشير إلى أن السياسة تقوم على العهود والمواثيق، وأن الدولة التي تنقض عهودها تفقد مصداقيتها، فالوفاء بالعهود هو أساس العلاقات الدولية والمحلية، وهو ما يجعل الدول موثوقة في تعاملاتها.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يبين أن الحاكم الذي يخاف الله يكون أعدل في حكمه، فالخوف من الله يمنع الحاكم من الاستبداد والظلم، ويجعله يضع نصب عينيه أن الله سائله عن رعيته، وهذا هو الضمان الأقوى للعدالة السياسية.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الدولة المسلمة لا تنعزل عن الأمم الأخرى، بل تؤمن بكتبهم ورسلهم، وهذا يفتح باب التعايش والحوار بين الأديان، ويمنع سياسات الكراهية والصراع.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يحذر من أن الدولة التي تسبق إلى إنكار الحق تكون مسؤولة عن إضلال غيرها، فالدولة الصالحة هي التي تسبق إلى الخير وتكون قدوة حسنة للأمم، والدولة الفاسدة هي التي تسبق إلى الشر.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يشير إلى أن الدولة التي تبيع مبادئها من أجل المصالح الدنيوية تفقد استقلالها وكرامتها، فالسياسة الإسلامية ترفض أن تكون المادة هي المهيمنة على القيم والمبادئ.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هو أساس السياسة الرشيدة، فالتقوى تجعل الحاكم والمحكوم يعملون بمقتضى الشريعة، وهذا يضمن العدل والأمن والاستقرار في الدولة.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن المنظمات الناجحة هي التي تحافظ على ذاكرتها المؤسسية، وتذكر موظفيها بإنجازاتهم ونعمهم، وهذا يعزز الانتماء والولاء للمنظمة، ويحفز العاملين على بذل المزيد.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة تقوم على الوفاء بالوعود والعهود، فالموظف الذي يفي بوعوده مع زملائه وعملائه يبني الثقة، والمنظمة التي تفي بعهودها مع موظفيها تحقق الاستقرار الوظيفي.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يبين أن الموظف الذي يخاف الله يؤدي عمله بإتقان وأمانة، فالخوف من الله يجعل الموظف يلتزم بالضوابط الأخلاقية والمهنية حتى في غياب الرقابة، وهذا يرفع كفاءة المنظمة.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أهمية الاستفادة من التجارب السابقة، فالمنظمة الناجحة هي التي تبني على خبرات الآخرين ولا تنكرها، وهذا يفتح باب التعاون والاستفادة من الخبرات العالمية.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يحذر من أن المنظمة التي تسبق إلى رفض الأفكار الجديدة تكون سببا في تخلفها، فالمنظمة الناجحة هي التي تتبنى الأفكار الصحيحة وتكون رائدة في تطبيقها.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يشير إلى أن المنظمة التي تبيع مبادئها من أجل الربح السريع تفقد مصداقيتها، فالإدارة الإسلامية ترفض أن تكون المادة هي المهيمنة على القيم، وتؤكد على المسؤولية الاجتماعية للمنظمة.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هو أساس الإدارة الرشيدة، فالتقوى تجعل المدير والموظف يعملان بمقتضى القيم والأخلاق، وهذا يضمن النزاهة والشفافية في العمل الإداري.

ثامنا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه المربي إلى أهمية تربية النشء على الشكر والامتنان، فتعليم الطلاب ذكر النعم يجعلهم أكثر رضا وسعادة، ويبعدهم عن الحسد والجحود، وهذا من أساسيات التربية النفسية السليمة.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ يعلم المربي تلاميذه قيمة الوفاء بالوعد والعهد، فالوفاء من الصفات التي يجب أن يتربى عليها الطلاب منذ الصغر، وهو أساس بناء الشخصية الأخلاقية السوية.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يوجه المربي إلى تربية الطلاب على مراقبة الله في السر والعلن، فالخوف من الله هو الضابط الأخلاقي الذي يجعل الطالب يلتزم بالسلوك القويم حتى في غياب المعلم

والرقابة.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعلم المربي تلاميذه احترام الأديان والثقافات الأخرى، فالتربية الإسلامية تربي على التسامح والتعايش، وتمنع التعصب والانغلاق.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يربي المربي في تلاميذه روح المبادرة إلى الخير، فمن يسبق إلى الخير يكون قدوة حسنة، ومن يسبق إلى الشر يكون قدوة سيئة، والتربية الصحيحة تدفع الطلاب إلى الريادة في الخير.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يوجه المربي إلى تربية الطلاب على تقديم القيم على المصالح المادية، فمن يبيع مبادئه من أجل منفعة دنيوية يفقد كرامته، والتربية الإسلامية تزرع في النفوس حب الحق والخير.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هو غاية التربية الإسلامية، فالمربي يسعى إلى أن يربي جيلا يتقي الله في جميع أعماله، وهذا هو الهدف الأسمى للتربية الدينية والأخلاقية.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن تذكر النعم هو من أهم تقنيات العلاج النفسي الحديث، فالشعور بالامتنان يقلل من الاكتئاب والقلق، ويزيد من الرضا عن الحياة، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية الحديثة.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ يشير إلى أن الوفاء بالعهود والوعود يعزز الصحة النفسية، فنقض العهود يسبب الشعور بالذنب والقلق، بينما الوفاء يمنح الإنسان شعورا بالسلام الداخلي والثقة بالنفس.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يبين أن الخوف من الله بمعنى الخشية والاحترام هو خوف صحي يمنع الإنسان من السلوكيات الضارة، وهو يختلف عن الخوف المرضي الذي يسبب القلق والاضطراب، فالخوف من الله يمنح الإنسان الطمأنينة والأمان.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعزز الشعور بالانتماء للإنسانية جمعاء، وهذا يقلل من مشاعر العزلة والاغتراب، فالمؤمن يرى نفسه جزءا من تاريخ إنساني طويل من الرسالات السماوية.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يحفز الإنسان على المبادرة والثقة بالنفس، فالتردد والخوف

من اتخاذ المواقف بسبب القلق، بينما المبادرة إلى الحق تمنح الإنسان شعورا بالقوة والسيطرة على حياته.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يحذر من أن الانشغال بالمال والماديات يسبب القلق والاضطراب، فالدراسات النفسية تؤكد أن السعي وراء المال بوصفه غاية يزيد من التوتر والاكتئاب، بينما تقديم القيم يمنح الرضا.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هو وصفة الصحة النفسية، فالتقوى تمنح الإنسان معنى للحياة وهدفا يسعى إليه، وهذا يقلل من الفراغ الوجودي الذي يسبب الاضطرابات النفسية، فمن اتقى الله عاش مطمئنا.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن النعم الاقتصادية هي من الله، وأن الشكر عليها يزيدها، فالشكر في الاقتصاد يعني الاستخدام الأمثل للموارد وعدم الإسراف والتبذير، وهذا يحقق التنمية المستدامة.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على الوفاء بالعقود والمواثيق، فالوفاء بالعقود التجارية هو أساس الثقة في الأسواق، ونقض العهود يسبب الفساد الاقتصادي وانهيار الثقة.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يبين أن الخوف من الله يمنع من الممارسات الاقتصادية المحرمة كالغش والربا والاحتكار، فالخوف من الله يجعل التاجر يلتزم بالضوابط الشرعية حتى في غياب الرقابة.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن التشريع الاقتصادي الإسلامي ليس مبتدعا، بل هو حلقة ضمن منظومة تشريعية تاريخية، وهذا يفتح باب الاستفادة من التجارب الاقتصادية السابقة.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يحذر من أن الاقتصاد الذي يسبق إلى رفض التشريعات الإلهية يكون سببا في فساده، فالاقتصاد الناجح هو الذي يلتزم بالضوابط الشرعية والأخلاقية.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يرفض أن تكون المادة هي المهيمنة على القيم، فالربح الحلال لا يكون على حساب المبادئ، والاقتصاد الذي يبيع مبادئه من أجل

الربح يفقد بركته.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هو أساس الاقتصاد الإسلامي، فالتقوى تجعل التاجر والمستهلك يعملان بمقتضى الضوابط الشرعية، وهذا يحقق العدالة الاقتصادية والتوازن في السوق.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن نعمة القضاء هي من أعظم النعم، وأن عليه أن يشكر الله عليها بالعدل في أحكامه، فمن استعمل نعمة القضاء في الظلم فقد كفر بها.

ب. قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ يشير إلى أن القاضي ملزم بالوفاء بعهد الله في الحكم بالعدل، فالعهد الذي أخذه الله على القضاة هو أن يحكموا بالحق ولا يتبعوا الهوى، ونقض هذا العهد هو من أعظم الخيانات.

ج. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يبين أن القاضي الذي يخاف الله يكون أعدل في أحكامه، فالخوف من الله يمنعه من الرشوة والمحاباة والظلم، ويجعله يضع نصب عينيه أن الله سائله عن كل حكم.

د. قوله: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يوجه القاضي إلى أن التشريع الإسلامي متصل بالتشريعات السابقة، وأن عليه أن يستقي أحكامه من هذا المنهج المتصل، وأن يحترم الشرائع السابقة.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يحذر القاضي من أن يكون أول من يرفض أحكام الشريعة، فالقاضي الذي يسبق إلى رفض الشريعة يكون قدوة سيئة، والقاضي العادل هو الذي يسبق إلى تطبيقها.

و. قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يحذر القاضي من أن يبيع حكمه بالمال أو المنصب، فالرشوة في الحكم من أعظم الكبائر، والقاضي الذي يشتري بآيات الله ثمنا قليلا قد خسر الدنيا والآخرة.

ز. قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هو وصية الله للقضاة، فالتقوى هي التي تضبط أحكامهم وتمنعهم من الظلم، والقاضي الذي يتقي الله يكون حكمه عدلا، ويرضي الله ورسوله والمؤمنين.

١٨. النهي عن خلط الحق بالباطل وكتمانه مع الأمر بالصلاة والزكاة:

المقطع [١٨] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٢-٤٣]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يشير إلى أن الحق في العقيدة لا يقبل المزج بالباطل، فالإيمان الصحيح يقوم على التوحيد الخالص، وأي خلط بين الحق والباطل يفسد العقيدة ويحرفها، وهذا نهي عن التلفيق بين التوحيد والشرك، وبين ما أنزل الله وما ابتدعه البشر.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يبين أن كتمان الحق بعد معرفته من كبائر الذنوب التي تمس أصل العقيدة، لأن كتمان الحق يوقع الناس في الضلال، والعالم بالحق مطالب بإظهاره، وكتمانه خيانة لله وللناس، وهو من صفات أهل الكتاب الذين عرفوا صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم كتموه.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يربط بين العقيدة والعبادة، فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هما من مظاهر الإيمان العملي، وهما دليل على صدق العقيدة في القلب، فالعقيدة ليست مجرد تصديق نظري بل تظهر في سلوك العبد وعبادته.

د. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يشير إلى أن العقيدة تقتضي الجماعة والوحدة، فلا يكون المؤمن منفردا في عبادته، بل يكون مع الجماعة المؤمنة، وهذا يربي في النفس روح الانتماء للأمة، ويحذر من الانعزال الذي يضعف العقيدة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى ضرورة تصفية القلب من الشوائب والعلائق الدنيوية، فكما أن الحق لا يلبس بالباطل في القول، كذلك لا يلبس القلب بالغفلة والهوى، فالباطل عندهم هو كل ما يشغل القلب عن الله.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يشير عندهم إلى أن من وصل إلى معرفة الحقائق الإلهية بالكشف والذوق، يجب عليه أن يظهرها بحسب ما يقتضيه المقام، وكتمانها مع العلم بها من علامات البخل الروحي، فالعالم الرباني لا يبخل على الخلق بما فتح الله عليه من أسرار.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ هي عندهم إشارة إلى إقامة القلب في حضرة الله، فالصلاة عند الصوفي ليست مجرد حركات ظاهرية، بل هي اتصال روحي يذوب فيه العبد في شهود محبوبه، وإقامتها هي دوام الحضور القلبي مع الله.

د. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يرمز عندهم إلى تزكية النفس من الأخلاق الذميمة، فالزكاة الحقيقية عندهم هي تطهير القلب من الشح والبخل، وبذل ما في اليد وما في النفس في سبيل الله، فالزكاة المالية صورة من صور الزكاة الباطنية.

هـ. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يشير إلى لزوم الصحبة الصالحة والجماعة، فالراكعون هم أهل الحضرة والوصال، ومن أراد الله فعليه أن يكون معهم، وفي هذا إشارة إلى أن السير إلى الله لا يكون في عزلة تامة بل في صحبة أهل الله.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة التمييز بين الحقيقة والوهم، فالحق عنده هو ما يطابق الواقع، والباطل هو ما يخالفه، والآية تدعو إلى نقاء المنهج المعرفي وعدم الخلط بين البرهان والشبهة، وهذا أصل من أصول المنطق.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يطرح إشكالية أخلاقية معرفية، وهي أن العلم ليس مجرد إدراك نظري، بل هو مسؤولية أخلاقية، فمن عرف الحقيقة وجب عليه إظهارها، وكتمانها خيانة للعقل وللإنسانية، وهذا يلتقي مع مفهوم الفيلسوف الحكيم الذي يرى أن الحكمة نور يجب نشره.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يرى فيه الفيلسوف أن العبادة والمعاملات المالية ليست منفصلة عن الفلسفة العملية، فالصلاة هي تمرين على التأمل والاتصال بالمبدأ الأول، والزكاة هي تطبيق عملي للعدالة التوزيعية التي نادى بها فلاسفة الأخلاق.

د. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يشير إلى أن الحكمة لا تتحقق في عزلة، بل في جماعة تتعاون على الحق، فالفيلسوف الحقيقي ليس من ينعزل عن الناس، بل من يشاركهم في سعيهم نحو الخير والحق، وهذا يلتقي مع مفهوم المدينة الفاضلة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يضع أساسا أخلاقيا مهما، وهو الصدق في القول والفعل، فالخلط بين الحق والباطل هو نوع من النفاق والمراوغة، والأخلاق القرآنية تقوم على الوضوح والصراحة وعدم التمويه.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يحذر من خلق الكتمان والخداع، فكتمان الحق ظلم للناس وللأمانة العلمية، والأخلاق الفاضلة تقتضي إظهار الحق ولو كان ضد مصلحة الشخص، وهذا من أعلى درجات الشجاعة الأخلاقية.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ تربط العبادة بالأخلاق، فالصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر هي مدرسة أخلاقية يومية، وهي التي تربي في النفس الصدق والأمانة والخشوع، فمن أقامها حق إقامتها كان خلقه قرآنا.

د. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يغرس خلق السخاء والكرم، فالزكاة تطهر النفس من الشح والبخل، وتعلم العبد أن المال ليس غاية بل وسيلة، وأن السعادة في العطاء والبذل، وهذا من أسمى الأخلاق الإنسانية.

هـ. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يربي خلق التواضع والانتماء، فالركوع مع الجماعة يعلم الإنسان أنه جزء من كل، وأنه ليس أفضل من غيره، فيتواضع لكبره ويشعر بالمسؤولية تجاه إخوانه، وهذا من جوهر الأخلاق الاجتماعية.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات لا تستقيم إذا اختلطت فيها المعايير، فالخلط بين الحق والباطل يخلق فوضى اجتماعية وانهيارا للقيم، والمجتمع السليم هو الذي تكون فيه الحدود واضحة بين الصواب والخطأ.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى أن كتمان الحق في المجتمع يؤدي إلى تفشي الجهل والفساد، فالعلماء والمفكرون إذا كتموا الحق الذي يعرفونه كانوا شركاء في إفساد المجتمع، والمجتمع لا يتقدم إلا بشفافية المعرفة وانتشارها.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يبين أن الصلاة مؤسسة اجتماعية كبرى، فهي تجمع الناس خمس مرات في اليوم، وتوحدهم في صفوف متلاصقة، وهذا يعزز التماسك الاجتماعي ويكسر الحواجز الطبقية، فالصلاة مدرسة للمساواة والوحدة.

د. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ هو نظام اجتماعي متكامل، فالزكاة تعيد توزيع الثروة في المجتمع،

وتضمن حياة كريمة للفقراء، وتقلل من الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وهذا يحقق الاستقرار الاجتماعي ويمنع الحقد الطبقي.

هـ. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يدعو إلى الاندماج الاجتماعي وعدم الانعزال، فالمؤمن مطالب بأن يكون مع الجماعة لا منعزلا عنها، وهذا يربي روح الجماعة والتعاون، ويحارب الفردية والأنانية التي تمزق المجتمعات.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن السياسة العادلة هي التي تفصل بين الحق والباطل، ولا تخلط بينهما لأغراض مصلحية، فالسياسة التي تقوم على التمويه والخداع هي سياسة باطلة، والسياسة الرشيدة هي التي تعلن الحق ولو كان مرا.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يحذر الحكام والساسة من كتمان الحق عن الرعية، فكتمان الحق في السياسة يؤدي إلى فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم، والدولة القوية هي التي تقوم على الشفافية والصراحة، لا على التعتيم والتضليل.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يذكر الدولة بأن إقامة الصلاة من واجباتها، فالدولة الإسلامية مسؤولة عن تهيئة الأجواء لإقامة الشعائر، وعن حماية دور العبادة، وهذا يجعل الدين جزءا من السياسة العامة للدولة.

د. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يوجه السياسة المالية للدولة، فالزكاة نظام مالي إلزامي تجبيه الدولة وتوزعه على مستحقيه، وهذا يحقق العدالة الاجتماعية، ويجعل الدولة مسؤولة عن رعاية الفقراء والمحتاجين.

هـ. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يدعو إلى وحدة الصف السياسي، فالراكعون هم الجماعة المؤمنة، وعلى السياسيين أن يكونوا مع الجماعة لا منفصلين عنها، وأن يعملوا على توحيد الأمة لا تفريقها، فالوحدة قوة والتفرق ضعف.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يضع مبدأ النزاهة والشفافية في الإدارة، فالخلط بين الحق

والباطل في التقارير والحسابات هو فساد إداري، والإدارة الناجحة هي التي تفصل بين الصحيح والفاسد، وتعلن الحقائق كما هي دون تجميل.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يحذر من كتمان المعلومات في المؤسسات، فالإدارة الشفافة هي التي تتيح المعلومات لمن يحتاجها، وكتمان الحق يؤدي إلى اتخاذ قرارات خاطئة، ويفقد الثقة بين الإدارة والموظفين.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يذكر الإدارة بأهمية الانضباط في المواعيد، فالصلاة في أوقاتها تربي على الالتزام بالجدول الزمني، وهذا ينعكس على إدارة الوقت في العمل، فالموظف الذي يحافظ على الصلاة هو أكثر انضباطا في عمله.

د. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يشير إلى المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات، فالإدارة الناجحة لا تهدف إلى الربح فقط، بل تتحمل مسؤوليتها تجاه المجتمع، وتخصص جزءا من أرباحها للإنفاق على المحتاجين، وهذا يعزز سمعة المؤسسة ويحقق الاستدامة.

هـ. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يدعو إلى العمل الجماعي وروح الفريق، فالإدارة الناجحة هي التي تعمل بروح الجماعة، وتشجع الموظفين على التعاون بدل التنافس السلبي، فالركوع مع الراكعين رمز للعمل الجماعي المتواضع.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أساسا للصحة النفسية، فالخلط بين الحق والباطل يسبب اضطرابات نفسية، لأن الإنسان الذي يعيش في تناقض بين ما يعرف وما يفعل يعاني من القلق والصراع الداخلي، والصدق مع النفس هو بداية الشفاء.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى أن كتمان الحق وعدم التعبير عنه يسبب كبتا نفسيا، فالذي يكتم ما يعرفه يعيش في توتر دائم، والعلاج النفسي الحديث يشجع على التعبير الصادق عن الذات، وهذا ما تدعو إليه الآية.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ هي علاج نفسي فعال، فالصلاة تمنح الإنسان لحظات من السكينة والطمأنينة، وتقطع التفكير السلبي المتكرر، وهي تشبه تقنيات الاسترخاء والتأمل التي ينصح بها

المعالجون النفسيون.

د. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فيه علاج للأنانية والاكتئاب، فالعطاء والبذل يمنحان الإنسان شعورا بالقيمة والسعادة، وقد أثبتت الدراسات أن العمل الخيري يقلل من أعراض الاكتئاب ويزيد من الرضا عن الحياة.

هـ. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يعالج الشعور بالوحدة والعزلة، فالانتماء إلى جماعة تعبد الله معا يمنح الإنسان دعما اجتماعيا، ويقلل من مشاعر الوحدة والاغتراب، وهذا من أهم عوامل الصحة النفسية.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يضع أساسا أخلاقيا للاقتصاد، فالخلط بين الحلال والحرام في المعاملات المالية هو فساد اقتصادي، والاقتصاد الإسلامي يقوم على وضوح الحلال والحرام، وعدم التمويه في العقود والبيوع.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يحذر من الغش والتدليس في المعاملات، فكتمان عيوب السلعة أو المعلومات الجوهرية في العقود هو غش محرم، والاقتصاد النزيه يقوم على الإفصاح الكامل والشفافية في التعاملات.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يذكر الاقتصادي بأن النشاط الاقتصادي ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق العبودية لله، فيجب ألا يلهي التجارة والبيع عن ذكر الله، وهذا يحقق التوازن بين العمل والعبادة.

د. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ هو النظام الاقتصادي الإسلامي الأساسي، فالزكاة ليست صدقة اختيارية بل فريضة مالية، وهي أداة لإعادة توزيع الثروة، وتنشيط الاقتصاد، وتحقيق التكافل الاجتماعي، وهي من أهم أدوات السياسة المالية في الإسلام.

هـ. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يشير إلى أن النشاط الاقتصادي يجب أن يكون في إطار الجماعة، لا على حسابها، فالمسلم يعمل ويكسب ويزكي ويشارك في الجماعة، وهذا يحقق التوازن بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يوجه المربي إلى ضرورة تعليم الطلاب التمييز بين الصواب والخطأ، وعدم خلط المفاهيم، فالتربية الناجحة هي التي تزرع في نفوس الطلاب القدرة على النقد والتمييز، وعدم قبول الخلط بين الحق والباطل.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يحذر المعلم من كتمان العلم عن الطلاب، فالمعلم الذي يكتم ما يعرفه يخون الأمانة العلمية، والتربية تقوم على نشر العلم وبذله، فالعلم أمانة يجب أداؤها.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يذكر المربي بأن التربية الروحية جزء أساسي من التربية، فلا يكفي تعليم العلوم الدنيوية، بل يجب تربية الطلاب على العبادة والاتصال بالله، وهذا يحقق التربية المتكاملة للعقل والروح.

د. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يربي الطلاب على خلق العطاء والبذل، فالتربية على الزكاة تخرج جيلا غير أناني، يعرف حقوق الآخرين في ماله، ويسعى لمساعدة المحتاجين، وهذا من أهداف التربية الاجتماعية.

هـ. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يعلم الطلاب أهمية الجماعة والعمل الجماعي، فالتربية الفردية وحدها لا تكفي، بل يجب تربية الطلاب على الاندماج في الجماعة، والمشاركة في الأنشطة الجماعية، وهذا يعدهم للحياة الاجتماعية.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يوجه القاضي إلى ضرورة الفصل بين الحق والباطل في الأحكام، فالقاضي العادل هو الذي يميز بين المحق والمبطل، ولا يخلط بينهما، وأي خلط في الأحكام هو ظلم وجور.

ب. قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يحذر القاضي من كتمان الشهادة أو كتمان الحق في القضاء، فالشهادة أمانة، وكتمانها إثم، والقاضي الذي يعلم الحق ويحكم بخلافه فهو كاتم للحق، وهذا من أكبر الذنوب.

ج. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يذكر القاضي بأنه يحتاج إلى قوة روحية لتحمل أعباء القضاء، فالصلاة تمنحه السكينة والطمأنينة، وتعينه على العدل، فالقاضي الذي يصلي ويخشع في صلاته يكون أكثر

إنصافا.

د. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يذكر القاضي بأحكام المال في الإسلام، فالزكاة حق واجب في المال، وعلى القاضي أن ينصف الفقراء في قضايا الأموال، وألا يحكم بما يظلم الضعفاء.

هـ. قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يذكره بأنه جزء من الجماعة، وليس فوقها، فالقاضي يجب أن يكون متواضعا، وأن يشعر بأنه خادم للعدالة في الجماعة، لا سيدا عليها، وهذا يمنعه من الاستبداد والظلم.

١٩. الأمر بالمعروف والعمل به والاستعانة بالصبر والصلاة:

المقطع [١٩] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٤-٤٦]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يشير إلى أن الإيمان ليس مجرد أقوال أو دعاوى، بل هو اقتران بالعمل والسلوك، وأن من يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون أولى الناس بالامتثال لما يدعو إليه، وإلا كان متناقضا في إيمانه، وهذا يبين أن مخالفة العمل للقول تناقض عقدي يضعف صدق الإيمان.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يلفت النظر إلى أن تلاوة الكتاب وحفظه لا تنفع صاحبها إذا خالفها العمل، بل تكون حجة عليه يوم القيامة، فالعلم بالحق يوجب العمل به، ومن علم ولم يعمل كان أشد عتابا ممن لم يعلم، وهذا أصل عقدي في أن العلم وسيلة للعمل لا غاية بذاته.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن العقل السليم يدرك قبح تناقض القول مع الفعل، وأن الاستقامة بين الدعوة والممارسة من مقتضيات العقل الرشيد، فالعقل ليس مجرد أداة إدراك، بل هو حجة توجب الاتساق بين الظاهر والباطن.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يشير إلى أن العبادات ليست طقوسا شكلية، بل هي وسائل للثبات على الدين ومواجهة تكاليفه، وأن الصبر والصلاة هما العون الأعظم على تحمل مشاق التكليف، وهذا يبين أن الاستعانة بالله تكون عبر الأسباب التي شرعها.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يقرر أن العبادات قد تثقل على النفوس غير الموقنة، أما الخاشعون فتكون سهلة يسيرة عليهم، وهذا يشير إلى أن الإيمان يغير علاقة الإنسان بالتكليف، فيتحول من ثقل إلى لذة، ومن مشقة إلى راحة.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يبين أن الإيمان باللقاء والرجوع إلى الله هو الأساس الذي يجعل العبادة خفيفة على القلب، فالخشوع ثمرة اليقين بالمعاد، ومن أيقن باللقاء هانت عليه الطاعات وعظُم في قلبه الخوف والرجاء.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى ضرورة تزكية النفس قبل تزكية الآخرين، وأن من لم يهذب نفسه لا يصح له أن يهدي غيره، فالدعوة إلى الله تبدأ من تطهير القلب من الآفات، وهذا هو مقام التخلية قبل التحلية.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير عنده إلى أن مجرد تلاوة الحروف دون تدبر المعاني ودون العمل بمقتضاها حجاب من حجب الغفلة، فالتلاوة الحقيقية عند الصوفي هي تلاوة القلب لمعاني الكتاب، لا تلاوة اللسان لحروفه فقط.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يرمز عندهم إلى أن العقل الذي يعنيه القرآن ليس العقل الجدلي النظري، بل هو العقل البصير الذي يدرك حقيقة النفس وحاجة القلب إلى التصفية، فالعقل عندهم نور يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الصبر هو وقوف العبد مع الله في البلاء، والصلاة هي وصاله بالله في الخلوة، وهما معا طريقان للوصول إلى مقام المشاهدة، فالصبر يطهر النفس من الشكوى، والصلاة تنقل القلب إلى الحضرة الإلهية.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يرى فيه أن الصلاة تكون ثقيلة على القلب المشغول بالدنيا، أما القلب الخاشع الذي ذاق حلاوة المناجاة فتكون الصلاة قرة عينه وراحة روحه، والخشوع عنده هو حضور القلب بين يدي الله واستشعار عظمته.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هو عند الصوفي أصل المعرفة

الذوقية، فالظن هنا بمعنى اليقين، ومن أيقن بلقاء الله اشتاق إليه، ومن اشتاق إليه أنس بذكره وطاعته، فالرجوع إلى الله هو غاية السير الروحي ومنتهى المقامات.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يثير إشكالا أخلاقيا معروفا في الفلسفة، وهو التناقض بين القول والفعل، ويرى الفيلسوف أن هذا النص يضع مبدأ الاتساق الأخلاقي كشرط لصحة الدعوة، وهو ما يعرف في الفلسفة الأخلاقية بمبدأ (القدوة العملية) الذي يجعل الفعل أصدق من القول في إقناع الآخرين.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن المعرفة النظرية وحدها لا تكفي لتحقيق الفضيلة، بل لا بد من تطبيقها عمليا، وهذا يلتقي مع قول الفلاسفة إن الفضيلة معرفة، لكنها معرفة تتحول إلى سلوك، وإلا كانت معرفة ناقصة.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن العقل هو الحكم على تناقض السلوك مع القول، وهذا يعني أن العقل له سلطة نقدية على الممارسات الإنسانية، وأنه ليس مجرد أداة لتحصيل المعرفة، بل هو أيضا أداة لتقويم السلوك وكشف التناقضات.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الفضائل الأخلاقية لا تتحقق بالنية فقط، بل تحتاج إلى أدوات عملية تعين عليها، فالصبر فضيلة والصلاة تمرين يومي عليها، وهذا يشبه ما تقوله الفلسفة العملية من أن الفضيلة تحتاج إلى تدريب وممارسة.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين المشقة والسهولة في الفعل الأخلاقي، فما هو ثقيل على نفس قد يكون سهلا على أخرى، وهذا يرجع إلى البنية النفسية والمعرفية للفاعل، فالخشوع هنا حالة معرفية وجدانية تجعل الفعل الأخلاقي يسيرا.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يجد فيه الفيلسوف إجابة عن سؤال الغاية من الوجود، فالإنسان الذي يؤمن بالرجوع إلى خالقه يجد معنى لوجوده، وهذا يلتقي مع ما ذهب إليه فلاسفة الوجود من أن الإنسان بحاجة إلى غاية متعالية تمنح حياته معنى، وأن الإيمان بالمعاد هو أسمى هذه الغايات.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يقرر مبدأ أخلاقيا أساسيا وهو أن الداعية إلى الخير يجب أن يكون أولى الناس به، وأن من يدعو إلى فضيلة وهو متلبس برذيلة يكون قد جمع بين كذب القول وخيانة الفعل، وهذا يعد من أكبر الكبائر الأخلاقية.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن العلم بالخير يزيد المسؤولية الأخلاقية، فمن علم بالحق ثم خالفه كان أعظم إثما ممن جهله، وهذا يبين أن الأخلاق في القرآن ليست مجرد عادات، بل هي معرفة تتحول إلى التزام.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يشير إلى أن العقل هو أساس التمييز الأخلاقي، وأن من يعقل لا يمكن أن يرضى لنفسه التناقض بين ما يقول وما يفعل، فالعقل السليم يأبى أن يوصي غيره بما لا يلتزم به هو.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الأخلاق ليست مجرد نوايا حسنة، بل تحتاج إلى أدوات عملية تقوي الإرادة وتضبط السلوك، فالصبر يعين على مقاومة الهوى، والصلاة تعين على الاستمرار في الطاعة.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يبين أن الأخلاق الفاضلة قد تكون شاقة على النفوس الضعيفة، أما النفوس الخاشعة المتذللة لله فتجد في الطاعة لذة وسهولة، وهذا يشير إلى أن التربية الأخلاقية تحتاج إلى تزكية النفس وتطهير القلب.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هو الضامن الأقوى للسلوك الأخلاقي، فمن أيقن بأنه سيلقى ربه ويحاسبه على أعماله كان أحرص على الاستقامة، وأبعد عن الرياء والسمعة، فالإيمان بالمعاد هو الركيزة التي تقوم عليها الأخلاق الإسلامية كلها.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى ظاهرة اجتماعية خطيرة وهي ازدواجية المعايير، حيث يدعو بعض الناس إلى القيم وهم لا يطبقونها، مما يؤدي إلى انهيار الثقة في الدعاة وفي القيم نفسها، وهذا يعد من عوامل التفكك الاجتماعي.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تمتلك نصوصا مقدسة دون أن

تعمل بها تعيش حالة من الفصام بين القول والممارسة، وهذا ينتج مجتمعا هشا لا يستطيع أن يحقق التماسك لأن أفراده لا يثقون ببعضهم.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن العقل الجمعي للمجتمع هو الذي يضبط سلوك أفراده، فإذا كان المجتمع عاقلا أدرك خطورة التناقض بين الدعوة والممارسة، وعمل على إصلاح نفسه، أما إذا غاب العقل الاجتماعي سادت الفوضى والانحلال.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يشير إلى أن الصبر والصلاة ليسا مجرد عبادات فردية، بل هما أدوات لبناء المجتمع وتماسكه، فالصبر يعين على تحمل مشاق الإصلاح الاجتماعي، والصلاة تجمع الناس وتوحدهم على هدف واحد.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يبين أن المجتمعات التي تفتقر إلى الخشوع والروحانية تجد العبادات والتكاليف ثقيلة عليها، فتهرب منها أو تؤديها بشكل شكلي، أما المجتمعات التي تسودها الروحانية فتجد في العبادات مصدر قوة وتماسك.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالآخرة هو الرابط المعنوي الذي يجمع المجتمع على القيم العليا، فمن يؤمن بالرجوع إلى الله يحرص على إصلاح مجتمعه، لأن المجتمع الصالح هو الذي ينجو بصاحبه يوم اللقاء.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الحاكم أو المسؤول الذي يأمر الناس بالعدل والإصلاح وهو أول المخالفين له يكون قد فقد شرعيته الأخلاقية، وأن استقامة القائد شرط لطاعة المحكومين وثقتهم به.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن من يتولى الحكم ويدّعي تطبيق الشريعة يجب أن يكون أول الناس التزاما بها، وإلا كان حكمه نفاقا سياسيا يزرع الفساد في المجتمع.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن العقل السياسي الرشيد هو الذي يدرك أن استقامة الحاكم هي أساس استقرار الدولة، وأن أي تناقض بين أقوال الحاكم وأفعاله يؤدي إلى انهيار الثقة بين الحاكم والمحكوم.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن إدارة الدولة تحتاج إلى صبر على الأزمات، وإلى صلاة تذكر الحاكم بأنه مسؤول أمام الله، فالصبر والصلاة هما زاد الحاكم العادل في مواجهة التحديات.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يبين أن السياسة قد تكون ثقيلة على النفوس الطامعة في السلطة، أما الخاشعون الذين يخافون الله فيكونون أهلا لتحمل أمانة الحكم، لأنهم لا يطلبون بها دنيا ولا جاها.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هو الرادع الأعظم للحاكم عن الظلم والاستبداد، فمن أيقن بأنه سيلقى ربه ويحاسبه على رعيته كان أعدل في حكمه، وأبعد عن الطغيان، وأحرص على مصالح الناس.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن القائد أو المدير الذي يطلب من مرؤوسيه الالتزام بالقيم وهو غير ملتزم بها يفقد مصداقيته، وأن القدوة العملية هي أقوى أدوات القيادة الفعالة.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن المعرفة النظرية بالقيم دون تطبيقها عمليا تجعل صاحبها غير جدير بالقيادة، فالإداري الناجح هو من يطبق ما يعرفه من مبادئ قبل أن يطلبها من غيره.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن العقل الإداري السليم يدرك أن التناقض بين القول والفعل يهدم ثقافة المؤسسة ويضعف الانتماء إليها، فالعقلانية الإدارية تقتضي الاتساق بين السياسات المعلنة والممارسات الفعلية.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن إدارة المؤسسات تحتاج إلى صبر على الصعوبات، وإلى صلاة تمنح العاملين طمأنينة وتركيزا، فالصبر والصلاة يعينان على مواجهة ضغوط العمل وتحقيق الأهداف.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يبين أن المهام الإدارية الكبيرة قد تكون ثقيلة على غير المؤهلين نفسيا وروحيا، أما الخاشعون المتواضعون فيكونون أقدر على تحمل المسؤوليات الكبرى، لأنهم

لا يتكبرون ولا يستعظمون أنفسهم.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هو الضمان الأقوى للنزاهة الإدارية، فمن أيقن بأنه سيلقى ربه ويحاسبه على أمانته كان أحرص على عدم الغش والخيانة، وأبعد عن الرشوة والمحسوبية.

ثامنا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية بالقدوة هي أقوى وسائل التربية، وأن المربي الذي يربي تلاميذه على القيم وهو غير ملتزم بها يكون قد علمهم النفاق قبل أن يعلمهم الفضيلة.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن المربي الذي يحمل العلم ولا يعمل به يكون حجة على نفسه، وأن التلميذ يتعلم من سلوك معلمه أكثر مما يتعلم من كلامه، فالعلم بلا عمل وبال على صاحبه.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن التربية العقلانية تقوم على الاتساق بين القول والفعل، وأن المربي العاقل هو الذي يدرك أن التلميذ يلاحظ تناقضات معلمه، وأن هذه الملاحظة تهدم أثر التربية كلها.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية تحتاج إلى صبر طويل على تلاميذه، وإلى صلاة يستمد منها العون والتوفيق، فالمربي الناجح هو الذي يتحلى بالصبر ويستعين بالله في مهمته.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يبين أن مهنة التربية شاقة على من لا يخلص فيها، أما الخاشعون المتواضعون فيجدون فيها متعة وسعادة، لأنهم يدركون أنهم يربون أجيالا تخدم دينها وأمتها.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هو ما يمنح المربي الأمل والثبات، فمن أيقن بأنه سيلقى ربه ويعلم جهده في التربية كان أحرص على الإخلاص، وأبعد عن اليأس، وأكثر صبرا على نتائج عمله التي قد تتأخر.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي وصفا لحالة من التناقض الذاتي التي تسبب اضطرابات نفسية، فالذي يدعو إلى الخير ولا يفعله يعيش في صراع داخلي بين

ما يعرف وما يفعل، وهذا الصراع مصدر للقلق والشعور بالذنب.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن المعرفة بالحق دون تطبيقه تزيد الشعور بالذنب وتعمق الصراع النفسي، فالذي يعرف الخير ولا يفعله يعاني من تأنيب الضمير المستمر، وهذا يؤثر سلبا على صحته النفسية.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يوجه الطبيب النفسي إلى أن العقل السليم هو الذي يدرك خطورة التناقض على الصحة النفسية، وأن الاتساق بين القيم والسلوك هو شرط للتوازن النفسي والاستقرار الانفعالي.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي وصفة علاجية فعالة، فالصبر يساعد على تحمل الضغوط النفسية، والصلاة بما فيها من حركة وتركيز وتواصل روحي تخفف من التوتر والقلق، وهذا ما تؤكده الدراسات الحديثة في العلاج النفسي.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يبين أن العبادات قد تكون ثقيلة على النفس المضطربة، أما النفس الخاشعة المطمئنة بالإيمان فتجد فيها راحة وسكينة، وهذا يشير إلى أن الصحة النفسية مرتبطة بالحالة الروحية للإنسان.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هو علاج للقلق الوجودي والخوف من المجهول، فمن أيقن بلقاء ربه ورجوعه إليه زال قلقه من الموت وما بعده، وحل محله الأمل والطمأنينة، وهذا من أعظم ما يحقق الصحة النفسية.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن النظام الاقتصادي الذي يدعو إلى العدل والإنصاف وهو يمارس الظلم والاستغلال يكون نظاما منافقا، وأن الاقتصاد الأخلاقي يبدأ من التزام أصحاب المال والقرار بالقيم التي يدعون إليها.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن من يملك المعرفة الاقتصادية الصحيحة ولا يطبقها يكون قد خالف ما يعلم، وأن الاقتصاد الإسلامي لا يقوم على النظريات فقط، بل على التطبيق العملي للقيم في الأسواق والمؤسسات.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن العقل الاقتصادي الرشيد هو الذي يدرك أن استقامة العاملين في السوق شرط لاستقرار الاقتصاد، وأن الغش والاحتكار والربا هي ممارسات لا يقرها عاقل لأنها تهدم الثقة وتؤدي إلى الأزمات.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن النجاح الاقتصادي يحتاج إلى صبر على تقلبات السوق، وإلى صلاة تذكر التاجر بأن الله رقيب عليه، فالصبر والصلاة يعينان على تجنب الممارسات المحرمة وتحقيق الكسب الحلال.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يبين أن الالتزام بالضوابط الاقتصادية الإسلامية قد يكون ثقيلا على النفوس الطماعة، أما الخاشعون الذين يخافون الله فيجدون في الالتزام سهولة وبركة، لأنهم يوقنون بأن الرزق بيد الله.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هو الضامن الأقوى للاقتصاد النظيف، فمن أيقن بأنه سيلقى ربه ويحاسبه على ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه كان أحرص على الكسب الحلال والإنفاق في وجوه الخير، وأبعد عن الربا والغش والاحتكار.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يوجه القاضي إلى أن من يتصدى للقضاء ويأمر الناس بالعدل يجب أن يكون أول الناس عدلا في نفسه، وأن القاضي الذي يظلم الناس وهو يدعو إلى العدل يكون قد جمع بين فاحشتين: الظلم والنفاق.

ب. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يعرف أحكام الكتاب ولا يطبقها يكون حجة عليه، وأن علمه بالقضاء يزيد مسؤوليته، فمن علم بالحق وخالفه كان أعظم إثما ممن جهله.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن العقل القضائي السليم يدرك أن العدل يبدأ من النفس قبل أن يطبق على الآخرين، وأن القاضي الذي لا يعدل في نفسه لا يمكن أن يعدل في أحكامه.

د. قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه القاضي إلى أن القضاء يحتاج إلى صبر على الخصوم وعلى تعقيدات القضايا، وإلى صلاة يستمد منها العون والتوفيق، فالصبر والصلاة هما زاد القاضي العادل.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يبين أن أمانة القضاء ثقيلة على غير المؤهلين، أما

الخاشعون الذين يخافون الله فيحملونها بأمانة وإتقان، لأنهم يدركون عظمتها ويخافون من التقصير فيها.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هو الرادع الأعظم للقاضي عن الجور، فمن أيقن بأنه سيلقى ربه ويحاسبه على أحكامه كان أحرص على العدل، وأبعد عن الرشوة والمحاباة، وأشد خوفا من أن يظلم أحدا.

٢٠. استذكار نعم الله على بني إسرائيل من نجاة وتشريع وتوبة:

المقطع [٢٠] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٤٧-٥٢]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ يشير إلى أن استحضار النعم والاعتراف بها هو من أصول الإيمان، إذ أن النسيان يؤدي إلى الجحود والكفران، والتذكير بالنعم يثبت العبد على الشكر ويجدد العهد مع الله.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يقرر عقيدة الاصطفاء الإلهي للأمم، وأن التفضيل ليس ذاتيا بل هو تكليف وامتحان، فمن فضلهم الله على عالمي زمانهم حملهم مسؤولية الشكر والطاعة، وهذا الاصطفاء يزول بزوال شرطه.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يثبت عقيدة يوم القيامة والجزاء الفردي، فلا ينفع أحد أحدا، ولا تتحمل نفس إثم أخرى، وهذا يقرر مبدأ المسؤولية الشخصية في العقيدة الإسلامية.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يبين أن الشفاعة المنفية هنا هي شفاعة الكافرين أو الشفاعة بغير إذن الله، أما الشفاعة المثبتة في مواضع أخرى فهي بإذنه لمن

ارتضى، والعدل هنا بمعنى الفدية، فلا يقبل فداء من الكافر، ولا ينصره أحد، وهذا يقطع كل أسباب النجاة إلا الإيمان.

هـ. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يذكر بنعمة النجاة من الاضطهاد، وهي نعمة دنيوية مقرونة بالنعمة الدينية، وفي هذا إشارة إلى أن الله يتولى نجاة أوليائه من الظالمين إذا صدقوا في اللجوء إليه.

و. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يثبت عقيدة التوبة وقبولها، وأن العفو الإلهي يسبق العقوبة إذا صدق العبد في الندم والرجوع، وهذا من رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن الذكر ليس مجرد تلفظ باللسان، بل هو استحضار قلبي لآلاء الله، ومن أعظم النعم نعمة الوجود والهداية، والصوفي يرى أن ذكر النعم يورث المحبة والشكر، وهما من مقامات السير إلى الله.

ب. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يرمز إلى مقام الخوف والرجاء، فاليوم الآخر عند الصوفي هو يوم تجلي الحق، حيث لا ينفع فيه إلا القلب السليم، والتقوى عنده هي حفظ الأسرار والحدود بين العبد وربه.

ج. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى النجاة من فرعون النفس الأمارة بالسوء، فآل فرعون في الباطن هم جنود الهوى والشهوات التي تستعبد القلب، والنجاة الحقيقية هي الخلاص من هذه الأغلال.

د. قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ يرى فيه الصوفي إشارة إلى فتح الله على عبده في الشدائد، فكما فرق البحر لموسى وقومه، يفرق الله الكرب عن قلوب أوليائه، ويجعل لهم في كل ضيق مخرجا، وهو ما يعبر عنه بكشف الغمة وإلهام اللطف.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يحذر الصوفي من عبادة غير الله في الباطن، فالعجل هو رمز التعلق بالماديات والشهوات، واتخاذه إشارة إلى الانحراف عن مقام الجمع والتوجه إلى الأغيار، وهو من أخطر آفات القلب.

و. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يبشر الصوفي بأن العفو الإلهي يدرك المذنبين إذا رجعوا،

وأن باب التوبة مفتوح حتى بعد السقوط في أودية الغفلة، وهذا يزرع الرجاء في قلوب السالكين.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الذاكرة والهوية، فاستذكار النعم هو استذكار للتاريخ المشترك الذي يشكل هوية الأمة، والنسيان هنا ليس مجرد غفلة بل فقدان للذات.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول معنى التفضيل والاصطفاء، وهل هو تعسف إلهي أم حكمة تقتضيها السنن؟ والفيلسوف يرى أن التفضيل هنا تكليفي لا تشريفي، وأنه مرتبط بالشروط والأسباب.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يثير مسألة الحرية والمسؤولية الأخلاقية، فالفرد مسؤول عن أفعاله، ولا يمكن نقل المسؤولية أو تحميلها للغير، وهذا يلتقي مع مبدأ العدالة الكانطية في معاملة كل إنسان كغاية لا كوسيلة.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يطرح إشكالا حول مفهوم العدل الإلهي، فالفدية والشفاعة قد تبدوان مناقضتين للعدل، لكن الفيلسوف يدرك أن العدل الإلهي يتجاوز المفاهيم البشرية المحدودة، وأن الشفاعة بإذنه لا تناقض العدل بل تحقق الرحمة ضمن إطار الحكمة.

هـ. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يثير مسألة فلسفة التاريخ، فالتاريخ ليس صراعا عبثيا، بل هو مسرح لتجلي الأقدار، والنجاة من الظلم سنة إلهية تتكرر، وفي هذا إشارة إلى أن العدالة هي الغاية الكبرى من الخلق.

و. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يطرح إشكالا حول طبيعة الإنسان بين العقل والشهوة، فاتخاذ العجل يمثل انحدارا من التجريد العقلي إلى الحسية المادية، وهو ما يشبه سقوط الإنسان عند أفلاطون من عالم المثل إلى عالم المحسوسات.

ز. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يثير مسألة الغفران والزمن، فالعفو الإلهي يتجاوز الزمن الخطي، ويقدم نموذجا للرحمة التي لا تحصرها قوانين السببية، وهذا يفتح باب التأمل في علاقة الله بالزمن والمخلوقات.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يبين أن الشكر هو أساس الأخلاق الفاضلة، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والشكر يربي في النفس التواضع والاعتراف بالفضل، وهو ضد الكبر والجحود.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يحمل مسؤولية أخلاقية كبيرة، فالمفضل عليه أن يكون قدوة حسنة، وأن يتحلى بصفات الكمال، وإلا كان تفضيله حجة عليه، وهذا يربي في النفس الشعور بالمسؤولية.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يرسخ مبدأ الاستقلال الأخلاقي، فكل إنسان مسؤول عن أعماله، ولا يمكن أن يتستر خلف الجماعة أو القبيلة، وهذا يمنع التواكل ويحفز على المبادرة الفردية.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يبين أن الأخلاق لا تقوم على المساومات أو البدائل، فالفعل الأخلاقي يجب أن يكون خالصا لوجه الله، لا يبتغي فدية أو شفاعة، وهذا يرفع من قيمة الفعل الأخلاقي.

هـ. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يذكر بنعمة الحرية، وأن الحرية هي أساس الأخلاق، فالعبد المستعبد لا يمكن أن يكون فاعلا أخلاقيا حرا، والنجاة من الظلم تمهد لبناء مجتمع أخلاقي فاضل.

و. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ يحذر من الانحدار الأخلاقي، فعبادة العجل تمثل عبادة المادة والشهوة، وهي نقيض القيم الروحية، وفي هذا إشارة إلى أن الأخلاق تنهار عندما تسيطر المادة على الإنسان.

ز. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يبين أن العفو والتسامح من أعلى القيم الأخلاقية، وأن الله يعفو عن عباده ليتعلموا العفو فيما بينهم، فالعفو الإلهي نموذج للرحمة التي يجب أن تتحلى بها النفوس.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن الذاكرة الجماعية هي أساس تماسك المجتمع، فاستذكار النعم والأحداث المؤسسة يخلق هوية مشتركة، والمجتمعات التي تنسى تاريخها تفقد تماسكها.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يبين أن الشعور بالتميز الجماعي قد يكون عامل توحد، لكنه قد يتحول إلى عنصرية إذا لم يضبط بالتقوى، فالاصطفاء هنا مشروط بالشكر والطاعة.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يرسخ مبدأ المسؤولية الفردية داخل المجتمع، فلا يمكن للفرد أن يلقي بتبعاته على المجتمع، وهذا يمنع تفشي ثقافة التواكل والاتكالية.

د. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يذكر المجتمع بأن الحرية نعمة يجب الحفاظ عليها، وأن الاستعباد هو أسوأ حالات المجتمع، وفي هذا إشارة إلى أن المجتمعات الحرة هي التي تزدهر وتتقدم.

هـ. قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ يرمز إلى أن الله ينصر المجتمعات المظلومة إذا تمسكت بالحق، وأن الفرقان بين الحق والباطل هو ما يصنع التاريخ، والمجتمع المؤمن يرى في هذه الحادثة درسا في الصبر والثبات.

و. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ يحذر من الانحراف الاجتماعي، فعبادة العجل تمثل انحراف المجتمع عن القيم إلى عبادة المادة، وهذا يؤدي إلى التفكك والفساد، لأن القيم الروحية هي الضامن الحقيقي للتماسك الاجتماعي.

ز. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يبين أن المجتمعات تحتاج إلى ثقافة العفو والمصالحة بعد الأزمات، فالعفو الإلهي نموذج للمجتمع الذي يتجاوز أخطاءه ويبدأ من جديد، وهذا يمنع الاحتقان والانتقام.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه الحكام إلى ضرورة تذكير الشعوب بمنجزات الدولة ونعمها، لكن هذا التذكير يجب أن يكون صادقا لا دعائيا، وأن يترافق مع الشكر الحقيقي بالعدل والإنصاف.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يحذر من سياسات التميز العنصري أو القومي، فالاصطفاف الإلهي ليس مبررا للاستعلاء على الآخرين، بل هو تكليف بحمل رسالة العدل للعالمين.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يذكر الحكام بأنهم مسؤولون أمام الله عن رعاياهم، وأن السلطة أمانة لا مغنم، وأنهم سيقفون يوم القيامة وحدهم لا تنفعهم شفاعة ولا ناصر.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يبين أن السلطة السياسية لا يمكن أن تحمي صاحبها من عدل الله، فلا فدية ولا شفاعة تنقذ الحاكم الظالم، وهذا يضع رادعا قويا أمام الاستبداد.

هـ. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يذكر بالتحرر من الاستبداد، وأن الله مع المستضعفين، وأن أنظمة الاستبداد مهما طغت فإن مصيرها الغرق، كما أغرق فرعون وجنوده.

و. قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ يبين أن الله يفتح للمستضعفين طرق النجاة، وأن الإيمان بالله هو أقوى أسلحة الشعوب ضد الطغاة، وأن النصر يأتي من حيث لا يحتسب.

ز. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ يحذر من الانحراف السياسي بعد التحرر، فبعض الشعوب بعد نجاح ثوراتها تعود إلى عبادة أصنام جديدة كالمال أو الشخصية القيادية، وهذا يضيع ثمار التحرر.

ح. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يبين أن الدولة العادلة تقوم على مبدأ العفو بعد العقاب، وأن سياسة الرحمة بعد الردع هي التي تبني الثقة بين الحاكم والمحكوم.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه الإدارة إلى ضرورة توثيق الإنجازات والاحتفاء بها، فاستذكار النجاحات السابقة يخلق ثقافة إيجابية في المنظمة، ويعزز الولاء والانتماء.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يحذر من ثقافة التميز الزائفة التي تخلق الغرور التنظيمي، فالتميز الحقيقي هو الذي يتبعه التزام ومسؤولية، وليس مجرد شعارات دعائية.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يرسخ مبدأ المساءلة الفردية في العمل، فكل موظف مسؤول عن مهامه، ولا يمكن إلقاء اللوم على الآخرين، وهذا يرفع كفاءة الأداء.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يبين أن الإدارة العادلة لا تقبل المحسوبية أو الوساطات، وأن المعايير يجب أن تكون موضوعية، فالشفاعة في العمل تفسد العدالة وتضعف الثقة.

هـ. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يذكر الإدارة بأن التحرر من الأنظمة البيروقراطية القمعية ضروري للإبداع، فالموظف المقهور لا يبدع، والبيئة الحرة هي التي تنتج الأفكار.

و. قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ يرمز إلى أن الإدارة الناجحة هي التي توجد حلولا إبداعية للأزمات، فكما فرق الله البحر لموسى، تفرق الإدارة الحكيمة الأزمات وتفتح طرق النجاة.

ز. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ يحذر من الانحراف الإداري نحو عبادة الأهداف المادية فقط، فالإدارة التي تركز على الربح المادي دون القيم الأخلاقية تفشل على المدى البعيد.

ح. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يبين أن الإدارة الناجحة تتبنى ثقافة العفو بعد العقاب، وأن التعامل مع الأخطاء بالرحمة والتعلم منها أفضل من العقاب الصارم، وهذا يبني بيئة عمل صحية.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه المؤرخ إلى أهمية توثيق الأحداث والنعم، فالتاريخ ليس مجرد سرد، بل هو استذكار للنعم والمنن، وهذا يمنح التاريخ بعدا روحيا.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يثير عند المؤرخ مسألة الاصطفاء التاريخي، وكيف فهمت الأمم المختلفة فكرة التفضيل، وما آثارها على علاقاتها مع الأمم الأخرى.

ج. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يذكر المؤرخ بقصة الخروج من مصر، وهي من أهم الأحداث التاريخية التي شكلت وعي بني إسرائيل، وتأثيرها في الأدبيات الدينية والتاريخية.

د. قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى المعجزات التاريخية، وكيف تعاملت المصادر التاريخية مع الأحداث الخارقة للعادة، وهل يمكن قراءتها قراءة تاريخية نقدية.

هـ. قوله: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ يثير مسألة الأربعين في التاريخ الديني، فهي مدة رمزية تكررت في التوراة والقرآن، ولها دلالات تربوية وروحية.

و. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ يذكر المؤرخ بظاهرة عبادة العجل في التاريخ القديم، وهي ظاهرة مرتبطة بالحضارة المصرية، وكيف انتقلت هذه العبادة إلى بني إسرائيل في غياب موسى.

ز. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يبين أن التاريخ ليس خطا مستقيما من النجاحات، بل هو مسار من الأخطاء والتوبة، وأن الأمم تتعثر ثم تنهض، وهذا يمنح المؤرخ رؤية واقعية للتاريخ.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن استذكار النعم هو أسلوب علاجي فعال، فممارسة الامتنان تزيد من السعادة وتقلل من الاكتئاب، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية الحديثة.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قد يثير مشاعر التفوق التي قد تتحول إلى غرور، لكنه في سياقه الديني يزرع الثقة بالنفس والاعتزاز بالهوية، وهذا يعزز الصحة النفسية.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يثير القلق الوجودي لدى الإنسان، لكنه قلق صحي يدفعه إلى الاستعداد والمسؤولية، وهو أفضل من القلق المرضي الناتج عن الفراغ.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يبين أن الإنسان لا يمكن أن يعتمد على

غيره في النجاة، وهذا يزرع الاستقلالية النفسية، ويقلل من الاعتمادية المرضية.

هـ. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يذكر بنعمة التحرر من الضغط النفسي، فالاستعباد يسبب اضطرابات نفسية شديدة، والتحرر منه يعيد التوازن النفسي.

و. قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ يرمز إلى أن الله يفتح للعبد طرق النجاة من الأزمات النفسية، فكما فرق البحر، يفرق الله الهموم والكروب عن القلوب المؤمنة.

ز. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ يحذر من الانحراف النفسي نحو الإدمانات، فعبادة العجل تشبه الإدمان على المادة أو الشهوة، وهذا يسبب اضطرابات نفسية شديدة.

ح. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يبين أن العفو عن الذنب يزيل الشعور بالذنب المرضي، وأن قبول التوبة يعيد للإنسان تقديره لذاته، وهذا علاج فعال للاكتئاب الناتج عن جلد الذات.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه الاقتصادي إلى ضرورة تقدير النعم الاقتصادية، وأن الموارد ليست ملكا مطلقا بل هي نعم من الله تستوجب الشكر بالاستخدام الأمثل.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يحذر من التفوق الاقتصادي الذي يتحول إلى استغلال للآخرين، فالتميز الاقتصادي يجب أن يكون وسيلة للعدل والإنصاف لا للاستعلاء.

ج. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يذكر بنعمة التحرر من الاستغلال الاقتصادي، ففرعون كان يستعبد بني إسرائيل ويسومهم سوء العذاب، والتحرر منه هو تحرر من نظام اقتصادي ظالم.

د. قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ يرمز إلى أن الله يفتح للعباد أبواب الرزق من حيث لا يحتسبون، وأن الاقتصاد المؤمن لا يعتمد على الأسباب المادية فقط بل على التوكل على الله.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ يحذر من عبادة المال، فالعجل هو رمز الذهب، واتخاذه إشارة إلى تقديس المادة، وهذا يؤدي إلى الفساد الاقتصادي والاجتماعي.

و. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يبين أن الاقتصاد يحتاج إلى ثقافة العفو والتسامح في التعاملات، وأن الاقتصاد القائم على الانتقام والصراع يفشل، بينما الاقتصاد القائم على الثقة والتعاون يزدهر.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه المربي إلى تربية النشء على الامتنان والشكر، وأن التعليم ليس مجرد نقل معرفة بل هو تربية على القيم، واستذكار النعم يزرع في النفس التواضع.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يحذر المربي من تربية النشء على التفوق الزائف، فالتميز الحقيقي هو الذي يتبعه التزام ومسؤولية، وليس مجرد شعور بالاستعلاء.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يربي المربي طلابه على المسؤولية الفردية، وأن كل إنسان مسؤول عن أفعاله، وهذا يمنع التواكل ويحفز على المبادرة.

د. قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يستخدم المربي هذه القصة لتعليم الطلاب دروسا في الصبر والثبات، وأن الله مع المستضعفين، وأن الظلم مهما طال فإن نهايته الزوال.

هـ. قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ يعلم المربي طلابه أن الله يفتح لهم طرق النجاة إذا تمسكوا بالحق، وأن الإيمان بالله هو أقوى سلاح في مواجهة الصعاب.

و. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ يحذر المربي من الانحرافات السلوكية، ويستخدم هذه القصة لتعليم الطلاب خطورة عبادة المادة والشهوات، وأنها تؤدي إلى الندم.

ز. قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يعلم المربي طلابه أن التوبة والعفو من أعلى القيم، وأن الخطأ ليس نهاية الطريق، بل يمكن تجاوزه بالندم والرجوع، وهذا يزرع الأمل في نفوس الطلاب.

٢١. توراة موسى وفرقانه وتوبة قومه من عبادة العجل:

المقطع [٢١] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٣-٥٧]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يشير إلى أن الله تعالى ميز نبيه موسى عليه

السلام بمعجزة عظيمة، وهي إنزال التوراة التي فيها النور والهدى، وجعل فيها الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، وهذا يدل على أن من سنن الله في خلقه أن يرسل الكتب المنزلة لتكون حجة على الناس، وأن الكتاب الذي أنزله الله على موسى كان مشتملا على الأحكام والتشريعات التي تنظم حياة بني إسرائيل، وفي هذا إشارة إلى أن الوحي الإلهي هو المصدر الوحيد للعقيدة الصحيحة، وأن ما سواه من مصادر معرفية بشرية لا يرقى إلى مرتبته في اليقين والهداية.

ب. قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يبين أن التوبة من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وأن التوبة النصوح قد تكون بقتل النفس في بعض الشرائع السابقة، وهذا يدل على أن التوبة لها شروط وأركان، وأنها لا تقبل إلا بالإخلاص لله تعالى، والندم على ما فات، والعزم على عدم العودة، وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى يقبل توبة عباده مهما عظم ذنبهم، وأنه هو التواب الرحيم الذي يغفر الذنوب جميعا لمن تاب وأناب.

ج. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ يبين أن بني إسرائيل طلبوا رؤية الله تعالى في الدنيا، وهذا من أعظم الجرائم التي وقعت منهم، لأن رؤية الله تعالى مستحيلة، ولا يمكن أن تقع لأحد من البشر، وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى لا يرى رؤية حسية، وأن من طلب رؤيته رؤية حسية، فقد اقترف إثما عظيما، وهذا يدل على أن الإيمان بالغيب هو الأصل في العقيدة الإسلامية، وأن الإيمان لا يتوقف على رؤية الله تعالى في الدنيا.

د. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يبين أن الله تعالى عاقب بني إسرائيل على طلبهم هذا بأخذ الصاعقة لهم، وهذا يدل على أن الله تعالى سريع العقاب لمن تجرأ على مقامه، وأنه لا يترك المعتدين بلا عقاب، وفي هذا إشارة إلى أن العقوبات الإلهية قد تكون عاجلة في الدنيا، وقد تكون آجلة في الآخرة، وأن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

هـ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يبين أن الله تعالى أحياهم بعد موتهم، وهذا يدل على قدرة الله تعالى على البعث والنشور، وأن الموت ليس نهاية المطاف، بل هو بداية لحياة أخرى، وفي هذا إشارة إلى أن الإيمان بالبعث بعد الموت من أصول العقيدة، وأن من أنكر البعث فقد أنكر قدرة الله تعالى، وأن الله تعالى قادر على إحياء الموتى كما أحيى بني إسرائيل بعد موتهم.

و. قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يبين أن الله تعالى أنعم على بني إسرائيل بنعم عظيمة، منها تظليل الغمام عليهم في الصحراء، وإنزال المن والسلوى عليهم، وهذا يدل على أن الله تعالى يرزق عباده من حيث لا يحتسبون، وأنه يمتن عليهم بالنعم الكثيرة، وفي هذا إشارة إلى أن شكر النعم من أعظم العبادات، وأن من لم يشكر النعم فقد عرض نفسه لزوالها.

ز. قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يبين أن الله تعالى لا يظلم أحدا مثقال ذرة، وأن الظلم الذي يقع على العباد هو من أنفسهم، بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى منزه عن الظلم، وأن العدل الإلهي مطلق، وأن العبد هو المسؤول الأول عن أفعاله، وأنه سيجازى على أعماله إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يشير إلى أن الكتاب المنزل على موسى عليه السلام كان فيه الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، وهذا يرمز عند الصوفي إلى أن القلب المؤمن يجب أن يكون فيه فرقان يميز به بين ما يرد عليه من خواطر الرحمن وخواطر الشيطان، وأن هذا الفرقان لا يتحقق إلا بالتقوى واليقين، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَّ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، فالتقوى هي التي تمنح العبد نورا يميز به بين الحق والباطل في ظاهره وباطنه.

ب. قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى التوبة الحقيقية التي تكون بقتل النفس الأمارة بالسوء، أي بمخالفة هواها ومجاهدتها حتى تستقيم على طاعة الله، وهذا هو معنى الجهاد الأكبر عند الصوفية، وهو جهاد النفس، فالتوبة عندهم ليست مجرد قول باللسان، بل هي تصفية للقلب وتخليص له من جميع العلائق الدنيوية، وقتل النفس هنا هو إماتة الشهوات والرغبات التي تحجب العبد عن ربه.

ج. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَّ جَهْرَةً﴾ يرى فيه الصوفي إشارة إلى أن طلب رؤية الله في الدنيا هو من تلبيسات النفس التي تطلب الكشف والمشاهدة قبل تهيئة القلب لذلك، وأن العبد الصادق لا يطلب رؤية الله في الدنيا، بل يسعى إلى مراقبته في السر والعلن، وإلى أن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، وهذا هو مقام الإحسان الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله

وسلم في حديث جبريل عليه السلام.

د. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن من تجرأ على مقام الربوبية بطلب ما لا يليق به، فإنه يصعق بنور الجلال، وأن العبد المريد لا ينبغي له أن يتعجل في طلب المقامات العالية قبل أن يتهيأ لها، فالصاعقة هنا هي صاعقة الحجب التي تصيب القلب الذي يطلب ما ليس له، وهذا يدل على أن الطريق إلى الله تعالى يحتاج إلى صبر وتدرج، وأن من قفز إلى المقامات العالية بغير استحقاق هلك.

هـ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ يرى فيه الصوفي إشارة إلى الإحياء بعد الإماتة، وهو ما يعرف عندهم بالموت الاختياري قبل الموت الاضطراري، فمن أمات نفسه عن الشهوات والملذات، أحياه الله بنور المعرفة والمحبة، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فالموت هنا هو موت القلب عن الغفلة، والإحياء هو إحياؤه بنور الهداية والإيمان.

و. قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الله تعالى يظلل أولياءه بغمام الرعاية والحفظ، وينزل عليهم من المن والسلوى من المعارف والأسرار الإلهية، وأن العبد الصادق إذا سار في طريق الله تعالى وجد من الله تعالى من اللطف والرعاية ما لا يخطر له على بال، فالله تعالى يرعى عباده الصادقين بلطفه الخفي، ويمدهم من عنده بالعلوم اللدنية التي لا تدرك بالعقول.

ز. قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يرى فيه الصوفي إشارة إلى أن الحجاب بين العبد وربه ليس من الله تعالى، بل هو من العبد نفسه، بسبب تعلقه بالدنيا وانشغاله بغير الله، فالظلم الحقيقي هو ظلم النفس بالابتعاد عن الله تعالى، وأن العبد إذا أراد أن يصل إلى ربه فعليه أن يزيل عن نفسه هذه الظلمات التي أحاطت بقلبه، وأن الله تعالى لا يحجب عنه أحدا إلا بما في نفسه من العلائق والشواغل.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الوحي والعقل، فالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام كانت مشتملة على الكتاب والفرقان، أي على

الشريعة التي تنظم حياة الناس، وعلى الفرقان الذي يميز بين الحق والباطل، وهذا يدل على أن الوحي الإلهي يقدم معايير معرفية وقيمية لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليها بذاته، وأن العقل وحده لا يكفي لتمييز الحق من الباطل في الأمور الغيبية والمتعالية.

ب. قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن التوبة من الذنوب تتطلب تغييرا جذريا في النفس، وأن هذا التغيير قد يتطلب التضحية ببعض الرغبات والشهوات، وهذا يلتقي مع ما ذهب إليه فلاسفة الأخلاق من أن الفضيلة تتطلب ضبط النفس وكبح الشهوات، وأن الإنسان لا يصل إلى الكمال الأخلاقي إلا بمجاهدة نفسه ومخالفة هواها.

ج. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة حدود المعرفة الإنسانية، فطلب بني إسرائيل رؤية الله جهرة يدل على أن العقل البشري يميل إلى التحقق الحسي من الأمور، وأنه لا يرضى بالإيمان بالغيب المجرد، وهذا يدفع الفيلسوف إلى التأمل في حدود العقل البشري، وأن هناك أمورا تتجاوز قدرة العقل على الإدراك، وأن الإيمان بالغيب هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقائق المتعالية.

د. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن تجاوز حدود المعرفة الإنسانية يؤدي إلى عواقب وخيمة، وأن الإنسان إذا حاول أن يدرك ما لا يمكن إدراكه بالعقل، فإنه يصطدم بحقيقة عجز العقل، وهذا يدفع الفيلسوف إلى التأمل في طبيعة المعرفة الإنسانية وحدودها، وأن الحكمة تقتضي أن يعرف الإنسان حدود عقله ولا يتجاوزها.

هـ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة البعث والحياة بعد الموت، وهي من أعظم المسائل الفلسفية التي شغلت الفلاسفة عبر التاريخ، فالإيمان بالبعث يطرح أسئلة عن طبيعة النفس وخلودها، وعن العلاقة بين الجسد والروح، وعن العدالة الإلهية التي تقتضي الجزاء في الآخرة، وهذا يدفع الفيلسوف إلى التأمل في الغاية من الخلق، وأن الحياة الدنيا ليست نهاية المطاف.

و. قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن العناية الإلهية ترعى الإنسان في رحلته الوجودية، وأن الله تعالى لا يترك عباده دون رعاية، وهذا يلتقي مع ما ذهب إليه الفلاسفة من أن العناية الإلهية هي التي تحفظ النظام الكوني، وأن الله تعالى يدبر أمور خلقه

بحكمة بالغة.

ز. قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العدل الإلهي وعلاقته بفعل الإنسان، فالله تعالى لا يظلم أحدا، والظلم الذي يقع على الإنسان هو من نفسه، وهذا يدفع الفيلسوف إلى التأمل في مسألة حرية الإرادة الإنسانية، وأن الإنسان مسؤول عن أفعاله، وأن الله تعالى لا يجازي الإنسان إلا بما كسبت يداه.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن التشريعات الإلهية هي المصدر الأساسي للقيم الأخلاقية، وأن الفرقان الذي أنزله الله تعالى مع الكتاب هو الذي يميز بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وهذا يدل على أن الأخلاق لا يمكن أن تقوم على العرف البشري المتغير، بل لا بد لها من أساس ثابت مستمد من الوحي الإلهي.

ب. قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن التوبة من الذنوب هي من أعظم القيم الأخلاقية، وأن الإنسان الذي يخطئ ثم يتوب إلى الله تعالى هو إنسان يمتلك الشجاعة الأدبية للاعتراف بخطئه، وأن التوبة تتطلب من الإنسان أن يقتل في نفسه نوازع الشر والفساد، وهذا هو جوهر التزكية الأخلاقية التي تهدف إلى تطهير النفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل.

ج. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن التعنت والتشدد في طلب الأدلة الحسية على الأمور الغيبية هو من الرذائل الأخلاقية التي تمنع الإنسان من الوصول إلى الحق، وأن الإنسان المتعنت الذي لا يقبل إلا ما يراه بعينه هو إنسان يفتقد إلى التواضع الفكري، وإلى الإيمان بالغيب الذي هو أساس الأخلاق الدينية.

د. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن العاقبة الوخيمة تنتظر المتعنتين الذين يصرون على مواقفهم الخاطئة، وأن العقوبات الإلهية هي وسيلة من وسائل التربية الأخلاقية التي تردع الإنسان عن التمادي في الغي والضلال، وأن الخوف من العاقبة هو أحد الدوافع الأخلاقية التي تمنع الإنسان من ارتكاب المعاصي.

هـ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن شكر

النعم هو من أعظم القيم الأخلاقية، وأن الإنسان الذي يدرك قيمة النعم التي أنعم الله بها عليه، ويشكر الله عليها، هو إنسان يمتلك حسا أخلاقيا رفيعا، وأن الشكر هو الذي يحفظ النعم ويزيدها، كما أن الكفران هو الذي يزيل النعم.

و. قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الله تعالى يربي عباده على الشكر من خلال إسداء النعم إليهم، وأن النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل كانت اختبارا لهم، فمن شكر فقد أحسن، ومن كفر فقد أساء، وهذا يدل على أن الأخلاق الإسلامية تقوم على مبدأ الشكر والامتنان لله تعالى على نعمه.

ز. قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الظلم هو من أعظم الرذائل الأخلاقية، وأن الظالم إنما يظلم نفسه أولا قبل أن يظلم غيره، وأن العدل هو أساس الأخلاق الفاضلة، وأن الإنسان الذي يظلم نفسه بارتكاب المعاصي هو إنسان يفتقد إلى البصيرة الأخلاقية التي تمكنه من تمييز الخير من الشر.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات لا يمكن أن تستقيم إلا بوجود نظام تشريعي يحكم علاقات أفرادها، وأن الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام كان بمثابة الدستور الذي ينظم حياة بني إسرائيل، وهذا يدل على أن التشريعات الإلهية هي التي تضبط حركة المجتمع وتمنعه من الفوضى والاضطراب.

ب. قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن التوبة الجماعية هي من وسائل إصلاح المجتمع، وأن المجتمع الذي يقع في الانحراف يحتاج إلى مراجعة شاملة لمساره، وأن التوبة إلى الله تعالى هي التي تعيد للمجتمع توازنه الأخلاقي والروحي، وهذا يدل على أن الإصلاح الاجتماعي لا يتحقق إلا بتغيير النفوس وتطهيرها من العلل.

ج. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن التعنت الفكري والرفض المطلق للسلطة الدينية هو من أسباب انهيار المجتمعات، وأن المجتمع الذي يرفض التسليم للأنبياء والرسل هو مجتمع يسير نحو الهاوية، وأن الثقة بالقيادة الدينية هي من عوامل

التماسك الاجتماعي.

د. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن العقوبات الجماعية هي من سنن الله في الأمم السابقة، وأن المجتمع الذي يتمرد على القيم الدينية يتعرض لعقوبات جماعية تزلزل أركانه، وهذا يدل على أن هناك قوانين اجتماعية تحكم المجتمعات، وأن مخالفة هذه القوانين تؤدي إلى عواقب وخيمة.

هـ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات التي تتعرض للعقوبات الإلهية قد تحصل لها فرصة ثانية للنهوض من جديد، وأن الإصلاح الاجتماعي ممكن بعد الانهيار، إذا توفرت الإرادة الصادقة للتغيير، وهذا يدل على أن الأمل في إصلاح المجتمعات لا ينقطع مهما بلغت درجة الانحدار.

و. قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الرعاية الإلهية للمجتمعات تكون من خلال توفير الحاجات الأساسية لأفرادها، وأن الله تعالى لا يترك المجتمع المؤمن دون رعاية، وأن النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل كانت من وسائل تماسكهم الاجتماعي، وهذا يدل على أن العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات هي من عوامل استقرار المجتمعات.

ز. قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الظلم الاجتماعي هو الذي يؤدي إلى انهيار المجتمعات، وأن الظالمين إنما يظلمون أنفسهم أولا، لأن ظلمهم يؤدي إلى تفكك المجتمع وانتشار الفوضى، وهذا يدل على أن العدالة الاجتماعية هي أساس استقرار المجتمعات، وأن الظلم بجميع أشكاله هو نواة الانهيار الحضاري.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الحكم العادل لا يمكن أن يقوم إلا على أساس تشريعي متين، وأن الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام كان بمثابة الدستور الذي يحكم به بني إسرائيل، وهذا يدل على أن السياسة في المنظور الإلهي لا تنفصل عن الشريعة، وأن الحاكم مطالب بأن يحكم بما أنزل الله.

ب. قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن التوبة من الذنوب

هي من متطلبات القيادة الرشيدة، وأن الحاكم الذي يخطئ يجب أن يتوب إلى الله تعالى ويعترف بخطئه، وأن التوبة الصادقة هي التي تعيد للحاكم شرعيته أمام الله تعالى وأمام الناس، وهذا يدل على أن المساءلة السياسية تبدأ من المساءلة الذاتية أمام الله تعالى.

ج. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الشعب الذي يرفض التسليم لقيادته الشرعية دون مبرر هو شعب متمرد، وأن هذا التمرد يؤدي إلى عواقب وخيمة، وهذا يدل على أن الطاعة للحاكم العادل هي من الواجبات السياسية، وأن التمرد على السلطة الشرعية يؤدي إلى الفوضى والاضطراب.

د. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن العقوبات الإلهية قد تحل بالمجتمعات المتمردة على قيادتها الشرعية، وأن التمرد على السلطة الشرعية يؤدي إلى زعزعة الاستقرار السياسي، وهذا يدل على أن الاستقرار السياسي لا يتحقق إلا بالطاعة للقيادة الرشيدة التي تحكم بشرع الله.

هـ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الأمم التي تتعرض للعقوبات الإلهية قد تحصل لها فرصة ثانية للنهوض، إذا تعلمت من دروس الماضي، وهذا يدل على أن الإصلاح السياسي ممكن بعد الانهيار، إذا توفرت الإرادة الصادقة للتغيير، وأن الشكر للنعم هو الذي يحفظها من الزوال.

و. قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الدولة الرشيدة هي التي توفر الحاجات الأساسية لمواطنيها، وأن الرعاية الإلهية للمجتمعات تكون من خلال توفير الأمن الغذائي والاقتصادي، وهذا يدل على أن السياسة الاقتصادية العادلة هي من عوامل استقرار الدول، وأن الدولة التي تعجز عن توفير الحاجات الأساسية لشعبها هي دولة مهددة بالانهيار.

ز. قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الظلم السياسي هو الذي يؤدي إلى انهيار الدول، وأن الحكام الظالمين إنما يظلمون أنفسهم أولا، لأن ظلمهم يؤدي إلى سخط الشعب وانهيار الدولة، وهذا يدل على أن العدالة السياسية هي أساس استقرار الدول، وأن الظلم بجميع أشكاله هو نواة الانهيار السياسي.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن النجاح الإداري لا يتحقق إلا بوجود نظام واضح يحكم العمل، وأن الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام كان بمثابة النظام الإداري الذي ينظم حياة بني إسرائيل، وهذا يدل على أن الإدارة الناجحة تحتاج إلى قوانين وأنظمة واضحة تحكم العلاقات وتضبط الأداء.

ب. قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الاعتراف بالخطأ وتصحيح المسار هو من أهم مبادئ الإدارة الناجحة، وأن المنظمة التي تخطئ يجب أن تعترف بخطئها وتصحح مسارها، حتى لا تتفاقم الأخطاء وتؤدي إلى انهيار المنظمة، وهذا يدل على أن المراجعة الذاتية والتقييم المستمر هما من أهم أدوات الإدارة الناجحة.

ج. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَّ جَهْرَةً﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن عدم الثقة بالقيادة يؤدي إلى فشل المنظمة، وأن الموظفين الذين لا يثقون بقيادتهم لا يمكن أن يقدموا أداء جيدا، وهذا يدل على أن بناء الثقة بين القيادة والموظفين هو من أهم عوامل نجاح المنظمات، وأن القيادة الناجحة هي التي تكسب ثقة مرؤوسيها.

د. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن عدم الثقة بالقيادة يؤدي إلى عواقب وخيمة على المنظمة، وأن المنظمة التي يفقد أفرادها الثقة بقيادتهم تتعرض للفشل والانهيار، وهذا يدل على أن القيادة الناجحة هي التي تحافظ على ثقة مرؤوسيها من خلال الشفافية والمصداقية.

هـ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن المنظمات التي تتعرض للفشل يمكنها أن تنهض من جديد إذا تعلمت من أخطائها، وأن الإصلاح الإداري ممكن بعد الانهيار، إذا توفرت الإرادة الصادقة للتغيير، وهذا يدل على أن إدارة الأزمات هي من أهم مهارات القيادة الناجحة.

و. قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن توفير الحوافز والمكافآت للموظفين هو من أهم عوامل نجاح المنظمات، وأن الله تعالى عندما أنعم على بني

إسرائيل بالمن والسلوى كان يقدم لهم نموذجا في الإدارة الرشيدة التي تهتم بتوفير احتياجات أفرادها، وهذا يدل على أن الإدارة الناجحة هي التي توفر بيئة عمل محفزة لأفرادها.

ز. قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الظلم الإداري هو الذي يؤدي إلى فشل المنظمات، وأن المدير الظالم إنما يظلم نفسه أولا، لأن ظلمه يؤدي إلى ضعف الأداء وانتشار الإحباط بين الموظفين، وهذا يدل على أن العدالة الإدارية هي أساس نجاح المنظمات، وأن الظلم بجميع أشكاله هو نواة الفشل الإداري.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يجد فيه المؤرخ أن الأحداث التاريخية الكبرى كانت مرتبطة بالرسالات السماوية، وأن بعثة موسى عليه السلام كانت منعطفا تاريخيا مهما في تاريخ بني إسرائيل، وأن التوراة التي أنزلت عليه كانت بمثابة الدستور الذي نظم حياة بني إسرائيل لقرون طويلة، وهذا يدل على أن الدين كان ولا يزال محركا رئيسيا للأحداث التاريخية.

ب. قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يجد فيه المؤرخ أن التوبة الجماعية التي طلبها موسى عليه السلام من قومه كانت حدثا تاريخيا فريدا، وأن هذه التوبة كانت شرطا لقبول الله تعالى لتوبتهم، وهذا يدل على أن الأحداث التاريخية الكبرى كانت مرتبطة بالعلاقة بين الإنسان وربه، وأن التوبة كانت من العوامل التي غيرت مجرى التاريخ.

ج. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَّ جَهْرَةً﴾ يجد فيه المؤرخ أن بني إسرائيل كانوا شعبا متمردا على قيادته الدينية، وأن هذا التمرد تكرر في تاريخهم الطويل، وهذا يدل على أن هناك سمات ثابتة في شخصية بني إسرائيل عبر التاريخ، منها التمرد على الأنبياء والرسل، وعدم الثقة بالقيادة الدينية.

د. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يجد فيه المؤرخ أن العقوبات الإلهية كانت من الأحداث التاريخية التي وثقتها الكتب السماوية، وأن الصاعقة التي أخذت بني إسرائيل كانت حدثا تاريخيا مهما، يدل على أن الله تعالى كان يعاقب الأمم المتمردة على رسله، وهذا يدل على أن التاريخ البشري مليء بالأحداث التي تدل على التدخل الإلهي في شؤون الأمم.

هـ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يجد فيه المؤرخ أن الله تعالى أعطى بني إسرائيل فرصة ثانية بعد أن أهلكهم بالصاعقة، وهذا يدل على أن الله تعالى قد يمنح الأمم فرصا جديدة للنهوض بعد الانهيار، وأن التاريخ البشري مليء بالأمثلة على الأمم التي سقطت ثم نهضت من جديد.

و. قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يجد فيه المؤرخ أن الله تعالى أنعم على بني إسرائيل بنعم عظيمة أثناء رحلتهم في التيه، وأن هذه النعم كانت من الأحداث التاريخية التي وثقتها الكتب السماوية، وهذا يدل على أن الله تعالى كان يرعى بني إسرائيل في رحلتهم التاريخية.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)﴾ يشير إلى أن امتلاك المعيار المعرفي الواضح يمنح الإنسان طمأنينة نفسية ويحقق له الاستقرار الداخلي، لأن (الفرقان) هو القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وأن غياب المعيار يسبب القلق والتردد والحيرة، وأن الصحة النفسية ترتبط بوضوح القيم والمعتقدات التي يهتدي بها الإنسان في سلوكه ومواقفه.

ب. قوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ يشير إلى أن جريمة الاستبدال العقدي والانحراف عن المعبود الحق هي في جوهرها ظلم نفسي، فمن اتخذ لنفسه معبودا زائفا من المادة أو الوثن أو الهوى فقد أهان ذاته وأفسد فطرتها، وأن الشعور بالذنب الناتج عن هذا الظلم الذاتي هو بحد ذاته إيذان ببداية التعافي النفسي إذا ووجه بصدق.

ج. قوله: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ يشير إلى أن التوبة ليست مجرد طقس ديني، بل هي عملية علاج نفسي عميقة تعيد للإنسان اتزانه بعد أن خالف ضميره، فالتوبة إلى (البارئ) تعني إعادة الإنسان إلى أصله الفطري الذي خُلق عليه، وأن الندم والإقلاع والعزم على عدم العودة هي مكونات العلاج النفسي للتخلص من الشعور المزمن بالذنب.

د. قوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ يحمل إشارة نفسية لطيفة إلى أن التخلص من الأنا المذنبة والرغبات التي قادت إلى المعصية هو قتل معنوي للنفس الأمّارة بالسوء، وأن التضحية باللذات العابرة والانتصار عليها هو ثمن السلامة النفسية، وأن الشعور بالألم المصاحب للتغيير أخف

وطأة من استمرار تأنيب الضمير.

هـ. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤)﴾ يشير إلى أن قبول التوبة يحدث أثرا نفسيا عظيما يتمثل في زوال الشعور بالعزلة والرفض، وأن الإنسان حين يشعر أن هناك من يقبل عودته ويرحمه بعد خطئه يتحرر من عقدة الاحتقار الذاتي، وأن إتاحة فرصة ثانية للمخطئ من أهم عوامل إعادة بناء ثقته بنفسه.

و. قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَّ جَهْرَةً﴾ يشير إلى أن الطلب المتعالي الذي يتجاوز حدود الإمكان البشري قد يكون تعبيرا عن رفض نفسي خفي، فحين يضع الإنسان شروطا مستحيلة للاقتناع فإنه غالبا ما يخفي خلفها مقاومة داخلية للتغيير، وأن التعنت في المطالب الحسية هو من آليات الدفاع النفسي التي يستخدمها من لا يريد أن يلتزم.

ز. قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)﴾ يشير إلى أن الصدمات النفسية العنيفة قد تأتي في لحظات يقظة الإنسان ومواجهته للحق، وأن الذي يصر على موقف تعنتي قد يتعرض لصدمة تصحح له رؤيته، وأن هذه الصدمات رغم شدتها تكون أحيانا ضرورية لإعادة البناء النفسي من جديد.

ح. قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)﴾ يشير إلى أن الإنسان يمكن أن يمر بموت معنوي، ثم يبعث من جديد بفرصة متجددة للحياة، وأن التجارب القاسية التي تكاد تهدم النفس قد يعقبها إعادة ولادة نفسية تعيد للإنسان تقديره للحياة وشكره على البقاء، وأن الشفاء النفسي من الصدمات الكبرى يبدأ بالامتنان لفرصة الاستمرار.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ يشير إلى أن (الفرقان) أي القدرة على التمييز بين الحلال والحرام، والغث والسمين، والصحيح والفاسد، هو أداة أساسية في القرار الاقتصادي الرشيد، فالمستثمر والتاجر الذي يملك معيارا واضحا يفرق به بين الصفقات النافعة والضارة، وبين الأسواق الواعدة والواهمة، يكون أقدر على اتخاذ القرار السليم، وأن غياب (الفرقان) الاقتصادي يقود إلى الخلط بين الربح والخسارة المقنعة.

ب. قوله: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ يشير إلى أن الانحراف عن القيم والعبودية

الحقة إلى عبودية المادة والوثن الاقتصادي هو ظلم للنفس ولمصالحها الحقيقية، فاتخاذ (العجل) هنا رمز لتقديس المال والثروة أو الانبهار بمنتج أو نموذج استهلاكي زائف، وأن هذا التقديس يعمي الإنسان عن استثمار موارده في مواضعها الصحيحة، فيبدد رأس ماله النفسي والمادي معا.

ج. قوله: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ يشير في السياق الاقتصادي إلى ضرورة مراجعة الذات المالية والعودة إلى الأسس السليمة في المعاملات، فمن أخطأ في استثماره أو انحرف في كسبه عليه أن يراجع مساره ويصحح أوضاعه، وأن (التوبة الاقتصادية) تكون بمراجعة مصادر الدخل وتطهير المكاسب من الحرام وإعادة هيكلة الأولويات وفق القيم.

د. قوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ يشير إلى أن التضحية ببعض المغانم والمشاريع التي دخلها الحرام أو الريبة هي خسارة ظاهرية لكنها خير للإنسان، وأن تصفية الأصول المحرمة أو قطع العلاقات التجارية الفاسدة ولو كلفت ضريبة مالية هو نوع من (قتل النفس الاقتصادي) الذي يعقبه خير مستدام، وأن خسارة مؤقتة في التطهير المالي أفضل من مكاسب تنتهي إلى الضرر المحقق.

هـ. قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ يشير إلى أن من أسباب الاستقرار الاقتصادي وجود (ظلال) تحمي الإنسان من تقلبات السوق ومن شدة الضغط التنافسي المباشر، فالغطاء الواقي الذي يظلل العاملين هو ما يشبه في الاقتصاد الحديث أنظمة الحماية الاجتماعية وشبكات الأمان الاقتصادي، وأن هذا الظل الرباني هو عطاء يخفف وطأة الاحتقان المالي.

و. قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يشير إلى أن الرزق يأتي من عند الله بطرق قد تكون غير متوقعة، وأن الاقتصاد ليس مجرد معادلات بشرية بل هو في جوهره تدفق من العطاء الرباني، وأن على الإنسان أن يأخذ بالأسباب ثم يتلقى النتائج، وأن (المن والسلوى) هما رمز للرزق الطيب المستمر الذي لا يتطلب مشقة مفرطة، وفيه درس للمستهلك بأن القناعة بالطيب من الرزق خير من السعي خلف الترف الزائد.

ز. قوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ يشير إلى أن الاستهلاك الصحيح هو استهلاك (الطيبات) أي ما كان حلالا نافعا، لا ما كان حراما أو خبيثا، وأن الاقتصاد القوي يقوم على النزاهة في الاستهلاك والإنتاج معا، وأن توجيه الاستهلاك نحو الطيبات يحقق التوازن بين إشباع الحاجات وصيانة

الموارد.

ح. قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)﴾ يشير إلى أن الجريمة الاقتصادية من احتكار وغش وربا وتبديد موارد إنما يضر صاحبه أولا وقبل كل شيء، وأن الدولة أو المجتمع الذي يعاقب المخالف إنما يحمي الفرد من ظلم نفسه، وأن الخسارة الاقتصادية الكبرى هي تلك التي تلحق بالقيم والأخلاق قبل أن تلحق بالأرصدة.

حادي عشر - إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)﴾ يشير إلى أن التربية الناجحة تبدأ بتمكين المتعلم من أدوات المعرفة والتمييز، فالكتاب هو المنهج، والفرقان هو القدرة على النقد والتمييز، وأن التربية التي تلقن ولا تعلم التمييز تصنع أفرادا عالة على غيرهم في التفكير، وأن غاية التعليم هي الهداية السلوكية لا مجرد التزود بالمعلومات.

ب. قوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يشير إلى أن التربية الأخلاقية تبدأ بتعليم المتعلم كيفية محاسبة نفسه والتعرف على أخطائه، فالتربية على الصراحة مع الذات وعدم تبرير الأخطاء هي أساس النمو الأخلاقي، وأن استعمال المعلم لعبارة واضحة كلمة (ظلمتم أنفسكم) هو منهج تربوي يواجه المخطئ بحقيقة مسؤوليته الشخصية.

ج. قوله: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ يشير إلى أن التربية على الإصلاح بعد الخطأ أهم من العقاب بحد ذاته، فالتربية الناجحة تفتح للمخطئ باب الرجوع والتوبة، وتعلمه أن الخطأ ليس نهاية الطريق، وأن الرجوع إلى الأصل الفطري وإصلاح العلاقة مع الخالق هو نقطة الانطلاق الجديدة.

د. قوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ يشير إلى أن التربية تحتاج في بعض الأحيان إلى حسم قوي مع أنماط السلوك السلبية، فقتل النفس هنا هو كناية عن قتل الصفات الذميمة والانفصال الجذري عن السلوك الضار، وأن التربوي قد يضطر إلى إجراءات حاسمة مع المتعلم للخلاص من سلوكه المنحرف، وأن هذه الشدة مطلوبة أحيانا لأنها أخير من التساهل المدمر.

هـ. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤)﴾ يشير إلى أن التربية المتوازنة تجمع بين الحزم والرحمة، فبعد التكليف الشاق يأتي قبول التوبة والرحمة، وأن المؤسسة التربوية التي تحاسب وتقبل

العودة وتحتضن المخطئ بعد تصحيحه هي التي تصنع أفرادا أسوياء، وأن الرجاء في رحمة الله أساس استمرار المسيرة التربوية.

و. قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ يشير إلى أن بعض المتربين يعاند المعلمين والمربين بمطالب غير واقعية، وأن التربية يجب أن تتعامل مع ظاهرة التعنت والشرطية في التعلم، فليس كل مطلب يفرضه المتعلم مقبولا، وأن التربية الناضجة لا تستجيب للابتزاز التربوي ولا تتنازل عن الثوابت تحت ضغط المطالب المتعجرفة.

ز. قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)﴾ يشير إلى أن التربية الفعالة قد تستلزم صدمة تقويمية توقظ المتربي من غفلته، فالعقوبة أو الصدمة العابرة قد تكون أبلغ من مئات النصائح، وأن أسلوب الصدمة التربوية يستعمل في حالات التمادي والعناد، لكن ينبغي أن يقصد بها الإصلاح لا الانتقام.

ح. قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)﴾ يشير إلى أن التربية مهما اشتدت فهي تفتح للمتعلم بعد ذلك فرصة جديدة للحياة والتعلم، وأن من يمر بتجربة فشل أو عقوبة قاسية يمكن أن يُبعث من جديد بدافع أقوى للشكر والتعلم، وأن دور التربية هو إحياء الهمم بعد الكبوات.

ط. قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ يشير إلى أن البيئة التربوية ينبغي أن توفر للمتعلم ظلا واقيا من التوتر والضغوط المفرطة، فالتربية لا تكون في جو ملتهب من التهديد والوعيد الدائم، بل في مناخ مظلل بالطمأنينة، وأن توفير الأمان النفسي في الموقف التعليمي يزيد من فعالية التعلم.

ي. قوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ يشير إلى أن التربية الشاملة تعتني بتغذية المتعلم الجسدية والعقلية والروحية معا، وأن الأكل من الطيبات مع التظليل هو رعاية تربوية متكاملة، وأن تربية الأجيال لا تتحقق في ظل الحرمان المفرط أو البذخ المفسد، بل في توفير الطيبات النافعة التي تساعد على التركيز والنمو.

ثاني عشر ـ إشارات دعوية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)﴾ يشير إلى أن الداعية يحتاج إلى كتاب معصوم وفرقان نافذ يميز به بين الحق والباطل عند مخاطبة الناس، فالكتاب هو مصدر الرسالة الدعوية، والفرقان هو منهج التمييز الذي يقدم للعقل البشري ما يفرق به بين الهدى والضلال، وأن

الداعية بلا كتاب ولا فرقان يخبط خبط عشواء.

ب. قوله: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يشير إلى أن الداعية يبدأ دعوته بتشخيص الداء وبيان خطر الذنب على صاحبه قبل الخوض في الحل، فالخطاب الدعوي الناجح هو الذي يوضح للمخاطب أنه المضرور الأول من انحرافه، وأن الداعية لا يخاطب الناس من موقع الوصاية المتعالية بل من موقع الرحمة والبيان، فيقول (يا قوم) بعبارة الرجل المشفق من قومه.

ج. قوله: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ يشير إلى أن جوهر الدعوة هو دعوة الناس إلى الرجوع إلى خالقهم وفطرتهم، وأن الداعية مهما أطال في تفصيلات الشرع فإنه ينبغي أن يصل بالمخاطب إلى حقيقة واحدة مركزية هي التوبة والإنابة، وأن الدعوة التي تكتفي بالنقد دون أن تفتح باب الرجوع هي دعوة ناقصة.

د. قوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ يشير إلى أن الداعية قد يُطلب منه أن يبين أن طريق الخلاص قد يتضمن ألما وتضحيات، وأنه يجب أن يصدح بأن التخلص من الذنوب يتطلب حسمًا لا مساومة فيه، وأن على الداعية ألا يخفي عن الناس تكاليف الالتزام الحقيقية وأن يوضح لهم أن هذا الخير يعود عليهم في الدنيا والآخرة.

هـ. قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤)﴾ يشير إلى أن الداعية يبشر الناس برحمة الله وعفوه بعد التوبة، وأن الخطاب الدعوي الذي يجمع بين التحذير والرجاء هو الأقرب إلى النفوس، وأن قبول التوبة من الله هو رسالة أمل عظيمة تفتح للعصاة باب العودة ولا تغلق عنهم الطريق مهما عظمت ذنوبهم.

و. قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ يشير إلى أن الداعية سيواجه أصنافا من المخالفين الذين يرفعون سقف مطالبهم إلى درجة الاستحالة، وأن التعامل مع هذا النمط من المعاندين يتطلب صبرا وحجة، وأن الداعية لا يملك أن يخضع لهذا الابتزاز، بل عليه أن يواصل دعوته موكلا النتائج إلى الله، فالقوم حين أصروا على رؤية الله جهرة أخضعهم الله لصاعقة التأديب.

ز. قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)﴾ يشير إلى أن الداعية يوقن أن القلوب بيد الله، وأن الله قادر على أن يحيي القلوب الميتة بعد العناد، وأن إحياء الله لهؤلاء بعد موتهم هو مثال دعوي عظيم على أن اليأس من هداية أحد ليس من شأن الداعية، بل عليه أن يواصل الدعوة والله

يبعث من يشاء بعد الغفلة والموت الروحي.

ح. قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ يشير إلى أن من ثمرات الهداية والرجوع إلى الله أن يظلل الله على الناس نعمه ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، وأن الداعية يبين للناس أن الاستجابة لدعوته ليست خسارة دنيوية بل هي جلب للنعم المادية والمعنوية، وأن الله يعين المهتدين بألطاف لا تخطر على بال.

ط. قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)﴾ يشير إلى أن الداعية يذكر الناس أن الإعراض عن الدعوة لا يضر الله شيئا، وإنما يضر المعرضين أنفسهم، وأن الداعية لا يدعو لنفع ذاته بل لنفع من يدعوهم، وأن هذا المنطق القرآني يفكك حجة من يظنون أنهم يؤذون الداعية بإعراضهم أو ينتصرون عليه بعدم استجابتهم.

٢٢. دخول القرية بقول يدل على التواضع والاستغفار وعقوبة المبدلين:

المقطع [٢٢] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يشير إلى أن دخول الأرض المقدسة أو القرية الموعودة كان مشروطا بامتثال الأمر الإلهي، وأن التمكين في الأرض ليس مجرد استحقاق قومي أو عرقي، بل هو مرتبط بالطاعة والالتزام بالمنهج، فالله يمنح الأرض لمن يطيعه، ويسلبها ممن يعصيه، وهذا يقرر مبدأ أن الاستخلاف في الأرض تكليف وليس تشريفا.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يدل على أن الرزق الحلال واسع لا ضيق فيه، وأن نعمة الله على عباده تتنزل عليهم بشرط دخولهم من الباب الذي حدده الله، فالأكل الرغد ليس مطلقا، بل هو مقيد بالدخول الصحيح، وهذا يبين أن النعم لا تنفصل عن الالتزام بالشرع.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يقرر أن العبادة هي مفتاح الدخول إلى كل خير، وأن السجود

لله هو علامة الخضوع والذل له، وأن دخول أي نعمة أو منعة لا يكون إلا بالتواضع لله، لا بالتكبر والاستعلاء، فالسجود هنا ليس مجرد هيئة، بل هو حقيقة الخضوع لله الواحد القهار.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يشير إلى أن الاستغفار وطلب حط الخطايا هو شرط من شروط دخول النعم، وأن الذنوب تحجب البركات، فلا بد من التوبة والاستغفار لتنزل المغفرة، وهذا يربط بين العبادة القولية والعبادة الفعلية، فالسجود بالجسد والاستغفار باللسان معا هما طريق المغفرة.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يبين أن المغفرة وعد إلهي لمن أتى بالشرط، وأنها ليست مجرد أمنية، بل هي سنة إلهية مضبوطة، فمن دخل الباب ساجدا وقال حطة غفر الله له، وهذا يقرر أن المغفرة من الله وحده، ولا يملكها أحد سواه.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يشير إلى أن الله لا يكتفي بالمغفرة لمن أحسن، بل يزيده من فضله، وأن الإحسان هو مرتبة أعلى من مجرد فعل الواجب، فهو عبادة الله كأنك تراه، وهذه الزيادة هي من فضل الله ورحمته، وهي دليل على أن الله يجازي المحسنين بأكثر من أعمالهم.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يقرر أن الظلم هو تحريف الكلم عن مواضعه، وأن تبديل القول هو تبديل للشرع، وهذا يعد جريمة عظيمة، فالظالمون لم يكتفوا بمخالفة الفعل، بل بدلوا القول نفسه، وهذا أشد في الجناية، لأنهم حرفوا النص الإلهي كما حرفوا العمل.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يبين أن العقوبة الإلهية نازلة على الظالمين، وأنها من السماء، أي أنها عقوبة إلهية لا بشرية، وأن سببها هو الفسق، أي الخروج عن الطاعة، فالفسق هو الذي يستدعي الرجز، والعقوبة متناسبة مع الجريمة، فكما بدلوا القول، بدل الله عليهم النعمة نقمة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى دخول حضرة القلب، وهي قرية الروح التي يسكنها الإيمان، فلا يدخلها إلا من سلم قلبه لله، وأن الدخول إليها يكون بالمجاهدة والصدق، لا بالتمني.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن من دخل حضرة القلب وجد فيها من

المعارف والأسرار ما يشاء، وأن الرغد الحقيقي هو رغد الروح بالمعرفة الإلهية، لا رغد البطن بالطعام، فالأكل الروحي هو غذاء القلوب.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن دخول حضرة القدس لا يكون إلا بالانكسار والذل لله، وأن السجود هو مقام القرب الأتم، ففي السجود يكون العبد أقرب ما يكون من ربه، وهو باب الدخول إلى المعارف اللدنية.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى مقام التوبة والاستغفار، وأن حط الأثقال لا يكون إلا بالانكسار والاعتراف بالذنب، وأن قول حطة هو طلب محو الذنوب، وهو من مقامات التخلية التي لا بد منها قبل التحلية.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ هو وعد إلهي للصوفي بأن من أتى بشرط التوبة والانكسار نال المغفرة، وأن المغفرة هي بداية الطريق إلى الله، فلا يمكن للسالك أن يترقى في المقامات قبل أن يغفر له ما مضى من ذنوبه.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يشير إلى أن الإحسان هو مقام المشاهدة، وهو أعلى المقامات عند الصوفية، وأن الله يزيد المحسنين من المعارف والأسرار ما لا يخطر على قلب بشر، فالزيادة هنا هي زيادة في الكشف والقرب، لا في الأجر فقط.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يحذر الصوفي من تحريف الأذكار والأوراد عن معانيها، وأن من بدل الذكر المأثور فقد ظلم نفسه، فالذكر عندهم ليس ألفاظا فقط، بل هو حضور قلب ومعنى، ومن بدله فقد خرج عن طريق السالكين.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يجد فيه الصوفي أن الفسق هو حجاب القلب عن الله، وأن الرجز هو ظلمة القلب وقسوته، فمن فسق حُجب عن نور الله، وكانت عقوبته في قلبه قبل جسده، فالرجز الحقيقي هو حجاب القلب عن المعرفة.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يثير عند الفيلسوف تأمل طبيعة الأوامر الإلهية وعلاقتها بالحرية الإنسانية، فالأمر بالدخول يطرح إشكال الجبر والاختيار، فالله يأمر وهم يطيعون أو يعصون، وهذا يفتح

باب التأمل في فلسفة الأمر الإلهي وعلاقته بالإرادة البشرية.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن النعمة الإلهية لا تتنافى مع حرية الاختيار، فالإنسان مخير في الأكل من حيث يشاء، لكن ضمن حدود معينة، وهذا يلتقي مع فلسفة الحدود التي تضعها الأخلاق بين الحرية والفوضى.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يلفت الفيلسوف إلى أن الخضوع ليس إهانة للإنسان، بل هو اعتراف بحقيقة الوجود، وأن السجود هو تعبير فلسفي عن إدراك الإنسان لمحدوديته أمام المطلق، وهذا يطرح إشكال العلاقة بين المتناهي واللامتناهي.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكال مفهوم الخطيئة والمغفرة، فهل المغفرة محو للخطيئة أم تغطية لها؟ وهل يمكن أن يزول أثر الفعل بعد وقوعه؟ هذه أسئلة فلسفية عميقة حول طبيعة الزمن والأثر الأخلاقي للفعل.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يطرح إشكال العدالة الإلهية، فكيف يغفر الله لمن أذنب؟ أليس هذا نقضا للعدالة؟ والجواب الفلسفي أن المغفرة هي فضل إلهي يتجاوز العدالة المحضة، وهي من صفات الرحمة التي تكمل العدل ولا تناقضه.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يشير إلى مبدأ فلسفي مهم وهو أن الفضيلة غايتها ذاتها، وأن الإحسان ليس لأجل الجزاء فقط، بل هو قيمة في ذاته، والزيادة التي وعد الله بها هي تأكيد على أن الخير يتولد منه خير، وأن الفضيلة تلد الفضيلة.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكال تحريف النصوص وتأويلها، وأن تحريف الكلم عن مواضعه هو مشكلة تأويلية، فالظالمون لم يفهموا النص فهما خاطئا فقط، بل بدلوه عمدا، وهذا يطرح إشكال العلاقة بين النص والتأويل والسلطة.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يثير إشكال العلاقة بين الفعل وعاقبته، فهل العقوبة حتمية نتيجة للفعل أم هي تدخل إلهي خارجي؟ والجواب الفلسفي أن العقوبة هنا هي نتيجة طبيعية للفسق، فالفسق يفسد النظام الأخلاقي فيستحق صاحبه العقاب، والرجز من السماء هو تعبير عن أن النظام الكوني كله يرفض الفسق.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الدخول إلى المجتمع الفاضل يتطلب شروطا أخلاقية، وأن القرية ليست مجرد مكان جغرافي، بل هي نموذج للمجتمع الأخلاقي الذي تقوم علاقاته على الطاعة والالتزام.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن الأخلاق لا تدعو إلى الحرمان، بل إلى الاعتدال، فالأكل الرغد مباح، لكنه مقيد بالدخول الصحيح، وهذا يبين أن الأخلاق الإسلامية لا تناقض الفطرة، بل تهذبها وتضبطها.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يربي خلق التواضع، فالسجود هو أعظم صور التواضع، وهو يربي في النفس خلق الانكسار لله، ومن تواضع لله رفعه، ومن تكبر وضعه الله، فالتواضع هو مفتاح كل فضيلة.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يشير إلى خلق الاعتراف بالخطأ، فقول حطة هو طلب للحط والمغفرة، وهو يعلم الإنسان أن يعترف بذنبه ولا يبرره، وهذا من أعظم الأخلاق، فالاعتراف بالخطأ هو بداية الإصلاح.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يبين أن الأخلاق لا تقوم على اليأس من رحمة الله، بل على الأمل، فمن أخطأ ثم تاب وأصلح، فالله يغفر له، وهذا يمنع الإنسان من الانزلاق في مستنقع اليأس والاستسلام للخطيئة.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يحفز على خلق الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، وهو أعلى مراتب الأخلاق، فالإحسان ليس مجرد أداء الواجب، بل هو تجاوز إلى ما هو أسمى، وهو بذل الخير بإتقان وإخلاص.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يحذر من خلق التحريف والكذب، فالظالمون بدلوا القول، وهذا يدل على أن الكذب وتحريف الكلام من أعظم الأخلاق الذميمة، وأن الأمانة في القول هي من أساسيات الأخلاق الفاضلة.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يبين أن الفسق هو خروج

عن الأخلاق، وأن عاقبة الفسق وخيمة، فالفسق يفسد الفرد والمجتمع، ويستحق صاحبه العقوبة، وهذا يقرر أن الأخلاق ليست ترفا، بل هي ضرورة لاستقرار الحياة.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات لا تقوم على الجغرافيا فقط، بل على القيم والعقائد، فالقرية هنا هي نموذج للمجتمع الذي يقوم على أساس ديني، وأن الدخول إليه يتطلب التزاما بمنهج محدد.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن المجتمع الفاضل هو الذي تتوفر فيه أسباب الرغد والرخاء، وأن هذا الرخاء ليس مرفوضا، بل هو مطلوب، لكنه مرتبط بالالتزام بالقيم، فالرخاء المادي يجب أن يقترن بالرخاء الروحي.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يبين أن المجتمعات التي تدخل في الحضارة بغير تواضع وخضوع لله تكون عرضة للزوال، فالتواضع هو أساس البناء الاجتماعي، والمجتمع المتكبر ينهار من داخله قبل أن ينهار من خارجه.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يشير إلى أن المجتمعات تحتاج إلى ثقافة الاعتراف بالأخطاء والاستغفار، فالمجتمع الذي لا يعترف بأخطائه ولا يستغفر من ذنوبه يكون عرضة للعقوبات الجماعية، والاستغفار هو سبب دفع البلاء عن المجتمعات.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يبين أن المغفرة الإلهية لها أثر اجتماعي، فحين يغفر الله للمجتمع ذنوبه، تتحقق له البركات وتتنزل عليه النعم، والمجتمع المغفور له هو المجتمع المستقر المتماسك.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي يكثر فيها المحسنون تنال زيادة من الله في الخير والبركة، فالإحسان ليس فرديا فقط، بل له أثر اجتماعي، فالمحسنون هم عماد المجتمع وقوته.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يحلل عالم الاجتماع ظاهرة التحريف الاجتماعي، فالظالمون لم يبدلوا القول فقط، بل بدلوا القيم والمفاهيم، وهذا يؤدي إلى انهيار البنية الاجتماعية، فالتحريف يبدأ بالكلام ثم ينتقل إلى الفعل ثم إلى البنية كلها.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يبين أن الفسق الاجتماعي

يستدعي العقوبات الجماعية، وأن المجتمعات التي تفسق وتخرج عن القيم تتعرض للهلاك، فالرجز من السماء هو تعبير عن أن فساد المجتمع يجر عليه عقوبات كونية، وهذا يقرر سنة اجتماعية إلهية في هلاك المجتمعات الفاسقة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن التمكين السياسي مشروط بالطاعة، فدخول الأرض المقدسة كان مشروطا بالالتزام بالمنهج الإلهي، وأن القوة السياسية ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق مراد الله في الأرض.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن الدولة المتمكنة يجب أن توفر الرغد لشعبها، وأن الرخاء الاقتصادي هو من أهداف الدولة، لكنه رخاء مقيد بالمنهج، فلا يكون على حساب القيم والأخلاق.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يبين أن دخول الدولة إلى مرحلة التمكين يجب أن يكون بتواضع لله، لا بالتكبر والاستعلاء، فالدولة التي تدخل في التاريخ بغير تواضع لله تكون عرضة للزوال، والتواضع هو ضمانة بقاء الدول.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يوجه الدولة إلى أن الاستغفار والتوبة هما من أسباب دفع البلاء عن الأمم، فالدولة التي تعترف بأخطائها وتستغفر الله تكون أقرب إلى النجاة من الدولة المكابرة التي لا تعترف بخطئها.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يشير إلى أن المغفرة الإلهية هي من عوامل استقرار الدول، فالدولة التي تنال مغفرة الله تكون محصنة من العقوبات، والمغفرة تأتي بالطاعة والالتزام.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يحفز الدولة على تشجيع الإحسان والمحسنين، فالدولة التي تكرم المحسنين وتدعمهم تنال زيادة من الله في الخير والبركة، والإحسان هو أساس التنمية الحقيقية.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يحذر من تحريف الأنظمة والقوانين، فالظالمون في كل عصر يحرفون النصوص لتوافق أهواءهم، وهذا التحريف هو بداية سقوط الدول، فالأنظمة التي تحرف نصوصها الشرعية تكون عرضة للزوال.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يبين أن الفسق السياسي يستدعي العقوبات الإلهية، فالدول التي تفسق وتخرج عن منهج الله تتعرض للهلاك، والرجز من السماء هو تعبير عن أن العقوبات الإلهية تنزل على الدول الظالمة الفاسقة، وهذا يقرر سنة إلهية في سقوط الدول.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الدخول إلى أي مشروع أو منظمة يتطلب خطة واضحة وشروطا محددة، فالقرية هنا هي نموذج للمشروع الناجح الذي لا يدخله إلا من التزم بالشروط، وهذا يبين أن النجاح لا يأتي اعتباطا، بل بمنهجية.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن المنظمة الناجحة توفر لأعضائها الرغد والرضا الوظيفي، وأن هذا الرغد ليس مرفوضا، بل هو مطلوب، لكنه مرتبط بالالتزام برؤية المنظمة ورسالتها.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يبين أن ثقافة المنظمة يجب أن تقوم على التواضع، فالموظف المتواضع هو الذي يتعلم ويطور نفسه، والمنظمة المتواضعة هي التي تنجح في التكيف مع المتغيرات، والتواضع هو أساس ثقافة الجودة.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يشير إلى أن المنظمة الناجحة هي التي تعترف بأخطائها وتصححها، فثقافة الاعتراف بالخطأ هي ثقافة التعلم المستمر، والمنظمة التي لا تعترف بأخطائها تكون عرضة للفشل.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يبين أن المنظمة التي تصحح أخطاءها تنال فرصة جديدة للنجاح، فالمغفرة هنا هي إتاحة الفرصة للتصحيح، والمنظمة التي تمنح أعضاءها فرص التصحيح تكون أكثر إنتاجية.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يحفز على نظام الحوافز والمكافآت، فالمنظمة التي تكافئ المحسنين وتدعمهم تنال زيادة في الإنتاجية والجودة، والإحسان في العمل هو الإتقان، والمنظمة التي تشجع الإتقان تتفوق على غيرها.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يحذر من تحريف الأنظمة والتعليمات، فالموظف الذي يبدل التعليمات ويحرفها هو موظف ظالم، وهذا التحريف يؤدي إلى فشل المنظمة، فالالتزام

بالأنظمة هو أساس نجاح الإدارة.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يبين أن الفسق الإداري، وهو الخروج عن الأنظمة، يستدعي العقوبات، فالمنظمة التي ينتشر فيها الفساد الإداري تتعرض للانهيار، والعقوبات هنا هي نتيجة طبيعية للفساد، وهذا يقرر أن الالتزام بالأنظمة هو ضمانة بقاء المنظمات.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يجد فيه المؤرخ أن هذا المقطع يوثق مرحلة مهمة من تاريخ بني إسرائيل، وهي مرحلة دخولهم الأرض المقدسة، وأن هذا الدخول كان مشروطا بشروط إلهية، وهذا يبين أن التاريخ ليس صدفة، بل هو مسير وفق سنن إلهية.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن الفترة التي سبقت تحريف بني إسرائيل كانت فترة رغد ونعمة، وأن النعمة كانت مشروطة بالطاعة، وهذا يبين أن التاريخ البشري مليء بالتحولات بين النعمة والنقمة بحسب الطاعة والمعصية.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يبين أن دخول الأمم إلى مراحل التمكين يكون بالخضوع لله، وأن الأمم التي تدخل التاريخ بغير تواضع لله تكون عرضة للزوال، وهذا يفسر سقوط الأمم التي تكبرت واستعلت.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يشير إلى أن الأمم التي تستغفر وتتوب تنال المغفرة، وأن الاستغفار هو سبب دفع البلاء عن الأمم، وهذا يفسر نجاة بعض الأمم من العقوبات بينما هلكت أمم أخرى.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يبين أن المغفرة الإلهية كانت متاحة لبني إسرائيل، لكنهم بدلوا ولم يستغفروا، فحل عليهم العقاب، وهذا يبين أن التاريخ مليء بالفرص الضائعة بسبب العناد والاستكبار.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يشير إلى أن الأمم التي يكثر فيها المحسنون تنال زيادة في الخير والبركة، وأن الإحسان هو سبب ازدهار الأمم، وهذا يفسر ازدهار بعض الحضارات التي انتشر فيها الإحسان.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يوثق المؤرخ ظاهرة التحريف في التاريخ،

فالظالمون في كل عصر يحرفون النصوص والقيم، وهذا التحريف هو بداية انحدار الأمم، وتاريخ بني إسرائيل مليء بأمثلة التحريف.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يبين أن العقوبات الإلهية تنزل على الأمم الفاسقة، وأن الفسق هو سبب هلاك الأمم، وهذا يفسر هلاك الأمم السابقة كعاد وثمود وغيرها، فالرجز من السماء هو تعبير عن العقوبات الكونية التي تصيب الأمم الفاسقة.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الدخول إلى مرحلة جديدة في الحياة يتطلب استعدادا نفسيا، وأن التغيير الإيجابي لا يكون إلا بالالتزام بشروط، فالقرية هنا هي رمز للحياة الجديدة التي تحتاج إلى تهيئة نفسية.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن الرغد والأمان النفسي يأتيان بالالتزام بالمنهج، وأن الأكل الرغد هو رمز للشبع النفسي والرضا، فالرضا النفسي لا يتحقق بالفوضى، بل بالانضباط.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يبين أن التواضع والانكسار لله هما من أسباب الصحة النفسية، فالتكبر والاستعلاء يسببان اضطرابات نفسية، بينما التواضع يمنح الإنسان راحة نفسية وسكينة.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يشير إلى أن الاعتراف بالخطأ وطلب المغفرة هما من أسباب الصحة النفسية، فكبت الأخطاء وعدم الاعتراف بها يسبب القلق والاكتئاب، بينما الاعتراف والاستغفار يمنحان راحة نفسية.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يبين أن المغفرة لها أثر نفسي عميق، فالشعور بالمغفرة يزيل الشعور بالذنب، وهو من أهم أسباب الصحة النفسية، فالإنسان الذي يشعر بأنه مغفور له يكون أكثر استقرارا نفسيا.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يشير إلى أن الإحسان له أثر نفسي إيجابي، فالإحسان يمنح الإنسان شعورا بالرضا والسعادة، والإحسان إلى الآخرين يقلل من الاكتئاب ويزيد من الشعور بقيمة الذات.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يحلل الطبيب النفسي ظاهرة التحريف

النفسي، فالظالمون بدلوا القول، وهذا التحريف هو نوع من الإنكار والكبت، وهو من آليات الدفاع النفسي غير الصحية، فالتحريف يؤدي إلى اضطرابات نفسية.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يبين أن الفسق له أثر نفسي سلبي، فالخروج عن القيم يسبب اضطرابات نفسية، والرجز من السماء هو تعبير عن العقوبات النفسية التي تصيب الفاسقين، فالقلق والاكتئاب هما من صور الرجز النفسي.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن الدخول إلى السوق أو المشروع الاقتصادي يتطلب شروطا، فالقرية هنا هي رمز للسوق أو الاقتصاد الناجح، وأن الدخول إليه مشروط بالالتزام بالقواعد.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي لا يدعو إلى الحرمان، بل إلى الرغد والرخاء، فالاستهلاك مباح، لكنه مقيد بالحلال، وهذا يبين أن الاقتصاد الإسلامي يوازن بين الإنتاج والاستهلاك.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يبين أن الاقتصاد الناجح هو الذي يقوم على التقوى والالتزام بالحلال والحرام، فالاقتصاد الذي لا يلتزم بالضوابط الشرعية يكون عرضة للانهيار، والتقوى هي ضمانة استقرار الاقتصاد.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد يحتاج إلى التوبة والاستغفار، فالاقتصاد الذي يكثر فيه الحرام والربا يحتاج إلى تطهير، والاستغفار هو سبب البركة في المال.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يبين أن المغفرة لها أثر اقتصادي، فالمغفرة تمنح البركة في الرزق، والاقتصاد الذي ينال مغفرة الله يكون أكثر بركة واستقرارا.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يشير إلى أن الإحسان في الاقتصاد، وهو إتقان العمل وعدم الغش، له زيادة في البركة، فالاقتصاد الذي يكثر فيه المحسنون ينال زيادة من الله في الخير.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يحذر من تحريف القواعد الاقتصادية، فالظالمون بدلوا القول، وهذا التحريف هو نوع من الغش والتلاعب بالأسواق، وهو يؤدي إلى فساد

الاقتصاد.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يبين أن الفسق الاقتصادي، وهو الخروج عن القواعد الشرعية، يستدعي العقوبات، فالاقتصاد الذي ينتشر فيه الفساد ينهار، والرجز من السماء هو تعبير عن الأزمات الاقتصادية التي تصيب المجتمعات الفاسقة.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يجد فيه المربي أن التعليم الحقيقي هو الذي يدخل بالطالب إلى عالم المعرفة بشروط، فالقرية هنا هي رمز للمعرفة، والدخول إليها يتطلب الالتزام بمنهجية التعلم.

ب. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ يشير إلى أن المعرفة رغد للعقل، وأن الطالب الذي يدخل عالم المعرفة يجد فيها ما يشبع عقله وروحه، لكن هذا الرغد مشروط بالالتزام بالمنهج الصحيح.

ج. قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يبين أن التعلم الحقيقي يتطلب التواضع، فالطالب المتواضع هو الذي يتعلم، والمتعلم المتكبر لا يستفيد من علمه، والتواضع هو مفتاح العلم.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ يشير إلى أن المتعلم يجب أن يعترف بجهله وأخطائه، فالاعتراف بالجهل هو بداية التعلم، والطالب الذي لا يعترف بجهله لا يتقدم.

هـ. قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يبين أن المعلم يجب أن يمنح طلابه فرصة التصحيح، فالمغفرة هنا هي إتاحة الفرصة للتعلم من الأخطاء، والطالب الذي يشعر بأن أخطاءه تغتفر يكون أكثر جرأة على التعلم.

و. قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يحفز على تشجيع الطلاب المجتهدين، فالطالب المحسن في دراسته يستحق الزيادة في التقدير والتشجيع، والإحسان في التعلم هو الإتقان والاجتهاد.

ز. قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ يحذر من تحريف المعرفة، فالظالمون بدلوا القول، وهذا التحريف هو نوع من تزييف الحقائق، والمعلم يجب أن يحذر من تحريف المعرفة وتزييفها.

ح. قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يبين أن الفسق في التعلم، وهو الخروج عن منهجية العلم، يستدعي العقوبات، فالطالب الذي يغش ويفسق في تعلمه يتعرض للرسوب والفشل، وهذا هو الرجز الذي يصيبه.

٢٣. استسقاء موسى لقومه وانفجار اثنتي عشرة عينا:

المقطع [٢٣] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يشير إلى أن قدرة الله لا تتقيد بالأسباب الطبيعية، فالحجر الصلد الذي لا يخرج منه ماء عادة، انفجرت منه العيون بمجرد الضرب بالعصا، وهذا دليل على أن النواميس الكونية إنما تجري بمشيئته، وأنه الفاعل الحقيقي، فيتعين الإيمان بأن المعجزات خرقٌ للعادة لا تعجيز للخالق.

ب. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ فيه إشارة إلى علم الله المحيط بخلقه، فهو الذي قسم الأرزاق والمشارب بين الأسباط الاثني عشر، وجعل لكل قبيلة مشربا معلوما لا تختلط به غيرها، وهذا يثبت أن التدبير الإلهي شامل للجزئيات والكليات، وأنه لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

ج. قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ يدل على أن الرزق كله من الله، وأن ما يصل إلى العباد من ماء وغذاء إنما هو فضل منه ورحمة، فلا يستقل العبد بشيء من الأسباب، بل هي مسببة عن فضله، وهذا يرسخ التوحيد في قلوب المؤمنين.

د. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن النعم لا تكون ذريعة للطغيان والفساد، بل هي اختبار وابتلاء، وأن من آتاه الله من فضله فعليه أن يشكر ولا يبطر، فالإفساد في الأرض بعد الإحسان من أعظم الكبائر، وهو من صفات الكافرين الجاحدين.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الفيض الإلهي لا ينال بالحيلة والكدح، بل بالإذن الإلهي، فالعصا مجرد سبب ظاهري، والحقيقة أن الأمر كله لله، فإذا أراد شيئا قال له كن فيكون، وهذه إشارة إلى مقام الفناء عن الأسباب والاتصال بالمسبب.

ب. قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يرمز عندهم إلى انفجار ينابيع المعرفة والحكمة في

قلب العبد بعد تصفية قلبه من الكدورات، فكما انفجر الماء من الحجر الصلد، كذلك تنفجر العلوم اللدنية من القلب القاسي إذا مسحه نور الإيمان، فالعين الواحدة قد تكون إشارة إلى علم الظاهر، والأخرى إلى علم الباطن، وهكذا حتى تكتمل المعارف الإلهية.

ج. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يشير إلى أن لكل سالكٍ طريقا في الوصول إلى الله، ولكل قلب مشربا من المعرفة يخصه، فلا يصلح مشرب غيرك لك، كما لا يصلح مشربك لغيرك، وهذا يقرر مبدأ تعدد الطرق إلى الله مع وحدة المقصد، وأن على المريد أن يتبع مشربه الذي قسمه الله له.

د. قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ فيه إشارة إلى أن الأكل والشرب عند الصوفي ليس لمجرد إشباع الشهوة، بل هو عبادة إذا نوى به التقوي على الطاعة، فالمؤمن يأكل رزق الله ويشرب من فضله وهو ذاكر شاكر، لا كمن يأكل كالأنعام لا يذكر ولا يشكر.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هو تحذير للسالك من أن يفسد في أرض قلبه بالذنوب والغفلة بعد أن سقاه الله من شراب المعرفة، فالإفساد في الأرض إشارة إلى إفساد القلب بالمعاصي، وهو أعظم فساد، لأن القلب إذا فسد فسد الجسد كله.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين السبب والمسبب، فالعصا ليست علة فاعلة لانفجار الماء، بل هي شرط ظاهري، والفاعل الحقيقي هو الله، وهذا يفتح باب التأمل في نظرية العلية، وأن الأسباب الطبيعية ليست ضرورية بذاتها، بل هي مجرد سنن جعلها الله أسبابا عادية، وله أن يخرقها متى شاء.

ب. قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يدفع الفيلسوف إلى التأمل في إمكانية تجاوز القوانين الطبيعية، فالمعجزة عند الفلاسفة هي أمر خارق للعادة، يظهر على يد نبي لتأييد دعواه، وهي لا تناقض العقل، بل تناقض العادة، وهذا يلتقي مع فلسفة الإمكان، إذ أن العقل لا يرى استحالة في أن يقلب الله خواص الأشياء.

ج. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى مبدأ النظام والغائية في الكون، فكل شيء مخلوق بقدر، ولكل موجود غاية وحدود، وهذا يلتقي مع فلسفة النظام الأخلاقي

والطبيعي، حيث أن العناية الإلهية قد رتبت الأمور ترتيبا دقيقا لا خلل فيه.

د. قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ يثير عنده مسألة اللذة والسعادة، فالفيلسوف يرى أن اللذات الحسية ليست غاية بذاتها، بل هي وسيلة لبقاء الإنسان، وأن السعادة الحقيقية في معرفة الله وطاعته، فالآية تدعو إلى التمتع بالرزق الحلال مع عدم الإسراف والفساد، وهذا هو منهج الوسط الذي دعا إليه الفلاسفة الأخلاقيون.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الحرية الإنسانية ليست مطلقة، بل هي مقيدة بالقانون الأخلاقي، وأن الإنسان مسؤول عن أفعاله، فلا يجوز له أن يستعمل نعم الله في الإفساد، وهذا يلتقي مع فلسفة الأخلاق الواجبة عند كانط، حيث أن العقل العملي يفرض على الإنسان واجبات لا يجوز له مخالفتها.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق دعوة إلى التوسط والاعتدال في الانتفاع بالطيبات، فالأكل والشرب مشروع، لكن بلا إسراف ولا تبذير، وهذا هو الخلق القرآني الرفيع الذي يجمع بين إباحة الطيبات والنهي عن الإسراف.

ب. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هو مبدأ أخلاقي عظيم، ينهى عن كل أنواع الفساد في الأرض، سواء كان فسادا في المال أو النفس أو العرض أو البيئة، فالإفساد ضد الإصلاح، والمؤمن مأمور بالإصلاح لا بالإفساد، وهذا يشمل الأخلاق الفردية والاجتماعية.

ج. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ فيه إشارة إلى خلق الرضا والقناعة، فكل إنسان له رزقه ومشربه الذي قسمه الله له، فلا يحسد غيره ولا يطمع فيما ليس له، وهذا يربي في النفس خلق القناعة التي هي كنز لا يفنى.

د. قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يرمز إلى أن العدل في توزيع الخيرات هو من أعظم الأخلاق، فلم يجعل الله الماء كله في عين واحدة، بل قسمه على اثنتي عشرة عينا، لكل قبيلة عين تعرفها، وهذا يربي في النفس خلق العدل والإنصاف في توزيع الموارد بين الناس.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يجد فيه عالم الاجتماع إشارة إلى أن المجتمعات المتعددة القبائل تحتاج إلى تنظيم عادل للموارد، فكل قبيلة لها مشربها الخاص، وهذا يمنع النزاع والصراع على الماء، وهو نموذج مبكر للإدارة الاجتماعية العادلة للموارد المشتركة.

ب. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يشير إلى أن الاستقرار الاجتماعي يقوم على وضوح الحقوق والواجبات، فإذا عرف كل فرد حقه ومكانه في المجتمع، قلّت النزاعات، وزاد التعاون، وهذا ما تؤكده النظريات الاجتماعية الحديثة التي ترى أن غموض الأدوار يؤدي إلى الاضطراب الاجتماعي.

ج. قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ يدل على أن المجتمع المسلم مجتمع يتعامل مع النعم بروح الشكر والامتنان، لا بروح الاستغلال والجشع، فالرزق من الله، والتصرف فيه يجب أن يكون وفق مراده، وهذا يخلق ثقافة اجتماعية قائمة على البركة والقناعة.

د. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هو تحذير من الفساد الاجتماعي بجميع صوره، فالفساد في الأرض يشمل الفساد الاقتصادي كالاحتكار والربا، والفساد الأخلاقي كالزنا والسرقة، والفساد السياسي كالظلم والاستبداد، والمجتمع الذي ينتشر فيه الفساد ينهار حتى ولو كانت موارده وفيرة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن القائد الحقيقي هو الذي يهتم بمصالح قومه ويسعى لتوفير حاجاتهم الأساسية، فموسى عليه السلام لم يترك قومه يعانون من العطش، بل توجه إلى الله بالدعاء، وهذا يبين أن من واجبات الحاكم توفير الأمن المائي والغذائي لرعيته.

ب. قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ يشير إلى أن الحلول السياسية الكبرى قد تأتي بأسباب بسيطة إذا كانت بإذن الله، فالحاكم لا يحتاج إلى إمكانيات هائلة لحل مشاكل الناس، بل يحتاج إلى الإخلاص والتوكل على الله، فالله ييسر له من الأسباب ما لا يخطر بباله.

ج. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن العدالة في توزيع الموارد هي أساس الاستقرار السياسي، فإذا شعرت كل قبيلة أو فئة بأن لها حقا معلوما لا يضيع، زال الاحتقان، وعم الأمن، وهذا ما تؤكده النظريات السياسية الحديثة التي ترى أن العدالة التوزيعية هي مفتاح السلم

الاجتماعي.

د. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هو تحذير للحكام من الفساد والاستبداد، فمن آتاه الله سلطانا ورزقا، فعليه أن يستعمل ذلك في الإصلاح لا في الإفساد، وأن يخاف الله في رعيته، فالإفساد في الأرض هو الذي يهدم الدول ويسقط الحضارات.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يجد فيه عالم الإدارة نموذجا للتوزيع العادل للموارد، فبدلا من أن تكون عين واحدة يتزاحم عليها الجميع، قسمها الله إلى اثنتي عشرة عينا، وهذا يقلل الازدحام ويزيد الإنتاجية، وهو ما يسمى اليوم باللامركزية في إدارة الموارد.

ب. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يشير إلى أهمية التخصص وتحديد المسؤوليات في العمل الإداري، فكل قبيلة لها مشربها المعروف، وكل فرد له مهامه المحددة، وهذا يمنع التداخل والصراع، ويرفع كفاءة الأداء، وهو أساس الإدارة الحديثة القائمة على التوصيف الوظيفي الدقيق.

ج. قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن الموارد التي تقدمها المؤسسة للعاملين يجب أن تكون مشروعة ومباركة، وأن العاملين يجب أن يتقاضوا أجورهم وهم راضون شاكرون، لا وهم ساخطون مستغلون، فالعلاقة بين الإدارة والعاملين يجب أن تقوم على العدل والرضا.

د. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هو تحذير من الفساد الإداري بجميع صوره، كالرشوة والمحسوبية والاختلاس، فالفساد الإداري هو الذي يهدر الموارد ويقضي على التنمية، والمؤسسة الناجحة هي التي تلتزم بالنزاهة والشفافية في جميع معاملاتها.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ يجد فيه المؤرخ أن قصة استسقاء موسى عليه السلام هي واحدة من المحطات المهمة في تاريخ بني إسرائيل في التيه، حيث كانت معاناتهم من العطش في الصحراء، ثم جاء الفرج الإلهي بانفجار العيون، وهذا يبين أن التاريخ البشري مليء باللحظات الحرجة التي يتدخل فيها الله لإنقاذ عباده.

ب. قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن هذا الحدث كان له أثر كبير

في تنظيم حياة بني إسرائيل، حيث أن توزيع الماء على الأسباط الاثني عشر ساهم في استقرارهم في التيه، ومنع النزاعات بينهم، وهذا يبين أن الأحداث الدينية الكبرى كانت لها آثار اجتماعية وسياسية عميقة في التاريخ.

ج. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يشير إلى أن التقسيمات القبلية كانت سمة أساسية من سمات المجتمعات القديمة، وأن الأنبياء كانوا يتعاملون مع هذه التقسيمات بحكمة، فيعطون كل قبيلة حقها مع الحفاظ على الوحدة العامة، وهذا نموذج تاريخي للإدارة العادلة للتعددية القبلية.

د. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يفسر للمؤرخ أن الأمم التي أهلكها الله في التاريخ إنما أهلكت بسبب فسادها في الأرض، وأن سنن الله في الأمم تقضي بأن الفساد يؤدي إلى الهلاك، مهما كانت القوة والموارد، وهذا ما تؤكده دراسة التاريخ القديم والحديث.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن اللجوء إلى الله بالدعاء عند الشدائد هو من أهم وسائل تخفيف الضغط النفسي، فالإنسان عندما يواجه أزمة كالعطش أو الجوع، يشعر بالقلق والتوتر، والدعاء يمنحه شعورا بالأمان والطمأنينة، لأنه يدرك أن هناك من يسمعه ويستجيب له.

ب. قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يشير إلى أن الفرج بعد الشدة يمنح الإنسان شعورا بالارتياح والسعادة، وأن الأمل في الفرج الإلهي هو من أقوى العوامل النفسية التي تحمي الإنسان من الاكتئاب واليأس، فمن يؤمن بأن بعد العسر يسرا، يكون أكثر قدرة على تحمل الصعاب.

ج. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يشير إلى أن وضوح الحقوق والحدود يمنح الإنسان شعورا بالأمان النفسي، فالإنسان الذي يعرف مكانه ودوره في الجماعة يكون أقل عرضة للقلق والاضطراب، وهذا ما تؤكده نظريات الصحة النفسية التي تربط بين وضوح الهوية والاستقرار النفسي.

د. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن الفساد والعدوان على الآخرين يسببان اضطرابات نفسية للإنسان نفسه، فالذي يظلم الناس ويفسد في الأرض يعيش في قلق وصراع داخلي، بينما الذي يعمل صالحا ويصلح في الأرض يتمتع بسلام نفسي وطمأنينة داخلية.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد نموذجا لتوزيع الموارد الطبيعية بشكل عادل، فالماء هو المورد الأساسي للحياة، وتوزيعه على اثنتي عشرة عينا يضمن وصوله للجميع دون استئثار، وهذا يلتقي مع مبادئ الاقتصاد الإسلامي التي تحرم الاحتكار وتوجب توزيع الموارد بالعدل.

ب. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يشير إلى أن المعرفة الدقيقة بحاجات كل فئة من فئات المجتمع هي أساس التخطيط الاقتصادي الناجح، فإذا عرف المخطط الاقتصادي حاجات كل قطاع، استطاع توزيع الموارد بشكل يحقق أقصى نفع، وهذا ما يسمى اليوم بالاقتصاد الموجّه أو التخطيط الاقتصادي.

ج. قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ يدل على أن الرزق الحلال هو أساس الاقتصاد الإسلامي، وأن الكسب المشروع هو الذي يبارك الله فيه، بينما الكسب الحرام وإن كثر فهو وبال على صاحبه، فالاقتصاد الإسلامي لا يفصل بين الجانب المادي والجانب الروحي.

د. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هو تحذير من الفساد الاقتصادي بجميع صوره، كالغش والتدليس والربا والاحتكار، فالفساد الاقتصادي يهدم الثقة بين الناس، ويؤدي إلى الأزمات المالية، والمجتمع الذي ينتشر فيه الفساد الاقتصادي يكون مصيره الانهيار.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ يجد فيه المربي نموذجا للقائد التربوي الذي يهتم بحاجات أتباعه، فموسى عليه السلام لم يترك قومه في عطشهم، بل توجه إلى الله بالدعاء، وهذا يبين أن المربي الناجح هو الذي يشعر بحاجات طلابه ويسعى لتلبيتها.

ب. قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ يشير إلى أن التربية تحتاج إلى وسائل وأساليب متنوعة، فكما أن العصا كانت وسيلة لانفجار الماء، كذلك المربي يحتاج إلى وسائل تربوية متنوعة لإيصال المعرفة إلى قلوب الطلاب، وأن الوسيلة مهما كانت بسيطة، يمكن أن تحقق نتائج عظيمة إذا كانت بإذن الله.

ج. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ يوجه المربي إلى مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، فكما أن لكل قبيلة مشربها الخاص، كذلك لكل طالب طريقته في الفهم والتعلم، والمربي الناجح هو الذي يتعامل مع كل طالب بما يناسبه، ولا يفرض على الجميع أسلوبا واحدا.

د. قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ يذكر المربي بأن التعليم ليس مجرد نقل معلومات، بل هو تربية على القيم والاتجاهات، فيجب أن يربي طلابه على الشكر والرضا بالقسمة، وأن يستعملوا ما تعلموه في الخير والإصلاح، لا في الشر والإفساد.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هو تحذير للمربي من أن يربي جيلا مفسدا في الأرض، فالتربية الصحيحة هي التي تخرج جيلا صالحا يصلح في الأرض ولا يفسد فيها، والمربي مسؤول أمام الله عن تربية أمانته التي اؤتمن عليها.

٢٤. تذمر بني إسرائيل على طعام المن والسلوى واستبدالهم الأدنى بالأعلى:

المقطع [٢٤] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يكشف عن حقيقة أن بني إسرائيل لم يقدروا نعمة الله عليهم، بل استقلوها وطلبوا غيرها، وهذا يشير إلى أن الإيمان الحقيقي يقتضي الرضا بما قسم الله، وأن عدم الرضا بالقضاء يعد خللا في الإيمان بالله وصفاته، إذ أن الله هو الرازق المدبر الذي يختار لعباده ما هو خير لهم.

ب. قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يبين أن استبدال الخير بالأدنى هو من علامات ضعف اليقين، وأن المؤمن الحق يوقن بأن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه، فالله يعلم والناس لا يعلمون، وفي هذا إشارة إلى أن التسليم المطلق لله هو جوهر العبودية.

ج. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يدل على أن الذل والمسكنة عقوبة إلهية على الكفر والعصيان، وأن العزة الحقيقية إنما تكون بالطاعة والالتزام بمنهج الله، فمن ترك طاعة الله أذله الله، وهذا يبين سنة الله في الأمم التي تخالف أمره.

د. قوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الغضب الإلهي ليس جزافا، بل هو نتيجة طبيعية لكفرهم بآيات الله وتعديهم على أنبيائه، وفيه إشارة إلى أن الله لا يغضب إلا على من يستحق الغضب، وأن رحمته سبقت غضبه.

هـ. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يبين أن الكفر بالآيات والاعتداء على الرسل هما سبب غضب الله وعقابه، وأن هذه الجرائم ليست مجرد أخطاء فردية، بل هي نمط متكرر في سلوكهم، مما يدل على أن الإصرار على المعصية يزيد العقوبة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يشير إلى أن النفس البشرية بطبيعتها ملولة لا تثبت على حال، وأن الصوفي يرى في هذا تذكيرا بضرورة مجاهدة النفس وترويضها على الصبر والرضا، فمن لم يصبر على طعام واحد في الدنيا، كيف له أن يصبر على مقامات الطريق الروحي الطويلة؟

ب. قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى خطورة الاستبدال الروحي، حيث أن النفس قد تستبدل لذة القرب من الله بلذائذ الدنيا الدنيئة، وهذا هو الانحدار من مقام المشاهدة إلى مقام الغفلة، فالمؤمن الصادق لا يستبدل حلاوة الإيمان بشهوات النفس.

ج. قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن من لم يقدر النعم الروحية العالية، ينزل إلى مقامات النفس الأرضية، فالهبوط إلى مصر هو هبوط من عالم الروح إلى عالم الطبيعة، وهذا عقوبة معنوية لمن لم يحافظ على مقامه الروحي.

د. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يرى فيه الصوفي أن الذل والمسكنة هما علامتا البعد عن الله، وأن العبد إذا ابتعد عن ربه نزعت منه هيبة القرب وأنس المناجاة، وحل محلها ذل النفس ومسكنتها، وهذا يدفع الصوفي إلى التمسك بالحضرة الإلهية لئلا يصيبه ما أصابهم.

هـ. قوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الغضب الإلهي يحل بمن يصر على معصية الله، وأن الصوفي يعتبر هذا تحذيرا من التمادي في الذنوب، لأن الغضب الإلهي يحجب القلب عن نور المعرفة، ويطفئ أنوار المحبة.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يثير عند الفيلسوف تأملات حول طبيعة الإنسان الساعية إلى التنوع والتجديد، وأن هذه السمة الإنسانية هي محرك للتطور الحضاري، لكنها في الوقت نفسه قد تكون سببا في عدم الاستقرار وعدم الرضا، مما يطرح إشكالية التوازن بين الحاجة إلى التنوع والثبات على القيم.

ب. قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يطرح إشكالية فلسفية حول معايير الخير والشر، وكيف أن الإنسان قد يخطئ في تقدير القيم، فيرى الخير فيما هو أدنى، وهذا يشير إلى أن الحكم على الأشياء ليس ذاتيا محضا، بل يحتاج إلى معيار خارجي، وهو الوحي الإلهي الذي يحدد درجات الأشياء.

ج. قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الحرية مرتبطة بالمسؤولية، فبنو إسرائيل اختاروا الهبوط إلى مصر، فكان لهم ما سألوا، لكنهم تحملوا تبعات اختيارهم، وهذا يثير إشكالية الحرية الإنسانية وعلاقتها بالجزاء، فالإنسان حر في اختياره لكنه مسؤول عن نتائجه.

د. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الأخلاق والقانون، فالعقوبات الإلهية هنا ليست قانونية فقط، بل هي أخلاقية ووجودية، فالذل والمسكنة حالتان نفسيتان واجتماعيتان ناتجتان عن سلوكهم، وهذا يشير إلى أن النظام الأخلاقي له نتائج وجودية في الواقع.

هـ. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهَّ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يطرح إشكالية فلسفية حول طبيعة الشر، فكفرهم بالآيات وقتلهم للأنبياء ليس مجرد أخطاء معرفية، بل هو فساد أخلاقي وإرادي، وهذا يثير مسألة العلاقة بين المعرفة والأخلاق، وهل الجهل هو سبب الشر أم أن الشر قد يكون ناتجا عن إرادة فاسدة مع معرفة كاملة؟

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يبين أن عدم الرضا والقناعة هو من أخلاق النفس الدنيئة، وأن القناعة هي خلق الأنبياء والصالحين، فمن لا يصبر على نعمة واحدة يطلب غيرها، فهو ناقص الشكر، والشكر من أعلى الأخلاق الإيمانية.

ب. قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يحمل توبيخا أخلاقيا واضحا، فاستبدال الخير بالأدنى يدل على فساد الذوق الأخلاقي، وانقلاب الموازين عند الإنسان، فالمؤمن الحق هو من يعرف

قيمة الخير ويتمسك به ولا يستبدله بالأدنى.

ج. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يبين أن الذل والمسكنة ليسا مجرد عقوبات خارجية، بل هما نتائج أخلاقية للسلوك السيئ، فمن اتصف بالكفر والعصيان والاعتداء، كانت عاقبته الذل والمسكنة، وهذا يؤكد أن الأخلاق لها نتائج وجودية في حياة الأمم.

د. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يبين أن الكفر بالحق والاعتداء على الدعاة إلى الله هما من أعظم الجرائم الأخلاقية، وأن من وصل إلى هذه الدرجة من الفساد الأخلاقي فقد استحق العقاب الإلهي، وفيه إشارة إلى أن الأخلاق لا تقوم على العقل فقط، بل على الإيمان بالله ورسله.

هـ. قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يلخص الأسباب الأخلاقية للعقوبة، وهي العصيان والاعتداء، وهذان الخلقان هما أصل كل فساد، فالعصيان خروج عن طاعة الله، والاعتداء تجاوز لحدود الله في الخلق، وهما يفسدان الفرد والمجتمع معا.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يكشف عن ظاهرة اجتماعية نفسية، وهي أن الجماعات البشرية قد تشعر بالملل من النعم المستقرة، وتطلب التغيير حتى لو كان إلى الأسوأ، وهذه الظاهرة تفسر كثيرا من التحولات الاجتماعية السلبية، حيث أن عدم الرضا قد يدفع المجتمعات إلى خيارات غير رشيدة.

ب. قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يشير إلى أن المجتمعات قد تنخدع بالمظاهر، فتستبدل القيم العليا بقيم أدنى، وهذا يحدث عندما تضعف البصيرة الاجتماعية، وتغلب الماديات على المعنويات، فيتحول المجتمع من مجتمع قيم إلى مجتمع استهلاكي.

ج. قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ يبين أن المجتمعات تحصل على ما تختاره، فإذا اختارت النزول إلى مستوى الحياة المادية، فستحصل على ذلك، لكنها ستفقد ما كان عندها من نعم روحية ومادية أعلى، وهذا يفسر كيف أن بعض المجتمعات تختار التخلي عن قيمها العليا مقابل مكاسب مادية دنيئة.

د. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يشير إلى أن الذل والمسكنة قد يصبحان صفتين

اجتماعيتين ملازمتين لجماعة بأكملها، نتيجة لسلوكها الخاطئ، وهذا يفسر كيف أن بعض الأمم تعاني من الذل الاجتماعي والسياسي بسبب تراكمات تاريخية من الانحراف عن القيم.

هـ. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِّ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يبين أن الجرائم الاجتماعية الكبرى كالكفر بالحق وقتل الدعاة إلى الخير تؤدي إلى انهيار المجتمعات، وأن المجتمعات التي تحارب الإصلاحيين والدعاة إلى الخير تحكم على نفسها بالانحدار والهلاك.

سادسا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يوثق لحالة تاريخية معينة لبني إسرائيل في التيه، حيث كانوا يعيشون على المن والسلوى، وهذه الحالة تعكس طبيعة النفس البشرية في عدم الرضا عن النعم المستمرة، وهي حالة تاريخية تتكرر في أمم مختلفة.

ب. قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ يشير إلى أن بني إسرائيل طلبوا النزول إلى مصر، وهي الأرض التي كانوا يعرفونها، وهذا يبين أن الجماعات البشرية قد تفضل العودة إلى الماضي المألوف حتى لو كان فيه ذل، على المستقبل المجهول الذي فيه نعم، وهذا نمط تاريخي متكرر.

ج. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يبين أن الذل والمسكنة أصبحا سمتين تاريخيتين لبني إسرائيل، وهذا ما تؤكده المصادر التاريخية عن معاناتهم في الشتات، فالعقوبة الإلهية كانت لها آثارها التاريخية الممتدة عبر العصور.

د. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِّ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يفسر للمؤرخ الأسباب العميقة لانحدار بني إسرائيل، فكفرهم بالآيات وقتلهم للأنبياء لم يكن مجرد حوادث عابرة، بل كان نمطا تاريخيا متكررا، مما أدى إلى تراكم العقوبات الإلهية عليهم، وهذا يفسر كثيرا من أحداث تاريخهم.

سابعا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يشير إلى أن الشعوب قد تتذمر من القيادة العادلة التي توفر لها احتياجاتها الأساسية، وتطالب بتغيير قد يكون إلى الأسوأ، وهذا يطرح إشكالية سياسية حول كيفية إدارة توقعات الشعوب وعدم تركها للأهواء المتقلبة.

ب. قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الشعوب قد

تختار قيادات أو أنظمة أدنى من التي لديها، بسبب عدم إدراكها لقيمة ما لديها، وهذا يقتضي من القيادة الحكيمة أن تعمل على توعية الشعب بقيمة النعم التي بين أيديهم.

ج. قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ يبين أن من يختار بحرية عليه أن يتحمل نتائج اختياره، فالسياسة تقوم على مبدأ المسؤولية، فإذا اختار الشعب خيارا معينا، فعليه أن يتحمل نتائجه، وهذا يطرح إشكالية العلاقة بين الحرية والمسؤولية في العمل السياسي.

د. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يشير إلى أن الأمم التي تختار الانحراف عن القيم العليا تتعرض للذل والمسكنة على المستوى السياسي، وهذا يفسر كيف أن بعض الأمم تفقد سيادتها واستقلالها بسبب انحرافها الأخلاقي والعقدي.

هـ. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يبين أن محاربة الأنبياء والدعاة إلى الإصلاح هي من أسباب سقوط الأمم سياسيا، فالأمم التي تحارب الإصلاحيين وتقتلهم تحكم على نفسها بالضعف والانهيار، لأنها تفقد خير عناصرها.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يكشف عن حالة نفسية تعرف بالملل وعدم الرضا، وهي من الحالات التي تسبب القلق والاكتئاب، فالشعور الدائم بعدم الرضا عن الوضع الحالي وطلب التغيير المستمر قد يكون مؤشرا على اضطراب نفسي، خاصة إذا كان التغيير المطلوب إلى الأسوأ.

ب. قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يشير إلى خلل في التقييم المعرفي، حيث أن الإنسان قد يقيّم الأشياء تقييما خاطئا، فيرى الخير فيما هو أدنى، وهذا النمط المعرفي الخاطئ هو من أسباب الاضطرابات النفسية، ويحتاج إلى علاج معرفي يصحح هذه التقييمات.

ج. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يبين أن الذل والمسكنة لهما آثار نفسية عميقة، فالشعور بالذل والمسكنة يؤدي إلى تدني تقدير الذات، والاكتئاب، والقلق الاجتماعي، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية الحديثة حول آثار الإذلال النفسي على الصحة النفسية.

د. قوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ يشير إلى أن الشعور بالغضب الإلهي يولد قلقا وجوديا عميقا، وقد يؤدي إلى اضطرابات نفسية حادة، فالخوف من العقاب الإلهي إذا لم يكن متوازنا مع الرجاء قد يسبب

وساوس واضطرابات، وهذا يبين أهمية التوازن بين الخوف والرجاء في الصحة النفسية.

هـ. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهَّ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يبين أن السلوك العدواني والكفر بالحق لهما آثار نفسية مدمرة، فالعدوانية وقتل الأنبياء يعكسان اضطرابات نفسية عميقة لدى الأفراد والجماعات، وهذه الاضطرابات تؤدي إلى تدمير الصحة النفسية للفرد والمجتمع.

تاسعا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يشير إلى أن التربية ينبغي أن تعالج مشكلة (الملل التربوي) ورفض النمطية في التعلم، فالمتعلم إذا أُطعم طعاما معرفيا واحدا لا يتغير أصابه السأم وفترت همته، وأن المربي الناجح هو الذي ينوّع في الأساليب والأنشطة والمحتويات بما يتلاءم مع تنوع حاجات المتعلمين، وأن الإصرار على طريقة واحدة قد يولد التذمر والرفض حتى وإن كان المحتوى في ذاته نافعا.

ب. قوله: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ يشير إلى أن التربية يجب أن تفتح للمتعلم أبواب السؤال والطلب، فالتعبير عن الحاجات والرغبات التربوية ظاهرة صحية إذا أُحسن توجيهها، وأن المؤسسة التربوية التي تستمع لطلبات المتعلمين وتتفاعل مع احتياجاتهم المتنوعة أقدر على إشراكهم في العملية التعليمية من المؤسسة التي تكبت الأسئلة وترفض المقترحات.

ج. قوله: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يشير إلى أن التربية الناضجة لا تستجيب لكل رغبات المتعلمين، بل تفرق بين الرغبات الآنية والنفع الحقيقي، فطلب القوم البقول والقثاء كان نزولا من الغذاء الرباني المتوازن إلى طعام أرضي أدنى، وأن المربي قد يواجه مطالب من المتعلمين تبدو مقنعة ظاهريا لكنها في جوهرها اختيار للأدنى على الأعلى، وعليه أن ينبههم إلى خطورة الاستبدال قبل الاستجابة.

د. قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ يشير إلى أن التربية تقوم على مبدأ الحرية المسؤولة وتبعات الاختيار، فالله لم يجبرهم على البقاء على الطعام الواحد، بل أذن لهم بالنزول إلى ما سألوا، وأن تعويد المتعلم على تحمل نتائج اختياراته من أهم الدروس التربوية، فمن رفض المنهج الأعلى وطلب الأدنى يُترك له اختياره ليرى بنفسه ثمرته، والتعلم بالعواقب أرسخ من التعلم بالنصائح.

هـ. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يشير إلى أن التربية التي ترضي النزوات الآنية على

حساب المبادئ العليا تنتهي بصاحبها إلى الشعور بالهوان والدونية، فاختيار الأدنى بلا مسوغ يُلبس النفس ثوب مذلة، وأن من لوازم التربية الأخلاقية بناء الاعتزاز بالقيم والترفع عن التطلع لما في أيدي الناس، وأن طالب الرخص الدائم ينتهي إلى المسكنة النفسية والتبعية لغيره.

و. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن التربية الصحيحة تربط السلوك بالاعتقاد، وأن الأفعال الظاهرة ما هي إلا ثمرة لما استقر في القلب من تسليم أو كفر، وأن المربي الذي يريد أن يعدل سلوك المتعلم عليه أن يهتم ببناء التصورات والقناعات أولا، فلا ينفع تعديل ظاهري مع بقاء جحود للحقائق والمعايير.

ز. قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يشير إلى أن التربية ينبغي أن تحمي المجتمع من روح (الاستعلاء الفكري) الذي يرفض أهل الحق ويحارب المصلحين، فالذين قتلوا النبيين هم أناس رفضوا كلام من يدلهم على الصواب، وأن التربية على قبول الحق ولو جاء على لسان من يكره الإنسان أو يخالفه أهم من تلقين المعارف، وأن قتل النبيين هنا يرمز إلى وأد صوت الحق والصدود عن المصلحين.

ح. قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)﴾ يشير إلى أن التربية على الطاعة المنضبطة والالتزام بالحدود هي صمام أمان الفرد والمجتمع، وأن الاعتياد على تجاوز الأوامر والتعدي على الضوابط يولّد سلسلة من الانحرافات التي يصعب تداركها، وأن المربي الناجح يربي في الناشئة احترام الحدود وعدم التعدي عليها، لا باسم الحرية المفرطة ولا باسم التمرد الموهوم.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يشير إلى أن المستهلك قد يمل من السلع المتوفرة ويطلب غيرها حتى لو كانت أقل جودة، وهذه ظاهرة اقتصادية معروفة، وتفسر سلوك المستهلكين في الأسواق، حيث أن التنوع المطلوب قد لا يكون دائما في مصلحة المستهلك.

ب. قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الأسواق قد تشهد استبدال السلع الأعلى جودة بسلع أدنى، بسبب عوامل نفسية أو تسويقية، وهذا يطرح إشكالية كيفية حماية المستهلك من قراراته غير الرشيدة، وكيفية توجيهه نحو الخيارات الأفضل.

ج. قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد يقوم على مبدأ العرض

والطلب، فما يطلبه الناس يحصلون عليه، لكن قد يكون هذا الطلب غير رشيد، فيحصلون على ما طلبوه لكنهم يخسرون ما كانوا يملكونه من خير، وهذا يبين أن السوق قد يعطي الناس ما يريدون لكنه قد لا يكون في مصلحتهم الحقيقية.

د. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يشير إلى أن الذل والمسكنة لهما آثار اقتصادية مدمرة، فالشعور بالذل والمسكنة يقلل الإنتاجية، ويزيد البطالة، ويعيق التنمية الاقتصادية، وهذا ما تؤكده الدراسات الاقتصادية حول العلاقة بين الحالة النفسية والاجتماعية والإنتاجية الاقتصادية.

هـ. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يبين أن الفساد الأخلاقي والعقدي له آثار اقتصادية سلبية، فالمجتمعات التي تكفر بالحق وتقتل الإصلاحيين تفقد الثقة والاستقرار، مما يؤدي إلى هروب الاستثمارات وتدهور الاقتصاد، وهذا يفسر العلاقة بين الأخلاق والاقتصاد.

حادي عشر ـ إشارات دعوية:

أ. قوله: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يشير إلى أن الداعية قد يواجه من المدعوين تذمرا من الثبات على المنهج الواحد، فقد يمل البعض من تكرار المعاني الإيمانية وأحكام الشريعة ويطلبون تجديدا على غير أصول، وأن الداعية ينبغي أن يوازن بين صبره على المدعوين وصبره على ثبات المنهج، فلا يتنازل عن الثوابت لأن بعض النفوس ملّت، بل يجدد أسلوب عرضه مع الحفاظ على جوهر رسالته.

ب. قوله: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ يشير إلى أن بعض المدعوين يطلبون من الداعية أن يدعو لهم بالتنزل إلى ما يريدون، لا أن يرفعهم إلى ما عند الله، وأن من الناس من يريد دينا مصمما على مقاس رغباته وميوله، وأن الداعية يحذر من الانجرار خلف هذه المطالب الهابطة، لأنها استبدال للأدنى بالأعلى وتضييع للأهداف الكبرى.

ج. قوله: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ يشير إلى أن من أهم أدوار الداعية تنبيه الناس إلى سوء مقاييسهم عند الاختيار، فالعامة قد يرون الخير فيما هو أدنى ويتركون الأعلى، والداعية هو من يعيد ترتيب المعايير في أذهانهم ويبين لهم أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الاستبدال المعكوس هذا هو عين الخسران.

د. قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ يشير إلى أن من أساليب الدعوة الوعظية ترك المعاندين لما اختاروه بعد البيان وعدم الالتحام معهم في جدال عقيم، فالداعية إذا عرض الخير فأُصِرّ المدعو على الأدنى فقد يتركه الله لهواه، وأن هذه العقوبة الدعوية هي أشد أنواع التوبيخ، حيث يُملى للإنسان في رغباته الدنيا حتى يرى بنفسه خواء ما اختار.

هـ. قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يشير إلى أن الداعية يبين للناس أن الإعراض عن المنهج الإلهي لا يمر بلا عواقب اجتماعية ونفسية، فالذين استبدلوا الأعلى بالأدنى ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، وأن المجتمعات التي ترفض الهدى وتستبدله بأهوائها تفقد عزتها وتقع في تبعية مذلة لغيرها، وأن هذا القانون الاجتماعي من سنن الله في الأرض.

و. قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِّ﴾ يشير إلى أن الداعية يعلل الظواهر الاجتماعية والانحرافات السلوكية بردها إلى أسبابها العقدية والفكرية، فالانحراف الظاهر في السلوك سببه كفر كامن في القلب، وأن الإصلاح الحقيقي يبدأ من إصلاح العقيدة وتصحيح التصورات، لا من ترقيع المظاهر وتعديل السلوك السطحي.

ز. قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يشير إلى أن الداعية يذكر الناس أن التاريخ الإنساني مليء بمحاولات قتل الحق وإسكات الدعاة، وأن سنة المعاناة هي طريق الدعاة على مر العصور، وأن قتل النبيين الذي وقع هنا هو صورة متطرفة لما يقع من محاربة للحق وأهله، وأن الداعية اليوم يواجه صورا حديثة من (قتل النبوة) بتشويه الخطاب الدعوي ومحاصرته وتضييق مساحاته.

ح. قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)﴾ يشير إلى أن الداعية ينبغي أن يربط بين المصير السيء والسلوك المعتدي، فالعصيان والتعدي هما السبب فيما حل بهم، وأن الدعوة إلى الله لا تقوم إلا على الانضباط بشرع الله والالتزام بحدوده، وأن الداعية الذي يبدأ بإصلاح نفسه ويلتزم بالحق يكون أبعد عن العواقب الوخيمة التي لحقت بمن عصوا واعتدوا.

٢٥. الأجر والنجاة لمن آمن بالله واليوم الآخر من أي أمة:

المقطع [٢٥] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يشير إلى أن باب النجاة مفتوح لكل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، من أي أمة كانت، وهذا يقرر مبدأ أن مدار النجاة على الإيمان والعمل لا على الانتساب اللفظي أو الانتماء القبلي، فالعبرة بحقيقة الإيمان لا بالاسم.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يحدد أركان الإيمان الأساسية التي لا نجاة بدونها، وهي الإيمان بالله واليوم الآخر، وهذان الأصلان هما اللذان ينبني عليهما كل الدين، فمن أخل بهما فقد أخل بأصل النجاة، ومن حققهما فقد دخل في دائرة الوعد الإلهي.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يبين أن الإيمان المجرد عن العمل لا يكفي للنجاة، بل لا بد من اقترانه بالعمل الصالح، وهذا يرد على من يزعم أن الإيمان قول بلا عمل، فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان ودليله، وهو شرط لتحقق الأجر.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن الأجر ليس من عند البشر ولا من عند أنفسهم، بل هو من عند الله وحده، وهو أجر مضمون لا يضيع، لأنه عند الرب الذي لا يظلم أحدا، وفيه أن الأجر مؤجل إلى يوم القيامة وإن كان قد يعجل بعضه في الدنيا.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يقرر أن المؤمنين الصادقين في أمان تام من الخوف على المستقبل والحزن على الماضي، فالخوف يتعلق بما سيأتي، والحزن يتعلق بما مضى، والمؤمن الصادق قد أمنهما معا، لأنه وثق بالله في كل حال.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الحقيقة الإلهية لا تحتكرها أمة دون أخرى، وأن القلوب التي توجهت إلى الله بصدق في أي زمان ومكان هي قلوب مقبولة، وهذا يوسع دائرة المحبة والسلام في نفسه تجاه جميع الخلق.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يشير عنده إلى أن الإيمان ليس مجرد تصديق عقلي، بل هو ذوق ووجدان، وأن الإيمان بالله هو شهود القلب لجمال الله وجلاله، والإيمان باليوم الآخر هو استحضار

دائم للقاء الله، وهذا الاستحضار هو ما يحرك القلب في سيره إلى الله.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يرى فيه الصوفي أن العمل الصالح ليس مجرد طاعات ظاهرة، بل هو ثمرة القلب السليم، فالعمل الصالح عندهم هو ما صدر عن قلب حاضر مع الله، خالٍ من الرياء، متحقق بالإخلاص، وإلا كان عملا ميتا لا روح فيه.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يجد فيه الصوفي أن الأجر الحقيقي ليس هو الجنة فقط، بل هو رضا الله والقرب منه، فالأجر عند الرب هو الفوز برؤيته والأنس به، وهذا هو الأجر الأعظم الذي يتطلع إليه المحبون.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يشير عند الصوفي إلى مقام الأمن والطمأنينة الذي يبلغه السالك بعد مجاهدة النفس وتصفية القلب، فالخوف والحزن من علامات التعلق بغير الله، ومن وصل إلى الله زال خوفه وحزنه، لأنه وجد الملاذ الآمن.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤال وحدة الحقيقة الدينية وتعدد المسالك إليها، فالنص يقرر أن هناك مسالك متعددة للنجاة، مما يدفعه للتأمل في فلسفة الدين المقارن، وأن جوهر الدين واحد وإن اختلفت صوره.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يجد فيه الفيلسوف أن الإيمان بالله هو الإيمان بالعلة الأولى وبالغاية القصوى للوجود، والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالغائية والعدالة الكاملة، وهذان المبدآن هما أساس أي نظام فلسفي ميتافيزيقي سليم.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن المعرفة النظرية وحدها لا تكفي، بل لا بد من التطبيق العملي، وهذا يلتقي مع مبدأ الوحدة بين النظرية والتطبيق في الفلسفة العملية، فالحكمة الحقة هي التي تتحول إلى سلوك.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يثير عنده إشكال العدالة الإلهية، فالنص يقرر أن الأجر عند الله وليس عند الناس، وهذا يعني أن العدالة المطلقة ليست في هذا العالم، بل في عالم آخر، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الأخلاق والجزاء.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى السكينة والطمأنينة التي تتحقق عندما يصل الإنسان إلى اليقين الفلسفي، فالخوف والحزن ناتجان عن الجهل وعدم اليقين، ومن أدرك الحقيقة زال قلقه، وهذا هو جوهر الفلسفة الرواقية وغيرها من الفلسفات التي تدعو إلى الطمأنينة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الفضيلة ليست حكرا على أمة دون أخرى، وأن الأخلاق الفاضلة موجودة في كل الأمم، وهذا يدفعه إلى دراسة الأخلاق المقارنة والاستفادة من القيم المشتركة بين الأديان.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يشير إلى أن الأخلاق في المنظور الديني ليست نسبية ولا ظرفية، بل هي مطلقة ومتصلة بالغيب، فالإيمان بالله واليوم الآخر يمنح الأخلاق أساسا متعاليا لا يتغير بتغير الأزمان والأعراف.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يشير إلى أن الأخلاق ليست نوايا داخلية فقط، بل لا بد أن تتحول إلى أفعال، والعمل الصالح هو الترجمة العملية للقيم الأخلاقية، وهو ما يميز الأخلاق الفاعلة عن الأخلاق النظرية.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يذكر عالم الأخلاق بأن الجزاء الأخلاقي ليس في الدنيا فقط، بل هناك أجر عند الله، وهذا يعطي الفعل الأخلاقي بُعدا غيبيا يجعله أعمق أثرا وأقوى دافعا، لأن صاحبه يعمل لمرضاة الله لا لمدح الناس.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يبين أن الأخلاق الحقة تثمر طمأنينة نفسية وراحة ضمير، فالذي يعمل صالحا بإيمان لا يخاف العاقبة ولا يحزن على الفائت، وهذا هو الأثر النفسي للسلوك الأخلاقي المستقيم.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات الدينية المتعددة يمكن أن تتعايش في إطار واحد، وأن النص يقرر مبدأ التعددية الدينية، وهذا

أساس للتعايش الاجتماعي السلمي بين مختلف الجماعات.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يشير إلى أن التماسك الاجتماعي لا يقوم على العرق أو اللون أو اللغة، بل على القيم المشتركة، فالإيمان بالله واليوم الآخر هو الجامع المشترك الذي يمكن أن يلتقي عليه أتباع الأديان المختلفة.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يبين أن الفعل الاجتماعي الإيجابي هو معيار الاندماج في المجتمع، فالعمل الصالح هو ما يقدمه الفرد لمجتمعه من نفع وإصلاح، وهذا يعزز التضامن الاجتماعي ويقوي الروابط بين الأفراد.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن هناك بعدا روحيا للسلوك الاجتماعي، فالفرد لا يعمل للمجتمع فقط، بل يعمل لله، وهذا يمنحه دافعا أعمق للعطاء الاجتماعي، ويجعله أكثر إخلاصا في خدمة مجتمعه.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تقوم على الإيمان والعمل الصالح هي مجتمعات مطمئنة نفسيا، فانعدام الخوف والحزن على مستوى الأفراد ينعكس على مستوى الجماعة، فينتج مجتمعا متوازنا خاليا من القلق الاجتماعي.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الدولة الإسلامية لا تقوم على إقصاء الآخرين، بل تعترف بوجودهم وتمنحهم حق المواطنة، وهذا يقرر مبدأ المواطنة المتساوية بين أتباع الأديان المختلفة في المجتمع الواحد.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يبين أن الأساس في المواطنة ليس الدين فقط، بل الإيمان والعمل، وهذا يعني أن الدولة تنظر إلى المواطن من حيث إيمانه وعمله، لا من حيث انتمائه الديني فقط، مما يفتح باب المشاركة السياسية للجميع.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يشير إلى أن السياسة في الإسلام تقوم على العمل الصالح، أي على الإصلاح والبناء، لا على الصراع والهدم، فالحاكم والمحكوم مطالبان بالعمل الصالح الذي يصلح المجتمع ويرقى به.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الدولة ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق العدالة والإصلاح، وأن الأجر الحقيقي عند الله، مما يجعل السياسة عملا دينيا وأخلاقيا لا مجرد صراع على السلطة.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن الدولة العادلة التي تحترم مواطنيها وتكفل حرياتهم تنتج مجتمعا آمنا مطمئنا، فالخوف والحزن هما نتاج الظلم والقمع، والأمن والطمأنينة هما نتاج العدل والإنصاف.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن التنوع الديني والثقافي في المؤسسات ليس عائقا، بل يمكن أن يكون مصدر إثراء، وأن الإدارة الناجحة هي التي تستوعب هذا التنوع وتوظفه لصالح العمل.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالله واليوم الآخر هو ركيزة أساسية للسلوك الوظيفي السليم، فالمؤمن بالله واليوم الآخر يعمل بإتقان وأمانة لأنه يعلم أن الله يراقبه، وهذا يقلل الحاجة إلى الرقابة الخارجية.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يعني أن معيار التقييم في العمل ليس مجرد الإنتاجية، بل جودة العمل وأثره الإيجابي، فالعمل الصالح هو العمل المتقن النافع الذي يسهم في بناء المؤسسة والمجتمع.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الحوافز المادية وحدها لا تكفي، بل لا بد من الحوافز المعنوية والروحية، فالموظف الذي يعمل لوجه الله يشعر بأجر أعظم من الأجر المادي، وهذا يرفع من معنوياته وإنتاجيته.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن بيئة العمل المثالية هي التي يشعر فيها الموظف بالأمان الوظيفي والاستقرار النفسي، فالخوف من الفصل أو الحزن على الظلم يقلل الإنتاجية، والأمان والطمأنينة يرفعانها.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن

الطمأنينة النفسية ليست حكرا على دين دون آخر، بل هي متاحة لكل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، وهذا يعني أن الإيمان بشكل عام هو عامل وقائي من الاضطرابات النفسية.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يشير إلى أن الإيمان باليوم الآخر يمنح الإنسان إطارا معنويا للحياة، فيخفف من القلق الوجودي المرتبط بالموت والمصير، وهذا الإيمان يقلل من أعراض الاكتئاب والقلق المرتبطة بالخوف من المجهول.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يشير إلى أن النشاط الإيجابي والعمل النافع هما من أهم عوامل الصحة النفسية، فالعمل الصالح يمنح الإنسان شعورا بالقيمة والهدف، ويبعده عن الفراغ والملل اللذين يسببان الاضطرابات النفسية.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يذكر الطبيب النفسي بأن الإيمان بالأجر عند الله يمنح الإنسان أملا يجعله يتجاوز الإحباطات والفشل، فهو يعلم أن جهده لا يضيع، وأن له أجرا عند ربه، وهذا الأمل هو حماية من اليأس والاكتئاب.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هو وصف دقيق للصحة النفسية الكاملة، فالخوف والحزن هما من أعراض الاضطرابات النفسية، وانعدامهما هو علامة السلامة النفسية، والنص يبين أن الإيمان والعمل الصالح هما الطريق لتحقيق هذه السلامة.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يلفت نظر عالم الاقتصاد إلى أن النشاط الاقتصادي لا يقتصر على أمة دون أخرى، وأن جميع الأمم يمكن أن تشارك في التنمية الاقتصادية، وهذا يعزز مبدأ التعاون الاقتصادي بين مختلف الجماعات.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالله واليوم الآخر يضبط السلوك الاقتصادي، فالمؤمن باليوم الآخر يتجنب الغش والربا والاحتكار، لأنه يعلم أن الله سيعاقبه، وهذا يخلق بيئة اقتصادية نزيهة.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يعني أن العمل الاقتصادي ليس مجرد كسب مادي، بل هو عمل صالح إذا كان نافعا للمجتمع، فالتاجر الصادق والعامل المتقن والمزارع المجتهد كلهم يعملون عملا

صالحا إذا أخلصوا النية وأتقنوا العمل.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن الربح الحقيقي ليس الربح المادي فقط، بل هناك ربح أخروي عند الله، وهذا يغير مفهوم النجاح الاقتصادي، فالناجح هو من جمع بين الربح الدنيوي والأجر الأخروي.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن الاقتصاد القائم على الإيمان والعمل الصالح هو اقتصاد مستقر، فالتاجر الذي لا يخاف من تقلبات السوق ولا يحزن على الخسارة لأنه يعلم أن رزقه عند الله، يكون أكثر استقرارا نفسيا وأقل عرضة للانهيار.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية لا تقوم على التعصب الديني، بل على احترام الأديان الأخرى، وأن يربي طلابه على التعايش مع الآخرين، لأن النجاة لا تقتصر على أمة دون أخرى.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يشير إلى أن التربية الإيمانية هي أساس التربية الصحيحة، وأن المربي يجب أن يغرس في نفوس طلابه الإيمان بالله واليوم الآخر، لأنهما الأصل الذي تنبني عليه كل القيم والسلوكيات.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يعني أن التربية ليست مجرد تلقين نظري، بل لا بد من التدريب العملي على العمل الصالح، فالمربي يجب أن يعود طلابه على فعل الخير ومساعدة الآخرين، لأن العمل الصالح هو ثمرة الإيمان.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يذكر المربي بأن جهده التربوي ليس ضائعا، حتى لو لم ير ثماره في الدنيا، فله أجر عند الله، وهذا يمنحه الصبر والاستمرارية في عمله التربوي مهما كانت الصعوبات.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن التربية الإيمانية الصحيحة تنتج جيلا مطمئنا نفسيا، خاليا من الخوف والحزن، فالمربي الذي يزرع الإيمان والعمل الصالح في نفوس طلابه يمنحهم الأمن النفسي الذي يحميهم من الاضطرابات.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ يوجه القاضي إلى أن العدالة لا تفرق بين الناس بسبب دينهم، فالجميع متساوون أمام القانون، والنص يقرر أن النجاة متاحة للجميع، وهذا يعني أن القاضي يجب أن يكون عادلا مع الجميع دون تمييز.

ب. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يذكر القاضي بأن إيمانه بالله واليوم الآخر هو الضمانة الأولى لعدالته، فمن آمن بالحساب والجزاء كان أحرص على أن لا يظلم أحدا، لأن ظلمه سيكون حجة عليه يوم القيامة.

ج. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يعني أن القاضي يجب أن يكون قدوة في العمل الصالح، فقضاؤه بالعدل هو من أعظم الأعمال الصالحة، وعليه أن يحرص على أن يكون عمله في القضاء عملا صالحا خالصا لوجه الله.

د. قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يذكر القاضي بأن أجره عند الله، وليس عند الناس، فلا يبتغي بقضائه مدحا ولا شكرا، بل يبتغي وجه الله، وهذا يجعله أكثر استقلالية في أحكامه وأبعد عن المجاملة.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني أن القاضي العادل الذي يحكم بالحق لا يخاف من اللوم ولا يحزن على الضغوط، لأنه يعلم أن الله معه، وهذا يمنحه شجاعة في إصدار الأحكام العادلة مهما كانت التهديدات.

٢٦. أخذ الميثاق ورفع الطور فوق بني إسرائيل وتولي أكثرهم:

المقطع [٢٦] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِّ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٣-٦٤]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن العبودية لله ليست أمرا متروكا لاختيار البشر وحدهم، بل هي عهد سابق أخذه الله على بني آدم، والميثاق هنا يبين أن الدين فطرة مركوزة في النفوس، وأن الإيمان التزام بعهد قديم لا ابتداع فيه.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يدل على أن التكليف الإلهي قد يترافق مع آيات قاهرة تدفع

الإنسان إلى الامتثال، لكن الإيمان الذي يُراد هو الإيمان الاختياري النابع من القلب، لا الإيمان المكره عليه، فرفع الجبل كان تذكيرا بالجلال والقدرة، لا إجبارا على الإيمان.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يفيد أن الوحي الإلهي لا يُتلقى بالاستهانة أو التهاون، بل بقوة العزيمة والجد، وأن أخذ الكتاب بقوة يعني تلقيه بجدية تامة والتزاما كاملا، وهذا يبين أن الإيمان ليس مجرد تصديق نظري بل هو أخذ وعمل.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يربط بين الذكر والتقوى، فالذكر هنا ليس مجرد ترديد الألفاظ، بل هو استحضار المعاني والعمل بمقتضاها، والتقوى هي ثمرة الذكر، وهي الغاية من إنزال الكتب.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يقرر حقيقة أن الإنسان قد يعرف الحق ثم يعرض عنه، وأن التولي عن الميثاق ليس بسبب نقص في الدلالة أو غموض في البيان، بل بسبب ضعف الإرادة وغلبة الهوى، وهذا يبين أن الهداية تحتاج إلى توفيق الله.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يقرر أن النجاة من الخسران ليست بمجرد الأعمال، بل بفضل الله ورحمته، وأن فضل الله هو الذي يتدارك العصاة بعد توليهم، فيقبل توبتهم ويمهلهم، وهذا يبين أن رحمة الله سبقت غضبه.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى الميثاق الأزلي الذي أخذه الله على الأرواح في عالم الذر، وهو عند الصوفية أصل المعرفة القلبية بالله، فالإيمان ليس اكتسابا عقليا فقط، بل هو تذكار لعهد قديم في سرائر الأرواح.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يرمز عند الصوفي إلى مقام التجلي الإلهي الذي يظهر للقلوب في حالات الجذب والاصطفاء، فكما رفع الجبل فوق بني إسرائيل ليكون آية قاهرة، كذلك يرفع الله عن القلوب حجب الغفلة لترى جلاله، وهذا التجلي يهيئ القلب لتلقي الأوامر الإلهية.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يشير إلى أن أخذ العبد لعهد الله لا يكون بالوهن والفتور، بل بقوة العزيمة في المجاهدة، وهي قوة الإرادة في سلوك طريق الحق، فالصوفي يرى أن الطريق إلى الله يحتاج

إلى همة عالية لا تلين.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الذكر هو مفتاح التقوى، وأن ذكر الله في الخلوات والجلوات هو الذي يورث القلب خشية الله ومراقبته، فالذكر عندهم ليس ترديدا باللسان فقط، بل حضور القلب مع الله.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى حالات الفتور والانتكاس التي تعتري السالك في طريقه، فتتولد عنده الغفلة بعد اليقظة، والقسوة بعد اللين، وهذا التولي هو من أمراض القلب التي يجب مداواتها بالرجوع إلى الله.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ هو عند الصوفي إشارة إلى أن السالك لا يصل إلى الله بعمله ومجاهدته وحده، بل بفضل الله ورحمته، فالعمل وسيلة والفضل هو الغاية، وكل وصول هو منة إلهية لا استحقاق بشري.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العقد الاجتماعي بين الله والإنسان، فالميثاق هنا ليس عقدا بين متكافئين، بل هو إلزام إلهي يتضمن مسؤولية الإنسان تجاه خالقه، وهذا يفتح باب التأمل في طبيعة الالتزام الأخلاقي والديني.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يمثل عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين المعجزة والإيمان، فالمعجزة هنا ليست دليلا عقليا محضا، بل هي حدث خارق يخاطب النفس قبل العقل، ويثير سؤالا عن حدود العقل في إدراك ما وراء الطبيعة.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يشير إلى أن المعرفة الدينية ليست مجرد معلومات نظرية، بل هي معرفة عملية تتطلب التزاما وجدا، وهذا يلتقي مع الفلسفة العملية التي ترى أن المعرفة الحقة هي التي تتحول إلى سلوك.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يلفت الفيلسوف إلى أن التذكر ليس مجرد استرجاع للمعلومات، بل هو عملية تأملية عميقة تفضي إلى تغيير في السلوك، والتقوى هنا هي الغاية من المعرفة، وهذا يربط بين النظر والعمل.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة حرية الإرادة، فالتولي عن الميثاق بعد أخذه يدل على أن الإنسان حر في اختياره، وأنه قد يعرف الخير ثم يختار ضده، وهذا يؤكد أن المعرفة وحدها لا تكفي لضمان الفعل الأخلاقي.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يطرح عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين العدل والفضل، فالله لو عامل الناس بعدله المحض لكانوا من الخاسرين، لكنه يتفضل عليهم برحمته، وهذا يبين أن النظام الأخلاقي في الإسلام يقوم على التوازن بين العدل والفضل.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن الأخلاق ليست مجرد اصطلاحات اجتماعية متغيرة، بل هي عهود إلهية ثابتة، وأن الضمير الأخلاقي هو أمانة إلهية في الإنسان، والميثاق يمنح الأخلاق أساسا متعاليا لا يتغير بتغير الأزمنة.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يشير إلى أن الالتزام الأخلاقي قد يحتاج إلى عوامل خارجية تذكر الإنسان بجلال الله وعظمته، فالخوف من العاقبة هو أحد دوافع الالتزام الأخلاقي، لكنه ليس الدافع الوحيد، فالأخلاق الراقية هي التي تنبع من الداخل لا من الخوف.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يعني أن الأخلاق الإسلامية ليست ترفا فكريا، بل هي التزام جاد يتطلب قوة في العزيمة، والأخلاق عند المؤمن ليست خيارا ثانويا، بل هي جوهر التدين.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن التذكر هو وسيلة بناء الأخلاق، فمن يذكر أوامر الله ونواهيه تتكون عنده ملكة التقوى التي تمنعه من مخالفة الأوامر، والتقوى هي أعلى درجات الأخلاق.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يحذر عالم الأخلاق من أن المعرفة الأخلاقية وحدها لا تكفي، فقد يعرف الإنسان الخير ثم يتولى عنه، وهذا يبين أن الأخلاق تحتاج إلى إرادة وتربية مستمرة، لا إلى معرفة نظرية فقط.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يذكر عالم الأخلاق بأن الإنسان مهما بلغ في أخلاقه فهو محتاج إلى فضل الله ورحمته، وأن الكمال الأخلاقي المطلق ليس من صفات البشر،

بل هو من فضل الله عليهم، وهذا يمنع العجب والغرور بالأخلاق.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات لا تقوم على العقود الوضعية فقط، بل على عهود إلهية متعالية تمنحها الشرعية والقيمة، وأن الضمير الجمعي للأمة يستمد قوته من هذا الميثاق الذي يربطها بخالقها.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يلفت عالم الاجتماع إلى أن الجماعات البشرية قد تحتاج إلى أحداث استثنائية لتوحيدها ودفعها للالتزام، فرفع الطور كان حدثا جماعيا خلق حالة من الرهبة والالتزام، وهذا يبين أن الشعائر والأحداث الدينية الكبرى لها وظيفة اجتماعية في توحيد الجماعة.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يشير إلى أن المجتمعات القوية هي التي تأخذ قيمها ومبادئها بجدية والتزام، لا بالتساهل والتسيب، وأن قوة المجتمع تأتي من قوة تمسكه بمبادئه.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن الذكر الجماعي للقيم والمبادئ هو ما يحفظ تماسك المجتمع، فالذكر هنا ليس فرديا فقط، بل هو عملية اجتماعية تعيد إنتاج القيم في الأجيال الجديدة.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يصور حالة الانتكاس الاجتماعي، حيث قد تتراجع الجماعات عن قيمها ومبادئها بعد أن كانت ملتزمة بها، وهذا التولي هو سبب تفكك المجتمعات وسقوطها.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يبين أن بقاء المجتمعات واستمرارها ليس بجهدها وحدها، بل بفضل الله ورحمته، وأن الله يمهل المجتمعات العاصية ولا يعاجلها بالعقاب، وهذا يفتح باب التوبة والإصلاح الاجتماعي.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن السلطة السياسية ليست مطلقة، بل هي مسؤولة أمام الله، وأن الحكام والمحكومين مرتبطون بميثاق إلهي يحدد واجباتهم وحقوقهم، وهذا يمنع الاستبداد ويضمن العدالة.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يشير إلى أن الدولة قد تحتاج إلى قوة رادعة تذكر الناس بالتزاماتهم، فرفع الطور كان بمثابة تهديد ضمني يدفع إلى الالتزام، وهذا يبين أن السياسة تحتاج إلى توازن

بين الترغيب والترهيب.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يعني أن الدولة المسلمة مطالبة بأن تأخذ الشريعة بقوة، أي بتطبيقها بجدية وعزيمة، لا بالتساهل أو التأويل، وأن القوة هنا ليست قوة القهر، بل قوة الالتزام والتنفيذ.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يوجه الدولة إلى أهمية التذكير بالقيم والمبادئ، وأن الحكم ليس مجرد إدارة للمصالح، بل هو تذكير دائم بالله وبالغاية من الخلق، وهذا يمنح السياسة بعدا روحيا.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يحذر من أن الأمم التي تتولى عن ميثاقها تفقد شرعيتها وتستحق العقاب، وأن التولي عن الشريعة هو بداية سقوط الدول وزوالها.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يبين أن بقاء الدول ليس بقوتها الذاتية فقط، بل بفضل الله ورحمته، وأن الله قد يمهل الدول الظالمة لعلها تتوب، وهذا يفتح باب الأمل في الإصلاح السياسي.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن نجاح المنظمات يعتمد على وجود ميثاق واضح يحدد الالتزامات والحقوق، وأن الميثاق الإلهي هو النموذج الأسمى للمواثيق المؤسسية التي تضبط العلاقات.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة قد تحتاج إلى عوامل ضغط خارجية تدفع الأفراد إلى الالتزام، لكن الإدارة الراقية هي التي تنتقل بالأفراد من الالتزام القسري إلى الالتزام الذاتي.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يعني أن تنفيذ الخطط والمشاريع يحتاج إلى قوة في العزيمة والتنفيذ، لا إلى التردد والتهاون، وأن الإدارة الفعالة هي التي تأخذ مبادئها بجدية.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يوجه الإدارة إلى أهمية التذكير المستمر بالقيم والأهداف، وأن الاجتماعات الدورية والتذكير بالرؤية والرسالة هو ما يحفظ التزام الأفراد ويجدد حماسهم.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يحذر من أن المنظمات قد تتراجع عن التزاماتها بعد فترة من

الالتزام، وهذا التولي هو سبب فشل الكثير من المؤسسات، لذا يجب على الإدارة أن تراقب الالتزام باستمرار.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يذكر الإدارة بأن النجاح ليس بجهد الفريق فقط، بل بتوفيق الله، وأن الإدارة الناجحة هي التي تستشعر فضل الله عليها وتشكر نعمته، وهذا يمنع الغرور بالنجاح.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن التاريخ البشري ليس مجرد صراع مصالح، بل هو مسرح لتنفيذ المواثيق الإلهية، وأن الأمم التي التزمت بمواثيقها ازدهرت، والتي تخلت عنها انهارت.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يذكره بأن الأحداث الخارقة للعادة كانت علامات فارقة في تاريخ الأمم، وأن هذه الأحداث كانت تحولات حاسمة في مسار الجماعات، مثل رفع الطور الذي كان حدثا مفصليا في تاريخ بني إسرائيل.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يشير إلى أن الأمم القوية تاريخيا هي التي أخذت قيمها ومبادئها بجدية، وأن التهاون في الأخذ بالقيم كان سبب انهيار الحضارات.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن الذكرى والتذكير كانا أداتين أساسيتين في نقل القيم عبر الأجيال، وأن الأمم التي حافظت على ذاكرتها التاريخية والدينية استمرت، والتي نسيت ماضيها ضاعت.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يصور نمطا تاريخيا متكررا، حيث تلتزم الأمم ثم تتولى، وهذا التولي هو ما يفسر سقوط الأمم والحضارات عبر التاريخ.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يبين أن التاريخ ليس محكوما بالحتمية المادية فقط، بل بتدخل الله ورحمته، وأن الله قد يؤخر العقاب عن الأمم العاصية ليمنحها فرصة للتوبة، وهذا يفسر استمرار بعض الأمم رغم انحرافها.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن الإنسان يولد وفي فطرته استعداد للالتزام والعهد، وأن

الالتزام بالميثاق الإلهي يمنح الإنسان إحساسا بالانتماء والهدف، وهو ما يحقق الصحة النفسية.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يشير إلى أن الخوف من العواقب قد يكون دافعا نفسيا للالتزام، لكن الاعتماد على الخوف وحده يسبب القلق والاضطراب، لذا يجب أن يتحول الخوف إلى حب وطمأنينة.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يعني أن الصحة النفسية تتطلب قوة في العزيمة والثبات، وأن التردد والضعف في اتخاذ القرارات هو مصدر للقلق والاكتئاب، لذا فالثبات على المبادئ يمنح الإنسان اتزانا نفسيا.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يبين أن الذكر والتأمل لهما أثر علاجي على النفس، فالذكر يهدئ النفس ويقلل التوتر، والتقوى الناتجة عن الذكر تمنح الإنسان طمأنينة داخلية.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يصور حالة التذبذب النفسي التي يعاني منها الإنسان عندما يتراجع عن التزاماته، وهذا التولي يسبب الشعور بالذنب والصراع الداخلي، وهو ما يؤدي إلى الاضطرابات النفسية.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يبين أن الشعور برحمة الله وفضله هو علاج للشعور بالذنب واليأس، فالإنسان الذي يعلم أن الله يرحمه ويتفضل عليه يشعر بالأمل ولا يغرق في اليأس، وهذا هو أساس الصحة النفسية.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن النشاط الاقتصادي ليس بمعزل عن الالتزامات الأخلاقية والدينية، وأن التعاملات المالية يجب أن تكون مضبوطة بميثاق إلهي يمنع الغش والظلم.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يشير إلى أن النظام الاقتصادي قد يحتاج إلى رادع يمنع المخالفات، لكن الاقتصاد الراقي هو الذي ينتقل من الرقابة الخارجية إلى الرقابة الذاتية النابعة من الإيمان.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يعني أن الاقتصاد الإسلامي لا يقوم على التهاون في تطبيق الأحكام، بل على أخذها بقوة وجدية، مثل تحريم الربا والغش والاحتكار.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يوجه إلى أن التذكير بالقيم الاقتصادية الإسلامية هو ما

يحفظ السوق من الفساد، وأن التاجر الذي يذكر الله في تجارته يكون أكثر التزاما بالعدل.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يحذر من أن الأمم التي تتولى عن الميثاق الاقتصادي الإسلامي تنتشر فيها الفوائد والاحتكارات والأزمات المالية، وهذا التولي هو سبب الانهيارات الاقتصادية.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يبين أن البركة في الاقتصاد ليست بالحسابات المادية فقط، بل بفضل الله ورحمته، وأن الاقتصاد الذي يلتزم بمنهج الله يحظى بالبركة والاستقرار.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن التربية تبدأ من إدراك أن الإنسان مرتبط بعهد مع الله، وأن غاية التربية هي تفعيل هذا العهد في نفس المتعلم، ليكون سلوكه نابعا من التزام داخلي لا من إكراه خارجي.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يشير إلى أن التربية قد تحتاج إلى وسائل ترغيب وترهيب، لكن التربية الناجحة هي التي تنتقل بالمتعلم من الخوف إلى الحب، ومن الانضباط القسري إلى الانضباط الذاتي.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يعني أن المربي يجب أن يعلم تلاميذه أن يأخذوا العلم والقيم بجدية وقوة، لا باستهتار أو تهاون، وأن العلم الذي لا يُؤخذ بقوة لا يثمر.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يوجه المربي إلى أهمية التكرار والتذكير في العملية التربوية، فالمتعلم يحتاج إلى تذكير مستمر بالقيم والمبادئ حتى ترسخ في نفسه وتتحول إلى تقوى.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يحذر المربي من أن المتعلمين قد يتولون عن القيم بعد تعلمها، لذا يجب على المربي أن يتابع تلاميذه ولا يتركهم بعد التعليم، بل يرافقهم حتى تستقر القيم في نفوسهم.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يذكر المربي بأن نجاحه في التربية ليس بجهده وحده، بل بفضل الله ورحمته، وأن عليه أن يدعو الله أن يوفقه في مهمته، وأن يتواضع ولا يعجب بنتائج عمله.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن القضاء ليس مجرد وظيفة دنيوية، بل هو أمانة إلهية، وأن القاضي مرتبط بميثاق مع الله يلزمه بالعدل، وهذا الميثاق هو أساس شرعية القضاء.

ب. قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يشير إلى أن القاضي قد يحتاج إلى هيبة ورادع يمنع المخالفين، لكن القضاء العادل هو الذي يستمد هيبته من التقوى لا من القوة فقط.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يعني أن القاضي يجب أن يأخذ أحكام الشريعة بقوة، أي بتطبيقها بجدية دون تهاون أو تأويل، وأن القوة في تطبيق الأحكام هي ضمانة العدالة.

د. قوله: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يوجه القاضي إلى أن يتذكر أحكام الله باستمرار، وأن يكون ذكره لله هو ما يمنعه من الجور والظلم، فالتقوى هي الرادع الأعظم للقاضي.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يحذر القاضي من أن التولي عن أحكام الله هو بداية فساد القضاء، وأن القاضي الذي يتولى عن الشريعة يفتح الباب للظلم والرشوة والمحاباة.

و. قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يذكر القاضي بأنه مهما بلغ من العدل فهو محتاج إلى فضل الله ورحمته، وأن عليه أن يستشعر تقصيره ويطلب من الله العون والتوفيق في أحكامه.

٢٧. عقوبة اعتداء أصحاب السبت ومسخهم قردة خاسئين:

المقطع [٢٧] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يشير إلى أن الاعتداء على حدود الله هو سبب مباشر لسخطه وعقابه، وأن العصيان المتعدي لحدود الشرع ليس مجرد خطأ يُغتفر، بل هو جريمة تستوجب عقوبة إلهية خاصة، وهذا يبين أن الله يمهل ولا يهمل، وأن سننه في العقاب تمضي على من خالفها مهما كانت منزلته.

ب. قوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يدل على أن العقوبة الإلهية قد تكون تحويلا للصورة

والهيئة، وهو ما يعرف بالمسخ، وهذا يثبت قدرة الله المطلقة على التصرف في خلقه كيف يشاء، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن الإرادة الإلهية نافذة في تغيير الأطوار والأشكال.

ج. قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يشير إلى أن العقوبات الإلهية ليست عشوائية، بل هي عبرة للأجيال السابقة واللاحقة، وأن الله يجعل من بعض الأحداث التاريخية علامات تحذيرية تتجاوز زمانها ومكانها، وهذا يقرر مبدأ أن التاريخ ليس مجرد حوادث، بل هو مسرح لسنن الله في الثواب والعقاب.

د. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يبين أن المتقين هم الذين ينتفعون بالعبر والمواعظ، وأن العقوبات الإلهية وإن كانت موجعة للعصاة، إلا أنها تحمل في طياتها نفعا للمؤمنين، إذ تزيدهم خشية وتقوى، وتثبتهم على الطاعة، وهذا يظهر أن الله لا يريد بعباده المؤمنين إلا الخير حتى فيما يحل بالعصاة من نقم.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن الاعتداء الحقيقي هو تعدي القلب عن مقام العبودية، والخروج عن حدود الحضرة الإلهية، فالسبت هنا رمز للوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها، والاعتداء فيه هو تجاوز القلب إلى ما لا يرضي المحبوب.

ب. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن من خرج عن صورته الإنسانية الروحية، وانسلخ من الأخلاق الربانية، فقد مسخ باطنه وإن بقي ظاهره إنسانيا، فالقردية هنا ليست مجرد صورة حسية، بل هي حقيقة معنوية لمن اتبع الهوى وانغمس في الشهوات، فصار أسير الطبيعة الحيوانية.

ج. قوله: ﴿ خَاسِئِينَ ﴾ تحمل عند الصوفي معنى الطرد من باب القرب، فمن تعدى حدود الله خسيء وانطرد من حظيرة القدس، وحرم من أنس المناجاة، وهذا أشد عقوبة عند أهل الذوق من عقوبة الجسد، لأن عقوبة البعد عن الله هي أقصى العذابات الروحية.

د. قوله: ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يشير إلى أن العقوبات الإلهية في التاريخ هي من علامات تجلي الجلال، وهي تطهير للأمة من الذنوب، وتذكير للقلوب بأن الله شديد العقاب، وأن العبد الصادق يرى في هذه الأحداث عبرة تزيده خوفا ورجاء.

هـ. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يجد فيه الصوفي أن المتقين هم أهل القلوب الحية، الذين تتأثر

قلوبهم بآيات الله وعبره، فكل حدث في الكون هو كتاب يقرؤه العارف بعين البصيرة، ويستخرج منه دروسا في السلوك إلى الله، فالموعظة عندهم ليست سماع أذن فقط، بل هي نور يقذف في القلب.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤالا حول طبيعة القانون الأخلاقي، فلماذا كان العمل في السبت محرما؟ وهل التحريم تعبدي أم له حكمة عقلية؟ وهذا يقوده إلى التأمل في العلاقة بين الأوامر الإلهية والمصالح الإنسانية، وأن الطاعة لله قد تكون امتحانا للعقل في التسليم للوحي.

ب. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول إمكانية تحول الجوهر الإنساني، فهل المسخ تغيير في الصورة فقط أم في الجوهر؟ وهل يمكن أن يتحول الإنسان إلى حيوان حقيقة؟ وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الطبيعة الإنسانية وحدود المادة والروح، وفي إمكانية خرق القوانين الطبيعية بقدرة إلهية.

ج. قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الغائية في العقوبات، فالعقوبة ليست انتقاما إلهيا، بل هي وسيلة لتحقيق أهداف أخلاقية واجتماعية، كالردع والتقويم، وهذا يلتقي مع نظريات الفلسفة الأخلاقية في أن العقاب يجب أن يكون له غاية نافعة لا مجرد إيلام.

د. قوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يشير إلى أن الحوادث التاريخية لها أبعاد زمنية متجاوزة، فالعبرة من الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا يدفع الفيلسوف إلى التأمل في فلسفة التاريخ، وأن الأحداث ليست منعزلة، بل هي حلقات في سلسلة سببية تحكمها إرادة إلهية.

هـ. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يجد فيه الفيلسوف أن الغاية من العقوبات الإلهية هي التربية والتزكية، وأن المتقين هم الذين يستفيدون من التجارب التاريخية، وهذا يلتقي مع مفهوم الحكمة العملية التي تجعل الإنسان يتعلم من أخطاء الماضي، ويبني مستقبله على أسس صحيحة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يبين أن الأخلاق الإسلامية تقوم على احترام الحدود الشرعية، وأن التعدي على هذه الحدود هو فساد أخلاقي قبل أن يكون مخالفة قانونية، فالاعتداء هنا ليس

مجرد فعل مادي، بل هو خلق ذميم يتمثل في عدم احترام أوامر الله.

ب. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يحمل عبرة أخلاقية عميقة، وهي أن الإنسان إذا انسلخ من القيم الإنسانية العليا، وانغمس في الشهوات والمخالفات، فقد فقد جوهر إنسانيته، وصار في حقيقته الأخلاقية كالحيوان، فالمسخ هنا عقوبة معنوية تتمثل في فقدان الكرامة الإنسانية.

ج. قوله: ﴿خَاسِئِينَ﴾ تشير إلى أن من يتعدى حدود الله يفقد مكانته الاجتماعية والأخلاقية، ويصبح منبوذا مهانا، وهذا يربي في النفس خلق الحياء والوقار، ويدعو إلى حفظ الكرامة بالالتزام بالفضائل.

د. قوله: ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الأخلاق الفردية لها أثر اجتماعي ممتد، فكل جيل مسؤول عن نقل القيم للأجيال القادمة، وأن الفساد الأخلاقي في جيل ما قد يكون سببا في عقوبات تطال الأجيال اللاحقة، مما يستوجب العناية بالتربية الأخلاقية.

هـ. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن الأخلاق الحقة لا تتحقق بالخوف من العقاب فقط، بل بالتقوى التي تجعل المؤمن يتعظ بغيره، ويستفيد من تجارب الماضين، فالمتقون هم الذين يرون في العقوبات الإلهية دروسا تزيدهم صلاحا واستقامة.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تنحرف عن القيم الدينية تتعرض لعقوبات جماعية، وأن الفساد إذا استشرى في مجتمع ما فإن عاقبته لا تقتصر على المذنبين فقط، بل قد تطال الجميع، وهذا يبين أن المجتمع كيان عضوي يتأثر أفراده بعضهم ببعض.

ب. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يحمل دلالة اجتماعية على أن الانحلال الأخلاقي يؤدي إلى فقدان الهوية الإنسانية للمجتمع، فالمجتمع الذي يفقد قيمه يصبح كالحيوان في تصرفاته، وتفكك الروابط الاجتماعية فيه يؤدي إلى الانهيار.

ج. قوله: ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن العقوبات الإلهية لها وظيفة اجتماعية، فهي تمنع انتشار الفساد، وتحمي الأجيال القادمة من الوقوع في نفس الأخطاء، وهذا يشبه ما يسمى في علم الاجتماع بالردع الاجتماعي الذي يهدف إلى حماية النسيج الاجتماعي.

د. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يبين أن المجتمعات المؤمنة هي التي تتعظ بالأحداث، وتستفيد من دروس التاريخ، فالمجتمع الواعي هو الذي يقرأ الأحداث بعين الاعتبار، ويصلح من أوضاعه قبل فوات الأوان، وهذا يعد أساسا من أسس التغيير الاجتماعي الإيجابي.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يشير إلى أن الدول التي تتعدى حدود الله في تشريعاتها وسياساتها تتعرض لعقوبات إلهية، وأن الاستقامة على المنهج الرباني هي الضمانة الأولى لاستقرار الدول وبقائها، فالاعتداء على حدود الله هو بداية الانهيار السياسي.

ب. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يحمل تحذيرا سياسيا من أن الأمم التي تنحرف عن القيم تفقد مكانتها بين الأمم، وتصبح مهانة ذليلة، فالعزة والتمكين مرتبطان بالطاعة، والذل والهوان مرتبطان بالمعصية، وهذا يفسر كثيرا من أحداث التاريخ السياسي.

ج. قوله: ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن القوانين والعقوبات في الدولة يجب أن تكون رادعة، وأن يكون الهدف منها حماية المجتمع من الفساد، وأن العقوبات الإلهية هي نموذج للعدالة الردعية التي تحفظ النظام العام.

د. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن الحكام والمجتمعات المتقين هم الذين يتعظون بالأحداث، ويصلحون من أوضاعهم، فالحاكم التقي هو الذي يستفيد من دروس التاريخ، ويحذر من أسباب الهلاك التي أهلكت الأمم السابقة.

سابعا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يشير إلى أن التاريخ مليء بالأمم التي عصت الله فأهلكها، وأن قصة أصحاب السبت هي واحدة من هذه القصص التي تبين سنة الله في الأمم، وأن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث، بل هو سجل لسنن الله في الثواب والعقاب.

ب. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يشير إلى أن بعض العقوبات الإلهية كانت بتحويل صور البشر إلى صور حيوانات، وهذا حدث تاريخي فريد يبين قدرة الله، ويثير تساؤلات حول كيفية حدوثه، وهل له نظائر في التاريخ القديم؟

ج. قوله: ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يشير إلى أن الأحداث التاريخية الكبرى لها أثر ممتد عبر الأجيال، وأن العقوبات الإلهية كانت تهدف إلى أن تكون عبرة للأمم السابقة واللاحقة، وهذا يبين أن التاريخ له وظيفة إصلاحية، وأن دراسة التاريخ ضرورية لاستخلاص العبر.

د. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن المؤرخ المسلم لا يدرس التاريخ لمجرد المعرفة، بل لاستخلاص العبر والمواعظ، وأن المتقين هم الذين ينتفعون بدراسة التاريخ، ويجعلونها سببا في زيادة إيمانهم وتقواهم.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يشير إلى أن مخالفة الضمير والقيم الدينية تسبب اضطرابات نفسية، فالإنسان الذي يعتدي على حدود الله يعيش في صراع داخلي بين فطرته وسلوكه، وهذا الصراع يؤدي إلى القلق والاكتئاب.

ب. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يحمل دلالة نفسية على أن الإنسان عندما يفقد قيمه العليا، فإنه يفقد إنسانيته، وقد تظهر فيه سلوكيات حيوانية، وهذا ما يسمى في علم النفس الحديث بفقدان الذات أو تفكك الشخصية، حيث يتحول الإنسان إلى كائن مدفوع بالغرائز فقط.

ج. قوله: ﴿ خَاسِئِينَ ﴾ تشير إلى أن الشعور بالخزي والذل بعد المعصية هو شعور نفسي مؤلم، وقد يكون دافعا للتوبة أو سببا للاكتئاب، وهذا يبين أن الصحة النفسية مرتبطة بالاستقامة الأخلاقية.

د. قوله: ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يلفت نظر الطبيب النفسي إلى أن الذنوب والمعاصي لها آثار نفسية تمتد عبر الأجيال، فالتربية الخاطئة والسلوك المنحرف في جيل ما قد يسبب اضطرابات نفسية في الأجيال القادمة، وهذا يبين أهمية التربية النفسية السليمة.

هـ. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن التعلم من التجارب السابقة هو أساس الصحة النفسية، فالمتقون هم الذين يتعظون من أخطاء غيرهم، ويتجنبون الوقوع في نفس المشكلات، وهذا يعد وقاية نفسية من الاضطرابات.

تاسعا ـ إشارات أحيائية:

أ. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يثير تساؤلات علمية حول إمكانية تحول الإنسان إلى قرد، فمن

الناحية البيولوجية، هذا التحول مستحيل وفق القوانين الطبيعية المعروفة، لكن الآية تثبت أن قدرة الله فوق القوانين الطبيعية، وأنه قادر على تغيير الخلقة كيف يشاء، وهذا يبين أن العلم الطبيعي لا يدرك كل شيء، وأن هناك ما وراء الطبيعة.

ب. قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ يشير إلى أن التحول البيولوجي قد يكون عقوبة إلهية، وهذا يفتح باب التأمل في العلاقة بين الأخلاق والطبيعة، وهل يمكن أن يكون للسلوك الأخلاقي أثر على البنية البيولوجية؟ وهذا ما تؤكده بعض الدراسات الحديثة في علم الأحياء النفسي، حيث أن السلوك يؤثر على الهرمونات والجهاز العصبي.

ج. قوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يوجه عالم الأحياء إلى أن التغيرات البيولوجية قد تكون لها أسباب بيئية ووراثية، وأن العقوبات الإلهية قد تكون عبر تغيير في الجينات أو البيئة، وهذا يبين أن العلم الحديث يكتشف شيئا من سنن الله في الخلق.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يبين أن التربية على احترام الحدود والضوابط هي أساس التربية السليمة، وأن المعلم يجب أن يربي طلابه على عدم تجاوز الحدود الشرعية والأخلاقية، وأن التعدي على الحدود له عواقب وخيمة.

ب. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يحمل عبرة تربوية، وهي أن الإنسان إذا لم يلتزم بالقيم الإنسانية فقد يفقد إنسانيته، وأن التربية يجب أن تهدف إلى تنمية الجانب الروحي والأخلاقي، وليس فقط الجانب المعرفي.

ج. قوله: ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يوجه المربي إلى أن العقوبات التربوية يجب أن تكون رادعة، وأن يكون الهدف منها إصلاح الطالب وليس مجرد الانتقام منه، وأن العقوبة يجب أن تكون عبرة للآخرين، وهذا ما يسمى في التربية بالعقاب الردعي.

د. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن المربي الناجح هو الذي يستخدم القصص والأحداث التاريخية كوسيلة للتربية والتوجيه، وأن المتعلمين المتقين هم الذين يتعظون من هذه القصص، ويستفيدون منها في بناء شخصياتهم.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يبين أن القاضي يجب أن يكون حازما في تطبيق العقوبات على المعتدين، وأن التهاون في تطبيق الحدود يؤدي إلى انتشار الفساد، وأن العدالة تقتضي معاقبة كل من يتعدى حدود الله.

ب. قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يحمل دلالة على أن العقوبة يجب أن تكون متناسبة مع الجريمة، وأن الله جعل عقوبة المعتدين مسخا، وهذا يبين أن العقوبات الإلهية هي أشد العقوبات، وأن القاضي يجب أن يطبق العقوبات الشرعية بحكمة وعدل.

ج. قوله: ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ يوجه القاضي إلى أن العقوبة يجب أن تكون رادعة للآخرين، وأن الهدف منها هو حماية المجتمع من انتشار الجريمة، وهذا يلتقي مع فلسفة العقوبات في القانون الوضعي، حيث أن العقوبة تهدف إلى الردع العام والخاص.

د. قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن القاضي العادل هو الذي يتعظ بالأحداث، ويستفيد من تجارب الماضين، وأن العدالة الحقيقية لا تتحقق إلا بالتقوى، فالقاضي التقي هو الذي يخشى الله في أحكامه، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

٢٨. قصة البقرة وتكلف وتعنت بني إسرائيل:

المقطع [٢٨] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهَّ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهَّ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهَّ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهَّ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٦٧-٧٣]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] يشير إلى أن الأمر الإلهي قد يأتي على صورة قد تستغربها العقول، لكن واجب المؤمن هو التسليم والامتثال، ففي الأمر اختبار لمدى الانقياد للوحي، ولذلك قابل بنو إسرائيل الأمر بالاستهزاء والتساؤل، مما يدل على أن الإيمان ليس مجرد تصديق قلبي بل هو طاعة عملية لأوامر الله مهما خالفت الظاهر.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهَّ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] يبين أن الأنبياء معصومون من السخرية والعبث، وأن نسبة الهزل إلى نبي الله موسى عليه السلام من أعظم الجهل، فالعصمة صفة لازمة للرسل في أقوالهم وأفعالهم، وإنكار ذلك يخرج عن جادة الإيمان.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يكشف عن أن بني إسرائيل لم يكتفوا بالأمر المجمل، بل طلبوا التفصيل، وهذا يدل على أن التكليف الإلهي قد يأتي مجملا ثم يفصل، وأن على المكلف أن يلتزم بالبيان النبوي دون زيادة أو نقصان، فالتشريع الإلهي يبينه الرسول، والطعن في البيان النبوي طعن في الدين نفسه.

د. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] يشير إلى أن الله تعالى يضيق على من يتعنت في السؤال، فكلما زادوا في الأسئلة زاد التضييق عليهم في الأوامر، وهذا يدل على أن التعنت في الدين ليس من صفات المؤمنين، وأن الأصل في العبادة هو الامتثال لا المماطلة.

هـ. قوله تعالى: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١] يدل على أن الحق لا يتغير بتبدل الأهواء، وأنهم لم يعترفوا بالحق إلا بعد أن ألزمتهم التفاصيل، وهذا يشير إلى أن الإيمان الحق هو التسليم المطلق لله، لا التسليم المشروط بالتفاصيل التي ترضي النفس.

و. قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُّ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣] يقرر عقيدة البعث والإحياء بعد الموت، وأن قدرة الله لا تعجز عن إحياء الموتى، فإحياء القتيل بضربة جزء من البقرة دليل على أن الإحياء بيد الله وحده، وأن الآخرة حق لا ريب فيها، وهذه من أعظم مسائل العقيدة التي يقررها القرآن.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] يجد فيه

الصوفي إشارة إلى أن النفس البشرية كالبقرة التي أمر الله بذبحها، أي ذبح النفس الأمارة بالسوء وهواها، فذبح البقرة هنا رمز للتضحية بالنفس والهوى في سبيل الله، وهي من مقامات المجاهدة التي يمر بها السالك.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] يشير إلى أن القلب إذا لم يتطهر من دنس المعاصي سيقابل الأوامر الإلهية بالاستهزاء والاستغراب، أما القلب السليم فيتقبل الأمر الإلهي بالتسليم والقبول، فالسخرية من الأوامر الإلهية علامة على مرض القلب وبعده عن الله.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن العبد اللبيب يستعيذ بالله من الجهل الذي هو أصل كل بلاء، فالجهل عند الصوفية ليس عدم المعرفة فقط، بل هو الغفلة عن الله والانشغال بغير الحق، والاستعاذة منه هي بداية طريق المعرفة.

د. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يشير إلى أن السالك في بداية طريقه يحتاج إلى مرشد يبين له ما أشكل عليه من أمور الدين والسلوك، فالتعنت في السؤال بلا حاجة يورث التضييق، أما سؤال أهل الذكر والاقتداء بهم فهو من سبيل المؤمنين.

هـ. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الصفاء في العمل والنية يورث السرور والبهجة، فاللون الأصفر الفاقع يرمز إلى الصفاء والنقاء، والعمل الذي يخلص فيه العبد لله يكون سرورا لناظريه في الدنيا والآخرة.

و. قوله تعالى: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١] يشير إلى أن القلب إذا تجلى له الحق بعد طول بحث وتفتيش قال: الآن جئت بالحق، فالمعرفة الحقة عند الصوفي هي التي تصل إلى القلب بعد مجاهدة وتصفية، لا مجرد معلومات نظرية تلقن.

ز. قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣] يجد فيه الصوفي إشارة إلى إحياء القلوب الميتة بنور المعرفة، فكما أحيى الله القتيل بضربة البقرة، كذلك يحيي الله القلوب الميتة بالغفلة بنور الذكر والهداية، وهذه من أسرار القدرة الإلهية التي لا تدرك بالعقل بل بالذوق والكشف.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] يثير عند الفيلسوف إشكالا حول طبيعة الأمر الإلهي وعلاقته بالعقل، فالأمر بذبح بقرة لمعرفة القاتل يبدو غير متناسب مع العلة الغائية، لكن الفيلسوف يدرك أن الحكمة الإلهية قد تخفى على العقول المحدودة، وأن التسليم للأمر الإلهي هو منتهى الحكمة، لأن العلة الغائية قد تكون أسمى من أن يدركها العقل البشري.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] يلفت نظر الفيلسوف إلى أن العقل البشري عندما يعجز عن إدراك الحكمة من الأمر الإلهي قد يلجأ إلى الاستهزاء أو الإنكار، وهذا يدل على أن العقل وحده لا يكفي لإدراك الحقائق الإلهية، بل لا بد من التسليم للوحي، وهذه إشارة إلى العلاقة بين العقل والنقل، وأن النقل يكمّل العقل ولا يناقضه.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يثير عند الفيلسوف سؤالا حول حدود السؤال والطلب في الأمور الدينية، فالإلحاح في السؤال عن التفاصيل التي لا حاجة إليها قد يؤدي إلى التشدد والتضييق، والفيلسوف يدرك أن الحكمة تقتضي الوقوف عند الحد الذي رسمه الشرع، وعدم تجاوزه بالأسئلة غير الضرورية.

د. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى مبدأ الوسطية والاعتدال، فالبقرة العوان بين الفارض والبكر تمثل حالة التوازن بين الأطراف، وهذا يلتقي مع المبدأ الأرسطي في الوسط الذهبي، وأن الفضيلة في الأمور كلها هي الوسط بين الإفراط والتفريط.

هـ. قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُّ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] يثير عند الفيلسوف مسألة السببية والعلاقة بين الأسباب والمسببات، فإحياء الموتى بضربة جزء من البقرة يبين أن الأسباب الظاهرة ليست هي الفاعلة الحقيقية، بل الله هو الفاعل الحقيقي، والأسباب مجرد سنن أجراها الله، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الطبيعة والعلاقة بين الأسباب والمسببات.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] يبين أن من الأخلاق الذميمة الاستهزاء بأوامر

الله ورسله، وأن الأدب مع الله يقتضي حسن الظن به وبأوامره، فالمؤمن لا يعترض على الأمر الإلهي ولا يسخر منه، بل يتلقاه بالقبول والتسليم.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] يرشد إلى أن من الأخلاق الفاضلة أن يتحلى الإنسان بالعلم والأدب، وأن يستعيذ بالله من الجهل الذي يدفع إلى السخرية والاستهزاء، فالعلم الحقيقي يورث الخشية والأدب، والجهل يورث التطاول على الحق.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يشير إلى أن كثرة الأسئلة والتعنت في طلب التفاصيل من الأخلاق المذمومة، لأنها تدل على عدم الرضا بالقدر وعدم الثقة بالتكليف، والأخلاق القرآنية تربي المؤمن على القناعة والرضا بما أمر الله به دون تكلف.

د. قوله تعالى: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١] يدل على أن الاعتراف بالحق بعد ظهوره من الأخلاق الفاضلة، لكن تأخير الاعتراف إلى آخر لحظة يدل على المماطلة والعناد، والأخلاق الإسلامية تحث على المسارعة إلى الحق والاعتراف به من أول وهلة.

هـ. قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يبين أن الامتثال للأوامر مع الكراهية والتأفف ليس من الأخلاق الحميدة، فالمؤمن الحق ينفذ الأمر الإلهي بنفس راضية مطمئنة، لا بقلب كاره متلكئ، وهذا من علامات صدق الإيمان وحسن الأخلاق.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] يشير إلى أن من الأخلاق الفاضلة الصدق وكتمان الأسرار بما يرضي الله، وأن الله سيكشف ما يخفيه الناس من أقوال وأفعال، فالكذب والكتمان للحق من الأخلاق الذميمة التي لا تخفى على الله.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات التي تبتعد عن منهج الله تظهر فيها ظواهر اجتماعية منحرفة، كالتعنت والمماطلة في تنفيذ الأوامر، وأن المجتمع الذي يفتقد الإيمان يصبح عرضة للتفكك والانحراف.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] يشير إلى أن الاستهزاء بالدين وأوامره من علامات ضعف الوازع الديني في المجتمع، وأن المجتمعات التي تسخر من قيمها الدينية تفقد تماسكها

وهويتها، فالاستهزاء بالدين ظاهرة اجتماعية خطيرة تؤدي إلى انهيار القيم.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن كثرة الأسئلة والتعنت في المجتمع تدل على ضعف الثقة بين أفراده وقادته، فالمجتمع الذي يثق في قيادته ينفذ الأوامر دون مماطلة، أما المجتمع المتعنت فيضيع وقته في الأسئلة غير المجدية.

د. قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يبين أن المجتمعات التي تنفذ الأوامر على مضض تكون أقل إنتاجية وأكثر عرضة للفشل، فالمجتمع المتراخي في تنفيذ التكاليف لا ينهض ولا يتقدم، بل يظل في تخلفه وتراجعه.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] يشير إلى أن الجريمة في المجتمع تخلق حالة من الادعاءات المتبادلة والتنازع، وأن المجتمع الذي لا يتحرى الحق في قضاياه يظل يعيش في فوضى وعدم استقرار، فالعدل هو أساس الاستقرار الاجتماعي.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] يذكر عالم الاجتماع بأن الحقائق مهما حاول المجتمع كتمانها فإن الله مظهرها، وأن المجتمعات التي تظن أنها تستطيع إخفاء جرائمها تعيش في وهم، فالعدالة الإلهية كفيلة بكشف كل خفي.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] يجد فيه عالم السياسة أن القيادة النبوية تواجه تحديات كبيرة من الشعب المتعنت، وأن الحاكم الصادق يبلغ أوامر الله دون تردد، مهما قابلته شعوبه بالاستهزاء والمماطلة، فالقيادة الحقة هي التي تلتزم بالمنهج الإلهي ولا تنحني للأهواء.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] يشير إلى أن الشعب الذي لا يثق في قيادته قد يتهمها بالسخرية والعبث، وهذا يدل على أن الثقة بين الحاكم والمحكوم أساس الاستقرار السياسي، وأن فقدان الثقة يؤدي إلى تعطيل الأوامر وعدم تنفيذها.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يلفت نظر عالم السياسة إلى أن كثرة الأسئلة والمماطلة من الشعب قد تكون أسلوبا للمعارضة غير البناءة، وأن الحاكم الحكيم يجب أن

يميز بين الأسئلة المشروعة التي تطلب البيان، والأسئلة التعنتية التي تهدف إلى تعطيل الأوامر.

د. قوله تعالى: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١] يشير إلى أن الشعوب المتعنتة لا تعترف بالحق إلا بعد أن تُلزم بالأمر الواقع، وهذا يدل على أن بعض الشعوب لا تتحرك إلا بالإكراه، وأن القيادة الحكيمة قد تضطر إلى التشديد مع من لا يفهم إلا لغة الشدة.

هـ. قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يبين أن تنفيذ الأوامر على مضض يؤدي إلى ضعف النتائج، وأن الدولة التي تنفذ سياساتها بتراخٍ من الشعب لا تحقق أهدافها، فلا بد من إقناع الشعب بأهمية السياسات لضمان تنفيذها بحماس.

و. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] يذكر عالم السياسة بأن الجرائم السياسية التي تحاول الأنظمة كتمانها سيكشفها الله، وأن العدالة الإلهية تتفوق على العدالة الوضعية في كشف الحقائق، فلا يظن الظالم أنه ناجٍ بكتمانه.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] يجد فيه عالم الإدارة أن وضوح التعليمات من القائد أمر أساسي لنجاح العمل، لكن المشكلة قد تكون في استقبال المرؤوسين للتعليمات، فإذا كان المرؤوسون متعنتين فإن تنفيذ التعليمات يتعثر مهما كانت واضحة.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] يشير إلى أن عدم الثقة بين الإدارة والموظفين يؤدي إلى اتهام الإدارة بالسخرية وعدم الجدية، وهذا يضعف الروح المعنوية ويؤدي إلى فشل العمل، فالعلاقة بين الإدارة والموظفين يجب أن تقوم على الثقة والاحترام المتبادل.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يلفت نظر عالم الإدارة إلى أن كثرة الأسئلة من الموظفين قد تكون وسيلة للمماطلة وتأجيل التنفيذ، وأن الإدارة الحكيمة يجب أن تحدد نطاق الأسئلة المشروعة وتمنع الأسئلة التعنتية التي تعطل سير العمل.

د. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] يشير إلى أن التحديد الدقيق للمواصفات في الأوامر يمنع الالتباس ويقلل من المماطلة، فالإدارة الناجحة تحدد المواصفات بدقة منذ البداية، ولا تترك مجالا للتأويلات المختلفة.

هـ. قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يبين أن تنفيذ الأوامر على مضض يؤدي إلى ضعف الإنتاجية، وأن الإدارة الناجحة هي التي تحفز الموظفين على تنفيذ الأوامر بحماس ورغبة، لا بالإكراه والتسويف.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] يذكر عالم الإدارة بأن المعلومات المخفاة داخل المنظمة ستنكشف يوما ما، وأن الشفافية في العمل الإداري أساس النجاح، فإخفاء المعلومات يؤدي إلى فشل القرارات وانهيار الثقة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] يجد فيه المؤرخ أن هذه الواقعة تمثل نموذجا تاريخيا لتعنت بني إسرائيل مع أنبيائهم، وأن هذا التعنت كان سببا في عقوباتهم المتكررة، فالتاريخ يكرر نفسه عندما تتعنت الأمم مع رسلها.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] يشير إلى أن بني إسرائيل كانوا يتهمون أنبياءهم بالسخرية والعبث، وهذا يدل على أن الاستهزاء بالأنبياء كان ظاهرة تاريخية متكررة في بني إسرائيل، وأن هذا الاستهزاء كان سببا في طردهم من رحمة الله.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يلفت نظر المؤرخ إلى أن التعنت في الأسئلة كان أسلوبا تاريخيا لبني إسرائيل في المماطلة، وأن هذا الأسلوب أدى إلى تشديد التكاليف عليهم، فكلما زادوا في الأسئلة زاد الله في التضييق، وهذا درس تاريخي في عاقبة التعنت.

د. قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يبين أن بني إسرائيل نفذوا الأمر بعد مماطلة طويلة، وأن هذا التأخير كان له أثر سلبي على تاريخهم، فالأمم التي تماطل في تنفيذ أوامر الله تخسر الكثير من الخير والبركة.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] يشير إلى أن الجريمة والتنازع حولها كانا ظاهرتين تاريخيتين في بني إسرائيل، وأن الله كشف حقيقة القاتل بمعجزة إحياء الميت، وهذا يدل على أن الله ينصر الحق ولو بعد حين، وأن التاريخ يشهد بذلك.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] يجد فيه الطبيب النفسي أن عدم الثقة بالآخرين وخاصة القادة قد يكون عرضا لاضطرابات نفسية، فالاستهزاء بالأوامر واتهام القائد بالسخرية يدل على حالة من عدم الأمان النفسي والقلق، وأن هذه الحالة تحتاج إلى علاج نفسي وتربوي.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يشير إلى أن كثرة الأسئلة والتردد في اتخاذ القرارات قد تكون عرضا من أعراض اضطراب الوسواس القهري، فالتعنت في طلب التفاصيل وعدم الرضا بالإجابات يدل على حالة من القلق والتردد المرضي.

ج. قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يبين أن المماطلة والتسويف في تنفيذ الأوامر قد تكون ناتجة عن حالة من الكسل المرضي أو فقدان الدافعية، وأن هذا السلوك يحتاج إلى علاج نفسي لاستعادة الحماس والدافعية للعمل.

د. قوله تعالى: ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] يشير إلى أن كتمان الحقائق والجرائم يسبب ضغطا نفسيا كبيرا على الإنسان، وأن الشعور بالذنب والقلق من كشف الأسرار يؤدي إلى اضطرابات نفسية، فالاعتراف بالخطأ وتفريغ الشحنة النفسية هو طريق الصحة النفسية.

هـ. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] يجد فيه الطبيب النفسي أن الإيمان بالبعث وإحياء الموتى يمنح الإنسان أملا في الحياة ويخفف من الخوف من الموت، وهذا الأمل ضروري للصحة النفسية، فالذي يؤمن بأن الموت ليس نهاية بل بداية حياة جديدة يعيش مطمئنا.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يجد فيه عالم الاقتصاد أن التعنت في طلب التفاصيل قد يؤدي إلى ارتفاع التكاليف، فكلما زادت الأسئلة زادت الالتزامات، وهذا ينطبق على الاقتصاد حيث أن كثرة الشروط والمواصفات ترفع تكلفة الإنتاج وتؤخر التنفيذ.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] يشير إلى أن الاقتصاد المتوازن هو الذي يقوم على الوسطية بين الأطراف، فالبقرة العوان بين الفارض والبكر تمثل حالة التوازن الاقتصادي بين الإفراط والتفريط، وهذا يلتقي مع مبادئ الاقتصاد الإسلامي القائمة

على التوازن.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١] يبين أن الاعتراف بالحق بعد فوات الأوان قد يكون مكلفا، فلو أن بني إسرائيل نفذوا الأمر من أول مرة لكان أقل تكلفة، وهذا ينطبق على الاقتصاد حيث أن التأخير في اتخاذ القرارات الاقتصادية يزيد التكاليف ويضيع الفرص.

د. قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يشير إلى أن المماطلة في تنفيذ الالتزامات الاقتصادية تؤدي إلى خسائر كبيرة، فالتأخير في تنفيذ العقود والالتزامات يرفع التكاليف ويضعف الثقة في السوق، والاقتصاد الناجح يقوم على سرعة التنفيذ والالتزام بالمواعيد.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] يلفت نظر عالم الاقتصاد إلى أن الجرائم الاقتصادية كالغش والاحتيال تؤدي إلى اضطراب السوق وفقدان الثقة، وأن كشف هذه الجرائم ضروري لاستقرار الاقتصاد، فالشفافية والنزاهة أساس الاقتصاد السليم.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] يجد فيه المربي أن التعليمات الواضحة من المعلم ضرورية لنجاح العملية التعليمية، لكن المعلم قد يواجه طلابا متعنتين لا يقبلون التعليمات بسهولة، وهذا يتطلب من المعلم صبرا وحكمة في التعامل معهم.

ب. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧] يشير إلى أن الطلاب قد يتهمون معلمهم بالسخرية إذا لم يفهموا الحكمة من التعليمات، وهذا يدل على أن المعلم الناجح يجب أن يشرح الحكمة من التعليمات لطلابه، وأن يبني الثقة بينه وبينهم.

ج. قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨] يلفت نظر المربي إلى أن كثرة الأسئلة من الطلاب قد تكون وسيلة للمماطلة وتأجيل الواجبات، وأن المعلم الحكيم يجب أن يميز بين الأسئلة المشروعة التي تطلب الفهم، والأسئلة التعنتية التي تهدف إلى تعطيل الدرس.

د. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] يشير إلى أن التحديد الدقيق للمواصفات في التعليمات يمنع الالتباس ويقلل من الأسئلة، فالمعلم الناجح يحدد متطلبات الواجبات بدقة منذ البداية، ولا يترك مجالا للتأويلات المختلفة.

هـ. قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يبين أن الطلاب الذين ينفذون الواجبات على مضض يكونون أقل إنتاجية وأقل استفادة، وأن المعلم الناجح يجب أن يحفز طلابه على تنفيذ الواجبات بحماس ورغبة، لا بالإكراه والتسويف.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] يذكر المربي بأن الحقائق مهما حاول الطلاب إخفاءها فستظهر، وأن المعلم يجب أن يربي طلابه على الصدق والشفافية، وأن الكتمان والكذب يؤديان إلى عواقب وخيمة.

٢٩. قسوة قلوب بني إسرائيل بعد المعجزات:

المقطع [٢٩] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يشير إلى أن القسوة ليست حالة فطرية أصلية في الإنسان، بل هي حالة طارئة مكتسبة تحدث بعد توالي النعم والمعجزات، فقلوب بني إسرائيل لم تكن قاسية منذ البداية، بل قست بعد مشاهدة الآيات البينات، وهذا يدل على أن المعجزات وحدها لا تكفي لهداية القلب إذا لم تقترن بإرادة حرة تسلم لله، فالإيمان ليس قسرا ولا جبرا، بل هو استجابة اختيارية تلي قيام الحجة.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يقرر حقيقة أن القسوة درجات وأنها قد تتفاوت في الشدة، فقلوبهم بلغت من الصلابة مبلغا تجاوز به الحجارة التي هي أصلب الأشياء في الطبيعة، وفي هذا إشارة إلى أن الطبيعة البشرية قابلة للتحول إلى الأسوأ إذا أعرضت عن الهدى، وأن القلب قد يصبح أشد جمودا من الجماد نفسه، وهذا يبين خطورة الاستمرار في الغفلة والإعراض عن آيات الله.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يلفت النظر إلى أن الجماد قد يكون أطوع لله من قلب الإنسان، فالحجارة الصماء تستجيب لأمر الله فتنفجر منها الأنهار، بينما قلب الإنسان المكلف العاقل يبقى قاسيا لا يتأثر بالآيات، وهذا يقلب الموازين، فالأصل أن يكون الإنسان ألين وأسرع استجابة

من الجماد، لكنه حين يخالف فطرته يصبح أسوأ حالا من الحجر.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن هناك درجات في الاستجابة حتى في الجمادات، فمن الحجارة ما يتفجر منه الأنهار بغزارة، ومنها ما يشقشق فيخرج منه الماء قليلا، وهذا تمثيل لحال القلوب مع الهدى، فمنها ما ينفجر بالإيمان والعلم، ومنها ما يخرج منه الخير بمقدار ضئيل، ومنها ما لا يخرج منه شيء البتة، وهذا يبين تفاوت القلوب في قبول الحق.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يقرر أن الخشية من الله ليست مقصورة على العقلاء المكلفين، بل إن الجمادات تدرك عظمة الله وتخشاه خشية تليق بها، وهذا يدل على أن الخشية صفة كونية شاملة، وأن القلب المؤمن ينبغي أن يكون أشد خشية من الحجر الذي يهبط من خشية الله، فإذا كان الجماد يخشى الله فكيف بالإنسان الذي كرمه الله بالعقل والإدراك.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هو تهديد ووعيد يقرر أن الله محيط بأعمال العباد كلها، وأن القسوة التي في القلوب لن تخفى عليه، وسيحاسب عليها أصحابها، وهذا يربط بين الحالة القلبية والجزاء الإلهي، فقسوة القلب ليست مجرد حالة نفسية عابرة، بل هي فعل إنساني مسؤول عنه صاحبه أمام الله.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن القسوة هي حجاب يحجب القلب عن نور الله، وأنها تنشأ من تراكم الذنوب والغفلات بعد مشاهدة الآيات، فكل معصية بعد معصية تزيد القلب قسوة حتى يصبح كالحجر، وهذا يدفع الصوفي إلى المجاهدة المستمرة لئلا يقسو قلبه بعد أن لان لذكر الله.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يرمز عند الصوفي إلى مقام القلب الميت الذي لا يتأثر بالمواعظ ولا يلين للذكر، وهو أخطر حالات القلب في مسيرة السلوك، فالقلب السليم هو القلب الحي الذي يخفق بذكر الله، أما القلب القاسي فهو قلب محجوب عن فيض الرحمة، وهذا يستدعي من السالك أن يراقب حال قلبه باستمرار.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن القلب إذا لان وانفجر بالمعرفة الإلهية تفجرت منه أنهار الحكمة والعلم اللدني، فكما أن الحجر الصلب قد يتفجر منه الماء

العذب، كذلك القلب القاسي إذا أذن الله له بالانفتاح تفجرت منه ينابيع الأسرار والمعارف الربانية، وهذا يبعث الأمل في القلوب القاسية أن تتغير.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن هناك قلوبا لا تصل إلى درجة التفجر الكامل، لكنها تتشقق قليلا فتخرج منها قطرات من الخشية والدموع، وهذا هو حال كثير من السالكين الذين لا يبلغون مقام الفناء الكامل، لكنهم يذوقون شيئا من حلاوة الإيمان، وهذا يبين أن الطريق إلى الله له درجات متفاوتة.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يجد فيه الصوفي أسمى المقامات، وهو مقام الخشية الذي يجعل القلب يهبط ويتواضع أمام عظمة الله، فالخشية عند الصوفي ليست خوفا من العقاب فقط، بل هي هيبة وإجلال تملأ القلب من جلال الله، حتى إن الجماد نفسه يشارك في هذه الخشية، فكيف بالإنسان الذي خلق للعبادة والمعرفة.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكّر الصوفي بأن الله مطلع على أعمال القلوب قبل أعمال الجوارح، وأنه لا تخفى عليه خافية من خواطر القلب وأسراره، وهذا يدفع السالك إلى تصفية قلبه من كل ما يباعد عن الله، لأنه يعلم أن الله يراقب السر والنجوى.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالا حول طبيعة الإنسان وقابلية تغيره، فالإنسان الذي شاهد المعجزات العظيمة كان من المفترض أن يزداد إيمانا، لكنه ازداد قسوة، وهذا يدل على أن المعرفة النظرية وحدها لا تكفي لتغيير السلوك، وأن هناك فجوة بين الإدراك العقلي والاستجابة الوجدانية، وهذا يطرح سؤالا فلسفيا حول العلاقة بين العقل والإرادة.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الجماد يتميز بالثبات والصلابة، بينما الإنسان يتميز بالمرونة والتغير، لكن حين يفقد الإنسان مرونته يصبح كالجماد أو أشد، وهذا يناقض مفهوم الإنسان ككائن حر قادر على التطور، فقسوة القلب هنا تمثل جمودا وجوديا يناقض جوهر الإنسان.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يجد فيه الفيلسوف مثالا على أن القوة الكامنة

قد تنفجر في اتجاه الخير، فالحجر الذي يبدو صلبا جامدا يحمل في داخله ماء الحياة، وهذا يرمز إلى أن الإنسان مهما بلغت قسوته فإن فيه استعدادا للخير، وأن هذه الاستعدادات قد تتفجر في أي لحظة، وهذا يلتقي مع مفهوم الفلسفة الأخلاقية القائل بأن الفضيلة كامنة في النفس الإنسانية.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن التغير قد يكون تدريجيا وبطيئا، فليس كل تحول جذري وفوري، بل قد يبدأ الإنسان بخطوات صغيرة نحو الخير، وهذا يلتقي مع النظرة الفلسفية التي ترى أن الكمال الأخلاقي لا يتحقق دفعة واحدة، بل عبر عملية تراكمية مستمرة.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤالا حول إدراك الجمادات، فكيف يهبط الحجر من خشية الله وهو غير مكلف؟ وهذا يقود إلى التأمل في أن الكون كله يخضع لنظام إلهي، وأن الخشية هنا قد تكون تعبيرا عن الخضوع للنواميس الكونية التي وضعها الله، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الطبيعة والغائية.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقرر مبدأ المسؤولية الأخلاقية، فالله لا يغفل عن أعمال البشر، وهذا يعني أن أفعال الإنسان لها وزنها وقيمتها في النظام الأخلاقي الكوني، وهذا يلتقي مع الفلسفة الأخلاقية التي ترى أن الأفعال الإنسانية ليست عبثية، بل هي محل تقييم ومحاسبة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن القسوة هي أم الرذائل ومنبعها، فمن قسا قلبه لم يتأثر بمعروف ولا نهي، ولم يتحرك لرحمة ولا عدل، فالقسوة تحجب الإنسان عن الفضائل كلها، وهذا يبين أن علاج الأخلاق يبدأ بعلاج القلب وتليينه.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يشير إلى أن الأخلاق ليست مجرد سلوك ظاهري، بل هي حالة قلبية باطنة، فالقسوة التي في القلب هي التي تنتج السلوك القاسي، وهذا يعني أن الإصلاح الأخلاقي لا يكون بتغيير السلوك فقط، بل بتغيير الباطن الذي ينبع منه السلوك.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يلفت نظر عالم الأخلاق إلى أن الخير قد ينبع من أصلب الأشياء وأقساها، فالحجر الصلب قد يتفجر منه الماء الذي يحيي الأرض، وهذا يعني أن الإنسان القاسي ليس مستحيلا إصلاحه، بل يمكن أن ينقلب إلى مصدر خير وعطاء، وهذا يمنع اليأس

من إصلاح الأخلاق.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يبين أن الخير قد يكون قليلا في البداية، لكنه موجود، فمن الحجارة ما يخرج منه ماء قليل، وهذا يشير إلى أن الأخلاق الحسنة قد تبدأ صغيرة ثم تنمو، وأن على المربي ألا يستصغر الخير القليل في النفس القاسية.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الخشية من الله هي أساس الأخلاق الفاضلة، فمن خشي الله هبط وتواضع، والتواضع هو أم الفضائل، فالقلب الخاشع لا يتكبر ولا يتجبر ولا يظلم، وهذا يبين أن الأخلاق الإسلامية تنبع من التعبد لا من المصالح الدنيوية.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هو الضمان الأخلاقي الأعظم، فالإنسان الذي يعلم أن الله يراقبه وليس غافلا عنه يكون أكثر التزاما بالأخلاق، لأن رقابة الله أشد من رقابة البشر، وهذا يبين أن الأخلاق في المنظور القرآني مرتبطة بالإيمان بالله واليوم الآخر.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن القسوة ليست حالة فردية فقط، بل قد تكون ظاهرة اجتماعية عامة، فقسوة قلوب بني إسرائيل كانت جماعية، وهذا يشير إلى أن المجتمعات قد تصاب بمرض القسوة الجماعية الذي يجعلها لا تتأثر بالمواعظ ولا تستجيب للإصلاح.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تفقد الرحمة والمرونة تصبح مجتمعات جامدة لا تتطور ولا تتقدم، فالقسوة الاجتماعية تؤدي إلى تفكك العلاقات وغياب التضامن، وهذا يهدد تماسك المجتمع واستقراره.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يبشر عالم الاجتماع بأن المجتمعات القاسية ليست مستحيلة الإصلاح، فكما يتفجر الماء من الحجر الصلب، كذلك يمكن للمجتمع القاسي أن يتحول إلى مجتمع متعاون متضامن إذا توفرت له عوامل الإصلاح، وهذا يمنع اليأس من إصلاح المجتمعات المنحرفة.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن الإصلاح الاجتماعي قد يكون تدريجيا، فبعض المجتمعات تتحول ببطء، وقد تظهر فيها بذور الخير قليلة في البداية ثم تنمو، وهذا يقتضي الصبر

في العمل الاجتماعي وعدم استعجال النتائج.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الخشية من الله هي عامل توحيد للمجتمع، فالمجتمع الذي يخاف أفراده الله يكون أكثر التزاما بالقوانين والأنظمة، وأكثر احتراما لحقوق الآخرين، وهذا يقلل من الجريمة والانحراف في المجتمع.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكّر عالم الاجتماع بأن هناك رقابة إلهية على أعمال المجتمعات، وأن الله سيجازي المجتمعات على أعمالها كما يجازي الأفراد، وهذا يعني أن المجتمعات مسؤولة عن سلوكها الجماعي، وأنها ستُحاسب على ما اقترفته من ظلم وقسوة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن القسوة قد تصيب الحكام والمسؤولين بعد توليهم السلطة، فكثير من الحكام يبدأون بالرحمة والعدل ثم تقسو قلوبهم بعد أن يستتب لهم الأمر، وهذا يحذر من أن السلطة قد تغير القلوب وتجعلها قاسية على الرعية.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يشير إلى أن الحكم القاسي الذي لا يرحم الرعية هو حكم فاشل حتى لو كان صاحب السلطة قويا، فالقسوة في الحكم تولد الكراهية والتمرد، وتجعل الرعية تنفر من الحاكم، وهذا يهدد استقرار الدولة وبقاءها.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يبشر عالم السياسة بأن الحاكم القاسي قد يتغير، وأن القسوة ليست قدرا محتوما، فكما يتفجر الماء من الحجر، كذلك قد تتفجر الرحمة في قلب الحاكم إذا تذكر الله وخاف عقابه، وهذا يفتح باب الأمل في إصلاح الأنظمة السياسية القاسية.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن الإصلاح السياسي قد يكون تدريجيا، فبعض الحكام لا يتحولون فجأة من القسوة إلى الرحمة، لكنهم قد يخطون خطوات صغيرة نحو الإصلاح، وهذا يستدعي من المعارضة الصبر والحكمة في التعامل مع الحكام.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الحاكم الذي يخشى الله هو الحاكم العادل، فالخشية من الله تجعل الحاكم يهاب الظلم ويخاف من محاسبة الله له، وهذا يجعله أكثر حرصا على حقوق الرعية وأبعد عن الاستبداد والطغيان.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هو تهديد مباشر للحكام الظالمين، فالله ليس غافلا عن أعمالهم، وسيحاسبهم على قسوتهم وظلمهم، وهذا يذكر الحكام بأن سلطتهم ليست مطلقة، وأن هناك سلطة أعلى منهم ستحاسبهم على أعمالهم.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن القسوة قد تصيب القادة والمديرين بعد فترة من توليهم المناصب، فبعض المديرين يبدأون بالمرونة والاهتمام بالموظفين ثم تقسو قلوبهم مع مرور الوقت، وهذا يحذر من أن الإدارة الطويلة قد تؤدي إلى الجمود وفقدان الحساسية تجاه المرؤوسين.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يشير إلى أن الإدارة القاسية التي لا تراعي مشاعر الموظفين هي إدارة فاشلة، فالقسوة في الإدارة تولد الإحباط وتقتل الإبداع، وتجعل الموظفين يعملون بخوف لا بحب، وهذا ينعكس سلبا على الإنتاجية وجودة العمل.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يبشر عالم الإدارة بأن القائد القاسي قد يتغير، وأن القسوة ليست صفة ثابتة في الشخصية، فكما يتفجر الماء من الحجر الصلب، كذلك قد تتفجر الرحمة في قلب المدير القاسي إذا وعى وأدرك أهمية الرحمة في الإدارة، وهذا يفتح باب الأمل في إصلاح الإدارة.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن التغيير الإداري قد يكون تدريجيا، فبعض المديرين لا يتحولون فجأة من القسوة إلى الرحمة، لكنهم قد يبدأون بخطوات صغيرة نحو تحسين العلاقة مع الموظفين، وهذا يستدعي الصبر وعدم اليأس من إصلاح الإدارة.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن المدير الذي يخشى الله هو المدير العادل، فالخشية من الله تجعل المدير يخاف من ظلم موظفيه، ويحرص على حقوقهم، ويشعر بالمسؤولية تجاههم، وهذا يخلق بيئة عمل صحية قائمة على الثقة والاحترام.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكّر المديرين بأن الله يراقب أعمالهم في إدارتهم، وأنهم سيُسألون عن رعيتهم يوم القيامة، وهذا يدفعهم إلى العدل والرحمة في تعاملهم مع الموظفين، لأنهم يعلمون أن الله ليس غافلا عن تصرفاتهم.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه المؤرخ أن قسوة القلوب كانت سببا في انحراف بني إسرائيل وسقوطهم، فبعد أن شاهدوا المعجزات العظيمة قست قلوبهم، فكانت هذه القسوة بداية لسلسلة من الانحرافات التي أدت إلى غضب الله عليهم، وهذا يبين أن التاريخ البشري يتحرك بالحالة القلبية للأمم.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن الأمم التي تقسو قلوبها تفقد القدرة على التعلم من التاريخ، فلا تتأثر بالدروس والعبر، وتكرر أخطاءها مرارا، وهذا يفسر تكرار الانحرافات في تاريخ بني إسرائيل رغم تتابع الأنبياء عليهم السلام.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يبشر المؤرخ بأن الأمم القاسية ليست مستحيلة الإصلاح، فالتاريخ يشهد بأمم تحولت من القسوة إلى الرحمة، ومن الظلم إلى العدل، وهذا يمنع اليأس من إصلاح الأمم المنحرفة.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن الإصلاح التاريخي قد يكون بطيئا وتدريجيا، فبعض الأمم تتحول ببطء عبر قرون، وقد تظهر فيها بذور الخير قليلة في البداية ثم تنمو، وهذا يفسر لماذا تستغرق النهضات الحضارية وقتا طويلا.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الخشية من الله كانت عاملا مهما في نهضة الأمم وسقوطها، فالأمم التي تخشى الله وتلتزم بشرعه تزدهر وتتقدم، والأمم التي تفقد الخشية تنحرف وتسقط، وهذا يظهر بوضوح في تاريخ بني إسرائيل وغيرهم من الأمم.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكّر المؤرخ بأن الله يسجل أعمال الأمم في التاريخ، وأنه سيجازيها على أعمالها، فالتاريخ ليس مجرد أحداث عابرة، بل هو سجل لأعمال البشر سيعرض على الله يوم القيامة.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن القسوة هي حالة نفسية مكتسبة تنشأ بعد التعرض لخبرات معينة، فقلوب بني إسرائيل قست بعد مشاهدة المعجزات، وهذا يشبه

ما يحدث في علم النفس من أن بعض الصدمات أو الخبرات القاسية قد تجعل الإنسان يفقد حساسيته العاطفية ويصبح قاسيا.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يشير إلى أن القسوة النفسية قد تصل إلى درجة الجمود العاطفي الكامل، حيث يفقد الإنسان القدرة على التعاطف والرحمة، وهذا يشبه ما يسمى في علم النفس باضطراب الشخصية القاسية أو فقدان التعاطف، وهو حالة مرضية تحتاج إلى علاج.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يبشر الطبيب النفسي بأن القسوة النفسية ليست مستحيلة العلاج، فكما يتفجر الماء من الحجر الصلب، كذلك يمكن للقلب القاسي أن يستعيد حساسيته ورحمته إذا توفرت له الظروف العلاجية المناسبة، وهذا يمنع اليأس من علاج الحالات النفسية الصعبة.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن التعافي النفسي قد يكون تدريجيا، فبعض المرضى لا يتعافون فجأة، لكنهم يتحسنون ببطء، وقد تظهر فيهم بوادر الشفاء قليلة في البداية ثم تنمو، وهذا يستدعي الصبر في العلاج النفسي وعدم استعجال النتائج.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الخشية من الله قد تكون عاملا علاجيا مهما، فالخوف الصحي من الله يمنع الإنسان من الانحراف ويحفظه من الأمراض النفسية الناتجة عن الذنوب والانحرافات، وهذا يلتقي مع ما تقوله الدراسات الحديثة عن أثر التدين في الصحة النفسية.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكّر الطبيب النفسي بأن الإنسان مسؤول عن أعماله، وأن الشعور بالمسؤولية أمام الله هو عامل صحي نفسيا، فالإنسان الذي يشعر بأنه مراقب من الله يكون أكثر انضباطا وأقل عرضة للاضطرابات النفسية الناتجة عن الفوضى واللامسؤولية.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن القسوة قد تصيب النفوس بعد حصولها على النعم والثروات، فبنو إسرائيل قست قلوبهم بعد أن رأوا المعجزات، وكذلك بعض الأغنياء تقسو قلوبهم بعد أن يرزقهم الله المال، فيبخلون ولا ينفقون، وهذا يحذر من أن الثروة قد تؤدي إلى قسوة القلب إذا لم يرافقها شكر.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يشير إلى أن الاقتصاد القائم على القسوة والاستغلال هو اقتصاد فاشل، فالقلب القاسي لا يرحم الفقراء ولا يراعي حقوق العمال، وهذا يؤدي إلى تفاقم الفجوة بين الأغنياء والفقراء، ويهدد الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يبشر عالم الاقتصاد بأن القلب القاسي قد يتغير، وأن الأغنياء القساة قد يتحولون إلى أغنياء أسخياء، فكما يتفجر الماء من الحجر الصلب، كذلك قد تتفجر الرحمة في قلب الغني القاسي، فينفق ويبذل، وهذا يفتح باب الأمل في إصلاح النفوس القاسية.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن العطاء قد يكون قليلا في البداية، فبعض الأغنياء لا ينفقون إنفاقا كبيرا، لكنهم قد يبدأون بإنفاق قليل ثم يزيد مع الوقت، وهذا يستدعي تشجيع العطاء مهما كان صغيرا.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الخشية من الله هي الضابط الأخلاقي للاقتصاد، فالغني الذي يخشى الله لا يظلم الفقراء ولا يستغل حاجاتهم، بل يراعي حقوقهم ويؤدي الزكاة والصدقات، وهذا يخلق اقتصادا أخلاقيا عادلا.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكّر عالم الاقتصاد بأن الله يراقب المعاملات الاقتصادية، وأنه سيجازي على الغش والاستغلال والربا، وهذا يدفع إلى الالتزام بالمعاملات المشروعة والبعد عن الكسب الحرام.

حادي عشر - إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يجد فيه المربي أن القسوة قد تصيب المتعلمين بعد مشاهدة الأدلة والبراهين، فبعض الطلاب يرون المعجزات أو الأدلة الواضحة ثم لا يتأثرون بها، وهذا يحذر المربي من أن المعرفة وحدها لا تكفي لتغيير السلوك، وأنه بحاجة إلى وسائل أخرى لتنمية الإيمان في القلوب.

ب. قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ يشير إلى أن بعض المتعلمين قد يصلون إلى درجة الجمود الفكري والعاطفي، فلا تتأثر قلوبهم بالعلم ولا بالمواعظ، وهذا يستدعي من المربي أن يبحث عن طرق تربوية مبتكرة لكسر هذا الجمود وإيقاظ القلوب.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يبشر المربي بأن المتعلم القاسي ليس مستحيل التغيير، فكما يتفجر الماء من الحجر الصلب، كذلك قد يتفجر الإيمان والعلم في قلب المتعلم القاسي إذا توفرت له الظروف التربوية المناسبة، وهذا يمنع اليأس من إصلاح الطلاب الصعبين.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يشير إلى أن التغيير التربوي قد يكون تدريجيا، فبعض الطلاب لا يتغيرون فجأة، لكنهم قد يبدأون بخطوات صغيرة نحو التحسن، وهذا يستدعي من المربي الصبر وعدم استعجال النتائج.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يجد فيه المربي أن الخشية من الله هي أساس التربية الإيمانية، فالمتعلم الذي يخشى الله يكون أكثر التزاما بالتعليمات وأبعد عن الانحراف، وهذا يبين أن التربية على الخشية أهم من التربية على المعرفة المجردة.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكّر المربي بأن الله يراقب أعماله التربوية، وأنه سيُسأل عن أمانة التعليم، وهذا يدفعه إلى الإخلاص في عمله وبذل الجهد في تربية الطلاب وإصلاحهم.

٣٠. تحريف بني إسرائيل لكلام الله وكتمانهم العلم:

المقطع [٣٠] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٥-٧٧]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى أن التحريف لا يقع غالبا من الجاهل بالحق، بل من العالم به، فمعرفة الحق وعدم العمل به أو تحريفه عن مواضعه أشد جريمة من الجهل، وهذا يبين أن العلم حجة على صاحبه، وأن الله يعاقب على تحريف الكلم عن مواضعه بعد فهمه وتعقله.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يكشف عن ظاهرة النفاق في الاعتقاد، حيث يظهر هؤلاء الإيمان عند لقاء المؤمنين ويخفون

خلافه فيما بينهم، وهذا يدل على أن الإيمان ليس مجرد إعلان لفظي، بل هو حقيقة قلبية يعلمها الله، وأن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن العقل السليم يدرك قبح التحريف والنفاق، وأن الإيمان الحق لا ينفصل عن التعقل والتدبر، فالله يذم الذين لا يستخدمون عقولهم في تمييز الحق من الباطل، مما يدل على أن العقل أداة للوصول إلى العقيدة الصحيحة.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يؤكد أن الله مطلع على السرائر والظواهر، وأن علمه شامل لا يخفى عليه شيء، وهذا من أصول العقيدة الإسلامية في الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، وهو ما يقتضي مراقبة الله في السر والعلن.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يشير إلى أن سماع كلام الله ليس مجرد إدراك حسي بالآذان، بل هو سماع القلب وانفتاحه على المعاني الإلهية، والتحريف عند الصوفي هو صرف الكلام عن معناه الباطني إلى معناه الظاهري فقط، أو تأويله على غير مراد الله، فالتحريف الحقيقي هو تحريف القلوب عن مقامات الذوق والشهود.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الإيمان له حالتان: حالة الظهور مع الخلق، وحالة الخلوة مع الحق، والمؤمن الصادق هو من يستوي عنده السر والعلن، فلا يكون له حال مع الخلق وحال آخر مع الخلوة، بل يكون صادقا في المقامين.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن العقل وحده لا يكفي لبلوغ الحقيقة، بل لا بد من الذوق والكشف، فالتحريف سببه الاكتفاء بالعقل المجرد دون نور البصيرة، والعقل عندهم مرآة تحتاج إلى صقل بالمجاهدة والذكر حتى تنكشف لها الحقائق.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ هو من أعظم مقامات المراقبة عند الصوفي، فالعلم بأن الله مطلع على السر والعلن يثمر مقام الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا هو أساس التزكية والتصفية في السلوك الصوفي.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول طبيعة التحريف، هل هو في النص أم في الفهم؟ فالتحريف عند الفيلسوف قد يكون تأويلا خاطئا للنص بسبب قصور المنهج المعرفي، أو بسبب تعارض المصالح مع مقتضى الحقيقة، وهذا يدفع إلى التأمل في شروط التأويل الصحيح وعلاقته بالعقل.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ يطرح إشكالا حول ازدواجية الخطاب بين الظاهر والباطن، وهي قضية فلسفية تتعلق بمفهوم الصدق والكذب، وبالعلاقة بين اللغة والمعنى، وبين ما يعلنه الإنسان وما يبطنه، وهل يمكن أن يكون هناك خطاب مزدوج يحقق مصالح متعارضة.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن العقل هو الفيصل في تمييز الحق من الباطل، وأن التحريف والنفاق يناقضان مقتضى العقل السليم، وهذا يلتقي مع المبدأ الفلسفي القائل بأن الحقيقة واحدة لا تتعدد، وأن العقل إذا سلم من الأهواء أدركها.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية العلم الإلهي وعلاقته بالحرية الإنسانية، فإذا كان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، فهل هذا العلم قيد على حرية الإنسان أم هو مجرد إحاطة لا تنفي الاختيار؟ وهذه من أعقد المسائل الفلسفية في علم الله وصفاته.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى أن التحريف ليس خطأ معرفيا فقط، بل هو فساد أخلاقي، لأن من يعلم الحق ثم يحرفه يكون قد خان الأمانة العلمية، وخان ضميره، وهذا من أسوأ الصفات الأخلاقية، فالعالم الذي يحرف العلم عن مواضعه يكون قد جمع بين الجهل والظلم.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ يكشف عن خلق النفاق والرياء، وهو من أبشع الأخلاق الذميمة، فالإنسان الذي يظهر خلاف ما يبطن يكون قد فقد الصدق الذي هو أساس كل فضيلة، والنفاق يهدم الثقة بين الناس ويفسد العلاقات

الاجتماعية.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يدل على أن العقل السليم يأبى هذه السلوكيات الأخلاقية الفاسدة، فمن استعمل عقله استقام خلقه، ومن عطل عقله اتبع هواه، فالعقل والأخلاق متلازمان في المنظور القرآني.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ هو الرادع الأخلاقي الأعظم، فمن أيقن أن الله مطلع على سره وعلنه استحى من الله أن يراه على معصية، وهذا اليقين يربي في النفس خلق المراقبة الذاتية التي تمنع من ارتكاب الذنوب في الخلوات.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تملك العلم ولا تعمل به تتحول إلى مجتمعات منحرفة، فالتحريف ليس فرديا فقط، بل يمكن أن يكون ظاهرة اجتماعية تنتشر بين الجماعات، خاصة إذا كان أصحاب العلم هم القادة والموجهون.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يكشف عن ظاهرة اجتماعية خطيرة وهي ازدواجية الشخصية الجماعية، حيث تظهر الجماعة بهوية أمام الآخرين وبهوية أخرى في ما بينها، وهذا يؤدي إلى تفكك النسيج الاجتماعي وفقدان الثقة بين مكوناته، فالجماعة التي تعيش بالنفاق الداخلي لا يمكن أن تكون متماسكة.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يدل على أن العقل الجمعي للمجتمع إذا كان سليما فإنه يرفض هذه السلوكيات، وأن المجتمعات التي تسودها هذه الممارسات تكون قد فقدت القدرة على النقد الذاتي والمراجعة، وهذا يؤدي إلى انحطاطها.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن الرقابة الاجتماعية ليست كافية لضبط السلوك، بل لا بد من رقابة ذاتية تنبع من الإيمان بالله، فالمجتمع الذي لا يملك أفراده رادعا داخليا يظل عرضة للتفكك مهما كانت أنظمته الرقابية.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ يشير إلى أن تحريف النصوص الدينية

قد يكون أداة سياسية لتبرير السلوكيات المخالفة للحق، فبعض الحكام والساسة يحرفون النصوص لتوافق مصالحهم، وهذا من أخطر صور الفساد السياسي.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يكشف عن ظاهرة النفاق السياسي، حيث يظهر السياسي أمام الجماهير بما يرضيهم، ويبطن في خلواته ما يخدم مصالحه، وهذا النفاق يهدم الثقة بين الحاكم والمحكوم، ويجعل السياسة مجرد خداع وتلاعب.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يدل على أن السياسة الرشيدة هي التي تقوم على العقل والحكمة، وليس على الخداع والمراوغة، فالسياسي العاقل يدرك أن الكذب والنفاق لا يدومان، وأن الحقيقة تظهر ولو بعد حين.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ هو الرادع الأعظم للساسة، فمن أيقن أن الله مطلع على سره وعلنه لم يجرؤ على خداع شعبه أو تحريف الحقائق، لأن الله سيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، وهذا اليقين هو الضمانة الحقيقية لنزاهة الحياة السياسية.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ يشير إلى أن المؤسسات التي تملك المعرفة الصحيحة ثم تحرفها أو تتجاهلها تفقد مصداقيتها، فالتحريف في الإدارة قد يكون بتحريف المعلومات أو إخفائها أو تزييفها لخدمة مصالح شخصية، وهذا يعد فسادا إداريا خطيرا.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يكشف عن ظاهرة الازدواجية في السلوك التنظيمي، حيث يظهر الموظفون أمام رؤسائهم بصورة غير صورتهم الحقيقية، ويتحدثون فيما بينهم بما يخالف ما يظهرونه، وهذا يهدم ثقافة الشفافية والنزاهة في المؤسسة.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يدل على أن الإدارة الناجحة هي التي تعتمد على العقلانية والوضوح، وترفض الممارسات الخادعة، فالعقل الإداري السليم يدرك أن الشفافية والمصداقية هما أساس نجاح أي مؤسسة.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الرقابة الإدارية الخارجية ليست كافية، بل لا بد من رقابة ذاتية داخلية تنبع من مراقبة الله، فالموظف الذي يعلم أن الله مطلع عليه يكون أكثر إخلاصا وأمانة في عمله، وهذا يقلل من الحاجة إلى أجهزة الرقابة المكلفة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن تحريف الكتب المقدسة كان ظاهرة تاريخية معروفة في الأمم السابقة، وأن بني إسرائيل حرفوا التوراة بعد أن عقلوها، وهذا يفسر الكثير من الاختلافات بين النصوص الدينية الحالية، ويدل على أن التحريف كان سببا في انحراف الأمم وسقوطها.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يكشف عن جانب من التاريخ الاجتماعي لليهود في المدينة، حيث كانوا يظهرون الإيمان أمام المسلمين ويخفون العداوة فيما بينهم، وهذا يفسر طبيعة العلاقات بين المسلمين واليهود في العصر النبوي، ويبين أسباب نقضهم للعهود.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يدل على أن الأمم التي لا تستعمل العقل في نقد ذاتها ومراجعة تاريخها تكون عرضة للانحراف والسقوط، فالعقل هو الأداة التي تمكن الأمم من التعلم من أخطائها وتصحيح مسارها.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يذكر المؤرخ بأن التاريخ لا يسجل الظواهر فقط، بل هناك باطن الأمور الذي لا يعلمه إلا الله، وأن المؤرخ الحقيقي يجب أن ينتبه إلى أن هناك حقائق خفية لا تظهر في الوثائق، وأن الله وحده يعلم حقيقة النوايا والدوافع.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى حالة من التنافر المعرفي، حيث يعرف الإنسان الحق ثم يحرفه، وهذا التنافر بين المعرفة والسلوك يولد اضطرابات نفسية كالقلق والذنب، فالذي يحرف الحق وهو يعلمه يعيش في صراع داخلي مستمر.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ﴾ يكشف عن اضطراب الشخصية الازدواجية، حيث يعيش الإنسان بحالتين متناقضتين، وهذا الازدواج يؤدي إلى فقدان الهوية والاتساق النفسي، ويسبب مشاعر الخوف من كشف الحقيقة، وقد يؤدي إلى اضطرابات نفسية حادة.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يدل على أن العقل السليم هو أساس الصحة النفسية، فمن عطل عقله واتبع هواه فقد فقد البوصلة التي توجهه، وهذا يؤدي إلى التخبط والاضطراب، فالعلاج النفسي الحقيقي يبدأ باستعادة العقل السليم.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يمنح الطمأنينة النفسية لمن يعيش في خوف من كشف أسراره، فإذا علم الإنسان أن الله يعلم سره وعلنه، وأنه لا يمكن إخفاء شيء عنه، فإنه يتحرر من القلق الناتج عن محاولة إخفاء الذات، ويعيش بصدق مع نفسه ومع الله، وهذا هو أساس الصحة النفسية.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يحذر المربي من خطورة تحريف العلم بعد تعلمه، فالعالم الذي يحرف العلم لأغراض دنيوية يكون قد خان الأمانة العلمية، ويجب على المربي أن يربي طلابه على الأمانة العلمية وعدم تحريف النصوص أو تأويلها على غير وجهها.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يلفت نظر المربي إلى خطورة الازدواجية في الشخصية، وأن التربية الصحيحة هي التي تربي الإنسان على الصدق والاتساق بين الظاهر والباطن، وأن النفاق من أسوأ الصفات التي يجب أن يحذر الطلاب منها.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يدعو المربي إلى تنمية العقل الناقد لدى الطلاب، وتعليمهم استخدام العقل في تمييز الحق من الباطل، وعدم قبول التحريفات والتأويلات الفاسدة، فالعقل السليم هو حصن الطالب من الانحراف الفكري.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يذكر المربي بأن التربية لا تقتصر على الظاهر، بل يجب أن تهتم بالباطن أيضا، وأن يربي الطلاب على مراقبة الله في السر والعلن، وأن يعلمهم أن

الله مطلع على نواياهم وأعمالهم، وهذا يزرع فيهم الإخلاص والصدق.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يحذر القاضي من تحريف النصوص الشرعية أو تأويلها على غير وجهها لخدمة مصالح شخصية أو فئوية، فتحريف الكلم عن مواضعه من أعظم الجرائم عند الله، والقاضي الذي يحرف النصوص يكون قد خان الله ورسوله.

ب. قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يكشف عن خطورة الشهادة الزور والنفاق في القضاء، فالشاهد الذي يقول خلاف ما يعلمه، أو يظهر أمام القاضي خلاف ما يبطن، يكون قد ارتكب جريمة عظيمة، ويجب على القاضي أن يكون حذرا من هذه الممارسات.

ج. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يدل على أن القاضي العاقل هو الذي يدرك أن تحريف النصوص والشهادات الكاذبة لا تخفى على الله، وأن العقل السليم يأبى هذه الممارسات، فالقاضي يجب أن يستعمل عقله في تمييز الحق من الباطل.

د. قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ هو الرادع الأعظم للقاضي والشهود، فمن أيقن أن الله مطلع على سره وعلنه لم يجرؤ على تحريف الحق أو شهادة الزور، وهذا اليقين هو الضمانة الحقيقية لعدالة القضاء ونزاهته.

٣١. أماني الأميين وكتابتهم للكتاب بأيديهم:

المقطع [٣١] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٧٨-٨٢]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن الإيمان لا يكون بالتمني ولا بالجهل، بل بالعلم واليقين، وأن من اكتفى بالأماني دون تحقيق العلم النافع والعمل الصالح فقد وقع في الخطر، فالعقيدة الصحيحة لا تقوم على الظنون والأماني، بل على الوحي والبرهان.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن الظن لا يغني من الحق شيئا في باب العقائد، فالمسائل الغيبية لا تثبت إلا بالنقل الصحيح والعقل السليم، والظن في هذا الباب ذميم، لأنه يبني تصورات الإنسان عن الله واليوم الآخر على غير أساس.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إشارة إلى أن تحريف الكتب السماوية وتغيير النصوص الدينية هو من أعظم الكبائر، وأن نسبة الكلام إلى الله كذبا وافتراء هو نقض لأصل التوحيد، لأن التوحيد يقتضي تنزيه الله عن أن يُنسب إليه ما ليس منه.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن الدافع وراء تحريف النصوص الدينية هو المطامع الدنيوية الزائلة، وهذا يكشف أن العقيدة الصحيحة تتنافى مع اتخاذ الدين وسيلة للمكاسب المادية، فالدين عند الله لا يُباع ولا يُشترى.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن هذه المقولة باطلة من أصولها، لأنها تنسب إلى الله عهدا لم يأمر به، وتجعل العصمة من العذاب حقا لأصحابها دون دليل، وهذا من الافتراء على الله، فالعقيدة الصحيحة تقوم على أن الجزاء بالعدل، لا بالمحاباة ولا بالانتساب.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر أن القول في الدين لا يكون إلا عن علم، وأن الادعاءات التي لا سند لها من وحي أو عقل سليم هي قول على الله بغير علم، وهو من أعظم الذنوب، فالعقيدة لا تُبنى على الدعاوى المجردة.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يقرر أن الخلود في النار مرتبط بالكفر والشرك الذي تحيط به الخطيئة بصاحبه حتى يموت عليه، وأن العدل الإلهي لا يظلم أحدا، فمن مات على الكفر فهو خالد في النار، ومن مات على الإيمان والعمل الصالح فهو خالد في الجنة، وهذا هو ميزان الجزاء العادل.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يبين أن

الإيمان والعمل الصالح هما معا شرط النجاة، فالإيمان بلا عمل لا يكفي، والعمل بلا إيمان لا يقبل، والجنة لا تُنال بالتمني ولا بالانتساب، بل بالإيمان الصادق والعمل الصالح.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن العلم الحقيقي بالكتاب ليس مجرد حفظ ألفاظه أو تلاوته، بل هو علم القلب وبصيرة الروح، فمن لم يتجاوز الأماني إلى المعاني، ومن لم ينتقل من الظاهر إلى الباطن، فهو من الأميين وإن حفظ الحروف، فالعلم عند الصوفي هو ما ورثه القلب عن الله.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن الظنون لا تصل بصاحبها إلى اليقين، واليقين عند الصوفي هو ثمرة الكشف والذوق، لا ثمرة التكهن والتخمين، فمن بقي في حيز الظن لم يبلغ مقام المشاهدة، ولم يذق حلاوة الإيمان.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إشارة إلى أن تحريف المعاني الروحية للكتاب هو أشد من تحريف ألفاظه، فمن فسر القرآن بما يوافق هواه، أو قصر معانيه على ظواهرها دون أن يتجاوزها إلى أسرارها، فقد كتب الكتاب بيده ونسبه إلى الله، وهو من أهل الويل.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يرمز إلى أن من جعل العلم الديني وسيلة للدنيا، أو استخدم المعارف الروحية للكسب المادي، فقد باع حظه من الله بثمن بخس، فالعلم عند الصوفي عبادة، لا حرفة، ومن جعله حرفة فقد خسر الآخرة.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن من اعتمد على الانتساب والادعاء دون تحقيق المقامات، ومن ظن أن مجرد الانتماء إلى سلسلة أو طريقة ينجيه من العذاب، فقد وقع في نفس الغرور الذي وقع فيه أهل الكتاب، فالنجاة عند الصوفي بالتحقق لا بالانتساب.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ يبين أن العهود عند الله لا تكون بالدعاوى، بل بالوفاء والصدق، والعهد الحقيقي هو ما أخذه الله على عباده من الإخلاص والعبادة، ومن ادعى عهدا بغير عمل فقد قال على الله ما لا يعلم.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يشير إلى أن الخطيئة إذا أحاطت بالقلب حتى غطته وأظلمته، صارت حجابا بين العبد وربه، وهذا هو الموت الروحي الذي يخشاه الصوفي، فهو لا يخشى

النار فقط، بل يخشى احتجاب القلب عن نور الله.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يجد فيه الصوفي أن الإيمان الحقيقي هو الذي يثمر عملا، والعمل الصالح هو الذي يزكي الروح ويصفي القلب، فالجنة عندهم هي حضرة الله، ولا تنال إلا بمنازلة الصدق والإخلاص.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكال المعرفة، فالكتاب هنا ليس مجرد نص مكتوب، بل هو منظومة معرفية متكاملة، ومن لم يدركها إلا أماني، أي تمنيات وتصورات ذهنية غير محققة، فهو في حكم الجاهل، وهذا يلتقي مع التمييز الفلسفي بين المعرفة الحقة والوهم.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يطرح إشكالا معرفيا حول قيمة الظن في المعرفة، فالظن عند الفلاسفة مرتبة دنيا من مراتب الإدراك، لا تبلغ درجة اليقين، والقرآن هنا يقرر أن الظن لا يصلح أساسا للمعتقدات الجوهرية، وهذا يلتقي مع المنهج الفلسفي الذي يطلب اليقين في المبادئ الأولى.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يثير إشكال التزوير والتحريف في النصوص، فالفيلسوف يدرك أن تحريف النص المقدس هو جريمة معرفية قبل أن يكون جريمة أخلاقية، لأنه يفسد مصدر المعرفة، ويجعل الناس يعبدون نصوصا بشرية منسوبة إلى الله.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يشير إلى أن الدافع المادي هو الذي يفسد المعرفة، فحين يخضع أصحاب العلم للمنافع الدنيوية، تتحول المعرفة إلى سلعة، ويفقد العلم قدسيته، وهذا يلتقي مع نقد الفلاسفة للعلم المأجور الذي يخدم الأهواء.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يثير إشكال العدالة الإلهية، فالقول بأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة هو ادعاء بمحاباة إلهية بلا مبرر، وهذا يناقض مبدأ العدل الذي يقتضي أن الجزاء على قدر العمل، وهذا يلتقي مع مبحث العدل الإلهي عند الفلاسفة.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يطرح إشكالا منطقيا، فالادعاءات التي لا تستند إلى دليل إما أن تكون مستندة إلى عهد إلهي، وهو ما لا دليل عليه، وإما أن تكون قولا بلا علم، وهو مرفوض عقلا، وهذا يلتقي مع مبدأ الاستدلال عند الفلاسفة.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يثير إشكال العلاقة بين الحرية والمسؤولية، فكسب السيئة يفترض حرية الاختيار، وإحاطة الخطيئة بالإنسان تعني أن الإنسان قد صار أسيرا لأفعاله، وهذا يلتقي مع مبحث الحرية والجبر عند الفلاسفة.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقرر أن النجاة ليست بالانتساب ولا بالتمني، بل بالإيمان والعمل، وهذا يلتقي مع المبدأ الفلسفي الذي يرى أن الفضيلة هي طريق السعادة، وأن السعادة لا تنال بالادعاء بل بالتحقق.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن الجهل بالحقائق الدينية يؤدي إلى انحراف السلوك، فمن لا يعلم إلا الأماني يعيش في وهم، والأخلاق الحقة لا تنبني على الأوهام، بل على العلم بالحق والالتزام به.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن الظن في الأمور الدينية والأخلاقية يؤدي إلى التذبذب وعدم الثبات، فالأخلاق لا تقوم على الظنون المتقلبة، بل على اليقين الثابت، والظنون تفتح الباب للهوى والانحراف.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ هو إدانة أخلاقية صريحة للكذب والتزوير، فالكتابة بيد الإنسان ثم نسبتها إلى الله هي من أبشع صور الخيانة الأخلاقية، لأنها تخدع الناس وتضللهم، وتجعلهم يتبعون باطلا ظنه الناس حقا.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن الدافع الأخلاقي الفاسد هو حب المال والمنفعة، وأن من يبيع دينه وأخلاقه بثمن دنيوي هو من أسوأ الناس حالا، فالأخلاق الحقة تعلو على المادة، ولا تجعل المال غاية.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن هذه المقولة تنم عن غرور أخلاقي، فمن ظن أنه فوق المحاسبة فقد فقد الرادع الأخلاقي، والأخلاق الحقة تقوم على الخوف من الله والمساءلة، لا على الأماني الزائفة.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر

أن الأخلاق لا تبنى على الادعاءات الكاذبة، فالعهد مع الله لا يكون إلا بالطاعة، والقول على الله بلا علم هو من الكبائر الأخلاقية، لأن فيه تعديا على حرمة الحق.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يبين أن السيئة إذا تراكمت حتى أحاطت بالإنسان صارت طبعا له، وهذا هو الانحدار الأخلاقي، فالإنسان الذي يستمر في الخطأ يصبح أسيرا له، وتفقد نفسه القدرة على التمييز بين الخير والشر.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقرر أن الأخلاق الحقة هي ثمرة الإيمان، فالإيمان يصلح الباطن، والعمل الصالح يصلح الظاهر، والجنة لا تنال بالتمني، بل بالإيمان والعمل، وهذا هو جوهر الأخلاق الإسلامية.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن الجهل في المجتمعات يؤدي إلى انتشار الخرافات والأماني الزائفة، وأن المجتمعات التي لا تعتمد على العلم والمعرفة تعيش في تخلف، فالجهل هو أساس المشكلات الاجتماعية.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن المجتمعات التي تكتفي بالظنون والتخمينات لا تستطيع بناء نظام اجتماعي سليم، فالظنون تفرق ولا توحد، وتؤدي إلى الصراعات، بينما العلم والمعرفة هما أساس التماسك الاجتماعي.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن تزوير النصوص الدينية هو من أخطر الجرائم الاجتماعية، لأنه يفسد عقيدة المجتمع ويجعله يتبع باطلا، والمجتمع الذي يسمح بتحريف دينه يفقد هويته ويصبح عرضة للانهيار.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن الفساد الاجتماعي ينشأ من استغلال الدين للمكاسب المادية، فحين يصبح رجال الدين تجارا، ينهار المجتمع أخلاقيا، وتنتشر الرشوة والمحسوبية، ويضيع العدل.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن بعض المجتمعات تبني تصوراتها على الامتيازات المزعومة، فتظن أنها فوق القانون، وهذا يؤدي إلى انتشار الظلم والاستبداد، فالمجتمع

العادل هو الذي يخضع فيه الجميع للقانون.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهَّ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُّ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهَّ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر أن المجتمعات لا تبنى على الادعاءات الكاذبة، فالعهود الحقيقية لا تكون إلا بالوفاء، والمجتمع الذي يبني على الأكاذيب ينهار، بينما المجتمع الذي يبني على الصدق يستقر.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تنتشر فيها الخطيئة حتى تصبح ثقافة سائدة، تكون مصيرها الانهيار، فالخطيئة إذا أحاطت بالمجتمع صارت نظاما له، وأصبح من الصعب إصلاحه.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يبين أن المجتمعات الصالحة هي التي تقوم على الإيمان والعمل الصالح، فالإيمان يوحد القلوب، والعمل الصالح يبني الحضارة، والمجتمع الذي يجمع بينهما هو المجتمع الفاضل.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن الشعوب الجاهلة يسهل استغلالها سياسيا، فالجاهل يتبع الأماني والوعود الزائفة، والسياسة الناجحة تقوم على تثقيف الشعب ورفع وعيه، لا على استغلال جهله.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن القرارات السياسية المبنية على الظنون والتخمينات هي قرارات فاشلة، فالحاكم الذي لا يبني قراراته على العلم والمعرفة يقود شعبه إلى الهاوية، والسياسة الرشيدة تقوم على الحقائق لا على الأوهام.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهَّ﴾ يشير إلى أن تزوير الشرائع وتغيير النصوص الدينية هو من أخطر أدوات الاستبداد، فالحاكم الذي يزور الدين ليبرر سلطته هو من أظلم الناس، والسياسة العادلة لا تستند إلى التزوير.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن الفساد السياسي ينشأ من استغلال الدين للمكاسب الدنيوية، فالحكام الذين يستخدمون الدين لتحقيق مصالحهم الشخصية هم سبب فساد الأمة، والسياسة الحقة هي التي تخدم الدين لا التي تستغله.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن بعض الحكام يظنون أنهم فوق المحاسبة، فيظلمون ويستبدون، ظانين أنهم بمنأى عن العقاب، والسياسة العادلة تقوم على مبدأ المساءلة، فالجميع خاضعون للقانون.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر أن الحاكم لا يجوز له أن يدعي لنفسه سلطة دينية بلا دليل، فالعهد مع الله لا يكون إلا بالطاعة، والقول على الله بلا علم هو من أعظم الذنوب، والسياسة الرشيدة لا تدعي ما ليس لها.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يشير إلى أن الحاكم الذي يغرق في الخطايا والذنوب يفقد عدالته، ويصبح غير صالح للحكم، فالعدالة تتطلب نقاء القلب واستقامة السلوك.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يبين أن الحكم الصالح هو الذي يقوم على الإيمان والعمل الصالح، فالحاكم المؤمن العامل هو الذي يقود شعبه إلى الخير، والدولة الصالحة هي التي تحكم بكتاب الله وسنة رسوله.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن الموظف الجاهل الذي لا يعلم إلا الأماني هو موظف غير كفء، فالإدارة الناجحة تتطلب موظفين ملمين بمهامهم، عالمين بأصول عملهم، لا موظفين يعيشون على الأوهام.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن القرارات الإدارية المبنية على الظنون والتخمينات هي قرارات فاشلة، فالإدارة الناجحة تقوم على المعلومات الدقيقة والدراسات العلمية، لا على التكهنات.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن تزوير التقارير والمستندات في العمل هو من أخطر الجرائم الإدارية، فالموظف الذي يزور البيانات ويقدمها على أنها حقيقية هو خائن للأمانة، والإدارة الناجحة تقوم على الشفافية والمصداقية.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن الفساد الإداري ينشأ من استغلال المنصب للمكاسب الشخصية، فالموظف الذي يستخدم سلطته لتحقيق منافع ذاتية هو سبب فساد المؤسسة، والإدارة الناجحة تقوم على النزاهة.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن بعض الموظفين يظنون أنهم فوق المحاسبة، فيرتكبون الأخطاء دون خوف، والإدارة الناجحة تقوم على نظام رقابي صارم يمنع هذا السلوك.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر أن الادعاءات الكاذبة في العمل مرفوضة، فالموظف الذي يدعي إنجاز ما لم ينجزه هو كاذب، والإدارة الناجحة تقوم على الصدق في الأقوال والأفعال.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يشير إلى أن الموظف الذي يستمر في الأخطاء حتى تصبح عادة له، يفقد كفاءته ويصبح خطرا على المؤسسة، والإدارة الناجحة تتعامل بحزم مع المخطئين.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يبين أن الموظف المؤمن الذي يعمل بإخلاص هو أفضل الموظفين، فالإيمان يجعله أمينا، والعمل الصالح يجعله مخلصا، والمؤسسة التي تضم مثل هؤلاء هي مؤسسة ناجحة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن الجهل كان سمة المجتمعات القديمة، وأن الأمية كانت سبب تخلفها، والتاريخ يبين أن الأمم التي اهتمت بالعلم والمعرفة تفوقت، بينما الأمم الجاهلة تخلفت.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن المجتمعات التي بنت تصوراتها على الظنون عاشت في ضلال، والتاريخ يشهد أن الأمم التي اعتمدت على الأساطير والخرافات سقطت، بينما الأمم التي اعتمدت على العلم صمدت.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن تحريف الكتب السماوية كان ظاهرة تاريخية، وأن اليهود حرفوا التوراة، وهذا التحريف كان سبب انحرافهم، والتاريخ يبين أن تحريف النصوص الدينية يؤدي إلى فساد الأمة.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن الدافع المادي كان وراء تحريف الكتب، وأن الأحبار

والرهبان استغلوا الدين للمكاسب الدنيوية، والتاريخ يشهد أن استغلال الدين للمال كان سبب انحطاط الأمم.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن اليهود كانوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، وهذا الغرور كان سبب عنادهم ورفضهم للحق، والتاريخ يبين أن الغرور القومي يؤدي إلى الهلاك.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر أن الادعاءات الكاذبة كانت سمة اليهود، وأنهم كانوا يقولون على الله ما لا يعلمون، والتاريخ يبين أن الأمم التي تدعي ما ليس لها تنهار.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يشير إلى أن اليهود كسبوا السيئات حتى أحاطت بهم، وكان ذلك سبب طردهم ولعنهم، والتاريخ يشهد أن الأمم التي تغرق في الخطايا تفقد مكانتها.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يبين أن النجاة في التاريخ ليست بالانتساب، بل بالإيمان والعمل، فالأمم التي آمنت وعملت الصالحات تفوقت، والأمم التي اعتمدت على الانتساب سقطت.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن الجهل بالأمور الدينية يؤدي إلى القلق النفسي، فالإنسان الذي لا يعلم حقيقة دينه يعيش في حيرة وتردد، والأماني الزائفة لا تمنحه الطمأنينة، بل تزيده اضطرابا.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن الظنون والتخمينات تسبب القلق النفسي، فالإنسان الذي يعيش في الشك لا يستقر، بينما اليقين يمنحه السكينة، والعلاج النفسي الحديث يؤكد أن الشك المزمن هو سبب كثير من الاضطرابات.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ يشير إلى أن الكذب والتزوير يسببان اضطرابات نفسية، فالإنسان الذي يعيش في الكذب يعاني من صراع داخلي، والضمير لا

يهدأ، وهذا يلتقي مع ما تقوله الدراسات النفسية عن أثر الكذب على الصحة النفسية.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن حب المال والجشع يسببان القلق والاضطراب، فالإنسان الطماع لا يشبع، ويعيش في توتر دائم، والدراسات النفسية تؤكد أن الطمع سبب من أسباب الاكتئاب والقلق.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن الغرور والادعاء الزائف يسببان اضطرابات نفسية، فالإنسان الذي يظن أنه فوق الآخرين يعيش في عزلة، ولا يستطيع التكيف الاجتماعي، وهذا يلتقي مع مفهوم النرجسية في علم النفس.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر أن الادعاءات الكاذبة تسبب صراعا نفسيا، فالإنسان الذي يدعي ما ليس له يعيش في تناقض، والتناقض الداخلي هو سبب الاضطراب النفسي.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يشير إلى أن تراكم الذنوب يسبب الاكتئاب واليأس، فالإنسان الذي يغرق في الخطايا يفقد الأمل، ويصاب بالعجز النفسي، وهذا يلتقي مع مفهوم العجز المكتسب في علم النفس.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يبين أن الإيمان والعمل الصالح يمنحان الإنسان الطمأنينة والسكينة، فالدراسات النفسية تؤكد أن الإيمان بالله والعمل الصالح من أهم عوامل الصحة النفسية، وأن المؤمنين أقل عرضة للقلق والاكتئاب.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن الجهل الاقتصادي يؤدي إلى الفشل، فالإنسان الذي لا يعلم أصول الاقتصاد يعيش على الأماني، ولا يستطيع إدارة أمواله، والاقتصاد الناجح يقوم على العلم والمعرفة.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن التعامل الاقتصادي المبنى على الظنون والتخمينات هو تعامل فاشل، فالاستثمار الناجح يقوم على الدراسات الدقيقة، لا على التكهنات، والمضاربات المبنية على الظنون تؤدي إلى الخسائر.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن التزوير في المعاملات الاقتصادية هو من أخطر الجرائم، فالغش والتلاعب في الحسابات يؤدي إلى انهيار الاقتصاد، والاقتصاد النزيه يقوم على الشفافية.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن استغلال الدين للمكاسب المادية هو فساد اقتصادي، فالذين يستغلون الدين لجمع المال هم سبب خراب الاقتصاد، والاقتصاد الإسلامي يرفض هذا الاستغلال.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن بعض التجار يظنون أنهم فوق المحاسبة، فيغشون ويحتكرون، ظانين أنهم بمنأى عن العقاب، والاقتصاد العادل يقوم على المساءلة.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر أن الادعاءات الكاذبة في الاقتصاد مرفوضة، فالذي يدعي أن ماله حلال وهو حرام هو كاذب، والاقتصاد الناجح يقوم على الصدق.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يشير إلى أن الكسب الحرام إذا تراكم حتى أحاط بالإنسان صار طبعا له، وأصبح من الصعب عليه التخلص منه، والاقتصاد النظيف يتطلب التوبة والرجوع إلى الحلال.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يبين أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على الإيمان والعمل الصالح، فالمؤمن يتقي الله في كسبه وإنفاقه، والعمل الصالح يبارك في المال، والاقتصاد الذي يقوم على التقوى هو اقتصاد ناجح.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن التربية الحقة تقوم على التعليم لا على الأماني، فالمربي الذي يكتفي بتربية التلاميذ على الأماني دون تعليمهم الحقائق يخون رسالته، والتعليم الناجح هو الذي يبني العقول على العلم.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن التربية المبنية على الظنون والتخمينات هي تربية فاشلة، فالمربي يجب أن يربي تلاميذه على اليقين، لا على الشك، وأن يعلمهم التفكير العلمي الدقيق.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن المربي الذي يزور الحقائق ويقدمها لتلاميذه على أنها حق هو خائن للأمانة، فالمربي الصادق هو الذي يعلم تلاميذه الحقائق كما هي، دون تحريف أو تزييف.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن المربي الذي يستخدم مهنته للمكاسب المادية هو فاسد، فالتعليم رسالة لا تجارة، والمربي المخلص هو الذي يقدم العلم لوجه الله، لا لتحقيق المنافع.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن بعض المربين يظنون أنهم فوق المحاسبة، فيهملون واجباتهم، ظانين أنهم بمنأى عن العقاب، والتربية الناجحة تقوم على المساءلة.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر أن المربي يجب أن يكون صادقا في أقواله، فلا يقول ما لا يعلم، ولا يدعي ما ليس له، فالصدق هو أساس التربية.

ز. قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يشير إلى أن المربي الذي يستمر في الأخطاء حتى تصبح عادة له يفقد مصداقيته، ويصبح قدوة سيئة لتلاميذه، فالتربية الناجحة تتطلب قدوة حسنة.

ح. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يبين أن المربي المؤمن الذي يعمل الصالحات هو القدوة الحسنة لتلاميذه، فالإيمان يجعله مخلصا، والعمل الصالح يجعله قدوة، والتربية الناجحة هي التي تجمع بين الإيمان والعمل.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يشير إلى أن القاضي الجاهل الذي لا يعلم الكتاب هو قاضي فاسد، فالقضاء يتطلب العلم بالكتاب والسنة، والقاضي الجاهل يظلم الناس، والعدل لا يتحقق إلا بالعلم.

ب. قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يبين أن القضاء المبنى على الظنون والتخمينات هو قضاء جائر، فالقاضي يجب أن يحكم باليقين لا بالظن، والظن في القضاء يؤدي إلى الظلم.

ج. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يزور الأدلة ويقدمها على أنها حق هو خائن للعدالة، فالقاضي الصادق هو الذي يحكم بالحق دون

تحريف.

د. قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يبين أن القاضي الذي يقبل الرشوة ويبيع حكمه بالمال هو من أظلم الناس، فالرشوة في القضاء من أكبر الكبائر، والعدل لا يتحقق إلا بنزاهة القاضي.

هـ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يظن أنه فوق المحاسبة يظلم ويستبد، ظانا أنه بمنأى عن العقاب، والعدل يتطلب خوف الله والمساءلة.

و. قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقرر أن القاضي يجب أن يحكم بما أنزل الله، ولا يقول على الله ما لا يعلم.

٣٢. ميثاق بني إسرائيل في العبادة وحقوق الناس وإعراضهم:

المقطع [٣٢] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ﴾ يقرر أصل التوحيد الذي قامت عليه جميع الشرائع، وأن العبادة حق خالص لله وحده، فالميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل هو نفس الميثاق الذي أخذ على سائر الأمم، فالتوحيد هو أساس الدين الذي لا يقبل الله غيره.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يبين أن التوحيد لا ينفصل عن الإحسان إلى الخلق، فعبادة الله تقتضي حسن المعاملة مع الوالدين، وهذه إشارة إلى أن الدين ليس علاقة بين العبد وربه فقط، بل هو منظومة متكاملة تشمل الحقوق الخلقية.

ج. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يشير إلى أن القول الحسن من العبادات التي أمر الله بها، وأن الكلمة الطيبة صدقة، فالدين يهذب اللسان كما يهذب القلب، ولا يكفي الإيمان بالقلب دون حسن القول مع الناس.

د. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يقرر حقيقة أن الإعراض عن أوامر الله هو داء قديم في بني إسرائيل، وأن القلة المؤمنة هي التي تمسكت بالميثاق، وهذا يبين أن الابتلاء بالمعرضين سنة

إلهية في الأمم السابقة والحاضرة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يشير إلى مقام الإخلاص الذي هو روح العبادة، فالصوفي يرى أن العبادة الحقة هي التي تخلص فيها النفس من كل شائبة، حتى لا تعبد الله إلا لذاته لا لثواب أو عقاب، وهذا هو مقام الإحسان الذي ورد في الحديث.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الإحسان ليس مقصورا على الوالدين بالبر الظاهر، بل يتعداه إلى الإحسان الباطني بالدعاء لهما والترحم عليهما، وأن بر الوالدين من أعظم القربات التي تفتح أبواب المعرفة القلبية.

ج. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يرى فيه الصوفي أن الكلمة الحسنة هي من أثر الذكر والمراقبة، فمن كان قلبه عامرا بذكر الله انعكس ذلك على لسانه، فلم يخرج منه إلا طيب، وأن حسن القول علامة على صفاء السريرة.

د. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يجد فيه الصوفي أن الصلاة هي معراج المؤمن إلى ربه، وأن الزكاة هي تطهير للنفس من الشح، فالصلاة تزكي الروح والزكاة تزكي المال، وهما معا طريقان للتخلية والتحلية.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يشير إلى أن الإعراض عن الميثاق هو حجاب يحجب القلب عن نور الله، وأن القلة المؤمنة هي التي بقيت على العهد، فالصوفي يرى أن أهل الله هم القلة الذين لم تتغير قلوبهم بتبدل الأحوال.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة التوحيد كقضية عقلية، فالعقل السليم يدرك أن العبادة لا تليق إلا بمن هو مستحق لها، وهو الله الواحد الأحد، وأن تعدد المعبودات يؤدي إلى التناقض والاضطراب في النظام الكوني.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يجد فيه الفيلسوف تأكيدا على أن الأخلاق ليست نسبية، بل لها أسس ثابتة، فالبر بالوالدين قيمة كونية أقرتها جميع الشرائع والعقول السليمة، وهذا يدل على أن هناك قيما

مشتركة بين البشر.

ج. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن اللغة والقول لهما أثر في بناء المجتمعات، وأن الكلمة الطيبة هي أساس التواصل الإنساني، وهذا يلتقي مع فلسفة اللغة والتواصل التي ترى أن الحوار هو أساس الحضارة.

د. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يثير عنده مسألة العلاقة بين الروحي والمادي، فالصلاة تمثل الجانب الروحي والزكاة تمثل الجانب المادي، وهما معا يشكلان وحدة متكاملة في التصور الإسلامي، وهذا يرد على الفلسفات التي تفصل بين الروح والمادة.

هـ. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يثير عنده مسألة الحرية والإرادة، فالإنسان حر في اختياره، لكنه مسؤول عن هذا الاختيار، والإعراض عن الميثاق هو تعبير عن سوء استخدام الحرية، وهذا يفتح باب التأمل في طبيعة الإنسان بين الخير والشر.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يشير إلى أن التوحيد هو أساس الأخلاق كلها، فمن عبد الله وحده استقامت أخلاقه، لأن العبادة الحقة تربي في النفس الخضوع للحق والابتعاد عن الهوى.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يبين أن الإحسان إلى الوالدين هو أول درجات الأخلاق العملية، فمن أحسن إلى من أحسن إليه بالتربية والرعاية، فقد وضع أساسا متينا للتعامل مع الآخرين بالإحسان.

ج. قوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ يشير إلى أن الأخلاق الإسلامية لا تقتصر على الأقارب، بل تتعداهم إلى الفئات المحتاجة في المجتمع، فاليتيم والمسكين لهما حق في الإحسان، وهذا يربي في النفس خلق الرحمة والعطف على الضعفاء.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ هو مبدأ أخلاقي شامل، فالقول الحسن يشمل جميع الناس، مسلمهم وكافرهم، وهذا يربي في المسلم خلق اللين والرفق في الخطاب، ويجنبه الغلظة والفحش في القول.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يربط بين العبادة والأخلاق، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة تطهر النفس من البخل والشح، وهما معا يبنيان الشخصية الأخلاقية المتوازنة.

و. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يحذر من أن الإعراض عن الأخلاق الفاضلة يؤدي إلى فساد الفرد والمجتمع، وأن القلة المتمسكة بالقيم هي التي تبقى على الخير، وهذا يبين أن الأخلاق تحتاج إلى ثبات وصبر.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يشير إلى أن التوحيد هو عامل توحيد للمجتمع، فعبادة الله الواحد تجمع القلوب على كلمة سواء، وتزيل الفوارق الطبقية والعنصرية التي تفرق المجتمعات.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يشير إلى أن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وأن الإحسان إلى الوالدين يحفظ تماسك الأسرة، وبالتالي يحفظ تماسك المجتمع كله.

ج. قوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن المجتمع الإسلامي مجتمع تكافلي، يهتم بالفئات الضعيفة، وهذا يقلل من الفجوات الاجتماعية ويحقق العدالة الاجتماعية.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يبين أن الكلمة الطيبة هي أساس العلاقات الاجتماعية السليمة، فالقول الحسن يقلل النزاعات ويقوي الروابط بين أفراد المجتمع، ويسهم في نشر ثقافة التسامح.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يشير إلى أن الصلاة جماعة تقوي الروابط الاجتماعية، والزكاة تنظم العلاقات الاقتصادية بين أفراد المجتمع، وهما معا يبنيان مجتمعا متماسكا.

و. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يبين أن الإعراض عن القيم الدينية والاجتماعية يؤدي إلى تفكك المجتمع، وأن القلة المتمسكة بالميثاق هي التي تحافظ على استمرار الخير في المجتمع.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يشير إلى أن الحاكم والمحكوم مطالبان بالخضوع لله وحده، وأن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله، وهذا يضع حدا للاستبداد السياسي، فالحاكم ليس معبودا ولا مالكا للرعية.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يشير إلى أن الدولة مطالبة برعاية الأسرة وحمايتها، وأن الإحسان إلى الوالدين ليس مسألة فردية فقط، بل هو سياسة اجتماعية يجب أن تدعمها الدولة.

ج. قوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ يوجه الدولة إلى أن من واجباتها رعاية الفئات المحتاجة، وأن السياسة الاجتماعية في الإسلام لا تقوم على التهميش، بل على التكافل والرعاية.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يوجه الخطاب السياسي إلى أن يكون حسنا، فالحاكم مطالب بالرفق في خطابه مع الرعية، والحوار بين الحاكم والمحكوم يجب أن يكون قائما على الحسنى.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يبين أن الدولة مسؤولة عن إقامة الشعائر، وأن الزكاة نظام مالي يجب أن تتولاه الدولة لتحقيق العدالة الاجتماعية، وهذا يضع أسسا للسياسة المالية في الدولة الإسلامية.

و. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يحذر من أن الإعراض عن الميثاق يؤدي إلى فساد الحكم وسقوط الدولة، وأن القلة المتمسكة بالحق هي التي تصلح ما أفسده المعرضون.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يشير إلى أن الإخلاص لله هو أساس الإدارة الناجحة، فالموظف المخلص لله يؤدي عمله بإتقان، لأنه يعلم أن الله مطلع عليه، وهذا يقلل الحاجة إلى الرقابة الخارجية.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يشير إلى أن الإحسان في الإدارة يبدأ من الداخل، فمن أحسن إلى والديه كان أحرص على الإحسان إلى من يعمل معهم، فالبر بالوالدين يربي في النفس خلق الوفاء والاعتراف بالجميل.

ج. قوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ يوجه الإدارة إلى الاهتمام بالفئات الأضعف في المنظمة، كالموظفين الجدد أو ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذا يعزز روح الفريق والانتماء.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ هو مبدأ إداري مهم، فالقول الحسن في التعامل مع الزملاء والعملاء يخلق بيئة عمل إيجابية، ويزيد الإنتاجية، ويقلل النزاعات.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة توازن بين الواجبات الروحية والمادية، وأن الموظف الذي يحافظ على صلاته وزكاته يكون أكثر انضباطا وأمانة في عمله.

و. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يحذر من أن الإعراض عن القيم يؤدي إلى فشل الإدارة، وأن القلة المتمسكة بالمبادئ هي التي تحقق النجاح والاستمرارية.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يشير إلى أن التوحيد يمنح الإنسان اتجاها واحدا في الحياة، وهذا يقلل من التشتت النفسي والصراع الداخلي، فمن وحد الله استقرت نفسه واطمأن قلبه.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يشير إلى أن بر الوالدين له أثر نفسي إيجابي، فالإحسان إلى الوالدين يمنح الإنسان شعورا بالرضا والسكينة، ويقلل من مشاعر الذنب والندم.

ج. قوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ يبين أن الاهتمام بالآخرين ورعايتهم يمنح الإنسان شعورا بالمعنى والقيمة، وهذا يحميه من الاكتئاب والفراغ الوجودي.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يلفت نظر الطبيب النفسي إلى أن الكلمة الطيبة لها أثر علاجي، فالكلام الحسن يحسن المزاج ويقلل التوتر، كما أن الاستماع للكلام الطيب يخفف من القلق.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يشير إلى أن الصلاة تمارين يومية للاسترخاء والتأمل، والزكاة تخلص الإنسان من التعلق المفرط بالمال، وهما معا يحققان التوازن النفسي.

و. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يحذر من أن الإعراض عن القيم الدينية يؤدي إلى الاضطراب النفسي، وأن القلة المتمسكة بالإيمان هي الأكثر استقرارا نفسيا.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على أساس التوحيد، فالمسلم يعمل ويكسب المال ابتغاء مرضاة الله، وهذا يمنعه من الغش والاحتكار والربا.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يشير إلى أن الإنفاق على الوالدين من أوجه البر، وأن رعاية الوالدين اقتصاديا واجب شرعي، وهذا يضمن توفير الدعم المالي لكبار السن.

ج. قوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ يبين أن الاقتصاد الإسلامي لا يهتم بالفرد فقط، بل يهتم بالفئات المحتاجة، وهذا يحقق التوازن الاقتصادي ويقلل من الفقر.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يوجه التعاملات الاقتصادية إلى أن تكون قائمة على الحسنى، فالتاجر الذي يحسن القول مع عملائه يكسب ثقتهم، وهذا يزيد من نجاحه الاقتصادي.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ هو أساس النظام الاقتصادي الإسلامي، فالصلاة

تنظم وقت العمل، والزكاة تنظم توزيع الثروة، وهما معا يضمنان اقتصادا أخلاقيا مستداما.

و. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يحذر من أن الإعراض عن المبادئ الاقتصادية الإسلامية يؤدي إلى الأزمات المالية، وأن القلة المتمسكة بهذه المبادئ هي التي تحقق الازدهار.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يشير إلى أن التربية الإسلامية تبدأ بتوحيد الله، وأن غاية التربية هي أن ينشأ الطفل على عبادة الله وحده، وهذا يبني شخصيته على أساس متين.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يوجه المربي إلى تعليم الطلاب بر الوالدين، وأن يكون قدوة لهم في ذلك، فالتربية العملية على البر أنفع من التلقين النظري.

ج. قوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ يعلم الطلاب الرحمة بالفقراء واليتامى، ويزرع فيهم روح العطاء والتكافل، وهذا يبني جيلا مترابطا.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يوجه المربي إلى تعليم الطلاب آداب الحوار والكلام، وأن الكلمة الطيبة من علامات الإيمان، وهذا يحسن من تواصلهم مع الآخرين.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يبين أن التربية الدينية لا تقتصر على المعرفة، بل تشمل الممارسة العملية، فتعليم الصلاة والزكاة بالتدريب العملي أنفع من الوعظ النظري.

و. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يحذر المربي من أن الإعراض عن التربية الدينية يؤدي إلى فساد الجيل، وأن القلة المتمسكة بالقيم هي التي تصلح المجتمع.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يكون خالصا لله في أحكامه، لا يخاف إلا الله، ولا يرجو سواه، وهذا يضمن عدالته واستقلاليته.

ب. قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يذكر القاضي بأن بر الوالدين واجب، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإذا تعارض أمر الوالدين مع الحق، فالحق مقدم.

ج. قوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ يوجه القاضي إلى مراعاة حقوق الفئات الضعيفة في أحكامه، وأن يكون حريصا على عدم ظلمهم، فاليتيم والمسكين لهما حق في العدل.

د. قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يوجه القاضي إلى أن يكون لينا في خطابه مع الخصوم، وأن يستمع لهم بإحسان، فهذا يسهم في قبول الأحكام ويزيل التوتر.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يذكر القاضي بأن الصلاة تذكره بالله في كل أحواله، والزكاة تخلصه من حب المال، وهذا يجعله أكثر نزاهة في أحكامه.

و. قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يحذر القاضي من أن الإعراض عن العدل يؤدي إلى فساد القضاء، وأن القلة العادلة هي التي تحفظ الحقوق.

٣٣. نقض ميثاق حرمة الدماء والديار مع فداء الأسرى:

المقطع [٣٣] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٤-٨٦]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يشير إلى أن الإقرار بالعهود والميثاق ليس مجرد لفظ باللسان، بل هو شهادة قائمة على العلم والوعي، وأن المخالفة بعد الإقرار تعد كفرا ببعض الكتاب، لأن الإيمان يقتضي العمل بجميع ما أنزل الله، لا التبعيض فيه، فمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه فقد نقض ميثاق الإيمان.

ب. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يقرر أن الإيمان لا يتجزأ، وأن الإيمان بالكتاب كله وحدة متكاملة، فمن قبل حكما ورفض آخر فقد أخل بوحدة الدين، وهذا يبين أن الكفر بالبعض كفر بالكل، لأن مصدر الجميع واحد.

ج. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ

الْعَذَابِ﴾ يربط بين نقض الميثاق والجزاء الإلهي، فالعقوبة نوعان: خزي معجل في الدنيا، وعذاب مؤجل في الآخرة، وهذا يؤكد أن الله لا يغفل عن أعمال العباد، وأن سننه في الجزاء لا تتخلف.

د. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقرر صفة العلم الإلهي المحيط بكل شيء، وأن أفعال العباد مهما خفيت على الخلق فهي ظاهرة لله، وهذا يربي في المؤمن مراقبة الله في السر والعلن، ويقطع عنه التسويف بالغفلة.

هـ. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ يصور حقيقة المفاضلة بين الدنيا والآخرة، وأن من يقدم الدنيا على الآخرة يكون قد أجرى صفقة خاسرة، لأن الآخرة خير وأبقى، وهذا يبين أن الإيمان الحق يقتضي تقديم ما عند الله على ما في أيدي الناس.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يشير إلى أن المؤمنين في حقيقة الأمر جسد واحد، فسفك دم المؤمن كسفك دم النفس، وإخراجه من داره كإخراج النفس من مسكنها، وهذا يربي في الصوفي معنى الاتحاد الروحي بين المؤمنين، وأن أذى المسلم كأذى النفس.

ب. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يرمز إلى أن التعاون على الإثم والعدوان هو من تلوث القلب بالحقد والحسد، وهو ضد صفاء السريرة التي يسعى الصوفي لتحقيقها، فالمؤمن الحق لا يظاهر على أخيه، بل يواسيه وينصره.

ج. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الفداء عمل قلبي نبيل، لكنه لا يكفي وحده إذا صاحبه ظلم آخر، فالعمل الصالح لا يمحو السيئات ما دام صاحبها مصرا عليها، وهذا يدعو إلى التوبة الشاملة التي تجمع بين ترك الذنب وفعل الخير.

د. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يرمز إلى أن القلب لا يكون سليما إلا إذا استوى في قبول جميع أوامر الله، فمن قبل بعضها ورفض بعضها كان قلبه معلولا، والتصوف الحقيقي هو الاستسلام الكامل لله في كل شيء.

هـ. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يشير إلى أن الخزي في الدنيا هو ظلمة القلب وضياعه، وأن أشد العذاب في الآخرة هو الحجاب عن الله، فمن نقض عهد الله حُرم من

نوره، وهذا أشد من عذاب النار عند أهل الذوق.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الله مطلع على الأسرار والخفايا، وأنه لا يغفل عن حركات القلوب قبل حركات الجوارح، وهذا يستدعي مراقبة دائمة وتصفية للباطن كما يصفى الظاهر.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الالتزام الأخلاقي، فالإقرار بالعهد مع الشهادة يعني أن الإنسان كائن حر مسؤول، يلتزم بما يقر به عن وعي واختيار، وهذا أساس الفلسفة الأخلاقية التي تقوم على المسؤولية الذاتية.

ب. قوله: ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن المجتمع الإنساني كيان عضوي، وأن اعتداء بعض أفراده على بعض هو اعتداء على الكل، وهذا يلتقي مع فلسفة العقد الاجتماعي التي ترى أن أفراد المجتمع مرتبطون بمصير مشترك.

ج. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يطرح إشكالا معرفيا حول التناقض في المواقف الإنسانية، فالإنسان قد يتبنى مبادئ ويناقضها في سلوكه، وهذا يكشف عن ثغرة بين النظرية والتطبيق، وهي قضية جوهرية في الفلسفة العملية.

د. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ يثير مسألة العدالة الإلهية، فالفيلسوف يرى أن العدالة تقتضي أن يكون الجزاء متناسبا مع الفعل، وأن الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة يمثلان نظاما جزائيا متكاملا يحقق التوازن الأخلاقي في الكون.

هـ. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقرر مبدأ العلم المطلق الذي يحيط بكل الأفعال، وهذا يلتقي مع فكرة العلة الأولى أو العقل الكلي الذي لا يغيب عنه شيء، ويطرح على الفيلسوف مسألة العلاقة بين علم الله وحرية الإنسان.

و. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة القيم، فالمفاضلة بين الدنيا والآخرة هي مفاضلة بين القيم المادية والقيم الروحية، والفيلسوف يرى أن الحكمة تقتضي تقديم القيم الأسمى على الأدنى، وأن من يقدم الفاني على الباقي يكون قد أخطأ في تقدير القيم.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يرسي قاعدة أخلاقية كبرى، وهي أن المؤمنين كالجسد الواحد، وأن حرمة الدم والدار من الكليات الأخلاقية التي لا يجوز انتهاكها، وأن العدوان على الآخرين هو عدوان على النفس في الحقيقة.

ب. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يذم خلق التعاون على الشر، ويبين أن الأخلاق الفاضلة تقتضي التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن من يعين على ظلم أخيه فقد شاركه في الإثم.

ج. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ يمدح خلق الفداء والإنقاذ، لكنه يبين أن الفعل الأخلاقي لا يكون مقبولا إذا صاحبه تناقض، فالخير لا يمحو الشر ما دام صاحبه مقيما عليه، وهذا يربي على الاتساق الأخلاقي.

د. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يبين أن الأخلاق لا تكون انتقائية، فمن التزم ببعض القيم ورفض بعضها كان متناقضا، والأخلاق الحقة تقتضي الالتزام بجميع المبادئ دون تجزئة.

هـ. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبين أن للسلوك الأخلاقي نتائج دنيوية وأخروية، فالخزي في الدنيا هو فقدان المكانة والكرامة، والعذاب في الآخرة هو أثر العدالة الإلهية، وهذا يربط الأخلاق بالجزاء.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يرسي أساس الرقابة الذاتية في الأخلاق، فالإنسان لا يفعل الخير ليراه الناس، بل لأنه يعلم أن الله مطلع عليه، وهذا أرقى مستويات الضمير الأخلاقي.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ يبين أن الأخلاق الحقة لا تقوم على المنفعة المادية العاجلة، بل على القيم المتعالية، ومن يبيع مبادئه من أجل مغنم دنيوي فقد خسر الصفقة الأخلاقية.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات الإنسانية تقوم على عهود ومواثيق تنظم العلاقات بين أفرادها، وأن نقض هذه المواثيق يؤدي إلى تفكك النسيج الاجتماعي وانتشار الفوضى.

ب. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يقرر أن الأمن والاستقرار هما أساس الحياة الاجتماعية، وأن سفك الدماء والتهجير من الديار من أخطر الجرائم الاجتماعية التي تهدم التماسك المجتمعي.

ج. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يبين أن التحالفات الاجتماعية التي تقوم على الإثم والعدوان هي تحالفات هدامة، وأن التعاون الاجتماعي لا يكون نافعا إلا إذا كان قائما على البر والتقوى.

د. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات قد تجمع بين المتناقضات، فتفعل الخير في موقف والشر في موقف آخر، وهذا يكشف عن التناقض في البنية الاجتماعية، وأن الإصلاح الاجتماعي يحتاج إلى معالجة هذه التناقضات.

هـ. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبين أن المجتمعات التي تنقض عهودها تصاب بالخزي والضعف، وهذا قانون اجتماعي تاريخي، فالأمم التي تخون مبادئها تفقد مكانتها بين الأمم.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن هناك رقابة إلهية على حركة المجتمعات، وأن السنن الإلهية لا تتخلف، فمن عمل صالحا نال خيرا، ومن عمل شرا نال شرا، وهذا يفسر صعود الأمم وسقوطها.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ يبين أن المجتمعات التي تقدم المصلحة المادية العاجلة على القيم الروحية تكون مصيرها الاضمحلال، لأن القيم هي التي تضمن بقاء المجتمعات واستقرارها.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن العلاقات السياسية بين الدول والجماعات تقوم على المواثيق والعهود، وأن احترام هذه المواثيق هو أساس الاستقرار السياسي، ونقضها يؤدي إلى الفوضى والصراعات.

ب. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يقرر أن حرمة الدم والدار

من المبادئ السياسية العليا، وأن أي سياسة تقوم على القتل والتهجير هي سياسة باطلة، وأن الدولة العادلة هي التي تحفظ أمن مواطنيها واستقرارهم.

ج. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يذم التحالفات السياسية التي تقوم على الظلم والعدوان، ويبين أن التحالفات العادلة هي التي تقوم على نصرة المظلوم وإحقاق الحق.

د. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ يشير إلى أن السياسة الإسلامية تقوم على مبدأ فداء الأسرى، وأن هذا من القيم الإنسانية الرفيعة، لكنه يبين أن الفداء لا يبرر الظلم المستمر، فالسياسة الأخلاقية لا تجمع بين الخير والشر.

هـ. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يوجه نقدا للسياسة الانتقائية التي تقبل بعض المبادئ وترفض بعضها حسب المصالح، ويبين أن السياسة العادلة هي التي تلتزم بجميع المبادئ دون انتقائية.

و. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبين أن الدول التي تنقض عهودها تصاب بالخزي والهوان، وهذا قانون سياسي تاريخي، فالدول التي تخون مواثيقها تفقد مصداقيتها ومكانتها الدولية.

ز. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكر السياسي بأن هناك رقابة إلهية على أعماله، وأنه مسؤول أمام الله عن سياساته وقراراته، وهذا يمنعه من الظلم والاستبداد.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن العمل المؤسسي الناجح يقوم على عقود ومواثيق واضحة تحدد الحقوق والواجبات، وأن الالتزام بهذه المواثيق هو أساس الثقة بين الأطراف.

ب. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يبين أن الإدارة الناجحة تحافظ على أمن موظفيها واستقرارهم، ولا تسمح بأي ممارسات تؤدي إلى إيذائهم أو تهجيرهم، فالاستقرار الوظيفي أساس الإنتاجية.

ج. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يذم ثقافة التحالف على الظلم داخل المؤسسات، ويبين أن الإدارة العادلة تمنع التكتلات التي تضر بالآخرين، وتشجع التعاون على الخير.

د. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ يشير إلى أن المؤسسة الناجحة قد تمارس أعمالا إيجابية لكنها لا تكفي إذا صاحبتها ممارسات سلبية، فالنجاح الحقيقي يتطلب الاتساق بين الأقوال والأفعال.

هـ. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يوجه نقدا للإدارة الانتقائية التي تطبق بعض السياسات وتتجاهل بعضها، ويبين أن الإدارة الناجحة تطبق جميع السياسات بعدالة دون تمييز.

و. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبين أن المؤسسات التي تنقض عهودها تفقد سمعتها ومصداقيتها، وهذا يؤثر على استمراريتها ونجاحها في السوق.

ز. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكر المدير بأن هناك رقابة إلهية على أعماله، وأنه مسؤول أمام الله عن ممارساته الإدارية، وهذا يمنعه من الغش والخداع في التعاملات.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن التاريخ البشري مليء بالمواثيق والعهود التي كانت أساسا لقيام الحضارات، وأن نقض هذه المواثيق كان سببا في انهيار الأمم.

ب. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن سفك الدماء والتهجير كانا من أبرز أسباب سقوط الحضارات، فالمجتمعات التي تعاني من الحروب الأهلية والتهجير تفقد قدرتها على البناء والتقدم.

ج. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يبين أن التحالفات الظالمة في التاريخ كانت سببا في تفكك الأمم، وأن الأمم التي تعاونت على الظلم لم تدم طويلا.

د. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ يشير إلى أن بعض الأمم كانت تجمع بين المتناقضات، فتفعل الخير في موقف والشر في موقف آخر، وهذا التناقض كان سببا في ضعفها وسقوطها.

هـ. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبين أن الخزي في الدنيا هو سنة تاريخية، فالأمم التي تخون مبادئها تصاب بالهوان والذل، وهذا ما نراه في تاريخ الأمم الساقطة.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكر المؤرخ بأن هناك عدالة إلهية تحكم التاريخ، وأن الله لا يغفل عن أعمال الأمم، وسيجازي كل أمة بما عملت.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ يفسر للمؤرخ سبب سقوط الأمم، فهي

التي قدمت المصالح المادية العاجلة على القيم الروحية، فخسرت الدنيا والآخرة معا.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الأمن النفسي مرتبط بالأمن الجسدي والاستقرار المكاني، فالتهجير وفقدان الأمان من أشد العوامل المسببة للاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب.

ب. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يشير إلى أن المشاركة في الظلم تولد شعورا بالذنب والعار، وهذا يؤثر سلبا على الصحة النفسية، فالضمير المذنب يسبب اضطرابات نفسية عميقة.

ج. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ يبين أن الإنسان قد يمارس سلوكيات إيجابية لكنها لا تعالج التناقض الداخلي، فمن يفعل الخير والشر معا يعيش في صراع نفسي مستمر، وهذا الصراع يسبب القلق والتوتر.

د. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يشير إلى أن التناقض في المعتقدات والسلوكيات يسبب اضطرابا في الهوية النفسية، فالإنسان الذي يعيش في تناقض مع قيمه يعاني من عدم الاتساق الداخلي.

هـ. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبين أن الخزي والعار من أشد المشاعر النفسية إيلاما، وأن من يعيش في خزي دائم يعاني من تدني تقدير الذات والاكتئاب.

و. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يمنح الطمأنينة النفسية لمن يعمل الخير، فالشعور بأن الله مطلع على أعماله يمنح الإنسان راحة البال والثقة بأن جهوده لن تضيع.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ يبين أن من يقدم المادة على الروح يعيش في فراغ روحي يسبب له الاضطراب النفسي، فالإنسان لا يكتفي بالماديات، بل يحتاج إلى معنى روحي في حياته.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن العلاقات الاقتصادية تقوم على عقود ومواثيق تحدد الحقوق والواجبات، وأن الالتزام بهذه العقود هو أساس الثقة في المعاملات الاقتصادية.

ب. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يبين أن الاستقرار الأمني والمكاني شرط أساسي للتنمية الاقتصادية، فالمجتمعات التي تعاني من الحروب والتهجير لا يمكن أن تحقق نموا اقتصاديا مستداما.

ج. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يذم التعاون على الظلم الاقتصادي كالاحتكار والغش، ويبين أن الاقتصاد الأخلاقي يقوم على المنافسة الشريفة لا على التآمر والظلم.

د. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ يشير إلى أن بعض المجتمعات قد تمارس أعمالا اقتصادية إيجابية كالفداء والإنقاذ، لكنها لا تكفي إذا صاحبتها ممارسات اقتصادية ظالمة، فالاقتصاد الأخلاقي يتطلب الاتساق.

هـ. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يوجه نقدا للاقتصاد الانتقائي الذي يطبق بعض المبادئ الاقتصادية العادلة ويتجاهل بعضها، ويبين أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على تطبيق جميع المبادئ دون انتقائية.

و. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبين أن المجتمعات التي تنقض عهودها الاقتصادية تفقد مصداقيتها في الأسواق العالمية، وهذا يؤثر سلبا على اقتصادها.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ يبين أن الاقتصاد الذي يقدم الربح المادي على القيم الأخلاقية يكون مصيره الفشل، لأن الأخلاق هي الضمانة الحقيقية لاستدامة الاقتصاد.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن التربية تقوم على العهود والمواثيق بين المربي والمتعلم، وأن الالتزام بهذه العهود هو أساس العملية التربوية الناجحة.

ب. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يبين أن التربية الصحيحة تربي في النفوس احترام الحياة والديار، وأن من القيم التربوية الأساسية تعليم النشء حرمة الدم والمال والعرض.

ج. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يذم ثقافة التعاون على الشر، ويبين أن التربية الصحيحة تعلم التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

د. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ يشير إلى أن المربي قد يربي تلاميذه على بعض القيم الإيجابية لكنه قد يغفل عن قيم أخرى، وهذا التناقض التربوي ينتج شخصيات متناقضة.

هـ. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يوجه نقدا للتربية الانتقائية التي تركز على بعض القيم وتهمل بعضها، ويبين أن التربية المتكاملة هي التي تغرس جميع القيم دون تجزئة.

و. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبين أن التربية التي لا تلتزم بالقيم تؤدي إلى خزي الأفراد والمجتمعات، وأن الأمم التي تهمل التربية الأخلاقية تصاب بالهوان.

ز. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكر المربي بأن الله مطلع على أعماله التربوية، وأنه مسؤول أمام الله عن تربية النشء، وهذا يدفعه إلى الإخلاص والاجتهاد في عمله.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يشير إلى أن القضاء يقوم على المواثيق والعهود، وأن القاضي ملتزم بتطبيق العدالة وفق ما تعاقد عليه المجتمع من قوانين وشرائع.

ب. قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ يقرر أن حرمة الدم والدار من المبادئ القضائية العليا، وأن القاضي يجب أن يحكم بحماية هذه الحرمات، وأن أي حكم يبيح سفك الدم أو التهجير هو حكم باطل.

ج. قوله: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يذم القاضي الذي يتعاون مع الظالمين، ويبين أن القاضي العادل لا يكون عونا للظالمين، بل يكون نصيرا للمظلومين.

د. قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ يشير إلى أن القاضي قد يمارس بعض الأعمال الإيجابية كالفداء، لكن هذا لا يبرر ظلمه في أحكام أخرى، فالعدالة تتطلب الاتساق في جميع الأحكام.

هـ. قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يوجه نقدا للقاضي الذي يطبق بعض الأحكام ويتجاهل بعضها حسب الأهواء، ويبين أن القاضي العادل يطبق جميع الأحكام دون تمييز.

و. قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبين أن القاضي الظالم يصاب بالخزي في الدنيا، ويفقد مصداقيته ومكانته، وهذا يؤثر على ثقة الناس بالقضاء.

ز. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يذكر القاضي بأن الله مطلع على أحكامه، وأنه مسؤول

أمام الله عن كل حكم يصدره، وهذا يمنعه من الظلم والجور في القضاء.

٣٤. تكبر بني إسرائيل على الرسل وتكذيبهم وقتلهم:

المقطع [٣٤] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٧-٨٨]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧] يشير إلى أن إيتاء الكتب وإرسال الرسل سنة إلهية متصلة، وأن موسى عليه السلام أوتي الكتاب ثم تتابعت الرسل من بعده، وهذا يقرر عقيدة النبوة والرسالة، وأن الله لم يترك الناس هملا، بل أرسل إليهم رسله تباعا، وفي هذا رد على من يزعم انقطاع الوحي أو عدم حاجة البشرية إلى الرسل.

ب. قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] يقرر عقيدة الإيمان بعيسى ابن مريم عليه السلام، وأنه مؤيد بالمعجزات البينات وبجبريل عليه السلام، وفي هذا إثبات لكرامة الأنبياء وتأييدهم بالمعجزات، ورد على من غلا في عيسى فجعله إلها، ومن جفا فأنكر رسالته، فالمقام القرآني يثبت له النبوة والتأييد دون ألوهية.

ج. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يكشف عن سنة كونية في تعامل الأمم مع الرسل، وهي أن الاستكبار عن الحق ليس ناتجا عن شبهة عقلية، بل عن هوى النفس وعدم الرغبة في الخضوع لأمر الله، فالكفر هنا سببه اتباع الهوى لا قصور الدليل، وهذا يبين أن العقيدة الصحيحة تحتاج إلى تسليم القلب وإخلاص النية قبل سلامة الدليل.

د. قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] يشير إلى أن التكذيب والقتل ليسا فعل أمة واحدة في زمن واحد، بل هو سلوك متكرر من بني إسرائيل عبر تاريخهم الطويل، فبعض الرسل كذبوا وبعضهم قتلوا، وهذا يبين أن جحود الحق لا يتوقف عند حد، بل يتدرج من التكذيب إلى القتل، وهو أشد درجات البغي.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يقرر عقيدة أن القلب له دور في الإيمان، وأنهم ادعوا أن قلوبهم في أوعية مغلقة لا تصل إليها دعوة الرسل، وهذا تبرير باطل لكفرهم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨]، فبين أن الحقيقة ليست في غلف القلوب، بل في كفرهم الذي استحقوا به الطرد من رحمة الله، فاللعن هنا نتيجة للكفر وليس سببا له.

و. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن الإيمان الصحيح نادر فيهم، وأن أكثرهم على الكفر والعناد، وهذا يبين أن كثرة العدد ليست معيارا للإيمان، فالقلة المؤمنة خير من الكثرة الكافرة، وأن الله يعلم من يؤمن حقا ومن لا يتجاوز إيمانه الظاهر.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الحجاب الأكبر بين العبد وبين الحق هو الهوى، فالاستكبار عن الوحي سببه تعلق النفس بشهواتها وميلها إلى ما يوافقها، ومن أراد الوصول إلى الله فلا بد له من كسر الهوى ومخالفة النفس، فالهوى هو الصنم الذي يعبد من دون الله في باطن الإنسان.

ب. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير عند الصوفي إلى أن القلب إذا امتلأ بالكفر والغفلة صار كالوعاء المغلق الذي لا يدخله نور الإيمان، وهذا يبين أن القلب يحتاج إلى تزكية وتصفية حتى ينفتح لقبول الفيض الإلهي، فالقلب المغلوف هو قلب محجوب عن مشاهدة الحقائق، والتصوف كله جهد لإزالة هذه الأغلفة بالذكر والمراقبة والمجاهدة.

ج. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الطرد من رحمة الله ليس ظلما من الله، بل هو أثر طبيعي للكفر، فمن أعرض عن الله طرده الله عن بابه، ومن أقبل عليه قربه وأدناه، فاللعن هنا نتيجة ذاتية للبعد عن الحق، كما أن القرب نتيجة ذاتية للإيمان والطاعة.

د. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير عند الصوفي إلى أن الإيمان الكامل الذي يثمر حالا وذوقا ومعرفة قلبية قليل في الناس، فأكثر الناس إيمانهم تقليد أو تصديق عقلي، أما الإيمان الذي يشرق به القلب وينفتح به البصيرة فهو قليل، وهذا يحفز السالك إلى أن يكون من القلة الذين آمنوا إيمانا حقيقيا لا مجرد ادعاء.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧] يثير عند الفيلسوف تأمل في فلسفة التاريخ الديني، فالتتابع في إرسال الرسل يدل على أن الحقيقة الإلهية تتجلى عبر مراحل تاريخية متدرجة، وأن كل رسول يأتي بها يناسب عصره، وهذا يفتح باب التأمل في العلاقة بين الوحي والتطور البشري، وأن الرسالات ليست منقطعة عن سياقها التاريخي.

ب. قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن المعجزات التي تؤيد الرسل هي براهين حسية على صدقهم، وهي تخاطب العقل البشري بطريقة تخرق قوانين الطبيعة المعتادة، مما يثير سؤالا فلسفيا حول إمكانية خرق القوانين الطبيعية، وعلاقة المعجزة بالمعرفة العقلية، وهل المعجزة دليل برهاني أم خطاب استدلالي خاص؟

ج. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يثير عند الفيلسوف إشكالا معرفيا حول أسباب رفض الحق، فليس الرفض دائما ناتجا عن قصور في الدليل، بل قد يكون ناتجا عن إرادة منحرفة وهوى متبع، وهذا يبين أن المعرفة النظرية وحدها لا تكفي لتحقيق الإيمان، بل لا بد من إرادة خيرة تستعد لقبول الحق، وهنا يتداخل المجال المعرفي بالمجال الأخلاقي.

د. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى مشكلة المعرفة واليقين، فادعاؤهم أن قلوبهم مغلفة هو نوع من الشكية المعرفية التي تعلن استحالة الوصول إلى الحقيقة، ورد الله عليهم بأن السبب ليس في القلب بل في الكفر، وهذا يبين أن العائق المعرفي ليس في الأداة (القلب) بل في سوء الاستعمال (الكفر)، وأن الحقيقة في متناول من أرادها بإخلاص.

هـ. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] يثير عند الفيلسوف سؤال العلاقة بين الحرية والجزاء، فالله لعنهم بسبب كفرهم، أي أن كفرهم كان باختيارهم وحرية إرادتهم، وإلا لما كان اللعن جزاء عادلا، وهذا يؤكد مبدأ المسؤولية الأخلاقية، وأن الإنسان مخير في أفعاله، ومجازى عليها بعدله.

و. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الإيمان ليس قضية كمية بل نوعية، فالقلة المؤمنة إيمانا حقيقيا قد تكون أكثر قيمة من الكثرة التي لا تتجاوز الظاهر، وهذا يثير تأملا في طبيعة اليقين، وأنه ليس كل تصديق يقينا، ولا كل إيمان إيمانا، فاليقين الحقيقي له شروط

وعلامات.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه عالم الأخلاق أن الهوى هو العدو الأول للفضيلة، فالإنسان الذي يتبع هواه يرفض الحق ولو كان واضحا، ويقبل الباطل ولو كان ظاهر البطلان، والاستكبار عن الحق نتيجة مباشرة لعبادة الهوى، ومن ثم فإن التربية الأخلاقية الحقة هي تربية النفس على مخالفة الهوى وتقديم مرضاة الله على مرضاة النفس.

ب. قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] يشير إلى أن الانحدار الأخلاقي يتدرج من الكذب إلى القتل، فمن كذب على الرسل ورفض دعوتهم تدرج به الأمر إلى قتلهم، وهذا يبين أن الأخلاق السيئة لا تقف عند حد، بل تتطور إلى أشد منها إذا لم تُقاوم، وأن التكذيب بالحق هو بداية الطريق إلى أفظع الجرائم.

ج. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه عالم الأخلاق أن تبرير الذنب بذرائع واهية هو من أخطر أمراض النفس، فهم لم يعترفوا بكفرهم، بل ادعوا أن قلوبهم مغلفة بطبيعتها، وهذا نوع من المراوغة الأخلاقية التي تحول دون الإصلاح، فمن يبرر خطأه لا يمكن أن يتوب منه، والاعتراف بالخطأ هو أول خطوات الإصلاح.

د. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن سوء العاقبة ليس اعتباطيا، بل هو نتيجة حتمية لسوء العمل، فاللعن الإلهي هو الأثر الطبيعي للكفر، كما أن الرحمة أثر طبيعي للإيمان، وهذا يبين أن الأخلاق لها نتائجها في الدنيا والآخرة، وأن الإنسان لا يظلم إلا نفسه.

هـ. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه عالم الأخلاق أن الإيمان ليس مجرد تصديق نظري، بل هو سلوك عملي، فمن آمن حقا انعكس إيمانه على أخلاقه، والقلة التي آمنت هي التي التزمت بمقتضى الإيمان، أما الأكثرية فإيمانهم إما تقليد أو نفاق، وهذا يبين أن الأخلاق الحقة ثمرة الإيمان الصادق.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه عالم

الاجتماع أن المجتمعات لا تخلو من مرسلين وموجهين، وأن الله أرسل الرسل تباعا لضبط حركة المجتمع وتوجيهه، وهذا يبين أن الوحي هو أحد العوامل الأساسية في تشكيل البنية الاجتماعية، وأن المجتمعات التي ترفض الرسل تفقد بوصلة الإصلاح.

ب. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يشير إلى أن المجتمعات التي تحكمها الأهواء ترفض الإصلاح ولو جاء من أصدق الدعاة، فالاستكبار ليس ظاهرة فردية بل جماعية، وهو ناتج عن بنية اجتماعية قائمة على المصالح والامتيازات، فالرسل يأتون بما يهدد مصالح النخبة المستكبرة، لذلك تقاومهم.

ج. قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن العنف ضد المصلحين ليس حادثا عابرا، بل هو نمط متكرر في المجتمعات المنحرفة، فالمجتمع الذي يصل إلى حد قتل أنبيائه هو مجتمع فقد كل الضوابط الأخلاقية والدينية، وهذا يبين أن انهيار المجتمع يبدأ برفض النصح والتوجيه، وينتهي بالعنف والقتل.

د. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات المنحرفة تختلق الأعذار لرفض الإصلاح، فهم لم يقولوا إن الرسل كاذبون فقط، بل ادعوا أنهم غير قابلين للهداية أصلا، وهذا نوع من العزلة الاجتماعية والفكرية التي تجعل المجتمع منغلقا على نفسه، رافضا أي نقد أو توجيه من الخارج.

هـ. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن المجتمعات التي ترفض الحق تفقد البركة والتمكين، فاللعن الإلهي يعني الحرمان من الرحمة والتوفيق، وهذا ينعكس على واقعهم الاجتماعي فيفقدون الهيبة والاستقرار، فالمجتمع الذي يطرد الله من قلبه يطرد من التوفيق في دنياه.

و. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يبين لعالم الاجتماع أن الإيمان ليس ظاهرة جماعية بالضرورة، فالقلة المؤمنة قد توجد في مجتمع كافر، وهذا يفسر وجود الأقليات المؤمنة في المجتمعات المنحرفة، وأن هذه القلة هي التي تحمل بذور الإصلاح، وقد تكون نواة لمجتمع جديد.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه عالم

السياسة أن الاستكبار عن الحق هو مرض الحكام والساسة، فالنخبة الحاكمة ترفض الإصلاح لأنه يهدد مصالحها وامتيازاتها، والرسل كانوا يأتون بما يخالف أهواء المستكبرين، لذلك قاوموهم، وهذا يبين أن الصراع بين الأنبياء والمستكبرين هو صراع بين الإصلاح والمصالح.

ب. قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] يشير إلى أن السلطة السياسية المنحرفة تتدرج في مقاومة الإصلاح من التكذيب إلى القتل، فإذا عجزت عن تكذيب الداعية لجأت إلى تصفيته جسديا، وهذا يبين أن العنف السياسي ضد المصلحين هو أسلوب الأنظمة المستبدة التي لا تقبل النقد ولا تتحمل المعارضة.

ج. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه عالم السياسة أن الأنظمة المستبدة تختلق المبررات لرفض الإصلاح، فهم لم يعترفوا بأنهم يرفضون الحق، بل ادعوا أنهم غير قابلين للهداية، وهذا أسلوب سياسي معروف لتبرير الاستبداد، حيث يصور الحاكم نفسه فوق النقد، والشعب غير أهل للإصلاح.

د. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن الأنظمة التي ترفض الحق تفقد الشرعية الإلهية، فاللعن يعني سلب التوفيق والتمكين، وهذا يبين أن الاستبداد والكفر سبب في زوال الدول، فما قامت دولة على الكفر والظلم فاستمرت، بل سنة الله أن يزيلها ويستبدل بها غيرها.

هـ. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يلفت نظر عالم السياسة إلى أن القلة المؤمنة في المجتمع المستبد هي نواة التغيير، فالإيمان الحقيقي لا يخضع للأغلبية، بل قد تكون الأقلية المؤمنة هي التي تصنع التغيير، وهذا يبين أن المعيار في السياسة ليس الكثرة العددية بل صحة المنهج.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه عالم الإدارة أن التتابع في إرسال الرسل يشبه التتابع في القيادات الإدارية، فكل قائد يأتي ليكمل مسيرة من قبله، ولا يبدأ من الصفر، وهذا يبين أن الإدارة الناجحة هي التي تبني على ما سبق، وتستفيد من تجارب السابقين، ولا تهدم كل ما بناه الآخرون.

ب. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يشير إلى

أن مقاومة التغيير هي أكبر عائق أمام الإدارة الناجحة، فالموظفون والمسؤولون يرفضون التغيير إذا كان يخالف مصالحهم أو عاداتهم، حتى لو كان التغيير إصلاحيا، وهذا يبين أن الإدارة الناجحة تحتاج إلى إدارة التغيير بمهارة، وكسر مقاومة الهوى والمصالح الذاتية.

ج. قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه عالم الإدارة أن مقاومة الإصلاح تتدرج من الرفض السلبي إلى العدوان الإيجابي، فإذا لم يستطع الموظفون تكذيب المدير المصلح لجأوا إلى التشويه أو العرقلة أو حتى الإطاحة به، وهذا يبين أن الإصلاح الإداري يواجه حروبا خفية وعلنية من أصحاب المصالح.

د. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن بعض الموظفين يختلقون الأعذار لرفض التطوير، فيدعون أنهم غير قادرين على التعلم أو التغيير، وهذا تبرير واهٍ للكسل والمقاومة، والإدارة الناجحة هي التي تكسر هذه الحواجز النفسية وتثبت أن العائق ليس في القدرات بل في الإرادات.

هـ. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه عالم الإدارة أن المؤسسات التي ترفض الإصلاح تفقد البركة والتوفيق، فاللعن الإلهي ينعكس على واقعها فيفشل مشاريعها ويضيع جهودها، وهذا يبين أن النجاح الإداري ليس بالكفاءة فقط، بل بالاستقامة والقبول بالحق.

و. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن القلة المصلحة في المؤسسة هي التي تصنع الفرق، فليس المهم كثرة العاملين بل إخلاصهم وإيمانهم بالرسالة، والقلة المؤمنة بالعمل والإخلاص قد تنجح حيث تفشل الكثرة غير المخلصة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه المؤرخ أن تاريخ بني إسرائيل هو تاريخ متصل من الرسالات، وأن موسى عليه السلام كان بداية مرحلة تشريعية كبرى، ثم تتابعت الرسل من بعده لاستكمال البناء، وهذا يبين أن التاريخ الديني ليس تاريخا منقطعا، بل هو سلسلة متصلة من الدعوات والإصلاحات.

ب. قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] يشير إلى أن عيسى عليه السلام كان حلقة مهمة في التاريخ الديني، وأنه جاء ببينات وتأييد إلهي خاص، وهذا يبين

أن الله لم يترك بني إسرائيل دون حجة، بل أرسل إليهم أعظم الرسل وأيدهم بأعظم المعجزات، ومع ذلك كفروا.

ج. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يلفت نظر المؤرخ إلى أن تاريخ بني إسرائيل هو تاريخ من الصراع مع الأنبياء، وأن الاستكبار كان سمة ثابتة في تعاملهم مع الرسل، وهذا يفسر لماذا فشلوا في الحفاظ على رسالتهم، ولماذا سلب الله منهم التمكين.

د. قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه المؤرخ أن بني إسرائيل مارسوا العنف ضد الأنبياء عبر تاريخهم، فبعضهم كذبوا وبعضهم قتلوا، وهذا يبين أن التاريخ الإسرائيلي القديم كان تاريخا دمويا ضد رسل الله، وأن هذه الجرائم كانت سببا في زوال دولتهم وتشتت شملهم.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن بني إسرائيل كانوا يختلقون الأعذار لرفض الحق، وهذا الأسلوب تكرر في تاريخهم، فكلما جاءهم رسول بما لا يوافق أهواءهم رفضوه وادعوا أنهم غير قابلين للهداية، وهذا يفسر استمرارهم في الكفر عبر العصور.

و. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه المؤرخ أن اللعن الإلهي كان له أثر تاريخي واضح، فبنو إسرائيل فقدوا البركة والتمكين، وتشتتوا في الأرض، وحل عليهم الذل والمسكنة، وهذا يبين أن التاريخ يشهد بصدق الوعد الإلهي، وأن من كفر بالله خسر الدنيا والآخرة.

ز. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن المؤمنين الحقيقيين في تاريخ بني إسرائيل كانوا قلة، وهذه القلة هي التي نجت من اللعن، وحملت رسالة التوحيد عبر العصور، وهذا يبين أن التاريخ لا يصنعه الأكثرون دائما، بل قد تصنعه القلة المؤمنة الصادقة.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه الطبيب النفسي أن الاستكبار عن الحق هو اضطراب نفسي عميق، فالإنسان الذي يرفض الحق لمجرد أنه يخالف هواه يعاني من تضخم الأنا والتمركز حول الذات، وهذا النمط النفسي يمنع صاحبه من النمو النفسي السليم، ويجعله في صراع دائم مع الواقع والحقيقة.

ب. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن بعض الناس يبنون دفاعات

نفسية واهية لتبرير رفضهم للحق، فهم لا يعترفون بأنهم مختارون في رفضهم، بل يدعون أنهم غير قابلين للتغيير أصلا، وهذا يشبه ما يسمى في علم النفس بالعجز المكتسب، حيث يفقد الإنسان الثقة في قدرته على التغيير، فيستسلم لحالته السلبية.

ج. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه الطبيب النفسي أن الشعور بالطرد والحرمان من الرحمة يولد اضطرابات نفسية عميقة، فاللعن الإلهي يعني فقدان الأمان النفسي والطمأنينة، وهذا يفسر الاضطرابات النفسية التي يعاني منها من يعيش في صراع مع قيمه ومع ربه، فالإيمان بالرحمة الإلهية هو أساس الصحة النفسية.

د. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن الإيمان الحقيقي الذي يمنح الطمأنينة النفسية نادر، فأكثر الناس إيمانهم سطحي لا يصل إلى أعماق النفس، والإيمان العميق الذي يغير السلوك ويمنح السلام الداخلي هو قليل، وهذا يحفز المعالج النفسي إلى الاهتمام بالبعد الروحي في العلاج.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه عالم الاقتصاد أن الهوى والمصلحة الذاتية هما العائقان الأكبر أمام تطبيق العدالة الاقتصادية، فالرسل جاءوا بتشريعات اقتصادية عادلة تمنع الاستغلال والربا والاحتكار، فرفضها المستكبرون لأنها تهدد مصالحهم، وهذا يبين أن الإصلاح الاقتصادي لا يواجه بعقبات فنية فقط، بل بعقبات نفسية ومصالحية.

ب. قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] يشير إلى أن الأنظمة الاقتصادية الجائرة لا تكتفي برفض الإصلاح، بل تحارب المصلحين وتكذبهم وتقتلهم، وهذا يبين أن الصراع الاقتصادي ليس صراع أفكار فقط، بل صراع مصالح قد يصل إلى العنف، فالذين يستفيدون من الظلم الاقتصادي يقاومون الإصلاح بكل الوسائل.

ج. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه عالم الاقتصاد أن بعض المجتمعات تختلق الأعذار لرفض النظم الاقتصادية العادلة، فتدعي أنها غير قابلة للتغيير، أو أن هذه النظم لا تناسب ظروفها، وهذا تبرير واهٍ للمحافظة على المصالح القائمة، والإصلاح الاقتصادي يحتاج إلى كسر هذه الحواجز النفسية والاجتماعية.

د. قوله تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] يشير إلى أن المجتمعات التي ترفض العدل الاقتصادي تفقد البركة في أموالها، فاللعن الإلهي ينعكس على اقتصادها فيفقد النمو والاستقرار، وهذا يبين أن البركة الإلهية هي عامل أساسي في نجاح الاقتصاد، وأن الاقتصاد القائم على الظلم والاستغلال محكوم عليه بالفشل مهما بدا مزدهرا.

هـ. قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] يجد فيه عالم الاقتصاد أن القلة المؤمنة التي تطبق العدل الاقتصادي هي التي تحقق النجاح الحقيقي، فليس المهم كثرة الأموال بل بركتها، والقلة التي تتعامل بالحلال وتتجنب الحرام قد تنال من البركة ما لا تناله الكثرة التي تتعامل بالحرام.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه المربي أن التعليم والتربية لا يتمان دفعة واحدة، بل عبر مراحل متتابعة، فالله آتى موسى الكتاب ثم أرسل الرسل من بعده لاستكمال التربية، وهذا يبين أن التربية عملية تراكمية تحتاج إلى الصبر والتدرج، وأن كل مرحلة تبني على ما قبلها.

ب. قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] يشير إلى أن المعلم الناجح يحتاج إلى بينات وأدلة واضحة، وإلى تأييد إلهي، فالتعليم ليس مجرد نقل معلومات، بل هو تأييد وتوفيق من الله، والمعلم الذي يخلص نيته يجد التأييد في عمله.

ج. قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] يجد فيه المربي أن الطلاب قد يرفضون العلم إذا كان يخالف أهواءهم، فالاستكبار عن الحق ليس حكرا على الكبار، بل قد يوجد في نفوس الصغار، والمربي الناجح هو الذي يعالج هذه الظاهرة بحكمة، ويكسر حاجز الهوى لدى المتعلم

٣٥. جحود بني إسرائيل للرسول الخاتم مع علمهم بنبوته:

المقطع [٣٥] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا

بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٨٩-٩٠]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهَّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يشير إلى أن القرآن الكريم جاء مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية، وأن الإيمان بالرسل السابقين لا يتنافى مع الإيمان بالرسول الخاتم، بل يقتضيه، فالتصديق بالكتاب الجديد هو تصديق لما قبله، لأن مصدره واحد، وهذا يبين أن العقيدة الإسلامية هي امتداد للعقيدة التوحيدية التي حملها الأنبياء جميعا.

ب. قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يبرز حقيقة عقدية مهمة، وهي أن بني إسرائيل كانوا يستنصرون بالرسول الخاتم قبل بعثته على أعدائهم، وكانوا يذكرون صفته في كتبهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وهذا يدل على أن العلم بالنبوة لا ينفع صاحبه إذا لم يقترن بالإيمان والتسليم، فالمعرفة النظرية وحدها لا تنجي، بل لا بد من الإذعان العملي.

ج. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ يشير إلى أن الكفر قد يكون عن علم ويقين لا عن جهل، وهذا أشد أنواع الكفر وأعظمه جرما، لأن الجاحد بعد المعرفة يكون قد قابل النعمة بالجحود، ورد الحق بعد ظهوره، وهذا يبين أن العبرة في الإيمان ليست بالعلم فحسب، بل بالاستجابة والانقياد.

د. قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهَّ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقرر أن اللعنة الإلهية هي جزاء من كفر بعد البيان، وأنها ليست مجرد دعاء، بل هي طرد من رحمة الله، وهذا يبين أن الكفر بعد المعرفة يستحق أشد العقوبات، وأن الله لا يظلم أحدا، بل يجازي كل إنسان بما يستحق.

هـ. قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهَّ بَغْيًا﴾ يشير إلى أن الكفر كان بدافع البغي والحسد، لا بدافع الشبهة أو الجهل، فهم عرفوا الحق وكتموه، وآثروا الدنيا على الآخرة، فباعوا أنفسهم بثمن بخس، وهذا يبين أن البغي والحسد من أعظم دوافع الكفر والضلال.

و. قوله: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهَّ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يقرر أن النبوة فضل إلهي يمنحه الله لمن يشاء من عباده، وليست أمرا يخضع للوراثة أو العرق أو الاجتهاد البشري، وأن حسد بني إسرائيل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان بسبب أن النبوة خرجت من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، وهذا يبين أن الله يتصرف في ملكه كما يشاء، ولا معقب لحكمه.

ز. قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ يشير إلى أنهم استحقوا غضبا مضاعفا، لأنهم كفروا بالرسول الخاتم بعد أن كفروا بالرسل السابقين، فكل كفر يترتب عليه غضب جديد، وكل جحود يزيد في العقوبة، وهذا يبين أن الكفر ليس فعلا واحدا، بل هو تراكم للذنوب والجرائم.

ح. قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يقرر أن العذاب الإلهي للكافرين ليس مجرد ألم، بل هو إهانة وتحقير، لأنهم استكبروا عن الحق واحتقروا غيرهم، فجاءهم العذاب على سبيل الإذلال، وهذا يبين أن الكبر والاستكبار عن الحق يقابل بالإهانة في الدنيا والآخرة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يشير إلى أن المعرفة الحقة بالله لا تتعارض مع ما سبقها من المعارف الإلهية، بل تكملها وتصدقها، وأن القلب الصافي الذي تلقى أنوار الوحي السابق يكون مهيأ لتلقي الأنوار الجديدة، فالكتب السماوية كلها مراتب لنور واحد، ومن عرف الله حق معرفته لم يستنكر تجليات جديدة لنفس الحقيقة.

ب. قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الروح المؤمنة تستفتح بنور النبوة قبل ظهورها، وتستنصر بها على أعدائها من النفس والهوى، فالمؤمن الصادق يترقب الفتح الإلهي ويستعد له، وعندما يأتي الفتح قد يغفل عنه أو يجحده إذا لم تكن نفسه قد صفت وتخلت عن حظوظها.

ج. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ يشير إلى أن المعرفة القلبية إذا لم تقترن بالتسليم والانقياد تتحول إلى حجاب، فكم من عارف بالله يحجبه علمه عن الذوق، وكم من عالم يحجبه علمه عن الوصول، فالمعرفة التي لا تثمر محبة وخضوعا تكون وبالا على صاحبها.

د. قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الطرد من رحمة الله هو أعظم عقوبة، وأن القلب الذي يحجبه الكبر والحسد عن قبول الحق يكون محروما من أنوار الرحمة، فالحجاب الأكبر هو حجاب الكبر، وهو الذي منع إبليس من السجود لآدم.

هـ. قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا﴾ يشير إلى أن البغي والحسد من أمراض القلوب التي تحجب عن الله، وأن القلب السليم هو الذي يخلو من الحسد والبغي، فالحاسد لا

يرى فضل الله على غيره إلا غمّه ذلك، وهذا يمنعه من الاستفادة من فيوضات الله التي تصل إلى عباده.

و. قوله: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الفضل الإلهي لا يخضع للمعايير البشرية، فالله يختص برحمته من يشاء، والقلوب التي تتجرد عن الحسد وتستسلم لمشيئة الله تنال من هذا الفضل، أما القلوب التي تعترض على توزيع الله لفضله فتبقى محرومة.

ز. قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ يشير إلى أن القلب الذي يتراكم عليه الغضب الإلهي بسبب تكرار الذنوب يصبح أقسى وأبعد عن الله، وأن التزكية الحقيقية تتطلب تطهير القلب من كل ما يسبب غضب الله، فكل ذنب يزيد في حجاب القلب عن ربه.

ح. قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن العذاب الحقيقي هو الإهانة والبعد عن الله، وأن أشد العذاب هو أن يحرم القلب من لذة المناجاة والقرب، فالكافر المحجوب عن ربه يعيش في ذل روحي حتى لو كان ظاهره في نعيم.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين النصوص الدينية المتعاقبة، وأن التصديق بين الكتب السماوية يطرح إشكالا حول معيار الصدق في الدين، فإذا كان الكتاب الجديد مصدقا لما قبله، فهذا يعني أن هناك حقيقة دينية واحدة تتجلى في صور متعددة، وأن الاختلاف بين الأديان ليس في الجوهر بل في الشريعة والمنهج.

ب. قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن البشر يتعاملون مع النبوءات والأخبار الغيبية بشكل نفعي، فهم يستفتحون بها عند الحاجة، ولكنهم قد يجحدونها عندما تتحقق، وهذا يكشف عن طبيعة النفس البشرية التي تريد أن تتحكم في الحقيقة لا أن تخضع لها.

ج. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ يطرح إشكالا معرفيا حول العلاقة بين المعرفة والإرادة، فالمعرفة وحدها لا تكفي للفعل، بل لا بد من الإرادة والاختيار، وهؤلاء عرفوا الحق ولكن إرادتهم لم تنقد له بسبب دوافع نفسية كالحسد والبغي، وهذا يبين أن العقل ليس هو المحرك الوحيد للسلوك البشري.

د. قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العدالة الإلهية، فإذا كان الكافر قد عرف الحق وكفر به عن بغي وحسد، فإن استحقاقه للعنة يكون عادلا، لأن العقوبة هنا ليست على الجهل بل على العناد والاستكبار، وهذا ينسجم مع مبدأ أن المسؤولية الأخلاقية تقع على من يملك القدرة على المعرفة والاختيار.

هـ. قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الإنسان قد يبيع قيمته العليا مقابل منافع دنيوية زائلة، وأن هذا البيع هو خسارة وجودية، لأن الإنسان يفقد جوهره الإنساني عندما يخضع للحسد والبغي، وهذا يلتقي مع مفاهيم الفلسفة الوجودية حول الأصالة والتفرد.

و. قوله: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول مفهوم العدالة والمساواة، فإذا كان الله يختص برحمته من يشاء، فكيف نوفق بين هذا الاختصاص وبين عدالة الله؟ والجواب عند الفيلسوف أن العدالة الإلهية ليست مساواة حسابية، بل هي وضع كل شيء في موضعه، وأن اختصاص الله بفضله مبني على حكمة لا ندركها بعقولنا المحدودة.

ز. قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ يشير إلى أن الفعل الأخلاقي السيئ يترتب عليه آثار متصاعدة، وأن الإنسان الذي يصر على الخطأ يزيد في بعده عن الخير، وهذا يلتقي مع مفهوم التراكم الأخلاقي في الفلسفة، حيث أن كل فعل يترك أثرا في النفس يسهل تكراره أو يجعله أصعب.

ح. قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الكبرياء والإهانة، فالكافر المستكبر عن الحق يستحق الإهانة، لأن استكباره كان سببا في رفضه للحق، وهذا يبين أن الكبرياء الزائفة تقابل بالذل الحقيقي، وأن التواضع للحق هو طريق الكرامة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الصدق من أعظم القيم الأخلاقية، وأن التصديق بالحق واجب أخلاقي، فمن عرف الحق ثم جحده فقد خان الأمانة الأخلاقية، والتصديق بالكتب السماوية كلها يربي في الإنسان خلق الإنصاف والاعتراف بالحق أينما كان.

ب. قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يشير إلى أن الأخلاق الفاضلة تقتضي

الوفاء بالعهد، وهؤلاء كانوا يستفتحون بالرسول الخاتم قبل بعثته، فلما جاءهم نقضوا عهدهم وكفروا به، وهذا يبين أن نقض العهد من أسوأ الخصال الأخلاقية، وأن الإنسان يجب أن يكون صادقا مع نفسه قبل أن يكون صادقا مع غيره.

ج. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ يلفت نظر عالم الأخلاق إلى أن المعرفة الأخلاقية لا تكفي وحدها، بل لا بد من تطبيقها، فالعلم بالخير لا ينفع إذا لم يقترن بالفعل، وهؤلاء عرفوا الحق ولم يتبعوه، فكان علمهم حجة عليهم، وهذا يبين أن الأخلاق ليست نظرية بل ممارسة.

د. قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن الخيانة الأخلاقية تستحق العقاب، وأن من يخون الأمانة بعد معرفته بالحق يكون مستحقا للذم والطرد من رحمة الله، وهذا يبين أن الأخلاق لها جزاء، وأن الخيانة لا تمر دون عقاب.

هـ. قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الحسد والبغي من أخطر الأمراض الأخلاقية، لأنهما يدفعان الإنسان إلى إنكار الحق ومخالفة العدل، وأن الحاسد يظلم نفسه قبل أن يظلم غيره، لأنه يبيع قيمته الأخلاقية مقابل حسده لغيره.

و. قوله: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يشير إلى أن من الأخلاق الفاضلة الرضا بقضاء الله وقدره، وعدم الاعتراض على توزيع الله لفضله، فالحسد اعتراض على حكمة الله، والرضا بالقسمة الإلهية من علامات كمال الإيمان والأخلاق.

ز. قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ يبين أن التكرار في الخطأ يزيد في قبحه، وأن الإنسان الذي يصر على الخطأ ولا يتوب يكون قد جمع بين ذنبين: الذنب الأول والإصرار عليه، وهذا يضاعف من مسؤوليته الأخلاقية.

ح. قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الاستكبار عن الحق خلق ذميم يقابل بالإهانة، وأن التواضع للحق من أعظم الأخلاق، فمن تواضع للحق رفعه الله، ومن استكبر عنه أذله الله.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات

الدينية تتعامل مع النصوص الجديدة من خلال إطارها المعرفي السابق، وأن قبول النص الجديد أو رفضه يتأثر بالبنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع، فبنو إسرائيل كان لديهم تراث ديني، ولكنهم رفضوا الكتاب الجديد لأسباب اجتماعية ونفسية أكثر منها معرفية.

ب. قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يشير إلى أن الجماعات الدينية تستخدم المعتقدات الدينية كأداة للصراع مع الجماعات الأخرى، وكانوا يستفتحون بالرسول الخاتم على أعدائهم، ولكن عندما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وهذا يبين أن الدين قد يستخدم كأيديولوجيا للصراع، وليس كهدى للبشرية جمعاء.

ج. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الجماعات قد ترفض الحقائق الجديدة إذا كانت تهدد مصالحها أو مكانتها الاجتماعية، فبنو إسرائيل كانوا يخشون أن تفقد النبوة مكانتهم بين الأمم، فكفروا بها حفاظا على موقعهم الاجتماعي، وهذا يبين أن العوامل الاجتماعية قد تكون أقوى من العوامل المعرفية في تحديد مواقف الجماعات.

د. قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِّ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تجحد الحق بعد معرفته تتعرض للتفكك والانهيار، فاللعنة الإلهية تعني فقدان البركة والاستقرار، وهذا يظهر في تاريخ بني إسرائيل الذي اتسم بالاضطراب والتشتت بسبب جحودهم.

هـ. قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُّ بَغْيًا﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن البغي والحسد من العوامل التي تفتت المجتمعات، فالحسد الاجتماعي يؤدي إلى التنافس السلبي وعدم التعاون، ويحول المجتمع من كتلة متماسكة إلى أفراد متنافرين، وهذا يبين أن الأخلاق الاجتماعية لها أثر مباشر في تماسك المجتمع.

و. قوله: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُّ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تعترض على توزيع الله لفضله تكون مجتمعات حسودة، وهذا الاعتراض يمنعها من الاستفادة من الفضل الإلهي، فالمجتمع الذي يرضى بقسمة الله يكون مجتمعا متعاونا، والمجتمع الذي يحسد غيره يكون مجتمعا متصارعا.

ز. قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ يبين أن المجتمعات التي تتراكم عليها الذنوب تتعرض لعقوبات متتالية، وأن كل جحود جديد يزيد في غضب الله، وهذا يظهر في تاريخ الأمم التي كذبت رسلها،

حيث كانت تهلك بعد كل تكذيب.

ح. قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات التي تستكبر عن الحق تتعرض للذل والهوان، وأن الاستكبار الاجتماعي عن قبول الحق يؤدي إلى سقوط المكانة الاجتماعية، وهذا يظهر في أن بني إسرائيل الذين كانوا يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار أصبحوا مضرب المثل في الذل والهوان.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن التحالفات السياسية والدينية تقوم على المصالح، فبنو إسرائيل كانوا ينتظرون الرسول الخاتم ليستفتحوا به على أعدائهم، ولكن عندما جاءهم لم يتبعوه لأنهم رأوا أن مصلحتهم في عدم اتباعه، وهذا يبين أن السياسة قد تتحكم في المواقف الدينية.

ب. قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يشير إلى أن القوى السياسية تستخدم الدين كأداة لتحقيق أهدافها، وكان بنو إسرائيل يستخدمون فكرة الرسول المنتظر في صراعهم مع الكفار، وهذا يبين أن الدين قد يوظف سياسيا لتحقيق مكاسب، وليس للإيمان به لذاته.

ج. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ يلفت نظر عالم السياسة إلى أن القوى السياسية قد ترفض الحقائق إذا كانت تتعارض مع مصالحها، فبنو إسرائيل عرفوا أن محمدا رسول الله، ولكنهم كفروا به لأن إيمانهم به كان سيفقدهم مكانتهم السياسية والدينية، وهذا يبين أن المصلحة قد تغلب الحقيقة في السلوك السياسي.

د. قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن الأنظمة السياسية التي تبني على الكفر والجحود تتعرض للزوال، فاللعنة الإلهية تعني فقدان التأييد الإلهي، وهذا يؤدي إلى الانهيار مهما كانت قوة النظام.

هـ. قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا﴾ يجد فيه عالم السياسة أن البغي والحسد من دوافع الصراع السياسي، فبنو إسرائيل حسدوا النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم على النبوة، وحسدوا العرب على هذا الفضل، وهذا الحسد السياسي دفعهم إلى معاداة الإسلام، وهذا يبين أن الحسد قد يكون دافعا للصراع السياسي.

و. قوله: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يشير إلى أن القيادة السياسية والدينية ليست حقا لأحد دون غيره، بل هي فضل إلهي يمنحه الله لمن يشاء، وأن الاعتراض على هذا التوزيع يعتبر اعتراضا على حكمة الله، وهذا يبين أن الشرعية السياسية في الإسلام تستمد من الله وليس من الوراثة أو العرق.

ز. قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ يبين أن السياسة القائمة على الجحود والكفر تتراكم عليها العقوبات، وأن كل موقف سلبي من الحق يزيد في غضب الله، وهذا يؤدي إلى تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية.

ح. قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الاستكبار السياسي عن الحق يقابل بالذل والهوان، فالدول التي تستكبر عن رسالات الله تتعرض للهزيمة والذل، وهذا يظهر في تاريخ الأمم التي عادت رسلها.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن المنظمات الناجحة هي التي تستفيد من الخبرات السابقة وتبني عليها، فالكتاب الجديد جاء مصدقا لما قبله، وهذا يعني أن التطوير لا يعني هدم القديم، بل البناء عليه، والإدارة الناجحة هي التي تدمج الجديد مع القديم بشكل متوازن.

ب. قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يشير إلى أن المنظمات قد تضع خططا استراتيجية بناء على توقعات مستقبلية، وكان بنو إسرائيل يخططون للاستفتاح بالرسول الخاتم، ولكن عندما تحقق ما كانوا يتوقعون لم يكونوا مستعدين لقبوله، وهذا يبين أن التخطيط الاستراتيجي يجب أن يكون مرنا وقابلا للتعديل.

ج. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ يلفت نظر عالم الإدارة إلى أن المنظمات قد ترفض الحلول الجديدة حتى لو كانت تعرفها، بسبب مقاومة التغيير، فبنو إسرائيل عرفوا أن محمدا رسول الله، ولكنهم رفضوه بسبب تمسكهم بالوضع القائم، وهذا يبين أن مقاومة التغيير من أكبر المعوقات الإدارية.

د. قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن المنظمات التي ترفض التطوير والتغيير تتعرض

للفشل والانهيار، فاللعنة هنا تعني فقدان البركة والنجاح، وهذا يظهر في أن بني إسرائيل الذين رفضوا الرسول الخاتم تعرضوا للذل والهوان.

هـ. قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الحسد التنافسي السلبي يدمر المنظمات، فبنو إسرائيل حسدوا النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم على النبوة، وهذا الحسد دفعهم إلى رفضه، وهذا يبين أن التنافس الإيجابي يطور المنظمات، أما التنافس السلبي القائم على الحسد فيدمرها.

و. قوله: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يشير إلى أن القيادة الإدارية ليست حقا مكتسبا بالوراثة أو الأقدمية، بل هي تكليف واختيار، وأن الاعتراض على اختيار الله لمن يشاء يعتبر اعتراضا على الحكمة الإلهية، وهذا يبين أن القيادة الناجحة هي التي تستمد شرعيتها من الله وترضى بقضائه.

ز. قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ يبين أن الأخطاء الإدارية المتراكمة تؤدي إلى نتائج كارثية، فكل خطأ جديد يضاف إلى الأخطاء السابقة، وهذا يؤدي إلى تدهور المنظمة بشكل متسارع، والإدارة الناجحة هي التي تتعلم من أخطائها ولا تكررها.

ح. قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن المنظمات التي تستكبر عن النصح والتوجيه تتعرض للفشل والذل، فالاستكبار عن قبول الحق يؤدي إلى الهلاك، والمنظمة الناجحة هي التي تتواضع لقبول النصائح والتوجيهات.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الإنسان يحتاج إلى الاتساق المعرفي، فبنو إسرائيل كان لديهم معرفة سابقة بالرسول الخاتم، وعندما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وهذا خلق لديهم تنافرا معرفيا، وهذا التنافر يسبب اضطرابات نفسية، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش مع التناقض بين ما يعرفه وما يفعله.

ب. قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يشير إلى أن الإنسان قد يبني آماله وتوقعاته على أشياء معينة، وعندما تتحقق هذه التوقعات بشكل مختلف عما كان يتوقع، قد يصاب بخيبة

أمل، وكان بنو إسرائيل يتوقعون رسولا من بني إسرائيل، فلما جاء من بني إسماعيل أصيبوا بخيبة أمل دفعتهم إلى الكفر.

ج. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ يلفت نظر الطبيب النفسي إلى أن الحسد من أعمق الاضطرابات النفسية، فالحاسد يعيش في حالة من عدم الرضا الدائم، ولا يستطيع أن يفرح بفضل الله على غيره، وهذا الحسد دفع بني إسرائيل إلى الكفر بالرسول الخاتم، وهذا يبين أن الحسد مرض نفسي خطير.

د. قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يشير إلى أن الشعور بالطرد والرفض من أشد الآلام النفسية، واللعنة الإلهية تخلق لدى الإنسان شعورا بالعزلة والحرمان، وهذا الشعور يؤدي إلى الاكتئاب والقلق، وهذا ما أصاب بني إسرائيل الذين عاشوا في ذل وهوان بسبب كفرهم.

هـ. قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن البغي والحسد من مسببات الاضطرابات النفسية، فالإنسان الذي يعيش في حالة من البغي والحسد يعيش في توتر دائم، ولا يستطيع أن يستمتع بالحياة، وهذا يبين أن الصحة النفسية تتطلب التخلص من الحسد والبغي.

و. قوله: ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يشير إلى أن الاعتراض على قدر الله يسبب اضطرابات نفسية، فالإنسان الذي لا يرضى بقضاء الله يعيش في حالة من التمرد والقلق، أما الإنسان الذي يرضى بقضاء الله فيعيش في طمأنينة وسكينة، وهذا ما يؤكده علم النفس الحديث أن الرضا بالقضاء يقلل من القلق والاكتئاب.

ز. قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ يبين أن تراكم الذنوب والمعاصي يزيد في الاضطرابات النفسية، فكل ذنب جديد يزيد في الشعور بالذنب والقلق، وهذا يؤدي إلى تدهور الصحة النفسية، والعلاج يكون بالتوبة والاستغفار.

ح. قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الشعور بالإهانة من أشد الآلام النفسية، والكافر الذي استكبر عن الحق يعيش في حالة من الإهانة النفسية، وهذا الشعور يؤدي إلى اضطرابات نفسية شديدة، والعلاج يكون بالتواضع وقبول الحق.

تاسعا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يجد فيه المؤرخ أن القرآن الكريم يؤكد استمرارية الرسالات السماوية، وأن الإسلام ليس دينا جديدا منقطعا عن التاريخ، بل هو حلقة في سلسلة الرسالات التي بدأت بآدم عليه السلام، وهذا يفسر لنا لماذا كان القرآن يخاطب بني إسرائيل بما عندهم من كتب، لأنها كانت حجة عليهم.

ب. قوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن بني إسرائيل كانوا ينتظرون رسولا يأتي بكتاب جديد، وكانوا يستفتحون به على أعدائهم، وهذا يدل على أن فكرة الرسول المنتظر كانت موجودة في اليهودية، وأن اليهود استخدموها في صراعاتهم مع الأمم الأخرى، وهذا يفسر لنا بعض جوانب التاريخ اليهودي.

ج. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ يشير إلى أن بني إسرائيل عرفوا النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم كفروا به حسدا وبغيا، وهذا يفسر لنا العداء التاريخي لليهود للإسلام، وأن هذا العداء ليس بسبب الجهل، بل بسبب الحسد والعناد.

د. قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يجد فيه المؤرخ أن اللعنة الإلهية على بني إسرائيل تفسر لنا تاريخهم المضطرب، فقد تعرضوا للسبي والشتات والذل عبر التاريخ، وهذا ما نراه في الواقع التاريخي لليهود، حيث عانوا من الاضطهاد في كثير من البلدان.

٣٦. إيمان بني إسرائيل بما معهم وكفرهم بما وراءه رغم تصديقه:

المقطع [٣٦] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ يدل على أن الإيمان المطلوب هو الإيمان بجميع ما أنزل الله دون تجزئة أو انتقاء، وأن من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه فليس بمؤمن حقيقة، لأن الإيمان بالله يقتضي الإيمان بكل ما جاء من عنده.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يكشف عن تناقض بين الدعوى والواقع، فهم يدّعون

الإيمان بالتوراة ثم يكفرون بما جاء مصدقا لها، وهذا يدل على أن إيمانهم لم يكن إيمانا حقيقيا بالتوراة نفسها، وإلا لآمنوا بما يصدقها ويوافقها.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يبين أن الكفر بالقرآن هو كفر بالحق الذي يشهد بصدق ما عندهم، فكان كفرهم بالقرآن تكذيبا ضمنيا لما بأيديهم، لأن التصديق بين الكتب يلزم منه الإيمان بالجميع.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يبرز أن الإيمان الحقيقي يقتضي التسليم المطلق للأنبياء، فمن يقتل الأنبياء وهو يزعم الإيمان بما أنزل عليهم يكشف كذب دعواه، لأن قتل الأنبياء يناقض الإيمان بهم وبما جاؤوا به.

هـ. الآية تدل على أن الإيمان ليس مجرد إقرار لفظي أو تمسك بالتراث، بل هو الانقياد العملي للحق أينما كان، وأن من يدعي الإيمان بكتاب ثم يرفض ما يصدقه من عند الله فهو متناقض في عقيدته.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يشير إلى أن الإيمان عند الصوفي هو انفتاح القلب على كل فيض إلهي نازل، وليس توقفا عند حد معين، فالمؤمن الصادق يتلقى الحق من أي مشكاة جاء، ولا يحصر الهداية في تجربته الخاصة.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يمثل عند الصوفي حالة الجمود والوقوف عند الرسوم والظواهر، وهي حالة تمنع صاحبها من الترقي في مدارج المعرفة، لأن القلب إذا تعلق بصورة معينة من الحق حجبه ذلك عن رؤية الحق في صور أخرى.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الحقيقة الإلهية واحدة، وأن كل ما جاء من عند الله يصدق بعضه بعضا، فمن ذاق حلاوة الإيمان لا يفرق بين مشارب الحق، بل يرى الجميع من مشكاة واحدة.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن قتل الأنبياء هو قتل للروح الحية في القلوب، فالأنبياء عندهم هم حملة الأسرار الإلهية، ومن يقتلهم بإنكاره أو بمعارضته إنما يقتل بذرة الحياة الروحية في نفسه.

هـ. الآية تدل على أن الإيمان الصادق يقتضي التخلي عن التعصب والانغلاق، والتحلي بالانفتاح على كل ما هو حق، لأن الحقيقة لا تتجزأ، ومن تمسك بجزء منها وكفر بجزء آخر فقد خسر الكل.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول معيار الحقيقة، فهل الحقيقة فيما ورثناه من تقاليد أم فيما يصلنا من براهين جديدة؟ والآية تدعو إلى قبول الحق أينما كان، حتى لو جاء من خارج الإطار المألوف.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يمثل موقف التعصب المعرفي الذي يرفض كل ما يخالف الموروث، وهذا موقف غير فلسفي، لأن الفلسفة تقوم على النقد والتمحيص، وليس على التقليد الأعمى.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الحقيقة والتاريخ، فالحقيقة لا تتقيد بزمان أو مكان، وما دام الحق مصدقا لما معهم، فرفضه رفض للحقيقة نفسها، وهذا تناقض منطقي.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يدعو الفيلسوف إلى التأمل في التناقض بين القول والفعل، فمن يدعي الإيمان بالرسل ثم يقتلهم يكشف عن خلل في منظومته المعرفية، لأن الإيمان الحقيقي يستلزم سلوكا متناسقا معه.

هـ. الآية تطرح إشكالا معرفيا حول إمكانية الجمع بين الإيمان بالتراث ورفض الجديد، فالموقف الفلسفي السليم يقتضي قبول كل ما هو حق، والتحقق من صحة الأدلة، لا رفضها لمجرد أنها خارجة عن المألوف.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ يدل على أن الأخلاق الفاضلة تقتضي الانقياد للحق والعدل أينما كانا، وأن من يلتزم بالأخلاق انتقائيا حسب هواه ليس على خلق كريم، بل هو متبع لهواه.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يكشف عن خلل أخلاقي خطير، وهو الأنانية المعرفية التي تجعل الإنسان يحكم على الأشياء بمصدرها لا بحقيقتها، وهذا يتنافى مع خلق الإنصاف الذي يقتضي الحكم بالحق بغض النظر عن قائله.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يبرز أن الكفر بالحق بعد ظهوره وتبينه ليس مجرد خطأ معرفي، بل هو انحراف أخلاقي، لأن الإنسان يعرف الحق ثم يجحده، والجحود بعد المعرفة من أقبح الأخلاق.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يفضح التناقض بين الأقوال والأفعال، فمن يدعي الإيمان ثم يقتل الأنبياء يكشف عن انفصام بين منظومته القيمية وسلوكه الفعلي، وهذا من أخطر الأمراض الأخلاقية.

هـ. الآية تعلم أن الأخلاق الحقة هي التي تجعل الإنسان متسقا مع نفسه، صادقا في دعواه، منصفا في أحكامه، لا يفرق بين الحق في موضع ويرفضه في موضع آخر.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يشير إلى أن المجتمعات المتصلبة التي ترفض كل ما هو جديد تعيش في عزلة معرفية، وتحرم نفسها من التطور والتفاعل مع الحضارات الأخرى، وهذا يؤدي إلى الجمود والانحطاط.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يمثل ظاهرة التعصب الجماعي والانغلاق الثقافي، حيث يرفض المجتمع كل ما لا ينتمي إلى تراثه، حتى لو كان حقا، وهذا يضعف قدرته على التجديد والاستجابة للمتغيرات.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن رفض الحق الجديد الذي يصدق القديم هو موقف غير عقلاني اجتماعيا، لأنه يفوت على المجتمع فرصة التكامل المعرفي والاستفادة من كل ما هو نافع.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يكشف عن أن المجتمعات التي تقتل مصلحيها وأنبياءها إنما تقتل نخبتها الإصلاحية، وهذا يؤدي إلى حرمانها من القيادة الحكيمة، ويجعلها عرضة للانهيار والتفكك.

هـ. الآية تدل على أن المجتمعات الناجحة هي التي تنفتح على الحق من أي جهة جاء، وتقبل النقد البناء، وتحتفي بمصلحيها بدلا من محاربتهم، لأن في ذلك بقاءها واستمرارها.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن القبول بالحق والعدل يجب أن يكون فوق كل اعتبار، وأن السياسة التي ترفض الحق لمجرد أنه جاء من جهة أخرى هي سياسة متعصبة فاشلة.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يمثل موقف العصبية القبلية أو الحزبية في السياسة، حيث يرفض الحزب أو الدولة كل ما لا ينتمي إليه، حتى لو كان صوابا، وهذا يضر بالمصلحة العامة.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يبين أن رفض الحق الذي يصدق الموجود هو موقف غير حكيم سياسيا، لأن القبول به لا يلغي الموجود بل يعززه، ورفضه يفوت على الدولة فرص التحالف والتكامل.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يحذر من مغبة تصفية المعارضين والمصلحين، فقتل الأنبياء والمصلحين هو قتل للضمير الحي في الأمة، ويؤدي إلى سيطرة الفساد والظلم.

هـ. الآية تضع معيارا للسياسة الرشيدة، وهو قبول الحق والحكمة أينما وجدت، وعدم رفضها لمجرد أنها صادرة من جهة أخرى، لأن المصلحة العامة فوق كل اعتبار حزبي أو عرقي.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن المنظمة الناجحة هي التي تقبل الأفكار الجديدة والحلول المبتكرة أينما جاءت، ولا ترفضها لمجرد أنها لم تنشأ من داخلها.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يمثل ظاهرة الانغلاق التنظيمي، حيث ترفض الإدارة كل ما هو خارج عن ثقافتها الداخلية، وهذا يحرمها من الاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم الناجحة.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يبين أن رفض الحلول الجديدة التي تتفق مع القائم وتدعمه هو موقف غير عقلاني إداريا، فالقبول بها يحسن الأداء ولا يهدد الاستقرار.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يحذر من مغبة إقصاء الكفاءات والمبدعين في المؤسسات، فمن يقتل أفكار المصلحين أو يهمشهم إنما يقتل روح الابتكار والتطوير في المنظمة.

هـ. الآية تعلم أن الإدارة الحكيمة هي التي تتبنى أفضل الممارسات أينما كانت، وتحتفي بأصحاب

الأفكار الجديدة، ولا ترفض التغيير لمجرد الخوف من المجهول أو التمسك بالمألوف.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يشير إلى أن الصحة النفسية تقتضي الانفتاح على الخبرات الجديدة وتقبلها، فالانغلاق المعرفي يسبب القلق والتوتر، بينما الانفتاح يمنح الإنسان مرونة نفسية.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يمثل حالة التصلب النفسي والتمسك بالمعتقدات القديمة خوفا من التغيير، وهذا التصلب يعد مؤشرا على اضطراب نفسي، لأنه يمنع النمو والتكيف.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يبين أن رفض الحقيقة الجديدة التي تؤكد القديم هو سلوك غير منطقي، وقد يشير إلى وجود دفاعات نفسية غير سوية تحمي الإنسان من مواجهة الواقع.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يكشف عن التناقض الداخلي الذي يعاني منه الإنسان عندما تكون أقواله مخالفة لأفعاله، وهذا التناقض يولد صراعا نفسيا شديدا.

هـ. الآية تدل على أن الاتساق بين المعتقد والسلوك هو أساس الصحة النفسية، وأن من يعيش في تناقض بين ما يؤمن به وما يفعله يعاني من اضطراب نفسي حاد.

تاسعا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يوجه المربي إلى تعليم الطلاب قيمة الانفتاح المعرفي، وأن الحقيقة لا تحتكرها جهة دون أخرى، وأن طالب العلم يجب أن يتقبل الحق من أي مصدر جاء.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يحذر من تربية الطلاب على التعصب للموروث ورفض كل ما هو جديد، فهذه تربية تنتج عقولا مغلقة لا تقبل النقد ولا تتقبل الاختلاف.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يعلم المربي أن رفض الجديد الذي يصدق القديم هو موقف غير علمي، فالمنهج العلمي يقتضي قبول كل ما ثبت بالدليل، حتى لو خالف المألوف.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يوجه المربي إلى ضرورة تربية الطلاب على الاتساق بين الأقوال والأفعال، وأن يكونوا صادقين مع أنفسهم أولا، فلا يدعون شيئا ثم

يخالفونه.

هـ. الآية تربي في الطلاب خلق الإنصاف العلمي، وهو أن يحكموا على الأفكار بحقيقتها لا بمصدرها، وأن يتقبلوا النقد البناء، وأن يكونوا منفتحين على كل ما هو حق وخير.

عاشرا - إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ يوجه القاضي إلى أن العدل يجب أن يكون فوق كل اعتبار، وأن يقبل الأدلة والحجج أينما جاءت، ولا يرفضها لمجرد أنها صادرة من جهة معينة.

ب. قوله: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يحذر من التعصب للمذهب أو المدرسة الفقهية الواحدة، ورفض كل ما خالفها، فهذا يضيق على القاضي مجال الاجتهاد ويحرمه من الاستفادة من آراء الآخرين.

ج. قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يبين أن رفض الأدلة الشرعية الصحيحة التي توافق الموجود وتؤيده هو موقف غير سليم قضائيا، فالقبول بها يحقق العدالة ولا يخالف الشرع.

د. قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يحذر القاضي من أن يكون سببا في إهلاك الحق وأهله، فمن يظلم المصلحين أو يحكم ضدهم بغير حق إنما يقتل الأنبياء في معناها الرمزي.

هـ. الآية تضع معيارا للقضاء العادل، وهو الحكم بالحق المبين، والإنصاف في القول والفعل، وعدم التفرقة بين الناس بسبب أصولهم أو مذاهبهم، لأن العدل أساس الملك.

٣٧. اتخاذ بني إسرائيل العجل ونقض الميثاق:

المقطع [٣٧] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٢-٩٣]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا - إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ يشير إلى أن اتخاذ العجل لم يكن مجرد خطأ عابر، بل كان ظلما متعمدا، إذ أنهم أقدموا عليه بعد أن شاهدوا البينات والمعجزات، فكان فعلهم تكذيبا

عمليا لما شهدوه، وهذا يبين أن الكفر بعد البيان أشد جرما من الكفر قبل البيان.

ب. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يدل على أن الميثاق كان مؤكدا بآيات قاهرة، فرفع الجبل فوقهم كان إرغاما لهم على قبول التوراة، ومع ذلك نقضوه، وهذا يثبت أن العهد مع الله ليس مجرد التزام لفظي، بل هو التزام عملي يلزم الوفاء به مهما كانت الظروف.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يفيد أن أخذ الشريعة لا يكون بالتساهل أو التهاون، بل بالقوة والعزيمة والجد، وأن التلقي الصحيح للوحي يتطلب استعدادا نفسيا وعمليا، وإلا كان الأخذ صوريا بلا روح.

د. قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يصور حالة التناقض بين الإقرار اللساني والمعصية الفعلية، وهذا يشير إلى أن الإيمان ليس مجرد قول باللسان، بل هو تصديق القلب وعمل الجوارح، ومن قال بلسانه وخالف بفعله فهو منافق أو عاصٍ.

هـ. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يدل على أن عبادة العجل لم تكن مجرد سلوك خارجي مؤقت، بل تغلغلت في قلوبهم حتى صارت حبا راسخا، وهذا يبين أن المعصية إذا تكررت صارت طبعا وسجية، وأن القلب يتشرب ما يعتاده من خير أو شر.

و. قوله: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقرر أن الإيمان الحق لا يأمر بالمعصية، فإذا كان إيمانهم يأمرهم بعبادة العجل، فهذا دليل على فساد إيمانهم، فالإيمان الصحيح مصدره الوحي لا الهوى.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يشير إلى أن للقلب قابلية للتشرب بالمعاني، كما يتشرب الإناء ما يوضع فيه، فإذا تشرب القلب حب العجل فقد أفسد فطرته، وإذا تشرب حب الله فقد صفا وطهر، وهذا يبين أن التزكية القلبية هي جوهر الإيمان.

ب. قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يرمز إلى حال القلب الذي يسمع الوعظ والإرشاد ثم يعصي، وهذا عند الصوفي من علامات الغفلة وقسوة القلب، فالسماع الحقيقي هو سماع القلب الذي يثمر طاعة، لا سماع الأذن المجرد.

ج. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن أخذ الشريعة بقوة يعني الأخذ بجد واجتهاد ومجاهدة، وهو ما يعرف عندهم بمقام المجاهدة الذي يسبق المشاهدة، فلا يصل العبد إلى المقامات العالية إلا بأخذ العزائم بقوة.

د. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يشير إلى أن العبودية الحقة هي عبودية اختيار لا إكراه، فالله رفع الجبل فوقهم ليقبلوا الميثاق إكراها، لكن العبد الصادق يقبل على الله طوعا ومحبة، وهذا هو مقام الإحسان الذي يعبد الله كأنه يراه.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين المعجزة والبرهان، فالبينات هي الأدلة الواضحة التي تقدمها النبوة، وهي عند الفيلسوف تقابل البراهين العقلية، لكنها تتفوق عليها بأنها تأتي من مصدر إلهي مباشر.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول طبيعة الإنسان، فهو كائن يرى الحقيقة ثم ينحرف عنها، وهذا يبين أن المعرفة وحدها لا تكفي لتقويم السلوك، بل هناك إرادة وهوى يؤثران في الفعل، وهذه إشارة إلى أزمة الفلسفة الأخلاقية التي تفترض أن المعرفة تؤدي بالضرورة إلى الفضيلة.

ج. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن المعتقدات الخاطئة لا تبقى في العقل فقط، بل تنفذ إلى الوجدان وتصبح جزءا من تكوين الإنسان النفسي، وهذا يفسر صعوبة تغيير العقائد الباطلة، لأنها ليست مجرد أفكار بل مشاعر واتجاهات.

د. قوله: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ يثير قضية نقد العقل العملي، فالإيمان الذي يأمر بالباطل ليس إيمانا صحيحا، وهذا يعني أن هناك معيارا للتمييز بين الإيمان الحق والإيمان الزائف، وهو موافقة الوحي وعدم مخالفته للفطرة السليمة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ يحدد الطبيعة الأخلاقية لفعل اتخاذ العجل، فهو ظلم لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها، والظلم في المنظور الأخلاقي القرآني هو وضع الشيء في غير موضعه، وأعظمه

الشرك بالله.

ب. قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يمثل نموذجا للانفصال بين القول والفعل، وهو من أسوأ الأخلاق، فالمؤمن الصادق يقول ما يفعل ويفعل ما يقول، والتناقض بين السماع والطاعة هو علامة النفاق الخلقي.

ج. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يشير إلى أن الأخلاق ليست سلوكا ظاهريا فقط، بل لها جذور في القلب، فالذنوب إذا تكررت صارت أخلاقا راسخة، وهذا يبين أن التربية الأخلاقية لا بد أن تبدأ من القلب قبل الجوارح.

د. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يفيد أن الالتزام الأخلاقي لا يكون بالضعف والتردد، بل بالقوة والعزيمة، والأخلاق الفاضلة تحتاج إلى قوة إرادة تصمد أمام المغريات، وهذا ما يسميه علماء الأخلاق بالفضيلة التي هي ملكة راسخة.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يبين أن المجتمعات قد تنحرف عن قيمها بعد رحيل قادتها، فبعد خروج موسى للقاء ربه، انحرفوا سريعا، وهذا يشير إلى أن استقرار المجتمع يحتاج إلى مؤسسات تحفظ القيم، لا إلى شخص واحد فقط.

ب. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يدل على أن المجتمعات تحتاج إلى قوة ملزمة لتقبل الشرائع، سواء كانت هذه القوة من الخوف أو من الاقتناع، لكن الاقتناع الداخلي هو الأبقى أثرا، لأن الإكراه الخارجي لا يغير القلوب.

ج. قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يمثل حالة من النفاق الاجتماعي، حيث يظهر الأفراد القبول ثم يخالفون في السر، وهذا يضعف التماسك الاجتماعي، لأن الثقة بين أفراد المجتمع تنهار عندما يكتشفون أن الأقوال لا تطابق الأفعال.

د. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يشير إلى أن الانحرافات الاجتماعية إذا استمرت تتحول إلى ثقافة راسخة تنتقل بين الأجيال، فحب العجل لم يكن حدثا عابرا، بل صار جزءا من هويتهم الجمعية، وهذا يفسر صعوبة إصلاح المجتمعات المنحرفة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يبين أن غياب القائد المؤسس قد يؤدي إلى انحراف الأمة، فموسى لما غاب عنهم اتخذوا العجل، وهذا يشير إلى ضرورة وجود نظام سياسي يحفظ الأمة في غياب القادة، ويمنع الفراغ القيادي.

ب. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يلفت نظر عالم السياسة إلى أن الشرعية السياسية في المنظور القرآني تقوم على الميثاق، لكن الميثاق الذي يُفرض بالإكراه لا يدوم، أما الميثاق الذي يقوم على الاقتناع والبيعة الحرة فهو الأبقى.

ج. قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يمثل نموذجا للمعارضة غير البناءة، حيث يظهر الأفراد الطاعة ثم يعصون، وهذا يضعف الدولة ويجعلها غير قادرة على تنفيذ سياساتها، فالطاعة الظاهرية مع المعصية الباطنة أخطر من المعصية المعلنة.

د. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يشير إلى أن الانحراف السياسي لا يبقى في السطح، بل يتغلغل في قلوب الناس وعقولهم، فإذا قبل المجتمع فكرة عبادة العجل صارت جزءا من ثقافته السياسية، وهذا يجعل الإصلاح السياسي يحتاج إلى تغيير ثقافي عميق.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يجد فيه المدير مبدأ أساسيا في إدارة التغيير، وهو أن تطبيق الأنظمة الجديدة يحتاج إلى قوة وحزم، لأن التهاون في التطبيق يؤدي إلى فشل النظام، كما أن القوة هنا تعني الجدية والالتزام لا القسوة.

ب. قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يمثل مشكلة شائعة في المؤسسات، وهي ظاهرة الموظف الذي يوافق على التعليمات ثم يخالفها، وهذا يستدعي من الإدارة بناء أنظمة رقابية فعالة، وتغيير الثقافة المؤسسية التي تسمح بهذا السلوك.

ج. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يشير إلى أن الثقافة التنظيمية السلبية إذا ترسخت في المؤسسة يصعب تغييرها، فكما تشربت قلوب بني إسرائيل حب العجل، كذلك قد تتشرب المؤسسات قيما سلبية تجعل الإصلاح صعبا، وهذا يتطلب إعادة هيكلة شاملة لا مجرد تعديلات سطحية.

د. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يذكر المدير بأن الالتزام بالأنظمة قد يكون ناتجا عن الخوف من العقاب، لكن الالتزام الحقيقي الناتج عن الاقتناع هو الأكثر استدامة، لذا على الإدارة أن تعمل على بناء ثقافة الالتزام الداخلي لا الخوف الخارجي.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي وصفا دقيقا لآلية تكوين الاعتقاد المرضي، فكما أن الإنسان قد يتشرب أفكارا خاطئة حتى تصبح جزءا من هويته، كذلك يعاني المرضى النفسيون من أفكار تلقائية سلبية ترسخت في اللاوعي.

ب. قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يمثل حالة من التنافر المعرفي، حيث يعرف الإنسان الصواب ثم يخالفه، وهذا التناقض بين المعرفة والسلوك يولد قلقا نفسيا وصراعا داخليا، وهو ما يسمى في علم النفس بالتنافر المعرفي الذي يسبب اضطرابات نفسية.

ج. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ يشير إلى أن الشعور بالظلم أو ارتكاب الظلم له آثار نفسية عميقة، فالظالم يعاني من مشاعر الذنب والقلق، وقد تتحول هذه المشاعر إلى أمراض نفسية إذا لم يعالجها بالتوبة والاستغفار.

د. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يفيد أن الصحة النفسية تحتاج إلى قوة إرادة وعزيمة، فالتردد والضعف في اتخاذ القرارات من علامات الاضطراب النفسي، أما الثبات والقوة في الالتزام بالمبادئ فيمنح الإنسان اتزانا نفسيا.

تاسعا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يشير إلى أن التاريخ الديني لبني إسرائيل كان مليئا بالمعجزات والآيات، لكن هذه البينات لم تمنعهم من الانحراف، وهذا يبين أن المعجزات وحدها لا تضمن استقامة الأمم، بل هناك عوامل أخرى تتعلق بالإرادة والاختيار.

ب. قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يسجل حادثة تاريخية مهمة في تاريخ بني إسرائيل، وهي عبادتهم للعجل بعد خروجهم من مصر، وهذه الحادثة تفسر الكثير من ملامح شخصيتهم التاريخية، وتظهر ميلهم للانحراف السريع عن التوحيد.

ج. قوله (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ) يوثق حدثا تاريخيا فريدا، وهو رفع الجبل فوقهم كتهديد لإلزامهم بالميثاق، وهذا الحدث يظهر في التاريخ الديني كدليل على عنادهم، وأنهم لم يقبلوا الشريعة إلا تحت الإكراه.

د. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يفسر للمؤرخ استمرار بعض الممارسات الوثنية في تاريخ بني إسرائيل، فحب العجل الذي تشربته قلوبهم لم يختفِ بسهولة، بل ظهر في فترات لاحقة من تاريخهم، وهذا يبين أن الأفكار الدينية المنحرفة لها استمرارية تاريخية طويلة.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يوجه المربي إلى أن التعليم لا يكون بالتساهل، بل يحتاج إلى جدية والتزام، فالطالب الذي يتلقى العلم بقوة وعزيمة يحقق نتائج أفضل، والتربية الناجحة تقوم على الجد والاجتهاد لا على التهاون.

ب. قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يحذر المربي من ظاهرة الطالب الذي يسمع الدرس ثم لا يطبقه، فهذا انفصال بين المعرفة والسلوك، وعلى المربي أن يتابع تطبيق المتعلمين لما تعلموه، وأن يربط العلم بالعمل.

ج. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يشير إلى أن التربية بالقدوة والممارسة أعمق أثرا من التربية بالقول فقط، فبنو إسرائيل لم يتشربوا حب العجل بمجرد رؤيته، بل بممارسة عبادته، لذا على المربي أن يربي بالعمل لا بالكلام فقط.

د. قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يذكر المربي بأن التربية بالإكراه والتهديد لا تنتج التزاما حقيقيا، فالطلاب الذين يتعلمون تحت التهديد لا يستمرون في التعلم بعد زوال التهديد، أما التربية بالاقتناع والمحبة فهي الأبقى أثرا.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ يبين أن القاضي يجب أن يميز بين الظلم والخطأ غير المقصود، فبنو إسرائيل كانوا ظالمين لأنهم اتخذوا العجل بعد البينات عن علم وعمد، وهذا يفرق في الأحكام بين المعصية عن جهل والمعصية عن عناد.

ب. قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ يشير إلى أن الإقرار بالسماع مع المعصية يعتبر إقرارا بالجريمة، فمن اعترف بأنه سمع الأمر وعصاه فقد أثبت مخالفته، وهذا يفيد القاضي في مسائل الإقرار والاعتراف.

ج. قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يلفت نظر القاضي إلى أن الجرائم التي تنبع من معتقدات راسخة في القلوب أشد خطرا من الجرائم العابرة، لأن مرتكبها يعتقد أنها حق، وهذا يجعل عقوبته أشد، كما أن إصلاحه أصعب.

د. قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يذكر القاضي بأن تطبيق الأحكام يحتاج إلى قوة وحزم، فالقاضي الذي يتردد في تطبيق الحق يضعف هيبة العدالة، أما القاضي الذي يأخذ الأحكام بقوة وعزم فيحقق العدل ويحفظ النظام.

٣٨. ادعاء النجاة في الآخرة وكذبهم في ذلك وحرصهم على الحياة:

المقطع [٣٨] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٦]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ يتضمن تحديا عقائديا واضحا، إذ أن دعوى اختصاص اليهود بالجنة دون غيرهم هي دعوى باطلة تحتاج إلى برهان، والتحدي بتمني الموت هو المحك الذي يميز الصادق من الكاذب، لأن من أيقن أنه من أهل الجنة لا يخاف الموت بل يتمناه، ومن كان كاذبا في دعواه يفر منه أشد الفرار.

ب. قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يقرر سنة كونية في باب العقيدة، وهي أن الكاذب في دعواه لا يستجيب لمقتضى دعواه، وأن الأعمال السيئة تحول بين صاحبها وبين تمني الموت، لأن النفس تعلم أن وراء الموت حسابا وعقابا، وهذا يدل على أن الأعمال لها أثر حقيقي في تصديق الدعاوى أو تكذيبها.

ج. قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يبين أن علم الله محيط بكل ما يقدمه العباد من أعمال، وأن الظلم لا يخفى عليه سبحانه، وهذا من أصول العقيدة في الإيمان بعلم الله الشامل، وأنه سيحاسب الظالمين على ظلمهم مهما طال بهم الأمد.

د. قوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ يؤكد أن رؤية الله لأعمال عباده ليست رؤية مجردة، بل هي رؤية دقيقة محيطة بكل التفاصيل، وأن هذه البصيرة الإلهية هي التي ستكون أساس الجزاء في الآخرة، فمن عمل خيرا سيجده ومن عمل شرا سيجده.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يشير إلى أن الصدق في الإيمان يبلغ بالعبد مقام الرضا بالقضاء، حتى يصير الموت عنده لقاء محبوبا لا فراقا مكروها، فالصوفي الصادق لا يخاف الموت لأنه يعلم أنه انتقال إلى حضرة المحبوب، ومن هنا كان تمني الموت علامة على صدق المحبة.

ب. قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن حجاب القلب عن الله هو الذي يجعل العبد يفر من الموت، فمن كانت همته متعلقة بالدنيا وشهواتها لم يشتق إلى لقاء ربه، ومن صفت روحه وخلصت نيته اشتاق إلى الموت لأنه باب الوصال.

ج. قوله: ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يرى فيه الصوفي أن الحرص على الحياة الدنيا هو من علامات ضعف اليقين، وأن المؤمن الصادق لا يكون أحرص الناس على الحياة، بل يكون زاهدا فيها، راغبا فيما عند الله، لأن الدنيا عنده سجن المؤمن وجنة الكافر.

د. قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يشير إلى أن طول العمر ليس نعمة في ذاته، بل هو ميزان أعمال، فمن كان في معصية كان طول عمره زيادة في العذاب، ومن كان في طاعة كان طول عمره زيادة في الأجر، وهذا يدفع الصوفي إلى استثمار كل لحظة من عمره في الطاعة والذكر.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول معيار الصدق في الدعاوى الميتافيزيقية، فالآية تقدم اختبارا عمليا للتحقق من صدق الدعوى، وهو تمني الموت، وهذا يلتقي مع المنهج التجريبي في اختبار الفرضيات، وإن كان الاختبار هنا نفسيا لا حسيا.

ب. قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول العلاقة بين المعرفة والسلوك، فالنفس البشرية تعرف أن أعمالها السيئة ستكون سبب عذابها، وهذه المعرفة تمنعها من تمني الموت، وهذا يدل على أن المعرفة ليست نظرية فقط، بل لها انعكاسات عملية على رغبات الإنسان وسلوكه.

ج. قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يثير تأمل الفيلسوف في طبيعة الرغبة الإنسانية في الخلود، فهذه الرغبة فطرية في النفس البشرية، لكنها عند المؤمن تنقلب إلى رغبة في لقاء الله، وعند غير المؤمن تبقى رغبة في البقاء الدنيوي، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الموت والحياة.

د. قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول قيمة الزمن، فطول العمر ليس قيمة في ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق غايات، فإن كانت الغايات سيئة كان طول العمر نقمة، وإن كانت حسنة كان نعمة، وهذا يلتقي مع فلسفة الغائية في الأخلاق.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يشير إلى أن الأخلاق ليست مجرد أقوال أو ادعاءات، بل هي أفعال وسلوكيات، وأن ما يقدمه الإنسان من أعمال هو الذي يحدد مصيره، لا ما يدعيه من انتساب أو عقيدة، وهذا يربط الأخلاق بالنتائج العملية.

ب. قوله: ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يبين أن الظلم من أعظم الأخلاق السيئة التي تمنع صاحبها من تمني الموت، لأن الظالم يعلم أن جزاءه محتوم، وهذا يدل على أن الظلم ليس مجرد سلوك اجتماعي سيء، بل هو حالة نفسية وروحية تؤثر في علاقة الإنسان بنفسه وبالله.

ج. قوله: ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يذم الحرص على الحياة الدنيا، ويبين أنه من علامات ضعف الإيمان، فالحرص على الدنيا يدفع الإنسان إلى ارتكاب الموبقات، ويجعله عبدا لشهواته، بينما الخلق الإسلامي الرفيع هو الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

د. قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يبين أن طول العمر ليس مبررا للاستمرار في المعصية، وأن الأمل في طول الحياة لا يغير من حقيقة العذاب شيئا، وهذا يربي في الإنسان خلق المسارعة إلى التوبة وعدم التسويف.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ يشير إلى أن الادعاءات الدينية الحصرية تخلق انقسامات اجتماعية خطيرة، وأن فكرة شعب الله المختار أو الأمة المفضلة دون غيرها هي فكرة تزرع العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع الواحد، وتبرر التمييز والظلم.

ب. قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يبين أن المجتمعات التي تبني تصوراتها على الكذب والادعاءات الباطلة تعيش في تناقض داخلي، فهي تدعي ما لا تؤمن به، وتتمنى ما لا تريده، وهذا التناقض يضعف التماسك الاجتماعي ويجعل المجتمع هشا أمام الأزمات.

ج. قوله: ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تفقد الإيمان بالآخرة تصبح مجتمعات استهلاكية مادية، تعلق كل آمالها على الحياة الدنيا، وهذا يؤدي إلى تفشي الأنانية والتنافس غير الأخلاقي، وانهيار القيم الاجتماعية.

د. قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الحرص على الحياة ليس خاصا باليهود وحدهم، بل هو ظاهرة إنسانية عامة تشمل المشركين وغيرهم، وهذا يدل على أن الحرص على الدنيا هو مرض اجتماعي عام، لا يختص بأمة دون أخرى.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ يحمل إشارة سياسية مهمة، وهي أن الادعاءات الدينية الحصرية تستخدم غالبا كأداة سياسية لتبرير الهيمنة والتفوق على الآخرين، وأن هذه الادعاءات يجب أن تخضع للاختبار والتدقيق، لا أن تقبل كمسلمات.

ب. قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يبين أن الأنظمة السياسية التي تبني شرعيتها على الأكاذيب والادعاءات الباطلة تكون هشة، لأنها تعيش في خوف دائم من كشف حقيقتها، وهذا الخوف يمنعها من اتخاذ القرارات الجريئة التي تتطلب الصدق والشجاعة.

ج. قوله: ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يشير إلى أن الأنظمة السياسية التي تخلو من الإيمان بالآخرة تكون أحرص على البقاء في السلطة، وتتعلق بالحياة الدنيا تعلقا يدفعها إلى التمسك بالحكم بكل الوسائل، حتى لو كانت ظالمة، لأنها لا ترى سوى الدنيا.

د. قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يحمل تهديدا سياسيا واضحا، وهو أن طول

البقاء في السلطة لا يحمي الأنظمة الظالمة من العذاب، وأن استمرار الظلم مهما طال سينتهي بالعقاب، وهذا يضع حدا لطغيان الأنظمة المستبدة.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يشير إلى أن المؤسسات التي تبني سمعتها على الادعاءات الكاذبة تعيش في قلق دائم، لأنها تعلم أن حقيقتها ستكشف يوما ما، وهذا القلق يؤثر على أدائها وإنتاجيتها، بينما المؤسسات الصادقة تعيش في طمأنينة وثقة.

ب. قوله: ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يلفت نظر عالم الإدارة إلى أن الموظفين الذين يفتقدون الإيمان بالآخرة يكونون أحرص على مناصبهم ومكاسبهم الدنيوية، مما يجعلهم أكثر عرضة للفساد الإداري والرشوة، لأنهم لا يخافون إلا من فقدان مناصبهم لا من حساب الله.

ج. قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يبين أن الاستمرار في المنصب أو الوظيفة ليس مقياسا للنجاح، فالنجاح الحقيقي هو في جودة الأداء وتحقيق الأهداف، وليس في طول البقاء، وهذا يوجه الإداريين إلى التركيز على الجودة بدلا من الكمية.

د. قوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الرقابة الإلهية هي أرقى أنواع الرقابة، وأن الموظف الذي يعمل برقابة الله يكون أكثر إتقانا وأمانة من الذي يعمل تحت رقابة بشرية فقط، لأن الرقابة الإلهية لا تنقطع ولا تغفل.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي إشارة إلى أن الشعور بالذنب الناتج عن الأعمال السيئة يمنع الإنسان من تمني الموت، وهذا الشعور هو ما يعرف في علم النفس الحديث بالقلق الوجودي، وهو حالة نفسية تنتج عن التنافر بين السلوك والقيم.

ب. قوله: ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يشير إلى أن الحرص المفرط على الحياة هو عرض من أعراض القلق النفسي، فالخوف من الموت هو من أعمق المخاوف الإنسانية، وهو يزداد عند من يفتقد الإيمان بالآخرة، بينما المؤمن يتقبل فكرة الموت برضا وطمأنينة.

ج. قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يبين أن الرغبة في الخلود هي رغبة نفسية فطرية، لكنها

عندما تتحول إلى هوس بالبقاء الدنيوي تصبح مرضا نفسيا، يعرف في علم النفس بالخوف من الفناء، وهو من الاضطرابات التي يعالجها الأطباء النفسيون.

د. قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يقدم علاجا نفسيا مهما، وهو أن طول العمر ليس حلا للمشكلات النفسية، وأن الإنسان يجب أن يواجه مخاوفه بدلا من الهروب منها، فالموت حقيقة لا مفر منها، والتقبل النفسي لهذه الحقيقة هو طريق السلام الداخلي.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يشير إلى أن الحرص المفرط على الحياة الدنيا يدفع إلى السلوكيات الاقتصادية غير الأخلاقية، كالاحتكار والربا والغش، لأن الإنسان الحريص على الدنيا يقدم مصلحته المادية على كل اعتبار آخر.

ب. قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يلفت نظر عالم الاقتصاد إلى أن الحرص على الدنيا ليس خاصا بأمة دون أخرى، بل هو ظاهرة إنسانية عامة، وهذا يفسر انتشار الفساد الاقتصادي في جميع المجتمعات، سواء كانت مؤمنة أو غير مؤمنة.

ج. قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يشير إلى أن التخطيط الاقتصادي طويل المدى قد يكون نابعا من حب البقاء والحرص على الدنيا، لكن هذا التخطيط يجب أن يكون متوازنا مع الاستعداد للآخرة، فلا يكون المال هو الغاية النهائية.

د. قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يبين أن الثروة وطول العمر لا يحميان من العذاب، وهذا يوجه عالم الاقتصاد إلى أن التنمية الاقتصادية ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وأن الاقتصاد الذي يخلو من القيم الدينية يكون عرضة للانهيار.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ يوجه المربي إلى ضرورة تعليم الطلاب نقد الادعاءات وعدم قبولها كما هي، وأن الدعاوى الدينية أو غيرها تحتاج إلى براهين وأدلة، وهذا ينمي التفكير النقدي لدى الطلاب.

ب. قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يبين أن السلوك العملي هو الفيصل في صدق

الأقوال، وهذا يوجه المربي إلى الاهتمام بالجانب التطبيقي في التربية، لا النظري فقط، فالمربي الناجح هو الذي يربي سلوكا لا أقوالا فقط.

ج. قوله: ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يلفت نظر المربي إلى ضرورة تربية الطلاب على الزهد في الدنيا وعدم التعلق بها، وأن السعادة الحقيقية ليست في طول العمر أو كثرة المال، بل في رضا الله والفوز بالجنة.

د. قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يعلم المربي طلابه أن التسويف في التوبة خطأ كبير، وأن الأمل في طول العمر لتأجيل التوبة هو خداع للنفس، فالموت يأتي بغتة، والإنسان يجب أن يستعد له في كل لحظة.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يشير إلى أن الله مطلع على كل ظلم يقع في الأرض، وأن الظالمين سيجدون جزاءهم عند الله، وهذا يدفع القاضي إلى أن يكون حذرا في أحكامه، وألا يكون سببا في ظلم أحد.

ب. قوله: ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ يؤكد أن الله يرى كل الأعمال، سواء كانت ظاهرة أو خفية، وهذا يذكر القاضي بأنه لا يمكنه إخفاء أي عمل عن الله، وأن أحكامه ستكون موضع حساب يوم القيامة.

ج. قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يبين أن الظالمين يعيشون في خوف دائم من كشف أعمالهم، وهذا الخوف هو جزء من عقابهم الدنيوي قبل الأخروي، وهذا يطمئن القاضي بأن العدالة الإلهية ستتحقق ولو تأخرت.

د. قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ يشير إلى أن طول عمر الظالم ليس دليلا على براءته، بل هو استدراج من الله، وأن العذاب سيأتي لا محالة، وهذا يمنع القاضي من اليأس من تحقيق العدالة، ولو طال أمد الظلم.

٣٩. عداوة جبريل عداوة لله وكفر بالرسالة:

المقطع [٣٩] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ

وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧-٩٨]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يقرر أن عداوة الملائكة عداوة لله، لأنهم جنود الله ورسله، والعداوة لهم عداوة لمن أرسلهم، فمن أبغض رسول الله إلى أنبيائه فقد أبغض الله، وهذا يبين أن ولاية الله وعداوته تتعلق بمن والاه أو عاداه من خلقه، فالملائكة وسائط الوحي، وعداوتهم كفر بالرسالة التي حملوها.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ يثبت أن القرآن منزل من الله حقيقة، وأن جبريل عليه السلام رسول مبلغ، لا ينطق عن نفسه، فالتنزيل بإذن الله، وهذا يقطع الطريق على من زعم أن القرآن من عند محمد أو من عند جبريل ابتداء، فالوحي كله بأمر الله وتدبيره.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يشير إلى أن القرآن مصدق لما سبقه من الكتب، لا مكذب لها، وهذا يبين أن الإيمان بالكتب السابقة جزء من العقيدة، وأن التكذيب بالقرآن تكذيب بما قبله، لأن الكتب كلها من مشكاة واحدة، والتصديق بالقرآن تصديق بجوهر الرسالات السابقة.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبين أن الهدى والبشرى خاصتان بالمؤمنين، لا بجميع الناس، فالقرآن هدى في ذاته، لكن الانتفاع به مشروط بالإيمان، وهذا يقرر أن الهداية نوعان: هداية البيان والدلالة، وهي عامة، وهداية التوفيق والقبول، وهي خاصة بالمؤمنين، والبشرى ثمرة الهدى لمن آمن وعمل.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ يقرر أن العداوة لله تشمل عداوة ملائكته ورسله، وأن الإيمان بهم جميعا وحدة لا تتجزأ، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فقد كفر بالجميع، كما أن عداوة جبريل وميكال معا ذكرت بعد العموم، لأن اليهود أظهروا عداوة خاصة لجبريل وادعوا موالاة ميكال، فنص عليهما بالذكر بعد العموم لدفع هذه الشبهة.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقرر أن العداوة بين الله والكافرين عداوة حقيقية متبادلة، فمن عادى الله ورسله وملائكته، فقد استحق أن يكون الله عدوا له، وهذه العداوة الإلهية تعني الخذلان والطرد من الرحمة، وهي أشد أنواع العقاب، لأن من كان الله عدوه فقد خسر الدنيا والآخرة.

ز. قوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ بعد قوله (ورسله) يبين أن الملائكة داخلون في عموم الرسل، لأن الرسل تشمل الملائكة والبشر، لكن خصا بالذكر لشرفهما وعلو منزلتهما، ولأن اليهود زعموا أن جبريل عدو لهم وميكال ولي لهم، فنص عليهما لقطع هذا الزعم الباطل، وأن كليهما ملك مكرم عند الله، وعداوة أحدهما كعداوة الآخر.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن القرآن ليس مجرد ألفاظ تتلى، بل هو نور يقذف في القلب، والقلب هو محل التنزيل الحقيقي، فكما نزل جبريل بالوحي على قلب النبي، كذلك ينبغي أن ينزل الإيمان والذكر على قلوب السالكين، فيكون القلب محلا للوحي الإلهي والفيض الرباني.

ب. قوله: ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ يشير إلى أن كل فيض وكل علم وكل كشف لا يكون إلا بإذن الله، فكما أن نزول الوحي كان بإذن الله، كذلك فتوح القلوب وأسرار المعرفة لا تحصل إلا بمشيئته، وهذا يربي الصوفي على التسليم المطلق والتفويض الكامل لله في كل شيء.

ج. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يجد فيه الصوفي أن الهدى ليس علما نظريا فقط، بل هو نور يقذفه الله في القلب، والبشرى هي الطمأنينة والسكينة التي يجدها المؤمن في قلبه عند تلاوة القرآن، وهي ثمرة الذكر والتدبر، فالمؤمن الصادق يجد في القرآن شفاء لصدره وبشرى لقلبه.

د. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يرى فيه الصوفي أن العداوة لله وأوليائه من علامات الكفر، وأن المحبة هي أساس الطريق، فالمؤمن يحب الله ويحب ملائكته ورسله، والحب الإلهي هو الذي يحرك السالك في مقاماته، ومن عادى أولياء الله فقد عادى الله، ومن والاهم فقد والى الله.

هـ. قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الكفر ليس مجرد إنكار نظري، بل هو حالة قلبية توجب البعد عن الله، والعداوة الإلهية تعني الحرمان من أنوار القرب والوصال، وهي أشد عقوبة عند أهل الله، لأن المؤمن يسعى لنيل رضا الله ومحبته، لا لمجرد النجاة من النار.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الوسائط بين الله وخلقه، فجبريل هنا يمثل العقل الفعال أو الوحي الأمين الذي يتوسط بين العالم العلوي والعالم السفلي، وعداوة هذا

الوسيط تعني رفض المعرفة الإلهية والوحي، وهذا يلتقي مع فلسفة الإشراق التي ترى أن المعرفة الحقة تحتاج إلى وسائط نورانية.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ يطرح إشكالية العلاقة بين الذات الإلهية وفعل التنزيل، فالتنزيل بإذن الله يعني أن الوحي فعل إلهي مقيد بمشيئته، وليس فعلا مستقلا لجبريل، وهذا يقرر مبدأ أن كل ما في الكون من أفعال هو بإذن الله، مما يفتح باب التأمل في مسألة الأسباب والمسببات، وأن الأسباب لا تستقل بنتائجها إلا بإذن المسبب.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة التصديق والتكذيب بين النصوص الدينية، فالقرآن يصدق ما قبله من الكتب، وهذا يعني أن هناك حقيقة دينية واحدة تجلت عبر التاريخ، وأن الاختلاف بين الشرائع ليس في الجوهر بل في الشريعة والمنهاج، وهذا يلتقي مع فلسفة الدين المقارن التي ترى وحدة المصدر الإلهي.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يثير مسألة نسبية الهدى، فالقرآن هدى في ذاته، لكنه لا يهدي إلا المؤمنين، وهذا يعني أن الهداية ليست مجرد نقل معلومات، بل هي تفاعل بين النص والمتلقي، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة التأويل، وأن فهم النص يتوقف على استعداد القارئ وحالته الوجودية.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يثير مسألة العداوة الإلهية، وهي مفهوم يختلف عن العداوة البشرية، فالعداوة الإلهية ليست انفعالا نفسيا، بل هي تعبير عن سنن إلهية في الخذلان والطرد من الرحمة، وهذا يلتقي مع فلسفة العدالة الإلهية التي ترى أن الجزاء والخذلان نتائج طبيعية لأفعال العباد.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الذات الإلهية والصفات، فكون الله عدوا للكافرين لا يعني أنه يتأثر بهم، بل هي صفة فعل تتعلق بمشيئته، وهذا يفتح باب التأمل في الفرق بين الذات والصفات، وأن صفات الأفعال تتعلق بالخلق بحسب استحقاقهم.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن العداوة والبغضاء ليست مشاعر شخصية فحسب، بل لها أبعاد عقدية، فبغض الخير ورسله من أسوأ الأخلاق، لأن الحسد الذي حمل اليهود على عداوة جبريل هو من أخطر الأمراض الأخلاقية التي تفسد القلوب وتعمي البصائر.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يبين أن الأخلاق الفاضلة مصدرها الوحي، فالقرآن نزل ليهذب النفوس ويطهر القلوب، وأن قبول الوحي والعمل به هو الطريق إلى التحلي بمكارم الأخلاق، ورفض الوحي يعني رفض المنهج الأخلاقي الكامل.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الأخلاق ليست مبتدعة، بل هي امتداد لسلسلة من القيم التي جاءت بها الشرائع السابقة، فالقرآن يصدق ما قبله من الأخلاق الفاضلة، وهذا يعني أن هناك قيما أخلاقية ثابتة عبر التاريخ، وأن الدين الإسلامي جاء مكملا لها لا ملغيا.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يشير إلى أن الهدى الأخلاقي ثمرة الإيمان، فالمؤمن يهتدي إلى السلوك القويم، ويجد البشرى في ضميره عند فعل الخير، وهذا يعني أن الأخلاق في الإسلام ليست مجرد التزام خارجي، بل هي حالة داخلية تمنح صاحبها السكينة والطمأنينة.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يبين أن العداوة للخير وأهله من علامات فساد الفطرة، وأن المؤمن الحق يوالي الله وملائكته ورسله، والموالاة تقتضي محبة الخير وأهله، والبغضاء في الله من أعلى مراتب الإيمان، لكنها تكون للكفر وأهله لا للأشخاص بذواتهم.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقرر أن العداوة الإلهية للكافرين هي نتيجة طبيعية لعداوتهم لله، وهذا يبين أن الأخلاق السيئة كالحسد والبغضاء للحق تؤدي إلى الحرمان من رحمة الله، وأن الجزاء من جنس العمل، فمن عادى الله عاداه الله.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن العداوات الدينية ليست مجرد خلافات فكرية، بل هي عوامل تفكك اجتماعي، فعداوة اليهود لجبريل كانت سببا في انحرافهم وحرمانهم من الهدى، وهذا يبين أن العداوة للحق وأهله تؤدي إلى انعزال الجماعة عن مصادر الخير.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الوحي هو عامل بناء المجتمعات، فالقرآن نزل ليكون أساسا للنظام الاجتماعي، وأن المجتمعات التي تقوم على الوحي تكون متماسكة، لأنها تستمد قيمها من مصدر متعالٍ يوحد أفرادها.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات لا تبني نفسها بإنكار

الماضي، بل بالاعتراف بالتراث السابق والبناء عليه، فالقرآن يصدق ما قبله، وهذا يبين أن الاستمرارية التاريخية عامل أساسي في تماسك المجتمعات، وأن القطيعة مع التراث تؤدي إلى الاضطراب.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبين أن الإيمان عامل تماسك اجتماعي، فالهدى والبشرى يمنحان المؤمنين شعورا بالانتماء والأمل، وهذا يعزز الروابط الاجتماعية، لأن الجماعة المؤمنة تشترك في القيم والأهداف والآمال.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يشير إلى أن العداوة للحق وأهله تؤدي إلى تفكك الجماعة، فاليهود حين عادوا جبريل والرسول انقسموا على أنفسهم، بينما المؤمنون الذين يوحدون الله ورسله يجمعهم حبل الله المتين.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يبين أن المجتمعات التي تعادي الله ورسله تحرم من التوفيق الإلهي، وهذا يفسر انهيار الحضارات التي قامت على الكفر والظلم، فخذلان الله للكافرين يعني زوال تماسكهم الاجتماعي وسقوطهم الحضاري.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن العداوة للوحي ورسله لها أبعاد سياسية، فاليهود عادوا جبريل لأن الوحي جاء بنظام سياسي واجتماعي يخالف مصالحهم، وهذا يبين أن الصراع مع الوحي ليس فكريا فقط، بل هو صراع على السلطة والنفوذ.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ يقرر أن مصدر التشريع السياسي في الإسلام هو الوحي، فالقرآن نزل بإذن الله ليكون دستورا للأمة، وأن أي نظام سياسي لا يستمد من هذا الوحي يكون ناقصا، لأن مصدره بشري متغير.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الدولة الإسلامية لا تنعزل عن الإرث السياسي السابق، بل تعترف بالرسالات السابقة وتصدقها، وهذا يفتح باب التعايش مع الأمم الأخرى، ويؤكد أن الإسلام لا يلغي الآخرين بل يعترف بوجودهم.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبين أن السياسة في الإسلام ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق الهدى والبشرى للمؤمنين، أي أن غاية الدولة إقامة الدين وتحقيق السعادة للمواطنين،

وليس مجرد السيطرة والسلطة.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يشير إلى أن العداوة لله ورسله هي عداوة للنظام السياسي الإسلامي، لأن هذا النظام يقوم على الإيمان بالله ورسله، ومن عادى هذا الأساس فقد عادى الدولة ذاتها، وهذا يبرر موقف الدولة من المعادين.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقرر أن الكافرين الذين يعادون الدولة الإسلامية سيكون الله عدوهم، وهذا يعني أن النصر في النهاية للمؤمنين، وأن الدولة المؤمنة محمية بتأييد الله، وهذا يمنحها الثبات في مواجهة الأعداء.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن العداوة للرسل والوحي تعني رفض التوجيه الإلهي، وهذا يبين أن أي مؤسسة ترفض التوجيه الصحيح تفشل، فالعداوة للحق وأهله سبب من أسباب الفشل الإداري والتنظيمي.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن نجاح القائد يعتمد على التوجيه الإلهي، فالنبي نزل عليه الوحي على قلبه، وهذا يعني أن القيادة الناجحة تحتاج إلى بصيرة داخلية وإلهام، وليس فقط إلى مهارات إدارية ظاهرية.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أهمية الاستفادة من التجارب السابقة، فالقرآن يصدق ما قبله من الكتب، وهذا يعني أن الإدارة الناجحة لا تنكر الماضي، بل تبني عليه وتستفيد من خبراته، سواء في المؤسسات أو الدول.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبين أن المؤسسة الناجحة هي التي تمتلك رؤية واضحة (هدى) وتبشر أعضاءها بالنجاح (بشرى)، فالموظفون المؤمنون برسالة مؤسستهم يعملون بحماس وأمل، وهذا يعزز الإنتاجية والانتماء.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يشير إلى أن العداوة للقيم الدينية تؤدي إلى فساد المؤسسات، فالمؤسسة التي لا تحترم القيم الدينية تفقد البوصلة الأخلاقية، وتنتشر فيها الفوضى والفساد الإداري.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَّ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يبين أن المؤسسات التي تقوم على الكفر والفساد تحرم من التوفيق الإلهي، وهذا يعني أن البركة في المؤسسات تأتي من الإيمان والتقوى، وأن الفساد والكفر سبب من أسباب زوال البركة والفشل.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن عداوة اليهود لجبريل كانت سببا في انحرافهم التاريخي، فالحسد الذي حملهم على عداوة الوحي أدى إلى تحريف كتبهم وابتعادهم عن رسالتهم، وهذا يبين أن العداوة للحق لها آثار تاريخية مدمرة.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهَّ﴾ يشير إلى أن نزول القرآن كان حدثا تاريخيا مفصليا، فقد غير مسار التاريخ البشري، وأن هذا التنزيل بإذن الله يعني أن التاريخ يسير وفق مشيئة الله، وأن الوحي هو المحرك الأعظم للأحداث التاريخية.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوجه المؤرخ إلى أن القرآن اعترف بالكتب السابقة، وهذا سهل التفاعل بين المسلمين وأهل الكتاب في العصور الأولى، وساهم في التبادل الثقافي والحضاري بين الأمم، وهذا يفسر ازدهار الحضارة الإسلامية التي استفادت من تراث الأمم السابقة.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبين أن الإيمان بالقرآن كان عامل نهضة تاريخية، فالمؤمنون الأوائل وجدوا في القرآن هدى وبشرى، مما منحهم قوة دافعة لبناء حضارة عظيمة، وأن الإيمان كان المحرك الأساسي للنهضة الحضارية الإسلامية.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهَّ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يشير إلى أن العداوة لله ورسله كانت سببا في سقوط الأمم، فاليهود الذين عادوا الله ورسله سلط الله عليهم الذل والمسكنة، وهذا يفسر تدهور أحوالهم عبر التاريخ، وأن العداوة للحق سبب من أسباب الانهيار الحضاري.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَّ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقرر أن خذلان الله للكافرين هو سنة تاريخية، فالأمم التي كفرت بالله ورسله زالت حضاراتها، وهذا يفسر سقوط الحضارات القديمة كبابل وفرعون، وأن الإيمان بالله هو عامل البقاء والتمكين في التاريخ.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يلفت نظر الطبيب النفسي إلى أن الحسد والعداوة للحق من الأمراض النفسية الخطيرة، فاليهود حسدوا النبي على ما آتاه الله، وهذا الحسد أعمى بصائرهم وأمرض قلوبهم، والحسد من أشد الأمراض النفسية تدميرا للفرد والمجتمع.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الطمأنينة النفسية تأتي من الإيمان بالوحي، فالقلب الذي ينزل عليه الوحي يجد السكينة والاستقرار، وأن الإيمان بالله ورسله هو العلاج الأمثل للقلق والاضطراب النفسي.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوجه الطبيب النفسي إلى أن الصحة النفسية تتطلب التصالح مع الماضي، فالقرآن يصدق ما قبله، وهذا يعني أن الإنسان المتصالح مع ماضيه يكون أكثر استقرارا نفسيا، وأن إنكار الماضي أو الصراع معه يؤدي إلى الاضطراب.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبين أن الإيمان يمنح المؤمن هدى وبشرى، وهما عاملان أساسيان في الصحة النفسية، فالهدى يخلص الإنسان من الحيرة والضياع، والبشرى تمنحه الأمل والتفاؤل، وهما علاجان للاكتئاب والقلق.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يشير إلى أن العداوة والبغضاء للحق من علامات المرض النفسي، فالقلب السليم يحب الله ورسله، والقلب المريض يعادي الحق وأهله، وهذا يبين أن الصحة النفسية مرتبطة بالإيمان والمحبة.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يبين أن الشعور بعداوة الله يسبب قلقا وجوديا عميقا، فالذي يعلم أن الله عدوه يعيش في خوف وقلق دائمين، وهذا يفسر الاضطرابات النفسية التي يعاني منها الكافرون، بينما المؤمن يعيش في أمان وسكينة.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن العداوة للوحي ورسله لها آثار اقتصادية، فاليهود حين عادوا جبريل حرموا من بركة الوحي، وهذا يبين أن البركة في الرزق مرتبطة بالإيمان، وأن العداوة للحق سبب من أسباب ضيق الرزق.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على أساس

الوحي، فالقرآن نزل لتنظيم الحياة الاقتصادية، وأن أي نظام اقتصادي لا يستمد من الوحي يكون ناقصا، لأنه يفتقد البعد الأخلاقي والروحي.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الاقتصاد الإسلامي ليس مبتدعا، بل هو امتداد للشرائع السابقة، وهذا يعني أن مبادئ العدالة الاقتصادية والتحريمات كالربا والغش كانت موجودة في الشرائع السابقة، وأن الإسلام جاء مكملا لها.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبين أن الاقتصاد الإسلامي يهدف إلى تحقيق الهدى والبشرى للمؤمنين، أي أن الغاية من النشاط الاقتصادي ليست الربح المادي فقط، بل تحقيق السعادة والطمأنينة للمؤمنين، وهذا يوجه النشاط الاقتصادي نحو الأهداف الروحية والأخلاقية.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يشير إلى أن العداوة لله ورسله تؤدي إلى فساد النظام الاقتصادي، فالذين يعادون الله يمارسون الربا والغش والاحتكار، وهذا يفسد الاقتصاد ويؤدي إلى الظلم الاجتماعي.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يبين أن الكافرين الذين يعادون الله يحرمون من بركة الرزق، فالبركة في المال تأتي من الإيمان والتقوى، وأن الكفر والفسوق سبب من أسباب محق البركة وضيق الرزق.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يوجه المربي إلى أن الحسد والعداوة للحق من أسوأ الصفات التي يجب أن يربي المربي طلابه على تجنبها، فاليهود حسدوا النبي على الوحي، وهذا الحسد أعماهم عن الحق، فيجب تربية الأجيال على محبة الخير للآخرين وعدم الحسد.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ يشير إلى أن التعليم الحقيقي ليس مجرد نقل معلومات، بل هو تنزيل على القلب، أي أن المعرفة الحقة هي التي تصل إلى القلب فتؤثر في السلوك، وهذا يوجه المربي إلى أن يكون تعليمه مؤثرا في القلوب، لا مجرد حشو للأذهان.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوجه المربي إلى أهمية تعليم الطلاب احترام التراث السابق، فالقرآن يصدق ما قبله، وهذا يعني أن المربي يجب أن يعلم طلابه أن العلم تراكمي، وأن الحكمة ضالة المؤمن، وأن احترام التراث لا يتعارض مع التجديد.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبين أن غاية التربية هي تحقيق الهدى والبشرى للمتعلمين، فالتربية الناجحة هي التي تهدي الطلاب إلى الحق وتمنحهم الأمل والتفاؤل، وهذا يعني أن التربية ليست مجرد تعليم مهارات، بل هي بناء إنسان متكامل روحيا وعقليا.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يشير إلى أن المربي يجب أن يربي طلابه على محبة الله ورسله وملائكته، فالموالاة لله ورسله من أساسيات التربية الإيمانية، وأن العداوة للحق وأهله من علامات فساد التربية.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يبين أن التربية التي لا تقوم على الإيمان بالله تؤدي إلى الفشل، فالطلاب الذين يربون على الكفر والعداوة لله يحرمون من التوفيق الإلهي، وهذا يفسر فشل الأنظمة التعليمية التي تهمل الجانب الإيماني.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ يوجه القاضي إلى أن العداوة للوحي ورسله تؤدي إلى تحريف الأحكام، فاليهود حين عادوا جبريل حرّفوا الكلم عن مواضعه، وهذا يبين أن القاضي الذي يعادي الوحي يفسد أحكامه، وأن العدالة لا تتحقق إلا بالتحاكم إلى ما أنزل الله.

ب. قوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن القاضي يحتاج إلى توفيق إلهي في أحكامه، فالوحي نزل على قلب النبي بإذن الله، والقاضي الناجح هو الذي يستمد أحكامه من هذا الوحي، ويطلب التوفيق من الله في فهمه وتطبيقه.

ج. قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوجه القاضي إلى أن الأحكام الإسلامية ليست منفصلة عن الشرائع السابقة، فالقرآن يصدق ما قبله، وهذا يعني أن القاضي يجب أن يراعي وحدة المصدر الإلهي في الأحكام، وأن الشريعة الإسلامية جاءت مكملة لما قبلها.

د. قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يبين أن القضاء العادل هو الذي يحقق الهدى والبشرى للمؤمنين، فالقاضي العادل يهدي الناس إلى الحق ويبشرهم بالعدل، وهذا يعني أن القضاء ليس مجرد فصل في الخصومات، بل هو وسيلة لتحقيق العدالة والطمأنينة في المجتمع.

هـ. قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يكون من المواليين

لله ورسله، لا من المعادين لهم، فالقاضي المؤمن يستمد أحكامه من كتاب الله وسنة رسوله، ومن عادى الله ورسله لا يصلح للقضاء بين الناس.

و. قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَّ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ يبين أن القاضي الذي يكفر بالله ورسله يحرم من التوفيق في أحكامه، فالعدالة الحقيقية لا تتحقق إلا بإيمان القاضي وتقواه، وأن القاضي الفاسق أو الكافر لا يمكن أن يكون عادلا في أحكامه.

٤٠. نزول الآيات ونبذ العهود وطرح الكتاب وراء الظهور:

المقطع [٤٠] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهَّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهَّ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٩٩-١٠١]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يشير إلى أن الكفر بالآيات البينات ليس ناتجا عن قصور في الدلالة أو غموض في البيان، بل هو نتيجة لفساد في الاستعداد ومرض في القلوب، فالفاسق هو الخارج عن طاعة الله، وهو الذي يحول فسقه دون إدراك الحق، وهذه إشارة إلى أن الإيمان ليس مجرد إدراك عقلي بل هو ثمرة سلامة القلب واستقامة السلوك.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يكشف عن سنة كونية في تعامل الأمم مع العهود، وهي أن نقض العهد ليس فعلا فرديا نادرا بل هو سلوك جماعي متكرر، وأن الفريق الناقض قد يكون هو الأكثر عددا، مما يدل على أن الفساد إذا استشرى في أمة صار صفة غالبة فيها، وأن العهد لا قيمة له عند من لا إيمان له يضبط سلوكه.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهَّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يقرر حقيقة عقدية مهمة، وهي أن الرسل جميعا يصدق بعضهم بعضا، وأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو تصديق لما مع أهل الكتاب من التوراة والإنجيل، فليس بين الرسل تعارض ولا تناقض، بل هم سلسلة واحدة من الهدى الإلهي، ومن كذب رسالة محمد فقد كذب ما قبله من الرسالات.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يشير إلى أن حملة الكتاب ليسوا جميعا على درجة واحدة من الالتزام، فمنهم من آمن وعمل، ومنهم من نبذ الكتاب وأعرض عنه، والنبذ هنا ليس مجرد ترك، بل هو إعراض مع الاستخفاف وعدم المبالاة، وهذا يبين أن العلم بالكتاب لا ينفع صاحبه إذا لم يقترن بالإيمان والعمل.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يلفت النظر إلى أن النابذين للكتاب يعاملون معاملة الجاهلين به، مع أنهم يعلمونه، وهذا يشير إلى أن العلم الذي لا يثمر عملا ولا يورث إيمانا يكون بمنزلة الجهل، بل قد يكون أشد ضررا، لأن صاحبه يحتج به على باطله.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن كشف الآيات الإلهية للقلوب لا يكون إلا لمن صفت سريرته وطهرت من أدران الذنوب، فالفسق يحجب القلب عن إدراك الحقائق الربانية، كما أن صفاء القلب هو شرط الذوق الإيماني والمعرفة الكشفية.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يشير عنده إلى أن العهد مع الله ليس عهدا لسانيا فقط، بل هو عهد القلب والروح، ونقضه يكون بالغفلة والانصراف عن ذكر الله، فالمريد الصادق هو من يفي بعهده مع ربه في كل لحظة، ولا يسمح للغفلة أن تسلبه هذا العهد.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يرى فيه الصوفي إشارة إلى أن كل واصل إلى الله هو مصدق لما سبقه من الواصلين، وأن الطريق إلى الله واحدة وإن اختلفت العبارات، فالحقيقة المحمدية هي تصديق الحقائق السابقة، ومن وصل إلى الله وجد أن جميع الأنبياء والأولياء على مشكاة واحدة.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يحذر الصوفي من أن يكون العلم حجابا عن الله، فكثير من حملة العلم يكتفون بحفظ الحروف والرسوم، ويتركون حقيقة الكتاب التي هي نور القلب وحياة الروح، والنبذ هنا هو ترك العمل بالحقائق الباطنة للكتاب والاكتفاء بظواهره.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن العلم الحقيقي هو ما ورث صاحبه خشية وبصيرة، فإذا لم يثمر العلم خشية الله ومعرفته، فصاحبه كالجاهل، بل الجهل بالله مع العلم بآياته هو

أشد أنواع الجهل، لأن صاحبه كان أولى بالمعرفة.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية العلاقة بين المعرفة والأخلاق، فالكفر بالآيات البينات ليس قصورا معرفيا بل هو خلل أخلاقي، وهذا يعني أن المعرفة اليقينية لا تكفي وحدها لتحقيق الإيمان، بل لا بد من استعداد أخلاقي يقبل الحق، وهذه إشارة إلى أن العقل العملي متقدم على العقل النظري في قبول الحقائق.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن نقض العهود ليس سلوكا عارضا بل هو نمط متكرر في التاريخ البشري، وهذا يثير سؤالا فلسفيا حول طبيعة الإنسان، هل هو كائن عاقل يلتزم بالوعود، أم أنه كائن تدفعه مصالحه اللحظية إلى نقضها؟ ويجد الفيلسوف أن الآية تشير إلى أن الإنسان بلا إيمان يبقى أسير مصالحه العاجلة.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية وحدة الحقيقة عبر التاريخ، فتصديق الرسول لما مع أهل الكتاب يدل على أن الحقيقة الإلهية واحدة لا تتعدد، وأن الاختلاف بين الشرائع ليس في الجوهر بل في التفاصيل الزمنية، وهذا يلتقي مع فكرة الحكمة الخالدة التي تتجلى في كل عصر.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الجمود على النصوص دون فهم مقاصدها يؤدي إلى نبذها عمليا، فمن يكتفي بحفظ النص دون تفعيله في الواقع يكون نابذا له، وهذه إشارة إلى أن جوهر الفلسفة هو تفعيل المعرفة لا مجرد حفظها.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية أن العلم الذي لا يغير السلوك ولا يوجه الحياة ليس علما حقيقيا، فالعلم عند الفلاسفة ليس مجرد معرفة نظرية، بل هو معرفة تتحول إلى حكمة عملية، ومن عرف الحق ولم يعمل به فكأنه لم يعرفه.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الفسق هو الأصل الأخلاقي الذي ينبثق عنه الكفر، فالفسق هو الخروج عن مقتضى الفطرة السليمة، وهو الذي يجعل الإنسان يرفض

الحق بعد وضوحه، وهذه إشارة إلى أن الأخلاق ليست تابعة للمعرفة بل هي سابقة عليها، فمن فسدت أخلاقه فسد إدراكه.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يحلل عالم الأخلاق ظاهرة نقض العهود، فيجد أن الوفاء بالعهد من أسمى القيم الأخلاقية، وأن نقضه دليل على ضعف الشخصية الأخلاقية، وأن تكرار نقض العهود عند جماعة ما يدل على انهيار المنظومة القيمية لديهم، فالعهد ليس مجرد التزام قانوني بل هو التزام أخلاقي يمس شرف الإنسان.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الصدق هو أساس العلاقات بين البشر، فتصديق الرسول لما معهم هو نموذج للتعامل الصادق مع الآخرين، وأن من يدعي الإيمان بكتاب ثم يكذب رسوله يكون متناقضا في أخلاقه.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن نبذ الكتاب ليس مجرد ترك للتعاليم، بل هو إعراض عن القيم التي يحملها، فالكتاب يحمل منظومة أخلاقية متكاملة، ومن نبذه فقد نبذ الأخلاق كلها، وهذه إشارة إلى أن الأخلاق الدينية لا تنفصل عن مصادرها.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عند عالم الأخلاق أن الجهل الأخلاقي ليس عدم معرفة القيم، بل هو عدم الالتزام بها، فمن يعرف الخير ولا يفعله يكون كمن لا يعرفه، بل أشد، لأن معرفته ستكون حجة عليه، وهذه إشارة إلى أن الأخلاق الحقيقية هي الأخلاق الممارسة لا الأخلاق النظرية.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الفسق ليس حالة فردية فقط بل هو ظاهرة اجتماعية، فحين ينتشر الفسق في مجتمع ما يصبح الكفر بالحقائق أمرا طبيعيا، وهذه إشارة إلى أن المجتمعات التي تنتشر فيها الفسوق تفقد قدرتها على تمييز الحق من الباطل.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يحلل عالم الاجتماع ظاهرة نقض العهود كظاهرة اجتماعية متكررة، فيجد أن المجتمعات التي لا تقوم على أسس دينية متينة تفقد الثقة ببعضها، وأن نقض العهود يؤدي إلى تفكك النسيج الاجتماعي، فالعهود هي الضمانات التي تجعل الحياة الاجتماعية ممكنة.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات التي تمتلك تراثا دينيا تكون أكثر استعدادا لتقبل الرسالات الجديدة إذا كانت مصدقة لما عندها، وأن التصديق يخلق جسرا من الثقة بين الدعوة الجديدة والمجتمع القديم.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تحمل كتابا مقدسا قد تنقسم إلى فريقين: فريق يتمسك بكتابه، وفريق ينبذه، وهذا الانقسام يؤدي إلى صراع اجتماعي، وأن النابذين لكتابهم يفقدون هويتهم الثقافية والدينية.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عند عالم الاجتماع أن المجتمعات التي تنبذ كتبها المقدسة تعيش في حالة من الجهل المركب، فهي تعرف الحق لكنها تتصرف كأنها لا تعرفه، وهذا يؤدي إلى اضطراب في البنية الاجتماعية، لأن القيم التي كانت تضبط المجتمع قد سقطت.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الفسق السياسي هو الذي يجعل الحكام والشعوب ترفض الحقائق الواضحة، فالفسق في السياسة يعني الخروج عن مقتضى العدل والأمانة، وهذا يؤدي إلى رفض الإصلاح ومحاربة الدعوات الهادية.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يحلل عالم السياسة ظاهرة نقض العهود في العلاقات الدولية، فيجد أن بعض الدول لا تلتزم بعهودها إلا بمقدار ما يحقق مصالحها، وأن نقض العهود أصبح سلوكا متكررا في السياسة الدولية، وهذه إشارة إلى أن السياسة بلا أخلاق دينية تتحول إلى غابة.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن القادة الصادقين هم الذين يبنون علاقاتهم على التصديق والاعتراف بالآخرين، لا على الإنكار والتكذيب، فالسياسة الناجحة تقوم على الاعتراف المتبادل لا على الإقصاء.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يشير إلى أن بعض القادة الدينيين يهمشون كتبهم المقدسة في ممارساتهم السياسية، فيفصلون الدين عن السياسة، وهذا يؤدي إلى فراغ أخلاقي في الحكم، فالكتاب الذي ينبذه السياسيون كان يمكن أن يكون مصدر إصلاح لهم.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عند عالم السياسة أن بعض السياسيين يتعاملون مع مبادئهم

وكأنهم لا يعرفونها، فيصدرون قرارات تخالف ما يعتقدون، وهذا الانفصام بين القول والفعل هو من أخطر أمراض السياسة، لأنه يفقد القادة مصداقيتهم أمام شعوبهم.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الفسق الإداري هو الذي يجعل الموظفين يرفضون التعليمات الواضحة، فالفسق هنا هو الخروج عن مقتضى الأمانة والانضباط، وهو الذي يحول دون تطبيق الأنظمة حتى لو كانت واضحة.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يحلل عالم الإدارة ظاهرة نقض العهود في بيئة العمل، فيجد أن بعض الموظفين يوقعون عقودا والتزامات ثم ينقضونها، وأن هذه الظاهرة تدل على غياب المسؤولية الأخلاقية، وأن المؤسسات التي ينتشر فيها نقض العهود تفقد ثقة عملائها وشركائها.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهَّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن القائد الناجح هو الذي يبني علاقته مع فريقه على التصديق والاعتراف بجهودهم، لا على الإنكار والتجاهل، فالاعتراف بالآخرين يخلق بيئة عمل إيجابية.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهَّ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يشير إلى أن بعض المؤسسات تمتلك أنظمة وقوانين واضحة لكنها لا تطبقها، فتكون هذه الأنظمة كالكتاب المنبوذ وراء الظهور، وهذه إشارة إلى أن وجود الأنظمة دون تطبيقها أسوأ من عدم وجودها.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عند عالم الإدارة أن بعض المؤسسات تتصرف وكأنها لا تعرف أنظمتها، فتخالفها في ممارساتها اليومية، وهذا الانفصام بين المعرفة والتطبيق يؤدي إلى فوضى إدارية وفقدان الثقة في القيادة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه المؤرخ أن رفض الحقائق الواضحة عبر التاريخ لم يكن ناتجا عن غموضها بل عن فسق القوم، فكثير من الأمم عرفت الحق ثم كفرت به بسبب فسق قادتها، وهذه سنة تاريخية تتكرر.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن نقض العهود كان

ظاهرة متكررة في تاريخ بني إسرائيل، وأن هذه الظاهرة تفسر كثيرا من أحداث تاريخهم، فالعهود التي قطعوها مع أنبيائهم كانت تنقض سريعا، مما أدى إلى تدهور أحوالهم.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يجد فيه المؤرخ أن مجيء الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان حدثا تاريخيا فاصلا، وأن تصديقه لما مع أهل الكتاب كان فرصة تاريخية لهم، لكنهم لم يستغلوها، وهذا يفسر التحولات التاريخية الكبرى التي حدثت بعد ذلك.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يشير إلى أن بعض علماء بني إسرائيل نبذوا التوراة عندما جاءهم الرسول المصادق لها، وهذا النبذ كان سببا في حرمانهم من بركة الكتاب، وهذه إشارة إلى أن الأمم التي تنبذ كتبها تفقد مكانتها التاريخية.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عند المؤرخ أن الأمم التي تنبذ كتبها تعيش في حالة من التناقض التاريخي، فهي تملك العلم لكنها تتصرف كالجهال، وهذا التناقض يفسر كثيرا من انهيارات الحضارات، فالحضارات لا تسقط بجهل أبنائها بل بإعراضهم عن علمهم.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الفسق قد يكون حالة نفسية مرضية، فالخروج عن الفطرة السليمة يؤدي إلى اضطراب في الإدراك، بحيث يرفض الإنسان الحقائق الواضحة، وهذا يشبه حالات الإنكار المرضي التي يدرسها علم النفس.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يحلل الطبيب النفسي ظاهرة نقض العهود من منظور نفسي، فيجد أن تكرار نقض العهود قد يكون مؤشرا على اضطراب في الشخصية، كاضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، حيث يفتقر الشخص إلى الشعور بالالتزام والمسؤولية.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن التصديق والاعتراف بالآخرين من العوامل الأساسية للصحة النفسية، فالعلاقات الإنسانية السليمة تقوم على التصديق المتبادل، ورفض التصديق قد يكون مؤشرا على اضطرابات في العلاقات.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يشير إلى أن نبذ الكتاب قد يكون حالة من الإنكار النفسي، حيث يرفض الإنسان مصدر قيمه ومعناه في الحياة، وهذا الإنكار يؤدي

إلى فراغ وجودي واضطرابات نفسية، فالكتاب يمثل البوصلة النفسية التي توجه الإنسان.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عند الطبيب النفسي أن بعض الناس يعيشون في حالة من الانفصام بين ما يعرفون وما يفعلون، وهذا الانفصام هو مصدر للقلق والاكتئاب، فالسلوك المتناقض مع المعرفة يولد صراعا داخليا يؤثر على الصحة النفسية.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن الفسق الاقتصادي هو الذي يجعل بعض الأفراد يرفضون الأنظمة الاقتصادية العادلة، فالفسق هنا هو الخروج عن مقتضى العدل في التعاملات المالية، وهو الذي يدفع إلى الغش والاحتكار.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يحلل عالم الاقتصاد ظاهرة نقض العهود في التعاملات التجارية، فيجد أن بعض التجار يوقعون عقودا ثم ينقضونها، وأن هذه الظاهرة تدمر الثقة في الأسواق، فالاقتصاد لا يقوم إلا على الثقة والالتزام بالعهود.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الاقتصاد الناجح يقوم على التصديق والشفافية، فالاعتراف بالحقوق المتبادلة هو أساس التعاملات الاقتصادية السليمة، والتصديق يخلق بيئة اقتصادية مستقرة.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِّ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يشير إلى أن بعض المجتمعات تمتلك تشريعات اقتصادية عادلة لكنها لا تطبقها، فتكون هذه التشريعات كالكتاب المنبوذ، وهذه إشارة إلى أن وجود القوانين الاقتصادية دون تطبيقها يؤدي إلى فساد اقتصادي.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عند عالم الاقتصاد أن بعض المتعاملين في الأسواق يتصرفون وكأنهم لا يعرفون القوانين الاقتصادية، فيخالفونها عمدا، وهذا السلوك يؤدي إلى اضطراب الأسواق وفقدان الثقة فيها.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه المربي أن الفسق هو الحاجب عن قبول العلم، فالطالب الذي يفسق عن منهج ربه يكون أقل استعدادا لتلقي العلم النافع، وهذه إشارة إلى أن التربية

الأخلاقية سابقة على التربية المعرفية.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يحلل المربي ظاهرة نقض العهود عند الطلاب، فيجد أن بعض الطلاب يقطعون عهودا مع معلميهم أو أوليائهم ثم ينقضونها، وأن هذه الظاهرة تحتاج إلى معالجة تربوية، فالوفاء بالعهد قيمة يجب أن تزرع في نفوس الطلاب.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يوجه المربي إلى أن المعلم الناجح هو الذي يصدق طلابه ويعترف بمعارفهم السابقة، فالبناء على ما يعرفه الطالب أفضل من تجاهله، والتصديق يخلق جوا من الثقة بين المعلم والطالب.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يشير إلى أن بعض المتعلمين يحملون الشهادات والعلوم لكنهم لا يعملون بها، فيكونون كحملة الكتاب الذين نبذوه، وهذه إشارة إلى أن العلم الذي لا يثمر عملا لا قيمة له.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عند المربي أن بعض الطلاب يحفظون المعلومات لكنهم لا يفهمونها ولا يطبقونها، فيكونون كمن لا يعلم، وهذه إشارة إلى أن التعليم الحقيقي هو الذي يغير السلوك ويثمر فهما وعملا.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يجد فيه القاضي أن الفسق هو الذي يجعل بعض الناس يرفضون الأحكام الواضحة، فالقاضي العادل يجد أن من فسدت أخلاقه يرفض الحق حتى لو كان بينا، وهذه إشارة إلى أن العدل يحتاج إلى استقامة أخلاقية في الخصوم.

ب. قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يحلل القاضي ظاهرة نقض العهود في القضايا، فيجد أن كثيرا من النزاعات تنشأ عن نقض العهود، وأن الوفاء بالعهود هو الذي يمنع النزاعات، وهذه إشارة إلى أن القضاء لا يصلح المجتمع بقدر ما تصلحه الأخلاق.

ج. قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ يوجه القاضي إلى أن العدل يقوم على التصديق والاعتراف بالحقوق، فالقاضي العادل يصدق الأدلة ويعترف بالحقوق الثابتة، والتصديق هو أساس الحكم العادل.

د. قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يشير إلى أن بعض القضاة قد يهملون تطبيق الشريعة التي يعرفونها، فيكونون كحملة الكتاب الذين نبذوه، وهذه إشارة إلى أن القاضي الذي لا يحكم بما أنزل الله يكون نابذا لكتابه.

هـ. قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني عند القاضي أن بعض الخصوم يتصرفون وكأنهم لا يعرفون القانون، فيخالفونه عمدا، وهذا السلوك يؤدي إلى إطالة النزاعات وتعقيدها، وهذه إشارة إلى أن الجهل بالقانون ليس عذرا لمن يعرفه.

٤١. اتباع السحر والشياطين وما أنزل على هاروت وماروت:

المقطع [٤١] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢-١٠٣]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يشير إلى أن اتباع الباطل ليس وليد العصر، بل هو امتداد لتقليد أعمى ضرب جذوره في التاريخ، وأن اليهود وغيرهم ممن حادوا عن الصراط استبدلوا الحق الذي جاءهم بالباطل الذي زينته لهم الشياطين، وفيه أن العصمة للأنبياء ثابتة، فنفى الله الكفر عن سليمان عليه السلام بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تأكيدا لتنزيه الأنبياء عن كل ما يشينهم، وأن نسبة السحر إليهم افتراء محض.

ب. قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ يبين أن الكفر الحقيقي هو كفر الشياطين بتعليمهم السحر للناس، وأن السحر بحد ذاته كفر وضلال، لأنه يستند إلى الاستعانة بالجن والشياطين وادعاء علم الغيب، وهو منافٍ للتوحيد، فمن تعلمه أو علمه فقد خرج عن ملة الإيمان.

ج. قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ يثير إشكالا عقديا حول كيفية تعليم

الملائكة للسحر مع أنهم رسل خير، والجواب أن هذا التعليم كان اختبارا وفتنة من الله لعباده، ليميز من يطيع الله فيترك السحر، ممن يعصيه فيتعلمه، فالملَكان كانا يعلّمان الناس حقيقة السحر مع تحذيرهم منه، لا ليروجاه بل ليبينوا خطره ويفتنوا الناس به، كما قالا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

د. قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يدل على أن الله لا يترك عباده بلا بيان، فالتحذير سبق التعليم، وأن السحر محرم في كل الشرائع، ولم يكن تعليم الملَكين له إلا لحكمة إلهية وهي إظهار عجز السحرة أمام قدرة الله، وبيان أن السحر لا يضر إلا بإذن الله.

هـ. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يقرر حقيقة عقدية كبرى، وهي أن السحر ليس له تأثير مستقل بذاته، بل هو سبب من الأسباب التي لا تعمل إلا بمشيئة الله وإذنه الكوني، فلا ينبغي للمؤمن أن يخاف الساحر أو يعتقد أن له قدرة ذاتية، فالضر والنفع بيد الله وحده، وهذا يقطع الطريق على الشرك بالله والخوف من المخلوقين.

و. قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يبين أن متعلم السحر يعلم علم اليقين أنه خاسر في الآخرة، وأنه لا نصيب له في الجنة، ومع ذلك يقدم على هذا الفعل، وهذا من أعجب التناقضات البشرية، حيث يبيع الإنسان آخرته الدائمة بعرض دنيوي زائل، وفيه أن العلم بالعاقبة لا ينفع إذا لم يقترن بالإرادة الصادقة على الخير.

ز. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يختم المقطع بتقرير أن الإيمان والتقوى هما الطريق الوحيد للفوز بثواب الله، وأن ما عند الله خير وأبقى من كل ما يمكن أن يحصله الإنسان من السحر أو غيره من المعاصي، فلو علموا حق العلم لآثروا طاعة الله على معصيته.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ يشير إلى أن القلب إذا خلا من نور الإيمان صار عرضة لتسليط الشياطين عليه، وأن اتباع الهوى هو الباب الذي تدخل منه الشياطين إلى قلب العبد، فالصوفي يرى أن الذنوب والمعاصي هي التي تجعل القلب مظلما، فيغشاه الوسواس والخواطر الرديئة.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الأنبياء والأولياء محفوظون من الكفر والضلال، وأن القلب المؤمن الصادق لا يمكن أن يستقر فيه الشرك، وإنما

الكفر والضلال من تزيين الشياطين للنفوس الضعيفة، وأن العبد الصالح كلما قوي إيمانه بعدت عنه الشياطين.

ج. قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يرى فيه الصوفي أن السحر هو من أعظم الحجب التي تحجب القلب عن ربه، فهو يعلق القلب بالمخلوقات والأسباب، ويصرفه عن التوكل على الخالق، والساحر والمتعلم له يعيشان في وهم القدرة والتحكم، بينما العبد الصادق يرى نفسه عاجزا فقيرا إلى الله.

د. قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الابتلاءات والفتن هي من سنن الله في تمييز الصادق من الكاذب، وأن العبد المؤمن إذا وقع في فتنة فعليه أن يلجأ إلى الله ويستعيذ به، ولا يتبع خطوات الشيطان، فالفتنة اختبار للقلوب، ومن ثبت فيها نال مقامات عالية.

هـ. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يقرر عند الصوفي أن التوكل على الله هو الحصن الحصين من كل سوء، وأن من فوض أمره إلى الله لم يضره سحر ساحر ولا كيد كائد، لأن الضر والنفع بيد الله وحده، وأن الخوف من السحر أو غيره من المخلوقات هو من ضعف اليقين وعدم صدق التوكل.

و. قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يرى فيه الصوفي أن السحر من حجب الغفلة التي تحرم العبد من لذة المناجاة والقرب من الله، وأن من اشتغل به حُرم من أنوار المعرفة وأسرار القرب، فخسر الدنيا والآخرة، بينما العبد الصادق يبيع دنياه ليربح آخرته.

ز. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ يجد فيه الصوفي أن ثمرة الإيمان والتقوى هي الوصول إلى الله والظفر بثوابه، وأن كل ما في الدنيا من لذات ومقامات لا يعدل لحظة من القرب الإلهي، فالمؤمن الصادق يطلب الله وحده، ولا يلتفت إلى ما سواه.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة أصل الشر في العالم، فالشياطين هنا تمثل قوى الشر التي تحاول إفساد ما أقامه الأنبياء من خير وعدل، وأن التاريخ البشري هو صراع مستمر بين قوى الخير والشر، وأن اتباع الباطل ليس ناتجا عن جهل فحسب، بل عن

اختيار إرادي واعٍ.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الحقيقة لا تتغير بتغيير النسب إليها، فسليمان عليه السلام بريء من الكفر سواء اتهمه به المتهمون أم لا، والحقيقة قائمة بذاتها لا تتأثر بالأقاويل، وهذا يلتقي مع المبدأ الفلسفي القائل بأن الحقيقة موضوعية مستقلة عن الذات المدركة.

ج. قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالا معرفيا حول طبيعة السحر، هل هو علم حقيقي أم وهم وخداع؟ والآية تقرر أن له أثرا في التفريق بين المرء وزوجه، لكنه أثر مشروط بإذن الله، مما يعني أن السحر ليس علما مستقلا بقوانينه، بل هو ظاهرة مرتبطة بالإرادة الإلهية، وهذا يطرح سؤالا عن حدود المعرفة البشرية وقدرتها على التأثير في الواقع.

د. قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن المعرفة ليست محايدة أخلاقيا، فتعليم السحر مع التحذير منه يبين أن المعرفة يجب أن تقترن بالمسؤولية الأخلاقية، وأن مجرد معرفة الشيء لا تبرر فعله، وهذا يلتقي مع فلسفة الأخلاق التي تؤكد أن العلم بلا أخلاق هدم.

هـ. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الأسباب والمسببات، فالسحر سبب من الأسباب لكنه لا يعمل إلا بإذن الله، وهذا يعني أن نظام الأسباب في الكون ليس مغلقا بذاته، بل هو خاضع لإرادة عليا، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة السببية والعلة الأولى.

و. قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يجد فيه الفيلسوف تناقضا معرفيا عند الإنسان، فهو يعلم العاقبة السيئة ثم يقدم عليها، وهذا يثير مسألة ضعف الإرادة أمام الرغبة، وهي من القضايا التي شغلت الفلاسفة في تفسير السلوك الإنساني، فالعلم وحده لا يكفي لضبط السلوك ما لم تقترن به إرادة خيرة.

ز. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ يقرر الفيلسوف أن السعادة الحقيقية ليست في المنافع العاجلة، بل في الخير الأسمى الذي يتجاوز الحس، وأن الإيمان والتقوى هما الطريق إلى

هذه السعادة، وهذا يلتقي مع الفلسفة الأخلاقية التي تضع السعادة في الفضيلة لا في اللذة.

رابعا - إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ يبين أن اتباع الهوى والشهوات هو أصل كل انحراف خلقي، وأن الإنسان إذا ترك العقل والدين واتبع الشيطان انحدر في سلم الرذيلة، فالأخلاق الفاضلة لا تقوم إلا على أساس من الإيمان والالتزام بالمنهج الإلهي.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ يلفت عالم الأخلاق إلى أن القدوة الحسنة يجب أن تكون نقية من كل شائبة، وأن نسبة الرذائل إلى الصالحين ظلم وافتراء، وأن الأخلاقي الحقيقي هو الذي يتحرى العدل في أحكامه على الناس، فلا يتهم بريئا ولا يبرئ مذنبا.

ج. قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يرى فيه أن السحر من أكبر الكبائر وأعظم الرذائل الأخلاقية، لأنه يقوم على الخداع والتضليل وإيذاء الآخرين، وتفريق الأسر وزعزعة الاستقرار الاجتماعي، فهو ليس مجرد معصية فردية، بل جريمة أخلاقية واجتماعية بامتياز.

د. قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يبين أن الأخلاق الفاضلة تقتضي النصح والتحذير قبل التعليم، وأن من يقدم معرفة قد تضر بالآخرين عليه أن يبين لهم خطورتها ويحذرهم منها، وهذا من الأمانة العلمية والمسؤولية الأخلاقية.

هـ. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ يغرس في النفس خلق التوكل على الله وعدم الخوف من المخلوقين، فمن أيقن أن الضر والنفع بيد الله وحده، لم يخضع لساحر ولا لجبار، وكانت أخلاقه قائمة على العزة والثقة بالله لا على الخوف والذل.

و. قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يبين أن الأخلاق الإسلامية تقوم على الموازنة بين العاجل والآجل، وأن العاقل من يقدم ما يبقى على ما يفنى، وأن من يبيع آخرته بدنياه فقد خسر خسرانا مبينا، وهذه هي النظرة الأخلاقية التي تجعل الإنسان يعمل للدنيا كأنه يعيش أبدا، ويعمل للآخرة كأنه يموت غدا.

ز. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ يقرر أن الإيمان والتقوى هما أساس الفضائل كلها، وأن ثواب الله خير من كل ما يمكن أن يحصله الإنسان من عرض الدنيا، فالأخلاقي

الحقيقي هو من يطلب مرضاة الله لا مرضاة الناس، ويؤثر الآخرة على الدنيا.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات التي تنحرف عن القيم الدينية تصبح عرضة لانتشار الخرافات والمعتقدات الباطلة، وأن اتباع الشائعات والأباطيل هو من علامات ضعف الوعي الاجتماعي، وأن المجتمعات القوية هي التي تبني تصوراتها على الحقائق لا على الأوهام.

ب. قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يشير إلى أن السحر والخرافات تنتشر في المجتمعات التي تعاني من الفراغ الروحي والجهل، وأنها ظاهرة اجتماعية خطيرة تؤدي إلى تفكك العلاقات الأسرية والاجتماعية، لأنها تزرع الشكوك وتثير النزاعات بين الأفراد، كما أنها تستنزف موارد المجتمع وتشغله عن الإنتاج والعمل.

ج. قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ يبين أن السحر من العوامل التي تهدد تماسك الأسرة، وهي الخلية الأساسية في المجتمع، فالتفريق بين الأزواج يؤدي إلى تفكك الأسر، وتشرد الأبناء، وانتشار المشكلات الاجتماعية، وهذا يلفت عالم الاجتماع إلى ضرورة تحصين المجتمع ضد هذه الظواهر المدمرة.

د. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن الخوف من السحر والسحرة هو ظاهرة اجتماعية تحتاج إلى معالجة، وأن التوعية بحقيقة أن الضر والنفع بيد الله هي السبيل لتحرير المجتمع من هذه المخاوف الوهمية، وأن المجتمعات التي تسيطر عليها الخرافات تكون أقل تقدما وإنتاجية.

هـ. قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يبين أن المجتمعات التي تنتشر فيها هذه الممارسات هي مجتمعات تعاني من أزمة قيم، حيث يقدم أفرادها على ما يعلمون ضرره بيقين، وهذا يدل على ضعف الوازع الديني والأخلاقي، وهو ما يستدعي من علماء الاجتماع دراسة أسباب هذه الظاهرة وسبل علاجها.

و. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ يقرر أن الإيمان والتقوى هما الضمانة

الأساسية لصلاح المجتمع واستقراره، وأن المجتمعات المؤمنة المتقية هي التي تنعم بالأمن والاستقرار، بينما المجتمعات التي تنحرف عن هذه القيم تعاني من التفكك والاضطراب، فالدين هو الرابط الاجتماعي الأقوى.

سادسا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ يشير إلى أن النفس البشرية إذا خلت من الإيمان أصبحت عرضة للوساوس الشيطانية والأفكار السلبية، وأن اتباع الشيطان هو نتيجة لضعف الإرادة وعدم السيطرة على النفس، وهذا يلتقي مع ما تقوله الدراسات النفسية عن تأثير الأفكار السلبية على الصحة النفسية.

ب. قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يرى فيه عالم النفس أن السحر والخرافات هي مظاهر للقلق النفسي والخوف من المجهول، وأن الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات نفسية هم الأكثر عرضة للجوء إلى السحرة والمشعوذين، وأن انتشار هذه الظواهر يدل على انتشار القلق النفسي في المجتمع.

ج. قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ يبين أن السحر يؤثر في العلاقات الزوجية من خلال زرع الشكوك والأوهام في نفوس الأزواج، وهذا يسبب اضطرابات نفسية حادة كالغيرة المرضية والوسواس القهري، ويؤدي إلى تفكك الأسر، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية حول تأثير الشك والوساوس على العلاقات.

د. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يوجه عالم النفس إلى أن الخوف من السحر هو في حقيقته خوف نفسي، وأن الإيمان بأن الضر والنفع بيد الله هو العلاج النفسي الأنجع لهذه المخاوف، فالعلاج النفسي الإسلامي يقوم على تقوية الإيمان والتوكل على الله لطرد الوساوس والمخاوف.

هـ. قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يبين أن الإنسان قد يعلم أن سلوكه ضار بنفسه ثم يستمر فيه، وهذا ما يسمى في علم النفس بالسلوك الإدماني، حيث يكرر الإنسان سلوكا يعلم ضرره، وهذا يحتاج إلى علاج نفسي عميق لمعالجة الدوافع الكامنة وراء هذا السلوك.

و. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ يقرر أن الإيمان والتقوى هما أساس الصحة النفسية، فالدراسات النفسية الحديثة تؤكد أن الإيمان الديني يمنح الإنسان طمأنينة وسكينة،

ويحميه من القلق والاكتئاب، وأن من يعيش بلا إيمان يعاني من الفراغ الوجودي والاضطراب النفسي.

سابعا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يلفت نظر عالم السياسة إلى أن الأعداء يحاولون دائما تشويه صورة الحكام العادلين، ونشر الأكاذيب عنهم لتقويض شرعيتهم، وأن هذه الحملات المغرضة هي من أساليب الحرب النفسية التي تستخدمها قوى الشر، وهذا ما نراه في التاريخ القديم والحديث.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ يبين أن الحاكم العادل قد يتعرض للافتراءات والتهم الباطلة، لكن الحقيقة تبقى واضحة، وأن على الحاكم أن يثبت على الحق ولا يلتفت إلى الأباطيل، وأن الشعب العاقل هو الذي يميز بين الحقيقة والافتراء.

ج. قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يشير إلى أن انتشار الخرافات والسحر في المجتمع هو من علامات ضعف الدولة وفشل أجهزتها في نشر الوعي، وأن الدولة القوية هي التي تحارب هذه الظواهر وتحمي مواطنيها من هذه الممارسات الضارة، وأن السحر قد يستخدم كأداة من أدوات زعزعة الاستقرار السياسي.

د. قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ يبين أن السحر يستخدم كأداة لتفكيك الأسر والمجتمعات، وهذا يهدد الاستقرار الاجتماعي الذي تقوم عليه الدولة، فالدولة الحكيمة هي التي تحارب هذه الممارسات وتحمي الأسرة من التفكك، لأن الأسرة المتماسكة هي أساس المجتمع القوي.

هـ. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِّ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن القوى المعادية مهما بلغت من القوة فإنها لا تستطيع أن تضر إلا بإذن الله، وهذا يمنح الدولة المؤمنة الثقة والأمان، ويجعلها تعتمد على الله ثم على أسبابها، ولا تخشى تهديدات الأعداء ومكائدهم.

و. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهَّ خَيْرٌ﴾ يقرر أن الإيمان والتقوى هما أساس قوة الدولة وبقائها، فالدولة التي تقوم على الإيمان والتقوى تنعم بالاستقرار والازدهار، بينما الدول التي تنحرف عن هذه القيم تعاني من الفساد والاضطراب، وأن ثواب الله خير للدولة من كل ما يمكن أن تحققه من مكاسب دنيوية.

ثامنا ـ إشارات إعلامية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ يشير إلى أن وسائل الإعلام المضللة تلعب دور الشياطين في نشر الأكاذيب والشائعات، وأن اتباع الناس لهذه الأباطيل هو نتيجة لضعف الوعي الإعلامي، وأن الإعلام الصادق هو الذي ينقل الحقائق كما هي دون تحريف أو تزييف.

ب. قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يلفت نظر عالم الإعلام إلى أن بعض وسائل الإعلام قد تساهم في نشر الخرافات والسحر من خلال البرامج التي تروج لهذه الممارسات، وهذا يشكل خطرا على المجتمع، فالرسالة الإعلامية يجب أن تكون هادفة وبناءة، لا أن تساهم في نشر الجهل والضلال.

ج. قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يبين أن الإعلام الصادق يجب أن يقدم المعلومة مع التحذير من مخاطرها، وأن يكون النقد البناء مصحوبا بالتوعية، فالرسالة الإعلامية الناجحة هي التي تجمع بين الإخبار والتوجيه، ولا تكتفي بنقل المعلومة دون بيان أثرها.

د. قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ يشير إلى أن بعض وسائل الإعلام تساهم في تفكيك الأسر من خلال البرامج التي تثير الشكوك وتزرع الفتن بين الأزواج، وهذا من أخطر ما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام، فالإعلام الناجح هو الذي يعزز تماسك الأسرة ويحافظ على القيم.

هـ. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ يوجه عالم الإعلام إلى أن تأثير الرسائل الإعلامية ليس مطلقا، بل هو محدود بإذن الله، وأن الجمهور الواعي هو الذي يستطيع أن يميز بين الرسائل الصادقة والرسائل المضللة، وأن التوعية الإعلامية هي السبيل لتحصين المجتمع ضد التأثيرات السلبية.

و. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ يقرر أن الإعلام الهادف الذي يقوم على الإيمان والتقوى هو الذي يقدم الخير للمجتمع، وأن الرسالة الإعلامية الصادقة هي التي تسعى إلى إصلاح المجتمع وهدايته، لا إلى إفساده وإضلاله، وأن أجر الإعلامي الصادق عند الله خير من كل ما يمكن أن يحصله من مكاسب مادية.

تاسعا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن التاريخ البشري مليء بالأكاذيب والافتراءات التي نسجها أعداء الأنبياء والدعاة، وأن هذه الأكاذيب قد تنتشر وتؤثر في

وعي الأجيال، وأن مهمة المؤرخ هي كشف الحقائق وتصحيح الأخطاء التاريخية.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ يبين أن التاريخ قد يتعرض للتشويه، وأن الشخصيات العظيمة قد تُنسب إليها التهم الباطلة، وأن المؤرخ الحقيقي هو الذي يبحث عن الحقيقة بعيدا عن الأهواء والتحيزات، وأن تصحيح الصورة التاريخية للأنبياء والصالحين هو من واجبات المؤرخ.

ج. قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يشير إلى أن السحر والخرافات كانت ظواهر منتشرة في الأمم السابقة، وأنها كانت من أسباب انحطاط الحضارات، فالمجتمعات التي انتشر فيها السحر والخرافات كانت مجتمعات متخلفة علميا وحضاريا، وهذا يفسر لنا أسباب سقوط بعض الحضارات.

د. قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن مدينة بابل كانت من مراكز السحر والخرافات في التاريخ القديم، وأن هذه الممارسات كانت منتشرة في حضارة بلاد الرافدين، وأن القرآن الكريم يقدم لنا معلومات تاريخية دقيقة عن هذه الظواهر، مما يؤكد صدق القرآن في أخباره التاريخية.

هـ. قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يبين أن المجتمعات التي تنتشر فيها هذه الممارسات هي مجتمعات فقدت البوصلة الأخلاقية، وأنها تقدم على ما تعلم ضرره، وهذا يفسر لنا انحطاط بعض الحضارات التي كانت تمتلك المعرفة لكنها افتقدت القيم.

و. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ يقرر أن الإيمان والتقوى هما أساس ازدهار الحضارات، فالمجتمعات المؤمنة المتقية هي التي بنت الحضارات العظيمة، بينما المجتمعات التي انحرفت عن هذه القيم سقطت واندثرت، وهذا درس تاريخي عظيم يستخلصه المؤرخ من هذه الآيات.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ يبين أن التربية الصحيحة هي التي تحصن النشء ضد اتباع الشائعات والأباطيل، وأن المربي الناجح هو الذي يعلم تلاميذه التفكير النقدي وعدم الانسياق وراء كل ما يسمعون، وأن التربية على الوعي والبصيرة هي أساس بناء الشخصية السليمة.

ب. قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ يلفت نظر المربي إلى خطورة نقل المعرفة الضارة، وأن المعلم مسؤول عن كل ما يقدمه لتلاميذه، فعليه أن يقدم لهم ما ينفعهم وينفع مجتمعهم، وأن يحذرهم من العلوم

الضارة والممارسات الخاطئة، فالتربية ليست مجرد نقل معلومات، بل هي بناء إنسان صالح.

ج. قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يبين أن المربي الناجح هو الذي يقدم المعرفة مع بيان مخاطرها، وأنه لا يكفي أن يتعلم الطالب المعلومة، بل يجب أن يتعلم أيضا كيف يستخدمها، وأن يكون على وعي بآثارها، فالتربية الحقة هي التي تجمع بين التعليم والتوجيه.

د. قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ يوجه المربي إلى أن بعض المعارف قد تستخدم في الإضرار بالآخرين، وأن على المربي أن يربي في تلاميذه الأخلاق الحميدة التي تمنعهم من استخدام معارفهم في الإضرار بالناس، فالتربية الأخلاقية هي جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية.

هـ. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ يغرس في نفوس التلاميذ خلق التوكل على الله وعدم الخوف من المخلوقين، وأن من كان الله معه فلا يخاف أحدا، وأن القوة الحقيقية هي قوة الإيمان، وهذا يبني شخصية قوية واثقة لا تهتز أمام التهديدات.

و. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ يبين أن الغاية من التربية هي الوصول بالإنسان إلى الإيمان والتقوى، وأن ثواب الله خير من كل ما يمكن أن يحصله الإنسان من مكاسب دنيوية، فالمربي الناجح هو الذي يربي تلاميذه على طلب الآخرة لا على حب الدنيا فقط.

٤٢. النهي عن التلفظ بما يؤذي الرسول وحسد الكفار لفضل الله:

المقطع [٤٢] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٤-١٠٥]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير إلى أن العقيدة الإسلامية تقوم على تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القول والفعل، وأن الأدب معه جزء من الإيمان، إذ أن النهي عن كلمة (راعنا) التي كانت تُستخدم للتفكه أو التحريف جاء لصيانة مقام النبوة عن أي التباس أو امتهان، وهذا يؤصل قاعدة سد الذرائع في حفظ حرمة الرسل.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يدل على أن السماع والطاعة لله ولرسوله من لوازم الإيمان، وأن الإيمان ليس مجرد تصديق قلبي، بل هو امتثال عملي لأوامر الشرع، فالسماع هنا بمعنى الإصغاء والانقياد، وهو من علامات الإيمان الصادق.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يقرر حقيقة عقدية وهي أن الكفر له جزاء في الآخرة، وأن العذاب الأليم مصير من كفر بالله ورسله، وهذا يرسخ في المؤمن مبدأ الوعد والوعيد، وأن الله لا يظلم أحدا، بل يجازي كل عامل بعمله.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يكشف عن حقيقة عداوة الكافرين للمؤمنين، وأنهم لا يودون لهم خيرا، وهذا يبين أن الصراع بين الإيمان والكفر صراع وجودي قديم، وأن المؤمنين يجب أن يكونوا على حذر من أعدائهم، مع أن الله ناصرهم.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يقرر أن النبوة والوحي والفضل الإلهي ليسا بيد البشر، بل بيد الله وحده، يمنحهما لمن يشاء من عباده، وهذا يرد على الذين اعترضوا على نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حسدا منهم، ويؤكد أن مشيئة الله نافذة لا راد لها.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يثبت أن الله هو مصدر كل فضل وخير، وأن فضله واسع لا يحد، وأن اختصاصه بالرحمة لمن يشاء هو من مقتضى فضله وحكمته، لا اعتراض عليه، وهذا يربي المؤمن على التسليم المطلق لحكمة الله وتدبيره.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يجد فيه الصوفي إشارة إلى ضرورة مراقبة الألفاظ والأدب مع الله ورسوله، وأن الأدب مع المقام المحمدي هو من علامات صدق المحبة، فالقلب السليم لا يتلفظ إلا بما يليق بجلال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا من مقامات الأدب الباطني.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير عند الصوفي إلى السماع القلبي، وهو استماع الروح لنداء الحق، وليس مجرد سماع الأذن، فالمؤمن الصادق يسمع كلام الله بقلبه قبل أذنه، وينفعل به

انفعالا روحيا يجعله في مقام الذوق والشهود.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يذكّر الصوفي بأن العذاب ليس مقصورا على الآخرة، بل قد يكون عذابا باطنيا في القلب، كالحجاب عن الله والقسوة والغفلة، فالكفر الحقيقي عندهم هو حجاب القلب عن مشاهدة الحق، وهذا أشد العذاب.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الحسد هو من أمراض القلوب التي تحجب عن الفيض الإلهي، وأن المؤمن الصادق يجب أن يتطهر من الحسد ليكون أهلا لنزول الخير والرحمة، فالقلب المشغول بحسد الآخرين محجوب عن نور الله.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] هو عند الصوفي من أعظم الآيات التي تثبت أن الرحمة الإلهية والفيوضات الربانية لا تدرك بالاجتهاد أو السعي، بل هي هبة إلهية يمنحها الله لمن اصطفاه من عباده، وهذا يربي فيهم الفقر والافتقار إلى الله، وعدم الاعتماد على الأعمال.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يجد فيه الصوفي أن الله هو مصدر كل فضل، وأن فضله يشمل المؤمن والكافر في الدنيا، لكنه يختص به المؤمنين في الآخرة، وأن العبد مهما بلغ في المقامات فهو محتاج إلى فضل الله ورحمته، وهذا يزرع فيه التواضع وعدم الاغترار بالأحوال.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يثير عند الفيلسوف مسألة دلالة الألفاظ وأثرها في المعاني، فالكلمة الواحدة قد تحمل معاني متعددة، وقد تكون سببا في تغيير العلاقات، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة اللغة، وأن اختيار الألفاظ ليس أمرا هامشيا، بل هو جوهر التواصل الإنساني.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يلفت نظر الفيلسوف إلى أن السماع ليس مجرد عملية حسية، بل هو عملية معرفية تتضمن الفهم والتدبر والامتثال، وهذا يلتقي مع فلسفة التأويل التي ترى أن الفهم الحقيقي للنص يتجاوز الظاهر إلى المقاصد.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يثير عند الفيلسوف إشكالية العدالة

الإلهية، فالعذاب الأليم للكافرين يطرح سؤالا عن طبيعة الحرية الإنسانية والمسؤولية الأخلاقية، وهل الكفر اختيار حر يستحق صاحبه العقاب، أم هو قضاء إلهي لا دخل للإنسان فيه؟ وهذا من أعقد المسائل الفلسفية في مبحث العدل الإلهي.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يدفع الفيلسوف إلى التأمل في طبيعة الحسد كظاهرة إنسانية، وما يثيره من إشكالات حول العلاقة بين الذات والآخر، وحول إمكانية تمني الخير للغير، وهذا يقرب من فلسفة الأخلاق التي تبحث في الفضائل والرذائل.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يطرح عند الفيلسوف إشكالية الاختيار الإلهي والاصطفاء، وهي من أعقد الإشكالات في الفلسفة الدينية، فكيف يختص الله برحمته من يشاء دون غيره؟ وهل هذا يتنافى مع العدل؟ وهل يمكن التوفيق بين الاختصاص الإلهي والمسؤولية الإنسانية؟ وهذه إشكالات ناقشها الفلاسفة والمتكلمون عبر العصور.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الفضل الإلهي ليس مبنيا على استحقاق بشري، بل هو فيض وجودي يصدر عن الذات الإلهية، وهذا يلتقي مع فلسفة الفيض عند بعض الفلاسفة المسلمين الذين رأوا أن الوجود كله فيض من الله، وأن الخير كله صادر عنه.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يوجه عالم الأخلاق إلى أن الأدب في الكلام واختيار الألفاظ المناسبة من أهم القيم الأخلاقية، وأن الكلمة الطيبة صدقة، والكلمة السيئة قد تهدم العلاقات، فالمؤمن مطالب بأن يكون حسن القول مع الجميع، وخاصة مع الأنبياء والعلماء وذوي المكانة.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير إلى أن الإنصات والاستماع الجيد من القيم الأخلاقية الرفيعة، فالاستماع للآخرين يعبر عن الاحترام والتقدير، وهو أساس الحوار البناء، والمؤمن الحق هو الذي يستمع ثم يطيع، لا الذي يجادل ويعاند.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يذكر عالم الأخلاق بأن العذاب ليس جزاء تعسفيا، بل هو نتيجة طبيعية للكفر والفساد الأخلاقي، فمن ينكر الحق ويعاند ويظلم يستحق العقاب، وهذا يرسخ مبدأ أن الجزاء من جنس العمل، وأن الأخلاق الفاسدة لها عواقب وخيمة.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يحذر عالم الأخلاق من خلق الحسد الذي يدفع صاحبه إلى تمني زوال النعم عن الآخرين، والحسد من أسوأ الرذائل الأخلاقية، لأنه يجعل الإنسان يعيش في تعاسة دائمة، ويحول بينه وبين الفرح بخير الآخرين.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يوجه عالم الأخلاق إلى أن الفضل الإلهي ليس ملكا لأحد، وأن على الإنسان أن يرضى بقضاء الله وقدره، فلا يحسد أحدا على ما أعطاه الله، بل يسعى في طلب الفضل من الله، والرضا بالقسمة الإلهية من أعلى مقامات الأخلاق.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يذكر عالم الأخلاق بأن الله هو مصدر كل فضل وخير، وأن الإنسان إذا علم ذلك لم يتكبر على الآخرين بما عنده من نعم، بل يشكر الله ويستخدم نعمه في الخير، فالأخلاق الفاضلة تنبع من الإيمان بأن كل شيء من الله.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن اللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل هي وعاء للقيم والهوية، وأن تغيير الألفاظ قد يكون ضروريا لضبط العلاقات الاجتماعية، فالنهي عن كلمة (راعنا) كان لحماية المجتمع المسلم من أي التباس قد يستغله الأعداء، وهذا يظهر أهمية الرقابة اللغوية في بناء المجتمعات.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير إلى أن المجتمعات الناجحة تقوم على ثقافة الاستماع والحوار، وأن رفض الاستماع للآخرين يؤدي إلى التفكك الاجتماعي، فالسماع هنا ليس مجرد إدراك حسي، بل هو ثقافة مجتمعية تقوم على الاحترام المتبادل والانفتاح على الآخر.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يبين أن المجتمعات التي تنحرف عن القيم الدينية والأخلاقية تكون عرضة للعذاب والانهيار، وهذا ما تؤكده الدراسات الاجتماعية الحديثة

التي تربط بين انهيار القيم وزيادة الجريمة والتفكك الأسري، فالعذاب هنا قد يكون اجتماعيا قبل أن يكون أخرويا.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يكشف عن ظاهرة اجتماعية قديمة وهي الحسد الجماعي بين الأمم، وأن بعض الجماعات لا تود الخير للجماعات الأخرى، وهذا يفسر كثيرا من الصراعات الاجتماعية والسياسية، ويدعو إلى بناء مجتمعات متسامحة لا تحسد بعضها.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يوجه عالم الاجتماع إلى أن التفاوت في المواهب والثروات بين الأفراد والجماعات هو سنة إلهية، وأن هذا التفاوت ليس مبررا للصراع، بل هو اختبار للتعاون والتكامل، فالمجتمع الناجح هو الذي يحول التنوع إلى قوة لا إلى ضعف.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يذكر عالم الاجتماع بأن الفضل الإلهي يشمل الجميع، وأن المجتمعات التي تؤمن بفضل الله ورحمته تكون أكثر تماسكا وأقل عرضة لليأس والإحباط، فالإيمان بفضل الله يمنح المجتمع طاقة إيجابية تدفعه للعمل والبناء.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يوجه عالم السياسة إلى أن اللغة السياسية يجب أن تكون دقيقة وواضحة، وأن اختيار الألفاظ في الخطاب السياسي له أثر كبير في توجيه الرأي العام، فالنهي عن كلمة (راعنا) يظهر أن الإسلام يهتم بضبط الخطاب العام، ويمنع أي كلام قد يساء فهمه أو يستغل من الأعداء.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير إلى أن السياسة الناجحة تقوم على الاستماع للشعب والتفاعل مع مطالبه، وأن الحاكم الذي لا يستمع لرعيته يفقد شرعيته، فالسماع هنا هو أساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهو من مبادئ الحكم الرشيد.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يذكر عالم السياسة بأن الدول التي تعادي الله ورسوله وتكفر بآياته تكون عرضة للعذاب والهلاك، وهذا ما شاهدناه في التاريخ من انهيار دول وحضارات كانت تعادي الأنبياء والمؤمنين، فالعذاب قد يكون سياسيا وعسكريا في الدنيا قبل

الآخرة.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يكشف عن حقيقة السياسة الدولية، وهي أن بعض الدول لا تود الخير للدول الأخرى، وتسعى لمنعها من التقدم والازدهار، وهذا يستدعي من المؤمنين أن يكونوا على حذر من مؤامرات الأعداء، وأن يبنوا قوتهم الذاتية.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يوجه عالم السياسة إلى أن القيادة والتمكين ليسا بيد البشر وحدهم، بل بيد الله، فهو الذي يختص برحمته من يشاء، وهذا يمنع الطغيان والاستبداد، فالحاكم يعلم أن سلطته من الله، وأن الله قادر على نزعها منه.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يذكر عالم السياسة بأن الفضل الإلهي هو الذي يحدد مسار الأمم، وأن الدول التي تشكر نعم الله وتستخدمها في الخير تزداد قوة وتمكينا، والدول التي تكفر النعم وتستخدمها في الشر تتعرض للزوال، وهذا ما تؤكده سنة الله في التاريخ.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يوجه عالم الإدارة إلى أهمية ضبط التواصل الداخلي في المؤسسات، وأن اختيار الألفاظ المناسبة في التعامل مع القادة والزملاء يمنع سوء الفهم، ويحقق بيئة عمل صحية، فالنهي عن كلمة (راعنا) يظهر أن الإسلام يهتم بجودة التواصل الإداري.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير إلى أن الاستماع الفعال هو من أهم مهارات القيادة الناجحة، فالقائد الذي يستمع لموظفيه ويراعي آراءهم يحقق ولاءهم وإنتاجيتهم، والسماع هنا هو أساس بناء الثقة في المؤسسات.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يذكر عالم الإدارة بأن المؤسسات التي تنحرف عن القيم الأخلاقية وتغش وتظلم تكون عرضة للفشل والانهيار، فالعذاب هنا قد يكون متمثلا في الخسائر المالية وفقدان السمعة، وهذا ما تؤكده دراسات إدارة الأعمال الحديثة التي تربط بين الأخلاق والنجاح.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ

رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يحذر عالم الإدارة من المنافسة غير الشريفة، فبعض المنافسين لا يودون الخير لمؤسستك، بل يسعون لمنعك من التقدم، وهذا يستدعي اليقظة والحذر، وبناء استراتيجيات تحمي المؤسسة من المكائد.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يوجه عالم الإدارة إلى أن النجاح ليس بيد البشر وحدهم، بل هو بيد الله، فهو الذي يمنح التوفيق لمن يشاء، وهذا يمنع الغرور بالنجاح، ويجعل المؤسسة تعتمد على الله ثم على أسبابها.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يذكر عالم الإدارة بأن الفضل الإلهي هو أساس كل نجاح، وأن المؤسسات التي تشكر الله على نعمه وتستخدمها في الخير تزداد بركة وتوفيقا، والمؤسسات التي تكفر النعم وتستخدمها في الشر تتعرض للزوال.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يلفت نظر المؤرخ إلى أن هذه الآية تكشف عن جانب من جوانب الصراع بين المسلمين واليهود في المدينة المنورة، حيث كان اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه، ويستخدمون الألفاظ للإساءة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يظهر أهمية دراسة السياق التاريخي لفهم النصوص.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير إلى أن هذه الآية جاءت في مرحلة حساسة من تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث كان المسلمون بحاجة إلى الانضباط والطاعة لبناء دولتهم الناشئة، فالسماع والطاعة كانا أساس التمكين في المدينة.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يذكر المؤرخ بأن العذاب الذي توعد الله به الكافرين قد تحقق في التاريخ، حيث انتصر المسلمون على أعدائهم في بدر وغيرها من الغزوات، وكان ذلك مصداقا لهذا الوعيد، وهذا يؤكد أن التاريخ يسير وفق سنة الله.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يكشف للمؤرخ عن طبيعة العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين في تلك الفترة، وأن الحسد كان دافعا لعداوتهم، وهذا يفسر كثيرا من الأحداث التاريخية التي واجهت المسلمين في

مكة والمدينة.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يوجه المؤرخ إلى أن اختيار الله للأنبياء والرسل هو سنة إلهية تتكرر في التاريخ، فالله يختص برحمته من يشاء من عباده، وهذا ما حدث مع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، فالنبوة اصطفاء إلهي لا دخل للبشر فيه.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يذكر المؤرخ بأن فضل الله على هذه الأمة عظيم، حيث اختارها لتحمل الرسالة الخاتمة، وأن هذا الفضل يستوجب الشكر والقيام بالواجب، فالتاريخ الإسلامي هو تاريخ فضل الله على هذه الأمة.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يجد فيه الطبيب النفسي إشارة إلى أن الكلمات التي نستخدمها تؤثر في حالتنا النفسية، فالنهي عن كلمة (راعنا) التي تحمل معنى سيئا، والأمر بقول (انظرنا) التي تحمل معنى حسنا، يظهر أن الإسلام يهتم بالصحة النفسية من خلال ضبط اللغة، فاللغة الإيجابية تحسن المزاج وتقلل التوتر.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير إلى أن الاستماع الجيد هو من مهارات الصحة النفسية، فالاستماع للآخرين يقلل الشعور بالعزلة، ويعزز العلاقات الاجتماعية، كما أن الاستماع لتوجيهات الله ورسوله يمنح الإنسان الطمأنينة والسكينة.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يذكر الطبيب النفسي بأن الكفر والعناد والجحود تسبب عذابا نفسيا للإنسان، فالذي يعاند الحق ويعيش في إنكار يعاني من صراع داخلي وقلق مستمر، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية التي تربط بين فقدان المعنى والاضطرابات النفسية.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يحلل الطبيب النفسي ظاهرة الحسد كمرض نفسي، فالحاسد يعيش في تعاسة دائمة لأنه لا يفرح بخير الآخرين، وهذا يسبب له الاكتئاب والقلق، والعلاج من الحسد يكون بالرضا بقضاء الله والتخلص من الغيرة.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يجد فيه الطبيب النفسي علاجا

لمشاعر الغيرة والحسد، فإذا علم الإنسان أن الله يختص برحمته من يشاء، وأن الفضل بيد الله وحده، فإنه يرضى بقضاء الله، ويتخلص من مشاعر الحسد التي تسبب له الاضطراب النفسي.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يذكر الطبيب النفسي بأن الإيمان بفضل الله ورحمته يمنح الإنسان الأمل والتفاؤل، وهذا يحميه من الاكتئاب واليأس، فالمؤمن الذي يعلم أن الله ذو فضل عظيم يعيش في طمأنينة وسكينة، حتى في أصعب الظروف.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يوجه عالم الاقتصاد إلى أن اللغة الاقتصادية يجب أن تكون دقيقة وواضحة، وأن التلاعب بالألفاظ في العقود والمعاملات يؤدي إلى النزاعات والفساد، فالنهي عن كلمة (راعنا) التي كانت تستخدم للتحريف يظهر أن الإسلام يهتم بضبط المصطلحات الاقتصادية.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على الاستماع للتوجيهات الربانية، وعدم مخالفة أوامر الله في المعاملات المالية، فالسماع هنا يعني الالتزام بالضوابط الشرعية في البيع والشراء والربا والغش.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يذكر عالم الاقتصاد بأن الأنظمة الاقتصادية التي تقوم على الكفر والظلم والاستغلال تكون عرضة للعذاب والانهيار، وهذا ما نراه في الأزمات الاقتصادية التي تضرب الأنظمة الربوية، فالاقتصاد القائم على الربا والغش محكوم عليه بالفشل.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يكشف عن أن بعض الدول لا تود الخير للدول الأخرى اقتصاديا، وتسعى لمنعها من التقدم والازدهار، وهذا يستدعي من الدول الإسلامية أن تبني اقتصادها القوي المستقل، وألا تعتمد على أعدائها.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الرزق والبركة بيد الله، فهو الذي يختص برحمته من يشاء، وهذا يمنع الطمع والجشع، ويجعل المؤمن يعمل

بالأسباب ثم يتوكل على الله، فالبركة في الرزق ليست بكثرة المال، بل برضا الله.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يذكر عالم الاقتصاد بأن فضل الله على عباده عظيم، وأن الاقتصاد الإسلامي يقوم على مبدأ الشكر والاستغلال الأمثل للنعم، فالمجتمع الذي يشكر الله على نعمه يزداد خيرا وبركة، والمجتمع الذي يكفر النعم يتعرض للزوال.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] يوجه المربي إلى أهمية تعليم الطلاب الأدب في الكلام، واختيار الألفاظ المناسبة في التعامل مع المعلمين والكبار، فالنهي عن كلمة (راعنا) يظهر أن التربية الإسلامية تهتم بضبط اللسان، وأن الكلمة الطيبة من علامات حسن التربية.

ب. قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يشير إلى أن التربية الناجحة تقوم على تعليم الطلاب مهارة الاستماع، فالطالب الذي يستمع لمعلمه بتركيز وانتباه يحقق نتائج أفضل، والسماع هنا هو أساس التعلم، فالتلميذ لا يتعلم إلا إذا أصغى وأطاع.

ج. قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] يذكر المربي بأن التربية التي لا تقوم على الإيمان والقيم تكون عرضة للفشل، فالطالب الذي يتربى بلا دين ولا أخلاق يعاني في حياته، وقد يكون مصيره العذاب، وهذا يستدعي من المربي أن يغرس الإيمان في نفوس الطلاب.

د. قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] يحذر المربي من خلق الحسد الذي قد ينشأ بين الطلاب، فبعض الطلاب لا يودون الخير لزملائهم، ويحسدونهم على تفوقهم، وهذا يستدعي من المربي أن يربي طلابه على حب الخير للآخرين، وأن يكافح الحسد في نفوسهم.

هـ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] يوجه المربي إلى أن التفوق والنجاح ليس بيد الطلاب وحدهم، بل هو بيد الله، فهو الذي يمنح التوفيق لمن يشاء، وهذا يمنع الطلاب من الغرور بالنجاح، ويجعلهم يتواضعون ويشكرون الله على نعمه.

و. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] يذكر المربي بأن فضل الله على المعلمين والطلاب عظيم، وأن عليهم أن يشكروا الله على نعمة العلم والتعلم، وأن يستخدموا علمهم في الخير،

فالعلم الذي لا ينفع صاحبه ولا ينفع الناس يكون وبالا عليه.

٤٣. النسخ الإلهي للآيات وإحلال خير منها أو مثلها:

المقطع [٤٣] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٦-١٠٨]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يقرر حقيقة النسخ في الشريعة الإلهية، وهو دليل على أن التشريع الإلهي يخضع لحكمة متجددة تقتضي التدرج في التكليف، فالنسخ ليس بداء على الله، بل هو بيان لمصلحة العباد في كل مرحلة زمنية، وهذا يثبت كمال العلم الإلهي المطلق.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يدفع إشكال من يظن أن النسخ ينطوي على نقص في الحكم المنسوخ، فالله يبين أن البدل إما خير في الثواب والمصلحة أو مساوٍ له، وهذا يؤكد أن النسخ لا يمس عدالة الله ولا حكمته، بل هو من مقتضيات التكامل التشريعي.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يربط النسخ بالقدرة الإلهية المطلقة، فمن قدر على الخلق والإيجاد يقدر على التبديل والتغيير في الأحكام، وهذه إشارة إلى أن النسخ لا يستحيل على الله، لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقرر أن النسخ صادر عن المالك الحقيقي للكون، فكما أن الله يتصرف في ملكه كيف يشاء، فله أن يشرع ما يشاء ويمحو ما يشاء، وهذا يقطع الطريق على من يعترض على أحكام الله بحجة أنها تخضع للزمان والمكان.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينفي عن العباد أي قدرة على الاعتراض على النسخ أو دفع ما أراده الله، فليس لهم من يواليهم أو ينصرهم أمام قضاء الله، وهذا يثبت أن الولاية والنصرة الحقيقية من الله وحده، وأن من يتولى غير الله فقد خاب وخسر.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يوبخ المؤمنين على اقتراحهم

تعنتا في الأسئلة، ويحذرهم من سلوك بني إسرائيل الذين سألوا موسى تعنتا لا استرشادا، وهذا يقرر أن الأسئلة المشروعة هي التي تطلب الهدى، لا التي تطلب المعجزات تعنتا وعنادا.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يقرر أن استبدال الإيمان بالكفر هو أشد أنواع الضلال، لأنه اختيار للباطل بعد ظهور الحق، وهذا يبين أن الكفر بعد الإيمان ليس جهلا، بل انحراف عن سواء السبيل، وهو طريق مستقيم بين طريقين ضالين.

ثانيا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة التغير والثبات في الشريعة، فالنسخ يدل على أن الأحكام الإلهية ليست جامدة، بل تخضع لمبدأ التطور والتدرج، وهذا يلتقي مع فلسفة التاريخ التي ترى أن التشريعات تتطور بتطور المجتمعات، لكنه يبقى محكوما بحكمة إلهية لا بالصدفة.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يدفع الفيلسوف للتأمل في مبدأ التعويض والبديل، فكل حكم منسوخ له بديل أفضل أو مساوٍ، وهذا يثير إشكالا فلسفيا حول مفهوم الخيرية، وهل هي خيرية ذاتية أم نسبية بحسب المصالح، والإجابة أن الخيرية هنا ترجع إلى علم الله المطلق بما يصلح العباد.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يطرح على الفيلسوف مسألة العلاقة بين القدرة الإلهية والقوانين الطبيعية، فالنسخ يثبت أن الله قادر على تجاوز السنن التي أجراها في الكون، وهذا يفتح باب النقاش حول المعجزات وإمكانية خرق العادات، وهو ما يناقشه الفلاسفة في مبحث العلل والمعجزات.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الملكية المطلقة، فالله هو المالك الحقيقي للوجود، والعباد مستخلفون فيه، وهذا يبين أن التصرف الإلهي في التشريع هو تصرف المالك في ملكه، وهو ما يقرره الفلاسفة في مبحث الإلهيات من أن الله هو العلة الأولى والغاية القصوى.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع الفيلسوف إلى التأمل في مبدأ الاستقلال الوجودي، فالإنسان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا يجد من يدافع عنه أمام إرادة الله، وهذا يقرر أن الوجود كله بيد الله، وأن ما سواه عاجز عن التدخل في مشيئته.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة حدود السؤال والمعرفة، فليس كل سؤال مشروعا، بل هناك أسئلة تعنتية تخرج عن حدود العقل، وهذا يبين أن الفلسفة الحقة هي التي تعرف حدود العقل ولا تتجاوزها إلى ما لا يصل إليه.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يطرح على الفيلسوف مسألة الحرية والاختيار، فالإنسان حر في اختياره، لكنه إذا اختار الكفر بعد الإيمان فقد ضل، وهذا يبين أن الحرية ليست مطلقة، بل مقيدة بالحق، وأن الضلال هو نتيجة سوء استخدام الحرية.

ثالثا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يبين أن الأخلاق الإسلامية ليست ثابتة في كل تفاصيلها، بل تخضع لمبدأ التدرج في التكليف، فبعض الأحكام الأخلاقية كانت تشرع تدريجيا بحسب استعداد المجتمع، وهذا يربي في النفس مبدأ المرونة والواقعية في تطبيق القيم.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يغرس في النفس مبدأ الرضا بالبديل الإلهي، فالمؤمن لا يتعلق بحكم معين لذاته، بل يرضى بما يأتي به الله، وهذا يربي خلق التسليم والانقياد، وهو من أعظم الأخلاق التي تحقق الطمأنينة النفسية.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يربي في النفس خلق التوكل على الله، فمن علم أن الله على كل شيء قدير لا ييأس من تغيير الأحوال، ولا يتعلق بالأسباب وحدها، بل يعلق قلبه بالقادر الذي بيده كل شيء.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يغرس خلق الزهد في الدنيا، فمن علم أن الملك كله لله لا يتعلق بالدنيا ولا يطغى فيها، بل يعيش فيها كمسافر يأخذ حاجته فقط، وهذا يربي في النفس خلق القناعة والرضا.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يربي خلق الاستغناء بالله عن الخلق، فلا يرجو العبد إلا الله ولا يخاف إلا الله، وهذا يخلص النفس من التعلق بالبشر، ويجعلها حرة من أسر المخلوقين.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يربي خلق الأدب مع الأنبياء

والعلماء، فلا يسأل الإنسان تعنتا أو امتحانا، بل يسأل استرشادا وتعلما، وهذا يبين أن الأخلاق العلمية تقوم على حسن الأدب في طلب العلم.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يربي خلق الثبات على المبادئ، فمن آمن بالله ثم ارتد عن دينه فقد ضل، وهذا يبين أن الأخلاق الإسلامية تقوم على الثبات على الحق، وعدم التبدل مع الأهواء والمصالح.

رابعا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن التشريعات الاجتماعية تخضع لمبدأ التدرج، فالمجتمع لا يتحول دفعة واحدة، بل يحتاج إلى مراحل انتقالية، وهذا ما تؤكده الدراسات الاجتماعية الحديثة في نظرية التغيير الاجتماعي.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يشير إلى أن التغيير الاجتماعي يجب أن يكون نحو الأفضل، وأن أي إصلاح اجتماعي لا بد أن يحقق خيرا أو مساواة مع ما قبله، وهذا يمنع التغيير العبثي الذي يهدم ولا يبني.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن القوانين الاجتماعية ليست حتمية مطلقة، بل هي سنن الله في الكون، والله قادر على تغييرها، وهذا يفتح باب الأمل في إصلاح المجتمعات حتى لو بدت مستحيلة.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن المجتمعات ليست مالكة لنفسها، بل هي خاضعة لملك الله، وهذا يمنع الطغيان الاجتماعي الذي يظن أن المجتمع هو المرجع الأعلى، ويقرر أن هناك سلطة متعالية فوق كل السلطات.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يبين أن التضامن الاجتماعي الحقيقي لا يقوم إلا على أساس الإيمان بالله، فمن لا ولي له ولا نصير إلا الله لا يمكن أن يجد العزة في غيره، وهذا يوجه عالم الاجتماع إلى أن التماسك الاجتماعي الحقيقي يقوم على العقيدة.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يحذر من ظاهرة التعنت الاجتماعي، فبعض المجتمعات تتعنت في أسئلتها ومطالبها، وهذا يضعف التماسك الاجتماعي، ويذكر

عالم الاجتماع بأن المجتمعات الناجحة هي التي تسأل استرشادا لا تعنتا.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يحذر من الانتكاسة الاجتماعية، فالمجتمع الذي يتبدل إيمانه بكفره يفقد هويته ويضل طريقه، وهذا يبين أن الاستقرار الاجتماعي مرتبط بالثبات على القيم والمعتقدات.

خامسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يبين أن التشريع السياسي الإسلامي يخضع لمبدأ التدرج، فبعض الأحكام السياسية كانت تشرع تدريجيا بحسب تطور الدولة، وهذا يوجه عالم السياسة إلى أهمية التدرج في الإصلاح السياسي وعدم القفز فوق الواقع.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يقرر أن أي تعديل في السياسات يجب أن يكون نحو الأفضل، وأن الدولة لا تغير سياساتها إلا لتحقيق خير أعظم أو مساوٍ، وهذا يمنع التغيير العبثي الذي يضر بالمصلحة العامة.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يذكر الحكام بأن قدرتهم محدودة، وأن القادر على كل شيء هو الله، وهذا يمنع الاستبداد والطغيان، ويجعل الحاكم يعلم أنه مسؤول أمام من هو أقوى منه.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقرر أن السيادة الحقيقية لله وحده، وأن الدولة ليست مالكة للسلطة، بل هي مستخلفة فيها، وهذا يضع حدودا للسلطة السياسية ويمنع تحولها إلى طاغوت.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يبين أن الدولة التي لا تستند إلى الله لا تجد من ينصرها، وأن التحالفات السياسية التي لا تقوم على الإيمان بالله واهية، وهذا يوجه عالم السياسة إلى أن القوة الحقيقية للدولة في إيمانها بالله.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يحذر من ظاهرة المعارضة التعنتية، فبعض الشعوب تسأل حكامها أسئلة تعنتية لا تطلب بها خيرا، وهذا يضعف الدولة، ويذكر عالم السياسة بأن المعارضة البناءة هي التي تسأل استرشادا لا تعنتا.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يحذر من الانقلاب على المبادئ،

فالدولة التي تتبدل إيمانها بكفرها تفقد بوصلة توجهها وتضل طريقها، وهذا يبين أن ثبات الدولة على مبادئها هو ضمان استقرارها.

سادسا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يبين أن الإدارة الناجحة تخضع لمبدأ التغيير والتطوير، فالإداري الناجح لا يتمسك بسياسة معينة إذا ثبت أنها غير مناسبة، بل يغيرها إلى ما هو أفضل، وهذا ما تسمى به الإدارة الحديثة (إدارة التغيير)

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يقرر أن أي تغيير إداري يجب أن يحقق تحسينا أو مساواة على الأقل، وهذا يمنع التغيير العشوائي الذي يضر بالمنظمة، ويوجه عالم الإدارة إلى ضرورة دراسة البدائل قبل اتخاذ قرار التغيير.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يذكر المدير بأن قدرته محدودة، وأن هناك قوة أعلى منه، وهذا يمنع الغرور الإداري، ويجعل المدير يستشير ويستعين بالله في قراراته.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن المنظمة ليست ملكا للمدير، بل هو مستخلف فيها، وهذا يمنع الاستبداد الإداري، ويجعل المدير يشعر بالمسؤولية تجاه من يعمل معه.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يذكر المدير بأنه لا يجد ناصرا إلا الله، فلا يعتمد على العلاقات الشخصية أو المحسوبيات، بل يعتمد على الله ثم على الكفاءة، وهذا يبني إدارة نزيهة.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يحذر من ظاهرة الأسئلة التعنتية في العمل، فبعض الموظفين يسألون أسئلة تعنتية لا تطلب بها خيرا، وهذا يضعف الإدارة، ويوجه عالم الإدارة إلى ضرورة ضبط الأسئلة والنقاشات في العمل.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يحذر من تبدل القيم في المنظمة، فالمنظمة التي تتبدل قيمها الأخلاقية تفقد هويتها وتضل طريقها، وهذا يبين أن ثبات المنظمة على قيمها هو ضمان نجاحها.

سابعا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن التشريعات الدينية تطورت عبر

التاريخ، وأن النسخ كان أداة للتدرج التشريعي، وهذا ما يظهر في دراسة تاريخ التشريع الإسلامي، حيث كانت الأحكام تشرع تدريجيا بحسب تطور المجتمع.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يبين أن التطور التشريعي في الإسلام كان دائما نحو الأفضل، وهذا ما يظهر في دراسة تاريخ التشريع، حيث كانت الأحكام تنتقل من الأسهل إلى الأصعب ثم تستقر على الأحكام النهائية.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يذكر المؤرخ بأن الأحداث التاريخية ليست حتمية، بل هي خاضعة لقدرة الله، وهذا يمنع التفسير المادي للتاريخ الذي يرى أن الأحداث تخضع لقوانين حتمية فقط.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن التاريخ كله في ملك الله، وأن الأمم لا تملك تاريخها بل هي خاضعة لملك الله، وهذا يوجه المؤرخ إلى قراءة التاريخ بوصفه مسرحا لمشيئة الله.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يبين أن الأمم التي لا تستند إلى الله لا تجد من ينصرها في التاريخ، وهذا ما تؤكده دراسة التاريخ، حيث سقطت أمم كثيرة لأنها اعتمدت على قوتها فقط دون الله.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يحذر من تكرار أخطاء الأمم السابقة، فبنو إسرائيل سألوا موسى تعنتا، والمؤرخ يجد أن الأمم التي تتعنت في أسئلتها ومطالبها تفشل في مسيرتها التاريخية.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يبين أن الأمم التي ترتد عن إيمانها تفقد مكانتها التاريخية، وهذا ما تؤكده دراسة التاريخ، حيث سقطت أمم كثيرة بعد أن تبدلت قيمها ومعتقداتها.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يبين أن التغيير سنة من سنن الحياة، وأن النفس البشرية تحتاج إلى التكيف مع التغيير، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية الحديثة التي ترى أن القدرة على التكيف

مع التغيير من علامات الصحة النفسية.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يغرس في النفس التفاؤل بالتغيير، فكل تغيير يأتي بخير أو مساوٍ، وهذا يمنع القلق والاكتئاب الناتج عن الخوف من المستقبل، ويربي في النفس الأمل والرضا.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يمنح الطمأنينة النفسية، فمن علم أن الله على كل شيء قدير لا يقلق على مستقبله، بل يثق بأن الله سيدبر أمره، وهذا يقلل من اضطرابات القلق والتوتر.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يحرر النفس من الخوف من المخلوقين، فمن علم أن الملك كله لله لا يخاف من البشر ولا يرجوهم، وهذا يمنحه حرية نفسية واستقلالا داخليا.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يعالج مشكلة التعلق المرضي بالآخرين، فبعض الناس يتعلقون بالبشر تعلقا مرضيا، وهذه الآية تحررهم من هذا التعلق، وتوجههم إلى التعلق بالله وحده، وهذا يعالج كثيرا من الاضطرابات النفسية.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يحذر من سلوك التعنت الذي قد يكون مؤشرا على اضطرابات نفسية، فبعض الناس يتعنتون في أسئلتهم ومطالبهم بسبب مشاكل نفسية، وهذه الآية توجههم إلى الاسترشاد بدل التعنت.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يبين أن فقدان الإيمان يؤدي إلى الضلال النفسي، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية الحديثة التي ترى أن الإيمان بالله من أهم عوامل الصحة النفسية، وأن فقدانه يؤدي إلى الفراغ الوجودي والاكتئاب.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يبين أن التشريعات الاقتصادية تخضع لمبدأ التدرج، فبعض الأحكام الاقتصادية كانت تشرع تدريجيا، وهذا يوجه عالم الاقتصاد إلى أهمية التدرج في الإصلاح الاقتصادي وعدم القفز فوق الواقع.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يقرر أن أي تعديل في السياسات الاقتصادية يجب أن يحقق خيرا أو مساواة، وهذا يمنع التغيير الاقتصادي العشوائي الذي قد يضر بالاقتصاد، ويوجه إلى ضرورة دراسة البدائل قبل التغيير.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يذكر رجل الاقتصاد بأن الرزق بيد الله، وأن الأسباب الاقتصادية وحدها لا تكفي، وهذا يمنع الطمع والجشع، ويوجه إلى التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن المال كله ملك لله، وأن الإنسان مستخلف فيه، وهذا يمنع التملك المطلق للمال، ويوجه إلى أن المال وسيلة وليس غاية.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يبين أن الاقتصاد الذي لا يستند إلى الله لا يجد من ينصره، وأن الأسواق التي تبتعد عن الله تتعرض للأزمات، وهذا ما تؤكده الأزمات الاقتصادية التي تضرب الاقتصاديات التي تبتعد عن القيم.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يحذر من الأسئلة التعنتية في الاقتصاد، فبعض الناس يسألون عن أحكام اقتصادية تعنتا لا استرشادا، وهذا يضعف الاقتصاد، ويوجه إلى السؤال الاسترشادي.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يحذر من تبدل القيم الاقتصادية، فالاقتصاد الذي يتبدل إيمانه بكفره يفقد بوصلة توجهه ويضل طريقه، وهذا يبين أن الاقتصاد الإسلامي القائم على الإيمان هو الأضمن للاستقرار.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يبين أن التربية تخضع لمبدأ التدرج، فالمربي لا يطلب من المتعلم كل شيء دفعة واحدة، بل يدرج في التكليف بحسب استعداد المتعلم، وهذا ما تؤكده التربية الحديثة في مبدأ مراعاة الفروق الفردية.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يوجه المربي إلى أن أي تغيير في المنهج التربوي يجب أن يحقق خيرا أو مساواة، وهذا يمنع التغيير العشوائي في المناهج، ويوجه إلى ضرورة دراسة البدائل قبل التغيير.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يذكر المربي بأن النتائج التربوية ليست بيده وحده، بل بيد الله، فلا ييأس إذا تأخرت النتائج، بل يواصل عمله متوكلا على الله.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن المتعلم ليس ملكا للمربي، بل هو

عبد لله، وهذا يمنع الاستبداد التربوي، ويجعل المربي يحترم شخصية المتعلم.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يذكر المربي بأنه لا يجد ناصرا إلا الله، فلا يعتمد على الوساطات والمحسوبيات، بل يعتمد على الله ثم على كفاءته، وهذا يبني تعليما نزيها.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يحذر من الأسئلة التعنتية في التعليم، فبعض الطلاب يسألون أسئلة تعنتية لا يطلبون بها علما، وهذا يضعف العملية التعليمية، ويوجه المربي إلى ضبط الأسئلة وتوجيهها.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يحذر من تبدل القيم التربوية، فالمؤسسة التربوية التي تتبدل قيمها تفقد هويتها وتضل طريقها، وهذا يبين أن ثبات المؤسسة التربوية على قيمها هو ضمان نجاحها.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ يبين أن التشريع القضائي يخضع لمبدأ التدرج، فبعض الأحكام القضائية كانت تشرع تدريجيا، وهذا يوجه القاضي إلى مراعاة الظروف الزمانية والمكانية في تطبيق الأحكام.

ب. قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ يقرر أن أي تعديل في الأحكام يجب أن يحقق خيرا أو مساواة، وهذا يمنع التعديل العبثي في الأحكام، ويوجه القاضي إلى أن التغيير في الأحكام يجب أن يكون مبنيا على مصلحة حقيقية.

ج. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يذكر القاضي بأن قدرته محدودة، وأن القادر على كل شيء هو الله، وهذا يمنع الغرور القضائي، ويجعل القاضي يستشعر عظمة من سيقف بين يديه.

د. قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يبين أن القضاء كله ملك لله، وأن القاضي مستخلف فيه، وهذا يمنع الاستبداد القضائي، ويجعل القاضي يشعر بالمسؤولية تجاه الله أولا.

هـ. قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يذكر القاضي بأنه لا يجد ناصرا إلا الله، فلا يخاف في الحق لومة لائم، ولا يرضى بالظلم خوفا من أحد، وهذا يبني قضاء عادلا.

و. قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ يحذر من الأسئلة التعنتية في

القضاء، فبعض الخصوم يسألون أسئلة تعنتية لا يطلبون بها حقا، وهذا يضعف القضاء، ويوجه القاضي إلى ضبط الأسئلة وتوجيهها.

ز. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يحذر من تبدل القيم القضائية، فالقاضي الذي يتبدل إيمانه بكفره يفقد بوصلة توجهه ويضل طريقه، وهذا يبين أن ثبات القاضي على إيمانه هو ضمان عدالته.

٤٤. حسد أهل الكتاب على الإيمان والأمر بالعفو والصفح:

المقطع [٤٤] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩-١١٠]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ يكشف حقيقة عداوة أهل الكتاب للمؤمنين، وأن هذه العداوة ليست وليدة ظرف تاريخي، بل هي موقف عقدي مستمر، إذ يتمنى هؤلاء ارتداد المؤمنين عن دينهم، وهذا يبين أن الصراع مع أهل الكتاب في جوهره صراع إيماني قبل أن يكون سياسيا أو اجتماعيا.

ب. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يحدد الدافع الحقيقي لهذه العداوة، وهو الحسد، وهو مرض قلبي يدفع صاحبه إلى تمني زوال النعمة عن الغير، والحسد هنا ليس مجرد انفعال نفسي، بل هو موقف عقدي ينافي الإيمان بالله وبحكمته في توزيع النعم، فالحاسد يعترض على قدر الله.

ج. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يشير إلى أن حسدهم لم يكن عن جهل، بل عن عناد ومعاندة بعد وضوح الدليل، وهذا يبين أن الإيمان ليس مجرد معرفة عقلية، بل هو تسليم قلبي وإرادي، وإلا فكم من عالم بالحق عاند وكابر، فالعقيدة الصحيحة هي التي تقترن فيها المعرفة بالإذعان.

د. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ يقرر مبدأ شرعيا عقديا مهما، وهو أن التكليف يتدرج بحسب حال الأمة وقوتها، فالعفو والصفح كان مطلوبا في مرحلة الاستضعاف، ثم نسخ أو قيد

بأمر الله اللاحق بالقتال، وهذا يبين أن الأحكام الشرعية تخضع لمنهاج التدريج في التشريع، وأن نصر الله آت لا محالة، لكنه مرتبط بأمره وحكمته.

هـ. قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعليل عقدي للأمر بالعفو والصفح، فالله قادر على الانتقام من أعدائكم، لكنه أمركم بالعفو لحكمة يريدها، فهو سبحانه القادر على كل شيء، فلا تستعجلوا النصر، فإنما أمره بين الكاف والنون، وهو المدبر لشؤون عباده بما تقتضيه حكمته.

و. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقرر أن الأعمال الصالحة ليست ضائعة، بل هي مدخرة عند الله، وأن الجزاء عليها مضمون، وهذا من أصول العقيدة في الإيمان باليوم الآخر، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأن الخير الحقيقي هو ما يبقى للإنسان في الآخرة لا ما يفنى في الدنيا.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إثبات لصفة البصر لله تعالى، وهي صفة ذاتية، وأن علمه محيط بجميع أعمال العباد، وهذا من أصول العقيدة في الإيمان بالأسماء والصفات، وأن هذه الصفة تقتضي الجزاء العادل، فمن عمل خيرا أو شرا فسيلقاه.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يشير إلى أن الحسد من أمراض القلوب التي تحجب صاحبها عن رؤية الحق، وأنه ينبع من النفس الأمارة بالسوء، فالحاسد محجوب عن نور الله بسبب تعلقه بالدنيا وعدم رضاه بقسمة الله، والصوفي يرى أن الحسد من أعظم الحجب التي تمنع العبد من الوصول إلى مقامات الإحسان.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن المعرفة وحدها لا تكفي، بل لا بد من تصفية القلب، فكم من عالم بالحق وهو محجوب عنه بسبب كبر أو حسد، فالعلم الحقيقي عند الصوفية هو ما ورثه القلب عن الله، لا ما حفظه العقل عن الكتب.

ج. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ هو من مقامات التخلية والتحلية، فالعفو عن المسيء من صفات الكرام، وهو تطهر من أدناس الحقد والضغينة، والصفح هو محو أثر الإساءة من القلب حتى كأنها لم تكن، وهذا من أعلى مقامات الصدق مع الله، إذ أن العفو بلا صفح لا يطهر القلب تماما.

د. قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يشير إلى أن العبد الصادق لا يستعجل الأمور، بل يفوضها إلى

الله، ويسلم لحكمه وقضائه، وهذا هو مقام الرضا والتسليم، فالعبد لا ينتقم لنفسه، بل يترك الأمر لله، وهو القادر على كل شيء، وهذا عين التوكل والتفويض.

هـ. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يجد فيه الصوفي أن الأعمال الصالحة هي زاد الروح في رحلتها إلى الله، وأن ما يقدمه العبد من خير إنما هو لنفسه لا لله، فالله غني عن أعمال العباد، وإنما هي التي ترفع درجاته وتقربه من مولاه، وهذا يربي في النفس الإخلاص وعدم انتظار الجزاء من الخلق.

و. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هو إشارة إلى مقام المراقبة والإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا المقام هو ثمرة التصوف وغايته، فمن استشعر نظر الله إليه في كل حركة وسكنة، صلح ظاهره وباطنه.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول طبيعة الشر في النفس البشرية، فلماذا يتمنى الإنسان زوال الخير عن غيره؟ وهل الحسد غريزة إنسانية أصيلة أم هي نتاج عوامل اجتماعية ونفسية؟ والآية تشير إلى أن الحسد صفة ذاتية في النفس ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ قبل أن تكون مؤثرا خارجيا.

ب. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يفتح باب التأمل الفلسفي في العلاقة بين المعرفة والأخلاق، فالحاسد هنا يعرف الحق ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ ومع ذلك يحسده، وهذا يعني أن المعرفة العقلية وحدها لا تضمن السلوك الأخلاقي الفاضل، بل هناك عنصر إرادي وقلبي يتدخل، وهذا يلتقي مع نقد الفلاسفة للعقلانية الأخلاقية الخالصة.

ج. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالا حول العدالة، فهل العفو عن الظالم يناقض العدالة؟ أم أن العفو هو صورة أسمى من صور العدالة التي تتجاوز مبدأ القصاص؟ والآية تحسم ذلك بأن العفو هنا مؤقت ومقيد بانتظار أمر الله، أي أن العدالة الإلهية ستتحقق في النهاية، والعفو البشري ليس إلغاء للعدل بل تأجيل له بحكمة إلهية.

د. قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هي قضية فلسفية كبرى تتعلق بالقدرة الإلهية وعلاقتها

بالفعل الإنساني، فإذا كان الله على كل شيء قديرا، فما معنى الأمر بالعفو والصفح؟ وهل يمكن أن يكون هناك فعل بشري خارج عن قدرة الله؟ والجواب أن القدرة الإلهية لا تنفي الفعل الإنساني، بل تخلقه وتقدره، وهذا من أسرار الجمع بين الأمر الإلهي والقدرة الشاملة.

هـ. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول طبيعة الجزاء الأخلاقي، فهل الأخلاق فعل لذاتها أم هي وسيلة لغاية متعالية؟ والآية تقرر أن الخير له جزاء عند الله، وهذا يعني أن الأخلاق ليست نفعية محضة ولا واجبا ذاتيا مجردا، بل هي علاقة بين العبد وربه، والجزاء فيها من جنس آخر غير الجزاء الدنيوي.

و. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية العلم الإلهي وعلاقته بالحرية الإنسانية، فإذا كان الله بصيرا بكل أعمالنا، فهل نحن مخيرون أم مسيرون؟ والآية تجمع بين الأمر بالعمل ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا﴾ وبين العلم الإلهي المحيط، وهذا يعني أن العلم الإلهي لا ينافي الاختيار البشري، بل يتسق معه في منظومة غيبية لا تدركها العقول المحدودة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يضع عالم الأخلاق أمام حقيقة أن الحسد من أخطر الأمراض الخلقية، لأنه لا يقتصر على إيذاء الغير، بل يلتهم صاحبه أولا، فهو نار تحرق الحسنات كما تحرق النار الحطب، وهو نقيض خلق الرضا والقناعة، ومنظومة الأخلاق الإسلامية تقوم على تطهير النفس من هذه الرذيلة.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يشير إلى أن الحسد قد يصاحب المعرفة، فلا تكون المعرفة وحدها مانعة من الرذيلة، وهذا يوجه عالم الأخلاق إلى أن التربية الأخلاقية لا تقوم على نقل المعرفة فقط، بل على تهذيب الإرادة وتزكية النفس، وإلا تحولت المعرفة إلى حجة على صاحبها.

ج. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ يقرر خلقين عظيمين: العفو وهو ترك المؤاخذة على الإساءة، والصفح وهو محو أثر الإساءة من القلب، وهما أعلى درجات التسامح، وفيهما إشارة إلى أن الأخلاق الإسلامية لا تكتفي بالعدل، بل ترتقي إلى الإحسان، والعفو عن المسيء هو من صفات المتقين الذين يملكون أنفسهم عند الغضب.

د. قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يضبط الخلق الإسلامي بضابط شرعي، فالعفو ليس ضعفا ولا استسلاما، بل هو امتثال لأمر الله في مرحلة معينة، فإذا جاء أمر الله بتغيير الحال، انتقل المؤمن من العفو إلى ما أمره الله به، وهذا يعني أن الأخلاق الإسلامية أخلاق موقفية منضبطة بالوحي، لا أخلاق انفعالية متقلبة.

هـ. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يغرس خلق الإخلاص، فالمؤمن لا يعمل الخير ليراه الناس أو ليجازى في الدنيا، بل يقدمه لنفسه ويدخره عند الله، وهذا يخلص النية من شوائب الرياء والسمعة، ويجعل العمل الخلقي عبادة خالصة لله.

و. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هو الرقيب الأخلاقي الأعلى، فمن استشعر أن الله بصير بكل أعماله، كان أحرص على إتقانها وأبعد عن الرياء، فالعلم باطلاع الله على العمل هو أقوى دوافع الأخلاق وأعظمها أثرا في تهذيب السلوك.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الصراع بين الجماعات قد يكون قائما على دوافع نفسية كالحسد قبل أن يكون قائما على المصالح المادية، وأن الجماعات التي تمتلك نعمة ما قد تواجه عداوة من الجماعات الأخرى لمجرد امتلاكها تلك النعمة، وهذا ما يفسر كثيرا من الصراعات الاجتماعية والدينية عبر التاريخ.

ب. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يشير إلى أن الحسد يمكن أن يكون ظاهرة اجتماعية جماعية، لا مجرد حالة فردية، فحسد الجماعة لجماعة أخرى يولد سلوكا جماعيا معاديا، وهذا ما يدرسه علماء الاجتماع في إطار نظريات الصراع الجماعي والهوية الاجتماعية، حيث تميل الجماعات إلى تعزيز هويتها عبر معاداة الجماعات الأخرى التي تراها متفوقة.

ج. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يبين أن المعرفة وحدها لا تكفي لتغيير المواقف الاجتماعية، فكثير من الجماعات تعرف الحق ولكنها تعانده بسبب المصالح أو العواطف أو العصبية، وهذا يوجه عالم الاجتماع إلى أن التغيير الاجتماعي لا يتم عبر الإقناع المعرفي فقط، بل يحتاج إلى معالجة البنى النفسية والاجتماعية التي تشكل المواقف.

د. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يقدم نموذجا للتعامل الاجتماعي في مرحلة الاستضعاف، فالمجتمع المؤمن مطالب بالصبر والعفو عن المسيء حتى تتغير موازين القوى، وهذا يعني أن الاستراتيجيات الاجتماعية ليست ثابتة، بل تتغير بحسب الظروف، وأن الصبر والعفو قد يكونان أقوى أدوات التغيير الاجتماعي في بعض المراحل.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يربط بين التماسك الاجتماعي والعبادات الجماعية، فالصلاة والزكاة مؤسستان اجتماعيتان تعملان على توحيد الجماعة وتضامنها، فالصلاة تجمع الناس في صف واحد، والزكاة تعيد توزيع الثروة وتقلل الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وهذا من أهم عوامل الاستقرار الاجتماعي.

و. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يغرس في المجتمع ثقافة العمل لآجل طويل، فالمجتمع المؤمن لا يعمل من أجل مكاسب عاجلة فقط، بل يبني حضارة تقدم فيها الأجيال الخير للأجيال القادمة، وهذا يخلق مجتمعا متضامنا عبر الزمن، لا مجتمعا أنانيا يعيش اللحظة فقط.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعني أن المجتمع المسلم مجتمع مراقب من الله، وهذه الرقابة الإلهية هي الضامن الأعلى للسلوك الاجتماعي السليم، فحين يستشعر أفراد المجتمع أن الله بصير بأعمالهم، يقل الفساد وتنتشر الثقة المتبادلة، وهذا أساس متين للتماسك الاجتماعي.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ يكشف أن هناك قوى خارجية تعمل على رد المؤمنين عن دينهم، وهذا يستدعي من الأمة السياسية أن تكون واعية لهذه المؤامرات، وأن تبني استراتيجيات تحمي عقيدتها وهويتها من هذه المحاولات، فالأمن العقدي جزء من الأمن القومي.

ب. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يبين أن دوافع العداء الخارجي ليست دائما عقلانية أو مبنية على مصالح موضوعية، بل قد تكون نفسية كالحسد، وهذا يعني أن السياسة الواقعية لا تكفي وحدها، بل لا بد من فهم النفسيات والدوافع الخفية للأمم الأخرى، وهذا ما يسمى في العلوم السياسية بالتحليل النفسي للسياسة الخارجية.

ج. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ يقرر مبدأ سياسيا مهما، وهو أن المواجهة ليست دائما هي الخيار الأمثل، ففي مرحلة الاستضعاف يكون العفو والصفح استراتيجية ذكية تكسب الوقت وتبني القوة، وهذا ما يسمى في السياسة بالصبر الاستراتيجي، وهو انتظار اللحظة المناسبة لتغيير موازين القوى.

د. قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ يعني أن التغيير السياسي ليس من صنع البشر وحدهم، بل هو بيد الله، وأن الأمة مطالبة بالأخذ بالأسباب مع انتظار نصر الله، وهذا يمنح الأمة الثقة بأن النصر آتٍ لا محالة، مهما طال الاستضعاف، وهذا من أعظم عوامل الصمود السياسي.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يوجه الدولة إلى أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من واجباتها، فالدولة في الإسلام ليست علمانية محايدة، بل هي دولة تقيم الشعائر وتنظم الزكاة، وهذه من أهم وظائفها التي تحقق العدالة الاجتماعية وتحمي المجتمع من التفكك.

و. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ يعني أن السياسة الإسلامية ليست سياسة مصالح آنية فقط، بل هي سياسة تقدم الخير للأمة وتدخره عند الله، فالحاكم المسلم يعمل لما ينفع الأمة في الدنيا والآخرة، وليس لمكاسب شخصية أو حزبية عاجلة.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هو الرقيب الأعلى على الحكام والمحكومين، فمن استشعر أن الله بصير بأعماله، كان أعدل في حكمه وأبعد عن الفساد، وهذه الرقابة الإلهية هي الضمانة الحقيقية لنزاهة السياسة، قبل الرقابات الدنيوية التي يمكن التحايل عليها.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ ينبه عالم الإدارة إلى أن المنظمات قد تواجه أعداء يسعون لإفشالها وإخراجها عن رسالتها، وهذا يستدعي بناء استراتيجيات دفاعية تحمي هوية المنظمة ورسالتها من المؤثرات الخارجية المعادية، فالوعي بالمخاطر هو أول خطوات الإدارة الناجحة.

ب. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يشير إلى أن المنافسة في بيئة العمل قد لا تكون شريفة دائما، بل قد تنبع من دوافع نفسية كالحسد، وهذا يوجه الإدارة إلى ضرورة بناء ثقافة تنظيمية قوية تقوم على

التعاون بدل التنافس السلبي، والتعامل مع المنافسين بحكمة ووعي بدوافعهم.

ج. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يقدم نموذجا إداريا في إدارة الأزمات، ففي بعض المراحل قد يكون التغاضي عن بعض الأخطاء أو الاستفزازات أكثر حكمة من المواجهة، خاصة إذا كانت المنظمة في مرحلة بناء قوة، وهذا ما يسمى في الإدارة بإدارة الصراع بالتأجيل الاستراتيجي.

د. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يوجه الإدارة إلى أن النجاح ليس ماديا فقط، بل لا بد من التوازن بين الواجبات الروحية والمادية، فالموظف الذي يحافظ على صلاته وزكاته هو موظف أكثر انضباطا وأمانة، والإدارة الناجحة هي التي تراعي الجانب الروحي لموظفيها وتوفر لهم بيئة تعينهم على ذلك.

هـ. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يغرس في الإدارة مبدأ الاستثمار طويل المدى، فالمنظمة التي تقدم الخير لمجتمعها وموظفيها إنما تستثمر في مستقبلها، وهذا الخير سيعود عليها بالخير من الله أولا، ومن المجتمع ثانيا، وهذا ما يسمى بالمسؤولية الاجتماعية للمنظمات.

و. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هو مبدأ الرقابة الذاتية في الإدارة، فالموظف الذي يستشعر أن الله بصير بعمله يكون أكثر إتقانا وأمانة من الموظف الذي يعمل تحت رقابة بشرية فقط، وهذه الرقابة الإلهية هي أقوى نظم الرقابة وأدقها، وهي توفر على المنظمة تكاليف الرقابة الخارجية المكلفة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ يوثق للمؤرخ حقيقة تاريخية عن موقف أهل الكتاب من الدعوة الإسلامية في المدينة، فقد كانت هناك محاولات مستمرة لرد المسلمين عن دينهم، وهذا يفسر كثيرا من الأحداث التاريخية التي جرت بين المسلمين وأهل الكتاب في تلك الفترة.

ب. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يقدم للمؤرخ تفسيرا نفسيا لبعض الأحداث التاريخية، فالحسد كان دافعا حقيقيا لبعض المواقف العدائية من أهل الكتاب تجاه المسلمين، وهذا يثري التحليل التاريخي الذي لا يقتصر على الأسباب المادية والسياسية، بل يشمل الدوافع النفسية والعاطفية.

ج. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يشير إلى أن أهل الكتاب كانوا على علم بحقيقة النبي محمد

صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته، وهذا ما تؤكده النصوص التاريخية عن وجود علامات في كتبهم المقدسة، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وبغيا، وهذا يفسر شدة عداوتهم التي لم تكن عن جهل بل عن عناد.

د. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ يوثق للمؤرخ مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية تميزت بالصبر والعفو، وهي مرحلة ما قبل الإذن بالقتال، ثم جاء أمر الله بعد ذلك بالجهاد، وهذا يبين التدرج التاريخي في التشريع الإسلامي، وأن سياسة العفو لم تكن ضعفا بل كانت مرحلة مدروسة في بناء الأمة.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يبين للمؤرخ أن بناء الدولة الإسلامية في المدينة لم يكن قائما على الجهاد فقط، بل كان قائما على مؤسسات دينية واجتماعية كالصلاة والزكاة، وهذه المؤسسات هي التي وحدت المجتمع المسلم وأسست لدولة متماسكة، وهذا ما يفسر قوة الدولة الإسلامية الأولى رغم قلة مواردها.

و. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ يفسر للمؤرخ سر استمرار الحضارة الإسلامية رغم التحديات، فالمسلمون كانوا يعملون للآخرة كما يعملون للدنيا، وهذا أعطاهم دافعا للبناء والعطاء لا يعرف الكلل، فكانت حضارتهم من أعظم الحضارات الإنسانية أثرا واستمرارا.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعني أن التاريخ الإسلامي ليس مجرد سرد أحداث، بل هو مسار ترعاه عين الله، وأن الأمة التي تعمل بمراقبة الله هي التي تصنع تاريخا مشرفا، وهذا ما يؤكده التاريخ حين نجد أن الأمة الإسلامية في أوج عزها كانت أشد تمسكا بدينها وأخلاقها.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يضع الطبيب النفسي أمام حقيقة أن الحسد مرض نفسي خطير، له آثاره المدمرة على نفسية الحاسد قبل المحسود، فهو يسبب القلق والاكتئاب والاضطراب، لأن الحاسد يعيش في تعاسة دائمة بسبب تمني زوال نعمة غيره، وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية الحديثة عن الآثار السلبية للحسد على الصحة النفسية.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يشير إلى أن المعرفة وحدها لا تعالج الأمراض النفسية،

فالحاسد هنا يعرف الحق ومع ذلك يحسده، وهذا يعني أن الاضطرابات النفسية قد تكون أعمق من أن تعالج بالمعرفة أو الإقناع العقلي، بل تحتاج إلى علاج نفسي وروحي متكامل.

ج. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ يقدم وصفة علاجية نفسية فعالة، فالعفو والصفح يحرران النفس من مشاعر الحقد والضغينة التي تسبب الأمراض النفسية، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن التسامح والعفو يقللان من التوتر والقلق والاكتئاب، ويحسنان الصحة النفسية والجسدية.

د. قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ يعلم المريض النفسي الصبر وعدم الاستعجال في الشفاء، فالأمراض النفسية تحتاج إلى وقت وصبر، واليقين بأن الله سيأتي بالفرج من عنده يمنح الأمل ويمنع اليأس، وهذا من أهم العوامل النفسية الإيجابية في رحلة العلاج.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يشير إلى أن الصلاة والزكاة لهما آثار نفسية علاجية، فالصلاة فيها سكينة وطمأنينة للقلب، وهي تخفف التوتر والقلق، والزكاة فيها تطهير للنفس من الشح والبخل، والبذل والعطاء يمنحان شعورا بالسعادة والرضا، وهذا ما تؤكده الدراسات الحديثة عن الآثار الإيجابية للعبادات على الصحة النفسية.

و. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ يعالج شعور فقدان المعنى والهدف، فالإنسان الذي يعمل الخير ويدخره عند الله يشعر أن حياته لها معنى وهدف، وهذا الشعور هو من أهم عوامل الصحة النفسية، فمن يعيش بلا هدف يعاني من الفراغ الوجودي والاكتئاب.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يمنح المريض النفسي شعورا بالأمان، فالله يراه ويعلم ما يعمل، وهذا الشعور بالمراقبة الإلهية يقلل من الوحدة النفسية، ويمنح الإنسان قوة داخلية تساعده على مواجهة التحديات النفسية.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ ينبه عالم الاقتصاد إلى أن هناك قوى اقتصادية معادية قد تسعى لإفشال المشاريع الاقتصادية الإسلامية، وهذا يستدعي بناء اقتصاد مقاوم يحمي الأمة من الابتزاز الاقتصادي، وأن الاستقلال الاقتصادي جزء من الاستقلال العقدي.

ب. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يشير إلى أن المنافسة الاقتصادية قد تنبع من دوافع نفسية

كالحسد، لا من دوافع السوق الطبيعية، وهذا يعني أن الاقتصاد الإسلامي يجب أن يكون حذرا من المنافسين الذين يحسدون نجاحه، وأن يبني استراتيجيات تحميه من هذه العداوات غير العقلانية.

ج. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يقدم نموذجا اقتصاديا في التعامل مع الأزمات، ففي بعض المراحل قد يكون التغاضي عن بعض الخسائر أو التنازل عن بعض الحقوق أكثر حكمة من المواجهة الاقتصادية، خاصة إذا كانت الأمة في مرحلة بناء قوتها الاقتصادية، وهذا ما يسمى في الاقتصاد بإدارة الأزمات بالتأجيل الاستراتيجي.

د. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يقرر أن الزكاة نظام اقتصادي إلزامي، وليست صدقة اختيارية، وهي أداة لإعادة توزيع الدخل والثروة، وتقليل الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وهذا يحقق العدالة الاجتماعية ويضمن الاستقرار الاقتصادي، فالزكاة تضخ أموالا في السوق وتنشط الطلب الكلي.

هـ. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يغرس في الاقتصادي مبدأ الاستثمار الأخروي، فالمسلم لا ينظر إلى الربح المادي فقط، بل ينظر إلى ما يقدمه من خير لمجتمعه وأمته، وهذا الخير مدخر له عند الله، وهذا يخلق اقتصادا أخلاقيا لا يطغى فيه الربح على القيم.

و. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هو الرقيب الأعلى على المعاملات الاقتصادية، فمن استشعر أن الله بصير بمعاملاته، كان أصدق في البيع والشراء، وأبعد عن الغش والربا والاحتكار، وهذه الرقابة الإلهية هي أقوى ضمانات النزاهة الاقتصادية، قبل الرقابات الحكومية التي يمكن التحايل عليها.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ ينبه المربي إلى أن هناك قوى تسعى لإفساد عقيدة النشء وإخراجهم من دينهم، وهذا يستدعي أن تكون التربية الإسلامية تربية وقائية، تزرع في نفوس الطلاب الثبات على المبادئ، وتعلمهم كيفية مواجهة الشبهات والمؤامرات الفكرية.

ب. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعلم المربي أن بعض العداوات الفكرية لا تنبع من حجج عقلية، بل من أمراض نفسية كالحسد، وهذا يعني أن التربية لا تقتصر على تنمية العقل، بل لا بد من تزكية النفس وتطهير القلب من الأمراض، فالتربية المتكاملة هي التي تجمع بين العقل والقلب.

ج. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يشير إلى أن المعرفة وحدها لا تكفي في التربية، فكثير من الناس يعرفون الحق ولا يتبعونه، وهذا يعني أن المربي لا يكتفي بنقل المعرفة، بل يعمل على بناء الإرادة والالتزام، وأن التربية الفعالة هي التي تحول المعرفة إلى سلوك.

د. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ يربي المربي طلابه على خلق التسامح والعفو، وأن يتجاوزوا عن إساءة المسيء، وأن يكونوا أصحاب نفوس كبيرة لا تحمل الضغينة، وهذا من أعظم الصفات التي يحتاجها النشء في بناء شخصياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

هـ. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية العملية أهم من التربية النظرية، فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة عمل عملي يومي يربي في النفس الانضباط والالتزام، والمربي الناجح هو الذي يربي بالقدوة العملية لا بالكلام النظري فقط.

و. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يغرس في الطلاب مبدأ الإخلاص في العمل، وأن يعملوا الخير لوجه الله لا ليراهم الناس، وأن ما يقدمونه من خير سيجدونه عند الله يوم القيامة، وهذا يخلص النية ويبعد عن الرياء، وهو من أهم أهداف التربية الإسلامية.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعلم المربي طلابه أن الله يراهم ويراقبهم في كل أعمالهم، وهذا يزرع فيهم خلق المراقبة الذاتية، فيكونون أحرص على إتقان أعمالهم وأبعد عن الغش والخداع، وهذه الرقابة الإلهية هي أقوى ضمانات السلوك القويم.

ثاني عشر - إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ ينبه القاضي إلى أن هناك أعداء يسعون لإفساد المجتمع وإخراجه عن دينه، وهذا يستدعي أن يكون القضاء حارسا للعقيدة، يحمي المجتمع من كل ما يهدد إيمانه، وأن يكون القاضي عالما بمكائد الأعداء ليتقيها.

ب. قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يوجه القاضي إلى أن بعض الخصومات قد تنبع من دوافع نفسية كالحسد، لا من حقوق موضوعية، وهذا يستدعي أن يكون القاضي بصيرا بنفسيات الخصوم، وأن يميز بين الدعاوى الحقة والدعاوى الكيدية التي يقيمها الحاسدون.

ج. قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ يذكر القاضي بأن العفو خلق عظيم، وأنه قد

يكون أفضل من التقاضي في بعض الحالات، فالقاضي يمكن أن يوجه الخصوم إلى العفو والصفح إذا كان ذلك أصلح لهم، وأن القضاء ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق العدل والصلاح.

د. قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يذكر القاضي بأن العدالة لا تتحقق بالتشريعات فقط، بل بالعبادات التي تربي في النفس التقوى والمراقبة، فالقاضي الذي يحافظ على صلاته وزكاته هو أقرب إلى العدل والإنصاف، لأن العبادة تزكي نفسه وتطهرها من الهوى.

هـ. قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يذكر القاضي بأن ما يقدمه من خير في قضائه وحكمه ليس ضائعا، بل هو مدخر له عند الله، وهذا يدفعه إلى بذل الجهد في إحقاق الحق، وعدم اليأس من صعوبة القضايا، فالأجر عند الله عظيم.

و. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هو الرقيب الأعلى على القاضي، فمن استشعر أن الله بصير بأعماله، كان أحرص على العدل وأبعد عن الظلم، وهذه الرقابة الإلهية هي أقوى ضمانات نزاهة القضاء.

٤٥. ادعاء كل فريق الجنة لنفسه ورد الله عليهم:

المقطع [٤٥] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٣]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يشير إلى أن الادعاء باحتكار الجنة والنجاة لفئة معينة دون غيرها هو من الأماني الباطلة التي تخالف أصل التوحيد، فالجنة ليست ميراثا لأمة دون أخرى، بل هي جزاء على الإيمان والعمل الصالح، وهذا يبين أن العقيدة الصحيحة تقوم على التسليم لله وحده لا على الانتساب العرقي أو المذهبي.

ب. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يقرر أن مجرد التمني لا يغني من الحق شيئا، وأن الأماني التي لا تستند إلى برهان ولا إلى عمل هي من تزيين الشيطان، فالعقيدة لا تثبت بالادعاءات المجردة، بل بالدليل

والبرهان، ولذلك أمر الله نبيه أن يقول لهم: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وهذا أصل عقدي في وجوب الاستدلال على صحة الاعتقاد.

ج. قوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يضع الضابط العقدي الصحيح للنجاة، وهو الإخلاص لله وحده (إسلام الوجه) مع الإحسان في العمل، فالإسلام ليس مجرد انتساب لفظي، بل هو استسلام القلب لله وانقياد الجوارح له، والإحسان هو مرتبة الإتقان والمراقبة، وهذان الأصلان هما معيار القبول عند الله.

د. قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ يكشف عن تناقض أهل الأهواء، فكل فريق يكفر الآخر مع أنهم يتلون الكتاب، وهذا يدل على أن اتباع الهوى يحرف حتى أهل الكتاب عن الحق، وأن الادعاءات المتبادلة بالبطلان لا تصدر عن علم، بل عن عصبية وتعصب، وهذا يبين أن العقيدة الصحيحة ترفض التكفير المتبادل المبني على الأهواء.

هـ. قوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ إشارة إلى أن مجرد تلاوة الكتاب وحفظه لا ينفع صاحبه إذا لم يفهمه ويعمل به، فكثير من أهل الكتاب كانوا يتلون التوراة والإنجيل ومع ذلك أخطأوا في فهم مراد الله، وهذا يبين أن الاعتصام بالكتاب لا يكون إلا بفهمه على مراد الله وسنة نبيه، لا بتأويلات الأهواء.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقرر أن فصل النزاعات العقائدية الكبرى ليس للبشر في الدنيا وحدهم، بل هو لله وحده يوم القيامة، وهذا يربي المؤمن على التسليم لله في المسائل التي اشتبهت على الناس، وعدم الجزم بالحكم على الفرق التي يراها ضالة دون علم، فالحكم النهائي يوم الدين.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى مقام الإخلاص والفناء عن الإرادة الذاتية، فإسلام الوجه يعني توجيه السريرة والقلب بكليته إلى الله، بحيث لا يبقى للعبد إرادة ولا اختيار إلا ما أراد الله، وهذا هو مقام التسليم الكامل الذي يطمح إليه السالك.

ب. قوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يشير إلى مقام الإحسان الذي فسره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهو أعلى مقامات المشاهدة القلبية، حيث يراقب العبد ربه

في كل حركة وسكنة، ويصل إلى درجة اليقين التي تذوق فيها الروح حلاوة القرب.

ج. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يجد فيه الصوفي بشارة لأهل الوصال، فالخوف والحزن من علائق النفس البشرية التي تتعلق بالماضي والمستقبل، أما من أسلم وجهه لله فقد تحرر من هذه العلائق، وعاش في مقام الرضا والطمأنينة، فلا يخاف على ما فات ولا يحزن على ما هو آتٍ، لأنه فوّض أمره كله إلى الله.

د. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يشير إلى أن التمني دون عمل هو من تلبيسات النفس الأمارة بالسوء، فالصوفي الحقيقي لا يكتفي بالأماني والادعاءات، بل يسير في طريق المجاهدة والتصفية، فالمقامات لا تنال بالتمني، بل بالرياضة والمجاهدة وصدق الطلب.

هـ. قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن أهل الذوق لا يقبلون الدعاوى العارية عن الشهود، فالبرهان عندهم ليس برهانا عقليا فقط، بل هو برهان الحال والوجدان، فمن ادعى مقاما أو حالا لا بد أن يشهد له حاله وصدقه في سلوكه.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يذكّر الصوفي بأن الاختلافات الظاهرة بين الفرق والطوائف إنما تُحل في حضرة الله يوم اللقاء، وأن السالك لا ينشغل بجدال الخلق، بل ينشغل بتزكية نفسه والوصول إلى ربه، فالخلافات الحقيقية عندهم في مقامات القلوب لا في الأقوال.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول طبيعة اليقين، فالأماني التي لا تستند إلى برهان هي من قبيل الظنون والأوهام التي نقدها الفلاسفة منذ أفلاطون، فالادعاء بأن الجنة حكر على فئة دون أخرى هو قضية لا تقوم على دليل عقلي ولا تجريبي، بل على موروثات نفسية واجتماعية.

ب. قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقرر مبدأ مهما في فلسفة المعرفة، وهو أن الدعاوى المعرفية لا تقبل إلا بالبرهان، وهذا يلتقي مع المنهج البرهاني الأرسطي الذي يشترط في اليقين أن يكون مستندا إلى مقدمات صادقة وضرورية، فالقرآن هنا يطالب الخصوم بتقديم البرهان لا بالتقليد والميراث.

ج. قوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقدم معيارا فلسفيا للنجاة يتجاوز الانتماءات

الدينية التاريخية، فالعبرة بالجوهر لا بالعرض، وبالحقيقة لا بالاسم، وهذا يلتقي مع النزعة العقلانية التي ترى أن الفضيلة والمعرفة هما معيار السعادة، فمن أسلم وجهه لله أي أخلص نيته للحق، وأحسن أي عمل بالخير، فهو الفائز.

د. قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ يعرض مشكلة فلسفة الحوار والتعددية، فكل طرف يرى نفسه على الحق والآخر على الباطل، وهذا يثير سؤال النسبية المعرفية، لكن القرآن يقرر أن هناك حقيقة مطلقة يحكم بها الله يوم القيامة، وهذا يرفض النسبوية المطلقة ويثبت إمكان الوصول إلى الحقيقة.

هـ. قوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول العلاقة بين النص والتأويل، فمجرد قراءة النص لا تضمن فهمه فهما صحيحا، بل قد يقرأه الناس ويفهمونه فهما خاطئا، وهذا يفتح باب فلسفة التأويل والهرمينوطيقا، وأن النص الواحد قد يحتمل تأويلات متعددة، لكن التأويل الصحيح هو ما كان مطابقا لمراد المؤلف.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقرر أن الحقيقة المطلقة ليست في متناول العقل البشري وحده، بل هناك حقيقة متعالية لا يدركها الإنسان في الدنيا إدراكا كاملا، وهذا يلتقي مع فلسفة الحدود المعرفية عند كانط، حيث يقر بأن العقل البشري محدود ولا يمكنه إدراك الأشياء في ذاتها، فالحكم النهائي لله وحده.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يكشف عن خلل أخلاقي خطير، وهو التعصب والانغلاق على الذات، فالادعاء باحتكار الفضيلة والنجاة لفئة دون أخرى يولد الكراهية والاستعلاء، وهذا ضد الأخلاق الفاضلة التي تدعو إلى التواضع والاعتراف بالآخر.

ب. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يبين أن الأخلاق لا تقوم على التمني، بل على العمل، فمن يتمنى الجنة دون أن يعمل بطاعتها فهو كاذب في أمنيته، والأخلاق الحقة هي التي تترجم إلى سلوك عملي، فالإيمان ليس أمنية تقال باللسان، بل حقيقة تعمل في الجوارح.

ج. قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يضع أساس الأخلاق الفاضلة، وهو الإخلاص لله،

فالفعل الأخلاقي عند المسلم ليس فعلا نفعيا أو اجتماعيا فقط، بل هو فعل يبتغى به وجه الله، والإحسان هنا هو الإتقان في العمل، وهو أعلى درجات الأخلاق العملية، فالمحسن هو الذي يتقن كل عمل يقوم به.

د. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يبين ثمرة الأخلاق الفاضلة، وهي الطمأنينة النفسية، فالذي يعمل الخير بإخلاص لا يخاف على مستقبله ولا يحزن على ماضيه، لأنه وضع ثقته في الله، وهذا هو السكينة التي تنتج عن الضمير المرتاح.

هـ. قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ يصور انحدارا أخلاقيا، حيث يتبادل الفريقان الاتهام بالبطلان دون حجة، وهذا يربي المسلم على خلق الحوار الهادئ المبني على الاحترام، وعدم إصدار الأحكام الجاهزة على الآخرين، فالطعن في الآخرين ليس من أخلاق المؤمنين.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يغرس خلق التريث وعدم التسرع في الحكم على الناس، فالحكم النهائي لله وحده، والمؤمن لا يملك أن يحكم على أحد بالجنة أو النار، بل يكل الأمر إلى الله، وهذا من أعظم الآداب الخلقية في التعامل مع المخالفين.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يشير إلى ظاهرة اجتماعية خطيرة، وهي النزعة المركزية العرقية أو الدينية، حيث تعتبر كل جماعة نفسها مركز الحقيقة وترى الآخرين على هامشها، وهذه الظاهرة تولد الصراعات الاجتماعية والطائفية التي تمزق المجتمعات.

ب. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يبين أن المجتمعات تبني أحيانا تصوراتها على الأماني والأوهام الجماعية لا على الحقائق، وهذه الأوهام قد تكون عامل تماسك داخلي لكنها على المدى الطويل تؤدي إلى الانهيار، لأنها لا تستند إلى أسس واقعية.

ج. قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يرسي مبدأ اجتماعيا مهما، وهو ثقافة الحوار المبني على الدليل، فالمجتمع الذي يتبادل أفراده الاتهامات دون برهان هو مجتمع مفكك، أما المجتمع الذي يحترم العقل والدليل فهو مجتمع سليم قادر على تجاوز خلافاته.

د. قوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقدم نموذجا للمجتمع الفاضل، وهو المجتمع

الذي يقوم على الإخلاص والإحسان، لا على الانتماءات الضيقة، فالمعيار الاجتماعي عند الله هو العمل الصالح لا اللون ولا الجنس ولا القبيلة، وهذا يبني مجتمعا مفتوحا متسامحا.

هـ. قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يصور حالة من التشرذم الاجتماعي، حيث تتناحر الجماعات التي تملك كتابا واحدا في الأصل، وهذا يبين أن الاختلاف في الفهم والتأويل قد يفرق الجماعة الواحدة، وأن التمسك بالكتاب دون فهم صحيح لا يمنع الفرقة.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن الصراعات الاجتماعية والدينية لن تحل بالصراع الدنيوي وحده، بل هناك حكم إلهي فاصل يوم القيامة، وهذا يخفف من حدة الصراعات ويدعو إلى التعايش السلمي في الدنيا، لأن الحسم النهائي ليس في أيدي البشر.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يشير إلى ظاهرة سياسية خطيرة، وهي توظيف الدين لتحقيق مكاسب سياسية، فالادعاء باحتكار الحقيقة الدينية غالبا ما يستخدم لتبرير الهيمنة والاستعلاء على الآخرين، وهذا يفسر كثيرا من الصراعات السياسية في التاريخ.

ب. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يبين أن الخطاب السياسي القائم على الأماني والوعود الوهمية لا يصمد أمام الواقع، فالسياسي الذي يعد أتباعه بالجنة دون عمل هو كاذب، والسياسة الرشيدة هي التي تعد بالحق وتعمل على تحقيقه.

ج. قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يرسي مبدأ الشفافية والمحاسبة في الخطاب السياسي، فالحاكم أو السياسي الذي يدعي لنفسه حقا أو فضلا لا بد أن يقدم برهانه، ولا يكفي أن يقول إنه على حق، وهذا يمنع الاستبداد ويضمن حقوق المحكومين.

د. قوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقدم معيارا للشرعية السياسية، فالشرعية ليست بالانتساب الديني أو العرقي، بل بالإخلاص لله والإحسان في العمل، فالحاكم المحسن هو الذي يضع مصلحة رعيته فوق مصلحته، ويسعى للعدل والإتقان في إدارته.

هـ. قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾

يصور حالة من الاستقطاب السياسي والديني، حيث يتبادل الخصوم الاتهام بالبطلان، وهذا الاستقطاب يؤدي إلى الحروب والصراعات، والقرآن يرفض هذا الاستقطاب ويدعو إلى الحوار والتفاهم.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يذكر السياسيين بأن السلطة والحكم في الدنيا مؤقتان، وأن الحكم الحقيقي لله يوم القيامة، وهذا يضع حدا للطغيان والاستبداد، فالحاكم الذي يوقن بأنه سيحاسب أمام الله يكون أكثر حرصا على العدل وأقل استبدادا.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يشير إلى أن التخطيط القائم على الأماني دون دراسة واقعية هو تخطيط فاشل، فالإدارة الناجحة لا تبني استراتيجياتها على التمني، بل على تحليل الواقع وتقديم الحلول العملية، وهذا يلتقي مع مبادئ الإدارة الحديثة التي ترفض التخطيط الافتراضي.

ب. قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يرسي مبدأ مهما في الإدارة، وهو اتخاذ القرارات بناء على الأدلة والبيانات، لا على الانطباعات والأهواء، فالمدير الناجح هو الذي يطلب البرهان قبل أن يقرر، ولا يقبل الادعاءات دون التحقق منها.

ج. قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقدم نموذجا للموظف المثالي، وهو الذي يخلص في عمله لله ويتقنه، فالإحسان في العمل يعني الإتقان والجودة، وهذا هو ما تسعى إليه نظم إدارة الجودة الشاملة، فالموظف المحسن هو رأس مال المنظمة الحقيقي.

د. قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ يصور حالة من الصراع التنظيمي المدمر، حيث تنشغل الأقسام أو الفرق بطعن بعضها في بعض بدلا من التركيز على أهداف المنظمة، وهذا الصراع الداخلي هو من أكبر معوقات الإنتاجية، والإدارة الناجحة تعمل على تجاوزه.

هـ. قوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن وجود المعرفة النظرية دون تطبيق عملي لا يفيد، فكثير من المنظمات تمتلك خططا ولوائح مكتوبة لكنها لا تطبقها، وهذا يشبه أهل الكتاب الذين يتلون الكتاب ولا يعملون به، فالمعرفة وحدها لا تكفي، بل لا بد من التطبيق.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يذكر المدير بأن هناك مرجعية عليا يحاسب بها الجميع،

وهذا يرسي مبدأ المساءلة في الإدارة، فالجميع سيحاسبون على أعمالهم أمام الله، وهذا يمنع الظلم والمحسوبية في العمل.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يوثق المؤرخ من خلاله حالة من حالات التعصب الديني التي كانت سائدة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، حيث كان اليهود والنصارى يدعون احتكار الحقيقة، وهذا يساعد المؤرخ على فهم السياق الديني الذي ظهر فيه الإسلام.

ب. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يبين أن كثيرا من الحركات التاريخية قامت على أماني وأوهام جماعية، وهذه الأماني كانت محركا للأحداث، لكنها لم تكن كافية لبناء حضارات دائمة، فالحضارات التي قامت على الأوهام انهارت، بينما التي قامت على العمل الجاد استمرت.

ج. قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يرسي مبدأ تاريخيا مهما، وهو ضرورة التحقق من الروايات والأخبار قبل قبولها، وهذا يلتقي مع المنهج النقدي في علم التاريخ، الذي يرفض قبول الأخبار دون تمحيص، فالبرهان هو أساس الكتابة التاريخية الصحيحة.

د. قوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقدم معيارا تاريخيا لتقييم الأمم، فالعبرة في التاريخ ليست بالانتساب الديني أو العرقي، بل بالأعمال الصالحة والإنجازات الحضارية، فالأمم التي أخلصت وأحسنت ازدهرت، والتي اكتفت بالادعاءات اندثرت.

هـ. قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يصور حالة من الصراع الديني التاريخي بين اليهود والنصارى، وهذا الصراع كان له آثاره العميقة في التاريخ الأوروبي والشرق أوسطي، ويساعد المؤرخ على فهم جذور كثير من الصراعات المعاصرة.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يذكر المؤرخ بأن الحكم النهائي على الأمم والشعوب ليس في الدنيا، بل عند الله يوم القيامة، فكثير من الأمم التي انتصرت في الدنيا كانت على باطل، وكثير من المغلوبين كانوا على حق، والتاريخ الدنيوي لا يعطي الحكم النهائي.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يكشف عن حالة نفسية خطيرة، وهي النرجسية الجماعية، حيث تعتبر الجماعة نفسها أفضل من غيرها، وهذه النرجسية تؤدي إلى اضطرابات نفسية كالاستعلاء وعدم تقبل الآخر، وهي من مسببات الصراعات النفسية والاجتماعية.

ب. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يشير إلى أن التمني دون عمل هو من آليات الدفاع النفسي، حيث يهرب الإنسان من الواقع إلى الأحلام، وهذا التمني قد يكون مؤقتا مريحا، لكنه على المدى الطويل يسبب الإحباط والاكتئاب، لأن الإنسان لا يجد نفسه قد حقق شيئا.

ج. قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يدعو إلى الصحة النفسية المبنية على الواقعية، فالاعتراف بالواقع ومواجهته هو أساس الصحة النفسية، أما الهروب إلى الأوهام والادعاءات فهو مرض نفسي، والقرآن هنا يدعو الإنسان إلى مواجهة نفسه بصدق.

د. قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقدم وصفة للصحة النفسية، وهي الاستسلام لله والتوجه إليه، فهذا الاستسلام يزيل القلق والصراع الداخلي، والإحسان في العمل يمنح الإنسان شعورا بالإنجاز والرضا، وهما من أهم عوامل الصحة النفسية.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هو وصف لحالة الطمأنينة النفسية الكاملة، فالخوف والقلق والحزن هي من أعراض الاضطرابات النفسية، ومن أسلم وجهه لله وأحسن فقد تحرر من هذه الاضطرابات، وعاش في سكينة وطمأنينة، وهذا ما تسعى إليه العلاجات النفسية الحديثة.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يخفف من القلق الوجودي لدى الإنسان، فكثير من الناس يعانون من القلق بسبب عدم قدرتهم على فهم كل شيء أو حل كل الخلافات، والقرآن يريح النفس بأن الحكم النهائي لله، فلا داعي للقلق من الاختلافات، فالله سيفصل بين الناس يوم القيامة.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد القائم على الأماني والوعود الوهمية هو اقتصاد فاشل، فالتنمية الاقتصادية لا تتحقق بالتمني، بل بالتخطيط والعمل الجاد، وهذا يلتقي مع مبادئ الاقتصاد الواقعي الذي يرفض التوقعات غير المبنية على أسس سليمة.

ب. قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يرسي مبدأ الشفافية والمصداقية في المعاملات الاقتصادية،

فالتاجر أو المستثمر الذي يدعي أرباحا أو فرصا استثمارية لا بد أن يقدم برهانه، وهذا يمنع الغش والتدليس في الأسواق، ويضمن عدالة التعاملات.

ج. قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقدم نموذجا للتاجر الأمين، وهو الذي يخلص في معاملاته لله ويحسن في تجارته، فلا يغش ولا يخدع ولا يحتكر، وهذا النموذج هو أساس الاقتصاد الأخلاقي الذي يضمن استقرار الأسواق وثقة المتعاملين.

د. قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ يصور حالة من التنافس غير الشريف في السوق، حيث يحاول كل طرف تشويه سمعة الآخر بدلا من تحسين منتجه، وهذا التنافس الهدام يضر بالاقتصاد كله، بينما التنافس الشريف يرفع الجودة ويخدم المستهلك.

هـ. قوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ يشير إلى أن وجود المعرفة النظرية دون تطبيق عملي لا يفيد في الاقتصاد، فكثير من الاقتصاديين يمتلكون نظريات لكنهم لا يطبقونها، أو يقرؤون الكتب الاقتصادية ولا يلتزمون بأحكامها، وهذا لا يبني اقتصادا ناجحا.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يذكر الاقتصادي بأن هناك رقابة إلهية على المعاملات، وأن الله سيحاسب على كل كسب وكل إنفاق، وهذا يمنع الممارسات الاقتصادية غير الأخلاقية كالربا والغش والاحتكار، فالاقتصاد الإسلامي يقوم على الرقابة الذاتية قبل الرقابة الخارجية.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يحذر المربي من تعليم الطلاب التعصب والانغلاق على الذات، فالمربي الناجح يربي أبناءه على الانفتاح واحترام الآخرين، ولا يجعلهم يعتقدون أنهم وحدهم على حق.

ب. قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يعلم المربي طلابه أن الأماني وحدها لا تكفي، وأن النجاح لا يتحقق بالتمني، بل بالعمل الجاد والاجتهاد، فهذه الآية تربي في الطلاب روح المبادرة والعمل، وتنزع عنهم الاتكالية والكسل.

ج. قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يربي المربي طلابه على التفكير النقدي، وعدم قبول الادعاءات

دون دليل، فهذه الآية تدعو إلى ثقافة البرهان والحجة، وهي أساس التربية العلمية السليمة التي ترفض التقليد الأعمى.

د. قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقدم المربي من خلالها نموذجا للطالب المثالي، وهو الذي يخلص في طلبه للعلم ويحسن في أدائه، فلا يطلب العلم للشهادة أو السمعة، بل لوجه الله، ويتقن كل عمل يقوم به.

هـ. قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يبشر المربي طلابه بأن من أخلص وأحسن فلا يخاف ولا يحزن، فهذه الآية تزرع في نفوس الطلاب الثقة والأمل، وتزيل عنهم القلق من المستقبل، فالنجاح الحقيقي عند الله لمن أخلص وأحسن.

و. قوله: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعلم المربي طلابه أن الحكم النهائي لله، وأنهم لا يملكون أن يحكموا على الآخرين، فهذه الآية تربي فيهم التواضع وعدم الغرور، وتجعلهم يتركون الحكم على الناس لله وحده.

٤٦. منع المساجد والسعي في خرابها أعظم الظلم:

المقطع [٤٦] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ يقرر أن منع المساجد عن ذكر الله هو من أعظم صور الظلم، لأن المساجد بيوت الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فمنعها أو تعطيلها عن وظيفتها هو اعتداء على حق الله في الأرض، ومحاربة للدين ذاته، وهذا يضع الظلم في مقابلة العدل الإلهي الذي لا يضيع عنده عمل عامل.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يشير إلى أن السعي في خراب المساجد لا يقتصر على الهدم المادي، بل يشمل كل ما يفرغها من روحها، كمنع الناس من الصلاة فيها، أو تحويلها عن وظيفتها، أو إغلاق أبوابها، فالخراب المعنوي كالخراب الحسي، وكلاهما من أعظم الجرائم في ميزان العقيدة.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يقرر أن المساجد لها حرمة لا تنتهك، وأن من اعتدى عليها يسلب منه حق الدخول إليها إلا على وجه الخوف والذل، وهذا تأكيد على أن العقوبة الإلهية تتناسب مع جنس الجريمة، فمن منع المؤمنين من دخولها بغير حق، منع هو منها إلا خائفا.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يبين أن العقوبة على هذا الذنب تكون مزدوجة، عاجلة في الدنيا بالخزي والذل، وآجلة في الآخرة بالعذاب العظيم، وهذا يؤكد أن الله لا يهمل الظالمين، وأن سنته في خلقه قاضية بأن البغي يبور، وأن العاقبة للمتقين.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يجد فيه الصوفي أن المسجد ليس مجرد بناء حجري، بل هو محل تجلي الذكر الإلهي، وأن منع الذكر فيه هو منع للنور الإلهي عن القلوب، فالذكر هو غذاء الروح، والمسجد هو ميدانه الأصيل، ومن حرم الناس منه فقد حرمهم من فيض إلهي لا يعوض.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يشير عند الصوفي إلى أن الخراب الحقيقي للمسجد هو خراب القلوب، فإذا خربت القلوب من ذكر الله، خربت المساجد وإن بقيت جدرانها قائمة، فالعبادة الحقيقية هي التي تنبع من قلب عامر بالخشية، لا من جسد يحضر بلا روح.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يرى فيه الصوفي أن دخول المسجد بلا خشوع ولا خوف من الله هو دخول ناقص، وأن الخوف من الله هو مفتاح الدخول الحقيقي إلى حضرة القدس، فمن دخل المسجد بقلب خائف وجل، فقد دخل بمعنى العبودية الحقة، ومن دخله بقلب غافل فهو كمن لم يدخل.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يجد فيه الصوفي أن الخزي في الدنيا هو ستر الله عن القلب، فيصبح القلب محروما من أنس الذكر، والعذاب في الآخرة هو البعد عن الله، وهو أعظم العذاب، فالحرمان من الله هو الجحيم الحقيقي.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤالا عن طبيعة الظلم، فالظلم عند الفلاسفة هو وضع الشيء في غير موضعه، ومنع المساجد عن وظيفتها هو إخلال بالنظام الكوني الذي

جعل الله فيه للعبادة مكانا، فالظلم هنا ليس مجرد فعل فردي، بل هو اعتداء على غاية وجودية.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الخراب قد يكون ماديا وقد يكون معنويا، وأن السعي في الخراب هو عمل ضد العمران، والفلاسفة يرون أن العمران هو الغاية من الاجتماع البشري، فمن سعى في الخراب فقد خرج عن مقتضى العقل الذي يدعو إلى الإصلاح.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية العدالة الجزائية، فالعقوبة هنا ليست انتقامية بل هي إصلاحية وتربوية، فالخوف الذي يلحق بالظالم هو نتيجة طبيعية لفعله، وهذا يلتقي مع مبدأ أن الجزاء من جنس العمل، وهو مبدأ أخلاقي كوني.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يجد فيه الفيلسوف تأكيدا على أن العدالة الإلهية لا تقتصر على الدنيا، بل تمتد إلى الآخرة، وهذا يحل إشكالا فلسفيا قديما حول عدم تحقق العدالة الكاملة في الدنيا، فوجود دار للجزاء هو مقتضى الحكمة الإلهية.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ يقرر أن الظلم ليس درجات متساوية، بل هناك ظلم أعظم من ظلم، وأن منع العبادة هو من أعظم درجات الظلم، لأنه اعتداء على حق الله وحق الناس معا، فالظلم هنا يشمل الجانبين الإلهي والإنساني.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يحمل إشارة أخلاقية إلى أن السعي في الإفساد ضد السعي في الإصلاح، وأن الأخلاق الفاضلة تقوم على تعمير الأرض وإصلاحها، لا على تخريبها، فالتخريب هو ضد الخير، والساعي فيه متصف بضد الفضيلة.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يبين أن الخوف من الله هو رادع أخلاقي قوي، وأن من فقد هذا الخوف فقد فقد الضابط الأخلاقي الأعلى، فالخوف من الله هو الذي يحول بين الإنسان وبين انتهاك الحرمات.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يربط الأخلاق بالجزاء، فالخزي في الدنيا هو عقوبة اجتماعية تتمثل في فقدان الاحترام والمكانة، والعذاب في الآخرة هو عقوبة إلهية، وهذا يظهر أن الأخلاق ليست مجرد قيم نسبية، بل لها ضمانات دنيوية وأخروية.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المساجد ليست مجرد أماكن للعبادة، بل هي مؤسسات اجتماعية كبرى، تقوم بوظائف متعددة كالتعليم والتكافل والتوجيه، فمنعها عن وظيفتها هو تفكيك للنسيج الاجتماعي، وإضعاف للروابط الجماعية.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يشير إلى أن خراب المساجد هو خراب للمراكز الاجتماعية التي تجمع الناس، فالمسجد في المجتمع المسلم هو مركز الإشعاع الحضاري، وخرابه يؤدي إلى تفتت المجتمع وفقدان هويته، وهذا ما يفسر حرص المستعمرين على إغلاق المساجد في البلاد المحتلة.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن منع الظالم من دخول المسجد إلا خائفا هو إجراء اجتماعي يهدف إلى حماية قدسية المكان، وأن الخوف هنا هو أداة ضبط اجتماعي تمنع تكرار الجريمة، وتحفظ للمسجد مكانته في نفوس الناس.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يبين أن المجتمع يعاقب المعتدي على مقدساته بالخزي الاجتماعي، وهو أشد أنواع العقوبات الاجتماعية أثرا، فالخزي يفقد الإنسان مكانته واعتباره بين الناس، وهذا يعد رادعا اجتماعيا قويا.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ يقرر أن منع المساجد هو من أعظم صور الطغيان السياسي، لأن المساجد هي رموز الهوية الدينية للأمة، ومنعها هو محاولة لطمس هذه الهوية، وهذا يضع حدا للسلطة السياسية التي تتجاوز حدودها في التعدي على الحريات الدينية.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يشير إلى أن السياسات التي تستهدف المساجد هي سياسات تخريبية، تهدف إلى إضعاف الأمة وإفراغها من قوتها الرمزية، فالسياسة العادلة هي التي تعمر المساجد وتحميها، لا التي تهدمها أو تحولها عن وظيفتها.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يبين أن السلطة الظالمة تفقد شرعيتها، وأنها تصبح في موقف الخائف من الأمة، فالخزي الذي يلحق بها في الدنيا هو فقدان الهيبة والشرعية، وهذا يمهّد لسقوطها، فالظلم السياسي لا يدوم.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يقرر أن العاقبة للسياسة العادلة، وأن الظالمين مهما علت سلطتهم فلن يفلتوا من العقاب، فالخزي في الدنيا قد يكون بسقوط دولتهم، والعذاب في الآخرة هو جزاء ظلمهم، وهذا يمنح الأمل للمستضعفين.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن المساجد مؤسسات ذات وظيفة محددة، وهي ذكر الله، فمنعها عن وظيفتها هو سوء إدارة وتعطيل للمؤسسة عن رسالتها، والإدارة الناجحة هي التي تحافظ على رسالة المؤسسة وتمنع تعطيلها.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يشير إلى أن الخراب قد يكون نتيجة إهمال أو سوء تخطيط، فالذي يسعى في خراب المساجد هو كالمدير الذي يهمل صيانة مؤسسته حتى تنهار، والإدارة الرشيدة هي التي تستثمر في العمارة لا في الخراب.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يبين أن المؤسسات التي تساء إدارتها تفقد ثقة الناس بها، ويصبح دخولها مرتبطا بالخوف وليس بالاطمئنان، وهذا يضعف أداءها ويجعلها غير قادرة على تحقيق أهدافها.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن سوء الإدارة يؤدي إلى فقدان السمعة والمصداقية، وهو خزي معنوي يلحق بالمؤسسة وأصحابها، فالسمعة الجيدة هي رأس مال المؤسسات، وفقدانها هو بداية الانهيار.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن منع الإنسان من ممارسة عبادته يسبب له اضطرابات نفسية شديدة، كالقلق والاكتئاب وفقدان المعنى، فالعبادة حاجة نفسية أساسية، ومنعها هو اعتداء على الصحة النفسية للإنسان.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يشير إلى أن السعي في خراب أماكن العبادة هو سعي في نشر الاضطراب النفسي بين الناس، لأن فقدان الأماكن المقدسة يفقد الإنسان شعوره بالأمان والانتماء، وهذا يزيد من معدلات القلق والاكتئاب في المجتمع.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يبين أن الخوف الذي يلحق بالظالم هو حالة نفسية سلبية، فالظالم يعيش في قلق دائم وترقب للعقاب، وهذا القلق يفسد حياته النفسية، فالظلم لا يضر المظلوم فقط، بل يضر الظالم نفسيا أيضا.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يشير إلى أن الخزي الاجتماعي له آثار نفسية مدمرة، فالخزي يفقد الإنسان تقديره لذاته، ويجعله يعيش في عار دائم، وهذا يعد من أشد الضغوط النفسية التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن المساجد ليست مؤسسات دينية فقط، بل لها وظائف اقتصادية غير مباشرة، فهي مراكز للتكافل الاجتماعي وتوزيع الصدقات، فمنعها عن وظيفتها يضعف التكافل الاقتصادي في المجتمع.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يشير إلى أن خراب المساجد هو خراب لمراكز التنمية الاجتماعية، فالمساجد تسهم في تعليم الناس المهارات وتوجيههم نحو العمل المنتج، وخرابها يؤدي إلى تراجع التنمية الاقتصادية، فالاستثمار في المساجد هو استثمار في رأس المال البشري.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يبين أن من يعطل مؤسسات التنمية يفقد الثقة الاقتصادية، فالخوف الذي يلحق بهم يجعلهم غير قادرين على التعامل مع المجتمع، وهذا ينعكس سلبا على النشاط الاقتصادي الذي يحتاج إلى الثقة والأمان.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يشير إلى أن الخزي الاقتصادي يتمثل في فقدان المصداقية والسمعة، وهذا يؤدي إلى عزوف الناس عن التعامل معهم، فالسمعة الجيدة هي رأس مال اقتصادي، وفقدانها خسارة مالية مباشرة.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يجد فيه المربي أن منع المساجد عن وظيفتها هو حرمان للأجيال من التربية الروحية، فالمسجد مدرسة تربوية كبرى، تعلم الناس القيم والآداب، ومنعه عن وظيفته هو تخريب للمنهج التربوي الإسلامي.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يشير إلى أن الساعي في خراب المساجد هو ساعٍ في خراب القيم التربوية، فالتربية لا تقوم على التعليم النظري فقط، بل على القدوة والممارسة، والمسجد هو مكان الممارسة العملية للقيم، وخرابه خراب للتربية.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يبين أن التربية القائمة على الخوف والترهيب ليست تربية ناجحة، فالخوف الذي يلحق بالظالمين هو نتيجة لأفعالهم، أما المؤمنون فيدخلون المساجد بقلوب مطمئنة، وهذا هو النموذج التربوي الصحيح الذي يجمع بين الخوف والرجاء.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يذكر المربي بأن الخزي الاجتماعي هو عقوبة تربوية، فالمجتمع يعلم أبناءه أن من يعتدي على المقدسات يفقد مكانته، وهذا تعليم عملي للقيم، فالتربية بالقدوة والعقاب الاجتماعي أبلغ من التربية بالكلام فقط.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ يجد فيه القاضي أن جريمة منع المساجد هي من الجرائم الكبرى التي تستوجب أشد العقوبات، فالظلم هنا متوجه إلى حق الله وحق الناس معا، والقاضي العادل هو الذي يضع هذه الجريمة في مرتبتها القصوى من التجريم.

ب. قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يشير إلى أن السعي في الخراب هو جريمة مستقلة عن المنع، فمن سعى في خراب المساجد بأي وسيلة كان، فهو مجرم يستحق العقاب، سواء كان خرابا ماديا بالهدم، أو معنويا بتعطيل الوظيفة.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يبين أن العقوبة على هذه الجريمة تشمل الحرمان من دخول المساجد إلا على وجه الخوف، وهذا حكم قضائي إلهي، والقاضي مطالب بتطبيق هذا المبدأ في أحكامه، فيمنع المعتدي من دخول المساجد كعقوبة تكميلية.

د. قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يقرر أن العقوبة على هذه الجريمة مزدوجة، دنيوية وأخروية، والقاضي مطالب بإقامة العقوبة الدنيوية المتمثلة في الخزي، أما العقوبة الأخروية فهي بيد الله وحده، وهذا يذكر القاضي بأن العدالة الإلهية هي الضامن الأخير للقصاص العادل.

٤٧. لله المشرق والمغرب وهو الواحد البديع:

المقطع [٤٧] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٥-١١٧]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يقرر مبدأ التوحيد في الربوبية، فجهات الكون كلها ملك لله، والمشرق والمغرب ليسا مجرد اتجاهات جغرافية، بل هما رمزان لملكية الله المطلقة للكون وما فيه، فلا يخرج شيء عن ملكوته وتدبيره.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يبين أن الله تعالى منزه عن الجهة والمكان، فليس محصورا في جهة من الجهات، بل هو مع عباده أينما كانوا بعلمه وإحاطته، وهذا يرد على من يظن أن الله في جهة معينة، فالله موجود بلا مكان ولا يحده مكان.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فيه إثبات لصفة السعة والعلم، فسعة الله تعني سعة رحمته وقدرته وملكه، وعلمه يحيط بكل شيء، وهاتان الصفتان تدلان على كمال الله المطلق، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

د. قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ يرد على عقيدة النصارى والمشركين في نسبة الولد إلى الله، وينزه الله عن ذلك، فالتنزيه هنا يثبت كمال الله المطلق، وأنه غني عن الولد، فالولد إنما يكون للحاجة أو النقص، والله منزه عن ذلك.

هـ. قوله: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يقرر أن كل ما في الكون ملك لله، وكل المخلوقات منقادة له طائعة خاضعة، والقنوت هنا بمعنى الطاعة والانقياد، فكل الخلائق قانتون لله إما طوعا وإما كرها، وهذا يبطل دعوى اتخاذ الولد لأن الولد يكون شريكا في الملك، والله لا شريك له.

و. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يثبت صفة الإبداع لله، فهو الذي خلق السموات والأرض على غير مثال سابق، والإبداع يعني الخلق من العدم وإيجاد الأشياء بحكمة وإتقان، وهذا يقتضي كمال العلم والقدرة والإرادة.

ز. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يقرر أن إرادة الله نافذة مطلقة، وأن مشيئته لا تتخلف، فإذا أراد شيئا فإنما يأمره فيتحقق فورا بلا تأخير، وهذا يثبت كمال القدرة، وأن الخلق كله خاضع لأمره، فلا يحتاج إلى معين أو شريك.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يشير إلى أن الوجود كله لله، وأن العبد الصوفي يرى أن كل ما في الكون من جهات وأماكن هو مظهر من مظاهر تجليات الله، فلا يرى في الوجود إلا الله، وهذا من مقامات الشهود والفناء عن رؤية الأغيار.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الله قريب من عبده أينما كان، وأن القلب إذا توجه إلى الله في أي جهة وجده، فلا يحتاج إلى وسيط أو مكان خاص، بل الحضور القلبي مع الله هو الأصل، وهذا يحرر العبد من الارتباط بالأماكن والأزمنة.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يرى فيه الصوفي أن سعة الله تعني سعة رحمته التي وسعت كل شيء، وأن العبد مهما أذنب فباب التوبة مفتوح، ومهما ابتعد فالله قريب، وعلمه المحيط بأسرار القلوب يجعل الصوفي يعيش في مراقبة دائمة لله.

د. قوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ يجد فيه الصوفي دعوة إلى التنزيه المطلق لله عن كل ما لا يليق بجلاله، وأن الذكر بالتسبيح هو طريق القلب إلى التخلص من الأغيار والاتصال بالحضرة الإلهية، فالتسبيح يطهر القلب من الشوائب.

هـ. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن كل المخلوقات في حالة طاعة وانقياد لله، حتى الجمادات، وأن العبد الصوفي يسعى إلى أن يكون من القانتين الذين انقادت قلوبهم لله، فترتفع عن معصيته وتخضع لأمره.

و. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الله يبدع في قلوب عباده من المعارف والأسرار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فكما أبدع السموات والأرض، يبدع في قلوب الأولياء من العلوم اللدنية ما لا يخطر على بال.

ز. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يرى فيه الصوفي أن القلب إذا صفا وخلص

لله، فإن الله يلقي فيه من أسراره وأوامره ما يتحقق به مراده، وأن العبد الصادق يكون كالآلة في يد الله، يفعل به ما يشاء، وهذا من مقامات الفناء والبقاء.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة ملكية الله للكون، وأن الاتجاهات المكانية كلها نسبية، فالمشرق والمغرب ليسا مطلقين، بل يتغيران بحسب موقع الراصد، وهذا يفتح باب التأمل في نسبية المكان والزمان، وأن الله منزه عن المكان لأنه خالق المكان.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول علاقة الله بالجهات، فالله ليس في جهة، ومع ذلك يقال إن وجهه حيثما توجه العبد، وهذا يدل على أن الحضور الإلهي ليس حضورا مكانيا بل حضورا وجوديا، وأن الله مع كل شيء بذاته لا بمكان، وهذا يلتقي مع مباحث الفلسفة الإلهية حول تنزيه الله عن المكان والزمان.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن العلم الإلهي يتسع لكل الموجودات، وأن السعة الإلهية تعني أن الله لا يحيط به شيء بل هو المحيط بكل شيء، وهذا يثير مسألة العلاقة بين المتناهي واللامتناهي، وبين المحدود وغير المحدود.

د. قوله: ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة تنزيه الله عن النقائص، وأن نسبة الولد إلى الله هي من أبطل الباطل، لأن الولد يستلزم التجزيء والتركيب، والله واحد أحد لا يتجزأ ولا يتركب، وهذا يلتقي مع البراهين الفلسفية على بساطة الواجب الوجود.

هـ. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الغائية في الكون، فكل الموجودات تخضع لنظام وقانون، وهذا الانقياد العام يدل على أن للكون غاية وحكمة، وأنه ليس عبثا، بل هو مسخر لأمر خالقه.

و. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يجد فيه الفيلسوف دليلا على أن العالم مخلوق محدث، لأنه بديع بمعنى أنه خلق على غير مثال سابق، وهذا يرد على من يقول بقدم العالم، فالإبداع يستلزم الخلق من العدم، وهذا من أعظم المباحث الفلسفية في إثبات حدوث العالم.

ز. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الإرادة

الإلهية والوجود، فالأمر الإلهي إذا تعلق بشيء تحقق فورا، وهذا يدل على أن الإرادة الإلهية هي العلة الفاعلة للوجود، وأن العالم كله معلق بمشيئة الله، وهذا يلتقي مع مباحث العلية والسببية في الفلسفة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يذكر عالم الأخلاق بأن الإنسان في كل مكان وزمان تحت ملكية الله، فلا يظن أنه خارج عن رقابته في أي جهة، وهذا يزرع خلق المراقبة الذاتية، فالمؤمن يعلم أن الله معه أينما كان.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يوجه إلى أن القيم الأخلاقية ليست مرتبطة بمكان أو زمان، بل هي ثابتة في كل الأحوال، فكما أن وجه الله في كل جهة، فكذلك الفضائل يجب أن تتحقق في كل مكان وزمان، ولا يجوز أن يغير الإنسان أخلاقه بتغير الأماكن.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن سعة الله تعني سعة رحمته ومغفرته، وأن العبد مهما أخطأ فباب التوبة مفتوح، وهذا يمنع اليأس والقنوط، ويدفع إلى الاستمرار في فعل الخير، وعلم الله المحيط يجعل العبد يتحرى الصدق في السر والعلن.

د. قوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ يوجه إلى تنزيه الله عن كل نقص، وهذا التنزيه ينعكس على سلوك العبد، فينزه نفسه عن الأخلاق الدنيئة والصفات القبيحة، فكما أن الله منزه عن الولد، فالمؤمن منزه عن الشرك والرياء.

هـ. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يذكر عالم الأخلاق بأن الانقياد لله هو أصل الأخلاق، فالمؤمن الحق هو الذي ينقاد لأوامر الله في كل شؤونه، وهذا الانقياد هو جوهر التقوى، وهو الذي يجعل الأخلاق ثابتة لا تتأثر بالأهواء.

و. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الله أبدع الخلق فأحسن كل شيء خلقه، وهذا يدعو العبد إلى الإبداع في أعماله وإتقانها، فالإحسان في العمل هو من مكارم الأخلاق، وهو أن تعبد الله كأنك تراه.

ز. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يذكر عالم الأخلاق بأن الله سريع الاستجابة، فإذا أراد شيئا تحقق، وهذا يدعو العبد إلى أن يكون سريعا في فعل الخيرات، مسارعا إلى الطاعات، كما أن

الله سريع في إجابة دعاء عباده.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن الأرض كلها لله، وأن الناس جميعا يعيشون على أرض الله، وهذا يزرع روح الأخوة الإنسانية، ويمنع التفرقة العنصرية أو الجغرافية، فالكل عباد الله في أرض الله.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن العبادة لا تقتصر على مكان معين، بل يمكن أن تقام في أي مكان، وهذا يمنع احتكار الدين أو تحويله إلى مؤسسة مكانية، بل الدين لله في كل مكان، وهذا يعزز التسامح الاجتماعي.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن سعة الله تعني أن المجتمع المسلم يجب أن يتسع لأفراده جميعا، فلا يضيق بأحد، وأن علم الله المحيط بكل شيء يدعو إلى الشفافية والوضوح في العلاقات الاجتماعية.

د. قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى خطورة العقائد الفاسدة على تماسك المجتمع، فدعوى اتخاذ الولد تخلق تفاوتا بين أفراد المجتمع، وتجعل بعضهم أبناء الله وبعضهم عبيدا، وهذا يهدم المساواة الاجتماعية.

هـ. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يشير إلى أن المجتمع الفاضل هو الذي ينقاد أفراده لله، فالانقياد لله يجمع القلوب على كلمة سواء، ويمنع التفرق والاختلاف، فالمجتمع القانت مجتمع متحد ومتماسك.

و. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن الله أبدع هذا الكون بنظام دقيق، وهذا يدعو إلى إحكام النظام الاجتماعي، فكما أن الكون يسير بنظام بديع، فالمجتمع يحتاج إلى نظام يحقق العدل والاستقرار.

ز. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن التغيير الاجتماعي ممكن إذا توفرت الإرادة والعزيمة، فكما أن الله إذا أراد شيئا تحقق، فكذلك المجتمع إذا أراد الإصلاح والتغيير بصدق وعزيمة، فإن الله يعينه ويحقق له ما يريد.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الأرض كلها لله، وأن الحكم في الأرض إنما هو استخلاف من الله، فلا يحق لأي إنسان أن يستبد بحكم الأرض، بل هو مستخلف فيها، وهذا يضع حدودا للسلطة السياسية.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الحكم لا يختص ببقعة جغرافية معينة، بل الحكم لله في كل مكان، وهذا يمنع النزعات الإقليمية والعصبية الجغرافية، فالعدل مطلوب في كل أرض.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يذكر عالم السياسة بأن سعة الله تعني أن الدولة يجب أن تتسع لجميع مواطنيها بغض النظر عن أعراقهم وأديانهم، وعلم الله المحيط يذكر الحاكم بأن الله يراقبه ويعلم كل ما يخفيه.

د. قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ يلفت نظر عالم السياسة إلى أن العقائد الفاسدة تنتج أنظمة سياسية فاسدة، فمن ادعى أن له نسبا إلهيا استبد واستعبد الناس، والتنزيه الإلهي عن الولد يمنع أي ادعاء بالحكم المطلق أو القداسة الشخصية للحاكم.

هـ. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الطاعة الحقيقية هي لله وحده، وأن طاعة الحاكم إنما تكون في حدود طاعة الله، فإذا أمر الحاكم بمعصية فلا طاعة له، وهذا يضع ضوابط للسلطة ويمنع الطغيان.

و. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الحكم الرشيد يحتاج إلى إبداع في إيجاد الحلول للمشكلات المستجدة، فكما أن الله أبدع الخلق، فالحاكم مطالب بالإبداع في سياسة الرعية بما يحقق مصالحهم.

ز. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الحسم في القرارات السياسية مطلوب، فالحاكم الناجح هو الذي يقرر بحسم وينفذ بسرعة، كما أن الله إذا قضى أمرا نفذه فورا، وهذا يمنع التردد والضعف في الحكم.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الموارد كلها ملك لله، وأن المدير مستخلف على هذه الموارد، فلا يتصرف فيها بهواه، بل يجب أن يديرها وفق ما يرضي الله، وهذا يزرع الأمانة في

الإدارة.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة لا تقتصر على مكان معين، بل يمكن تطبيق مبادئ الإدارة الإسلامية في أي بيئة، وأن المدير المسلم يحمل قيمه أينما انتقل.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن المدير يجب أن يكون واسع الصدر، يتسع لآراء موظفيه ويحتمل أخطاءهم، وعلم الله المحيط يذكره بأن الله يراقب تصرفاته، فيتحرى العدل والإنصاف.

د. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الانضباط هو أساس النجاح، فكما أن كل المخلوقات منقادة لله، فكذلك المؤسسة الناجحة تحتاج إلى انضباط والتزام من جميع أفرادها، وهذا الانضباط يتحقق بالتقوى والرقابة الذاتية.

هـ. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الإبداع والابتكار هما أساس التقدم، فالمدير الناجح هو الذي يبدع في تطوير أساليب العمل وإيجاد حلول جديدة للمشكلات، كما أن الله أبدع الخلق.

و. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الحسم في اتخاذ القرارات الإدارية مطلوب، فالمدير الناجح هو الذي يقرر بسرعة وينفذ بحزم، ولا يترك الأمور معلقة، فالتنفيذ الفوري هو سر النجاح.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الشعور بأن الكون كله لله يمنح الإنسان الأمان النفسي، فالإنسان الذي يعلم أن الله يملك كل شيء يشعر بالطمأنينة وعدم القلق على المستقبل.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الإنسان لا يشعر بالوحدة أبدا، فالله معه في كل مكان، وهذا يعالج مشاعر الوحدة والعزلة التي يعاني منها كثير من الناس في المجتمعات الحديثة.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن سعة الله تعني سعة رحمته ومغفرته، وهذا يعالج مشاعر الذنب والخطيئة التي تسبب الاكتئاب والقلق، فالعبد يعلم أن الله واسع المغفرة، فلا

يقنط من رحمته.

د. قوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن تنزيه الله عن النقائص يريح النفس من مشاعر الحقد والكراهية، فالعبد الذي ينزه ربه عن النقائص يسعى إلى تنزيه نفسه عن الصفات السيئة، وهذا يحقق الصحة النفسية.

هـ. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الانقياد لله يمنح الإنسان الشعور بالهدف والمعنى في الحياة، وهذا من أهم عوامل الصحة النفسية، فالإنسان الذي يعيش بلا هدف يعاني من الفراغ الوجودي.

و. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن التأمل في إبداع الله في الخلق يمنح الإنسان الدهشة والإعجاب، وهذه المشاعر الإيجابية تعزز الصحة النفسية وتقلل من التوتر والاكتئاب.

ز. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الإيمان بقدرة الله المطلقة يمنح الإنسان الثقة والأمل، فمهما كانت الظروف صعبة، فالله قادر على تغييرها في لحظة، وهذا يمنع اليأس والإحباط.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن الموارد الطبيعية كلها ملك لله، وأن الإنسان مستخلف فيها، فلا يجوز له استغلالها استغلالا جائرا، بل يجب أن يستثمرها بما يحقق المصلحة العامة.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن النشاط الاقتصادي لا يقتصر على مكان معين، بل يمكن ممارسته في أي مكان، وأن الاقتصاد الإسلامي صالح للتطبيق في كل البيئات.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن سعة الله تعني سعة الرزق، وأن الله يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر، وهذا يمنع الطمع والحرص المذموم، ويدعو إلى القناعة والرضا.

د. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن كل الموجودات مسخرة للإنسان بأمر الله، وهذا يعني أن الموارد الطبيعية متاحة للاستثمار، وأن الإنسان مطالب باستخراجها وتسخيرها لخدمة البشرية.

هـ. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن الله أبدع الكون بنظام دقيق، وهذا يدعو إلى إحكام النظام الاقتصادي، وعدم ترك الأمور للفوضى، فالاقتصاد الناجح يحتاج إلى تخطيط وتنظيم.

و. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن الله سريع في تحقيق ما يريد، وهذا يدعو إلى سرعة التنفيذ في المشاريع الاقتصادية، وعدم التسويف والتأجيل، فالسرعة في التنفيذ من عوامل النجاح الاقتصادي.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يذكر المربي بأن التربية لا تقتصر على مكان معين، بل يجب أن تصاحب الطالب في كل مكان، فالتربية الإسلامية تربية شاملة للحياة كلها، وليست حبيسة جدران المدرسة.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن المعلم يجب أن يربي طلابه على أن الله معهم في كل مكان، فيراقبون الله في السر والعلن، وهذا يزرع فيهم خلق المراقبة الذاتية.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يذكر المربي بأن سعة الله تعني أن المعلم يجب أن يتسع لطلابه، ويتحمل أخطاءهم، ويصبر على تعليمهم، وعلم الله المحيط يذكره بأن الله يراقب عمله، فيتقن التعليم.

د. قوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ يذكر المربي بأن تنزيه الله عن النقائص يدعو إلى تنزيه العلم عن الشوائب، وتعليم الطلاب العلوم النافعة الخالية من الانحرافات الفكرية والعقدية.

هـ. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يذكر المربي بأن الانقياد لله هو أساس التربية، فيجب أن يربي الطلاب على الطاعة والانضباط، وأن يكونوا من القانتين لله، لا من العاصين لأوامره.

و. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يذكر المربي بأن الله أبدع الخلق، وهذا يدعو إلى تنمية الإبداع لدى الطلاب، وتشجيعهم على الابتكار والتفكير، وعدم الاقتصار على التلقين والحفظ.

ز. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يذكر المربي بأن الحسم في اتخاذ القرارات التربوية مطلوب، فالمعلم الناجح هو الذي يحسم في الأمور ولا يتردد، كما أن الله إذا قضى أمرا نفذه فورا.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يذكر القاضي بأن الأرض كلها لله، وأن الحكم فيها إنما هو بأمر الله، فلا يحكم القاضي بهواه، بل يحكم بما أنزل الله، وهذا يمنع التحيز والظلم.

ب. قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يعلم أن الله معه في كل مجلس قضاء، فيراقب الله في أحكامه، ولا يجامل أحدا على حساب الحق.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يذكر القاضي بأن سعة الله تعني أن القاضي يجب أن يتسع لقضايا الناس، ويستمع للجميع بإنصاف، وعلم الله المحيط يذكره بأن الله يعلم ما يخفيه في قلبه من ميل أو هوى.

د. قوله: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يذكر القاضي بأن كل المخلوقات منقادة لله، وأن القاضي يجب أن يكون من القانتين لله، فينقاد لأوامر الله في أحكامه، ولا يتبع الأهواء.

هـ. قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يذكر القاضي بأن الله أبدع الخلق، وهذا يدعو إلى الإبداع في الاجتهاد القضائي، وإيجاد حلول عادلة للنوازل المستجدة، بما يتوافق مع مقاصد الشريعة.

و. قوله: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يذكر القاضي بأن الحسم في إصدار الأحكام مطلوب، فالقاضي الناجح هو الذي يفصل في القضايا بحسم ولا يطيل الخصومات، كما أن الله إذا قضى أمرا نفذه فورا.

٤٨. اقتراح الجاهلين ورغبتهم في آية خاصة:

المقطع [٤٨] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٨-١١٩]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يشير إلى أن الجهل بالله وصفاته هو الدافع الأساسي لاقتراح أمور خارقة للعادة على سبيل التعنت، وأن طلب الآيات ليس نابعا من طلب الهداية بل من الجحود والعناد، فالعلم الحقيقي بالله يمنع صاحبه من هذا الاقتراح، إذ يعلم أن الله يتكلم متى شاء وبما شاء، وأن الآيات تأتي بقدرته لا باقتراح الخلق.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يبين أن هذا الاقتراح ليس جديدا في التاريخ، بل هو سنة الأمم الجاهلة الماضية، مما يدل على أن طبيعة البشر في التمرد على الرسل واحدة، وأن الاقتراحات التعجيزية تتكرر عبر العصور، وهذا يثبت أن الوحي الإلهي واحد في أخباره عن الأمم السابقة، وأن القرآن يصدق ما سبقه من الكتب.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إشارة إلى أن القلوب التي تخلو من الإيمان تتشابه في أقوالها وأفعالها، فتشابه الأقوال دليل على تشابه القلوب في الجهل والقسوة، وهذا يبين أن مصدر الهدى والضلال هو القلب، وأن صلاح الظاهر تابع لصلاح الباطن.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر أن الآيات البيّنة لا تنفع إلا من كان له قلب يوقن، وأن الإيقان شرط للانتفاع بالآيات، فالآيات موجودة ومبينة، لكن الانتفاع بها متوقف على استعداد القلب، وهذا يرد على من يطلب آيات جديدة، إذ أن الآيات السابقة كافية لمن أراد الهداية.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يثبت أن وظيفة الرسول محصورة في التبشير والإنذار، وأنه ليس مسؤولا عن هداية الناس، فالرسالة بلاغ والهداية بيد الله، وهذا يقطع الطريق على من يطلب من الرسول ما ليس من وظيفته من الإتيان بالآيات المقترحة.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يحدد مسؤولية الرسول والمؤمنين، فهم ليسوا مسؤولين عن مصير الكافرين، وأن الحساب يوم القيامة، وهذا يريح النبي من الحزن على قومه، ويريح المؤمنين من تحمل أوزار غيرهم، فلكل نفس ما كسبت.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الجاهلين يطلبون الخطاب الإلهي المباشر أو الآيات الحسية، بينما الصوفي يعلم أن الله يكلم عباده المؤمنين بواسطة الإلهام والكشف، وأن الآية الحقيقية هي ما يظهر في القلب من أنوار المعرفة، فالخطاب الإلهي عندهم ليس محصورا في الوحي المنزل، بل يتجدد في قلوب الأولياء.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يشير إلى أن طلب الخوارق والمكاشفات الحسية هو ديدن النفوس غير المطمئنة، أما أهل الذوق والوجدان فيكتفون بما عندهم من المعرفة القلبية،

ولا يطلبون الآيات الظاهرة لأن قلوبهم مشغولة بمشاهدة الآيات الباطنة.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن القلوب التي لم تتطهر من الأهواء تتشابه في غفلتها عن الله، وأن القلب إذا صفا عن الكدورات انفتحت فيه أبواب المعرفة، أما القلب المظلم فلا يرى إلا الظواهر، فيطلب الآيات الحسية بدل الآيات القلبية.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يرى فيه الصوفي أن اليقين هو العين التي ترى الآيات في كل شيء، فالمؤمن الموقن يرى الآيات في أنفاسه وخطواته وفي كل ذرة من الكون، أما الجاهل فلا يرى الآيات حتى لو جاءته كل آية، فاليقين عندهم هو كشف الحجاب ورؤية الحق في كل شيء.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه الصوفي أن البشارة والنذارة هما مقامان من مقامات السلوك، فالبشير يدل على مقام الرجاء، والنذير يدل على مقام الخوف، وهما جناحان يطير بهما السالك إلى الله، فلا بد من التوازن بينهما في الطريق.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يشير إلى أن الصوفي لا ينشغل بحساب الناس ومصائرهم، بل ينشغل بإصلاح نفسه وتزكية قلبه، فكل إنسان مسؤول عن عمله، والعارف لا يضيع وقته في محاسبة الآخرين، بل يشتغل بالله عن كل ما سواه.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالية إمكانية التواصل المباشر بين الإنسان والله، فالعقل الفلسفي يتساءل: هل يمكن لله أن يكلم البشر مباشرة؟ أم أن الوحي هو الطريق الوحيد؟ والآية ترد على هذا بأن الله يتكلم كيف يشاء، وأن طلب البشر للخطاب المباشر هو جهل بطبيعة الغيب، فالعقل لا يمكنه إدراك كيفية التكلم الإلهي.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن التاريخ يتكرر في أنماط التفكير البشري، وأن العقل الجاهل يقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها من قبله، وهذا يشير إلى أن هناك قوانين ثابتة في السلوك الإنساني يمكن دراستها واستنتاجها، وهي ما يسمى بفلسفة التاريخ.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين القلوب والأقوال، فتشابه الأقوال يدل على تشابه البواطن، وهذا يفتح باب التأمل في نظرية المعرفة، إذ أن المعرفة ليست مجرد انعكاس

للواقع الخارجي، بل هي مرتبطة بالاستعدادات الباطنية للإنسان.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر الفيلسوف أن البيان وحده لا يكفي، بل لا بد من شرط ذاتي في المتلقي، وهذا يلتقي مع النظريات الفلسفية التي تقول بأن المعرفة تتطلب استعدادا قبليا في العارف، فالآيات بينة لكنها لا تنفع إلا الموقنين، وهذا يشبه القول بأن الحقيقة لا تدرك إلا بمنهج مناسب.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه الفيلسوف أن الغاية من الرسالة هي توجيه الإنسان نحو الخير والتحذير من الشر، وهذا يلتقي مع الغاية من الفلسفة العملية، إذ أن الفلسفة الأخلاقية تسعى إلى تحقيق السعادة وتجنب الشقاء، والرسالة تحقق ذلك عبر البشارة والنذارة.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة المسؤولية الأخلاقية، فكل إنسان مسؤول عن أفعاله، ولا يمكن تحميل الآخرين وزر غيره، وهذا يلتقي مع مبدأ العدالة الذي يقول بأن الجزاء يكون على قدر العمل، وأن لا أحد يحمل عن أحد شيئا.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الجهل ليس مجرد نقص في المعرفة، بل هو سبب للتعنت والتمرد على الخير، فالجاهل يطلب الأعذار لعدم الالتزام، بينما العالم يلتزم بالحق لأنه يعرف قيمته، فالمعرفة الأخلاقية شرط للسلوك الفاضل.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يشير إلى أن الأخلاق الفاسدة تتكرر عبر الأجيال، وأن الاعتذار بالظروف ليس مبررا للانحراف، فكل جيل مسؤول عن أخلاقه، ولا يمكن أن يحتج جيل بأن أسلافه كانوا كذلك، فالحجة داحضة أمام الله.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يبين أن الأخلاق الظاهرة هي انعكاس للقلوب الباطنة، فالقلب الفاسد ينتج سلوكا فاسدا، والقلب السليم ينتج سلوكا سليما، وهذا يوجه عالم الأخلاق إلى ضرورة الاهتمام بتزكية القلوب قبل تعديل السلوك، لأن السلوك فرع عن القلب.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر أن البيان الأخلاقي لا يكفي وحده، بل لا بد من اليقين الذي يجعل الإنسان ملتزما بالقيم، فاليقين هو الذي يحول المعرفة الأخلاقية إلى سلوك عملي، ومن لا يوقن لا يلتزم.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن المنهج الأخلاقي القرآني يقوم على الترغيب والترهيب معا، فالبشارة تحفز على الخير، والنذارة تمنع من الشر، وهذا أسلوب تربوي متكامل يخاطب في الإنسان جانبي الرجاء والخوف.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يبين أن المسؤولية الأخلاقية فردية، فلا أحد يحمل وزر غيره، وهذا يربي في الإنسان الشعور بالمسؤولية الشخصية، ويمنعه من الاتكالية على الآخرين، فكل إنسان سيسأل عن عمله.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الجهل منتشر في المجتمعات التي ترفض الإصلاح، وأن الجاهلين يمثلون قوة اجتماعية معارضة للدعوة، وهم يطالبون بمبررات خارقة للعادة ليقبلوا بالحق، وهذا يعكس حالة من التخلف الفكري والاجتماعي.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات تتشابه في أنماط ردود أفعالها تجاه الدعوات الإصلاحية، وأن هناك قوانين اجتماعية ثابتة تحكم سلوك الجماعات، فكل مجتمع جاهل يرفض دعوة الإصلاح بنفس الحجج التي رفضتها المجتمعات السابقة.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يبين أن التشابه في الأقوال ناتج عن تشابه في البنى النفسية والاجتماعية، فالقلوب التي تعيش في بيئة اجتماعية فاسدة تتشابه في قسوتها وانغلاقها، وهذا يفسر ظاهرة انتشار الفساد في المجتمعات التي تبتعد عن القيم.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر أن البيان الاجتماعي لا يكفي لتغيير المجتمعات، بل لا بد من وجود جماعة موقنة تستجيب للبيان، فالآيات بينة لكنها لا تنفع إلا من كان له استعداد للإيمان، وهذا يبين أن التغيير الاجتماعي يبدأ من الأفراد الموقنين ثم ينتشر إلى المجتمع.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الدعوة الإصلاحية تحتاج إلى منهج متكامل يجمع بين الترغيب والترهيب، وأن المجتمع لا يتغير بالترهيب وحده أو الترغيب وحده، بل بالجمع بينهما، وهذا ما يضمن استقرار المجتمع وتوازنه.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يبين أن المجتمع لا يحاسب ككل، بل يحاسب أفراده،

وأن كل فرد مسؤول عن سلوكه، وهذا يمنع ظاهرة التهرب من المسؤولية الاجتماعية، فكل فرد يعلم أنه سيحاسب على عمله، فلا يمكنه الاختباء خلف الجماعة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن المعارضة الجاهلة تطلب من الحاكم أو الداعية ما ليس في وسعه، وأنها تستخدم التعجيز كوسيلة سياسية لعرقلة الإصلاح، فالجاهلون لا يريدون الحق بل يريدون إسقاط الدعوة بأي وسيلة.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يشير إلى أن المعارضة السياسية للأنبياء والمصلحين تتشابه عبر التاريخ، وأن كل عصر له معارضوه الذين يستخدمون نفس الأساليب، وهذا يعطي المصلح درسا في عدم الدهشة من معارضة الجاهلين، لأنها سنة تاريخية.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يبين أن التشابه في الأقوال السياسية ناتج عن تشابه في النفوس، فالقلوب التي تخلو من الإيمان تتشابه في عدائها للحق، وهذا يفسر ظاهرة تحالف الباطل عبر العصور، فكل جاهل يجد في الجاهل السابق سلفا له.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر أن البيان السياسي وحده لا يكفي، بل لا بد من وجود جماعة موقنة تدعم الحق، فالآيات بينة لكنها لا تنفع إلا الموقنين، وهذا يوجه المصلح السياسي إلى ضرورة بناء قاعدة إيمانية واعية قبل مواجهة المعارضة.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه عالم السياسة أن السياسة الإسلامية تقوم على منهج البشارة والنذارة، فالحاكم أو الداعية يبشر المطيعين وينذر العاصين، وهذا منهج متوازن يجمع بين اللين والشدة، وبين الترغيب والترهيب.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يحدد مسؤولية الحاكم والداعية، فهم ليسوا مسؤولين عن إيمان الناس، بل وظيفتهم البلاغ فقط، وهذا يمنع الحاكم من الاستبداد بحجة أنه مسؤول عن هداية الناس، فالهداية بيد الله، والمسؤولية محددة بالبلاغ.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الجهلاء في

أي منظمة يطلبون مبررات خارقة للعادة لقبول القرارات، وأنهم لا يرضون بالبيان الواضح، بل يطلبون معجزات، وهذا يعكس مقاومة التغيير في المؤسسات، حيث يقاوم الجاهلون أي إصلاح بحجج غير منطقية.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يشير إلى أن مقاومة التغيير في المؤسسات تتشابه عبر الأجيال، فكل جيل من الموظفين الجاهلين يكرر نفس حجج الجيل السابق، وهذا يوجه المدير إلى ضرورة دراسة تاريخ المؤسسة ليتوقع مقاومة التغيير.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يبين أن تشابه الأقوال في المؤسسة ناتج عن تشابه الثقافة التنظيمية الفاسدة، فالموظفون الذين يعيشون في بيئة عمل سلبية تتشابه قلوبهم في مقاومة الإصلاح، وهذا يستدعي تغيير الثقافة التنظيمية قبل تغيير الأنظمة.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر أن البيان الإداري الواضح لا يكفي وحده، بل لا بد من وجود موظفين موقنين برؤية المؤسسة، فالبيان الواضح لا ينفع إلا من كان له استعداد للالتزام، وهذا يوجه المدير إلى ضرورة اختيار الموظفين المؤمنين برسالة المؤسسة.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن القيادة الناجحة تجمع بين التحفيز والتحذير، فالمدير الناجح يبشر الموظفين المجتهدين وينذر المقصرين، وهذا أسلوب إداري متوازن يحقق أعلى إنتاجية.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يحدد مسؤولية المدير، فهو ليس مسؤولا عن سلوك الموظفين السيئين بعد أن نصحهم، بل كل موظف مسؤول عن عمله، وهذا يمنع المدير من تحمل أعباء لا طاقة له بها، ويحفز الموظفين على تحمل مسؤولياتهم.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يجد فيه المؤرخ أن الجهل كان سمة المجتمعات التي عارضت الرسل، وأن طلب الآيات الخارقة كان أسلوبا متكررا في تاريخ الأمم، وهذا يفسر لماذا فشلت الدعوات الإصلاحية في بعض المجتمعات، لأنها واجهت جاهلين لا يريدون الحق.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن التاريخ يعيد نفسه

في أنماط المعارضة، وأن هناك تشابها لافتا بين معارضة الأمم السابقة ومعارضة قريش، وهذا يؤكد أن هناك قوانين تاريخية ثابتة تحكم صراع الحق والباطل.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يبين أن التشابه في الأقوال عبر التاريخ ناتج عن تشابه في القلوب، فالقلوب التي تخلو من الإيمان تتشابه في عدائها للحق مهما اختلفت العصور والأماكن، وهذا يفسر استمرارية الصراع بين الحق والباطل عبر التاريخ.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر أن البيان الإلهي كان واضحا في كل العصور، لكن الانتفاع به كان مرتبطا باليقين، وهذا يفسر لماذا اهتدت بعض الأمم ولم تهتد أخرى، فالآيات كانت بينة للجميع، لكن الموقنين فقط هم الذين انتفعوا بها.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه المؤرخ أن الرسالات الإلهية كانت تتبع منهجا موحدا في التبشير والإنذار، وهذا يفسر تشابه الدعوات الإصلاحية عبر التاريخ، فكل الرسل جاءوا بالحق بشيرا ونذيرا.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يبين أن المؤرخ لا يحاسب الأمم التي فشلت في الهداية، بل يدرس أسباب فشلها، فالرسل بلغوا وأنذروا، والأمم التي لم تستجب هي المسؤولة عن مصيرها، وهذا يوجه المؤرخ إلى دراسة عوامل الهداية والضلال في الأمم.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الجهل ليس مجرد نقص معرفي، بل هو حالة نفسية تتميز بالتعنت والمقاومة، فالجاهل يطلب مبررات خارجية ليقبل الحق، وهذا يعكس حالة من عدم الأمان النفسي، حيث يحتاج إلى أدلة حسية ليطمئن.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يشير إلى أن أنماط التفكير الجاهل تتكرر عبر الأجيال، وهذا يبين أن هناك أنماطا نفسية ثابتة في التعامل مع الحق، فالجاهلون عبر التاريخ يتشابهون في ردود أفعالهم النفسية تجاه الدعوة.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن القلوب التي تخلو من الإيمان تتشابه في أمراضها النفسية، كالقلق والاكتئاب والعدوانية، فالإيمان يمنح القلب طمأنينة واستقرارا، والقلب الخالي

من الإيمان يعيش في اضطراب دائم.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر أن اليقين هو حالة نفسية تمكن الإنسان من الانتفاع بالآيات، فالموقن يعيش في طمأنينة نفسية تجعله يتقبل الحق، أما غير الموقن فيعيش في حيرة وقلق يمنعانه من الانتفاع بالبيان.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن التوازن بين الرجاء والخوف هو أساس الصحة النفسية، فالبشارة تمنح الأمل، والنذارة تمنع التهور، والإنسان المتوازن نفسيا هو الذي يجمع بينهما، وهذا ما يقدمه المنهج القرآني.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يبين أن الإنسان لا يتحمل مسؤولية سلوك الآخرين، وهذا يخفف من القلق النفسي الناتج عن محاولة إصلاح الجميع، فالطبيب النفسي يعلم أن المريض لا يشفى إلا إذا تعاون مع الطبيب، وكذلك الكافر لا يهتدي إلا إذا أراد الهداية.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن الجهلاء في المجال الاقتصادي يطلبون ضمانات خارقة للعادة قبل الاستثمار أو الالتزام بالأنظمة، وهذا يعكس حالة من عدم الثقة وعدم اليقين، فالجاهل لا يثق بالبيان الواضح، ويطلب مبررات إضافية.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يشير إلى أن السلوك الاقتصادي الجاهل يتكرر عبر الأجيال، فكل جيل من الجاهلين في الاقتصاد يكرر نفس أخطاء الجيل السابق، وهذا يفسر تكرار الأزمات الاقتصادية الناتجة عن الجهل وعدم الثقة.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يبين أن القلوب التي تخلو من الإيمان تتشابه في سلوكها الاقتصادي الفاسد، كالطمع والاحتكار والغش، فالإيمان يضبط السلوك الاقتصادي، والقلب الخالي من الإيمان يترك صاحبه فريسة للشهوات المالية.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر أن البيان الاقتصادي الواضح لا يكفي وحده، بل لا بد من اليقين الذي يجعل الإنسان ملتزما بالأنظمة الاقتصادية العادلة، فالموقن يلتزم بالحلال ويتجنب الحرام، أما غير الموقن فلا يلتزم إلا بالرقابة الخارجية.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن النظام الاقتصادي الإسلامي يقوم على الترغيب في الكسب الحلال والترهيب من الكسب الحرام، وهذا منهج متوازن يحقق العدالة الاقتصادية، فالبشارة تحفز على العمل الحلال، والنذارة تمنع من الحرام.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يبين أن كل فرد مسؤول عن سلوكه الاقتصادي، فلا يمكن تحميل الآخرين وزر الاحتكار أو الغش، وهذا يمنع ظاهرة التهرب من المسؤولية الاقتصادية، فكل تاجر سيسأل عن مكسبه من حلال أم من حرام.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ يجد فيه المربي أن الجهلاء من الطلاب يطلبون مبررات خارقة للعادة لقبول العلم، وأنهم لا يرضون بالبيان الواضح، وهذا يعكس حالة من الكسل العقلي وعدم الرغبة في التعلم، فالمربي الناجح يعالج هذه الحالة بالصبر والحكمة.

ب. قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يشير إلى أن الطلاب الجاهلين يتشابهون في ردود أفعالهم تجاه المعلم، فكل جيل من الطلاب المقاومين للتعلم يكرر نفس حجج الجيل السابق، وهذا يوجه المعلم إلى ضرورة الصبر على مقاومة الطلاب، لأنها ظاهرة متوقعة.

ج. قوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يبين أن تشابه الأقوال ناتج عن تشابه القلوب، فالطلاب الذين يعيشون في بيئة جاهلة تتشابه قلوبهم في مقاومة العلم، وهذا يستدعي من المربي العمل على تزكية القلوب قبل نقل المعرفة، لأن القلب الطيب يتقبل العلم، والقلب القاسي يرفضه.

د. قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يقرر أن البيان التعليمي الواضح لا يكفي وحده، بل لا بد من وجود طلاب موقنين بأهمية العلم، فالطالب الموقن يتقبل العلم وينتفع به، أما الطالب غير الموقن فلا ينتفع حتى مع وضوح البيان، وهذا يوجه المربي إلى ضرورة بناء اليقين في نفوس الطلاب قبل الشرح.

هـ. قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ يجد فيه المربي أن المنهج التربوي الناجح يجمع بين التحفيز والتحذير، فالمعلم يبشر الطلاب المجتهدين وينذر المقصرين، وهذا أسلوب تربوي متوازن يحقق أفضل النتائج التعليمية.

و. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يبين أن المربي ليس مسؤولا عن استجابة الطلاب

بعد أن بلغهم، فكل طالب مسؤول عن تعلمه، وهذا يريح المربي من الإحباط الناتج عن عدم استجابة بعض الطلاب، ويحفز الطلاب على تحمل مسؤولية تعلمهم.

٤٩ . تعنت اليهود والنصارى وعدم رضاهم عن المؤمنين:

المقطع [٤٩] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهَّ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يقرر حقيقة عقدية ثابتة، وهي أن اليهودية والنصرانية المحرفة لن ترضى عن المسلمين ما داموا على دينهم، وأن الرضا المشروط بتوافق الأديان في أصولها التوحيدية أمر مرفوض، لأن الملة المحرفة لا تقبل إلا باتباعها، وهذا يبين أن الصراع العقدي بين الحق والباطل صراع وجودي لا ينتهي بالمساومات أو التنازلات.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهَّ هُوَ الْهُدَى﴾ يقرر أن الهدى الحقيقي هو ما جاء به الوحي، وليس ما عليه اليهود والنصارى من أهواء، وأن الهدى ليس بالتمني ولا بالانتساب، بل هو ما شرعه الله على لسان رسوله، فمن ابتغى الهدى في غير ما جاء به النبي فقد ضل سواء السبيل.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يبين أن اتباع أهل الكتاب بعد نزول الوحي ليس مجرد خطأ اجتهادي، بل هو اتباع للهوى بعد قيام الحجة، وهذا يعد ردة عن العلم الذي جاء به النبي، وفيه إشارة إلى أن العلم الشرعي هو الفاصل بين الهدى والضلال.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يقرر أن من تخلى عن هدى الله واتبع أهواء المخالفين، فقد خسر ولاية الله ونصره، وأن الولاية والنصرة لا تكونان إلا لمن تمسك بالهدى، وهذا يبين أن النصر مرتبط بالاستقامة على دين الله لا بالتحالفات السياسية أو التنازلات العقدية.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يشير إلى أن القلب السليم لا يطمع في رضا الخلق على حساب رضا الخالق، وأن الصوفي الحقيقي لا يسعى إلى إرضاء المخالفين بدينه،

بل يطلب رضا الله وحده، فمن طلب رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط الناس عليه.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الهداية الحقيقية ليست في كثرة الأعمال الظاهرة، بل هي نور يقذفه الله في القلب، وهذا النور لا يحصل إلا باتباع النبي، فمن أراد الهدى فعليه بالاقتداء به ظاهرا وباطنا، لا بما عليه أهل الأهواء من الرسوم والبدع.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يحذر الصوفي من أن الأهواء هي حجب القلب عن الله، وأن اتباع الهوى بعد العلم هو من أعظم ما يطمس نور البصيرة، فالصوفي يرى أن الهوى هو الصنم الأخفى الذي يجب كسره في القلب قبل الأصنام الظاهرة.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يذكر الصوفي بأن الولاية الحقيقية هي ولاية الله لمن والاه، وأن من انقطع عن الله باتباع الهوى فقد انقطع عنه المدد الإلهي، فلا يجد وليا ينقذه ولا نصيرا يعينه، فالولي الحقيقي هو الله وحده، ومن كان الله وليه لم يخف شيئا.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالا حول إمكانية الحوار الديني والتعايش بين الأديان، فالنص يقرر أن الرضا لا يتحقق إلا باتباع الملة، وهذا يعني أن التعددية الدينية في جوهرها صراع على الحقيقة لا يمكن تجاوزه بالمجاملات، وأن كل دين يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة، وهذا يطرح سؤالا فلسفيا حول طبيعة الحقيقة الدينية وإمكانية تعددها.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾ يقرر الفيلسوف أن الهدى ليس نتاجا بشريا ولا فلسفة وضعية، بل هو أمر إلهي متعالٍ على العقل، وهذا يضع حدا للعقلانية المطلقة التي تزعم أن الحقيقة يمكن بلوغها بالعقل وحده، فالهدى الإلهي هو المعيار الذي توزن به كل المعارف.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن العلم الذي جاء به النبي ليس مجرد معرفة نظرية، بل هو علم يقيني يغني عن اتباع الظنون والأهواء، وفيه إشارة إلى أن المعرفة اليقينية هي التي تمنع الإنسان من التخبط في الآراء المتضاربة، وأن اتباع الهوى بعد اليقين هو انحطاط معرفي وأخلاقي.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالا حول العلاقة بين الحرية

الإنسانية والجزاء الإلهي، فالنص يقرر أن من اتبع الهوى بعد العلم فقد خسر الولاية والنصرة، وهذا يعني أن الإنسان حر في اختياره، وأن عاقبة اختياره السيئ هي الحرمان من العون الإلهي، وهذا ينسجم مع مبدأ المسؤولية الأخلاقية.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يبين أن الأخلاق الإسلامية لا تقوم على مبدأ إرضاء الآخرين، بل على مبدأ إرضاء الله، وأن الاستقامة الأخلاقية قد تؤدي إلى غضب المخالفين، وهذا يتطلب من المؤمن أن يتحمل تبعات التزامه الأخلاقي حتى لو أدى ذلك إلى عداوة الآخرين.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ يقرر أن الأخلاق ليست نسبية ولا عرفية، بل هي مطلقة مصدرها الوحي، وأن الهدى الإلهي هو الذي يحدد معايير الخير والشر، وليس ما يستحسنه الناس أو ما تتوافق عليه المجتمعات، وهذا يمنح الأخلاق ثباتا وموضوعية.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يحذر من أن اتباع الهوى هو أساس الفساد الأخلاقي، فالهوى يجعل الإنسان يقدم رغباته على الواجبات، ويجعل المصلحة الشخصية هي المعيار، وهذا يعد انهيارا للمنظومة الأخلاقية القائمة على الوحي.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يبين أن الأخلاق الحقيقية لا تقوم على الجزاء الدنيوي فقط، بل على الإيمان بالله واليوم الآخر، فمن فقد ولاية الله ونصره فقد فقد السند الأخلاقي الأعظم، وأصبح عرضة للانحراف والضياع.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الصراع بين الجماعات الدينية ليس صراعا عابرا، بل هو صراع هوياتي عميق، فكل جماعة تسعى إلى فرض هويتها على الأخرى، وأن الرضا بين الجماعات المختلفة لا يتحقق بالتعايش السلمي فقط، بل بمحاولة كل طرف فرض تصوره على الآخر.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ يبين أن المجتمعات لا يمكن أن تتوحد على أساس القيم

المشتركة وحدها، بل لا بد من مرجعية عليا تحسم التنازع، وأن الهدى الإلهي هو المرجعية التي توحد المجتمع المسلم، وتمنعه من التشرذم والانقسام حول الأهواء.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يحذر عالم الاجتماع من أن اتباع الأهواء الفردية أو الجماعية يؤدي إلى تفكك المجتمع، لأن الأهواء متعددة ومتضاربة، ولا يمكن أن تكون أساسا للنظام الاجتماعي، فالمجتمع لا يستقيم إلا بضابط متعالٍ على الأهواء.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تفقد البوصلة الإلهية تفقد الولاية والنصرة، وتصبح عرضة للهزيمة والانهيار، فالتاريخ الاجتماعي يؤكد أن المجتمعات التي تمسكت بهدى الله كانت أقوى وأكثر تماسكا، والتي انحرفت عنه ضعفت وتفككت.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يقرر حقيقة سياسية مهمة، وهي أن الأعداء لا يرضون عن الدولة المسلمة إلا إذا تخلت عن هويتها الإسلامية، وأن التنازلات السياسية للقوى الكبرى لا تشتري رضاها، بل تزيدها طمعا، وهذا يبين أن الاستقلال السياسي والعقدي هو أساس الأمن والكرامة.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن السياسة الإسلامية لا تنطلق من الأيديولوجيات الوضعية، بل من هدى الله، وأن هذا الهدى هو الذي يحدد الأهداف والوسائل، ويمنع الدولة من الانجراف وراء المصالح الضيقة أو الأهواء الحزبية.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يحذر من أن اتباع أهواء القوى الكبرى بعد العلم بالحق هو خيانة للأمانة، وأن الدولة التي تتبع أهواء الآخرين تفقد استقلالها وهويتها، وتصبح تابعة لا قائدة، وهذا يعد انهيارا للسيادة الوطنية.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يبين أن النصر الحقيقي ليس بالتحالفات الدولية ولا بالقوة العسكرية، بل بولاية الله ونصره، ومن خسر ولاية الله باتباع أهواء الأعداء، فلن تنفعه التحالفات، ولن يجد من ينصره في الشدائد.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يلفت نظر عالم الإدارة إلى أن المنافسين لا يرضون عن المنظمة إلا إذا اتبعت أساليبهم وتخلت عن تميزها، وأن محاولة إرضاء المنافسين على حساب الهوية والرسالة تؤدي إلى فقدان الميزة التنافسية، فالمنظمة الناجحة هي التي تحافظ على هويتها ولا تسعى لإرضاء الجميع.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾ يبين أن الإدارة الناجحة تحتاج إلى رؤية واضحة ورسالة محددة، وأن الهدى الإلهي هو الذي يحدد هذه الرؤية للمنظمة الإسلامية، فلا تتخبط بين الأهواء والنماذج المستوردة، بل تسير على منهج واضح.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يحذر من أن اتباع أهواء الآخرين ونماذجهم بعد العلم بالمنهج الصحيح هو فشل إداري، فالمنظمة التي تنسخ تجارب الآخرين دون تمحيص تفقد قدرتها على الابتكار والتطوير، وتصبح تابعة لا مبدعة.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يعني أن المنظمة التي تنحرف عن رسالتها تفقد الدعم الإلهي، وهذا ينعكس على أدائها ونتائجها، فالنجاح الحقيقي ليس بالكفاءة فقط، بل بالاستقامة على المنهج، ومن كان الله معه فلا يخشى الفشل.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يعالج الطبيب النفسي من خلاله مشكلة السعي المرضي لإرضاء الآخرين، فالإنسان الذي يسعى لإرضاء الجميع يعيش في قلق دائم واضطراب نفسي، والآية تحرره من هذا العبء، فترضى الله وحده ولا تهتم برضا المخالفين، وهذا يمنحه طمأنينة نفسية.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾ يمنح الإنسان إحساسا بالاتجاه والهدف، وهذا يقلل من مشاعر الضياع والاغتراب التي يعاني منها كثير من الناس في العصر الحديث، فالهدى الإلهي هو البوصلة التي توجه النفس وتحميها من التشتت.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يحذر من أن اتباع الهوى يؤدي إلى الصراع النفسي الداخلي، فالإنسان الذي يعرف الحق ثم يتبع الهوى يعيش في تناقض مؤلم، وهذا التناقض

هو مصدر كثير من الاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يبين أن فقدان السند الروحي هو من أعمق أسباب الاضطراب النفسي، فالإنسان الذي يشعر بأنه وحيد بلا سند يعيش في خوف وقلق، أما المؤمن الذي يعلم أن الله وليه ونصيره فيعيش في أمان وطمأنينة، وهذا هو أساس الصحة النفسية.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يلفت نظر عالم الاقتصاد إلى أن القوى الاقتصادية الكبرى لا ترضى عن الدول النامية إلا إذا اتبعت نماذجها الاقتصادية وتخلت عن استقلالها، وأن التبعية الاقتصادية لا تحقق الرضا ولا التنمية، بل تزيد الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِّ هُوَ الْهُدَى﴾ يبين أن النظام الاقتصادي الإسلامي ليس تابعا للنماذج الرأسمالية أو الاشتراكية، بل له هديه المستقل المستمد من الوحي، وهذا الهدى هو الذي يحدد قواعد الإنتاج والتوزيع والاستهلاك بما يحقق العدالة والتنمية.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يحذر من أن اتباع النماذج الاقتصادية الوضعية بعد العلم بالنظام الإسلامي هو خيانة للأمانة الاقتصادية، فالاقتصاد الإسلامي ليس مجرد بديل، بل هو النظام الأكمل الذي يحقق مصالح الدنيا والآخرة.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يعني أن الدولة التي تتبع النماذج الاقتصادية المخالفة للإسلام تفقد البركة والنصر، فقد تكون لها مظاهر النمو، لكنها تفتقر إلى البركة والاستقرار، فالاقتصاد الذي لا يقوم على هدى الله لا يمكن أن يحقق السعادة والرفاه الحقيقيين.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية الإسلامية لا تهدف إلى إرضاء الآخرين أو نيل استحسانهم، بل تهدف إلى إرضاء الله، وأن المربي يجب أن يربي الأجيال على الثبات على المبادئ وعدم التنازل عنها لأجل إرضاء المخالفين.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِّ هُوَ الْهُدَى﴾ يبين أن المنهج التربوي الإسلامي ليس من ابتكار البشر، بل هو مستمد من هدى الله، وهذا يمنحه القدوة والثبات، فالمربي الذي يربي على هدى الله لا يتأثر

بالموجات التربوية المتغيرة، بل يظل ثابتا على الأصول.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يحذر المربي من أن اتباع أهواء الآخرين في المناهج والأساليب بعد العلم بالمنهج الإسلامي هو انحراف تربوي، فالتربية الإسلامية لا تقبل التبعية العمياء للنماذج التربوية الغربية، بل تتخذ منها ما يوافق هدي الله وتترك ما يخالفه.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يعني أن المربي الذي ينحرف عن هدى الله في تربيته يفقد العون الإلهي، وقد يرى ثمار جهده تضيع، أما المربي الذي يستقيم على هدى الله فإن الله يعينه ويبارك في جهده، ويرى ثمار تربيته في أبنائه وطلابه.

حادي عشر - إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ يبين للقاضي أن العدالة لا تقوم على إرضاء الخصوم، بل على تطبيق الحق، فالقاضي الذي يسعى لإرضاء الأطراف المتقاضية على حساب الحق يظلم نفسه ويخون الأمانة، والآية تحرره من هذا الضغط النفسي.

ب. قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ يوجه القاضي إلى أن مصدر التشريع هو هدى الله، وليس الأهواء أو العادات أو القوانين الوضعية المخالفة، فالقاضي الذي يحكم بهدى الله يكون على بصيرة، ولا يتأثر بالضغوط أو المؤثرات الخارجية.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يحذر القاضي من أن يحكم بهوى الخصوم أو بضغوط أصحاب النفوذ بعد أن علم حكم الله، فمن فعل ذلك فقد اتبع الهوى بعد العلم، وخسر ولاية الله ونصره، وكان حكمه جورا وظلما.

د. قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يذكر القاضي بأن من يظلم الناس في أحكامه يخسر ولاية الله ونصره، وقد ينتقم الله منه في الدنيا قبل الآخرة، أما القاضي العادل الذي يحكم بهدى الله فإن الله يكون وليه ونصيره، ويوفقه في أحكامه ويحفظه من الزلل.

٥٠. حق تلاوة الكتاب والإيمان به والخسران لمن كفر:

المقطع [٥٠] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]، ومن المعاني الباطنة التي

يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالكتاب ليس مجرد تصديق ذهني، بل هو تلاوة عملية تبلغ الغاية في الإتقان والامتثال، فحق التلاوة يقتضي تحويل ألفاظ الكتاب إلى سلوك واقعي، وهذا يربط الإيمان بالعمل ارتباطا وثيقا، فمن قرأ القرآن حق قراءته فقد آمن به إيمانا كاملا، ومن كفر به فقد خسر خسرانا مبينا.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يبين أن الإيمان الحقيقي بالكتاب هو ثمرة التلاوة الصحيحة، فالتلاوة ليست غاية في ذاتها بل وسيلة للإيمان، والإيمان هنا ليس مجرد إقرار لفظي، بل هو تصديق يثمر عملا، وهذا يرد على من يزعم أن الإيمان قول بلا عمل، فجعل الله التلاوة المحققة دليلا على الإيمان الصادق.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقرر أن الكفر بالكتاب بعد قيام الحجة هو سبب الخسران الأكبر، والخسران هنا ليس خسارة مالية أو دنيوية فحسب، بل هو خسارة النفس في الدنيا والآخرة، والخاسرون هم الذين ضيعوا رأس مالهم الفطري وهو الإيمان، فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وهذا يبين أن الكفر ليس مجرد نقيض الإيمان، بل هو صفقة خاسرة بكل المقاييس.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يشير إلى أن التلاوة الحقة عند الصوفي هي تلاوة القلب قبل اللسان، فمن قرأ القرآن بلسانه ولم يقرأه بقلبه فما تلاه حق تلاوته، وحق التلاوة هو أن يتدبر المعاني وتنفعل بها النفس، حتى يصير القارئ كأنما يسمع القرآن من الله مباشرة، وهذه حال أهل الذوق والوجد.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يجد فيه الصوفي أن الإيمان الذي تثمره التلاوة الحقة هو إيمان ذوقي لا تقليدي، فهو إيمان يصل إلى مرتبة اليقين المشاهدة، حيث يرى المؤمن بنور الله، وتنكشف له أسرار الكتاب، فيكون إيمانه عن عيان لا عن خبر، وهذه هي مرتبة الإحسان التي وردت في الحديث.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يرى فيه الصوفي أن الكفر بالكتاب ليس مقصورا على الجحود اللفظي، بل يشمل الغفلة عن أسراره وعدم العمل بمعانيه، فالخاسر عندهم من

حرم لذة المناجاة وأنس القرب، فخسارته أعظم من خسارة من فقد مالا أو جاها، لأنه خسر الله والوصول إليه.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية العلاقة بين النص والتأويل، فحق التلاوة ليس مجرد ترديد لفظي، بل هو فهم عميق للمقاصد، وهذا يفتح باب الاجتهاد التأويلي، فالنص القرآني يحتمل معاني متعددة، والتلاوة الحقة هي التي تصل إلى المعاني الكامنة وراء الألفاظ، وهذا يشبه ما يسميه الفلاسفة بالتأويل الباطني.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الإيمان ليس قضية عقلية بحتة، بل هو نتاج تفاعل بين النص والقارئ، فالتلاوة الحقة تنتج إيمانا، والإيمان هنا ليس مجرد استنتاج منطقي، بل هو حالة وجودية تنشأ من الانغماس في النص، وهذا يلتقي مع فلسفة التأويل التي ترى أن الفهم ليس مجرد معرفة، بل هو طريقة في الوجود.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يطرح على الفيلسوف سؤال الخسارة الوجودية، فالكفر بالكتاب ليس مجرد خطأ معرفي، بل هو خسارة في مستوى الوجود الإنساني، فالخاسر هو من فاته المعنى والغاية، وهذا يذكرنا بمفهوم العبثية عند الوجوديين، لكن القرآن يقدم الخلاص من العبثية عبر الإيمان والتلاوة الحقة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن التلاوة الحقة هي التي تتحول إلى سلوك، فالقراءة التي لا تغير السلوك هي قراءة ناقصة، وحق التلاوة يقتضي أن يكون القارئ مرآة للقرآن في أخلاقه، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتحلى بالصبر والصدق والأمانة، وهذه هي الغاية الأخلاقية من إنزال الكتاب.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يشير إلى أن الإيمان ليس مجرد اعتقاد نظري، بل هو منظومة أخلاقية متكاملة، فالمؤمن بالكتاب هو الذي تظهر أخلاقه في تعاملاته، والإيمان هنا هو الضابط الأخلاقي الذي يحول القيم النظرية إلى ممارسات عملية، فمن آمن حقا كان صدقه وأمانته وعدله انعكاسا لإيمانه.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يبين أن الكفر بالكتاب يؤدي إلى انهيار المنظومة الأخلاقية، فالخاسر هو من فقد البوصلة الأخلاقية التي تضبط سلوكه، والخسارة هنا تشمل خسارة الفضائل الإنسانية، فالكافر بالكتاب قد يكون محافظا على بعض الأخلاق العرفية، لكنه خسر الأساس المتعالي الذي يمنح الأخلاق قيمتها المطلقة.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن التلاوة الحقة للكتاب هي عامل بناء للمجتمع، فالمجتمع الذي يتلو كتابه حق تلاوته هو مجتمع متماسك قائم على القيم، والتلاوة هنا ليست فردية فقط، بل هي جماعية، حيث تخلق ثقافة مجتمعية مشتركة تقوم على احترام النص وتطبيقه، وهذا يذكرنا بمفهوم النص المؤسس عند دوركهايم الذي يمنح المجتمع تماسكه.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالكتاب هو عامل توحيد اجتماعي، فالمجتمع المؤمن بكتابه يجتمع حول مرجعية واحدة، وهذه المرجعية تمنحه هوية مشتركة وتمنع التشرذم، والإيمان هنا ليس مجرد اعتقاد فردي، بل هو رابط اجتماعي يخلق التضامن بين الأفراد.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يبين أن المجتمعات التي تكفر بكتبها السماوية هي مجتمعات خاسرة، والخسارة هنا اجتماعية أيضا، فالمجتمع الذي يفقد مرجعيته الدينية يفقد تماسكه وهواجيته، ويصبح عرضة للتفكك والصراعات، وهذا ما نراه في المجتمعات التي ابتعدت عن كتبها المقدسة، حيث تنتشر الفوضى القيمية والتفكك الأسري والاجتماعي.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الدولة القوية هي التي تتلو كتابها حق تلاوته، أي تطبق دستورها السماوي في الحكم والسياسة، فالتلاوة الحقة هنا تعني تطبيق أحكام الكتاب في التشريع والقضاء والسياسة، والدولة التي تقرأ كتابها ولا تطبقه هي دولة منافقة في تلاوتها.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالكتاب هو أساس الشرعية السياسية، فالحاكم الذي يؤمن بالكتاب ويطبقه يحظى بشرعية دينية وشعبية، والإيمان هنا ليس مجرد شعار، بل هو التزام عملي بأحكام الكتاب في السياسة الداخلية والخارجية، وهذا يمنح الدولة استقرارا سياسيا.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يحذر عالم السياسة من أن الدول التي تكفر بكتبها السماوية هي دول خاسرة، والخسارة هنا سياسية أيضا، فالدولة التي تحكم بغير ما أنزل الله تفقد شرعيتها وتواجه الاضطرابات والثورات، والتاريخ يشهد أن الدول التي ابتعدت عن مرجعياتها الدينية سقطت أو تفككت.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن المنظمات الناجحة هي التي تطبق رؤيتها ورسالتها حق التطبيق، فالتلاوة الحقة هنا تشبه تطبيق الخطة الاستراتيجية بدقة، والمنظمة التي تكتفي بكتابة الرؤية على الجدران دون تطبيقها هي منظمة فاشلة، فحق التلاوة يقتضي التحويل من القول إلى الفعل.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالرسالة هو ما يدفع العاملين إلى الالتزام، فالموظف الذي يؤمن برسالة منظمته يعمل بإخلاص وتفانٍ، والإيمان هنا هو الثقافة المؤسسية التي تخلق الولاء والانتماء، وهذا يقلل من الحاجة إلى الرقابة الخارجية.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يبين أن المنظمات التي لا تؤمن برسالتها ولا تطبقها هي منظمات خاسرة، والخسارة هنا إدارية ومالية، فالمنظمة التي تفقد بوصلتها الاستراتيجية تفقد قدرتها التنافسية وتواجه الانهيار، وهذا يذكرنا بأهمية الالتزام بالقيم المؤسسية لضمان الاستدامة.

ثامنا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يوجه المربي إلى أن التعليم ليس مجرد نقل معلومات، بل هو تربية على التطبيق، فحق التلاوة هنا يعني أن يتعلم الطالب الكتاب ليعمل به، لا ليجتاز الامتحانات فقط، والمربي الناجح هو الذي يجعل من تلاميذه قراء عاملين بكتابهم، لا حافظين له دون فهم أو عمل.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يشير إلى أن غاية التربية هي الوصول بالإنسان إلى الإيمان، والإيمان هنا ليس مجرد حفظ نصوص، بل هو قناعة داخلية تثمر سلوكا، والمربي يسعى إلى أن يزرع في نفوس تلاميذه الإيمان بالكتاب، بحيث يكون سلوكهم انعكاسا لتعاليمه، وهذا هو التعليم التحويلي الذي يغير الشخصية.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يحذر المربي من أن الطالب الذي يتعلم ولا يؤمن هو طالب خاسر، فالخسارة هنا تربوية، فالطالب الذي يحفظ القرآن ولا يعمل به يكون قد خسر ثمرة تعلمه، والمربي مسؤول عن توجيه تلاميذه إلى الإيمان العملي، لا إلى الحفظ الآلي المجرد عن العمل.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن التلاوة الحقة للكتاب هي علاج نفسي فعال، فالقراءة المتدبرة للقرآن تمنح الإنسان طمأنينة وسكينة، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الاستماع للقرآن وتلاوته يخفضان مستويات التوتر والقلق، والتلاوة الحقة هنا هي التي تصحبها الخشوع والتدبر، وهي تشبه تقنيات الاسترخاء والتأمل.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالكتاب يمنح الإنسان إحساسا بالمعنى والهدف، وهذا يقي من الاكتئاب الوجودي، فالمؤمن يرى أن حياته لها غاية، وأنه ليس عبثا، وهذا الإيمان هو درع نفسي قوي ضد الاضطرابات النفسية، وقد أكدت دراسات علم النفس الإيجابي أن الإيمان والمعنى هما من أهم عوامل الصحة النفسية.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يبين أن الكفر بالكتاب يؤدي إلى خسارة نفسية، فالخاسر هنا هو من يعيش في قلق وضياع، لأن فقدان المرجعية الدينية يخلق فراغا روحيا، وهذا الفراغ هو ما يسمى في علم النفس بفراغ المعنى، وهو من أهم أسباب الاكتئاب والقلق في المجتمعات الحديثة.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن التلاوة الحقة للكتاب تقتضي تطبيق أحكامه الاقتصادية، كالزكاة والربا والعدل في المعاملات، فالاقتصاد الإسلامي ليس مجرد نظريات، بل هو تطبيق عملي لأحكام الكتاب، والتلاوة الحقة هنا تعني تحويل النصوص الاقتصادية إلى واقع ملموس في الأسواق والمصارف.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالكتاب هو أساس النظام الاقتصادي العادل، فالمؤمن بالكتاب يلتزم بالحلال ويجتنب الحرام، وهذا يخلق اقتصادا نزيها قائما على الثقة، والإيمان هنا يقلل من الغش والاحتكار والربا، وهي آفات اقتصادية تفتك بالمجتمعات.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يبين أن الاقتصاد الذي لا يقوم على الإيمان بالكتاب هو اقتصاد خاسر، والخسارة هنا اقتصادية، فالأنظمة الاقتصادية التي تقوم على الربا والاستغلال تؤدي إلى الأزمات المالية، كما شهدنا في الأزمة المالية العالمية، فالاقتصاد الذي يفقد البوصلة الأخلاقية يفقد استدامته.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يوجه القاضي إلى أن التلاوة الحقة للكتاب تقتضي تطبيق أحكامه في القضاء، فالقاضي الذي يتلو الكتاب حق تلاوته هو الذي يحكم بما أنزل الله، ولا يقدم على ذلك هوى أو مصلحة، والتلاوة الحقة هنا هي الالتزام بنصوص الكتاب في الأحكام، وهذا هو أساس العدالة.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يشير إلى أن الإيمان بالكتاب هو الضمانة الأولى لعدالة القاضي، فالقاضي المؤمن يشعر بأن الله مطلع على أحكامه، فيكون أكثر إنصافا، والإيمان هنا يمنع القاضي من الرشوة والمحاباة، لأنه يعلم أن الله سيسأله عن كل حكم.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يحذر القاضي من أن الكفر بالكتاب يؤدي إلى خسارة في القضاء، فالخاسر هنا هو القاضي الذي يحكم بغير ما أنزل الله، وخسارته مزدوجة، خسارة دنيوية بفقدان الثقة والعدالة، وخسارة أخروية بالعقاب، والقضاء الذي لا يستند إلى الكتاب هو قضاء جائر يظلم الناس.

٥١. تذكير بني إسرائيل بالنعم وبيوم لا تنفع فيه شفاعة ولا عدل:

المقطع [٥١] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٢-١٢٣]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ يشير إلى أن أصل الدين هو شكر النعم والاعتراف بها، وأن نسيان النعم هو بداية الكفر والعصيان، فذكر النعم يورث المحبة والطاعة، ونسيانها يورث الجحود والتمرد.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يبين أن التفضيل الإلهي ليس مكتسبا ذاتيا، بل هو اصطفاء واختيار من الله، وفيه إشارة إلى أن التفضيل يقتضي مسؤولية أعظم، فمن فضل على الناس كان عليه أن يكون أقدارهم وأشكرهم، لا أن يستغل التفضيل للاستكبار.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يقرر مبدأ فردية المسؤولية والجزاء، فلا أحد يحمل عن أحد شيئا يوم القيامة، وهذا يهدم كل أوهام الشفاعة والنيابة في العقاب، ويؤكد أن كل نفس رهينة بما كسبت.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يشير إلى أن العدل هنا بمعنى الفدية، أي أن الله لا يقبل فداء من العاصي يوم القيامة، مهما قدم من مال أو عوض، لأن باب التدارك قد أغلق، وهذا يبين أن الأعمال الصالحة إنما تنفع في الدنيا قبل فوات الأوان.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يبين أن الشفاعة المنفية هنا هي الشفاعة التي يظنها المشركون من آلهتهم، أما الشفاعة المثبتة في مواضع أخرى فهي بإذن الله لمن ارتضى، فلا تعارض بين النفي والإثبات، فالشفاعة الحقيقية ملك لله وحده، ولا تنفع إلا بإذنه.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ينفي أي ناصر أو معين خارج عن قدرة الله، فإذا خذل الله العبد يوم القيامة فلا ناصر له، وهذا يقطع كل رجاء في غير الله، ويرد الإنسان إلى التوحيد الخالص.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يشير إلى أن الذكر ليس مجرد تلفظ باللسان، بل هو حضور القلب مع المنعم، واستحضار النعم في السر والعلن، فذكر النعم عند الصوفي هو من مقامات الشكر التي تفتح أبواب القرب والود.

ب. قوله: ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى النعم الباطنة قبل الظاهرة، فالنعمة الحقيقية هي نعمة الهداية والمعرفة، وهي التي تسبق كل نعم الدنيا، فمن عرف الله فقد أنعم عليه بأعظم نعمة.

ج. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يرى فيه الصوفي أن التفضيل الحقيقي هو تفضيل أهل المعرفة والقرب، وأن الله يخص من يشاء من عباده بكرامات وأحوال لا يشاركهم فيها غيرهم، وهذا

التفضيل يقتضي الخشية لا الفخر.

د. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يذكره الصوفي بأن يوم القيامة يوم انكشاف الحقائق، وأنه لا ينفع فيه إلا القلب السليم، فالتقوى عنده هي صفاء الباطن من كل ما سوى الله، وهي التي تنجي العبد يوم لا ينفع مال ولا بنون.

هـ. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يشير إلى أن الفدية لا تقبل يوم القيامة، فلا ينفع العبد أن يقدم شيئا من الأعمال الظاهرة إذا كان قلبه خاليا من الإخلاص، فالعبرة عند الله بجوهر العمل لا بصورته.

و. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الشفاعة الحقيقية هي شفاعة الأنبياء والأولياء بإذن الله، وأنها لا تنفع إلا لمن كان له في الدنيا اتصال بهم واقتداء بسننهم، فالشفاعة ثمرة المحبة والاتباع.

ز. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يرى فيه أن النصر الحقيقي هو النصر بالله، وأن من كان مع الله كان الله معه، ومن لم يكن مع الله فلا ناصر له ولا معين، فيدعوه ذلك إلى الفناء عن الأغيار والاتصال بالله وحده.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الذاكرة والهوية، فذكر النعم هو الذي يبني هوية الأمة ووعيها التاريخي، والأمم التي تنسى نعم الله عليها تفقد بوصلة وجودها، وهذا يلتقي مع فلسفة التاريخ التي ترى أن الوعي بالتاريخ شرط لصناعة المستقبل.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول معنى التفضيل والاصطفاء، وهل هو تعسف إلهي أم مقتضى حكمة؟ والفيلسوف يرى أن التفضيل هنا ليس امتيازا عنصريا، بل هو تكليف ومسؤولية، فالتفضيل بالرسالة والهداية يقتضي شكرا أعظم، وهذا ينسجم مع مبدأ الغائية في الخلق.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يقرر مبدأ المسؤولية الفردية الذي هو أساس الفلسفة الأخلاقية، فالفعل الأخلاقي عند الفيلسوف لا يكون أخلاقيا إلا إذا كان صادرا عن فاعل حر مسؤول، والآية تؤكد أن كل نفس تحمل وزرها ولا يتحمل أحد عنها شيئا.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يلفت الفيلسوف إلى أن العدل بمعنى الفدية لا يقبل، وهذا يثير مسألة حدود العدالة الإلهية، فالله عادل لا يقبل الفداء لأن العدل يقتضي أن يجازى كل إنسان بعمله، والفدية تناقض مبدأ العدل المحض.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول العلاقة بين العدل والرحمة، فإذا كانت الشفاعة لا تنفع، فأين الرحمة الإلهية؟ والجواب عند الفيلسوف أن الشفاعة المثبتة هي من مقتضيات الرحمة، لكنها لا تنافي العدل لأنها بإذن الله ولأهل الإيمان، فالعدل والرحمة يجتمعان في الحكمة الإلهية.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يطرح مسألة فلسفية حول حدود القدرة البشرية، فالإنسان مهما بلغ من قوة لا يملك لنفسه نصرا ولا دفعا يوم القيامة، وهذا يضع حدا للغرور الإنساني ويدعو إلى التواضع، وهو ما يلتقي مع نقد الفلسفة للعقل البشري المحدود.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الشكر ليس مجرد شعور، بل هو سلوك عملي، فذكر النعم يقتضي استعمالها في طاعة المنعم، وهذا هو جوهر الأخلاق الفاضلة، فالأخلاق ليست نظرية مجردة بل استجابة للنعم.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يحمل إشارة أخلاقية خطيرة، وهي أن التفضيل يقتضي التواضع لا التكبر، فمن فضله الله على غيره كان عليه أن يكون أكثر تواضعا وخدمة للآخرين، لا أن يستخدم التفضيل للاستعلاء عليهم، وهذا هو خلق الأنبياء والصالحين.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يبين أن الأخلاق الحقيقية هي التي تنبع من الإيمان بالمسؤولية الفردية، فمن يعلم أنه سيحاسب وحده على أعماله كان أكثر حرصا على إصلاح نفسه، وأبعد عن الاتكالية أو تحميل الآخرين أخطاءه.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يشير إلى أن الأخلاق لا تقوم على المساومات والمقايضات، فالإنسان لا يستطيع أن يشتري النجاة بمال أو عوض، بل الأخلاق قيمة ذاتية لا تقبل البدل، وهذا يرفع من شأن الفعل الأخلاقي ويجعله غاية في ذاته.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يربي في النفس خلق الاستقلال والاعتماد على الذات، فلا يتكل

الإنسان على شفاعة أحد، بل يسعى بنفسه إلى فعل الخير، وهذا يمنع من التسيب والاتكالية، ويجعل كل إنسان مسؤولا عن بناء أخلاقه بنفسه.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يبين أن الأخلاق لا تقوم على الخوف من الناس أو طلب نصرتهم، بل على مراقبة الله وحده، فمن لا يرجو نصرا ولا يخشى خذلانا إلا من الله كان أصدق في أخلاقه وأثبت في مبادئه.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يلفت عالم الاجتماع إلى أن الذاكرة الجماعية هي أساس تماسك المجتمعات، فالأمم التي تحافظ على ذكرى نعمها وتراثها تكون أكثر وعيا بهويتها، وأقدر على مواجهة التحديات، ونسيان النعم يؤدي إلى تفكك الهوية الجماعية.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يشير إلى أن فكرة الاصطفاء الجماعي قد تكون عامل توحيد أو عامل تفرقة، فإذا فهمت فهما صحيحا كانت دافعا للخير والمسؤولية، وإذا فهمت فهما خاطئا كانت سببا للعنصرية والاستعلاء، وهذا ما يدرسه علم الاجتماع الديني.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يبين أن المجتمع لا يقوم على التضامن الأعمى الذي يلغي المسؤولية الفردية، بل على التوازن بين الفردية والجماعية، فكل فرد مسؤول عن نفسه، والمجتمع مسؤول عن توفير البيئة الصالحة التي تعين على التقوى.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يشير إلى أن العدالة الاجتماعية لا تتحقق بالفدية أو التعويض بعد وقوع الظلم، بل بمنع الظلم من أساسه، فالمجتمع العادل هو الذي يمنع الجريمة قبل وقوعها، ولا يكتفي بمعاقبة المجرمين بعدها.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن الشفاعة والمحسوبية من أخطر أمراض المجتمعات، فالآية تنفي أن تنفع الشفاعة يوم القيامة، وهذا يربي في المجتمع ثقافة العدل والمساواة، ويمنع من انتشار الواسطة والمحسوبية التي تهدم الثقة بين أفراده.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يبين أن المجتمعات التي تبني قوتها على النصرة البشرية فقط دون الله تكون هشة، فالنصر الحقيقي هو نصر الله، والمجتمع الذي يستند إلى الله في نصره يكون أكثر ثباتا

واستقرارا، وهذا ما يؤكده علم الاجتماع الديني في تفسير صمود المجتمعات المؤمنة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الدولة الناجحة هي التي تحافظ على الذاكرة التاريخية لشعبها، وتستحضر نعم الله عليها، فالأمم التي تنسى تاريخها ونعمها تفقد شرعيتها وقدتها، وتصبح عرضة للانهيار.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يحذر عالم السياسة من تحويل التفضيل الديني إلى أيديولوجيا استعلائية، فالتفضيل الحقيقي هو تكليف ومسؤولية، والدولة التي تظن أنها مفضلة على غيرها بلا عمل ولا شكر تكون مهددة بالزوال، وهذا ما حدث لبني إسرائيل أنفسهم.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يبين أن الحاكم لا ينجيه من حساب الله أن يكون له أنصار أو جيوش، فكل إنسان يحاسب وحده، وهذا يضع حدا لاستبداد الحكام الذين يظنون أن قوتهم تحميهم من المساءلة.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يشير إلى أن السياسة التي تقوم على المساومات والتنازلات الفاسدة لا تنفع يوم القيامة، فلا يمكن للدولة أن تشتري النجاة بمال أو تنازلات، بل السياسة الرشيدة هي التي تقوم على العدل من البداية.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يحذر عالم السياسة من أنظمة المحسوبية والشفاعات السياسية التي تمنح الحصانة للمفسدين، فالآية تنفي أن تنفع الشفاعة يوم القيامة، وهذا يقتضي إقامة نظام سياسي عادل لا يحابي فيه أحد.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يبين أن الدولة التي تعتمد على النصر الخارجي أو التحالفات دون الله تكون هشة، فالنصر الحقيقي من عند الله، والدولة التي تستند إلى الله في نصرها تكون أقوى وأثبت، وهذا ما يفسر صمود الدول المؤمنة أمام التحديات.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أهمية الثقافة المؤسسية القائمة على الاعتراف بالفضل والجميل، فالمنظمات الناجحة هي التي تحتفل بإنجازاتها وتذكر نعمها، وهذا يعزز الانتماء والولاء

لدى العاملين.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يشير إلى أن التميز التنافسي ليس غاية في ذاته، بل هو مسؤولية، فالمنظمة التي تتفوق على غيرها يجب أن تستخدم تفوقها في خدمة المجتمع، لا في استغلاله، وهذا هو مفهوم المسؤولية الاجتماعية للشركات.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يبين أن نظام المساءلة الفردية هو أساس الإدارة الرشيدة، فكل موظف مسؤول عن عمله، ولا يمكن أن يتحمل أحد عن أحد، وهذا يقتضي وضوح المسؤوليات وتحديد المهام بدقة.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يشير إلى أن الإدارة لا تقوم على التعويضات بعد وقوع الأخطاء، بل على منع الأخطاء من أساسها، فالمنظمة الناجحة هي التي تضع أنظمة رقابية تمنع الفساد قبل وقوعه، ولا تكتفي بمعاقبة المخطئين بعده.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يحذر عالم الإدارة من ثقافة المحسوبية والواسطة في المؤسسات، فالآية تنفي أن تنفع الشفاعة يوم القيامة، وهذا يقتضي أن يكون التقييم والترقية على أساس الكفاءة والجدارة، لا على أساس العلاقات الشخصية.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يبين أن المنظمة التي تعتمد على الدعم الخارجي فقط دون بناء قدراتها الذاتية تكون هشة، فالنجاح الحقيقي هو الذي يبني على الذات، ويستمد القوة من الداخل، وهذا هو مفهوم الاستدامة في الإدارة الحديثة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يلفت المؤرخ إلى أن ذكر النعم هو جزء من كتابة التاريخ، فالتاريخ ليس مجرد سرد للأحداث، بل هو استحضار للنعم والمنن الإلهية، والأمم التي تكتب تاريخها بوعي النعم تكون أكثر قدرة على استخلاص العبر.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يذكره المؤرخ بأن فكرة الاصطفاء كانت محركا تاريخيا كبيرا، فقد دفعت بني إسرائيل إلى التميز والتفوق، لكنها حين تحولت إلى عنصرية واستعلاء كانت سببا في سقوطهم، وهذا درس تاريخي مهم.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يبين أن التاريخ لا يعرف المحسوبيات، فكل أمة تحاسب على أعمالها، ولا ينجيها من عاقبة أفعالها أن يكون لها تاريخ مجيد، فالمجد السابق لا يغفر الخطأ اللاحق.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يشير إلى أن التاريخ لا يقبل الفدية، فالأمم التي أخطأت في الماضي لا تستطيع أن تشتري نجاتها من العواقب بمال أو تنازلات، بل العبرة بما تفعله في الحاضر.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يحذر المؤرخ من أن التاريخ لا تنفع فيه الشفاعات، فالأمم التي ترتكب الأخطاء لا تنفعها وساطة أحد، بل تتحمل عواقب أفعالها، وهذا ما تؤكده سنة الله في الأمم السابقة.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يبين أن التاريخ يشهد أن النصر الحقيقي هو نصر الله، وأن الأمم التي تعتمد على النصرة البشرية فقط تخذل في اللحظات الحاسمة، بينما الأمم التي تستند إلى الله تثبت وتنتصر، وهذا ما تؤكده وقائع التاريخ.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي وصفة علاجية للاكتئاب والحزن، فذكر النعم واستحضارها يعد من أقوى تقنيات العلاج النفسي الإيجابي، حيث يغير نظرة الإنسان إلى حياته ويشعره بالرضا والامتنان.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يعزز الشعور بقيمة الذات والهوية، وهو ما يحتاجه الإنسان لبناء ثقته بنفسه، لكنه يحذر من تحول هذا الشعور إلى غرور ونرجسية، فالتفضيل الحقيقي يقتضي التواضع لا التكبر.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يخفف من القلق المرتبط بالاعتماد على الآخرين، فالإنسان الذي يعلم أنه مسؤول عن نفسه وحده يكون أكثر استقلالية نفسية، وأقل عرضة للقلق الناتج عن خذلان الآخرين له.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يشير إلى أن محاولة تعويض الأخطاء بالفدية أو الإنكار هي آلية دفاع نفسية غير صحية، فالصحة النفسية تقتضي مواجهة الأخطاء وتحمل مسؤوليتها، لا محاولة الهروب

منها بالتعويضات الوهمية.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يعالج مشكلة الاعتمادية النفسية، فبعض الناس يعيشون متكئين على شفاعة الآخرين لهم، والآية تحررهم من هذه الاعتمادية وتجعلهم مسؤولين عن أنفسهم، وهذا هو أساس النضج النفسي.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يخفف من الخوف من الآخرين، فمن يعلم أن لا ناصر له إلا الله يكون أقل خوفا من الناس، وأكثر اطمئنانا، وهذا يقلل من اضطرابات القلق الاجتماعي والخوف من الفشل.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن النعم الاقتصادية يجب أن تقابل بالشكر، والشكر في الاقتصاد يعني الاستخدام الأمثل للموارد وعدم الإسراف والتبذير، فمن ذكر نعمة المال كان أكثر حرصا على تنميته وإنفاقه في وجوهه المشروعة.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يشير إلى أن التفضيل الاقتصادي يقتضي مسؤولية، فالأمم التي تملك موارد أكثر عليها واجب أكبر في مساعدة غيرها، وهذا هو مفهوم التكافل الاقتصادي الدولي في الإسلام.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يبين أن الاقتصاد لا يقوم على الإفلاس الجماعي أو تحميل الآخرين الديون، بل كل فرد مسؤول عن ماله وكسبه، وهذا يقتضي ثقافة الادخار وعدم الإسراف.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يشير إلى أن المال لا ينفع صاحبه يوم القيامة إذا لم يكن كسبه حلالا وإنفاقه في طاعة الله، فالمال الذي يجمعه الإنسان بطرق غير مشروعة لا يقبل منه فداء، وهذا يربي في النفس الاقتصادية الأخلاقية.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يحذر عالم الاقتصاد من أنظمة الوساطة المالية الفاسدة التي تقوم على المحسوبية، فالآية تنفي أن تنفع الشفاعة يوم القيامة، وهذا يقتضي أن تكون المعاملات الاقتصادية قائمة على الشفافية والعدل، لا على العلاقات الشخصية.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يبين أن الاقتصاد الذي يعتمد على الدعم الخارجي فقط دون بناء قدرات ذاتية يكون هشا، فالاقتصاد القوي هو الذي يعتمد على الذات والموارد الداخلية، وهذا هو مفهوم الاستقلال الاقتصادي.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية تبدأ بتعليم النعم وشكرها، فالطفل الذي يتعلم ذكر نعم الله عليه يكون أكثر رضا وسعادة، وأكثر قدرة على مواجهة تحديات الحياة بإيجابية.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يعلم المربي تلاميذه أن التميز ليس غاية في ذاته، بل هو مسؤولية، فمن كان متفوقا في دراسته كان عليه أن يساعد زملاءه، وأن يستخدم تفوقه في خدمة مجتمعه، لا في الاستعلاء عليهم.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يربي في التلاميذ خلق المسؤولية الفردية، فلا يتكل أحد على غيره في أداء واجباته، وكل طالب مسؤول عن تعلمه وسلوكه، وهذا يبني شخصية مستقلة قادرة على تحمل المسؤولية.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يعلم المربي تلاميذه أن الأخطاء لا تعوض بالاعتذارات الشكلية أو الهدايا، بل بالتصحيح الحقيقي للسلوك، فمن أخطأ في واجبه لا يكفيه أن يعتذر، بل يجب أن يعيد العمل بإتقان.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يحذر المربي من ثقافة الوساطة في المدارس، فالطالب الذي يعتمد على شفاعة الآخرين في النجاح أو التقدير يكون متكلا غير مسؤول، والآية تربي فيه الاعتماد على الذات والجدارة الحقيقية.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يعلم المربي تلاميذه أن النجاح الحقيقي هو الذي يعتمد على الذات والاجتهاد، لا على النصرة الخارجية، فالطالب الذي يعتمد على غيره في حل واجباته يكون هشا، بينما الذي يعتمد على نفسه يكون قويا ثابتا.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ يذكر القاضي بأن نعمة القضاء والعدل من أعظم النعم، فيجب أن

يقابلها بالشكر، وشكر القاضي لنعمة الله عليه يكون بإتقان عمله والعدل بين الناس.

ب. قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يحذر القاضي من أن يستغل منصبه للاستعلاء على الناس، فالتفضيل الذي منحه الله إياه هو تكليف ومسؤولية، لا امتياز للظلم والاستكبار.

ج. قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ يذكره القاضي بأنه سيحاسب وحده على أحكامه، فلا ينفعه أن يكون له أنصار أو حماة يوم القيامة، وهذا يجعله أكثر حرصا على العدل والإنصاف.

د. قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ يبين أن القاضي لا يستطيع أن يشتري النجاة من الظلم بمال أو رشوة، فالعدل الحقيقي هو الذي يطبقه في الدنيا، ولا ينفعه أن يقدم فدية يوم القيامة.

هـ. قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ يحذر القاضي من أن تنفعه شفاعة أحد يوم القيامة إذا ظلم في حكمه، فلا تنفعه شفاعة شافع، وهذا يجعله أكثر استقلالية في أحكامه، وأبعد عن التأثر بالضغوط والوساطات.

و. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يذكره القاضي بأنه لا ناصر له يوم القيامة إذا خالف الحق، فلا تنفعه قوته ولا منصبه ولا أنصاره، وهذا يجعله أكثر خشية لله وأشد تمسكا بالعدل.

٥٢. ابتلاء إبراهيم بالكلمات وإمامته في الناس وعهد الله للصالحين:

المقطع [٥٢] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الابتلاء سنة إلهية في تمييز الصادقين، وأن الله يختبر عباده بالتكاليف والأوامر ليرفع درجاتهم، فالإمامة العظمى لا تُمنح جزافا، بل بعد اجتياز اختبارات صعبة، وهذا يقرر أن التمكين في الأرض مرتبط بالاستحقاق الرباني لا بالمجرد الدعوى.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يدل على أن النجاح في الابتلاء يكون بالوفاء التام بجميع التكاليف، لا ببعضها، وأن الكمال المطلوب في طاعة الله هو الإتيان بكل ما أُمر به دون نقصان، وهذا يبين أن الإيمان ليس ادعاء باللسان، بل تحقيقٌ بالأفعال.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقرر أن الإمامة في الدين منصب إلهي لا يُنال بالانتخاب أو الوراثة أو القوة، بل بالاصطفاء الرباني بعد الابتلاء، وأن الإمامة هنا تشمل الإمامة في الدين والدنيا، فهي خلافة عن الله في الأرض، وهذا يبين أن الحاكمية لله وحده، وأن من يجعل إماما هو الله.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يقطع بأن عهد الله بالإمامة لا يشمل الظالمين، ولو كانوا من ذرية الأنبياء، فالنبوة والإمامة لا تورثان بالأنساب، بل بالتقوى والصلاح، والظلم بجميع صوره (الشرك، والمعاصي، والظلم للناس) يحرم صاحبه من عهد الله.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يجد فيه الصوفي أن الابتلاء هو طريق الوصول إلى الله، وأن الكلمات التي ابتُلي بها إبراهيم هي من أسرار الغيب التي لا يدركها إلا أهل القلوب، فهي إشارة إلى الأوامر الإلهية التي تتلقاها الأرواح قبل الأجساد، وأن الصوفي لا يصل إلى مقام الإمامة الروحية إلا بعد أن يبتليه الله بالمجاهدة والرياضة.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يشير إلى أن الإتمام في مقام الصوفي هو الفناء عن إرادة النفس والقيام بحقوق العبودية كلها، فمن أتم الكلمات بظاهرها وباطنها وصل إلى مقام الاصطفاء، والإتمام عندهم هو جمع الهمة على الله، وعدم الالتفات إلى سواه.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يرى فيه الصوفي أن الإمامة الحقيقية هي الإمامة في معرفة الله والوصول إليه، وأن إبراهيم صار إماما للعارفين لأنه بلغ مقام القرب الذي جعله قدوة في التوحيد واليقين، فالإمامة الروحية هي التي يقتدي بها السالكون في طريق الحق.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يجد فيه الصوفي أن عهد الله هو العهد الذي أخذه على أوليائه بالمعرفة والمحبة، وأن الظالمين هم الذين ظلموا أنفسهم بالحجاب عن الله، أو ظلموا قلوبهم بالالتفات إلى غير الله، فلا ينال هذا العهد إلا من صفت سريرته وخلصت نيته، فالظلم عندهم هو وضع الشيء في غير موضعه، وأعظمه وضع القلب في غير موضع العبودية.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين الاختبار الإلهي

والحرية الإنسانية، فالابتلاء يفترض قدرة الإنسان على الاختيار والامتثال، وإلا لما كان للابتلاء معنى، وهذا يفتح باب التأمل في طبيعة الإرادة الإنسانية بين الجبر والاختيار.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يشير إلى أن الكمال الإنساني إنما يتحقق بالفعل لا بالقوة، وأن إبراهيم حقق بالفعل ما كان مطلوبا منه بالقوة، وهذا يلتقي مع المفهوم الأرسطي في أن الكمال هو تحقيق الإمكانات الكامنة، وأن الفضيلة تتحقق بالممارسة والتمرين.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يطرح عند الفيلسوف سؤال ماهية الإمامة والقيادة، وهل هي استحقاق ذاتي أم اصطفاء إلهي، فالآية تقرر أن الإمامة الحقة منحة إلهية لا تكتسب بالمعرفة النظرية وحدها، بل بالجمع بين العلم والعمل، وهذا يناقش نظرية الفيلسوف الملك عند أفلاطون الذي اشترط الحكمة والمعرفة، بينما هنا اشتراط الابتلاء والاصطفاء.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يثير إشكالا فلسفيا حول العدالة الإلهية، فالله لا يمنح عهده للظالمين، وهذا يبين أن العدل الإلهي مطلق، وأن الظلم ينافي الحكمة الإلهية، كما يثير مسألة وراثة المناصب الدينية، فالآية تقرر أن الاستحقاق بالعمل لا بالنسب، وهذا يلتقي مع المبدأ الفلسفي القائل بأن القيمة الحقيقية للإنسان بما يكتسبه لا بما يرثه.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الأخلاق لا تظهر إلا في مواطن الابتلاء والاختبار، فالإنسان لا يعرف صدقه إلا عند الشدائد، وأن التربية الأخلاقية تحتاج إلى مواقف عملية تمتحن فيها النفوس، فالابتلاء هو ميدان إظهار الفضائل.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يدل على أن الأخلاق الفاضلة هي التي تشمل جميع جوانب الحياة، وأن الإتمام يعني الاتصاف بجميع الفضائل دون انتقاء، فالكمال الخلقي هو الوفاء بكل الواجبات الأخلاقية، وعدم الاكتفاء ببعضها دون بعض.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يبين أن القدوة الحسنة هي ثمرة الأخلاق الكاملة، وأن من اتصف بالفضائل صار أهلا لأن يُقتدى به، فالإمامة الأخلاقية لا تكون بالمنصب، بل بجمال السيرة وكمال السلوك، وهذا يضع أمام عالم الأخلاق معيارا دقيقا للقدوة الصالحة.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يقرر أن العدل هو أساس الأخلاق، وأن الظلم بجميع صوره يحبط استحقاق الإنسان للكرامة الإلهية، فالظلم ليس فقط اعتداء على الآخرين، بل هو انحراف عن الفطرة الأخلاقية، ولا يمكن أن يكون الظالم قدوة في الخير، وهذا يبين أن الأخلاق لا تنفصل عن العدل، وأن الظلم نقيض الفضيلة.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن المجتمعات الراقية هي التي تقوم على الابتلاء والاختيار، فالأفراد الذين يتحملون المسؤولية ويجتازون الاختبارات هم الذين يقودون المجتمعات، وأن القيادة الاجتماعية لا تكون بالوراثة أو المصادفة، بل بالاستحقاق العملي.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يشير إلى أن تماسك المجتمع يعتمد على وفاء أفراده بالالتزامات، فالإتمام بالعهود والمواثيق هو أساس الثقة الاجتماعية، والمجتمع الذي لا يحترم أفراده العهود يتفكك ويسقط.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يبين أن القيادة الاجتماعية الناجحة هي التي تكون من الله، أي أن تكون مبنية على القيم والمبادئ، لا على المصالح والأهواء، فالإمام الذي يقود المجتمع يجب أن يكون قدوة في الالتزام بالقيم قبل أن يكون قائدا في الإدارة.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يقرر أن العدل هو أساس الاستقرار الاجتماعي، وأن الظلم يفسد المجتمعات ويسقطها، فالظالمون لا يصلحون لقيادة الأمم، لأن الظلم يولّد التفكك والصراع، والمجتمع العادل هو الذي يمنع الظالمين من الوصول إلى مواقع القيادة، وهذا يضع معيارا اجتماعيا واضحا لاختيار القادة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الحكم والقيادة السياسية ليست حقا مكتسبا بالولادة أو بالقوة، بل هي تكليف وابتلاء، وأن الحاكم الحقيقي هو من اجتاز اختبارات الأمانة والعدل والكفاءة، فالسياسة في المنظور القرآني مسؤولية قبل أن تكون سلطة.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يشير إلى أن الحاكم الناجح هو من يفي بجميع التزاماته تجاه الله وتجاه الناس، وأن الإتمام بالعهود والمواثيق هو أساس الشرعية السياسية، فالحاكم الذي لا يفي بوعوده يفقد شرعيته.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقرر أن الإمامة السياسية منحة إلهية، وأن الله هو الذي يولي الحكام، وهذا يعني أن الحكم يجب أن يكون وفق منهج الله، وأن الحاكم يجب أن يكون إماما في الخير والعدل، لا مجرد حاكم يمارس السلطة.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ هو المبدأ السياسي الأعظم، فهو يمنع الظالمين من تولي الحكم، ويجعل العدل شرطا أساسيا للقيادة، فالظلم يسقط الشرعية السياسية، ولا يجوز للمسلمين أن يبايعوا ظالما أو يرضوا بحاكم جائر، وهذا يضع الأساس لنظرية سياسية إسلامية تقوم على العدل لا على القوة.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن القيادة الإدارية الناجحة لا تُمنح إلا بعد اختبار الكفاءة والقدرة على تحمل المسؤولية، فالابتلاء هنا هو نظام تقييم الأداء، وأن المناصب العليا لا تُعطى إلا لمن اجتاز الاختبارات الصعبة.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة هي التي تلتزم بتحقيق جميع الأهداف المطلوبة، لا بعضها، وأن الإتمام يعني إنجاز المهام بكاملها وبجودة عالية، وهذا هو معيار التميز الإداري.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يبين أن التعيين في المناصب القيادية يجب أن يكون بناء على الاستحقاق والكفاءة، وأن القائد الناجح هو الذي يثبت جدارته قبل توليه المنصب، وهذا يضع نظاما إداريا قائما على الجدارة لا على المحسوبية.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يقرر أن العدل هو الشرط الأساسي لتولي المناصب، وأن الظالمين لا يصلحون للإدارة، فالظلم في الإدارة يعني الفساد والاستغلال، ولا يمكن أن يكون مدير ظالم ناجحا، لأن الظلم يهدم الثقة ويقتل الإبداع، وهذا يضع معيارا أخلاقيا صارما لاختيار القادة الإداريين.

ثامنا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن التربية الحقة تقوم على الاختبار والتدريب، وأن المعلم الناجح هو من يختبر طلابه ليكتشف قدراتهم ويصقل مواهبهم، فالابتلاء في التربية هو وسيلة

لبناء الشخصية القوية.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يشير إلى أن التربية الناجحة هي التي تدفع الطالب إلى إتمام المهام المطلوبة بدقة وإتقان، وأن المعلم يجب أن يربي في طلابه خلق الإتمام وعدم التهاون، فالإتمام بالواجبات هو علامة النضج والمسؤولية.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يبين أن ثمرة التربية الصحيحة هي إعداد قادة وقدوات، وأن المعلم الناجح هو من يخرج جيلا صالحا لقيادة المجتمع، فالتربية ليست مجرد نقل معلومات، بل هي بناء شخصيات قادرة على الإمامة والقيادة.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية على العدل هي أساس بناء المجتمع الصالح، وأن الظلم يجب أن يكون مرفوضا في التربية، فالطالب الذي يتربى على العدل منذ صغره لا يقبل الظلم عندما يكبر، وهذا يضع أمام المربي مسؤولية كبيرة في غرس قيم العدل ونبذ الظلم.

تاسعا ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن القضاء أمانة عظيمة لا تُمنح إلا لمن اجتاز اختبارات العدل والأمانة، وأن القاضي الحقيقي هو من ابتُلي فصبر وثبت على الحق، فالابتلاء هنا هو اختبار لصلاحية القاضي قبل توليه المنصب.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يشير إلى أن القاضي الناجح هو من يلتزم بتطبيق جميع الأحكام الشرعية دون انتقاء، وأن الإتمام في القضاء يعني إحقاق الحق كاملا دون نقصان، وعدم الميل مع الهوى أو المصالح.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يبين أن القاضي هو إمام في العدل، وأن منصبه ليس مجرد وظيفة، بل هو إمامة في الحق، وهذا يرفع من شأن القضاء ويجعل القاضي قدوة في العدل والإنصاف.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ هو المبدأ الأساسي في القضاء، فالظالم لا يصلح للقضاء، لأن القضاء يحتاج إلى قلب عادل لا يميل مع الهوى، والقاضي الظالم يسقط عدالته ويضيع حقوق الناس، وهذا يضع شرطا صارما في اختيار القضاة، وهو أن يكونوا من أهل العدل والتقوى.

عاشرا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الابتلاءات النفسية هي جزء من النمو الإنساني، وأن تجاوز الأزمات والاختبارات يمنح الإنسان قوة نفسية وثقة بالنفس، فالابتلاء هنا ليس عقابا، بل هو وسيلة لبناء الشخصية وتقويتها.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يشير إلى أن الصحة النفسية ترتبط بالقدرة على إتمام المهام والالتزام بالالتزامات، فالإنسان الذي يفي بعهوده يشعر بالرضا عن نفسه، بينما الفشل في الإتمام يولّد الشعور بالذنب والقلق، وهذا يربط الصحة النفسية بالوفاء والالتزام.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يبين أن الشعور بالهدف والمعنى في الحياة هو أساس الصحة النفسية، فالإنسان الذي يعرف أن له رسالة في الحياة يشعر بالاستقرار النفسي، والإمامة هنا تعطي الإنسان إحساسا بالقيمة والرسالة.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يقرر أن الظلم النفسي، وهو ظلم الإنسان لنفسه بالذنوب والمعاصي، يحرمه من السكينة والطمأنينة، فالظالم لنفسه يعيش في قلق واضطراب، بينما العادل مع نفسه يعيش في سلام، وهذا يوجه الطبيب النفسي إلى أن الاستقامة والعدل مع النفس هما طريق الصحة النفسية.

حادي عشر ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ يشير إلى أن الأحداث العظيمة في التاريخ لا تأتي صدفة، بل هي نتاج اختبارات وابتلاءات، وأن الشخصيات التاريخية الكبرى صُنعت في محك الابتلاء، فإبراهيم عليه السلام لم يصبح إماما للناس إلا بعد أن اجتاز اختبارات صعبة.

ب. قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يشير إلى أن الأمم العظيمة هي التي تفي بعهودها وتلتزم بمواثيقها، وأن سقوط الأمم غالبا ما يكون بسبب نقض العهود وعدم الوفاء بالالتزامات، وهذا يفسر للمؤرخ أسباب نهوض الأمم وسقوطها.

ج. قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يبين أن القيادة التاريخية العظيمة هي التي تكون من الله، أي المبنية على القيم والمبادئ، وأن القادة الذين يغيرون مجرى التاريخ هم أولئك الذين يؤمنون برسالتهم ويضحون من أجلها.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يفسر للمؤرخ لماذا سقطت بعض الأسر الحاكمة التي ورثت الحكم عن أجدادها، فالظلم يسقط الدول مهما كانت عريقة، والعدل هو الذي يبقي الأمم، وهذا يضع قانونا تاريخيا واضحا: الظالمون لا يستمرون، والعهد الإلهي لا ينال إلا للصالحين.

٥٣. جعل البيت مثابة وأمنا ومقام إبراهيم مصلى وتطهير البيت:

المقطع [٥٣] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن البيت الحرام ليس مجرد مكان جغرافي، بل هو مركز تعود إليه القلوب والأرواح، فالمثابة تعني الرجوع المتكرر، وفي هذا إشارة إلى أن التوحيد هو المركز الذي يرجع إليه المؤمن في كل أموره، وأن الكعبة هي الرمز المحسوس لهذا التوحيد، فكما يثوب الناس إلى البيت، يثوب المؤمنون إلى الله في كل حركاتهم وسكناتهم.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يدل على أن الأمن الحقيقي لا يتحقق إلا في رحاب التوحيد، فالبيت الذي جعله الله أمنا هو رمز للأمان الروحي والمادي، وفيه إشارة إلى أن الإيمان بالله هو مصدر الأمن الحقيقي للإنسان، وأن من دخل في حماية الله أمن من كل خوف، وهذا يقرر عقيدة أن الأمن من الله وحده لا من غيره.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فيه إشارة إلى أن مقام إبراهيم عليه السلام ليس مجرد حجر أثري، بل هو موضع عبادة وقربة إلى الله، وفيه دلالة على أن اتباع ملة إبراهيم الحنيفية هو طريق الصلاة والقرب من الله، وأن مقام النبي الخليل هو معلم من معالم الدين الذي يجب أن يُتخذ مصلى، أي أن الاقتداء بالأنبياء في عباداتهم هو أصل من أصول الدين.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ فيه إشارة إلى أن الطهارة شرط أساسي للعبادة، وأن الله نسب البيت إليه تشريفا وتكريما، فطهارة البيت من الشرك والنجاسات هي طهارة للعقيدة نفسها، وفيه أن التكليف بالطهارة جاء عبر العهد الإلهي للأنبياء، فهم حملة رسالة التطهير للعقيدة

وللأماكن المقدسة.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يبين أصناف العباد في البيت الحرام، وفيه إشارة إلى أن العبادة في الإسلام تشمل الحركة (الطواف) والسكون (الاعتكاف) والبدن (الركوع والسجود)، وهذا التنوع في العبادات يدل على شمولية الدين في تربية الإنسان على جميع أحواله، وأن كل هذه العبادات لا تقبل إلا في مكان طاهر.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن القلب هو بيت الله الحقيقي، وأنه يجب أن يكون مثابة للذكر والفكر، يثوب إليه العبد كلما شردت نفسه في أودية الغفلة، فكما يثوب الحجاج إلى البيت، يثوب السالك إلى قلبه ليجد فيه ربه.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يشير إلى أن الأمن الحقيقي عند الصوفي هو الأمن من غضب الله وسخطه، وأن من دخل حصن الذكر والمراقبة أمن من وساوس النفس والشيطان، فالبيت الحرام رمز للحضرة الإلهية التي من دخلها كان آمنا من عذاب الله ومن كيد الشيطان.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى مقام الإخلاص والتفويض، فإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء وقدوة الموحدين، واتخاذ مقامه مصلى يعني أن يصلي السالك على قدم الإخلاص والتفويض، وأن يتخذ من مقام الخلة الإلهية محرابا لصلاته، فالصلاة عندهم هي الاتصال الروحي بالله، ومقام إبراهيم هو مقام الخلة الذي يصل إليه السالك بعد مجاهدة طويلة.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يرى فيه الصوفي أن تطهير البيت هو تطهير القلب من الأغيار، فالبيت هو القلب، والطوافون هم الخواطر، والعاكفون هم الأسرار، والركع السجود هم الجوارح، فلا بد من تطهير القلب من كل ما سوى الله حتى تصح فيه العبادة، وهذا هو معنى قولهم: (القلب بيت الرب، فلا يسكن فيه سواه)

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى مقامات السير إلى الله، فالطواف إشارة إلى السير الدائم حول الحقيقة، والاعتكاف إشارة إلى الانقطاع عن الخلق والاتصال بالحق، والركوع والسجود إشارة إلى غاية الخضوع والذل بين يدي الله، وهذه كلها أحوال يمر بها السالك

في طريقه إلى الله.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يرى فيه الفيلسوف إشارة إلى أن هناك مركزا كونيا يجذب إليه الناس، وأن هذا الجذب ليس ماديا فقط بل هو جذب وجودي ومعرفي، فالناس يثوبون إلى البيت لأن فيه سرا من أسرار الوجود، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة المكان المقدس وعلاقته بالنفس الإنسانية.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يثير عند الفيلسوف تأملات حول مفهوم الأمن الوجودي، فالأمن ليس مجرد غياب الخوف المادي، بل هو حالة وجودية تتحقق عندما يجد الإنسان إجابات عن أسئلته الكبرى، والبيت الحرام يقدم هذا الأمن الوجودي لمن يؤمن به، لأنه يرمز إلى النظام الكوني الذي يحكمه إله واحد.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن القدوة الإنسانية ضرورة في التربية الروحية، فإبراهيم عليه السلام يمثل النموذج الإنساني الكامل في بحثه عن الحقيقة، واتخاذ مقامه مصلى يعني أن الإنسان يحتاج إلى نموذج محسوس يقتدي به في رحلته نحو اليقين، وهذا يلتقي مع فلسفة القدوة في التربية الأخلاقية.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العلاقة بين المقدس والطهارة، فالطهارة هنا ليست مجرد نظافة مادية، بل هي تطهير رمزي من كل ما يلوث القداسة، وفيه إشارة إلى أن العبادة الحقة لا تقوم إلا في فضاء طاهر، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الطقوس وشروطها.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن العبادة تشمل أبعادا وجودية متعددة، فالطواف يمثل الحركة الدائرية التي ترمز إلى العودة إلى الأصل، والاعتكاف يمثل التأمل والسكون، والركوع والسجود يمثلان الخضوع الكلي، وهذه كلها تعبيرات عن علاقة الإنسان بالوجود ومصدره.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن الأخلاق الحقة تحتاج إلى مركز ثابت ترجع إليه، فكما يثوب الناس إلى البيت، يجب أن تثوب الأخلاق إلى مبادئ ثابتة لا تتغير بتغير الأهواء، وهذا يمنح السلوك الإنساني

استقرارا واتساقا.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يشير إلى أن الأمن الأخلاقي يتحقق عندما يعيش الإنسان في بيئة تحترم القيم، فالبيت الحرام كان أمنا للناس جميعا، وفيه إشارة إلى أن الأخلاق هي التي تصنع الأمن المجتمعي، فحيث تسود الأخلاق يسود الأمان.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يشير إلى أن الاقتداء بالأنبياء هو أساس التربية الأخلاقية، فإبراهيم عليه السلام كان نموذجا في الوفاء والصدق والتسليم، واتخاذ مقامه مصلى يعني أن نتخذ أخلاقه منهجا لنا في حياتنا، وأن نربي أنفسنا على صفاته الكريمة.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن التطهير الأخلاقي ضرورة قبل العبادة، فلا بد من تطهير النفس من الأخلاق الذميمة قبل التوجه إلى الله، كما طهر البيت من الأصنام، فالقلب لا يصلح للعبادة إلا إذا طهر من الكبر والحسد والرياء.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يشير إلى أن الأخلاق تتجلى في العبادات المختلفة، فالطواف يعلم الصبر والمواظبة، والاعتكاف يعلم العزلة عن الشر والانقطاع للخير، والركوع والسجود يعلمان التواضع وخفض الجناح، فكل عبادة تربي خلقا معينا.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن البيت الحرام كان عامل جذب اجتماعي يوحد الناس من مختلف القبائل والأجناس، فالمثابة تعني أن الناس يعودون إليه مرارا، وهذا يخلق روابط اجتماعية متجددة بين المسلمين من كل بقاع الأرض، ويمثل نموذجا للوحدة في التنوع.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يشير إلى أن الأمن الاجتماعي من أهم مقومات استقرار المجتمعات، وأن جعل البيت أمنا يعني أن هناك أماكن وقيم تمنح الأمن للجميع، وفيه إشارة إلى أن المجتمع لا يستقر إلا بوجود مناطق آمنة ومقدسات تحترم، وهذا يقلل من النزاعات ويعزز التعايش.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن الرموز الدينية المشتركة تلعب دورا في تماسك المجتمع، فمقام إبراهيم هو رمز للتراث الديني المشترك، واتخاذه مصلى يعني أن العبادة في مكان واحد تجمع الناس وتوحد مشاعرهم، وهذا يعزز التضامن الاجتماعي.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن الطهارة ليست فردية فقط بل هي مسؤولية جماعية، فالمجتمع مطالب بتطهير أماكنه المقدسة من كل ما يسيء إليها، وفيه إشارة إلى أن المجتمعات تحتاج إلى قيم مشتركة تحافظ على نقائها وقدسيتها.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يبين أن المجتمع المسلم مجتمع عبادة متعددة الأشكال، فالطائفون يمثلون الحركة والنشاط، والعاكفون يمثلون السكون والتأمل، والركع السجود يمثلون الخضوع الجماعي، وهذا التنوع في العبادة يعكس تنوع الأدوار الاجتماعية داخل المجتمع الواحد.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن البيت الحرام يمثل مركزا سياسيا وروحيا للأمة الإسلامية، فالمثابة تعني أن الأمة تعود إليه في كل أمورها، وهذا يجعله رمزا للوحدة السياسية، حيث تلتقي الأمة حول قبلتها ومركزها الروحي مهما اختلفت أوطانها.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يشير إلى أن الأمن من أهم مقومات الدولة، وأن جعل البيت أمنا يعني أن الدولة الإسلامية مطالبة بتوفير الأمن لجميع الناس، وأن الحرم الآمن هو نموذج لما يجب أن تكون عليه الدولة من أمان وطمأنينة لمواطنيها وزوارها.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الشرعية السياسية في الإسلام تستمد من الاقتداء بالأنبياء، فإبراهيم عليه السلام كان إماما للناس، واتخاذ مقامه مصلى يعني أن الحكم يجب أن يكون على هدي النبوة، وأن القادة مطالبون بأن يكونوا قدوة في الصلاة والعبادة كما كان الأنبياء.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الدولة مسؤولة عن تطهير الأماكن المقدسة وحمايتها من كل اعتداء، وفيه إشارة إلى أن الحفاظ على المقدسات هو من واجبات الدولة، وأن التطهير يشمل أيضا تطهير الحكم من الفساد والظلم.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يبين أن الدولة الإسلامية يجب أن ترعى جميع أصناف العباد، فالطائفون والعاكفون والمصلون كلهم بحاجة إلى حماية الدولة ورعايتها، وفيه إشارة إلى أن الدولة لا تختص بفئة على حساب أخرى، بل ترعى الجميع.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن المنظمات الناجحة تحتاج إلى مركز مرجعي تعود إليه، فالمثابة تعني أن هناك نقطة ارتكاز تضبط حركة المنظمة وتمنعها من التشتت، وهذا يلتقي مع مفهوم الرسالة والرؤية في الإدارة الحديثة التي تحتاج إلى مرجعية ثابتة.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يشير إلى أن بيئة العمل الآمنة ضرورية للإنتاجية، فالموظف الذي يشعر بالأمان الوظيفي والنفسي يكون أكثر إبداعا، وجعل البيت أمنا يرمز إلى أن المنظمة يجب أن توفر بيئة آمنة لعامليها حتى يبدعوا.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أهمية القدوة الحسنة في القيادة، فالقائد الناجح هو الذي يكون قدوة في الالتزام والقيم، كما أن مقام إبراهيم اتخذ مصلى، أي أن القائد يجب أن يكون نموذجا يحتذى به في العبادة والسلوك.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن التطهير في الإدارة يعني إزالة كل ما يعيق العمل من فساد وإهمال، فالمنظمة الناجحة هي التي تطهر نفسها من الممارسات السلبية، كما طهر البيت من الأصنام، وهذا يتطلب عهدا والتزاما من القيادة.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يشير إلى أن المنظمة الناجحة تراعي تنوع العاملين فيها، فالطائفون يمثلون العاملين النشطين، والعاكفون يمثلون المختصين في الأعمال الدقيقة، والركع السجود يمثلون الملتزمين بالقيم، وعلى الإدارة أن توازن بين هذه الفئات وتوفر لها بيئة مناسبة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن البيت الحرام كان عبر التاريخ مركز جذب للحجاج والتجار والعلماء، فالمثابة تعني أن هذا المكان ظل عبر العصور مقصدا للناس، وهذا يفسر ازدهار مكة كمركز تجاري وحضاري عبر التاريخ.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يذكر المؤرخ بأن مكة كانت من أكثر المناطق أمانا في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده، وأن هذا الأمن كان عاملا مهما في ازدهار التجارة والحضارة فيها، فالبيت الآمن جذب الناس وسهل التبادل التجاري والثقافي.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يشير إلى أن مقام إبراهيم كان معروفا عند العرب قبل الإسلام، وأن اتخاذه مصلى بعد الفتح كان استمرارا لتقليد قديم، وهذا يظهر للمؤرخ أن الإسلام لم يقطع الجذور التاريخية بل بنى عليها وطهرها من الشرك.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يبين للمؤرخ أن فكرة تطهير البيت من الشرك كانت موجودة منذ عهد إبراهيم، وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عندما طهر الكعبة من الأصنام كان يستكمل مشروع إبراهيم عليه السلام، وهذا يظهر وحدة الرسالة عبر التاريخ.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يصف للمؤرخ أن البيت الحرام كان يشهد حركة عبادة مستمرة عبر العصور، فالطواف والاعتكاف والصلاة كانت تمارس فيه منذ عهد إبراهيم عليه السلام، وهذا يؤكد استمرارية الشعائر الدينية في هذا المكان المقدس عبر التاريخ.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن الإنسان يحتاج إلى مركز نفسي يثوب إليه، فالبيت الحرام يرمز إلى الحاجة الإنسانية إلى الاستقرار النفسي، والرجوع المتكرر إلى البيت يعطي الإنسان شعورا بالانتماء والأمان النفسي، وهذا يقلل من القلق والاضطراب.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يشير إلى أن الأمن النفسي من أهم حاجات الإنسان، وأن وجود مكان آمن يلجأ إليه يمنح الإنسان طمأنينة، والبيت الحرام بكونه أمنا يقدم نموذجا للعلاج النفسي من خلال توفير بيئة آمنة مطمئنة.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يوجه الطبيب النفسي إلى أن الصلاة في الأماكن المقدسة لها أثر علاجي، فالصلاة في مقام إبراهيم تجمع بين القدوة الروحية والحركة الجسدية، وهذا يساعد في تخفيف التوتر والقلق، كما أن الشعور بالاتصال بالتاريخ والأنبياء يمنح الإنسان إحساسا بالمعنى والهدف.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يشير إلى أن التطهير النفسي ضروري للصحة النفسية، فكما طهر البيت من الأصنام، يحتاج الإنسان إلى تطهير نفسه من الأفكار السلبية والذكريات المؤلمة، وهذا التطهير النفسي يمكن أن يتم من خلال التوبة والاستغفار والعبادة.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يبين أن العبادات المختلفة لها آثار نفسية إيجابية، فالطواف بحركته الدائرية يساعد في تهدئة النفس، والاعتكاف بسكونه يساعد في التأمل والاسترخاء، والركوع والسجود بخضوعهما يساعدان في تفريغ التوتر النفسي، وهذه كلها تقنيات علاجية طبيعية.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن البيت الحرام كان محركا للاقتصاد، فالمثابة تعني أن الناس يعودون إليه باستمرار، وهذا يخلق حركة اقتصادية دائمة من خلال الحج والعمرة والتجارة، فالبيت الحرام كان ولا يزال مركزا للأنشطة الاقتصادية.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يشير إلى أن الأمن شرط أساسي للاستثمار والتنمية الاقتصادية، فالبيت الآمن جذب التجار والمستثمرين، وهذا يبين أن الاقتصاد لا يزدهر إلا في بيئة آمنة، وأن توفير الأمن هو استثمار اقتصادي حقيقي.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الاستثمار في الأماكن المقدسة له عوائد اقتصادية كبيرة، فاتخاذ مقام إبراهيم مصلى يعني أن هناك اهتماما بالبنية التحتية الدينية، وهذا يجذب الزوار ويحرك الاقتصاد المحلي.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن الطهارة والنظافة من عوامل جذب النشاط الاقتصادي، فالبيت المطهر يجذب الناس، وهذا ينعكس إيجابا على الحركة التجارية، كما أن الالتزام بالمعايير الأخلاقية في الاقتصاد يجذب الثقة ويحقق النجاح.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يشير إلى أن تنوع العبادات في البيت الحرام يخلق تنوعا في الأنشطة الاقتصادية، فالطائفون يحتاجون إلى خدمات، والعاكفون يحتاجون إلى إقامة، والركع السجود يحتاجون إلى متطلبات الصلاة، وهذا كله يحرك الاقتصاد المحلي.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن التربية تحتاج إلى مركز مرجعي يعود إليه المتعلم، فالبيت الحرام يرمز إلى أن التربية الحقة تحتاج إلى مرجعية ثابتة، وأن المعلم يجب أن يكون مثابة لطلابه، يعودون إليه كلما

احتاجوا إلى توجيه وإرشاد.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يشير إلى أن البيئة التعليمية الآمنة ضرورية للتعلم، فالطالب الذي يشعر بالأمان في مدرسته يكون أكثر قدرة على التعلم والإبداع، وجعل البيت أمنا يرمز إلى أن المدرسة يجب أن تكون مكانا آمنا للطلاب.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يوجه المربي إلى أهمية القدوة في التعليم، فكما اتخذ مقام إبراهيم مصلى، يجب أن يكون المعلم قدوة لطلابه في السلوك والقيم، وأن يكون نموذجا يحتذى به في العبادة والأخلاق.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يذكر المربي بأن التربية تحتاج إلى تطهير مستمر، فكما طهر البيت من الأصنام، يجب على المربي أن يطهر عقول طلابه من الأفكار الخاطئة والسلوكيات السلبية، وهذا يتطلب عهدا والتزاما من المعلم.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يشير إلى أن التربية يجب أن تراعي تنوع الطلاب، فالطائفون يمثلون النشطين، والعاكفون يمثلون الهادئين، والركع السجود يمثلون الملتزمين، وعلى المربي أن يوازن بين هذه الأنماط ويراعي احتياجات كل طالب.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿مَثَابَةً﴾ يشير إلى أن العدالة تحتاج إلى مرجعية ثابتة يرجع إليها القاضي، فالبيت الحرام يرمز إلى أن القضاء يجب أن يكون له مرجعية عليا لا تتغير، وهي الشريعة الإلهية التي يثوب إليها القاضي في كل أحكامه.

ب. قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يشير إلى أن الأمن القضائي ضروري لاستقرار المجتمع، فالقاضي الذي يشعر بالأمان في عمله يكون أكثر قدرة على إصدار أحكام عادلة، وجعل البيت أمنا يرمز إلى أن القضاء يجب أن يكون ملاذا آمنا للمظلومين.

ج. قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يوجه القاضي إلى الاقتداء بالأنبياء في العدل، فإبراهيم عليه السلام كان إماما عادلا، واتخاذ مقامه مصلى يعني أن القاضي يجب أن يستلهم من سيرة الأنبياء العدل والحكمة في أحكامه.

د. قوله: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يذكر القاضي بأن التطهير من الفساد ضروري في القضاء، فكما طهر البيت من الأصنام، يجب على القاضي أن يطهر نفسه من الرشوة والمحاباة، وأن يكون نظيف اليد والضمير.

هـ. قوله: ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يراعي جميع أصناف الناس في أحكامه، فالطائفون والعاكفون والركع السجود كلهم متساوون أمام القضاء، ولا يجوز للقاضي أن يفرق بينهم بسبب عبادتهم أو مكانتهم.

٥٤. دعاء إبراهيم لمكة بالأمن والرزق:

المقطع [٥٤] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يشير إلى أن الأمن نعمة عظيمة يسألها الأنبياء من الله، وأنه لا يتحقق إلا بجعل الله، فهو ليس نتاج قوانين بشرية فقط، بل هو فضل إلهي يمنحه الله لمن يشاء، وفيه إشارة إلى أن الأمن الحقيقي مرتبط بالدعاء والتوجه إلى الله، وأنه من صفات البلاد التي يرضى الله عنها.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يدل على أن الرزق بيد الله وحده، وأنه يسأل الله أن يرزق أهل مكة من الثمرات، وفيه إشارة إلى أن الرزق لا يأتي بالاجتهاد البشري وحده، بل هو رزق إلهي يستجاب له الدعاء، وأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يبين أن الإيمان بالله واليوم الآخر هو شرط أساسي للانتفاع بالرزق في الدنيا والآخرة، وأن الرزق الحقيقي النافع هو ما كان في دائرة الإيمان، أما من كفر فإنما يتمتع به قليلا ثم يصير إلى عذاب النار، وهذا يؤكد أن النعم الدنيوية ليست غاية في ذاتها، بل هي اختبار وابتلاء.

د. قوله: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يشير إلى أن الله يمهل الكافر ولا يهمله، فيمتعه في الدنيا قليلا ثم يضطره إلى عذاب النار، وفيه إشارة إلى أن العدالة الإلهية

تقتضي أن يكون الجزاء من جنس العمل، وأن المتاع الدنيوي مهما طال فهو قليل، وأن المصير النهائي للكافر هو العذاب، وهذا من أصول العقيدة في الإيمان بالجزاء والآخرة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الأمن الحقيقي هو أمن القلب من الخوف والاضطراب، وأن البلد الآمن هو القلب الذي سكن فيه ذكر الله، فكما دعا إبراهيم لأهل مكة بالأمن الظاهري، يدعو الصوفي لنفسه بالأمن الباطني من وساوس النفس والشيطان.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يشير عند الصوفي إلى الرزق الروحي والمعنوي، فالثمرات ليست مادية فقط، بل هي ثمرات الذوق والوجد والمعرفة، وهي ما يفتحه الله على قلوب أوليائه من علوم لدنية وأسرار إلهية، فهي ثمرات القرب والأنس بالله.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يرى فيه الصوفي أن الإيمان ليس مجرد تصديق عقلي، بل هو إيمان القلب الذي يثمر الأعمال والأحوال، وأن الإيمان باليوم الآخر هو الذي يجعل القلب متعلقا بالله لا بالدنيا، فمن آمن بالآخرة زهد في الدنيا وأقبل على الله.

د. قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن متاع الدنيا مهما طال فهو قليل، وأن من اشتغل به عن الله صار مضطرا إلى عذاب البعد والحجاب، وهو أشد من عذاب النار، فالنار عذابها ظاهر، وعذاب البعد عن الله هو العذاب الباطني الأشد.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يثير عند الفيلسوف تأملات حول مفهوم الأمن، فهو ليس مجرد غياب الخوف، بل هو حالة وجودية تتطلب نظاما عادلا وقانونا يحمي الحقوق، ودعاء إبراهيم يشير إلى أن الأمن لا يتحقق بالقوة المادية فقط، بل بالبركة الإلهية التي تجعل المجتمع متماسكا.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يدفع الفيلسوف إلى التأمل في علاقة الرزق بالاستحقاق، فإبراهيم يطلب الرزق لأهل البلد، والله يستجيب له، وفيه إشارة إلى أن الرزق ليس محصورا في الجهد البشري، بل هو جزء من نظام كوني يدبره الله بحكمة، وأن الدعاء قد يكون سببا في تغيير الأقدار.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يثير سؤال العدالة الإلهية، فإبراهيم يخصص الرزق

للمؤمنين، والله يرد عليه بأن الكافر يمتع قليلا ثم يعذب، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة العدالة، وأن الله لا يظلم أحدا، بل يعطي كلا بحسب ما يليق به في نظامه الكوني.

د. قوله: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الحرية الإنسانية ليست مطلقة، فالإنسان مخير في اختيار الكفر أو الإيمان، لكنه مجبر على مواجهة نتائج اختياراته، وهذا يلتقي مع فلسفة المسؤولية الأخلاقية، حيث أن الإنسان مسؤول عن أفعاله لأنه حر في اختيارها.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الأمن المجتمعي لا يتحقق إلا بانتشار الفضيلة، وأن الدعاء بالأمن هو دعاء بالاستقرار الذي يسمح للأخلاق أن تنمو وتزدهر، فالأمن شرط أساسي لممارسة الفضائل.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يشير إلى أن الرزق الحلال هو أساس الأخلاق العملية، فالإنسان الذي يجد قوت يومه يكون أقدر على التحلي بالفضائل، وأن الفقر قد يكون سببا في الانحراف الأخلاقي، لذا يطلب النبي الرزق لأهل البلد ليكونوا في حال تسمح لهم بالاستقامة.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يبين أن الأخلاق في المنظور القرآني ليست منفصلة عن الإيمان، فالإيمان بالله واليوم الآخر هو الضامن للسلوك الأخلاقي، لأن من يؤمن بالجزاء يكون أحرص على فعل الخير وترك الشر، والإيمان هنا هو الأساس الذي تبنى عليه المنظومة الأخلاقية.

د. قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يحذر عالم الأخلاق من أن المتاع الدنيوي الزائل قد يغري الإنسان بالانحراف عن القيم، وأن الأخلاق التي تبنى على المنفعة المادية فقط هي أخلاق هشة، لأنها تنهار عندما تتعارض مع المصالح، أما الأخلاق المبنية على الإيمان فهي ثابتة لأنها تستند إلى رقابة الله.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الأمن هو حاجة أساسية للمجتمع، وأنه شرط لقيام أي حضارة، فالمجتمع الآمن هو الذي يستطيع أفراده أن ينتجوا ويبدعوا، وأن دعاء إبراهيم يشير إلى أن الأمن نعمة جماعية يجب أن يسعى إليها المجتمع بكل مؤسساته.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يشير إلى أن الرزق والاقتصاد هما أساس استقرار المجتمع، وأن توفير الغذاء والموارد هو من الأولويات التي تضمن بقاء المجتمع واستمراره، وفيه إشارة إلى أن التنمية الاقتصادية ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الإيمان ليس مجرد علاقة فردية بين العبد وربه، بل هو عامل اجتماعي يوحد الجماعة ويمنحها هوية مشتركة، وأن الإيمان باليوم الآخر يجعل المجتمع أكثر تضامنا، لأن أفراده يعملون لأهداف متعالية تتجاوز المصالح الفردية.

د. قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تبني على الكفر والإلحاد قد تحقق متاعا دنيويا مؤقتا، لكنها في النهاية تنهار وتفشل، لأنها تفتقر إلى الأساس الروحي الذي يضمن استمرارها، وهذا يفسر للمؤرخ وعالم الاجتماع سقوط الحضارات التي انحرفت عن القيم.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الأمن هو أول واجبات الدولة، وأن الحاكم مطالب بتوفير الأمن لمواطنيه، ودعاء إبراهيم يشير إلى أن الأمن نعمة إلهية لكنها تتطلب أسبابا سياسية واجتماعية، وأن الدولة الناجحة هي التي تجعل الأمن أولوية قصوى.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يشير إلى أن الدولة مسؤولة عن توفير الرزق والغذاء لمواطنيها، وأن السياسة الاقتصادية هي جزء أساسي من السياسة العامة، وأن الدولة التي لا تستطيع توفير الرزق لشعبها تفقد شرعيتها، فالرزق هنا ليس فرديا فقط بل هو مسؤولية جماعية.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الدولة لا تقوم على المصالح المادية فقط، بل على القيم والمعتقدات التي توحد المواطنين، وأن الإيمان بالله واليوم الآخر هو عامل استقرار سياسي، لأنه يجعل المواطنين أكثر التزاما بالقوانين وأكثر صبرا على التضحيات.

د. قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يحذر عالم السياسة من أن الأنظمة التي تمنح مواطنيها متاعا دنيويا على حساب القيم والمعتقدات هي أنظمة مؤقتة، وأن الاستقرار الحقيقي لا يتحقق إلا بالجمع بين العدالة المادية والعدالة الروحية، وأن الإلحاد السياسي يؤدي إلى الانهيار في النهاية.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الأمن هو البيئة الحاضنة لأي نشاط إداري أو اقتصادي، فالإدارة الناجحة تحتاج إلى بيئة آمنة ومستقرة، وأن الدعاء بالأمن هو دعاء بتوفير الظروف المواتية للعمل والإنتاج.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يشير إلى أن توفير الموارد هو وظيفة أساسية للإدارة، وأن الإدارة الناجحة هي التي تستطيع تأمين الموارد اللازمة لاستمرار المنظمة أو المجتمع، وأن الرزق هنا يشمل الموارد المادية والبشرية والمعنوية.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن الموارد لا توزع بالتساوي بين الجميع، بل بحسب الاستحقاق والكفاءة، وأن الإيمان هو معيار للاستحقاق في المنظور القرآني، وهذا يدفع الإدارة إلى مراعاة القيم في توزيع الموارد، وعدم إعطاء المنافع لمن لا يستحقها.

د. قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يحذر عالم الإدارة من أن النجاح المؤقت الذي يتحقق بوسائل غير أخلاقية هو نجاح زائل، وأن المنظمات التي تبني على الغش والاستغلال قد تحقق أرباحا سريعة لكنها تنهار في النهاية، أما المنظمات التي تبني على القيم والأخلاق فهي التي تستمر وتزدهر.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الأمن هو حاجة نفسية أساسية، وأن الشعور بالأمان هو شرط للصحة النفسية، فالإنسان الذي يعيش في خوف وقلق يكون عرضة للاضطرابات النفسية، ودعاء إبراهيم يشير إلى أن الأمن ليس ماديا فقط بل هو حالة نفسية وروحية.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يشير إلى أن توفير الاحتياجات الأساسية هو عامل مهم للصحة النفسية، فالإنسان الذي يعيش في فقر وحاجة يكون أكثر عرضة للاكتئاب والقلق، وأن الرزق هنا يشمل الرزق المادي والمعنوي الذي يمنح الإنسان الشعور بالرضا والاستقرار.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الإيمان هو عامل وقائي من الاضطرابات النفسية، فالإيمان بالله واليوم الآخر يمنح الإنسان معنى للحياة وأملا في المستقبل، وهذا يقلل من القلق الوجودي والاكتئاب، والإيمان هو مصدر الطمأنينة التي ذكرها الله في قوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

د. قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يشير إلى أن المتاع الدنيوي بدون إيمان لا يحقق السعادة الحقيقية، فالإنسان الذي يعيش للدنيا فقط يعيش في قلق دائم من فقدانها، أما المؤمن فيعيش في طمأنينة لأنه يعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وهذا يفسر لماذا يعاني كثير من الأغنياء غير المؤمنين من الاكتئاب رغم توفر كل وسائل الراحة.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن الأمن هو شرط أساسي للتنمية الاقتصادية، فالمستثمرون لا يستثمرون في بلاد غير آمنة، وأن الأمن هو البنية التحتية الأولى لأي اقتصاد ناجح، ودعاء إبراهيم يشير إلى أن الأمن نعمة إلهية لكنها تتطلب أسبابا اقتصادية وسياسية.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يهتم بتوفير السلع الأساسية والغذاء للسكان، وأن الرزق ليس متروكا للصدفة، بل هو نتيجة للعمل والإنتاج والدعاء، وأن الدولة مسؤولة عن توفير الأمن الغذائي لمواطنيها.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن النشاط الاقتصادي ليس منفصلا عن القيم، فالإيمان يحدد كيفية الكسب والإنفاق، وأن الاقتصاد الإسلامي يرفض الربا والغش والاحتكار، لأن المؤمن يعلم أن الله سيحاسبه على كل قرش يكسبه.

د. قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يحذر عالم الاقتصاد من أن الاقتصاد الذي يبني على الكفر والاستغلال قد يحقق نموا مؤقتا، لكنه في النهاية يؤدي إلى الانهيار، لأن الفساد الاقتصادي يؤدي إلى الفساد الاجتماعي والسياسي، وأن الاقتصاد الأخلاقي هو الذي يضمن الاستدامة والتنمية الحقيقية.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يجد فيه المربي أن الأمن هو بيئة التعلم الأساسية، فالطالب لا يستطيع التعلم في بيئة غير آمنة، وأن الدعاء بالأمن هو دعاء بتوفير الظروف المناسبة للتربية والتعليم، وأن المربي مطالب بخلق بيئة آمنة لطلابه.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يشير إلى أن التربية لا تقتصر على الجانب الروحي، بل

تشمل توفير الاحتياجات المادية، وأن المربي مطالب بالاهتمام بالجوانب المادية والمعنوية لطلابه، فالطالب الجائع لا يستطيع التركيز في التعلم.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يوجه المربي إلى أن غاية التربية هي بناء الإيمان في نفوس الطلاب، وأن الإيمان بالله واليوم الآخر هو الأساس الذي تبنى عليه كل القيم والسلوكيات، وأن المربي يجب أن يغرس في طلابه الإيمان قبل المعرفة.

د. قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يحذر المربي من أن التربية التي تركز على المتع الدنيوية فقط هي تربية فاشلة، وأن الطالب الذي يربى على حب الدنيا فقط سيكون عرضة للانهيار النفسي والأخلاقي، أما الطالب الذي يربى على الإيمان والآخرة فهو الذي ينجح في الدنيا والآخرة.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يجد فيه القاضي أن الأمن هو أساس العدالة، فالقاضي لا يستطيع أن يحكم بالعدل في بلاد غير آمنة، وأن الدعاء بالأمن هو دعاء بتوفير البيئة المناسبة لإقامة العدل، وأن القاضي مطالب بأن يكون من دعاة الأمن والاستقرار.

ب. قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يشير إلى أن العدالة تشمل توفير الحقوق المادية للناس، وأن القاضي مطالب بالحكم في قضايا الرزق والمال بالعدل، وأن توفير الرزق للناس هو من مقاصد الشريعة التي يجب أن يحققها القضاء.

ج. قوله: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يوجه القاضي إلى أن العدالة ليست مجرد تطبيق للقوانين، بل هي مرتبطة بالإيمان، فالقاضي المؤمن يكون أكثر حرصا على العدل لأنه يعلم أن الله سيحاسبه، وأن الإيمان باليوم الآخر هو الضامن لعدالة القاضي.

د. قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ يحذر القاضي من أن الظلم مهما أمهل صاحبه في الدنيا فإنه سيؤدي إلى العذاب في الآخرة، وأن القاضي الذي يظلم الناس في الدنيا سيجد جزاءه عند الله، وهذا يجعله أكثر حرصا على العدل والإنصاف.

٥٥. رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت ودعاؤهما:

المقطع [٥٥] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ يشير إلى أن العمل الظاهر كبناء البيت لا قيمة له دون قبول باطني من الله، فالقبول الإلهي هو غاية العارفين، وبه يتحول العمل الحسي إلى عبادة روحانية، وهذا يرمز إلى أن الصوفي يطلب من الله قبول أعماله القلبية قبل أعماله الجسدية.

ب. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى مقام الاستسلام الكامل والانقياد المطلق لإرادة الله، وهو جوهر الإسلام الباطني الذي يعني تسليم القلب والسر لله، لا مجرد إظهار الطاعة بالجوارح، وهذا هو مقام الفناء عن الإرادة الذاتية.

ج. قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يحمل عند الصوفي معنى الرؤية القلبية للأسرار الإلهية في العبادات، فالمناسك ليست حركات ظاهرية فقط، بل هي رموز لمعانٍ باطنية، والعارف يسأل الله أن يريه أسرارها وحكمها الخفية، فينتقل من حج الجسد إلى حج القلب.

د. قوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ يشير إلى أن التوبة عند الصوفي ليست مرة واحدة، بل هي حالة دائمة من الرجوع إلى الله في كل لحظة، لأن العبد لا يخلو من التقصير، والتوبة النصوح هي تطهير القلب من كل ما يشغله عن الله، وهي بداية السلوك ونهايته.

هـ. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الرسول الداخلي هو العقل المستنير أو القلب الشاهد، وأن بعثة الرسول الظاهر كانت لتربية النفوس وتزكيتها، فكل مؤمن مطالب بأن يجعل الرسول قدوته في الظاهر والباطن، وأن يتحقق بأخلاقه الروحية.

ثانيا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة القبول الإلهي وعلاقته بفعل الإنسان، فهل القبول متعلق بذات الفعل أم بنية الفاعل؟ وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الأخلاق والقيم، وأن الحسن

الخلقي ليس في الصورة بل في القصد.

ب. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول الحرية والجبر، فالدعاء بجعلهم مسلمين يشير إلى أن الاستسلام لله هو غاية العقل العملي، وأن الحرية الحقيقية تتحقق في الانقياد للحقيقة المطلقة، لا في التمرد عليها.

ج. قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن العبادات ذات أبعاد رمزية تحتاج إلى تأويل عقلي، فالمناسك ليست مجرد أفعال، بل هي لغة رمزية تعبر عن حقائق كونية ووجودية، وهذا يقارب فلسفة الرمز والتأويل.

د. قوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ يثير مسألة التوبة في الفلسفة الأخلاقية، فهي اعتراف بالخطأ ورجوع إلى الصواب، وهي عند الفيلسوف شرط لتحقيق الفضيلة، لأن الإنسان الكامل هو من يعترف بنقصه ويسعى لتجاوزه.

هـ. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يطرح عند الفيلسوف فكرة الوساطة بين الله والإنسان، وأن الرسول هو العقل الكلي أو الناموس الأعلى الذي يضبط حياة البشر، وأن التعليم والتزكية هما غاية الرسالة، وهذا يلتقي مع فلسفة التربية عند أفلاطون وأرسطو.

ثالثا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الإخلاص هو أساس القيمة الأخلاقية، فالفعل لا يكون خلقيا إلا إذا صدر عن نية صادقة، وأن طلب القبول من الله يربي في النفس مراقبة النوايا وتطهيرها من الرياء.

ب. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يشير إلى أن الخلق الإسلامي هو الانقياد لله في جميع الأحوال، وأن الاستسلام لله هو أسمى درجات الأخلاق، لأنه يتضمن التواضع والطاعة والرضا بالقضاء.

ج. قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يشير إلى أن العبادات العملية هي مدرسة أخلاقية، فالمناسك تربي الصبر والانضباط والتعاون، وهي وسائل لتهذيب النفس وتزكية السلوك، وليست غايات في ذاتها.

د. قوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ يبين أن التوبة هي من أعظم الفضائل الأخلاقية، لأنها تعني الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم على عدم العودة، وهي عملية تصحيح أخلاقي مستمرة للإنسان.

هـ. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الغاية من الرسالة هي التزكية، أي تنمية الفضائل وتطهير النفس من الرذائل، وأن التعليم النظري دون تزكية عملية لا يحقق الغاية الأخلاقية.

رابعا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن البناء الاجتماعي لا يقوم إلا على أسس متينة، وأن البيت الحرام كان مركزا للوحدة الاجتماعية، وأن العمل الجماعي بين إبراهيم وإسماعيل يرمز إلى التعاون الأسري والاجتماعي.

ب. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يشير إلى أن الهوية الاجتماعية للأمة تقوم على الإسلام، وأن الاستسلام لله هو الرابط الذي يجمع الناس مهما اختلفت أعراقهم وألسنتهم، وهذا أساس الوحدة الاجتماعية.

ج. قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أهمية التنشئة الاجتماعية للأجيال، وأن الدعاء للأبناء بالصلاح هو استثمار في مستقبل المجتمع، وأن الأمة المسلمة هي مجتمع متماسك قائم على القيم المشتركة.

د. قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يدل على أن الشعائر الدينية لها وظيفة اجتماعية كبرى، فهي تجمع الناس وتوحد مشاعرهم وتخلق لديهم إحساسا بالانتماء، والحج نموذج للمؤتمر العالمي الذي تلتقي فيه الثقافات.

هـ. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يبين أن الإصلاح الاجتماعي لا يتم بالقوة، بل بالتعليم والتزكية، وأن الرسول كان مربيا اجتماعيا غيّر المجتمع من الجاهلية إلى الحضارة، وهذا يرشد عالم الاجتماع إلى أن التغيير يبدأ من الفرد ثم ينتقل إلى المجتمع.

خامسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن بناء الدولة والمجتمع يحتاج إلى قواعد ثابتة، وأن البيت الحرام كان رمزا للدولة والمكانة السياسية، وأن التعاون بين القيادة والأتباع أساس النجاح.

ب. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يشير إلى أن الشرعية السياسية في الإسلام تقوم على الاستسلام لله، وأن الحاكم والمحكوم كلاهما خاضع لأحكام الله، وهذا يمنع الاستبداد ويضمن العدالة.

ج. قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الاستمرارية السياسية تحتاج إلى إعداد الأجيال، وأن بناء الأمة المسلمة هو مشروع سياسي طويل المدى، وأن الدعاء بذلك يعكس أهمية التخطيط الاستراتيجي.

د. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يبين أن الإصلاح السياسي يبدأ بالرسالة والتعليم، وأن الرسول كان قائدا سياسيا أسس دولة المدينة، وأن التعليم والتزكية هما أداتا التغيير السياسي السلمي.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يذكر عالم السياسة بأن القوة الحقيقية للدولة ليست في العتاد فقط، بل في الحكمة والعدل، وأن العزيز الحكيم هو الذي يضع الأمور في مواضعها.

سادسا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن المشاريع الكبرى تحتاج إلى تخطيط وتنفيذ دقيق، وأن رفع القواعد كان عملا منظما يتطلب فريق عمل متعاونا، وأن القيادة الحكيمة توزع الأدوار وتتابع التنفيذ.

ب. قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة لا تكتفي بالنتائج المادية، بل تهتم بالجودة والمعنى، وأن طلب القبول يعني السعي إلى الإتقان والتميز في العمل.

ج. قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يحيل إلى أهمية التدريب والتأهيل في الإدارة، فالمناسك تحتاج إلى تعليم وتدريب عملي، وهذا يرمز إلى أن أي مشروع يحتاج إلى إعداد وتأهيل للعاملين.

د. قوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ يذكر عالم الإدارة بأهمية المراجعة والتقويم المستمر، فالتوبة هي اعتراف بالأخطاء وتصحيح للمسار، وهذا أساس الإدارة المتعلمة التي تستفيد من أخطائها.

هـ. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يوجه إلى أن التطوير الإداري يحتاج إلى قادة مخلصين يربون فرقهم، وأن التعليم والتدريب هما أساس بناء القدرات المؤسسية.

سابعا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ يجد فيه المؤرخ أن البيت الحرام كان أقدم مركز

ديني في التاريخ، وأن بناءه على يد إبراهيم وإسماعيل يوثق لحظة تأسيسية كبرى في تاريخ الأديان، وأن هذا الحدث كان بداية لسلسلة تاريخية امتدت إلى بعثة النبي محمد.

ب. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يشير إلى أن الإسلام ليس دينا جديدا، بل هو استمرار لرسالة إبراهيم، وأن التاريخ الديني واحد متصل، وهذا يفسر للمؤرخ لماذا ربط القرآن بين ملة إبراهيم والإسلام.

ج. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يجد فيه المؤرخ إشارة إلى أن دعوة إبراهيم كانت بشارة ببعثة النبي محمد، وأن هذا الدعاء تحقق تاريخيا بظهور الإسلام في مكة، مما يثبت أن التاريخ يسير وفق خطة إلهية.

د. قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يبين للمؤرخ أن التحول التاريخي للأمة الإسلامية كان بالتعليم والتزكية، وأن الرسول غيّر المجتمع من خلال بناء الإنسان، وهذا يفسر النهضة الحضارية التي أعقبت البعثة.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يشير إلى أن التاريخ ليس صدفة، بل هو بتقدير العزيز الحكيم، وأن الأحداث الكبرى لها حكمة إلهية قد تخفى على الناس.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن طلب القبول يعالج مشاعر النقص والذنب، فالإنسان الذي يشعر بأن أعماله غير مقبولة يعاني من القلق والاكتئاب، والدعاء بالقبول يمنحه طمأنينة نفسية.

ب. قوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ يشير إلى أن التوبة هي عملية نفسية علاجية، فهي تخلص الإنسان من عبء الذنب وتحرره من الماضي، وهذا يقلل من الاضطرابات النفسية المرتبطة بالشعور بالذنب.

ج. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يحمل معنى الاستسلام والأمان النفسي، فالإنسان الذي يستسلم لله يتخلص من القلق والصراع الداخلي، ويشعر بالطمأنينة والرضا، وهذا أساس الصحة النفسية.

د. قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يلفت نظر الطبيب النفسي إلى أن العبادات ذات أثر علاجي، فالمناسك فيها حركة وتأمل وتواصل اجتماعي، وكلها عوامل تحسن المزاج وتقلل التوتر.

هـ. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يشير إلى أن وجود قدوة حسنة في المجتمع يعزز الصحة

النفسية للأفراد، فالرسول كان نموذجا للتوازن النفسي والسلوك السوي، والاقتداء به يمنح الإنسان اتزانا داخليا.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن البيت الحرام كان مركزا اقتصاديا مهما، فقد جلب الحجاج والتجار إلى مكة، وهذا يبين أن المشاريع الدينية لها أبعاد اقتصادية، وأن الاستثمار في البنية التحتية الدينية ينعش الاقتصاد.

ب. قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ يشير إلى أن النية والإخلاص في العمل الاقتصادي أساس البركة، فالاقتصاد الإسلامي لا يفصل بين المادة والروح، وأن طلب القبول يعني السعي إلى الكسب الحلال.

ج. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الاستسلام لله يقتضي الالتزام بالضوابط الشرعية في المعاملات، كتحريم الربا والغش، وهذا يضمن اقتصادا أخلاقيا مستداما.

د. قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يشير إلى أن الشعائر الدينية كالحج لها أثر اقتصادي كبير، فهي تنشط حركة التجارة والخدمات، وهذا يبين أن الاقتصاد الإسلامي يرتبط بالدورة الدينية.

هـ. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن الرسول كان تاجرا أمينا، وأن تعليمه للتجارة والأخلاق الاقتصادية أسس لنظام اقتصادي عادل، وأن التزكية تشمل السلوك الاقتصادي.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ يجد فيه المربي أن التعليم عملية بناء تراكمي، وأن بناء البيت كان عملا تعاونيا بين الأب والابن، وهذا يرمز إلى أن التربية مسؤولية مشتركة بين الوالدين والمعلمين.

ب. قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ يشير إلى أن المربي يجب أن يعلم طلابه الإخلاص في العمل، وأن طلب القبول من الله يعلمهم مراقبة النوايا، وهذا أساس التربية الروحية.

ج. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يوجه المربي إلى أن غاية التربية هي بناء الإنسان المسلم المستسلم لله، وأن التعليم ليس مجرد نقل معلومات، بل هو بناء شخصية متكاملة.

د. قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يحيل إلى أهمية التعليم العملي، فالمناسك لا تتعلم بالنظر فقط، بل بالممارسة، وهذا يرشد المربي إلى أن التعلم الفعال يكون بالممارسة والتطبيق.

هـ. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يجد فيه المربي أن الرسول كان معلما مثاليا، جمع بين التعليم والتزكية، وأن المنهج النبوي في التعليم يقوم على التلاوة والتعليم والتزكية، وهذه ثلاثية متكاملة للمربي الناجح.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ يجد فيه القاضي أن القبول الإلهي هو أساس العدالة، فالقاضي الذي يطلب قبول الله في عمله يكون أكثر حرصا على العدل، لأن رضا الله عنده أهم من رضا الناس.

ب. قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يكون مستسلما لأحكام الله، لا لهواه، وأن الاستسلام لله يمنعه من محاباة الأقوياء أو ظلم الضعفاء.

ج. قوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ يذكر القاضي بأنه بشر يخطئ، وأن التوبة والاستغفار ضروريان له، خاصة إذا أخطأ في حكم، وأن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

د. قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يوجه القاضي إلى أن الرسول كان قاضيا عادلا، وأن تعليمه الكتاب والحكمة هو الأساس الذي يستمد منه القاضي أحكامه، وأن التزكية تجعله نزيها في أقواله وأفعاله.

هـ. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يشير إلى أن العزة الحقيقية لله، وأن القاضي العزيز هو من يستمد عزته من الله، وأن الحكمة في الأحكام هي وضع كل شيء في موضعه.

٥٦. ملة إبراهيم الإسلام، ورغبة من سفه نفسه عنها:

المقطع [٥٦] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يقرر أن الرغبة عن ملة إبراهيم عليه السلام ليست ناتجة عن دليل أو برهان، بل هي ناتجة عن سفه في النفس، والسفه هنا بمعنى نقص العقل

وضعف البصيرة، فمن ترك هذه الملة فإنما يتركها لخلل في إدراكه وفهمه، لا لقوة في حجته.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يدل على أن الاصطفاء الإلهي سنة من سنن الله في اختيار الأنبياء والرسل، وأنه ليس ناتجا عن كسب بشري أو اجتهاد ذاتي، بل هو فضل إلهي محض، يختص الله به من يشاء من عباده، وهذا يثبت عصمة الأنبياء وطهارتهم منذ البداية.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يبين أن الصلاح في الآخرة ثمرة الاصطفاء في الدنيا، وأن من اصطفاه الله في الدنيا بالرسالة والنبوة سيكون في الآخرة في عداد الصالحين، وهذا يؤكد أن النجاة في الآخرة مرتبطة بالعمل الصالح الذي كان عليه الأنبياء، وأن الصلاح ليس مقصورا على الدنيا بل يمتد أثره إلى الآخرة.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ يدل على أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعا، وأن إبراهيم عليه السلام لم يكن على دين خاص به، بل كان على دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله رب العالمين، وهذا يرد على من زعم أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا، كما حكى القرآن عنهم في آيات أخرى.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن الإسلام الحقيقي هو إسلام الوجه لله، والانقياد التام لأمره، مع الإخلاص له وحده، وأن إبراهيم عليه السلام لم يتلكأ أو يتردد في الامتثال، بل بادر بالإسلام فورا، وهذا يبين أن التسليم لله هو جوهر الدين الذي بعث به جميع الأنبياء.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يشير إلى أن الرغبة عن طريق الله والانحراف عن ملة الأنبياء ناتجة عن مرض في القلب وضعف في الروح، وأن السالك إلى الله لا بد أن يكون سليم النفس، بعيدا عن السفه الذي هو الجهل بالله وبحقيقة الوجود، فمن سفهت نفسه لم يدرك قيمة هذه الملة.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الاصطفاء الإلهي ليس مقصورا على الأنبياء، بل هناك اصطفاء خاص لأولياء الله من عباده الصالحين، وهو اصطفاء بالقلوب والأسرار، فيكون العبد من أهل الله المقربين، وهذه درجة لا تنال بالاجتهاد وحده، بل هي هبة إلهية ومنحة ربانية.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يشير إلى أن الصلاح الذي يتحقق في الدنيا بالمجاهدة والتصفية هو الذي يثمر في الآخرة، وأن الصوفي يسعى إلى أن يكون من الصالحين الذين وعدهم الله بالجنة والرضوان، والصلاح عنده ليس مجرد إصلاح الظاهر، بل هو إصلاح الباطن أيضا، بتطهير القلب من الأخلاق الذميمة وتحليته بالأخلاق الكريمة.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ هي دعوة إلهية للانقياد التام، وهي عند الصوفي إشارة إلى مقام الإسلام الذي هو أول المقامات، وهو تسليم الظاهر لله، ثم يترقى منه إلى مقام الإيمان ثم الإحسان، فالإسلام هو الباب الذي يدخل منه السالك إلى طريق الله.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه الصوفي نموذج التسليم الكامل والرضا التام، حيث لم يقل أسلمت لربي فقط، بل قال: ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهذا يشير إلى أن تسليمه كان تسليما مطلقا شاملا لكل ما في الكون، فهو مسلم لله في كل شؤونه، ظاهرها وباطنها، وهذا هو مقام الفناء عن الإرادة الذاتية والبقاء بإرادة الله.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤالا عن طبيعة المعرفة الإنسانية، فالسفه هنا ليس مجرد نقص في الذكاء، بل هو نقص في الحكمة والبصيرة، والفيلسوف يرى أن الرغبة عن الحق لا تكون إلا من جاهل بحقيقة نفسه وبحقيقة الوجود، فمن عرف نفسه عرف ربه، ومن سفه نفسه فقد حرم نفسه من أعلى مراتب المعرفة.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الاصطفاء الإلهي يطرح إشكالية العلاقة بين الحرية والقدر، فإبراهيم عليه السلام اصطفاه الله، ومع ذلك كان له دور في الاستجابة والامتثال، وهذا يجمع بين العناية الإلهية والاختيار البشري، وهو ما حاول الفلاسفة التوفيق بينه في مباحث القضاء والقدر والجبر والاختيار.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يثير عند الفيلسوف مبحث الجزاء الأخروي، وأن الصلاح ليس قيمة دنيوية فقط، بل له امتداده في عالم آخر، وهذا يفتح باب التأمل في العدالة الإلهية، وأن الحكمة تقتضي أن يكون هناك توازن بين العمل والجزاء، وأن الآخرة هي التي تحقق هذا التوازن الكامل.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ يحمل دلالة فلسفية عميقة عن طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق، فالأمر الإلهي (أسلم) يلقي الضوء على أن الوجود كله قائم على التسليم لله، حتى فيزيائيا فالكون كله مسخر بأمر الله، والإنسان مدعو إلى أن يسلم باختياره لما سلم به الكون اضطرارا، وهذا هو جوهر الفلسفة الإسلامية في فهم العلاقة بين الإنسان والكون والخالق.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه الفيلسوف نموذج الحكمة العملية، فإبراهيم عليه السلام لم يسأل عن الدليل أو البرهان قبل أن يسلم، بل كانت إجابته فورية صادرة عن يقين وبصيرة، وهذا يشير إلى أن هناك معرفة أسمى من المعرفة العقلية المجردة، وهي المعرفة القلبية المباشرة التي تسبق الاستدلال، وهي ما يسميه الفلاسفة بالمعرفة الحدسية أو الإشراقية.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يبين أن الانحراف عن القيم الأخلاقية والدينية ليس ناتجا عن قوة شخصية أو استقلالية فكرية، بل هو ناتج عن ضعف في النفس وسفه في العقل، فالإنسان السوي فطريا يميل إلى الحق والخير، ومن ينحرف عنه فإنما ينحرف لخلل في تكوينه الأخلاقي.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يشير إلى أن الاصطفاء الإلهي يرتبط بالصلاح الأخلاقي، فالله لا يصطفي إلا من كان أهلا لذلك بخلقه العظيم، وإبراهيم عليه السلام كان مثالا في الأخلاق الفاضلة، وقد مدحه الله في آيات أخرى بصدق القلب وسلامة الفطرة، وهذا يبين أن الأخلاق هي أساس الاصطفاء والكرامة عند الله.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يربط عالم الأخلاق بين الصلاح الأخلاقي في الدنيا والجزاء في الآخرة، فالصالحون هم الذين اتصفوا بالأخلاق الفاضلة وعملوا بها، وليس الصلاح مجرد ادعاء أو قول، بل هو سلوك عملي يترجم القيم الأخلاقية إلى واقع معاش.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ يدل على أن الإسلام بمعناه الأخلاقي هو الانقياد للحق والخير، وأن التسليم لله يتضمن التسليم لمبادئ الأخلاق الفاضلة، فمن أسلم لله فقد التزم بمنهج أخلاقي كامل، لأن الله لا يأمر إلا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق نموذج الاستجابة الأخلاقية

الكاملة، فإبراهيم عليه السلام لم يتردد في قبول الأمر الإلهي، وهذا يدل على أن الأخلاق الإسلامية تقوم على المبادرة والاستجابة الفورية للخير، وليس على التردد والمماطلة، وأن الإخلاص في التسليم هو أساس كل فضيلة أخلاقية.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الانحراف عن القيم والمعتقدات الدينية في المجتمعات ليس ناتجا عن تطور فكري أو تحضر، بل هو ناتج عن خلل في البنية النفسية والاجتماعية للأفراد، وأن المجتمعات التي ترغب عن دينها إنما تعاني من مرض اجتماعي يتمثل في السفه والجهل.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يشير إلى أن المجتمعات التي تقوم على الاصطفاء الإلهي والاختيار الرباني تكون مجتمعات متميزة، وأن الله اصطفى إبراهيم عليه السلام ليكون أمة وحده، وهذا يدل على أن الفرد الصالح يمكن أن يكون نواة لمجتمع صالح، وأن الاصطفاء الإلهي للأفراد له آثاره الاجتماعية الواسعة.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يبين أن الصلاح الفردي له امتداده الاجتماعي، فالمجتمع الصالح هو الذي يتكون من أفراد صالحين، وأن الصلاح في الآخرة هو ثمرة الصلاح في الدنيا، وهذا يحفز الأفراد على الإصلاح الاجتماعي لأنهم يعلمون أن أثر ذلك يمتد إلى ما بعد الموت.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ يدل على أن الإسلام دين اجتماعي بطبيعته، فإبراهيم عليه السلام لم يكن منعزلا عن الناس، بل كان داعية إلى الله، وأمره بالإسلام كان ليكون قدوة لغيره، وهذا يشير إلى أن الدين الإسلامي لا يقتصر على الفرد، بل هو منهج حياة اجتماعي شامل.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الاستجابة للإسلام كانت استجابة جماعية في التاريخ، فإبراهيم عليه السلام أسلم فتبعه من آمن معه، وكونوا أمة، وهذا يدل على أن الإسلام ليس مجرد علاقة فردية بين العبد وربه، بل هو نظام اجتماعي يبني الأمم ويؤسس الحضارات.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يحذر عالم السياسة من أن الرغبة عن

الملة والدين في الحكم والسياسة هي ناتجة عن سفه في التدبير وضعف في الرؤية، فالأنظمة السياسية التي تبتعد عن المنهج الرباني إنما تبتعد عن الحكمة والبصيرة، وتقود أمتها إلى الضياع.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يشير إلى أن الاصطفاء الإلهي يتضمن اختيار القادة والهداة، وأن الله اصطفى إبراهيم عليه السلام ليكون إماما للناس، وهذا يدل على أن القيادة السياسية في المنظور الإسلامي ليست مجرد منصب دنيوي، بل هي اصطفاء إلهي وتكليف رباني، وأن الحاكم الحقيقي هو من اصطفاه الله بالعلم والعدل والصلاح.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يذكر عالم السياسة بأن الغاية من الحكم والسياسة ليست الدنيا فقط، بل هي وسيلة للفوز بالآخرة، وأن الحاكم الصالح هو الذي يسعى بإصلاح رعيته ليكون من الصالحين في الآخرة، وهذا يحول السياسة من صراع على السلطة إلى مسؤولية وأمانة.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ يدل على أن الإسلام هو أساس الشرعية السياسية، فالحاكم مطالب بأن يسلم لله في حكمه وسياساته، وأن يخضع لأمر الله في كل ما يتخذه من قرارات، وأي حكم لا يقوم على هذا التسليم يكون حكما جائرا.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الاستسلام لله رب العالمين يعني أن الحاكم لا يخضع لأهواء الناس أو ضغوطهم، بل يخضع لله وحده، وهذا يمنحه استقلالية القرار ويمنعه من الانجراف وراء المصالح الضيقة، ويجعله يحكم بشريعة الله في كل شؤون الدولة.

سابعا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية الصحيحة هي التي تحمي النشء من السفه والجهل، وأن الرغبة عن الدين والقيم ناتجة عن خلل في التربية، فإذا كانت التربية سليمة نشأ الإنسان سليم الفطرة بعيدا عن الانحراف.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يشير إلى أن التربية الناجحة هي التي تكتشف مواهب النشء وتصقلها، وأن الاصطفاء الإلهي لإبراهيم عليه السلام كان بسبب استعداده الفطري وقابليته للهداية، والمربي الناجح هو الذي يكتشف هذه الاستعدادات في نفوس تلاميذه وينميها.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يذكر المربي بأن غاية التربية ليست النجاح الدنيوي

فقط، بل هي إعداد جيل صالح في الدنيا والآخرة، وأن الصلاح هو الثمرة الحقيقية للتربية، وأن المربي الذي يربي تلاميذه على الصلاح يكون له أجر عظيم في الآخرة.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ يدل على أن التربية تبدأ بالأمر والتوجيه، فالله أمر إبراهيم عليه السلام بالإسلام، وإبراهيم استجاب، وهذا يشير إلى أن التربية تقوم على التوجيه والامتثال، وأن المربي مطالب بأن يوجه تلاميذه إلى الخير وأن يربيهم على الطاعة.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه المربي نموذج الاستجابة الإيجابية للتوجيه، فإبراهيم عليه السلام لم يجادل أو يعترض، بل بادر بالتسليم، وهذا يعلم المربي أن التربية الناجحة هي التي تزرع في نفوس التلاميذ روح المبادرة والاستجابة السريعة للخير، وأن القدوة الحسنة هي أقوى وسائل التربية.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن السفه والانحراف عن القيم الدينية يرتبط باضطرابات نفسية، فالإنسان السوي نفسيا يميل إلى الخير والاستقامة، ومن يرغب عن ذلك فإنه يعاني من خلل نفسي يتمثل في السفه الذي هو نقص في النضج النفسي والعقلي.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يشير إلى أن الشعور بالاصطفاء والاختيار يمنح الإنسان ثقة بالنفس واستقرارا نفسيا، وإبراهيم عليه السلام كان مطمئنا بسبب اصطفاء الله له، وهذا يدل على أن الإيمان بالاختيار الإلهي يمنح الإنسان طمأنينة نفسية ويخلصه من القلق والاضطراب.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يخفف من القلق الوجودي لدى الإنسان، فاليقين بأن الصالحين لهم جزاء حسن في الآخرة يمنح الإنسان أملا وسكينة، ويقلل من الاكتئاب واليأس، لأن الإنسان يعلم أن تعبه واجتهاده لن يضيع.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ يدل على أن التسليم لله هو علاج للقلق والتوتر، فالإنسان الذي يسلم أمره لله يشعر بالراحة النفسية، لأنه يكل أمره إلى من بيده ملكوت كل شيء، وهذا يقلل من الضغوط النفسية الناتجة عن محاولة السيطرة على كل شيء.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الاستجابة الإيجابية للتوجيه الإلهي تمنح الإنسان إحساسا بالمعنى والهدف في الحياة، وهذا الإحساس هو أحد أهم عوامل الصحة النفسية، فمن وجد معنى لحياته استطاع أن يتحمل الصعاب ويتغلب على الاضطرابات النفسية.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يحذر عالم الاقتصاد من أن الرغبة عن المنهج الرباني في الاقتصاد هي سفه في التدبير، فالأنظمة الاقتصادية التي تبتعد عن القيم الدينية تعاني من خلل في رؤيتها، وتؤدي إلى أزمات اقتصادية بسبب غياب الضوابط الأخلاقية.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يشير إلى أن الاصطفاء الإلهي يتضمن البركة في الرزق، فالله اصطفى إبراهيم عليه السلام وبارك له، وهذا يدل على أن الاقتصاد القائم على الإيمان والاستقامة يكون مباركا فيه، وأن البركة ليست في كثرة المال فقط، بل في النفع والفائدة.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن الغاية من النشاط الاقتصادي ليست الربح الدنيوي فقط، بل هي الفوز بالآخرة، وأن الاقتصاد الإسلامي يهدف إلى تحقيق الصلاح في الدنيا والآخرة، وهذا يمنع الممارسات الاقتصادية الجائرة التي تضر بالمجتمع.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ يدل على أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على التسليم لله في المعاملات، فالمسلم يسلم في بيعه وشرائه لأحكام الله، فلا يغش ولا يربي ولا يحتكر، وهذا التسليم هو الضمانة الأخلاقية التي تحمي الاقتصاد من الفساد.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن الاستسلام لله رب العالمين يعني أن النشاط الاقتصادي كله يجب أن يكون في إطار العبودية لله، وأن المسلم يعمل في تجارته وصناعته وهو يشعر بأن الله مطلع عليه، وهذا يجعله أكثر حرصا على الكسب الحلال والابتعاد عن الحرام.

عاشرا ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ يبين أن الرغبة عن الشريعة والعدل ناتجة عن سفه في النفس، فالقاضي الذي يرغب عن ملة إبراهيم في أحكامه إنما هو سفيه في تدبيره، والقضاء العادل لا يقوم إلا على أساس من الشريعة والحق.

ب. قوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يشير إلى أن الله اصطفى إبراهيم عليه السلام ليكون إماما في الحق، وهذا يدل على أن القضاء العادل يحتاج إلى اصطفاء إلهي وتوفيق رباني، وأن القاضي الناجح هو من اصطفاه الله بالعلم والعدل والتقوى.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يذكر القاضي بأن العدل في الدنيا له جزاء في الآخرة، وأن القاضي العادل من الصالحين الذين وعدهم الله بالجنة، وهذا يدفعه إلى بذل الجهد في إحقاق الحق، لأنه يعلم أن ذلك سيكون له أجر عظيم عند الله.

د. قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ يدل على أن القاضي مطالب بأن يسلم لله في أحكامه، وأن يخضع لشريعة الله في كل ما يفصل فيه من قضايا، وأي حكم يخالف شريعة الله يكون حكما جائرا، حتى لو كان موافقا للهوى أو للقوانين الوضعية.

هـ. قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يجد فيه القاضي أن الاستسلام لله رب العالمين هو أساس العدل، فالقاضي الذي يستسلم لله لا يخاف في الحق لومة لائم، ولا يميل مع الهوى أو المحاباة، بل يحكم بشريعة الله مهما كانت الضغوط، وهذا هو القاضي العادل الذي يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

٥٧. وصية إبراهيم ويعقوب لأبنائهما بالإسلام:

المقطع [٥٧] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢-١٣٤]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يشير إلى أن الدين الإسلامي هو دين الأنبياء جميعا، وأن التوحيد كان وصية متوارثة عبر الأجيال، فلم يكن الإسلام دينا مستحدثا، بل هو امتداد لرسالة إبراهيم ويعقوب، وهذا يثبت أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الأصلية التي اجتمعت عليها الرسالات.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يفيد أن الاصطفاء الإلهي للدين هو من عند الله

لا من عند البشر، وأن الدين ليس نتاج اجتهاد بشري أو تطور تاريخي، بل هو اختيار إلهي نزل على الأنبياء، وهذا يثبت أن الدين الإسلامي دين إلهي المصدر، لا دين وضعي.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يشير إلى أن الموت على الإسلام هو الغاية العظمى، وأن المسلم يجب أن يحرص على الثبات على الدين حتى آخر لحظة في حياته، وأن الخاتمة الحسنة هي ثمرة الاستقامة في الحياة، وفي هذا إشارة إلى أن الإيمان ليس مجرد حالة عابرة بل هو التزام مستمر حتى المات.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يدل على أن سؤال الأنبياء لأتباعهم عن معبودهم كان سؤالا اختباريا ليثبتوا العقيدة في قلوبهم، وأن العبادة هي جوهر الدين، وأن التوحيد هو أول الواجبات وأعظمها، فلم يسألهم عن أعمالهم بل عن معبودهم أولا.

هـ. قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يشير إلى أن التوحيد كان عقيدة الآباء والأبناء، وأن إسماعيل وإسحاق وإبراهيم جميعا كانوا على دين واحد، وأن التعدد في الأسماء لا يعني تعدد الآلهة، بل الإله واحد، وهذا يرد على من زعم أن الأديان السماوية مختلفة في جوهرها.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يفيد أن الإسلام هو الاستسلام لله وحده، وأن هذه الكلمة كانت عنوان إيمان الأنبياء وأتباعهم، فالإسلام ليس اسما لشريعة محمد فقط، بل هو وصف لكل من أسلم وجهه لله، وهذا يثبت وحدة الدين في جوهره عبر العصور.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يشير إلى أن الإيمان لا يورث، وأن كل نفس تحاسب على عملها، فلا ينفع الإنسان انتسابه لآبائه الصالحين دون عمل صالح، وفي هذا إشارة إلى أن العقيدة الصحيحة تقوم على الإيمان والعمل معا، لا على النسب والانتساب.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يفيد أن الله لا يحاسب أحدا بذنب غيره، وأن كل إنسان مسؤول عن عمله فقط، وهذا يقرر مبدأ العدل الإلهي المطلق، ويرد على من يتوهم أن أتباع الأنبياء السابقين يشفعون لأتباعهم بلا عمل.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الوصية بالدين هي

وصية بالطريق الروحي، وأن الأنبياء كانوا يوصون أبناءهم بالسير في طريق الله والثبات عليه، فالوصية هنا ليست مجرد تلقين نظري بل هي توريث للحال والمقام.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن الاصطفاء الإلهي ليس للدين فقط، بل هو اصطفاء لأهله، وأن الله يصطفي من عباده من يشاء ليكونوا من أهل القرب والولاية، فالدين عندهم هو الطريق إلى الله، والاصطفاء هو اختيار الله للعبد قبل أن يختار العبد.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى ضرورة دوام الاستسلام لله في كل لحظة، وأن الموت على الإسلام هو ثمرة حياة كلها إسلام، فالموت عندهم ليس نهاية بل انتقال، ومن عاش مسلما مات مسلما، ومن مات مسلما لقي الله راضيا عنه.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن العبادة هي جوهر الوجود، وأن سؤال الأنبياء لأبنائهم عن معبودهم هو سؤال عن القلب وعن توجهه، فالعابد الحقيقي هو من توجه بقلبه كله إلى الله، لا من أقام الظواهر فقط.

هـ. قوله: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يشير إلى أن التوحيد عند الصوفي هو توحيد الشهود، أي أن يرى العبد أن كل شيء من الله وبالله، وأن الكثرة ترجع إلى الواحد، وأن الأنبياء جميعا كانوا على مشهد واحد من الحق، فإلههم واحد وإن اختلفت الشرائع.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى مقام التسليم الكامل، وهو أعلى المقامات، حيث يستسلم العبد لله استسلاما تاما في ظاهره وباطنه، فلا يعترض على قدر ولا يجادل في حكم، وهذا هو مقام الرضا الذي هو ثمرة المحبة.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن الأعمال القلبية هي التي تبقى، وأن كسب الأنبياء والأولياء هو كسب روحي لا يفنى، وأن كل إنسان إنما يجني ثمار أعماله، فمن زرع في قلبه حب الله حصد القرب، ومن زرع الغفلة حصد البعد.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يشير إلى أن الطريق الروحي طريق فردي، وأن كل سالك يحاسب على سيره، فلا يغتر الإنسان بصلاح آبائه، بل لا بد له من مجاهدة نفسه بنفسه، وهذا يربي في الصوفي روح المسؤولية الفردية في السلوك.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة استمرارية الحقيقة عبر الأجيال، وأن الوصية بالدين تمثل انتقالا للمبادئ العليا من جيل إلى جيل، مما يطرح سؤالا عن العلاقة بين التقليد والعقل، وهل الوصية تكفي لضمان صحة المعتقد أم لا بد من التحقق العقلي.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن الاصطفاء الإلهي يطرح إشكالية العلاقة بين الإرادة الإلهية والإرادة البشرية، فإذا كان الله قد اصطفى الدين، فما دور الإنسان في اختياره؟ وهل الاصطفاء يلغي حرية الاختيار أم يؤكدها؟ وهذه من كبرى المسائل الفلسفية في الجبر والاختيار.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الغاية من الحياة، فإذا كان الموت على الإسلام هو الغاية، فما معنى الحياة الدنيا؟ وهل هي مجرد وسيلة لهذه الغاية أم لها قيمة ذاتية؟ وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الحياة والموت.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يطرح على الفيلسوف سؤال العبادة والغاية القصوى، فالإنسان كائن يعبد، والسؤال ليس هل يعبد أم لا، بل ماذا يعبد؟ وهذا يقود إلى فلسفة الدين المقارن، ولماذا اتجه البشر إلى عبادة قوى متعددة قبل أن يتوحدوا على عبادة إله واحد.

هـ. قوله: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة وحدة الحقيقة وتعدد صورها، فإذا كان الأنبياء جميعا دعوا إلى إله واحد، فما تفسير اختلاف الشرائع؟ وهل الاختلاف في الفروع لا يمس جوهر التوحيد؟ وهذا يفتح باب فلسفة الدين المقارن.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الإسلام بمعناه العام هو الاستسلام للحقيقة العليا، وهذا يلتقي مع ما ذهب إليه فلاسفة اليونان من أن الحكمة هي معرفة الحق والعمل به، فالإسلام هنا ليس اسما لشريعة فقط بل هو موقف فلسفي من الوجود.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة العدالة والمسؤولية الفردية، فالفلسفة الأخلاقية تقوم على أن الإنسان مسؤول عن أفعاله، وأنه لا يمكن تحميله وزر غيره، وهذه الآية تقرر هذا المبدأ بوضوح، مما يجعلها أرضية صالحة لفلسفة أخلاقية عقلانية.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يؤكد للفيلسوف أن الحساب الأخروي قائم على العدل المطلق، وأن الله لا يظلم أحدا، وهذا يلتقي مع مبدأ العلة الأخلاقية الذي يقوم عليه النسق الفلسفي، فلكل فعل نتيجة، ولكل عمل جزاء.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الوصية بالدين هي وصية بالقيم الأخلاقية، فالأنبياء لم يوصوا أبناءهم بالمال أو الجاه، بل بالدين الذي هو أساس كل فضيلة، وهذا يدل على أن الأخلاق الدينية هي الأخلاق الراسخة التي تنتقل عبر الأجيال.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يشير إلى أن الأخلاق في المنظور القرآني ليست مجرد عادات اجتماعية، بل هي اختيار إلهي، أي أن القيم الأخلاقية لها مصدر متعالٍ، وهذا يمنحها قدسية والتزاما لا تمنحه الأخلاق الوضعية.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الاستقامة الأخلاقية يجب أن تستمر حتى نهاية العمر، وأن الإنسان لا ينبغي أن يفرط في قيمه في كبره أو عند اقتراب أجله، بل الثبات على المبادئ هو علامة الصدق في الأخلاق.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يثير عند عالم الأخلاق سؤال العلاقة بين العبادة والسلوك، فالعبادة الصحيحة هي التي تثمر سلوكا أخلاقيا، وسؤال الأنبياء لأبنائهم عن معبودهم هو سؤال عن مصدر قيمهم، فمن عبد الله استمد أخلاقه من أسمائه وصفاته.

هـ. قوله: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يدل على أن الأخلاق الفاضلة كانت مشتركة بين الأنبياء، فالصدق والأمانة والعدل كانت قيما معروفة عند إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وهذا يعني أن الأخلاق ليست نسبية بل مطلقة، وأنها ثابتة عبر التاريخ.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يشير إلى أن الإسلام بمعناه الأخلاقي هو الانقياد للحق والخضوع له، والإنسان المسلم هو الذي يخضع قلبه وعمله لله، وهذا الانقياد هو أساس كل فضيلة، فمن لم ينقد للحق لا يمكن أن يكون فاضلا.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الأخلاق

لا تورث، فكون الإنسان ابن رجل صالح لا يجعله صالحا، بل لا بد له من كسب شخصي للفضائل، وهذا يربي روح المسؤولية الفردية في بناء الشخصية الأخلاقية.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقرر مبدأ أن كل إنسان يحاسب على عمله، وهذا يعزز الدافعية الأخلاقية، فالإنسان يعمل الصالحات لا تقليدا للآخرين، بل إيمانا بأنه مسؤول عن عمله أمام الله.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الوصية بالدين كانت أداة للتماسك الاجتماعي، فالأنبياء كانوا يحرصون على نقل عقيدتهم إلى أبنائهم لضمان استمرار الجماعة المؤمنة، وهذا يشير إلى أن الدين كان عامل توحيد للأمة عبر الأجيال.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يشير إلى أن المجتمعات المؤمنة تنظر إلى دينها على أنه هبة إلهية، وهذا يمنحها شعورا بالتميز والاختيار، مما يعزز تماسكها الداخلي ويمنحها هوية جماعية واضحة.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات الدينية تسعى إلى توريث قيمها لأبنائها، وأن بقاء المجتمع مرتبط ببقاء عقيدته، فالموت على الإسلام يعني أن الجيل الجديد يحمل راية الدين من بعد الآباء، وهذا يضمن استمرارية الجماعة.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يثير عند عالم الاجتماع مسألة التنشئة الاجتماعية، فسؤال يعقوب لأبنائه عن معبودهم هو نموذج للتنشئة الدينية، حيث يختبر الآباء مدى استيعاب الأبناء للقيم التي ربوا عليها، وهذا يدل على أن الأسرة هي المؤسسة الأولى للتنشئة.

هـ. قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يشير إلى أن الجماعة المؤمنة تعرف نفسها من خلال إيمانها المشترك، وأن الانتساب إلى الآباء الصالحين يعزز الهوية الجماعية، فالأبناء يذكرون آباءهم ليعبروا عن انتمائهم للجماعة المؤمنة.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يدل على أن الإسلام كان عنوان الهوية الجماعية لأتباع الأنبياء، وأن المجتمعات المؤمنة كانت تعرف نفسها بهذا الوصف، مما يعطيها تماسكا ووضوحا في علاقاتها مع

الآخرين.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات تتغير وتتبدل، وأن كل جيل مسؤول عن بناء مجتمعه، فلا يمكن الاعتماد على ماضي الآباء لضمان صلاح الأبناء، بل لا بد من عمل جماعي مستمر.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يشير إلى أن المجتمعات لا تحاسب على أعمال غيرها، وأن كل أمة مسؤولة عن تاريخها، وهذا يمنع ظاهرة التواكل الاجتماعي، حيث يظن البعض أن صلاح أسلافهم يكفيهم.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الوصية بالدين كانت وصية بالحفاظ على الهوية، فالأنبياء كانوا قادة أممهم، وكانوا يوصون أبناءهم بالثبات على الدين لضمان استمرار الدولة والمجتمع على أسس صحيحة.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يشير إلى أن الشرعية السياسية في المنظور القرآني تستمد من الدين، فالله هو الذي يصطفي الدين، ومن يحكم بهذا الدين تكون له شرعية، ومن خالفه تفقد شرعيته، وهذا يضع أساسا للسياسة الشرعية.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الدولة المسلمة يجب أن تحرص على بقاء الإسلام في نفوس أبنائها، وأن السياسة التي لا تحمي الدين من أعدائه هي سياسة فاشلة، فالموت على الإسلام يعني أن الدولة تمكنت من حماية عقيدة أبنائها.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يثير عند عالم السياسة سؤال العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فسؤال يعقوب لأبنائه عن معبودهم هو سؤال عن ولائهم، فمن عبد الله كان ولاؤه لله أولا، وهذا يمنع الطغيان، لأن الحاكم لا يستطيع أن يستعبد من يعبد الله وحده.

هـ. قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يشير إلى أن الوحدة الدينية هي أساس الوحدة السياسية، فالأمة التي تعبد إلها واحدا تكون أكثر قدرة على الاتحاد تحت قيادة واحدة، وهذا يفسر قوة الدولة الإسلامية عبر التاريخ.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يدل على أن الاستسلام لله هو أساس الطاعة السياسية، فالمسلم يطيع الحاكم ما دام الحاكم يطيع الله، وهذا يضع ضوابط للطاعة ويمنع الطاعة العمياء، فالطاعة لله أولا ثم لمن يحكم بشرع الله.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الأمم لا تعيش على أمجاد ماضيها، بل لا بد لها من عمل حاضر، فالمسلمون اليوم لا ينفعهم انتسابهم لأمة إبراهيم ويعقوب دون عمل، وهذا يدفع إلى الإصلاح السياسي المستمر.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يشير إلى أن كل جيل سياسي مسؤول عن أفعاله، ولا يمكن تبرير أخطاء الحاضر بماضي الأسلاف، وهذا يمنع استغلال التاريخ لتبرير الظلم والفساد السياسي.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الوصية بالدين تمثل نموذجا للتخطيط الاستراتيجي طويل المدى، فالأنبياء كانوا يخططون لاستمرارية رسالتهم بعد موتهم، وهذا هو جوهر التخطيط الإداري الذي يهدف إلى استمرارية المنظمة بعد رحيل قادتها.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يشير إلى أن القيادة الناجحة هي التي تمتلك رؤية واضحة، فالأنبياء كانت لديهم رؤية واضحة هي الدين الذي اصطفاه الله، وكانوا ينقلون هذه الرؤية إلى أبنائهم لضمان استمرارها، وهذا هو جوهر القيادة الملهمة.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أهمية الثبات على المبادئ، فالمنظمات الناجحة هي التي تظل ثابتة على قيمها الأساسية مهما تغيرت الظروف، والموت على الإسلام يعني أن المنظمة تظل وفية لرسالتها حتى النهاية.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يثير عند عالم الإدارة مسألة التخطيط للخلافة، فسؤال يعقوب لأبنائه عن معبودهم هو اختبار لمدى استعدادهم لتحمل المسؤولية من بعده، وهذا يشير إلى أهمية إعداد القادة من داخل المنظمة قبل رحيل القائد الحالي.

هـ. قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يشير إلى أن استمرارية المنظمة تعتمد على وحدة القيم، فالأبناء أكدوا أنهم على نفس عقيدة الآباء، وهذا يعني أن

المنظمات الناجحة هي التي تحافظ على قيمها الأساسية عبر الأجيال.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يدل على أن الانتماء للمنظمة يعني الالتزام بقيمها، فقول الأبناء ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ هو إعلان ولاء للمبادئ التي قامت عليها الجماعة، وهذا هو أساس الالتزام المؤسسي.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن كل جيل إداري مسؤول عن نتائجه، فلا يمكن للمنظمة أن تعيش على إنجازات الماضي، بل لا بد من تجديد الأداء وتحقيق نتائج جديدة، وهذا يمنع الركود الإداري.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يشير إلى أن كل إدارة تحاسب على أعمالها، ولا يمكن تحميل الإدارات السابقة مسؤولية إخفاقات الإدارات الحالية، وهذا يعزز مبدأ المساءلة الفردية في العمل الإداري.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يجد فيه المؤرخ أن الوصية بالدين كانت حدثا تاريخيا مهما، حيث تم توثيق انتقال العقيدة من جيل إلى جيل، وهذا يساعد المؤرخ على فهم كيفية انتقال الأفكار الدينية عبر التاريخ.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يشير إلى أن فكرة الاصطفاء الإلهي كانت حاضرة في الوعي الديني للأمم السابقة، وهذا يفسر للمؤرخ لماذا كانت بعض الأمم تعتبر نفسها شعب الله المختار، وكيف تطورت هذه الفكرة في الأديان المختلفة.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن الوصية بالثبات على الدين كانت وسيلة للحفاظ على الهوية الدينية في فترات التحولات التاريخية، فالأنبياء كانوا يخشون على أبنائهم من الانحراف بعد موتهم، وهذا يفسر ظاهرة الوصايا الدينية في التاريخ.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يثير عند المؤرخ مسألة التوثيق التاريخي، فالقرآن يسجل هذا الحوار الذي دار بين يعقوب وأبنائه، وهذا يدل على أن القرآن يهتم بتوثيق الأحداث التاريخية المهمة، وأن هذا الحوار كان له أثر في تاريخ بني إسرائيل.

هـ. قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ يشير إلى أن المؤرخ يجد في هذه الآية دليلا على أن التوحيد كان عقيدة الآباء والأبناء في التاريخ القديم، وأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق كانوا أعلاما دينيين معروفين في المنطقة، مما يساعد على فهم التاريخ الديني للشرق الأدنى القديم.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يدل على أن مصطلح الإسلام كان معروفا قبل بعثة محمد، وأن أتباع الأنبياء السابقين كانوا يوصفون به، وهذا يهم المؤرخ في تتبع تاريخ المصطلحات الدينية.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يوجه المؤرخ إلى أن التاريخ لا يورث، فالأمم السابقة انقضت بأعمالها، والأمم الحاضرة ستحاسب على أعمالها، وهذا يمنع المؤرخ من الوقوع في فخ الأسطورة التاريخية التي تجعل الماضي مقدسا لا يقبل النقد.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يشير إلى أن المؤرخ لا يحاسب أحدا على أعمال غيره، وأن كل أمة مسؤولة عن تاريخها، وهذا يعزز الموضوعية التاريخية التي تمنع إسقاط أحكام الحاضر على الماضي.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الوصية بالدين تمثل نموذجا للصحة النفسية للأجيال، فالأنبياء كانوا يحرصون على نقل معتقداتهم لأبنائهم ليمنحوهم الطمأنينة النفسية، وهذا يشير إلى أن الدين كان عاملا مهما في الاستقرار النفسي عبر التاريخ.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾ يشير إلى أن الشعور بالاصطفاء الإلهي يمنح الإنسان ثقة بالنفس واحتراما للذات، فالذي يعتقد أن الله اختاره لدينه يشعر بقيمته وهدفه في الحياة، وهذا يعزز الصحة النفسية.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يوجه الطبيب النفسي إلى أن الخوف من الموت على غير الإسلام قد يكون مصدر قلق وجودي، ولكن الإيمان بالله والاستسلام له يخفف هذا القلق، فالموت على الإسلام يعني الموت بسلام مع الله ومع النفس.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يثير عند الطبيب النفسي مسألة الهوية، فسؤال يعقوب لأبنائه

عن معبودهم هو سؤال عن هويتهم، والإجابة على هذا السؤال تحدد اتجاه الإنسان في الحياة، ومن يعبد الله تكون هويته واضحة ومستقرة.

هـ. قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يشير إلى أن الانتماء إلى جماعة مؤمنة يعزز الصحة النفسية، فالأبناء عندما يذكرون آباءهم الصالحين يشعرون بالانتماء والامتداد، وهذا يمنحهم دعما نفسيا واجتماعيا.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يدل على أن الاستسلام لله يمنح الإنسان السلام الداخلي، فالذي يستسلم لله لا يعاني من الصراع الداخلي، لأنه يعلم أن له ربا يدبر أمره، وهذا يقلل من التوتر والقلق.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يوجه الطبيب النفسي إلى أن الاعتماد على ماضي الآباء لا يكفي للصحة النفسية، بل لا بد لكل إنسان من بناء ذاته بنفسه، وهذا يعزز الاستقلالية النفسية والنضج.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يشير إلى أن عدم تحميل الإنسان وزر غيره يمنحه راحة نفسية، فالإنسان لا يشعر بالذنب بسبب أخطاء أسلافه، وهذا يمنع الاكتئاب الناتج عن الشعور بالذنب الجماعي.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن الوصية بالدين كانت أهم من الوصية بالمال، فالأنبياء لم يوصوا أبناءهم بجمع المال أو تنميته، بل أوصوهم بالدين، وهذا يشير إلى أن القيم الدينية هي الأساس الذي يقوم عليه النشاط الاقتصادي الصحيح.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد في المنظور القرآني ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق غايات دينية، فالذي يعتقد أن الله اصطفى له الدين يجعل عمله الاقتصادي في خدمة الدين، لا العكس.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن النشاط الاقتصادي يجب أن يكون منضبطا بالقيم الدينية، فالمسلم لا يموت إلا وهو مسلم، وهذا يعني أنه لا يمارس أعمالا اقتصادية محرمة تخرجه عن الإسلام، كالربا والغش والاحتكار.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يثير عند عالم الاقتصاد سؤال الأولويات، فسؤال يعقوب لأبنائه عن معبودهم يحدد لهم الأولوية القصوى، وهي عبادة الله، وكل نشاط اقتصادي يجب أن يكون تابعا لهذه الأولوية، فلا يطغى حب المال على حب الله.

هـ. قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يشير إلى أن الوحدة الدينية تنعكس على الوحدة الاقتصادية، فالمجتمع الذي يعبد إلها واحدا يكون أكثر قدرة على التعاون الاقتصادي، لأن أفراده يشتركون في القيم والمبادئ التي تحكم التعاملات المالية.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يدل على أن الاستسلام لله يقتضي الالتزام بأحكامه في المال، فالمسلم لا يملك المال ملكية مطلقة، بل هو مستخلف فيه، وهذا يوجه النشاط الاقتصادي نحو الإنفاق في وجوه الخير والبعد عن الاكتناز.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الثروة لا تورث، فكل جيل يسعى لكسب رزقه بنفسه، وهذا يعزز مبدأ العمل والإنتاج، ويمنع الاتكالية الاقتصادية على ماضي الآباء.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يشير إلى أن كل جيل يحاسب على أعماله الاقتصادية، فلا يمكن تبرير الممارسات الاقتصادية الخاطئة بالاقتداء بالأسلاف، وهذا يعزز المساءلة الاقتصادية الفردية.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ يجد فيه المربي أن الوصية بالدين تمثل نموذجا للتربية بالقدوة، فالأنبياء لم يكتفوا بتعليم أبنائهم بالكلام، بل كانوا يعيشون الدين ويوصون به، وهذا هو جوهر التربية العملية التي تسبق التربية النظرية.

ب. قوله: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ يشير إلى أن المربي الناجح يغرس في نفوس المتعلمين قيمة ما يتعلمونه، فالأنبياء كانوا يربطون الدين بالاصطفاء الإلهي ليشعر الأبناء بقيمة هذا الدين، وهذا يعزز الدافعية للتعلم والالتزام.

ج. قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية لا تنتهي عند حد معين، بل

هي عملية مستمرة حتى نهاية العمر، فالأنبياء كانوا يوصون أبناءهم بالثبات على الدين حتى الممات، وهذا يعني أن المربي يجب أن يزرع في المتعلم الثبات على المبادئ مهما تغيرت الظروف.

د. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ يثير عند المربي مسألة التقويم التربوي، فسؤال يعقوب لأبنائه هو اختبار لمدى استيعابهم للتعاليم التي رباهم عليها، وهذا يشير إلى أن التربية الناجحة هي التي تختبر مخرجاتها، وتتأكد من أن المتعلمين استوعبوا القيم والمبادئ.

هـ. قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يشير إلى أن التربية الناجحة تنتج أبناء يعتزون بتراثهم، فالأبناء ذكروا آباءهم الصالحين بفخر، وهذا يعني أن المربي يجب أن يغرس في المتعلمين الاعتزاز بتراثهم الديني والحضاري.

و. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يدل على أن التربية الناجحة تنتج أبناء ملتزمين، فالأبناء لم يكتفوا بالقول بل أكدوا التزامهم بقولهم: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، وهذا يعني أن المربي يجب أن يصل بالمتعلم إلى مرحلة الالتزام العملي لا المعرفة النظرية فقط.

ز. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يوجه المربي إلى أن كل جيل مسؤول عن تعلمه وسلوكه، فلا يمكن للمتعلم أن يعتمد على صلاح آبائه، بل لا بد له من كسب شخصي للعلم والفضيلة، وهذا يعزز روح المسؤولية الفردية في التعلم.

ح. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يشير إلى أن المربي يجب أن يركز على بناء شخصية المتعلم المستقلة، فلا يجعله يعيش في ظل ماضي الآباء، بل يعلمه أنه مسؤول عن أعماله هو، وهذا يربي جيلا مستقلا قادرا على تحمل المسؤولية.

٥٨. الدعوة إلى ملة إبراهيم الحنيف والإيمان بجميع الرسل:

المقطع [٥٨] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥-١٣٨]، ومن المعاني

الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ يشير إلى أن الهداية ليست حكرا على أمة دون أخرى، وأن دعاوى الاحتكار الديني باطلة، فكل طائفة تدّعي أن الهداية في اتباعها فقط، والرد القرآني يقرر أن الهداية الحقة هي في اتباع ملة إبراهيم الحنيفية، لا في الانتماءات الطائفية الضيقة.

ب. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يرسخ مبدأ التوحيد الخالص، فالحنيفية هي الميل عن الشرك إلى الإخلاص، وإبراهيم عليه السلام هو النموذج الأعلى لهذا التوحيد، وقد نُفي عنه الشرك نفيا قاطعا، ليكون قدوة في البراءة من كل مظاهر الشرك قديمها وحديثها.

ج. قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يقرر عقيدة الإيمان بجميع الرسل دون تمييز، وأن الوحي الإلهي سلسلة متصلة من آدم إلى خاتم المرسلين، فالإيمان ببعض الرسل دون بعض هو تحريف للعقيدة وانتقاص من عدل الله وحكمته في اصطفاء الرسل.

د. قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يؤكد وحدة الرسالة الإلهية، وأن التفريق بين الرسل إنما هو تفريق في الدرجات والمقامات، لا في أصل الرسالة، فكلهم دعوا إلى التوحيد والعبادة، والإيمان بهم جميعا شرط لصحة الإيمان.

هـ. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يبين أن الإسلام هو جوهر دعوة جميع الأنبياء، وأن الاستسلام لله هو الدين الذي لا يقبل غيره، فليس الإسلام دينا جديدا، بل هو امتداد لملة إبراهيم ودين الأنبياء جميعا.

و. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ يشير إلى أن الإيمان ليس مجرد تصديق نظري، بل هو صبغة روحية تغمر الوجود كله، كما كانت النصارى تصبغ أطفالهم بالماء المعمودية، فالمؤمن يصبغه الله بصبغة الإيمان والتوحيد، وهي صبغة لا تعدلها صبغة.

ز. قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ يقرر أن الهداية معيارها الإيمان بالوحي كاملا، وأن التولي عنه ليس مجرد اختلاف فكري، بل هو شقاق وعداء للحق، وهذا يحدد موقف المسلم من المخالفين: من آمن بما آمن به المسلمون فهو مهتدٍ، ومن تولى فهو في شقاق،

والله كافٍ عباده المؤمنين شره.

ح. قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يغرس في المؤمن الثقة بنصر الله، وأن الله سميع لأقوالهم، عليم بمكائدهم، وهو المتكفل بالدفاع عن أوليائه، وهذا يمنح المؤمن طمأنينة وثباتا في مواجهة خصوم الدين.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى مقام الإخلاص والتفريد، فالحنيفية عندهم هي الانقطاع عن كل ما سوى الله، والتوجه بكل الوجود إلى الحضرة الإلهية، وهي مقام الفناء عن الخلق والبقاء بالحق.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يشير عندهم إلى تصفية السر عن كل شائبة شرك خفي، فالشرك ليس فقط عبادة الأصنام، بل قد يكون شركا خفيا كالالتفات إلى غير الله في الأقوال والأفعال والنيات، والحنيف هو من طهر قلبه من كل ذلك.

ج. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يرمز عندهم إلى وحدة المشهد الإلهي، فالمؤمن الصادق يرى أن كل ما نزل على الأنبياء هو فيض من نور واحد، وأن القلوب الصافية تتلقى من ذلك النور بحسب استعدادها، فلا فرق عندهم بين شريعة وشريعة في جوهر الحقيقة.

د. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ هو عندهم إشارة إلى مقام التسليم الكامل والرضى، وهو أعلى مقامات السالكين، فالمسلم الحقيقي هو من استسلم لله في جميع أحواله، وأسلم له قلبه وقالبه، وفوض أمره كله إليه.

هـ. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى التجلي الإلهي الذي يغمر القلب، فصبغة الله هي أن يصطبغ القلب بنور الله، فتظهر عليه آثار الجمال والجلال، كما يصطبغ الثوب بالصبغ فيتغير لونه، فقلب المؤمن يصطبغ بصفات الله من رحمة وعلم وحكمة.

و. قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ يشير إلى أن كل صبغة سوى صبغة الله هي زائلة أو ناقصة، وأن أسمى ما يتزين به العبد هو الإيمان والتقوى، وهي صبغة لا يمنحها إلا الله لمن اصطفى من عباده.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة المعيار في الحقيقة الدينية، فليس المعيار هو الانتماء التاريخي أو الاجتماعي، بل هو الحنيفية التي تمثل العودة إلى الأصل الفطري للدين، وهذا يلتقي مع فلسفة الدين التي تبحث عن الجوهر المشترك بين الأديان.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يطرح إشكال الشرك الفلسفي، فالشرك ليس مجرد تعدد الآلهة، بل هو كل إشراك للغير مع الله في الحقيقة أو الغاية، والفيلسوف يدرك أن التوحيد الخالص هو أساس النظام الفلسفي السليم، لأن تعدد المبادئ يؤدي إلى تناقض النظام.

ج. قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية وحدة الحقيقة، فالحقيقة واحدة وإن تعددت طرق التعبير عنها، والرسل جميعا حملوا جوهرا واحدا، وهذا يدفع الفيلسوف إلى التأمل في فلسفة التاريخ الديني بوصفه خطا متصلا لا انقطاع فيه.

د. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يطرح عند الفيلسوف مفهوم الاستسلام بوصفه غاية الحكمة، فالحكيم الحقيقي هو من أذعن للحقيقة بعد معرفتها، والاستسلام لله هو أرقى صور الاستسلام للحقيقة المطلقة، لا استسلاما قسريا بل اختياريا نابعا من الإدراك.

هـ. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى المبدأ الأول الذي يصبغ الوجود كله، فالله هو الخالق الذي أودع في خلقه آثاره، والوجود كله صبغة من صبغاته، والإنسان المؤمن هو من يدرك هذه الصبغة الإلهية في نفسه وفي الكون.

و. قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يثير عنده مسألة العناية الإلهية، فالله لا يترك عباده المؤمنين، بل يتكفل بحمايتهم، وهذا يلتقي مع فلسفة العناية التي تقول بأن العالم ليس متروكا للصدفة، بل هو محكوم بعناية إلهية شاملة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يشير إلى أن الأخلاق الحقة هي تلك التي تقوم على الإخلاص لله، فالحنيفية تعني نقاء القصد وصفاء النية، وهي أساس كل فضيلة أخلاقية، فمن أشرك في عمله أو نيته فقد أفسد أخلاقه.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يشير إلى أن الأخلاق لا تنفصل عن العقيدة، فالشرك ليس

مجرد خطأ عقدي، بل هو فساد أخلاقي، لأنه يجعل الإنسان عبدا لغير الله، والخضوع لغير الله هو أصل كل رذيلة.

ج. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الفضائل ليست نسبية أو متغيرة، بل هي قيم ثابتة جاءت بها جميع الشرائع، فالصدق والأمانة والعدل كانت دعوة كل الأنبياء، وهذا يمنح الأخلاق أساسا متينا لا يتغير بتغير الأزمان.

د. قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يربي خلق التسامح واحترام الآخرين، فالمؤمن لا يفرق بين الأنبياء، وهذا ينعكس على تعامله مع أتباعهم، فلا يعادي أحدا بسبب دينه، بل يحترم كل من يؤمن بالله ورسله.

هـ. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يشير إلى أن الاستسلام لله هو أساس الأخلاق الفاضلة، فمن استسلم لله خضع لأوامره ونواهيه، والتزم بالفضائل لأنها أوامر الله، لا لأنها عادات أو تقاليد.

و. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يعني أن الأخلاق الحقة ليست مجرد سلوك ظاهري، بل هي صبغة داخلية تغمر النفس، فتصبح الفضيلة طبعا وسجية، لا تكلفا وتصنعا، وهذا هو أعلى مراتب التخلق بأخلاق الله.

ز. قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ يبين أن الهداية الأخلاقية هي ثمرة الإيمان، فمن آمن إيمانا صحيحا اهتدى إلى الفضائل، ومن تولى فقد ضل عن الصراط المستقيم، والأخلاق الفاضلة لا تنفصل عن الإيمان الصادق.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى ظاهرة التعصب الجماعي، فكل جماعة تدّعي احتكار الحقيقة وترى أن الهداية في اتباعها فقط، وهذا التعصب هو سبب كثير من الصراعات الاجتماعية، والقرآن يقدم نموذجا للتعامل مع هذا التعصب بالحوار والرد بالتي هي أحسن.

ب. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يشير إلى أن الهوية الاجتماعية للمسلمين ليست مستمدة من الانتماءات العرقية أو القومية، بل من الانتماء لملة إبراهيم الحنيفية، وهذا يخلق مجتمعا مبنيا على العقيدة لا على العصبية.

ج. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن المجتمع المسلم مجتمع منفتح على التراث الإنساني، فهو يؤمن بجميع الأنبياء والرسل، وهذا الانفتاح يمنع الانغلاق الاجتماعي ويشجع على التعايش مع الآخرين.

د. قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يرسخ مبدأ المساواة وعدم التمييز، فكما أن المؤمن لا يفرق بين الأنبياء، فهو لا يفرق بين الناس بسبب ألوانهم أو أجناسهم، وهذا أساس التماسك الاجتماعي.

هـ. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يعني أن المجتمع المسلم مجتمع يستسلم لله في جميع شؤونه، وهذا الاستسلام يخلق نظاما اجتماعيا مبنيا على طاعة الله ورسوله، لا على الأهواء والمصالح.

و. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن المجتمع المسلم مجتمع يصطبغ بصبغة الله، فتظهر عليه آثار الإيمان في عاداته وتقاليده وقوانينه، وهذا ما يميزه عن المجتمعات الأخرى.

ز. قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ يبين أن المجتمعات تنقسم إلى مهتدية وشاقة، والمجتمع المهتدي هو الذي يقبل الحق، والمجتمع الشاق هو الذي يتولى عنه، وهذا يحدد طبيعة العلاقات بين المجتمعات.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ يلفت نظر عالم السياسة إلى محاولات التأثير الخارجي على هوية الأمة، فاليهود والنصارى حاولوا فرض هويتهم على المسلمين، والرد القرآني يقرر أن الهوية الإسلامية مستقلة لا تقبل المساومة.

ب. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يحدد الأساس الفكري للدولة، فالدولة الإسلامية تقوم على ملة إبراهيم الحنيفية، لا على القومية أو العلمانية، وهذا يمنحها شرعية فكرية وروحية.

ج. قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يبين أن الدولة الإسلامية يجب أن تكون بريئة من كل مظاهر الشرك، سواء في عقيدتها أو تشريعاتها أو سياساتها، فلا تشرع ما يخالف التوحيد.

د. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الدولة الإسلامية لا تعادي الأمم السابقة، بل تؤمن برسلهم وكتبهم، وهذا يفتح باب التعاون الدولي على أساس الاحترام المتبادل.

هـ. قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يمنح الدولة الإسلامية ثقة بالنصر، فالله متكفل بالدفاع عن أوليائه، وهذا لا يعني ترك الأخذ بالأسباب، بل يعني أن النصر بيد الله، وهو سميع لأقوال الأعداء، عليم بمخططاتهم.

و. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يعني أن الدولة الإسلامية يجب أن تصطبغ بصبغة الله في سياساتها وقوانينها، فلا تكون سياساتها منفصلة عن القيم الدينية، بل تكون كلها في خدمة مرضاة الله.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يجد فيه مدير المنظمة أن النجاح لا يأتي بالتقليد الأعمى للآخرين، بل بالعودة إلى الأصول الصحيحة، فكما أن الهداية في ملة إبراهيم لا في اتباع اليهود والنصارى، كذلك المنظمة الناجحة هي التي تلتزم بمنهجها الأصيل ولا تتبع الآخرين تقليدا.

ب. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يشير إلى أهمية الاستفادة من التجارب السابقة، فالمؤمن يؤمن بجميع الكتب والرسل، والمنظمة الناجحة تستفيد من خبرات الآخرين دون أن تفقد هويتها.

ج. قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يوجه مدير المنظمة إلى مبدأ العدل والمساواة بين الموظفين، فلا يفرق بينهم بسبب الأعراق أو الألوان أو العلاقات الشخصية، بل يعاملهم جميعا بالعدل والإنصاف.

د. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يعني أن القائد الناجح هو من يستسلم للحق ويخضع له، ولا يتعصب لرأيه، فالاستسلام لله يربي في القائد التواضع وقبول النصيحة.

هـ. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن المنظمة الناجحة هي التي تصطبغ بالقيم الإلهية، فتكون لها شخصية مميزة وثقافة تنظيمية قائمة على الأمانة والإتقان والعدل.

و. قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ يمنح مدير المنظمة الثقة في مواجهة المنافسين، فالله كافٍ عباده المؤمنين، وهذا لا يمنع من الأخذ بالأسباب، بل يمنح الطمأنينة والسكينة في العمل.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ يذكره بالصراعات الدينية التي شهدها التاريخ، ومحاولات كل طائفة فرض هويتها على الآخرين، وهذه الآية توثق جانبا من هذه الصراعات في عهد النبي

صلى الله عليه وآله وسلم.

ب. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يبين للمؤرخ أن الإسلام لم يأتِ بدين جديد كليا، بل هو امتداد لملة إبراهيم، وهذا يفسر استمرارية الدعوة التوحيدية عبر التاريخ.

ج. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ يقدم للمؤرخ وثيقة تاريخية عن أسماء الأنبياء الذين آمن بهم المسلمون، وهذا يساعد في دراسة تاريخ الأديان المقارن.

د. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الأديان كانت تصبغ أتباعها بصبغات خاصة، كما كانت النصارى تصبغ أطفالهم، والقرآن يقدم صبغة الله البديلة التي تتميز بالتوحيد الخالص.

هـ. قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ يفسر للمؤرخ انتصارات المسلمين على خصومهم، فالله كان يكفيهم أعداءهم، وهذا يظهر في غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفتوحاته.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الاستقرار النفسي يأتي من ثبات الهوية، فالإنسان الذي يعرف هويته الحقيقية يكون أكثر اتزانا، والمؤمن يعرف أن هويته هي ملة إبراهيم الحنيفية، وهذا يمنحه طمأنينة.

ب. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يخفف من مشاعر العداء والكراهية تجاه الآخرين، فالمؤمن يؤمن بجميع الأنبياء، وهذا يقلل من التوتر النفسي الناتج عن الصراعات الدينية.

ج. قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يعالج مشاعر التمييز والتعصب، فالمؤمن لا يفرق بين الأنبياء، وهذا ينعكس على عدم التفريق بين الناس، مما يقلل من الاضطرابات النفسية الناتجة عن التعصب.

د. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يشير إلى أن الاستسلام لله هو مصدر السكينة النفسية، فالإنسان الذي يستسلم لله لا يقلق على المستقبل، لأنه يعلم أن الله يدبر أمره، وهذا يقلل من القلق والتوتر.

هـ. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يعني أن الصحة النفسية هي أن يصطبغ الإنسان بصبغة الله، فتظهر عليه آثار الإيمان من الطمأنينة والسكينة والرضا، وهذا ما يسميه علماء النفس اليوم الصحة النفسية الإيجابية.

و. قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يمنح المؤمن شعورا بالأمان، فالله سميع لأقوال أعدائه، عليم بمخططاتهم، وهو متكفل بالدفاع عنه، وهذا يزيل الخوف والقلق من المتربصين.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن النظام الاقتصادي الإسلامي ليس تقليدا للأنظمة الاقتصادية الأخرى، سواء الرأسمالية أو الاشتراكية، بل هو نظام مستقل يقوم على ملة إبراهيم الحنيفية.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يبين أن الاقتصاد الإسلامي يرفض كل أشكال الشرك، ومنها الشرك في المال كالربا والاحتكار والغش، فكل هذه مظاهر شرك بالله في المال.

ج. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يستفيد من التجارب الاقتصادية السابقة، كما يؤمن بجميع الكتب، لكنه لا يقلدها تقليدا أعمى.

د. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يعني أن الاقتصاد الإسلامي يخضع لله في جميع معاملاته، فلا يتبع الأهواء والمصالح الشخصية، بل يلتزم بأحكام الله في البيع والشراء والربا والزكاة.

هـ. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يعني أن الاقتصاد الإسلامي يصطبغ بالقيم الإلهية، فيكون اقتصادا أخلاقيا يقوم على الصدق والأمانة والعدل، لا على الاستغلال والجشع.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ يوجه المربي إلى خطورة التقليد الأعمى، فكما أن اليهود والنصارى دعوا المسلمين إلى اتباعهم، كذلك قد يدعو المربون المنحرفون إلى تقليدهم، وعلى المربي أن يربي في تلاميذه الاستقلال الفكري.

ب. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يعني أن التربية الحقة هي التي تربي على الحنيفية، أي الإخلاص لله والبراءة من الشرك، وهذه هي الغاية من التربية الإسلامية.

ج. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يوجه المربي إلى تعليم التلاميذ الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، وأن يحترموا جميع الأديان، وهذا يربي فيهم التسامح والانفتاح.

د. قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يربي في التلاميذ مبدأ المساواة وعدم التمييز، فلا يفرقون بين

الناس بسبب ألوانهم أو أجناسهم أو أديانهم.

هـ. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يعني أن التربية الإسلامية تهدف إلى تكوين شخصية مسلمة مستسلمة لله، تخضع لأوامره وتنتهي عن نواهيه.

و. قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن التربية الحقة هي التي تصبغ التلميذ بصبغة الله، فتظهر عليه آثار الإيمان في أخلاقه وسلوكه، وهذا هو الهدف الأسمى للتربية.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يوجه القاضي إلى أن القضاء الإسلامي يقوم على ملة إبراهيم الحنيفية، لا على القوانين الوضعية المخالفة للشريعة، فالحكم بما أنزل الله هو أساس العدالة.

ب. قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يبين أن القاضي يجب أن يكون بريئا من كل أشكال الشرك، ومنها الرشوة والمحاباة، فكل ذلك شرك في الحكم.

ج. قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني أن القاضي يؤمن بجميع الشرائع السماوية، وهذا يمنحه رؤية شاملة في استقاء الأحكام، ويدفعه إلى احترام الأديان الأخرى.

د. قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يوجه القاضي إلى عدم التمييز بين الناس في الأحكام، فكما لا يفرق بين الأنبياء، لا يفرق بين المتخاصمين، بل يحكم بينهم بالعدل.

هـ. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يعني أن القاضي المسلم يستسلم لله في أحكامه، فلا يحكم بالهوى، بل يحكم بما أنزل الله.

و. قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يمنح القاضي الثقة في مواجهة الظالمين، فالله سميع لأقوالهم، عليم بمخططاتهم، وهو متكفل بالدفاع عن عباده المؤمنين.

٥٩. المحاجة في الله وادعاء اليهودية والنصرانية للأنبياء:

المقطع [٥٩] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:

١٣٩-١٤١]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ يقرر أن المحاجة في ذات الله وصفاته وأفعاله لا معنى لها، لأن الربوبية واحدة شاملة للجميع، فلا اختصاص لأمة به دون أخرى، فالله رب العالمين جميعا، وليس ربا للمسلمين وحدهم، وهذه إشارة إلى أن أصل التوحيد مشترك بين جميع الأمم، وأن الادعاءات الخاصة بالانتساب إلى الله دون سواه باطلة.

ب. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يبين أن الأعمال هي الفيصل في التفاضل، لا الانتساب النظري أو الدعاوى المجردة، فلكل فريق جزاء عمله، وهذا يقطع كل حجة تقوم على النسب أو الانتماء العرقي في الدين، فالعبرة بالعمل الصالح لا بالادعاء.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ يحدد معيار الإخلاص في الدين، وهو أن يكون العمل خالصا لله وحده، وهذه إشارة إلى أن الإخلاص هو روح العبادة، وأن من أشرك في عبادته أو دعوته فقد أخل بجوهر التوحيد، فالإخلاص هو الفارق بين أهل الحق وأهل الباطل.

د. قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يبطل دعوى اليهود والنصارى في انتساب الأنبياء إليهم، لأن اليهودية والنصرانية حدثتا بعدهم، فكيف يكونون على دين لم يكن موجودا في زمانهم؟ وهذه إشارة إلى أن الأديان السماوية سلسلة متصلة، وأن كل نبي جاء بدين التوحيد الخالص، لا بالأديان المحرفة التي ظهرت بعده.

هـ. قوله: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ يقرر أن العلم الحقيقي بالأنبياء وما كانوا عليه هو عند الله، لا عند المدعين، فالله هو الذي شهد لهم بالحنيفية، وهو أعلم بعباده، وهذه إشارة إلى أن مصدر المعرفة الدينية الصحيحة هو الوحي الإلهي، لا الاجتهادات البشرية أو الروايات المحرفة.

و. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعد كتم الشهادة من أعظم الظلم، وهنا إشارة إلى أن أهل الكتاب كانوا يعلمون حقيقة الأنبياء وأنهم على الإسلام، لكنهم كتموا هذه الشهادة حسدا وبغيا، فكتم العلم الذي أنزله الله ظلم عظيم، وهو من كبائر الذنوب التي توعد الله عليها.

ز. قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقرر أن الله محيط بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء منها،

وسيجازيهم بها، وهذه إشارة إلى أن علم الله شامل ودقيق، وأن أعمال الخلق كلها مسطورة عنده، وسيحاسبهم عليها بدقة، فلا يظن أحد أن كتمانه أو تحريفه يخفى على الله.

ح. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يبين أن كل أمة تجازى بعملها، ولا ينفع أحدا عمل غيره، ولا يضر أحدا عمل سواه، وهذه إشارة إلى أن المسؤولية الفردية هي أساس العدالة الإلهية، فلا وراثة في الثواب والعقاب، ولا شفاعة بغير إذن الله، فكل نفس بما كسبت رهينة.

ط. قوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقطع أي صلة بين أعمال السابقين وأحوال اللاحقين في الحساب، فلا يسأل أحد عن عمل غيره، وهذه إشارة إلى أن الحجة لا تقوم على أفعال الأسلاف، بل على أعمال الأفراد أنفسهم، فمن احتج بعمل أسلافه فقد أخطأ، لأن كل إنسان مسؤول عن عمله وحده.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى مقام الإخلاص الذي هو أساس الطريق إلى الله، فالإخلاص هو تصفية العمل من كل شائبة، وهو أن يكون العبد لله ظاهرا وباطنا، فلا يريد بعمله إلا وجه الله، وهذا هو مقام الصدق الذي لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصا له.

ب. قوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ يرى فيه الصوفي أن العلم الحقيقي ليس علم العقل المجرد، بل علم الذوق والكشف الذي يهبه الله لأوليائه، فالله أعلم بحقائق الأمور، ومن أراد العلم الصحيح فعليه أن يتلقاه من الله بقلب سليم، لا من أهل الجدل والخصومة.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن كتم الأسرار الإلهية التي أودعها الله في قلوب عباده من أعظم الذنوب، فمن كتم ما علمه من الله من حقائق ومعارف فقد ظلم نفسه، والصوفي يرى أن من واجبه إظهار ما أودع الله فيه من أنوار، وبثها في الخلق.

د. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن كل إنسان إنما يسعى لنفسه، وأن طريق الله لا يقطع بغيرك، فلا ينفعك صلاح غيرك، ولا يضرك فسادهم، فعليك أن تسعى في تصفية قلبك بنفسك، ولا تتكل على أعمال السابقين.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤالا حول طبيعة الجدل

الديني، فالمحاجة في الله لا تكون بالعصبية أو الانتماء، بل بالحجة والبرهان، والآية تدعو إلى تجاوز الجدل العقيم إلى التسليم بالحقيقة المشتركة، وهي ربوبية الله للجميع، وهذا يلتقي مع فكرة الحقيقة الكلية التي تتجاوز الفروق الجزئية.

ب. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يقرر مبدأ المسؤولية الفردية، وهو مبدأ فلسفي عميق، فكل إنسان مسؤول عن أفعاله، ولا يمكن تحميل أحد وزر غيره، وهذا يلتقي مع المبدأ الكانطي في الأخلاق الذي يجعل الإنسان غاية في ذاته، ومسؤولا عن أفعاله أمام ضميره.

ج. قوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ يطرح إشكالا معرفيا حول حدود العقل البشري، فالعقل مهما بلغ لا يحيط بكل شيء، وهناك ما هو أعلم منه، وهذه إشارة إلى أن المعرفة الإنسانية نسبية ومحدودة، وأن هناك معرفة مطلقة عند الله، وهذا يلتقي مع نقد العقل التجريبي عند الفلاسفة المحدثين.

د. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يثير عند الفيلسوف قضية أخلاقية معرفية، وهي أن كتم الحقيقة التي يعرفها الإنسان جريمة أخلاقية، فمن عرف الحق وعلمه ثم كتمه فهو ظالم، وهذا يلتقي مع مبدأ الصدق الفكري الذي يرفض الخداع والتضليل.

هـ. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يقرر مبدأ تاريخيا فلسفيا، وهو أن الأمم السابقة لا تتحمل مسؤولية أعمالنا، ولا نحن نتحمل مسؤولية أعمالهم، فلكل عصر حكمه، ولكل جيل مسؤوليته، وهذا يلتقي مع فلسفة التاريخ التي ترى أن كل عصر له ظروفه الخاصة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يقرر مبدأ أخلاقيا أساسيا، وهو أن كل إنسان يجازى بعمله، لا بانتسابه أو بنسبه، فالقيمة الأخلاقية للفعل هي في ذات الفعل، لا في فاعله، وهذه إشارة إلى أن الأخلاق تقوم على العدل والإنصاف، لا على المحاباة والمجاملات.

ب. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ يبين أن الإخلاص هو أساس الأخلاق الفاضلة، فالفعل الأخلاقي الحقيقي هو ما كان خالصا لله، لا ما كان رياء أو سمعة، وهذه إشارة إلى أن النية هي معيار القيمة الأخلاقية للفعل، وأن الأخلاق لا تقوم على الظاهر فقط، بل على الباطن أيضا.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعد كتمان الحق من أعظم الرذائل الأخلاقية،

فمن يعرف الحق ولا يشهد به فهو ظالم، وهذه إشارة إلى أن الشجاعة الأخلاقية في قول الحق ولو كان مرا، وأن الجبن عن قول الحق من كبائر الذنوب.

د. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يقرر أن الأخلاق لا تورث، فليس لأحد أن يفخر بأخلاق أسلافه، ولا أن يحتقر غيره بأخلاق أجداده، فلكل امرئ ما كسب، وهذه إشارة إلى أن الأخلاق فعل وليست نسبا، وأن كل إنسان مطالب ببناء أخلاقه بنفسه.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الصراعات الدينية بين الجماعات كثيرا ما تقوم على ادعاءات الانتماء الحصري لله، وهذه الآية تقدم نموذجا للحوار العقلاني الذي يتجاوز العصبية، فالله رب الجميع، ولا اختصاص لأمة به دون أخرى، وهذا يقلل من حدة الصراعات الطائفية.

ب. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يشير إلى أن المجتمعات لا تقوم على التوارث في الحسنات أو السيئات، بل كل جيل يبني مجتمعه بأعماله، وهذه إشارة إلى أن التقدم الاجتماعي لا يأتي بالانتساب للماضي، بل بالعمل في الحاضر، وأن كل مجتمع مسؤول عن واقعه.

ج. قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يبين أن المجتمعات كثيرا ما تحاول إعادة قراءة التاريخ وفق مصالحها، وتحريف الحقائق لتوافق أهواءها، وهذه إشارة إلى أن الوعي التاريخي الزائف هو أحد أدوات السيطرة الاجتماعية، وأن إعادة بناء التاريخ على الحقيقة ضرورة لبناء مجتمع سليم.

د. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾ يشير إلى أن كتم الحقائق في المجتمعات يؤدي إلى فسادها، فالمجتمع الذي يكتم أفراده الحقائق التي يعرفونها مجتمع ظالم، وهذه إشارة إلى أن الشفافية والصدق هما أساس بناء المجتمعات السليمة، وأن كتمان العلم والمعرفة جريمة اجتماعية.

هـ. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يقرر أن المجتمعات لا تتحمل وزر أسلافها، ولا تكتسب فضلهم، فلكل جيل مسؤوليته، وهذه إشارة إلى أن النظرة الاجتماعية يجب أن تكون واقعية، لا أسطورية، وأن كل جيل مطالب ببناء واقعه، لا بالعيش على أمجاد الماضي أو آلامه.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الحوار بين الأمم والدول يجب أن يقوم على الاعتراف بالمشترك الإنساني، لا على ادعاءات التفوق، فالله رب الجميع، وهذه إشارة إلى أن العلاقات الدولية العادلة تقوم على المساواة والاعتراف بالآخر، لا على الهيمنة والاستعلاء.

ب. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يقرر مبدأ الاستقلال السياسي، فلكل أمة أعمالها ومسؤولياتها، ولا يجوز لأمة أن تتحمل عن أخرى، ولا أن تفرض عليها وصايتها، وهذه إشارة إلى أن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول هو أساس العلاقات الدولية العادلة.

ج. قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يبين أن السياسات كثيرا ما تستخدم التاريخ لتبرير المطامع، فتحريف التاريخ واستغلاله لأغراض سياسية من أخطر الأدوات التي تستخدمها الدول، وهذه إشارة إلى أن السياسة العادلة لا تقوم على تزييف التاريخ، بل على الحقائق.

د. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن كتم الحقائق السياسية عن الشعوب من أعظم الظلم، فالحاكم الذي يكتم عن شعبه الحقيقة ظالم، وهذه إشارة إلى أن الشفافية السياسية وحق الشعوب في معرفة الحقيقة هما أساس الحكم العادل.

هـ. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يقرر أن الدول لا تتحمل مسؤولية أعمال الدول السابقة، فلكل دولة مسؤوليتها عن أعمالها، وهذه إشارة إلى أن العدالة السياسية تقتضي ألا تحاسب الأجيال الحالية على جرائم الأجيال السابقة، وأن كل دولة مسؤولة عن سياساتها الحالية.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يقرر مبدأ إداريا مهما، وهو أن كل فرد في المنظمة مسؤول عن عمله، ولا يمكن تحميل أحد مسؤولية عمل غيره، وهذه إشارة إلى أن نظام المساءلة الفردية هو أساس الإدارة الفعالة، وأن نجاح المنظمة يعتمد على وضوح المسؤوليات.

ب. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ يشير إلى أن الإخلاص في العمل هو أساس التميز، فالموظف المخلص لا يحتاج إلى رقابة خارجية، لأنه يراقب نفسه، وهذه إشارة إلى أن الإدارة الحديثة تسعى إلى بناء

ثقافة الإخلاص والانتماء لدى الموظفين، بدلا من الاعتماد على الرقابة الصارمة.

ج. قوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن المعرفة الحقيقية ليست عند أصحاب المناصب وحدهم، بل هناك من هو أعلم منهم، وهذه إشارة إلى أن القرارات الإدارية يجب أن تستند إلى العلم والخبرة، لا إلى المنصب والسلطة، وأن الاستشارة وأخذ رأي الخبراء أساس الإدارة الناجحة.

د. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن كتم المعلومات في المنظمات من أعظم الظلم، فالموظف الذي يعرف معلومة مهمة ويخفيها عن زملائه أو رؤسائه يضر بالمنظمة، وهذه إشارة إلى أن الشفافية وتبادل المعلومات هما أساس نجاح العمل المؤسسي.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن الأديان والمذاهب كثيرا ما تحاول إعادة قراءة التاريخ وفق مصالحها، وأن اليهودية والنصرانية حاولتا انتساب الأنبياء إليهما، وهذه إشارة إلى أن التاريخ الديني كثيرا ما يتعرض للتحريف والتزييف، وأن عمل المؤرخ هو كشف الحقائق من بين الروايات المحرفة.

ب. قوله: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ يوجه المؤرخ إلى أن المصدر الأعلى للمعرفة التاريخية هو الله، وأن الروايات البشرية مهما بلغت من الدقة تبقى ناقصة، وهذه إشارة إلى أن المنهج التاريخي يجب أن يستند إلى المصادر الموثوقة، وأن النقد التاريخي ضروري لتمييز الصحيح من السقيم.

ج. قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يقرر مبدأ تاريخيا مهما، وهو أن الأمم السابقة لا تتحمل مسؤولية أعمالنا، ولا نحن نتحمل مسؤولية أعمالهم، وهذه إشارة إلى أن التاريخ لا يفرض على الحاضر، بل كل عصر له ظروفه ومسؤولياته، وأن الاستفادة من التاريخ تكون بالعبرة لا بالتبعية.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ يخفف من حدة الصراعات النفسية الناتجة عن التعصب، فالإيمان بأن الله رب الجميع يقلل من العدوانية والعصبية، وهذه إشارة إلى أن التسامح الديني أساس الصحة النفسية، وأن التعصب المقيت يولد القلق والاضطراب.

ب. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يريح النفس من عبء تحمل مسؤولية أعمال الآخرين، فكل إنسان مسؤول عن عمله فقط، وهذه إشارة إلى أن الشعور بالمسؤولية الفردية يقلل من القلق الناتج عن محاولة التحكم في الآخرين أو تحمل أعبائهم.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ يشير إلى أن الإخلاص يمنح الإنسان راحة نفسية، لأنه يحرره من الرياء والتصنع، وهذه إشارة إلى أن الصدق مع النفس ومع الله أساس الطمأنينة النفسية، وأن الرياء والنفاق يولدان القلق والتوتر.

د. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن كتمان الحقائق التي يعرفها الإنسان يسبب له اضطرابات نفسية، فالشعور بالذنب الناتج عن كتمان الحقيقة من أشد الضغوط النفسية، وهذه إشارة إلى أن الصدق وقول الحق أساس الصحة النفسية، وأن كتمان الحقيقة يولد القلق والاكتئاب.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يقرر مبدأ اقتصاديا مهما، وهو أن كل إنسان يجازى بعمله، لا بانتسابه أو بتراثه، وهذه إشارة إلى أن الاقتصاد العادل يقوم على الجدارة والكفاءة، لا على المحسوبية والوراثة، وأن السوق العادلة هي التي تكافئ العمل والإنتاج.

ب. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ يشير إلى أن الإخلاص في العمل الاقتصادي أساس البركة، فالتاجر المخلص لا يغش ولا يحتكر، وهذه إشارة إلى أن الأخلاق الاقتصادية هي أساس نجاح السوق، وأن الغش والاحتكار يفسدان الاقتصاد ويضران بالمجتمع.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن كتم المعلومات الاقتصادية عن الناس من أعظم الظلم، فمن يعرف حقيقة سلعة أو معاملة ويخفيها فهو ظالم، وهذه إشارة إلى أن الشفافية في المعاملات الاقتصادية أساس العدالة، وأن إخفاء المعلومات يضر بالسوق والمستهلكين.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية على الحوار العقلاني أساس بناء الشخصية السوية، فالمتعلم يجب أن يتعلم كيف يحاور بالحجة والبرهان، لا بالعصبية والانفعال، وهذه إشارة إلى أن التربية الإسلامية تهدف إلى بناء إنسان قادر على الحوار الهادئ البناء.

ب. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يربي المربي في نفوس تلاميذه مبدأ المسؤولية الفردية، فكل إنسان مسؤول عن عمله، ولا ينفعه عمل غيره، وهذه إشارة إلى أن التربية يجب أن تركز على بناء الشخصية المسؤولة، لا على الاتكالية والاعتماد على الآخرين.

ج. قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ يربي المربي في نفوس تلاميذه قيمة الإخلاص، فالعمل الخالص لله هو الذي يبقى وينفع، وهذه إشارة إلى أن التربية يجب أن تركز على تنمية النية الصادقة والإخلاص في العمل، لا على المظاهر والرياء.

د. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يربي المربي في نفوس تلاميذه قيمة الشجاعة في قول الحق، فمن يعرف الحق ولا يقوله فهو ظالم، وهذه إشارة إلى أن التربية يجب أن تشجع على قول الحق ولو كان مرا، وأن تربية الجبناء الذين يخافون قول الحق من أسوأ ما يمكن أن تقدمه التربية للمجتمع.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ يذكر القاضي بأن العدالة لا تقوم على العصبية أو الانتماء، فالله رب الجميع، والقاضي يجب أن يكون عادلا مع الجميع، مسلما كان أو غير مسلم، وهذه إشارة إلى أن العدالة في الإسلام لا تعرف التمييز بين الناس.

ب. قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يقرر مبدأ القضاء العادل، وهو أن كل إنسان يجازى بعمله، لا بانتسابه أو بنسبه، وهذه إشارة إلى أن القاضي يجب أن يحكم بالحق، لا بالاعتبارات الشخصية أو العائلية.

ج. قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يلفت نظر القاضي إلى أن كتم الشهادة من أعظم الذنوب، فمن يعرف الحق ويخفيه فهو ظالم، وهذه إشارة إلى أن الشهادة بالحق واجب شرعي، وأن كتمانها جريمة يعاقب عليها الله، والقاضي يجب أن يشجع على إقامة الشهادة بالحق.

٦٠. تحويل القبلة واختبار الإيمان وجعل الأمة وسطا:

المقطع [٦٠] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا

﴿لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٢-١٤٣]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يشير إلى أن أهل الباطل لا يتركون وسيلة للطعن في شرع الله، وأن كل تغيير إلهي يقابل بالتشكيك والاستهزاء من السفهاء، وهو ما يثبت أن الإيمان الحق لا يخلو من معارضة، وأن ثبات المؤمن على دينه هو الاختبار الحقيقي لعقيدته.

ب. قوله: ﴿قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يقرر أن الجهات كلها ملك لله، وأن القبلة ليست ذاتية في مكان بعينه، بل هي تعبد محض، فالمشرق والمغرب كلاهما لله، وهذا يقطع الطريق على من يظن أن التوجه لجهة معينة ينافي التوحيد، فالعبادة لله وحده لا للجهة.

ج. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يفيد أن الأمة الإسلامية هي أمة الخيار والعدل والشهادة، وأن الله اختارها لتكون شاهدة على الأمم، وهذا يقتضي أن تكون عقيدتها قائمة على التوازن بين الإفراط والتفريط، وبين المادية والروحانية، وبين العقل والنقل.

د. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يشير إلى أن الله يعلم الغيب قبل وقوعه، لكنه يريد إظهار هذا العلم للخلق ليقيم الحجة عليهم، فالابتلاء بالتحويل كان تمييزا للمؤمنين الصادقين من المنافقين المرتابين، وهذا يثبت أن الابتلاءات سنة إلهية لتمييز الخبيث من الطيب.

هـ. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ يبين أن الهداية الإلهية هي التي تجعل الطاعات سهلة يسيرة على القلوب، وأن من هداه الله يجد في الامتثال لأمره لذة وسكينة، حتى لو خالف ما اعتاده الناس، فالهداية ليست مجرد علم بل هي توفيق وإعانة.

و. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يقرر أن الله لا يضيع أعمال المؤمنين السابقة، وأن الصلاة التي صليت إلى بيت المقدس قبل التحويل مقبولة ومثاب عليها، وهذا يثبت أن النسخ في الشرع لا يبطل الأجر السابق، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يختم المقطع بتقرير صفة الرحمة والرأفة الإلهية، وأن الله

في تشريعه وتحويله للقبلة لم يكن ليشق على عباده، بل كان رحيما بهم، وهذا يثبت أن الشريعة كلها مبنية على الرحمة لا على المشقة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يشير إلى أن العبد الصادق لا يتقيد بجهة في توجهه إلى الله، بل يرى الله في كل مكان، وأن القلب إذا صفا وخلص رأى أن الوجود كله قبلة، وأن الله أقرب إليه من حبل الوريد، وهذا هو مقام الشهود الذي يتجاوز فيه الصوفي حدود الجهات والأماكن.

ب. قوله: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الهداية الحقيقية هي هداية القلب إلى الله، وأن الصراط المستقيم ليس مجرد طريق ظاهري، بل هو طريق القلب إلى الحضرة الإلهية، وهو لا يتحقق إلا بفيض إلهي وهداية خاصة.

ج. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يرى فيه الصوفي أن الوسطية هي مقام التوازن بين الشريعة والحقيقة، وبين الظاهر والباطن، وبين الخوف والرجاء، فالصوفي الحق هو الذي يجمع بين مقامات العبودية كلها دون إفراط أو تفريط، وهذا هو مقام القطب الجامع.

د. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن الشهادة على الناس لا تكون باللسان فقط، بل بالحال والقدوة، فالصوفي الذي ارتقى في مقامات الإحسان يكون شاهدا على الناس بحاله قبل مقاله، لأنه يرى بعين البصيرة ما لا يراه غيره.

هـ. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يجد فيه الصوفي أن الابتلاء بتحويل القبلة هو اختبار للصدق في الاتباع، وأن الاتباع الحقيقي للرسول هو اتباع القلب لا الجسد فقط، فالقلب الذي يتقلب مع تغير الأحكام هو قلب غير ثابت، أما القلب الثابت فهو الذي يرى في كل أمر إلهي حكمة.

و. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يشير إلى أن الأعمال الصعبة تهون على من ذاق حلاوة الهداية، وأن الصوفي الذي وصل إلى مقام الذوق والوجد يجد في الامتثال لأوامر الله لذة لا يجدها غيره، فالمشقة تتحول إلى أنس عند أهل القرب.

ز. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يجد فيه الصوفي بشارة بأن الأعمال القلبية لا تضيع عند

الله، وأن الإيمان الذي كان في القلوب قبل التحويل محفوظ عند الله، وهذا يثبت أن الأعمال الظاهرة إنما قيمتها بما في القلوب من إخلاص وصدق.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة التغير والثبات في الشريعة، فالفيلسوف يتساءل: كيف يمكن أن يكون التشريع الإلهي متغيرا؟ والجواب في الآية أن التغير في الفروع لا ينافي الثبات في الأصول، وأن الحكمة الإلهية تقتضي مراعاة المصالح المتغيرة في الزمان والمكان.

ب. قوله: ﴿قُلْ للهِّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يقرر الفيلسوف أن المكان والجهات أمور نسبية لا مطلقة، وأن العبادة لا تتعلق بذات المكان بل بأمر الله، وهذا يفتح باب التأمل في علاقة المطلق بالمقيد، وأن الإله المطلق لا يحده مكان ولا جهة.

ج. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى نظرية الأخلاق الوسطية التي نادى بها أرسطو وغيره من الفلاسفة، فالأمة الوسط هي التي تجمع بين طرفي الإفراط والتفريط، وهذا هو منهج الحكمة الذي يبحث عنه الفلاسفة في كل زمان.

د. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة المعرفة والشهادة، فكيف تكون أمة شاهدة على الناس؟ وهل الشهادة تكون بالعلم أم بالعمل؟ والفيلسوف يرى أن الشهادة الحقة تكون بالجمع بين العلم النظري والعمل العملي، وهذا هو الكمال الإنساني الذي تتطلع إليه الفلسفة.

هـ. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول العلم الإلهي والاختبار، فكيف يختبر الله من يعلمهم؟ والجواب أن الاختبار ليس لكشف المجهول عند الله، بل لإقامة الحجة على الخلق، وتحقيق التمييز في الواقع العملي، وهذا يلتقي مع فلسفة الحرية والمسؤولية الأخلاقية.

و. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُّ﴾ يشير إلى أن المعرفة النظرية وحدها لا تكفي لتحقيق الفعل الأخلاقي، بل تحتاج إلى إرادة وهداية، وهذا يلتقي مع فلسفة الأخلاق التي ترى أن الفضيلة تحتاج إلى تدريب وملكة، وليست مجرد معرفة عقلية.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن النظام الأخلاقي في الإسلام ليس نظاما جافا قائما على التكليف المجرد، بل هو نظام يقوم على الرحمة والمحبة، وهذا يلتقي مع فلسفة الأخلاق التي ترى أن العاطفة جزء أساسي من الفعل الأخلاقي.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن صاحب المبدأ الحق لا بد أن يواجه اعتراضات السفهاء، وأن الثبات على المبدأ رغم المعارضة هو من أسمى القيم الأخلاقية، فالاستقامة لا تعني الخلو من المعارضين، بل تعني الثبات رغمهم.

ب. قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يشير إلى أن الأخلاق الإسلامية ليست مرتبطة بمكان أو زمان أو عرف معين، بل هي مطلقة مستمدة من الله، فالخير ليس خيرا لأنه موافق لعرف، بل لأنه أمر الله، وهذا يمنح الأخلاق أساسا متعاليا لا يتغير بتغير الأعراف.

ج. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الوسطية هي جوهر الفضائل الأخلاقية، فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والكرم وسط بين البخل والتبذير، وهكذا، والأمة الوسط هي التي تتحلى بهذه الفضائل المتوازنة.

د. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يعني أن الأمة المسلمة مطالبة بأن تكون قدوة أخلاقية للعالم، وأن تكون شهادتها على الناس بشهادة أعمالها قبل أقوالها، فالأخلاق الإسلامية ليست نظرية تلقن، بل هي سلوك يشهد به الواقع.

هـ. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يشير إلى أن الطاعة لله في تغيير الأحكام هي اختبار للخلق الأخلاقي، فالمؤمن الحق هو الذي يطيع الله في السراء والضراء، وفي ما يوافق هواه وما يخالفه، وهذا هو جوهر التسليم الأخلاقي.

و. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني أن الأخلاق الفاضلة تحتاج إلى توفيق إلهي، وأن من هداه الله يجد الطاعة سهلة يسيرة، وهذا يذكر عالم الأخلاق بأن الفضيلة ليست مجرد جهد بشري، بل هي هبة إلهية لمن سعى إليها.

ز. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يطمئن عالم الأخلاق بأن الأعمال الصالحة السابقة لا

تضيع، وأن الله لا يظلم أحدا، وهذا يعزز الثقة بالعدالة الإلهية التي هي أساس الضمير الأخلاقي.

ح. قوله: ﴿إِنَّ اللهَّ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يذكر عالم الأخلاق بأن الرحمة هي أساس التعامل مع الناس، وأن الشريعة كلها مبنية على الرحمة، فلا ينبغي للمسلم أن يكون قاسيا في أحكامه أو معاملاته، بل يتحلى بالرأفة والرحمة كما وصف الله بها نفسه.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن أي تغيير اجتماعي كبير يواجه بمقاومة من بعض الفئات، وأن السفهاء في كل مجتمع هم الذين يعترضون على التغييرات دون فهم لحكمتها، وهذا يفسر ظاهرة المقاومة الاجتماعية للتغيير.

ب. قوله: ﴿قُلْ للهَّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يشير إلى أن الهوية الاجتماعية للأمة لا تقوم على الجغرافيا أو الجهات، بل على العقيدة والانتماء لله، فالمسلمون في كل مكان هم أمة واحدة، وهذا يلغي العصبية الجغرافية والقبلية التي تمزق المجتمعات.

ج. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن المجتمعات المستقرة هي التي تقوم على التوازن والاعتدال، وأن التطرف بجميع أشكاله هو سبب التفكك الاجتماعي، فالأمة الوسط هي التي تحافظ على تماسكها الاجتماعي.

د. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يعني أن المجتمعات الإسلامية مطالبة بأن تكون نموذجا اجتماعيا يحتذى به، وأن تكون شهادتها على المجتمعات الأخرى بشهادة واقعها الاجتماعي العادل والمتوازن، وهذا يضعها تحت المجهر الاجتماعي.

هـ. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يشير إلى أن التغييرات الاجتماعية الكبرى تكشف ولاءات الناس الحقيقية، وأن الأزمات والتحولات هي التي تميز المخلصين من المنافقين في المجتمع، وهذا من سنن الله في التمييز الاجتماعي.

و. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُّ﴾ يبين أن استجابة المجتمع للتغييرات الإلهية تتوقف على مستوى الهداية والإيمان في نفوس أفراده، فالمجتمع المؤمن يتقبل التغيير بسهولة، بينما المجتمع الضعيف الإيمان يقاومه.

ز. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يطمئن عالم الاجتماع بأن التغييرات الاجتماعية لا تلغي الماضي ولا تهدره، بل تبني عليه، وأن الهوية الاجتماعية للأمة مستمرة عبر التحولات، فلا خوف من ضياع المكاسب السابقة.

ح. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن الرحمة هي أساس العلاقات الاجتماعية في الإسلام، وأن التشريعات الاجتماعية كلها مبنية على رعاية مصالح الناس ودفع المضار عنهم.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن القرارات السياسية الكبرى تواجه دائما بمعارضة من بعض الفئات، وأن على القائد الحكيم أن يتجاوز هذه المعارضة إذا كان قراره مستندا إلى وحي إلهي أو مصلحة عامة، وأن لا يلتفت إلى أصوات السفهاء.

ب. قوله: ﴿قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني أن الدولة الإسلامية ليست مرتبطة بأرض معينة أو إقليم محدد، بل هي دولة عقيدة تمتد حيثما وجد المسلمون، وهذا يمنحها مرونة سياسية وجغرافية كبيرة، ويحررها من العصبية الإقليمية.

ج. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يجد فيه عالم السياسة أن السياسة الإسلامية تقوم على التوازن بين القوة والرحمة، وبين الشدة واللين، وبين الفرد والجماعة، وهذا هو منهج الوسطية الذي يضمن استقرار الدولة وعدالتها.

د. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يعني أن الدولة الإسلامية لها رسالة عالمية، وأنها شاهدة على الأمم في عدالتها وسياستها، وهذا يضعها في موقع المسؤولية الأخلاقية تجاه البشرية، ويجعل سياستها الخارجية قائمة على الشهادة لا على المصالح الضيقة.

هـ. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يشير إلى أن القرارات السياسية الكبرى تكون اختبارا لولاء الشعب لقيادته، وأن التحولات السياسية تكشف حقيقة الموالين والمعارضين، وهذا يقتضي من القائد أن يكون مستعدا لهذه الاختبارات.

و. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ يعني أن القرارات السياسية الصعبة تحتاج

إلى إيمان عميق بالقيادة وبالرسالة، وأن من هداه الله يجد في تنفيذ هذه القرارات سهولة، بينما يجدها الآخرون ثقيلة، وهذا يفسر تفاوت استجابة الشعوب للقرارات السياسية.

ز. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يطمئن عالم السياسة بأن الله لا يضيع جهود القادة السابقين، وأن التحولات السياسية لا تلغي المكاسب السابقة، بل تبني عليها، وهذا يعطي القادة ثقة في استمرارية العمل السياسي.

ح. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يذكر عالم السياسة بأن السياسة الإسلامية يجب أن تكون مبنية على الرحمة بالناس، لا على القسوة والاستبداد، وأن القائد الرحيم هو الذي يضع مصالح الناس نصب عينيه.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن المرونة في تغيير الخطط والاستراتيجيات مطلوبة، وأن التمسك بالخطط القديمة لمجرد الألفة ليس من الحكمة، فالمنظمة الناجحة هي التي تستطيع تغيير اتجاهاتها عندما تتغير الظروف.

ب. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة هي التي تقوم على التوازن بين الأهداف المختلفة، وبين مصالح العاملين ومصالح المنظمة، وبين الربح والمسؤولية الاجتماعية، فالوسطية في الإدارة هي مفتاح الاستدامة.

ج. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يعني أن المنظمة الناجحة تكون قدوة لغيرها، وأنها مطالبة بأن تكون شاهدا على غيرها من المنظمات بأدائها وأخلاقها، وهذا يضعها تحت مسؤولية التميز والقدوة.

د. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يشير إلى أن التغييرات الإدارية الكبرى تكشف ولاء العاملين وصدقهم، وأن من يتبع القيادة في التغيير هو المخلص، بينما الذي ينقلب على عقبيه هو غير المخلص، وهذا يقتضي من الإدارة أن تكون مستعدة لهذه الاختبارات.

هـ. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني أن التغييرات الإدارية الصعبة تحتاج

إلى قناعة وهداية داخلية، فالعامل الذي يقتنع برؤية القيادة يجد التغيير سهلا، بينما الذي لا يقتنع يجد صعوبة في التأقلم، وهذا يقتضي من الإدارة أن تعمل على بناء القناعة قبل إحداث التغيير.

و. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يطمئن عالم الإدارة بأن الجهود السابقة لا تضيع، وأن التغييرات التنظيمية لا تلغي المكاسب السابقة، بل تبني عليها، وهذا يعزز ثقة العاملين بأن عملهم السابق محفوظ ومثاب عليه.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الإدارة الناجحة هي التي تتعامل مع العاملين برحمة ورأفة، لا بالقسوة والتسلط، وأن مراعاة مشاعر العاملين وظروفهم هو أساس الولاء والإنتاجية.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يجد فيه المؤرخ أن كل حدث تاريخي كبير واجه معارضة من بعض الفئات، وأن هذه المعارضة كانت دائما من السفهاء الذين لا يفهمون الحكمة من الأحداث، وهذا يفسر طبيعة الصراع التاريخي بين الحق والباطل.

ب. قوله: ﴿قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يشير إلى أن تحويل القبلة كان حدثا تاريخيا فاصلا في بناء الهوية الإسلامية المستقلة، وأنه كان إعلانا لاستقلال الأمة الإسلامية عن التبعية الجغرافية والدينية لغيرها، وهذا يعد منعطفا تاريخيا مهما.

ج. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يجد فيه المؤرخ أن الأمة الإسلامية كانت أمة وسطا بين الأمم في كل شيء، في موقعها الجغرافي، وفي منهجها، وفي رسالتها، وهذا الوسطية كان سببا في تميزها الحضاري عبر التاريخ.

د. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يعني أن الأمة الإسلامية كانت شاهدة على الأمم في كل العصور، وأن تاريخها يشهد على صدق رسالتها، وأنها ستشهد على الأمم يوم القيامة، وهذا يضع التاريخ الإسلامي في موقع المسؤولية الشهادية.

هـ. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يبين للمؤرخ أن الأحداث التاريخية الكبرى كانت اختبارات كشفت حقائق الناس، وأن تحويل القبلة كان

اختبارا كشف المنافقين من المؤمنين، وهذا يفسر لنا كثيرا من المواقف التاريخية للأفراد والجماعات.

و. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يفسر للمؤرخ تفاوت استجابة الناس للأحداث التاريخية، فمن هداه الله تقبل التحولات بسهولة، ومن لم يهده الله وجدها ثقيلة، وهذا يفسر اختلاف المواقف التاريخية للأفراد تجاه الأحداث الكبرى.

ز. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يطمئن المؤرخ بأن الله لا يضيع جهود الأمم السابقة، وأن التاريخ الإسلامي كله محفوظ عند الله، وأن ما سبق من أعمال الأمة قبل التحولات لن يضيع، وهذا يعطي قراءة تاريخية متفائلة.

ح. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يذكر المؤرخ بأن العناية الإلهية كانت ترافق الأمة في تاريخها، وأن الله كان رحيما بها في كل تحولاتها، وهذا يفسر نجاة الأمة من كثير من المحن التاريخية.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن المعارضة الاجتماعية للتغيير تسبب ضغوطا نفسية على القائد وعلى أتباعه، وأن الاستعداد النفسي لمواجهة هذه المعارضة ضروري للحفاظ على الصحة النفسية، فمن يتوقع المعارضة لا يصاب بالصدمة النفسية عند حدوثها.

ب. قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يشير إلى أن المرونة النفسية هي مفتاح الصحة النفسية، فالإنسان الذي يتقبل التغيير ويتكيف معه يكون أكثر صحة نفسية ممن يتمسك بالقديم لمجرد الألفة، والآية تدعو إلى هذه المرونة.

ج. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الصحة النفسية تقوم على التوازن والاعتدال، فالتطرف في أي اتجاه يؤدي إلى اضطرابات نفسية، والوسطية هي منهج الصحة النفسية في الإسلام.

د. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يعني أن الشعور بالرسالة والهدف يمنح الإنسان صحة نفسية، فالإنسان الذي يعيش لهدف أسمى يكون أكثر توازنا نفسيا ممن يعيش بلا هدف، والشهادة على الناس تعطي الأمة إحساسا بالمعنى والرسالة.

هـ. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾

يشير إلى أن الاختبارات والابتلاءات تكشف حقيقة الشخصية النفسية، وأن الانقلاب على العقبين هو سلوك نفسي يعبر عن عدم الثبات والاتزان، بينما الاتباع الثابت يعبر عن نضج نفسي.

و. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الهداية الإلهية تمنح الإنسان طاقة نفسية تجعل الصعاب سهلة، وأن الإيمان يخفف من حدة الضغوط النفسية، فالذين هداهم الله يتحملون المشاق دون أن يصابوا بالانهيار النفسي.

ز. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يطمئن الطبيب النفسي بأن الإيمان يمنح الإنسان شعورا بالأمان النفسي، فمن يعلم أن الله لا يضيع عمله يشعر بالطمأنينة والرضا، وهذا يقلل من القلق والاكتئاب.

ح. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يذكر الطبيب النفسي بأن الإيمان برحمة الله هو علاج للقلق واليأس، فمن يعلم أن الله رءوف رحيم به يشعر بالأمان النفسي، وهذا يقلل من الاضطرابات النفسية المرتبطة بالخوف واليأس.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن الموارد الاقتصادية ليست مرتبطة بجهة أو إقليم معين، بل هي موزعة في كل الأرض، وأن الله هو المالك الحقيقي لها جميعا، وهذا يفتح باب الاستثمار في كل مكان دون تحيز جغرافي.

ب. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على التوازن بين الإنفاق والادخار، وبين الإنتاج والاستهلاك، وبين الفردية والجماعية، فالوسطية الاقتصادية هي التي تضمن الاستدامة والعدالة.

ج. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يعني أن الأمة الإسلامية مطالبة بأن تكون شاهدة على الأمم في عدالتها الاقتصادية، وأن تكون نموذجا في توزيع الثروة ومكافحة الفقر، وهذا يضعها تحت مسؤولية اقتصادية أخلاقية.

د. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يشير إلى أن التحولات الاقتصادية الكبرى تكشف ولاء الناس وصدقهم، وأن من يتبع القيادة في

التحولات الاقتصادية هو المخلص، بينما الذي ينقلب على عقبيه هو غير المخلص، وهذا يفسر سلوك المستثمرين في الأزمات الاقتصادية.

هـ. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني أن الإصلاحات الاقتصادية الصعبة تحتاج إلى قناعة وإيمان، فمن هداه الله يتقبل الإصلاحات الاقتصادية المؤلمة، بينما يجدها الآخرون ثقيلة، وهذا يفسر تفاوت استجابة المجتمعات للإصلاحات الاقتصادية.

و. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يطمئن عالم الاقتصاد بأن الله لا يضيع الجهود الاقتصادية السابقة، وأن التحولات الاقتصادية لا تلغي المكاسب السابقة، بل تبني عليها، وهذا يعطي الثقة للمستثمرين وأصحاب الأعمال.

ز. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن السياسات الاقتصادية يجب أن تكون مبنية على الرحمة بالناس، لا على الجشع والاستغلال، وأن الاقتصاد الإسلامي يقوم على مراعاة مصالح الناس جميعا، خاصة الفقراء والضعفاء.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يوجه المربي إلى أن المعلم الحق يواجه دائما اعتراضات الجاهلين والسفهاء، وأن عليه أن يثبت على منهجه التربوي رغم هذه الاعتراضات، وأن يعد طلابه لمواجهة هذه الاعتراضات في حياتهم.

ب. قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يشير إلى أن التربية الإسلامية ليست مرتبطة بمكان أو زمان، بل هي تربية عالمية شاملة، وأن المربي يجب أن يربي طلابه على رؤية واسعة تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية.

ج. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يجد فيه المربي أن التربية الإسلامية تقوم على الوسطية والاعتدال، وأن على المربي أن يربي طلابه على التوازن بين جميع جوانب شخصيتهم، الروحية والعقلية والجسدية، دون إفراط أو تفريط.

د. قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يشير إلى أن التربية ينبغي أن تهدف إلى إعداد الإنسان الشاهد، أي الذي يحمل رسالة الحق ويؤديها أمام غيره بالقول والعمل، وأن المربي الناجح لا يكتفي

بتكوين متعلّم يحفظ المعارف، بل يسعى إلى بناء شخصية رسالية تمتلك القدرة على الشهادة الحضارية بالأخلاق والسلوك قبل الكلام، وأن تربية المتعلم على تحمل مسؤولية الشهادة تنقله من الأنانية إلى العطاء، ومن التقليد إلى الاستقلال في الرأي، ومن الخمول إلى الفاعلية.

هـ. قوله: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يشير إلى أن التربية الصحيحة تحتاج إلى قدوة عليا يرجع إليها المتربي في مسيرته، فالرسول عليه السلام هو الشاهد على التربية الربانية، والمربي الذي يجعل من نفسه قدوة حسنة لطلبته يمنحهم نموذجا عمليا يقتدون به، وأن التربية التي لا تستند إلى قدوة تقتصر على النصح النظري المملوء بالكلام المجرد، وأعظم أثرا في نفس المتعلم أن يرى المبادئ مجسدة في سلوك مربيه وأستاذه.

و. قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ يشير إلى أن التربية تُعنى ببناء الثبات على المبدأ والولاء للقيادة الراشدة عند تغير التوجيهات والأوامر، فالمتعلم الذي تربى على طاعة معلمه لا لشخصه بل لصدقه وأهليته يبقى ثابتا حين تتغير التفاصيل، بينما المنافق أو المتردد ينقلب على عقبيه سريعا، وأن اختبارات الثبات التربوي تكشف الصادق في الاستجابة من المتلوّن، فالتغيير في الوسائل والأساليب التربوية سنة من سنن التعليم، والثبات على جوهر المبدأ هو ميزان التخرج الحقيقي.

ز. قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ يشير إلى أن الاستجابة للتغييرات التربوية الجديدة والتكيف مع المناهج المطوَّرة قد يبدو شاقا وثقيلا على بعض المتعلمين، وأن تيسر هذا التغيير على النفس لا يكون إلا بمن هداه الله وشرح صدره للحق، وأن المربي ينبغي أن يصبر على طلابه في مراحل التحول التربوي، وأن يدرك أن بعض النفوس تحتاج إلى تدرج في قبول الجديد، وأن مهمة المربي الحقيقية هي تسهيل الهداية بتهيئة النفوس لا بجعل التغيير غاية في ذاته.

ح. قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يشير إلى أن التربية ينبغي أن تعترف بما سبق أن بناه المتعلم من معارف وقيم وعادات صالحة، فلا تُهدر المجهودات السابقة عندما تتبدل بعض الوسائل أو الاجتهادات، وأن المربي الحكيم يقدّر إيمان الطلاب السابق وجهودهم الماضية ويبني عليها بدل أن يلغيها، وأن شعور المتعلم بأنه لم يضيّع شيئا مما تعلمه سابقا يزرع فيه الطمأنينة ويمنحه الثقة في الاستمرار، وأن

الأهداف التربوية الكبرى واحدة وإن تعددت المسالك إليها.

ط. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥)﴾ يشير إلى أن التربية الناجحة تقوم على الرحمة والرفق، وأن المربي مهما كان حازما في تطبيق المنهج ينبغي أن يظل رؤوفا بمن يربيهم، وأن الرحمة التربوية لا تناقض الجدية والانضباط، بل هما معا جناحان لا يطير المربي بدونهما، وأن استشعار المتربي لرأفة المربي ورحمته يجعل التوجيه التربوي أقرب إلى القبول وأبعد عن النفور، فالرحمة تفتح من القلوب ما لا تفتحه الشدة وحدها.

٦١. توجيه القبلة إلى المسجد الحرام وإبطال اتباع الأهواء:

المقطع [٦١] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٤-١٤٧]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يشير إلى أن الله تعالى يتولى بنفسه توجيه نبيه إلى ما يرضيه، وفيه إثبات لصفة الرضا لله تعالى، وأنه يختار لنبيه ما فيه خيره وسعادته، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأن النسخ جائز في الشرائع بإرادة الله وحكمته.

ب. قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يدل على أن أهل الكتاب كانوا يعلمون حقيقة تحويل القبلة من النصوص السابقة، وأن علمهم هذا حجة عليهم، وفيه إشارة إلى أن العلم بالحق لا ينفع صاحبه إذا لم يتبعه، وأن العناد والكتمان يوجب العقوبة، وهذا من أصول العقيدة في أن الهداية بيد الله، وأن العلم وحده ليس كافيا للنجاة.

ج. قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يبين أن الاختلاف بين أهل

الكتاب في القبلة دليل على تحريفهم وبعدهم عن الحق، وأن الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط التي لا تتبع أهواء أهل الكتاب، وفيه إشارة إلى أن الحق واحد لا يتعدد، وأن الاختلاف في الأصول دليل على الضلال.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يؤكد أن مصدر الحق هو الله وحده، وأن الشك في ما جاء به الوحي مذموم، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع عصمته نُهي عن الامتراء ليكون قدوة لأمته في اليقين، وفيه إشارة إلى أن اليقين من أعلى مقامات الإيمان، وأن الشك في الوحي يقدح في أصل الإيمان.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ يشير إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في حالة تطلع واشتياق إلى ما يرضي الله، وأن القلب الصادق لا يقر له قرار حتى يجد مراده في الله، وفيه إشارة إلى أن العبد الصادق يعيش بين الرجاء والطلب، وأن الله يرعى أحوال عبده ويستجيب لرغباته الخفية.

ب. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن التوجه إلى القبلة هو توجه القلب إلى الله، وأن استقبال المسجد الحرام هو استقبال لبيت الله الحرام الذي هو رمز القرب والوصال، وفيه إشارة إلى أن العبد يجب أن يوحد وجهته القلبية نحو الله وحده، كما يوحد وجهته الظاهرة نحو القبلة.

ج. قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ يدل على أن العبد في كل أحواله وأماكنه يجب أن يكون قلبه متوجها إلى الله، وأن القبلة الظاهرة تذكر القلب بالقبلة الباطنة، فكما أن الوجه يتجه نحو المسجد الحرام، فالقلب يجب أن يتجه نحو الله في كل لحظة.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن اليقين هو ثمرة المشاهدة والذوق، وأن من وصل إلى الله لا يشك في ما وصل إليه، فالامتراء من صفات أصحاب الحجاب، أما أهل الكشف فهم على يقين لا يتزعزع.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة النسخ في الشرائع، وهي من المباحث الفلسفية العميقة التي تتعلق بتغير الأحكام وثبات المبادئ، وفيه إشارة إلى أن الحكمة الإلهية

تقتضي مراعاة المصالح المتغيرة في الأحكام الفرعية، مع ثبات الأصول الكبرى.

ب. قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن المعرفة قد تكون حاصلة عند الإنسان ومع ذلك لا يتبعها، وهذا يكشف عن أن الإرادة الإنسانية ليست تابعة للعقل دائما، بل تتأثر بالهوى والمصالح، وهي إشارة إلى مبحث العلاقة بين العقل والإرادة في الفلسفة الأخلاقية.

ج. قوله: ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة التعددية والاختلاف، وأن الاختلاف في الشعائر والمناهج قد يكون دليلا على بعد الجماعات عن الحقيقة الواحدة، وفيه إشارة إلى أن الحقيقة لا تتعدد بتعدد الطرق إليها، وأن العقل الفلسفي يبحث عن الوحدة خلف الكثرة.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يقرر الفيلسوف أن اليقين هو غاية المعرفة، وأن الشك المنهجي الذي يمارسه الفيلسوف كطريقة للوصول إلى اليقين، يجب أن ينتهي عند ثبوت الحق، فلا يبقى الشك بعد وضوح الدليل، وإلا كان امتراء مذموما لا شكا منهجيا.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن الله تعالى راعى رضا نبيه وميله، وفيه إشارة إلى أن الأخلاق الفاضلة تقوم على مراعاة مشاعر الآخرين واحترام رغباتهم، وأن الله يربي نبيه على هذا الخلق ليكون قدوة لأمته.

ب. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يحذر من اتباع الهوى بعد وصول العلم، وفيه إشارة إلى أن الظلم الأخلاقي الأعظم هو أن يعرف الإنسان الحق ثم يتركه ليتابع أهواء الناس، وأن الاستقامة الأخلاقية تقتضي الثبات على الحق ولو خالف الجميع.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يصور حالة الكتمان والخيانة العلمية، وهي من أسوأ الصفات الأخلاقية، إذ أن كتمان الحق مع العلم به هو خيانة للأمانة العلمية والدينية، وفيه إشارة إلى أن العلم أمانة يجب أداؤها، وأن كتمانها من كبائر الذنوب الأخلاقية.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يوجه عالم الأخلاق إلى أن الثبات على الحق يحتاج إلى يقين يمنع التردد، وأن التردد والامتراء يضعف العزيمة ويجعل الإنسان عرضة للتأثر بالأهواء،

فالاستقامة الأخلاقية تحتاج إلى يقين راسخ.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ يشير إلى أن القبلة الموحدة هي عامل من عوامل توحيد الأمة وتماسكها، فكما أن الأفراد يتجهون في صلاتهم إلى جهة واحدة، فإن ذلك يخلق شعورا بالوحدة والانتماء، وفيه إشارة إلى أن الرموز المشتركة من أهم عوامل التماسك الاجتماعي.

ب. قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الجماعات الدينية قد تعرف الحق ولا تتبعه لأسباب اجتماعية كالتعصب والتمسك بالتقاليد، وفيه إشارة إلى أن العوامل الاجتماعية قد تكون أقوى من الدوافع المعرفية في توجيه سلوك الجماعات.

ج. قوله: ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يصور حالة التشرذم والاختلاف التي تعيشها الجماعات التي ابتعدت عن الحق، وفيه إشارة إلى أن الاختلاف في الرموز والشعائر يعكس اختلافا أعمق في العقائد والقيم، وأن المجتمعات المتفككة لا تجمعها رموز جامعة.

د. قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى أن كتمان الحق من قبل النخب الدينية والعلمية يؤدي إلى تضليل الجماهير وإبقائها في الجهل، وفيه إشارة إلى أن النخب تتحمل مسؤولية كبيرة في توجيه المجتمع، وأن خيانتها تؤدي إلى فساد اجتماعي واسع.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يجد فيه عالم السياسة أن القيادة الناجحة هي التي تستجيب لتطلعات الجماهير وتراعي مشاعرها، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتطلع إلى قبلة ترضي أمته، وفيه إشارة إلى أن الحاكم الرشيد هو الذي يلبي حاجات الناس المشروعة.

ب. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يحذر القائد من الانجراف وراء ضغوط الجماهير وأهوائها بعد أن تبين له الحق، وفيه إشارة إلى أن القيادة الرشيدة تقتضي الثبات على المبادئ وعدم المساومة عليها من أجل إرضاء الجماهير، وإلا كان ذلك ظلما للحق وللأمة.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يشير إلى أن بعض الخصوم

السياسيين يعرفون الحق ويجاهدون به، وفيه إشارة إلى أن المعارضة قد تكون مبنية على العناد والمصالح لا على الجهل، وأن على القائد أن يكون حذرا من خصوم يعرفون الحق ويكتمونه.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يعني أن القائد يجب أن يكون على يقين من صحة منهجه، وأن التردد والشك يضعفان هيبة القيادة ويجعلانها عرضة للابتزاز السياسي، فالثبات على الحق هو أساس القيادة القوية.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن الاستجابة لتطلعات العاملين وتحقيق رضاهم هو من أهم عوامل النجاح المؤسسي، وأن القائد الناجح هو الذي يضع أهدافا ترضي فريقه وتحفزه على العمل.

ب. قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ يشير إلى أهمية توحيد الوجهة والأهداف في المؤسسة، فكما أن الأمة تتجه إلى قبلة واحدة، فإن المؤسسة الناجحة تحتاج إلى رؤية موحدة يتجه إليها جميع العاملين، وهذا يخلق الانسجام والتكامل في العمل.

ج. قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يلفت نظر عالم الإدارة إلى أن التقليد الأعمى للمنافسين لا يؤدي إلى النجاح، وأن الاختلاف بين المنافسين أنفسهم دليل على عدم وجود نموذج واحد صالح للتقليد، فعلى المؤسسة أن تبتكر طريقها الخاص بدلا من اتباع الآخرين.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يعني أن القرارات الإدارية الحاسمة تحتاج إلى يقين وثقة، وأن التردد في اتخاذ القرارات يضعف المؤسسة ويجعلها تفقد فرصها، فالإدارة الناجحة هي التي تثق في قراراتها المبنية على أسس صحيحة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يجد فيه المؤرخ أن تحويل القبلة كان حدثا مفصليا في تاريخ الأمة الإسلامية، إذ أنه ميز الأمة المسلمة عن غيرها من الأمم، وأسس لهويتها المستقلة، وفيه إشارة إلى أن الأحداث الدينية الكبرى كانت محركات للتغيير التاريخي.

ب. قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن أهل

الكتاب كانوا يملكون من النصوص ما يدلهم على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهم كتموا ذلك، وفيه إشارة إلى أن التحريف والتغيير في الكتب السابقة كان له أثر كبير في مسار التاريخ الديني.

ج. قوله: ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يصور حالة الانقسام والصراع بين الفرق الدينية في التاريخ، وفيه إشارة إلى أن الاختلاف في الشعائر كان غالبا ما يرتبط بصراعات سياسية واجتماعية أوسع، وأن الأديان المحرفة عاشت في صراعات داخلية مستمرة.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يعني أن الثبات على الحق كان سببا في استمرار الأمة الإسلامية ونجاحها التاريخي، بينما كان تردد الأمم الأخرى وابتعادها عن الحق سببا في ضعفها وانحسارها.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الله تعالى يلاحظ حالة النبي النفسية من الترقب والانتظار، وفيه إشارة إلى أن الله يستجيب للحاجات النفسية للإنسان، وأن الشعور بأن الله يرعى أحوالك ويلبي رغباتك يمنح الطمأنينة والاستقرار النفسي.

ب. قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يشير إلى أن تحقيق الرضا النفسي هو من أهم عوامل الصحة النفسية، وأن استجابة الله لرغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حققت له الرضا والاطمئنان، وفيه إشارة إلى أن عدم تحقيق الرغبات المشروعة يسبب القلق والتوتر.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يحذر من اتباع الهوى، وفيه إشارة إلى أن الانقياد للأهواء والرغبات دون ضوابط يؤدي إلى اضطرابات نفسية، وأن الإنسان الذي يعرف الحق ويخالفه يعيش في صراع داخلي يسبب له القلق والذنب.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يعني أن اليقين وعدم التردد من عوامل الصحة النفسية، فالتردد والشك المستمر يسببان القلق والاضطراب، بينما اليقين والثقة يمنحان الإنسان استقرارا نفسيا وطمأنينة.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ يجد فيه المربي أن مراعاة ميول المتعلم ورغباته من أهم عوامل

نجاح العملية التربوية، وأن التربية الناجحة هي التي تأخذ بعين الاعتبار حاجات المتعلم وتطلعاته، كما راعى الله رغبة نبيه في القبلة.

ب. قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ يشير إلى أهمية توحيد الوجهة التربوية، فكما أن الأمة تتجه إلى قبلة واحدة، فإن المؤسسة التربوية تحتاج إلى أهداف موحدة يتجه إليها جميع المعلمين والطلاب، وهذا يخلق بيئة تعليمية منسجمة.

ج. قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يحذر المربي من كتمان العلم، وفيه إشارة إلى أن المعلم الذي يكتم العلم عن طلابه يخون الأمانة التربوية، وأن من واجبات المعلم نشر العلم وإيصاله للناس دون تحريف أو كتمان.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يعني أن المربي يجب أن يكون على يقين من صحة ما يعلمه، وأن التردد والشك في المنهج التربوي يضعف أثره في نفوس المتعلمين، فالمعلم الواثق من علمه هو الأكثر تأثيرا في طلابه.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يجد فيه القاضي أن العلم بالحق لا يكفي لاتباعه، وأن بعض الناس يعرفون الحق ويخالفونه، وفيه إشارة إلى أن القاضي يجب أن يحكم بالحق ولو خالف من يعلمون الحق ولا يتبعونه.

ب. قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يلفت نظر القاضي إلى أن اختلاف الخصوم لا يعني أن الحق متعدد، فكما أن أهل الكتاب اختلفوا في القبلة مع أن الحق واحد، فإن الخصوم في القضايا يختلفون مع أن الحق واحد، وعلى القاضي أن يبحث عن الحق الواحد لا أن يرضي جميع الأطراف.

ج. قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يحذر القاضي من اتباع أهواء الخصوم أو الضغوط الاجتماعية بعد أن تبين له الحق، وفيه إشارة إلى أن القاضي الذي يحكم بغير ما يعلمه حقا هو من الظالمين، وأن اتباع الهوى في الحكم من أعظم صور الظلم.

د. قوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يعني أن القاضي يجب أن يكون على يقين من

صحة حكمه، وأن التردد والشك في الأحكام يضعف الثقة بالعدالة، فالقاضي الواثق من حكمه المبني على الحق هو الذي يحقق العدالة في المجتمع.

٦٢. لكل أمة وجهة والدعوة إلى استباق الخيرات:

المقطع [٦٢] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٤٨-١٥٠]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يشير إلى أن اختلاف القبلة بين الأمم السابقة لم يكن عبثا، بل كان مشيئة إلهية اقتضت تنوع الشرائع في التوجهات الشعائرية، وأن الله هو الذي شرع لكل أمة وجهة تخصها، وهذا يقرر مبدأ أن العبادة لله وحده، وأن التوجه في الصلاة إنما هو امتثال لأمره لا تعبدا للجهة بذاتها.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يدل على أن التنوع في القبلات والشرائع لا يعني التنازع والافتراق، بل يعني التسابق إلى الطاعات، وأن وحدة الغاية وهي عبادة الله هي الجامعة رغم اختلاف الوسائل، وهذا يرسخ عقيدة أن الدين عند الله واحد في جوهره، وأن الخلاف في الفروع لا يقدح في أصل التوحيد.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ يقرر عقيدة البعث والجمع يوم القيامة، وأن الله قادر على جمع الناس من كل مكان وزمان، مهما اختلفت أمكنتهم وقبلاتهم، وهذا يربط الشعائر الظاهرة بالإيمان باليوم الآخر، فمن أطاع في التوجهات المأمورة كان جزاؤه الجمع الكريم.

د. قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يؤكد أن ما شرعه الله من تحويل القبلة هو الحق الثابت الذي لا شك فيه، وأنه نازل من عند الله لا من اجتهاد النبي أو هوى الأمة، وهذا يثبت عقيدة أن التشريع كله من

الله، وأن الوحي هو المصدر الوحيد للدين.

هـ. قوله: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقرر عقيدة الرقابة الإلهية الشاملة، وأن الله مطلع على أعمال العباد كلها، ظاهرها وباطنها، وهذا يثمر في القلب مراقبة الله في السر والعلن، وهي من أعلى درجات الإحسان.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ يقرر عقيدة التوحيد في الخوف، فالمؤمن لا يخاف إلا الله، ولا يقدم خشية المخلوقين على خشية الخالق، وهذا هو تمام الإخلاص، فإن من خشي الله لم يبال بسخط الناس، ومن خشي الناس فقد أشرك في الخوف.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن لكل عبد وجهة في سيره إلى الله، وأن القلوب تتفاوت في توجهاتها، فمنهم من يتوجه بالخوف، ومنهم من يتوجه بالرجاء، ومنهم من يتوجه بالمحبة، وكل ذلك من الله، والغاية واحدة هي الوصول إليه.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يشير إلى أن السير إلى الله ليس سيرا متساويا، بل هو تسابق وتنافس في الطاعات، وأن الصوفي يرى أن الخيرات هي مقامات القرب والكشوفات، فيسابق إليها بقلبه قبل جوارحه، ويسابق غيره في درجات المعرفة والذوق.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى الجمع الإلهي في الحضرة، وأن العبد أينما كان في أقطار الأرض أو في أطوار سلوكه، فإن الله يجمع شمله ويرده إليه، وهو إشارة إلى الفناء في شهود جمعية الله بعد تفرق القلب في الأسباب.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يرى فيه الصوفي أن التوجه إلى القبلة الظاهرة هو تدريب على التوجه إلى الله في الباطن، فكما أن الجسد يتوجه إلى الكعبة، فالقلب يجب أن يتوجه إلى رب الكعبة، وأن القبلة الحقيقية هي حضرة الله التي لا جهة لها.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يجد فيه الصوفي أن كل ما يصل إلى القلب من ذوق وكشف إنما هو حق من الله، وأنه ليس من صنع النفس أو خيالها، فيطمئن قلبه إلى أن مواجيده من الله، وأنها حق لا باطل.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ هو أصل مقام الخشية عند الصوفي، فمن خشي الله حق خشيته لم يخف أحدا سواه، والخوف من الله عندهم هو بداية مقامات الإحسان، وهو الذي يطهر القلب من التعلق بالمخلوقين.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يثير عند الفيلسوف تأمل العلاقة بين الواحد والكثير، فالله واحد والشرائع متعددة، والقبلات مختلفة، وهذا يدعوه إلى التفكير في أن الحقيقة الإلهية الواحدة تتجلى في صور متعددة بحسب الأمم والأزمان، وأن الكثرة الظاهرة لا تنفي الوحدة الباطنة.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يجد فيه الفيلسوف مبدأ المنافسة في الفضائل، وأن الخير ليس واحدا محصورا، بل هو متعدد المجالات، وأن الإنسان مطالب بأن يبذل وسعه في بلوغ أقصى درجات الكمال، وهذا يلتقي مع مفهوم الكمال الإنساني عند فلاسفة الأخلاق.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ يطرح على الفيلسوف مسألة الجمع بين المكان والزمان، وأن قدرة الله تتجاوز حدود المكان والزمان، فالله قادر على جمع الناس من كل الأماكن في آن واحد، وهذا يدفعه للتأمل في طبيعة الزمان والمكان وأنهما من المخلوقات لا من الخالق.

د. قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يقرر الفيلسوف أن الحق ليس نسبيا ولا تابعا للأهواء، بل هو نازل من مصدر متعال، وأن المعرفة اليقينية إنما تأتي من الوحي لا من العقل وحده، وهذا يضع حدا للشكوكية الفلسفية.

هـ. قوله: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يثير مسألة العلم الإلهي وعلاقته بالحرية الإنسانية، فالله يعلم أعمال العباد جميعا، وهذا العلم لا ينفي حرية الاختيار، بل يتسق معها، وهو من أعقد المسائل الفلسفية التي شغلت الفلاسفة عبر التاريخ.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ يجد فيه الفيلسوف أساسا للفلسفة الأخلاقية، فالخوف من الله وحده هو الذي يحرر الإنسان من الخوف من البشر، وهذا التحرر هو شرط الاستقلال الأخلاقي والعقلاني، فمن خاف الناس لم يكن حرا في تفكيره وعمله.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يشير إلى أن الاختلاف في الشعائر لا يبرر التنازع والتباغض، بل يجب أن يكون الاختلاف دافعا للتسامح والتعايش، وأن الأخلاق الفاضلة تقتضي احترام الآخرين في اختلافاتهم، ما داموا متوجهين إلى الله.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ هو مبدأ أخلاقي عظيم، فالإنسان مطالب بأن يبادر إلى فعل الخيرات دون تسويف أو كسل، وأن ينافس غيره في الخير لا في الشر، وهذا يربي في النفس خلق المبادرة والاجتهاد وعدم الرضا بالدون.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ يذكر الإنسان بأنه مسؤول عن أعماله أينما كان، فلا يظن أن الابتعاد عن أعين الناس يخفيه عن الله، وهذا يرسخ خلق المراقبة الذاتية، وهي أساس الضمير الأخلاقي.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يدل على أن الالتزام بالظواهر الشرعية هو جزء من الأخلاق، فمن يلتزم بتوجيه وجهه في الصلاة، فإنه يلتزم بغيره من الأوامر، والمواظبة على الشعائر تربي في النفس خلق الانضباط والطاعة.

هـ. قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يقرر أن الأخلاق ليست عرفا متغيرا، بل هي حق ثابت من الله، وأن القيم الأخلاقية لها مصدر متعالٍ يمنحها الثبات والقدسية، وهذا يجعل الأخلاق عند المؤمن أرسخ من الأخلاق عند من يرى أنها مجرد اتفاق اجتماعي.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ هو أساس الشجاعة الأخلاقية، فمن خشي الله لم تأخذه في الحق لومة لائم، ولم يخشَ بطش الجبابرة، وهذه هي قمة الأخلاق الفاضلة، أن يكون الإنسان مستقيما لا يثنيه خوف ولا طمع.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن الاختلاف في الشعائر والاتجاهات هو سنة اجتماعية، وأن المجتمعات تختلف في ممارساتها الدينية، وهذا الاختلاف لا يجب أن يكون سببا للصراع، بل يمكن أن يكون سببا للتعايش والتنوع الثقافي.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يشير إلى أن المجتمعات المتقدمة هي التي تتنافس في الخيرات، لا

في الماديات والشهوات، وأن روح المنافسة الإيجابية بين الأفراد والجماعات هي محرك التقدم الاجتماعي، وأن التنافس في الخير يبني المجتمعات بينما التنافس في الشر يهدمها.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن المجتمعات مهما تفرقت في الأمكنة والأزمنة، فإن مصيرها واحد، وأن الوحدة الإنسانية أصل، والاختلاف عارض، وهذا يدفع إلى تعزيز قيم التضامن الإنساني العالمي.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن القبلة الموحدة هي عامل من عوامل الوحدة الاجتماعية، فالمسلمون في كل مكان يتجهون إلى قبلة واحدة، وهذا يخلق شعورا بالانتماء لأمة واحدة، ويقلل من النزعات القبلية والإقليمية.

هـ. قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يشير إلى أن المجتمعات تخضع لملاحظات الآخرين ونقدهم، وأن على المجتمع المسلم أن يلتزم بأحكام الله حتى لا يعطي خصومه حجة عليه، وهذا يربي في المجتمع خلق الالتزام والانضباط أمام الآخرين.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ يحرر المجتمع المسلم من عقدة الخوف من الآخرين، فالمجتمع الذي يخشى الله لا يخشى الشعوب الأخرى، وهذا يمنحه الاستقلال والثقة بالنفس، ويجعله قادرا على مواجهة الضغوط الخارجية دون تردد.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يجد فيه عالم السياسة أن لكل أمة مرجعيتها وهويتها التي تميزها، وأن السياسة العادلة هي التي تحترم هوية كل أمة ومرجعيتها، ولا تفرض عليها هوية أخرى، وهذا أساس من أسس التعايش الدولي.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يعني أن الدول المتقدمة هي التي تتنافس في تقديم الخيرات لشعوبها وللإنسانية، لا في التسلح والهيمنة، وأن التنافس في الخير هو الذي يرفع مكانة الدول، بينما التنافس في الشر يهوي بها.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ يذكر عالم السياسة بأن القوة مهما بلغت فإنها لا تنفع أمام قدرة الله، وأن السياسة التي تظن أنها فوق المحاسبة وهم، فالله جامع الناس جميعا يوم القيامة،

وهذا يضع حدا لطغيان الدول.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن للدولة الإسلامية هوية مركزية هي المسجد الحرام، وأن هذه الهوية هي التي توحد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن السياسة الإسلامية يجب أن تنطلق من هذه الهوية لا من غيرها.

هـ. قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يعني أن الدولة الإسلامية مطالبة بأن تكون قدوة في الالتزام بأحكام الله، حتى لا يعطيها خصومها حجة عليها، وأن السياسة الإسلامية يجب أن تكون نظيفة لا تشوبها شائبة.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ هو مبدأ أساسي في السياسة الإسلامية، فالدولة الإسلامية لا تخشى في الحق لومة لائم، ولا تخضع للضغوط الدولية على حساب مبادئها، وخشية الله هي الضابط الأعلى لسياساتها الداخلية والخارجية.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن لكل منظمة أو مؤسسة رؤيتها ورسالتها التي توجه أعمالها، وأن نجاح المنظمة يعتمد على وضوح وجهتها واتساق أعضائها معها، وأن تعدد الوجهات لا يضر إذا كانت الغاية واحدة.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة هي التي تشجع روح المنافسة الإيجابية بين موظفيها، وأن التنافس في الإنجاز والجودة هو الذي يرفع مستوى الأداء، وأن الإدارة التي تقتل روح المنافسة تفقد حيويتها.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الرقابة الإلهية هي الرقابة العليا التي لا يمكن التحايل عليها، وأن الموظف الذي يستشعر هذه الرقابة يكون أكثر إخلاصا في عمله، حتى لو غاب عنه المديرون.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني أن الانضباط في العمل يبدأ من الانضباط في الشعائر، فالموظف الذي يلتزم بمواعيد الصلاة ويتوجه فيها إلى القبلة، يكون أكثر التزاما بمواعيد العمل وأداء المهام، فالشعائر تربي في النفس خلق النظام.

هـ. قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن المنظمة يجب أن تكون نموذجا في الشفافية والنزاهة، حتى لا يجد المنتقدون عليها ثغرة، وأن السمعة الحسنة للمنظمة هي رأس مالها الحقيقي.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ يعني أن القائد الإداري يجب أن يتحلى بالشجاعة في اتخاذ القرارات الصائبة، وألا يخضع لضغوط المرؤوسين أو المنافسين، وأن خشية الله هي التي تضبط قراراته وتجعله عادلا في توزيع المهام والمكافآت.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يجد فيه المؤرخ أن الأمم السابقة كانت لها قبلاتها وشرائعها، وأن تحويل القبلة في الإسلام كان حدثا تاريخيا مفصليا، غيّر مسار الأمة الإسلامية وميزها عن غيرها، وأن هذا التحول كان له أبعاد سياسية واجتماعية كبيرة.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يفسر للمؤرخ سر تفوق الأمم، فالأمم التي تسابقت في الخيرات والعلم والعمران هي التي سادت، والأمم التي تسابقت في الشر والفساد هي التي سقطت، وهذا قانون تاريخي ثابت.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ يذكر المؤرخ بأن التاريخ ليس صراعا عبثيا، بل هو مسير نحو غاية، وأن الله سيجمع الناس جميعا في نهاية المطاف، وهذا يعطي للتاريخ معنى وهدفا، ويمنع النظرة العبثية للتاريخ.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يجد فيه المؤرخ أن تحويل القبلة كان من أهم الأحداث في السيرة النبوية، فقد كان اختبارا للمسلمين، وتمييزا للمخلصين من المنافقين، وكان له أثر كبير في توحيد الأمة على هوية مستقلة.

هـ. قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يفسر للمؤرخ أن اليهود والنصارى كانوا يحتجون على المسلمين بأنهم يصلون إلى قبلتهم، فلما حولت القبلة إلى الكعبة، انقطعت حجتهم، وهذا يبين أن التاريخ مليء بالاحتجاجات الدينية والسياسية التي تؤثر في مسار الأحداث.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ يفسر للمؤرخ أن المسلمين لم يثنهم خوف اليهود والنصارى

عن تنفيذ أمر الله بتحويل القبلة، وهذا يبين أن الإيمان بالله هو الذي يمنح الأمم قوة المواجهة في التاريخ، وأن الأمم التي تخشى الله لا تخشى أحدا سواه.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن لكل إنسان وجهته في الحياة، وأن من يعيش بلا وجهة أو هدف يعاني من الفراغ الوجودي والقلق، وأن وجود الوجهة يمنح الإنسان معنى واتجاها يحميه من الاضطرابات النفسية.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يشير إلى أن النشاط والحركة نحو الخير هما علاج للاكتئاب واليأس، فالإنسان الذي ينشغل بالخيرات والعطاء يكون أقل عرضة للقلق والاكتئاب، وأن التسابق في الخير يمنح الإنسان شعورا بالإنجاز والرضا.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ يخفف من القلق الوجودي، فالإنسان الذي يؤمن بأن الله سيجمع الناس جميعا، يشعر بالأمان من فكرة الضياع والعدم، وهذا يقلل من الخوف من الموت والمجهول.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني أن التوجه إلى القبلة في الصلاة هو نوع من التركيز الذهني الذي يشبه تقنيات اليقظة الذهنية، فالمصلي يوجه وجهه وقلبه إلى جهة واحدة، وهذا يهدئ النفس ويركز الذهن، ويقلل من التشتت والقلق.

هـ. قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يشير إلى أن الإنسان الذي يلتزم بأحكام الله يعيش مطمئنا، لأنه لا يخشى لوم الناس أو نقدهم، وهذا يقلل من القلق الاجتماعي، بينما من يخالف أحكام الله يعيش في خوف دائم من افتضاح أمره.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ هو علاج للخوف المرضي من الناس، فكثير من الاضطرابات النفسية سببها الخوف من آراء الآخرين، والإيمان بأن الله وحده هو المستحق للخوف يحرر الإنسان من هذا الخوف، ويمنحه الثقة بالنفس والاستقرار النفسي.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن لكل اقتصاد وجهته ونظامه، وأن

الاقتصاد الإسلامي له وجهته المتميزة القائمة على الخشية من الله والالتزام بأحكامه، وأن هذا التميز هو مصدر قوته وليس ضعفه.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يحفز على التنافس في الخيرات، كالصدقات والزكاة والأوقاف، وأن هذا التنافس يحرك عجلة الاقتصاد وينشر الخير، بينما التنافس في الماديات المحضة يؤدي إلى الأزمات.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن الثروة مهما بلغت فإنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة، وأن الاقتصاد الذي يغفل عن هذه الحقيقة يكون اقتصادا ظالما، بينما الاقتصاد الذي يستحضرها يكون اقتصادا عادلا.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني أن الاقتصاد الإسلامي له مرجعيته التي ينطلق منها، وهي الشريعة الإسلامية، وأن أي اقتصاد لا يستمد أحكامه من هذه المرجعية يكون اقتصادا منحرفا عن الوجهة الصحيحة.

هـ. قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الاقتصاد الإسلامي يجب أن يكون نموذجا في الشفافية والنزاهة، حتى لا يجد المنتقدون عليه حجة، وأن الالتزام بأحكام الله في البيوع والمعاملات هو الذي يحفظ سمعة الاقتصاد الإسلامي.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ يعني أن الاقتصاد الإسلامي لا يخضع لضغوط الاقتصاد العالمي على حساب مبادئه، وأن خشية الله هي الضابط الأعلى للتعاملات الاقتصادية، فلا يقدم على الربا أو الغش أو الاحتكار خوفا من الله، ولا يخشى في ذلك لومة لائم.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يجد فيه المربي أن لكل طالب وجهته وميوله، وأن التربية الناجحة هي التي تراعي هذه الاختلافات وتوجهها نحو الخير، وأن فرض وجهة واحدة على الجميع دون مراعاة للفروق الفردية هو خطأ تربوي.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يشير إلى أن المربي يجب أن يربي في طلابه روح المنافسة في الخيرات، وأن يشجعهم على التسابق في حفظ القرآن والصدقة ومساعدة الآخرين، وأن هذه المنافسة تربي

جيلا فاعلا في مجتمعه.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يذكر المربي بأن تلاميذه مهما تفرقوا في الأمكنة والأزمنة، فإن الله سيجمعهم، وأن عليه أن يزرع فيهم الإيمان باليوم الآخر، وأن هذا الإيمان هو الضامن لاستقامتهم بعد خروجهم من المدرسة.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني أن التربية الإسلامية تبدأ من تعليم الطالب التوجه إلى القبلة، وأن هذه الشعيرة تربي في الطفل الانضباط والالتزام منذ الصغر، وأن تعليم الصلاة هو أساس التربية الإسلامية.

هـ. قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يوجه المربي إلى أن يكون قدوة حسنة لطلابه، وأن يلتزم بأحكام الله حتى لا يكون عليه حجة من طلابه أو أوليائهم، وأن المربي الذي يخالف أقواله أفعاله يفقد تأثيره التربوي.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ يعني أن المربي يجب أن يتحلى بالشجاعة في قول الحق، وألا يخاف في ذلك لومة لائم، وأن يربي طلابه على هذه الشجاعة، فالجيل الذي يخشى الله ولا يخشى الناس هو الجيل الذي يصنع النهضة.

ثاني عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يجد فيه القاضي أن لكل قضية وجهتها، وأن الحكم العادل هو الذي ينظر إلى كل قضية بظروفها الخاصة، وأن التعميم في الأحكام دون مراعاة للخصوصيات يؤدي إلى الظلم.

ب. قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يسابق في الخيرات، كالإصلاح بين الناس والعدل في الأحكام، وأن هذه المسابقة في الخير هي التي ترفع مكانته عند الله وعند الناس.

ج. قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يذكر القاضي بأنه سيقف بين يدي الله يوم القيامة، وسيسأل عن أحكامه، وهذا يجعله أكثر حرصا على العدل، وأشد خوفا من أن يظلم أحدا في الدنيا.

د. قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني أن القاضي يجب أن يستقبل القبلة في أحكامه، أي أن يستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية، وأن أي حكم لا يستند إلى هذه الشريعة يكون حكما باطلا.

هـ. قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يوجه القاضي إلى أن يكون حكمه موافقا للشريعة، حتى لا يكون عليه حجة من الخصوم أو من الناس، وأن القاضي الذي يحكم بالهوى يعطي الناس حجة عليه.

و. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ هو أساس عدالة القاضي، فالقاضي الذي يخشى الله لا يخاف من المتهمين أو أصحاب النفوذ، ولا يقبل الرشوة أو المحاباة، وخشيته لله هي التي تجعله عادلا في أحكامه، حتى لو كان الحكم ضد أقاربه أو أصحابه.

٦٣. بعثة الرسول لتزكية المؤمنين وتعليمهم الكتاب والحكمة:

المقطع [٦٣] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ يشير إلى أن الله اختار الرسول من جنس البشر وليس من الملائكة، ليكون قدوة عملية يمكن الاقتداء بها، ولتتحقق بذلك الحجة على البشر، إذ أن من يبلغهم الرسالة من جنسهم أقدر على فهمه والاهتداء به، وهذا يقرر أصلا عقديا في أن النبوة اختيار إلهي لا تُكتسب بالاجتهاد، وأن الله يصطفي من يشاء من عباده.

ب. قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يبين أن القرآن هو مصدر الوحي الأول، وأن التلاوة هي وسيلة نقل الآيات، وفي هذا تقرير لعقيدة أن القرآن كلام الله المنزل، وأنه محفوظ بتلاوته وتعبدنا به، وأن التلقي عن الرسول هو الطريق الوحيد لمعرفة هذا الكتاب.

ج. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يشير إلى أن التزكية من مهام الرسالة الأساسية، وهي تطهير النفوس من الشرك والذنوب والأخلاق الذميمة، وهذا يقرر أن الإيمان ليس مجرد تصديق نظري، بل هو تطهير عملي للقلب والسلوك، وأن الرسول مكلف بهذه المهمة من الله مباشرة.

د. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يفرق بين الكتاب وهو القرآن المتلو، والحكمة وهي السنة النبوية أو الفهم الصحيح للشريعة، وفي هذا تقرير لعقيدة أن السنة مصدر تشريع كالقرآن، وأن

الرسول معصوم فيما يبلغه من حكمة، وأن التعليم النبوي ليس اجتهادا بشريا محضا بل هو وحي.

هـ. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى أن الرسالة جاءت بعلم غيبي لم يكن للبشر سبيل إليه، كأخبار الآخرة وحقائق التوحيد، وهذا يقرر عقيدة أن العقل البشري قاصر عن إدراك هذه الحقائق بنفسه، وأن الوحي هو المصدر الوحيد لها.

و. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يقرر عقيدة أن الذكر من أعظم العبادات، وأن الله يذكر من ذكره، وهذا يثبت صفة الذكر لله تعالى بما يليق به، وأن بين العبد وربه علاقة متبادلة تقوم على الذكر والاستجابة.

ز. قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يشير إلى أن مقابل الشكر هو الكفر، وأن الكفر ليس مجرد إنكار لله، بل هو أيضا جحود النعم وعدم شكرها، وهذا يوسع مفهوم الكفر ليشمل كفر النعم، ويحذر من عاقبة الجحود.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى مقام التزكية الذي هو جوهر الطريق، وهو تطهير القلب من الأكدار والصفات الذميمة، وترقيته إلى مقام الإحسان، فالتزكية عندهم ليست مجرد تهذيب أخلاقي، بل هي تصفية الباطن حتى يصبح القلب مرآة تتجلى فيها الأنوار الإلهية.

ب. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن العلم الظاهر بالكتاب والسنة لا يكفي، بل لا بد من علم الحكمة الباطنة، وهي فهم أسرار الشريعة وحقائقها، فالحكمة عندهم هي العلم اللدني الذي يهبه الله لأوليائه، وهو ثمرة التزكية والمجاهدة.

ج. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى العلوم الإلهية التي لا تدرك بالعقل ولا بالحواس، بل بالكشف والإلهام، وهي علوم الأسرار التي ورثها الأنبياء عن الله، والتي لا يصل إليها إلا من طهر قلبه وزكى نفسه.

د. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ هو أصل الذكر عند الصوفية، فهم يرون أن الذكر ليس مجرد ترديد لفظي، بل هو حضور القلب مع الله، وأن الله يذكر العبد الذاكر بفيض من أنواره ورحمته، فالذكر عندهم هو الطريق الأقصر للوصول إلى الله.

هـ. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ يشير إلى مقام الشكر الذي هو أعلى من مقام الصبر، فالشكر عند

الصوفي هو الاعتراف بالنعمة مع استحضار المنعم، وهو من مقامات القرب التي ترفع العبد إلى درجة المحبة، فالشاكر يرى النعمة كلها من الله فلا يلتفت إلى الأسباب.

و. قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يحذر الصوفي من كفران النعم الذي يحجب العبد عن الله، ويجعله محجوبا بالأنفاس والأحوال، فالكفر عندهم ليس إنكارا فقط، بل هو الغفلة عن الله وعدم مراقبته في السر والعلن.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤال العلاقة بين المثال والواقع، فوجود رسول من البشر يجعل المثال الأخلاقي قابلا للتحقق في الواقع، وليس مجرد فكرة مجردة، وهذا يلتقي مع فلسفة الأخلاق التطبيقية التي تبحث عن نموذج إنساني يجسد الفضائل.

ب. قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن المعرفة الدينية تقوم على التلقي والسماع لا على الاستدلال العقلي وحده، وهذا يطرح إشكالية العلاقة بين العقل والنقل، وهي من أعقد الإشكالات الفلسفية، فهل المعرفة اليقينية تتحقق بالعقل أم بالوحي أم بهما معا؟

ج. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن التزكية الأخلاقية شرط للمعرفة الصحيحة، فالنفس غير المزكاة قد تحجب صاحبها عن إدراك الحقائق، وهذا يلتقي مع فلسفة أفلاطون التي اشترطت تطهير النفس قبل الوصول إلى عالم المثل.

د. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤال الفرق بين المعرفة النظرية والمعرفة العملية، فالكتاب هو المعرفة النظرية، والحكمة هي المعرفة العملية التي توجه السلوك، وهذا يقارب التقسيم الأرسطي للفلسفة إلى نظرية وعملية.

هـ. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى أن هناك علوما لا يمكن للعقل البشري التوصل إليها بنفسه، وهذا يضع حدا للعقلانية المطلقة، ويفتح الباب لفلسفة الوحي التي ترى أن العقل محدود وأن هناك حقائق متعالية عليه.

و. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن العلاقة بين الله والإنسان ليست علاقة معرفة نظرية فقط، بل هي علاقة وجودية متبادلة، فالذكر يرفع الإنسان إلى مرتبة القرب، وهذا

يلتقي مع فلسفة الوجودية الدينية التي ترى أن العلاقة بالله هي أساس المعنى.

ز. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يثير عند الفيلسوف سؤال الغاية من الشكر، فهل الشكر نفع لله أم نفع للعبد؟ والجواب الفلسفي أن الشكر نفع للعبد نفسه، لأنه يفتح له أبواب الزيادة، وهذا يلتقي مع فلسفة الغائية التي ترى أن كل أمر إلهي له حكمة تعود بالنفع على الإنسان.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن التزكية هي أساس البناء الأخلاقي، فهي عملية تطهير للنفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل، وأن الأخلاق ليست مجرد سلوك خارجي، بل هي تنقية للباطن أولا، ثم ينعكس ذلك على الظاهر.

ب. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشير إلى أن الأخلاق في الإسلام لا تقوم على العرف أو العقل وحدهما، بل على الكتاب والحكمة، أي على الوحي والسنة، وهذا يعطي الأخلاق أساسا متينا ثابتا لا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة.

ج. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن هناك قيما أخلاقية لا يدركها العقل البشري وحده، كتفاصيل العبادات وآدابها، فلا بد من تعليم إلهي يبين للإنسان ما لا يصل إليه بجهده، وهذا يرفع الأخلاق من مستوى الاجتهاد البشري إلى مستوى التكليف الإلهي.

د. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يربط الأخلاق بالذكر، فالذكر هو الذي يحيي القلب ويجعله مستحضرا لرقابة الله، ومن كان قلبه ذاكرا لله كان سلوكه أخلاقيا، فالذكر هنا هو الضمانة الباطنية للأخلاق الظاهرة.

هـ. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ يشير إلى أن الشكر خلق إسلامي عظيم، فهو اعتراف بالفضل، ومقابلة الإحسان بالإحسان، والشكر يربي في النفس التواضع والرضا، ويقيها من خلق الكبر والجحود، وهو من أعظم الأخلاق العملية.

و. قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يحذر من خلق الجحود ونكران الجميل، وهو من أسوأ الأخلاق، فالكفر هنا بمعنى كفران النعم، وهو خلق يهدم العلاقات الاجتماعية، ويجعل الإنسان ناكرا للفضل، بعيدا عن المروءة.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿رَسُولًا مِنكُمْ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الرسول من نفس المجتمع الذي أرسل إليه، وهذا يسهل عملية التواصل والتأثير، فالقائد الاجتماعي الذي ينبثق من داخل المجتمع أقدر على فهم مشكلاته ومعالجتها، وأقرب إلى قلوب أفراده.

ب. قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن النص الديني هو عامل توحيد للمجتمع، فالتلاوة تجمع الناس على كلمة واحدة، وتخلق هوية مشتركة، وتجعل المجتمع متحدا حول مرجعية واحدة، وهذا من أهم عوامل التماسك الاجتماعي.

ج. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يعني أن التزكية الفردية لها أثر اجتماعي، فالمجتمع لا يصلح إلا بصلاح أفراده، وإذا تزكى الأفراد تحول المجتمع إلى مجتمع فاضل، فالتزكية هنا هي عملية إصلاح اجتماعي من الداخل.

د. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشير إلى أن التعليم هو أساس بناء المجتمع، فالمجتمع المتعلم هو المجتمع القوي، والتعليم بالكتاب والحكمة يبني مجتمعا واعيا مدركا لحقوقه وواجباته، قادرا على النهضة والتقدم.

هـ. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات الجاهلية كانت تعيش في ظلام الجهل، وأن الرسالة جاءت لتنقلها من الجهل إلى العلم، وهذا يبين أن العلم هو الفارق بين المجتمع المتخلف والمجتمع المتقدم.

و. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يشير إلى أن الذكر الجماعي لله هو عامل ترابط اجتماعي، فالمجتمعات التي تذكر الله تتعاون على البر والتقوى، وتتآلف قلوبها، بينما المجتمعات التي تنسى الله تتفرق وتتنازع.

ز. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يعني أن الشكر يزرع في المجتمع خلق الاعتراف بالفضل، فيقوم المجتمع على التقدير والاحترام المتبادل، بينما الكفران يزرع الجحود والنكران، فينهار المجتمع وتتفكك علاقاته.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ يشير إلى أن القيادة السياسية الناجحة هي التي تنبثق من الشعب نفسه، وتشعر بهمومه وتفهم ظروفه، فالرسول من قومه، وهذا يقرر مبدأ أن الحاكم يجب أن يكون من الأمة، وأن يكون قريبا من الناس.

ب. قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يعني أن الدولة تقوم على مرجعية دينية، وأن الحاكم ملزم بتطبيق آيات الله، فالتلاوة ليست مجرد تلاوة لفظية، بل هي التزام عملي بأحكام الكتاب، وهذا يجعل الشريعة هي الأساس الذي تقوم عليه السياسة.

ج. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يشير إلى أن الدولة مسؤولة عن تزكية أفرادها، أي تهذيبهم أخلاقيا وروحيا، وهذا يعني أن السياسة في الإسلام ليست منفصلة عن الأخلاق، بل هي أداة لتحقيق التزكية المجتمعية.

د. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني أن الدولة مسؤولة عن التعليم، وأن التعليم الديني والدنيوي معا من واجباتها، فلا تصلح الدولة إلا إذا اهتمت بتعليم شعبها الكتاب والحكمة، وهذا يقرر أن العلم من أولويات السياسة الإسلامية.

هـ. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يشير إلى أن الدولة مطالبة بنشر العلم والمعرفة، ونقل المجتمع من الجهل إلى العلم، وهذا يعني أن التقدم العلمي هو هدف سياسي، وأن الدولة التي لا تهتم بالعلم تبقى متخلفة.

و. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يعني أن الدولة التي تذكر الله وتقيم شرعه يذكرها الله بالنصر والتمكين، فالذكر هنا ليس فرديا فقط، بل هو جماعي، والدولة التي تلتزم بذكر الله تنال تأييده ونصره.

ز. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يحذر الدولة من كفران النعم، فالدولة التي تنسى فضل الله عليها، وتجحد نعمه، تزول وتندثر، كما حدث للأمم السابقة، فالشكر هو ضمانة بقاء الدولة واستمرارها.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن القائد الناجح هو الذي ينتمي إلى فريقه، ويعيش بينهم، ويشعر بمشكلاتهم، فالقيادة من الداخل أقدر على التأثير من القيادة من الخارج، وهذا يقرر مبدأ القيادة بالمشاركة لا بالفرض.

ب. قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن التواصل الفعال هو أساس الإدارة الناجحة، فالرسول كان يتلو الآيات على الناس بشكل مباشر، وهذا يبين أن الإدارة الناجحة تقوم على التواصل الواضح والمباشر مع الأفراد.

ج. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يعني أن الإدارة الناجحة تهتم بتطوير الأفراد وتزكيتهم، أي تنمية قدراتهم وتهذيب سلوكهم، فالموظف المزكى هو الموظف الملتزم، والإدارة التي تستثمر في تطوير أفرادها تحقق النجاح.

د. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشير إلى أن التدريب والتعليم من أهم وظائف الإدارة، فالرسول كان معلما لأصحابه، والإدارة الناجحة هي التي تضع خططا للتدريب والتطوير المستمر لأفرادها.

هـ. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الإدارة الناجحة هي التي تكسر حاجز الجهل، وتنقل أفرادها من مستوى إلى مستوى أعلى من المعرفة والمهارة، وهذا يتطلب وجود رؤية واضحة للتطوير المستمر.

و. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يشير إلى أن العلاقة بين القائد والمرؤوسين يجب أن تقوم على الثقة المتبادلة، فالرسول يذكر أصحابه فيذكرهم الله، والإدارة الناجحة هي التي تبني علاقة إيجابية مع أفرادها تقوم على الاحترام والتقدير.

ز. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يعني أن الإدارة الناجحة تقوم على ثقافة الشكر والاعتراف بالفضل، فالموظف الذي يشكر ويقدر يبذل أكثر، بينما الإدارة التي تجحد جهود أفرادها تفقد ولاءهم وإخلاصهم.

ثامنا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ يجد فيه المربي أن المعلم الناجح هو الذي يكون قريبا من طلابه، يفهمهم ويشاركهم حياتهم، فالمعلم من داخل البيئة التعليمية أقدر على التأثير من المعلم الغريب عنها، وهذا يقرر مبدأ القرب في التربية.

ب. قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يشير إلى أن التربية تقوم على التلقين والتكرار، فالتلاوة هي تكرار

للآيات حتى ترسخ في الأذهان، والمعلم الناجح هو الذي يكرر المعلومات لطلابه حتى تثبت في عقولهم.

ج. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يعني أن التربية ليست مجرد تعليم معرفي، بل هي تزكية وتطهير للنفوس، والمعلم الناجح هو الذي يربي طلابه على القيم والأخلاق، لا يكتفي بنقل المعلومات فقط.

د. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشير إلى أن التعليم يجب أن يجمع بين العلم والفهم، فالكتاب هو النص، والحكمة هي الفهم العميق لهذا النص، والمعلم الناجح هو الذي يعلم طلابه النص مع فهمه وتطبيقه.

هـ. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن المعلم الناجح هو الذي ينقل طلابه من الجهل إلى العلم، ويكشف لهم ما كانوا يجهلونه، وهذا يتطلب من المعلم أن يكون واسع المعرفة، قادرا على إيصال المعلومة بأسلوب مبسط.

و. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يشير إلى أن التربية الروحية جزء من العملية التعليمية، فالمعلم الناجح هو الذي يربي طلابه على ذكر الله، ويجعلهم على صلة دائمة بخالقهم، فالتربية الروحية هي أساس التربية السلوكية.

ز. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يعني أن المعلم الناجح هو الذي يربي طلابه على الشكر والامتنان، ويجعلهم يعترفون بفضل الله عليهم، وفضل معلميهم عليهم، ويجنبهم خلق الجحود ونكران الجميل.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن التزكية هي عملية تطهير للنفس من الاضطرابات والانفعالات السلبية، وهي تشبه ما يسمى اليوم بالعلاج النفسي، فالتزكية تخلص الإنسان من القلق والاكتئاب والغضب، وتنقيه من الشوائب النفسية.

ب. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشير إلى أن المعرفة لها أثر علاجي، فالجهل يسبب القلق والاضطراب، والمعرفة تمنح الإنسان الطمأنينة والاستقرار، وتعلم الكتاب والحكمة يمنح الإنسان إطارا معرفيا يفهم به نفسه وحياته.

ج. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الإنسان بحاجة إلى تعلم ما يجهله عن نفسه

وعن الحياة، فالجهل بالنفس هو مصدر الكثير من الاضطرابات النفسية، والتعلم يكشف للإنسان حقيقة نفسه وسبل التعامل معها.

د. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يشير إلى أن الذكر له أثر علاجي كبير، فالذكر يطمئن القلب، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، والذكر يخلص الإنسان من القلق والوساوس، ويمنحه السكينة والطمأنينة.

هـ. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ يعني أن الشكر له أثر نفسي إيجابي، فالشاكر ينظر إلى ما يملكه لا إلى ما ينقصه، وهذا يمنحه الرضا والسعادة، بينما الجاحد ينظر إلى ما ينقصه فيعيش في تعاسة دائمة، والشكر هو علاج لمشكلة عدم الرضا.

و. قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يحذر من الكفران الذي هو مصدر الاضطراب النفسي، فالجاحد يعيش في حالة من السخط وعدم الرضا، وهذا يسبب له الاكتئاب والقلق، بينما الشاكر يعيش في حالة من الرضا والطمأنينة.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن التزكية تشمل تزكية المال، أي تطهيره من الحرام والشبهات، وإخراج حقوق الله فيه، فالاقتصاد الإسلامي يقوم على التزكية المالية التي تضمن نقاء المال وبركته.

ب. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على تعلم أحكام الشريعة في المعاملات، فالكتاب يبين الحلال والحرام، والحكمة تبين مقاصد الشريعة في الاقتصاد، وهذا يضمن اقتصادا نزيها عادلا.

ج. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن الشريعة تعلم الإنسان ما يجهله من أحكام الاقتصاد، كأحكام البيع والربا والزكاة وغيرها، وهذا يمنع الإنسان من الوقوع في المحرمات بسبب الجهل.

د. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يشير إلى أن الذكر له أثر اقتصادي، فالذاكر لله يستحضر رقابته في معاملاته، فلا يغش ولا يظلم ولا يحتكر، والذكر يطهر التعاملات الاقتصادية من الممارسات غير

الأخلاقية.

هـ. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ يعني أن الشكر يزيد في النعم، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، والشكر في الاقتصاد يعني استخدام النعم فيما يرضي الله، وهذا يضمن بركة المال وزيادته.

و. قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يحذر من كفران النعم الذي يسبب زوالها، فالمجتمع الذي يجحد نعم الله ويستخدمها في الحرام تفقد بركتها وتزول، وهذا يبين أن الشكر هو الضمانة لبقاء النعم واستمرارها.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يجد فيه القاضي أن التزكية شرط لعدالة القضاء، فالقاضي المزكى هو القاضي العادل، الذي لا تميل به الأهواء ولا تؤثر فيه الشهوات، والتزكية تجعل القاضي نزيها في أحكامه.

ب. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشير إلى أن القاضي لا بد أن يكون عالما بالكتاب والحكمة، أي عالما بأحكام الشريعة وفقهها، فالجاهل بالكتاب والحكمة لا يصلح للقضاء، لأن القضاء يحتاج إلى علم وفقه.

ج. قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن القاضي بحاجة إلى تعلم ما يجهله من أحكام القضاء، فالاجتهاد يحتاج إلى علم واسع، والقاضي الذي لا يتعلم يقع في الخطأ، فلا بد من التعلم المستمر.

د. قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يشير إلى أن القاضي يحتاج إلى ذكر الله في كل أحواله، فالذكر يجعله مستحضرا لرقابة الله، فيخشى الله في أحكامه، ولا يخاف في الله لومة لائم.

هـ. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ يعني أن القاضي يجب أن يكون شاكرا لله على نعمة القضاء، والشكر يجعله متواضعا، غير مغرور بمنصبه، والشاكر يستعمل نعمة القضاء في الحق والعدل.

و. قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يحذر القاضي من كفران نعمة القضاء، فالقاضي الذي يجحد نعمة الله عليه ويستخدم منصبه في الظلم والجور يكون كافرا للنعمة، وهذا يوجب عليه أن يكون عادلا في أحكامه.

٦٤. الاستعانة بالصبر والصلاة وبشارة الصابرين:

المقطع [٦٤] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهَّ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٣-١٥٧]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يقرر أن العون الإلهي لا ينال إلا بالوسائل التي شرعها الله، وأن الصبر والصلاة هما وسيلتا الاستعانة على النوائب، وهذا يرسخ في العقيدة أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، بل هما متلازمان.

ب. قوله: ﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يثبت معية خاصة لله تعالى بالصابرين، وهي معية النصرة والتأييد والحفظ، لا معية العلم والإحاطة العامة التي تشمل جميع الخلق، وهذا تفصيل دقيق في باب أسماء الله وصفاته، إذ أن المعية نوعان: عامة لجميع الخلق، وخاصة للمؤمنين الصابرين.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهَّ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ يقرر حقيقة غيبية وهي الحياة البرزخية للشهداء، وهي حياة حقيقية مجهولة الكيفية لنا، لا ندركها بحواسنا، والإيمان بها من الإيمان بالغيب الذي هو أصل من أصول العقيدة، وفيه إثبات للكرامة الإلهية للشهداء.

د. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ يقرر أن الابتلاء سنة إلهية جارية على عباده، وأنه لا يخلو منه مؤمن، وأنه ليس عقوبة دائما، بل هو اختبار وتمحيص ورفعة للدرجات، وهذا من أصول العقيدة في الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

هـ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ فيه أن البشارة بالخير والثواب مرتبطة بالصبر، وأن الصبر على البلاء هو مفتاح الفرج، وأن العاقبة للمتقين الصابرين، وهذا يثبت في العقيدة أن الجزاء من جنس العمل، وأن الصبر عبادة عظيمة لها ثوابها الجزيل.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يقرر أن الموت والمصائب كلها بيد الله، وأن الإنسان ملك لله يتصرف فيه كيف يشاء، وأن المرجع النهائي إليه سبحانه، وهذا يثبت في العقيدة توحيد الربوبية والألوهية، وأن التسليم لله في قضائه هو حقيقة العبودية.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ يثبت أن الصلوات من الله هي الثناء والرحمة الخاصة، وأن الهداية التامة هي ثمرة الصبر والاسترجاع، وهذا يبين أن الهداية ليست

مجرد علم، بل هي توفيق إلهي ينال بالصبر والتسليم.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يجد فيه الصوفي أن الصبر هو مقام من مقامات السلوك إلى الله، وأن الصلاة هي معراج المؤمن ووسيلة الاتصال بالحبيب، وأن الاستعانة بهما هي الطريق إلى الفناء عن الأغيار والبقاء بالله، فالصبر يخلّي القلب من الشكوى، والصلاة تحلّيه بالمناجاة.

ب. قوله: ﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يشير عند الصوفي إلى أن المعية الإلهية هي ثمرة الصبر، وأن الصابر يصل إلى مقام القرب الذي لا يحجبه عنه شيء، فالله معه بتأييده وتوفيقه وكشفه، وهذه المعية هي غاية السالكين ومنتهى آمال العارفين.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهَّ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ يرى فيه الصوفي إشارة إلى أن الموت في سبيل الله ليس فناء، بل هو حياة أعلى، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وهذا يرمز إلى أن من مات عن هواه وشهواته في سبيل الله، فإنه يحيى حياة روحية في قلبه، وإن كان جسده ميتا.

د. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ يجد فيه الصوفي أن الابتلاءات هي مدارج الكمال، وأنها تكشف حقيقة الصدق في الطلب، فمن صبر على البلاء ارتقى في المقامات، ومن جزع نزل في الدركات، فالبلاء عندهم ميزان يوزن به أهل الصدق من أهل الدعوى.

هـ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ هي بشارة لأهل المقامات العالية، فالصابرون عند الصوفي هم الذين صبروا على الطاعة، وصبروا عن المعصية، وصبروا على أقدار الله المؤلمة، وهذه الأنواع الثلاثة هي التي توصل إلى مقام الرضا والتسليم.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهَّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هو عند الصوفي حقيقة الفناء والبقاء، فقول ﴿إِنَّا للهَّ﴾ إقرار بالملكية المطلقة لله، وقول ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار بالرجوع إليه، وهذا هو جوهر التوحيد الذي يصل إليه السالك، فلا يرى في الوجود إلا الله، ولا يرى لنفسه ملكا ولا تصرفا.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يجد فيه الصوفي أن الصلوات من الله هي تجليات الأنوار الإلهية على قلوب الصابرين، وأن الرحمة هي فيض الذات على المحبين، وهذه الصلوات والرحمة هي التي تحيي القلوب وتنير الأسرار.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالية العلاقة بين الإرادة الإنسانية والعون الإلهي، فالصبر فعل إرادي إنساني، والصلاة عبادة تواصلية مع الله، والجمع بينهما في الاستعانة يشير إلى أن الفعل الإنساني لا يكفي وحده، بل يحتاج إلى مدد إلهي، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الفعل والغائية.

ب. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يطرح على الفيلسوف مسألة المعية الإلهية، وهي من المباحث الفلسفية العميقة، فكيف يكون الله مع الصابرين وهو المتعالي عن المكان والزمان؟ وهذه المعية تفهم عند الفلاسفة على أنها معية علمية أو تأييدية، لا معية حلولية، وهذا يلتقي مع فلسفة التنزيه التي تنزه الله عن مشابهة المخلوقات.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الحياة بعد الموت، وهي من أعظم المباحث الفلسفية، فالآية تقرر حياة للشهداء بعد موتهم، وهذا يدفع الفيلسوف للتأمل في طبيعة النفس وخلودها، وأن الموت ليس فناء مطلقا، بل هو انتقال من دار إلى دار.

د. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ يثير إشكالية الشر والمعاناة في العالم، وهي من أقدم الإشكاليات الفلسفية، فالآية تقرر أن الابتلاء سنة إلهية، وأنه ليس عبثا، بل له غاية وحكمة، وهذا يقدم إجابة فلسفية عن مسألة الشر، بأنه ليس شرا محضا، بل هو اختبار وتمحيص.

هـ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يجد فيه الفيلسوف أن السعادة الحقيقية ليست في نيل اللذات ودفع الآلام، بل في الصبر على المكاره والثبات على المبادئ، وهذا يلتقي مع الفلسفة الرواقية التي ترى أن الفضيلة هي السعادة، وأن الصبر على الشدائد هو طريق الحكمة.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الموت والوجود، فالإقرار بأننا لله وأننا إليه راجعون هو إقرار بالغاية النهائية للوجود الإنساني، وأن الحياة الدنيا ليست غاية في ذاتها، بل هي مرحلة انتقالية، وهذا يلتقي مع فلسفة الغائية التي ترى أن لكل موجود غاية يسعى إليها.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يجد فيه الفيلسوف أن الكمال الإنساني لا

يتحقق بالجهد الذاتي وحده، بل يحتاج إلى فيض إلهي، وهذه الصلوات والرحمة هي ذلك الفيض الذي يمنح الإنسان السعادة والكمال، وهذا يلتقي مع فلسفة الإشراق التي ترى أن المعرفة الحقة والكمال الأسمى هبة إلهية.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يقرر أن الصبر هو الأساس الأخلاقي الذي تبنى عليه سائر الفضائل، فالصبر على الطاعة يربي الإخلاص، والصبر عن المعصية يربي العفة، والصبر على البلاء يربي الرضا، والصلاة هي التمرين العملي اليومي على هذه الفضائل كلها.

ب. قوله: ﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يمنح الصابرين سندا غيبيا يشد أزرهم، فالإنسان الذي يعلم أن الله معه يكون أكثر قدرة على الثبات على المبادئ الأخلاقية، ولا يهتز أمام المغريات أو التهديدات، فالمعية الإلهية هي الضمانة الأخلاقية الكبرى.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهَّ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ يرفع من قيمة التضحية والفداء في المنظومة الأخلاقية، فمن يبذل نفسه في سبيل الله لا يعتبر ميتا، بل هو حي بحياة أخلاقية معنوية، وهذا يرفع من شأن البذل والعطاء حتى بذل النفس.

د. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ يربي في النفس خلق الصبر والتحمل، ويجعل الإنسان مستعدا لمواجهة الشدائد، فلا يفاجأ بالمصائب، بل يتعامل معها كجزء من الحياة، وهذا يمنحه اتزانا نفسيا وأخلاقيا.

هـ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يبين أن الصبر له بشارة عظيمة، وأنه ليس مجرد تحمل سلبي، بل هو موقف أخلاقي إيجابي، فالصابر لا ينهار أمام المصيبة، بل يثبت ويصمد، ويحول المحنة إلى منحة، وهذا هو قمة النضج الأخلاقي.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهَّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يربي خلق الرضا بالقضاء، والتسليم لله، وعدم الجزع والتسخط، وهذا الاسترجاع هو علاج أخلاقي للنفس، يمنعها من التمرد على القدر، ويجعلها ترى في المصيبة حكمة إلهية.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يبين أن الصابرين ينالون ثناء الله ورحمته،

وهذا هو الجزاء الأخلاقي الأسمى، فمن صبر نال رضا الله، ومن رضي نال رحمة الله، وهذه الرحمة هي التي تزكي النفس وتطهرها.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يخاطب الجماعة المؤمنة، مما يدل على أن هذه التوجيهات ليست فردية فقط، بل هي منهج اجتماعي، وأن الصبر والصلاة ليسا مجرد سلوك فردي، بل هما ثقافة مجتمعية تبني شخصية الأمة وتقوي تماسكها.

ب. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يبين أن المجتمع المسلم يحتاج إلى أدوات جماعية للصمود أمام التحديات، فالصلاة جماعة في المساجد، والصبر على الشدائد جماعي، وهذا يخلق نسيجا اجتماعيا متماسكا قادرا على مواجهة الأزمات.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ يبين أن المجتمع الذي يقدّر التضحية والفداء هو مجتمع حي، وأن الشهداء يمثلون رموزا اجتماعية تخلد ذكراهم، وتلهم الأجيال، وتكون مصدر فخر واعتزاز للأمة، وهذا يعزز الروح المعنوية الجماعية.

د. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ يقرر أن الابتلاءات تصيب المجتمعات كما تصيب الأفراد، وأن المجتمعات التي تنجح هي التي تمتلك مناعة اجتماعية ضد هذه الابتلاءات، وهذه المناعة هي الإيمان والتكافل والصبر الجماعي.

هـ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يبين أن المجتمعات الصابرة هي التي تبشر بالنجاح والتمكين، فالتاريخ الاجتماعي يؤكد أن الأمم التي صبرت على الشدائد والمحن هي التي حققت النهضة والتمكين، أما الأمم التي جزعت وانهارت فهي التي سقطت.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يبين أن الاسترجاع ليس مجرد قول، بل هو ثقافة اجتماعية تعبر عن وحدة المصير، فالمجتمع المؤمن يشعر أن كل أفراده ملك لله، وأن المصيبة التي تصيب أحدهم تصيب الجميع، وهذا يعزز التضامن الاجتماعي.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يبين أن المجتمعات الصابرة تنال رحمة الله وتأييده، وهذه الرحمة تظهر في تماسك المجتمع واستقراره وازدهاره، فالصبر الجماعي هو مفتاح النصر

والتمكين الاجتماعي.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يخاطب الأمة المؤمنة بوصفها كتلة سياسية، مما يدل على أن الإيمان ليس مجرد عقيدة فردية، بل هو أساس لتكوين جماعة سياسية ذات هوية ورسالة، وأن الخطاب القرآني يبني أمة ذات مشروع حضاري.

ب. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه القيادة السياسية إلى أن الثبات على المبادئ يحتاج إلى صبر، وأن إدارة الدولة تحتاج إلى صلاة وتواصل مع الله، فالقائد الذي لا يصبر ولا يصلي لا يمكن أن يقود أمة في وجه التحديات.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يمنح الدولة المؤمنة ضمانة النصر الإلهي، فالصبر على الحق والثبات على المبادئ هو طريق التمكين، وهذا يفسر لنا لماذا تنتصر الدول المؤمنة الصابرة على الدول الأقوى منها ماديا.

د. قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهَّ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ يبين أن الدولة التي تضحي بأبنائها في سبيل عقيدتها لا تخسر، بل تكسب، فالشهداء أحياء عند ربهم، ودماؤهم تروي شجرة الحرية والكرامة، وهذا يمنح الدولة القدرة على الاستمرار في مواجهة التحديات مهما كانت التضحيات.

هـ. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ يقرر أن الابتلاءات السياسية والاقتصادية سنة إلهية، وأن الدول المؤمنة ستواجه حروبا نفسية واقتصادية، كالخوف والجوع، وهذا يستدعي منها الاستعداد الدائم وبناء القدرات لمواجهة هذه التحديات.

و. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يبشر الدولة الصابرة بالنصر والتمكين، فالصبر على الأذى في سبيل الله هو الطريق إلى العزة والتمكين في الأرض، وهذا يمنح القيادة السياسية الأمل والثقة في المستقبل.

ز. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهَّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يبين أن الدولة المؤمنة تستقبل المصائب باستسلام وتسليم لله، ولا تنهار أمامها، بل تسترجع قواها وتواصل المسير، وهذا هو سر صمود الدول المؤمنة عبر التاريخ.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه القائد الإداري إلى أن النجاح في الإدارة يحتاج إلى صبر على العمل، وصبر على الناس، وصبر على الأزمات، وأن الصلاة هي التي تمنحه الطاقة الروحية والاتزان النفسي لمواصلة العطاء.

ب. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يمنح المدير الثقة بأن الله معه إذا صبر، وأن الصبر هو مفتاح النجاح في إدارة الأزمات، فالمدير الصبور يستطيع أن يمر بفريقه من الأزمات بثبات وهدوء.

ج. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ يقرر أن الأزمات المالية والبشرية والإنتاجية سنة إلهية، وأن الإدارة الناجحة هي التي تستعد لهذه الأزمات وتضع لها الخطط والسيناريوهات، ولا تفاجأ بها.

د. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يبين أن الإدارة الصابرة هي التي تبشر بالنجاح، فالمدير الذي يصبر على الصعوبات ولا يستسلم هو الذي يحقق الأهداف، أما المدير الذي ينهار عند أول أزمة فهو الذي يفشل.

هـ. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يوجه المدير إلى أن يتعامل مع الأزمات بروح إيجابية، وأن يسترجع قواه ولا ييأس، فالإيمان بالقضاء والقدر يمنحه الطمأنينة والثبات، ويجعله يتعامل مع الأزمة كفرصة للتعلم والتطوير.

و. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يبين أن الإدارة الصابرة تنال رحمة الله وتأييده، وهذا التأييد يظهر في نجاح المشاريع وتحقيق الأهداف، فالصبر في الإدارة ليس مجرد تحمل، بل هو استراتيجية نجاح.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي وصفة علاجية للاضطرابات النفسية، فالصبر هو مهارة تنظيم الانفعالات والتحكم في الاستجابات، والصلاة هي تمرين للاسترخاء والتأمل، وكلاهما يقلل من القلق والاكتئاب.

ب. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يمنح الصابرين شعورا بالأمان النفسي، فالإحساس بوجود الله معه يقلل من مشاعر الوحدة والعزلة، ويمنح الإنسان قوة داخلية لمواجهة الضغوط، وهذا ما تؤكده

الدراسات النفسية الحديثة عن دور الإيمان في الصحة النفسية.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ يعالج الخوف من الموت، وهو من أعمق المخاوف الإنسانية، فالإيمان بأن الشهداء أحياء يقلل من هاجس الموت، ويمنح الإنسان شجاعة مواجهة الموت والفناء.

د. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ يهيئ الإنسان نفسيا لمواجهة الصدمات، فمن يعلم أن الابتلاءات سنة إلهية يكون أقل عرضة للصدمة النفسية عند حدوثها، وهذا ما يسمى في علم النفس بالتحصين النفسي.

هـ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يمنح الصابرين أملا يقلل من اليأس والإحباط، فالبشارة بالثواب تمنح الإنسان دافعا للاستمرار وعدم الاستسلام، وهذا ما يؤكده علم النفس الإيجابي من أهمية الأمل في الصحة النفسية.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يقدم استراتيجية معرفية لمواجهة المصائب، فالاسترجاع يعيد تفسير المصيبة في إطار إيماني، مما يقلل من الألم النفسي، وهذا ما يسمى في العلاج المعرفي بإعادة البناء المعرفي.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يبين أن الصابرين ينالون رحمة الله، وهذه الرحمة تظهر في الطمأنينة والسكينة التي تنزل على قلوبهم، وهذا ما يسمى في علم النفس بالسكينة النفسية، وهي أعلى درجات الصحة النفسية.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ يقرر أن الأزمات الاقتصادية سنة إلهية، وأن الاقتصاد لا يخلو من فترات الركود والكساد، وهذا يستدعي من الاقتصاديين وضع سياسات مالية واقتصادية لمواجهة هذه الأزمات.

ب. قوله: ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ يشير إلى أن الأزمات تشمل الجانب المالي والبشري والإنتاجي، وهذا يستدعي تنويع مصادر الدخل والاستثمار في رأس المال البشري، وتطوير القطاع الزراعي لضمان الأمن الغذائي.

ج. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه الاقتصادي إلى أن الصبر هو أساس الاستثمار طويل الأجل، فالمستثمر الصبور هو الذي يجني الأرباح، أما المستثمر المتعجل فهو الذي يخسر، والصلاة تمنحه الاتزان وعدم الطمع.

د. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يبين أن الاقتصاد الصابر هو الذي ينجح، فالدول التي تصبر على الإصلاحات الاقتصادية المؤلمة هي التي تحقق التنمية المستدامة، أما الدول التي تستسلم للضغوط فهي التي تفشل.

هـ. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يوجه الاقتصادي إلى أن يتعامل مع الخسائر المالية بروح إيجابية، وأن يسترجع قواه ولا ينهار، فالإيمان بالقضاء والقدر يمنحه الطمأنينة والثبات في الأزمات المالية.

و. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يبين أن الاقتصاد القائم على القيم الإيمانية ينال بركة الله، وهذه البركة تظهر في النماء والاستقرار، فالاقتصاد الأخلاقي الصبور هو الذي يحقق الرفاهية الحقيقية.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يوجه المربي إلى أن التربية تبدأ بالإيمان، وأن بناء الإنسان يبدأ ببناء عقيدته، فالمربي الناجح هو الذي يغرس الإيمان في نفوس تلاميذه قبل أن يغرس المعرفة.

ب. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية تحتاج إلى صبر طويل، فالتعليم ليس نقلا للمعلومات، بل هو بناء للإنسان، وهذا البناء يحتاج إلى صبر ومثابرة، والصلاة تمنح المربي الطاقة الروحية لمواصلة العطاء.

ج. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يمنح المربي الثقة بأن الله معه إذا صبر على تربية الأجيال، وأن تعبه لن يضيع، فالمربي الصبور هو الذي يرى ثمار تعبه في تلاميذه.

د. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ يهيئ المربي لمواجهة التحديات التربوية، فالتعليم يواجه تحديات كثيرة، كالفقر والجهل والفتن، والمربي الناجح هو الذي يصبر على هذه التحديات ولا يستسلم.

هـ. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يبشر المربي الصبور بالنجاح، فالمربي الذي يصبر على تلاميذه ولا ييأس من إصلاحهم هو الذي يحقق النتائج، أما المربي الذي ييأس بسرعة فهو الذي يفشل.

و. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يوجه المربي إلى أن يتعامل مع إخفاقات التلاميذ بروح إيجابية، وأن يسترجع قواه ولا ييأس، فالإيمان بالقضاء والقدر يمنحه الطمأنينة والثبات.

ز. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يبين أن المربي الصبور ينال رحمة الله وتأييده، وهذه الرحمة تظهر في نجاح تلاميذه واستقامتهم، فالصبر في التربية هو مفتاح النجاح.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يوجه القاضي إلى أن العدالة تحتاج إلى صبر، فالقاضي يصبر على الخصوم، ويصبر على سماع الشهادات، ويصبر على دراسة القضايا، والصلاة تمنحه الاتزان والهدوء النفسي لإصدار الأحكام العادلة.

ب. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يمنح القاضي الثقة بأن الله معه إذا صبر على الحق، وأن حكمه العادل لن يضيع، فالقاضي الصبور هو الذي ينال تأييد الله وتوفيقه.

ج. قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ يهيئ القاضي لمواجهة الضغوط، فالقاضي يتعرض لضغوط كثيرة، كالتهديد والرشوة والمحسوبية، والقاضي الصبور هو الذي يثبت على الحق رغم هذه الضغوط.

د. قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يبشر القاضي الصبور بالثواب، فالقاضي الذي يصبر على الحق وينصف المظلومين هو الذي ينال بشارة الله وثوابه.

هـ. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يوجه القاضي إلى أن يتعامل مع المصائب التي تصيبه بروح إيمانية، وأن يسترجع قواه ولا ينهار، فالإيمان بالقضاء والقدر يمنحه الثبات والطمأنينة.

و. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يبين أن القاضي الصبور ينال رحمة الله، وهذه الرحمة تظهر في توفيقه للصواب في أحكامه، فالصبر في القضاء هو مفتاح العدالة.

٦٥. الصفا والمروة من شعائر الله:

المقطع [٦٥] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ يقرر أن هذه الأماكن ليست مجرد جبال أو معالم جغرافية، بل هي شعائر تعبدية اصطفاها الله وجعلها جزءا من دينه، وفي هذا إشارة إلى أن العبادة لا تنحصر في الأقوال والأفعال المجردة، بل تشمل الأماكن والأزمنة التي يقدسها الله، وأن لله في خلقه أماكن اختصها بمزيد من التعظيم والتكريم، فيجب على المؤمن أن يعظم ما عظمه الله، وأن يستشعر القداسة في هذه المواضع.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يبين أن الحج والعمرة من أعظم العبادات البدنية التي تجمع بين المال والجهد والبدن، وأنها من مكفرات الذنوب، وفي هذا إشارة إلى أن هذه الشعائر تربي في المؤمن معنى الالتزام والطاعة، وأنها امتداد لشعائر الأنبياء السابقين، فالحج ليس عبادة مبتدعة، بل هو ملة إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧]

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فيه إشارة إلى أن الشريعة جاءت بالتيسير ورفع الحرج، وأن الله لا يريد بعباده العسر، وهذا يبين أن العبادات في الإسلام تقوم على التوسعة لا على التضييق، وأن رفع الحرج أصل من أصول الشريعة.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يبين أن التطوع بالخير له أجر عظيم عند الله، وأن الله يشكر القليل من العمل ويعظمه، وفي هذا إشارة إلى أن باب التطوع مفتوح أمام المؤمن ليزداد قربة إلى الله، وأن الله عليم بنيات العباد وأعمالهم، فلا يضيع عنده شيء من حسناتهم، وهذا يربي في المؤمن الإخلاص والاحتساب.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن هذه الأماكن هي مواطن

تجليات إلهية، وأن الطواف بينهما هو سير في ميادين القرب والوصال، فالصفا والمروة عندهم رمزان لمقامي الصفاء والمراقبة، فالصفا إشارة إلى تصفية القلب من الأكدار، والمروة إشارة إلى بلوغ درجة الرضا واليقين، فالطواف بينهما هو رحلة روحية يتنقل فيها السالك بين مقامات التزكية.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يرى فيه الصوفي أن الحج هو رحلة إلى الله بالقلب قبل الجسد، وأن العمرة هي زيارة الحبيب، فالحاج والمعتمر إنما يقصدان بيت الله ليشهدا منافعه الروحية، وفي هذا إشارة إلى أن العبادة الحقة هي التي يشهد فيها القلب عظمة المعبود، لا مجرد أداء المناسك ظاهرا.

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الطواف بين الصفا والمروة هو تردد القلب بين الخوف والرجاء، فالصفا مقام الرجاء والطمع في رحمة الله، والمروة مقام الخوف والوجل من الله، فالمؤمن يتردد بينهما كتردد العبد بين الرجاء والخوف، وهذا التردد هو جوهر العبادة عند أهل القلوب.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يرى فيه الصوفي أن التطوع بالخير هو سعي إلى الله بزيادة النوافل بعد الفرائض، وأن الله شاكر لهذا السعي، وفي هذا إشارة إلى أن الله يقبل القليل من عباده ويثيبهم عليه، وأنه عليم بأسرار قلوبهم، فيجازيهم على قدر صدقهم وإخلاصهم، لا على قدر أعمالهم فقط.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يثير عند الفيلسوف تأملات حول طبيعة الشعائر الدينية، فهي ليست مجرد عادات موروثة، بل هي رموز تحمل معاني عميقة، فالصفا والمروة يرمزان إلى الصفاء والرجاء، وإلى أن العبادة ليست غائية بذاتها، بل هي وسيلة للاتصال بالمتعالي، وهذا يفتح بابا لفلسفة الدين في فهم الرمزية الدينية.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الحج هو رحلة وجودية يخرج فيها الإنسان من عالم المادة إلى عالم المعنى، وأنه يرمز إلى العودة إلى الأصل، فالحج هو عودة إلى البيت الأول الذي وضع للناس، وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان في سعي دائم للعودة إلى مبدئه الأول، وهذا يلتقي مع فلسفة الوجود والغاية.

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الحرية في العبادة، فقوله:

﴿لَا جُنَاحَ﴾ يدل على أن العبادة ليست إكراها، بل هي اختيار وطاعة طوعية، وهذا يلتقي مع فلسفة الأخلاق التي ترى أن الفعل الأخلاقي لا يكون أخلاقيا إلا إذا كان صادرا عن حرية واختيار، لا عن إكراه أو خوف.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَّ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الله لا يحتاج إلى أعمال عباده، بل هو الغني الحميد، لكنه يشكر المتطوعين ويكافئهم، وهذا يثير مسألة فلسفية حول طبيعة العلاقة بين الله والإنسان، فالله ليس محتاجا لعبادة العباد، لكنه يريد لهم الخير والكمال، وهذا يلتقي مع فلسفة الغائية في الخلق.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهَّ﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن تعظيم الشعائر هو تعظيم للقيم التي ترمز إليها، فالصفا يرمز إلى الصفاء والطهارة، والمروة ترمز إلى الرجاء والطموح، وفي هذا إشارة إلى أن الأخلاق ليست مجرد سلوك ظاهري، بل هي قيم متجذرة في النفس، وأن تعظيم هذه الشعائر يربي في الإنسان خلق التعظيم لله ولشعائره.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يشير إلى أن الحج يربي في الإنسان خلق التواضع والمساواة، فالحجاج جميعا يرتدون لباسا واحدا ويؤدون مناسك واحدة، لا فرق بين غني وفقير، وهذا يزرع في النفس خلق الإخاء والمساواة، ويذكر الإنسان بأنه عبد لله لا يمتاز عن غيره إلا بالتقوى.

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يبين أن الشريعة تربي في الإنسان خلق التيسير وعدم التشدد، فرفع الحرج عن الطواف بينهما يدل على أن الدين يريد بالعباد اليسر ولا يريد العسر، وهذا يربي في الإنسان خلق السماحة والاعتدال في العبادة والسلوك.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَّ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يغرس في الإنسان خلق المبادرة إلى الخير والمسابقة إلى الطاعات، فالتطوع بالخير ليس واجبا، لكنه يربي في النفس خلق الكرم والجود، وأن الله يشكر المتطوعين، وهذا يدفع الإنسان إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، وأن يكون سباقا إلى الخيرات.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهَّ﴾ يجد فيه عالم الاجتماع أن الشعائر الدينية لها وظيفة

اجتماعية كبرى، فهي توحد الأمة وتجمعها على رموز مشتركة، فالصفا والمروة مكانان مقدسان يجتمع عليهما المسلمون من كل بقاع الأرض، وهذا يعزز التماسك الاجتماعي ويقوي الروابط بين أفراد الأمة.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يشير إلى أن الحج هو مؤتمر عالمي سنوي يجمع المسلمين من مختلف الأجناس والألوان واللغات، وهذا يخلق وعيا اجتماعيا بوحدة الأمة، ويكسر الحواجز العنصرية والطبقية، فالحج هو مظهر من مظاهر الوحدة الاجتماعية للأمة الإسلامية.

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يبين أن الشريعة تراعي الظروف الاجتماعية للناس، فرفع الحرج عن الطواف بينهما يدل على أن الدين لا يريد أن يثقل على الناس، وأنه يراعي اختلاف أحوالهم وقدراتهم، وهذا يربي في المجتمع خلق التسامح وعدم الإكراه في العبادة.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يشير إلى أن التطوع بالخير له أثر اجتماعي كبير، فالتطوع بالصدقات والأعمال الخيرية يسهم في تضامن المجتمع وتكافله، وأن الله يشكر المتطوعين، وهذا يشجع أفراد المجتمع على المبادرة إلى الأعمال الخيرية التي تعود بالنفع على الجماعة.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يجد فيه عالم السياسة أن الدولة الإسلامية مطالبة بحماية الشعائر الدينية وتوفير الأمن للحجاج والمعتمرين، فالصفا والمروة من شعائر الله التي يجب أن تبقى مكفولة الحرية للجميع، وهذا يلقي على الدولة مسؤولية تنظيم الحج والعمرة وتأمين الطرقات.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يشير إلى أن الحج هو أحد المقاصد السياسية للدولة الإسلامية، فالدولة مسؤولة عن تسهيل أداء هذه الفريضة على المسلمين، وهذا يتطلب توفير البنية التحتية والخدمات اللازمة للحجاج، كما أن الحج يعد فرصة للدولة لتعزيز مكانتها السياسية بين الأمم.

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يبين أن السياسة الإسلامية تقوم على التيسير ورفع الحرج عن الناس، فالدولة لا تفرض على الناس ما يشق عليهم، بل تسهل لهم أداء عباداتهم، وهذا يربي في الحاكم خلق الرحمة بالرعية وعدم التشديد عليهم.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يشير إلى أن الدولة تشجع مواطنيها على التطوع بالخير، وأنها تقدر هذه الأعمال التطوعية، وهذا يعزز روح المشاركة المجتمعية، ويجعل المواطنين شركاء في

التنمية والبناء، لا مجرد متلقين للخدمات.

سابعا - إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن تعظيم الشعائر يتطلب إدارة متقنة للموارد والخدمات، فإدارة الحج والعمرة هي نموذج للإدارة المتكاملة التي تشمل التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، وأن نجاح هذه الإدارة يتطلب تعاون جميع الجهات المعنية.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يشير إلى أن الحج هو مشروع إداري ضخم يتطلب إدارة حشود الملايين، وتنظيم حركة الحجاج بين المشاعر، وتوفير الخدمات اللوجستية من إسكان وإطعام ونقل، وهذا يعد تحديا إداريا كبيرا يتطلب كفاءة عالية في التخطيط والتنفيذ.

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يبين أن الإدارة الناجحة هي التي تراعي ظروف الناس وتيسر لهم الأمور، فرفع الحرج عن الطواف بينهما يدل على أن الإدارة يجب أن تكون مرنة وقادرة على التكيف مع الظروف المختلفة، وأنها لا تفرض على الناس ما يشق عليهم.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة تشجع روح المبادرة والتطوع لدى العاملين، وأنها تقدر الجهود التطوعية وتحفز عليها، وهذا يخلق بيئة عمل إيجابية تزيد من إنتاجية العاملين وولائهم للمنظمة.

ثامنا - إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن تعظيم الشعائر الدينية يمنح الإنسان شعورا بالانتماء والمعنى، وهذا يعزز الصحة النفسية، فالإنسان الذي يعظم شعائر الله يشعر بأنه جزء من منظومة أكبر، وأن له هدفا في الحياة، وهذا يقلل من مشاعر الفراغ والقلق الوجودي.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يشير إلى أن الحج هو رحلة نفسية عميقة، يخرج فيها الإنسان من ضغوط الحياة اليومية، ويتفرغ للعبادة والتأمل، وهذا يشبه ما يسمى اليوم بالعلاج بالاسترخاء والتأمل، فالحج يمنح الإنسان فرصة لإعادة شحن طاقته النفسية والروحية.

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يبين أن رفع الحرج عن الطواف بينهما يقلل من القلق النفسي لدى الحاج، فالشعور بأن العبادة يسيرة وميسرة يخفف من التوتر والضغط النفسي، وهذا يعزز

الصحة النفسية، فالإنسان الذي يشعر بأنه غير مثقل بالواجبات يكون أكثر استقرارا نفسيا.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يشير إلى أن التطوع بالخير له آثار نفسية إيجابية، فالعطاء والبذل يمنح الإنسان شعورا بالسعادة والرضا، وقد أكدت الدراسات النفسية الحديثة أن الأعمال التطوعية تقلل من الاكتئاب وتزيد من الشعور بالسعادة، وهذا ما أشارت إليه الآية بقوله: ﴿شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾

تاسعا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يجد فيه المربي أن تعظيم الشعائر الدينية هو جزء من التربية الإيمانية، فالمربي يعلم تلاميذه أن لله شعائر يجب تعظيمها، وأن هذه الشعائر ليست مجرد عادات، بل هي رموز دينية تحمل معاني عميقة، وهذا يربي في الناشئة خلق التعظيم لله ولشعائره.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يشير إلى أن المربي يجب أن يعلم تلاميذه مناسك الحج والعمرة، وأن يغرس فيهم حب هذه الشعائر، وأن يربطهم بتاريخ الأنبياء، فالحج هو ملة إبراهيم عليه السلام، وهذا يربي في الناشئة الوعي التاريخي والديني.

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يبين أن المربي يجب أن يربي تلاميذه على التيسير وعدم التشدد في الدين، فرفع الحرج عن الطواف بينهما يدل على أن الدين يريد اليسر، وأن المربي يجب أن يعلم تلاميذه أن العبادة لا ينبغي أن تكون سببا في المشقة والحرج.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يشير إلى أن المربي يجب أن يشجع تلاميذه على التطوع بالخير، وأن يغرس فيهم روح المبادرة والعطاء، وأن يعلمهم أن الله يشكر المتطوعين، وهذا يربي في الناشئة خلق الكرم والجود، ويجعلهم سباقين إلى الخيرات.

عاشرا ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يجد فيه القاضي أن تعظيم الشعائر الدينية هو من مقاصد الشريعة، وأن القاضي يجب أن يحافظ على هذه الشعائر ويحميها، وأن يمنع أي اعتداء عليها، فالصفا والمروة من شعائر الله التي يجب أن تبقى مصانة من أي انتهاك.

ب. قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يفصل في المنازعات المتعلقة بالحج والعمرة، كمنازعات الإحرام والطواف والسعي، وأن يحكم فيها بما أنزل الله، وأن يراعي مقاصد

الشريعة في التيسير ورفع الحرج.

ج. قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يبين أن القاضي يجب أن يرفع الحرج عن الناس في أحكامه، وأن لا يشدد عليهم في العبادات، فرفع الحرج عن الطواف بينهما يدل على أن القاضي يجب أن يتحرى اليسر في أحكامه، وأن لا يحمل الناس ما لا يطيقون.

د. قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يشجع على التطوع بالخير، وأن يحكم في المنازعات المتعلقة بالوقف والصدقات بما يحقق مقاصد الشريعة، وأن يعلم أن الله شاكر عليم، فيجازي المتطوعين على حسناتهم، وهذا يدفع القاضي إلى أن يكون عادلا في أحكامه، رحيما بالناس.

٦٦. لعنة الله والملائكة والناس على كاتمي البينات إلا التائبين:

المقطع [٦٦] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يشير إلى أن كتمان العلم الشرعي ليس مجرد تقصير علمي، بل هو جريمة دينية توجب اللعنة، لأن البيان أمانة إلهية، وكتمانه خيانة لله وللناس، وهذا يبين أن العلم في الإسلام ليس ملكا خاصا لصاحبه، بل هو حق عام للأمة.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يفيد أن الحجة قامت على الكاتمين، إذ لا عذر لهم بعد البيان الإلهي، فاللعنة هنا جزاء على العناد والمكابرة بعد وضوح الحق، لا على الجهل المحض، وهذا أصل في مسألة العدل الإلهي وعدم المؤاخذة قبل البيان.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يقرر أن اللعنة الإلهية تستتبع لعنة الخلائق، فالطرد من رحمة الله يتبعه طرد من قلوب الناس والملائكة، وهذا يدل على أن العقوبة الأخروية لها انعكاسات دنيوية، وأن المجتمع المؤمن مطالب بمقاطعة الكاتمين وعدم الثقة بهم.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يبين أن باب التوبة مفتوح حتى لمن ارتكب أعظم الجرائم العلمية، وأن التوبة النصوح لا بد أن تقترن بالإصلاح والبيان، فمن كتم وجب عليه أن يعلن، وهذا يبرز سعة الرحمة الإلهية التي تتجاوز الذنب إذا تحققت شروط التوبة.

هـ. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يؤكد أن التوبة صفة إلهية ثابتة، وأن الله يسبق عباده بالرحمة، فهو التواب قبل توبة العبد وبعدها، وهذا يربي في المؤمن الأمل وعدم اليأس من رحمة الله مهما عظم الذنب.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن كتمان الأسرار الإلهية والمعارف الذوقية عن مستحقيها من أعظم الذنوب، فالعارف مطالب ببذل العلم لمن يطلبه بصدق، وكتمانه حجاب عن الله.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يشير إلى أن البيان الإلهي ليس مقصورا على الظاهر المكتوب، بل يتعداه إلى البيان الباطني الذي يكشفه الله لأهل القلوب، ومن كتم هذا البيان الباطني فقد استحق اللعنة.

ج. قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يرى فيه الصوفي أن اللعنة تعني الحرمان من الأنوار الإلهية، فالملعون محجوب عن الله، واللاعنون هم أهل القلوب الذين يرون حقيقة الحال، فينفرون من الكاتمين كما تنفر الملائكة منهم.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يجد فيه الصوفي أن التوبة الحقيقية هي الرجوع إلى الله بتصفية القلب، والإصلاح هو تزكية النفس من الأوصاف الذميمة، والبيان هو إظهار ما كتم من أسرار ومعارف، وهذه مراتب ترتقي بالسالك من مقام التوبة إلى مقام الإصلاح إلى مقام البيان.

هـ. قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يجد فيه الصوفي أن اسم الله (التواب) من أسماء الجمال التي تفيض على العبد بأنوار الرحمة، وأن التوبة عندهم ليست مجرد ترك ذنب، بل هي عودة إلى الأصل الذي خلق عليه الإنسان من الفطرة السليمة.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يثير عند الفيلسوف إشكالية أخلاقية معرفية، وهي أن حبس المعرفة عن الناس يعد خيانة للإنسانية جمعاء، لأن المعرفة ليست ملكا فرديا، بل هي تراث إنساني مشترك، وهذا يلتقي مع مبدأ حرية العلم ونقده للأنظمة التي تحتكر المعرفة.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن البيان الإلهي يمثل الحقيقة المطلقة التي لا تقبل الالتباس، وأن كتمانها بعد ظهورها هو إنكار للحقيقة ذاتها، وهذا يطرح سؤال العلاقة بين الحقيقة والحرية، فهل يحق لأحد حجب الحقيقة عن الآخرين؟

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يجد فيه الفيلسوف تأكيدا على أن الفعل المعرفي ليس محايدا، بل له أبعاد وجودية وأخلاقية، فالكاتم للحقيقة لا يفسد علاقته بالله فقط، بل يفسد علاقته بالمجتمع والتاريخ، واللعنة هنا تعبير عن الاضطراب الوجودي الذي يحدثه الكتمان في النظام الأخلاقي.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يرى فيه الفيلسوف مبدأ التصحيح المعرفي، فالإنسان قد يخطئ في حبس المعرفة، لكن يمكنه تصحيح خطئه بالاعتراف والبيان، وهذا يتوافق مع المنهج العلمي الذي يعترف بالخطأ ويصححه.

هـ. قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن الحقيقة الإلهية لا تقابل الإنسان بالانتقام، بل بالرحمة والتجاوز، وهذا يطرح تصورا عن إله يتجاوز فكرة العقاب الصارم إلى فكرة المغفرة التي تمنح الإنسان فرصة دائمة للبدء من جديد.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يجد فيه عالم الأخلاق أن كتمان العلم من كبائر الذنوب الأخلاقية، لأنه يتضمن خيانة للأمانة، وغشا للناس، وتعطيلا لمصالحهم، فالكاتم للعلم كالكاتم للشهادة، وكلاهما إثم كبير.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يبين أن الكتمان هنا ليس عن جهل، بل عن علم ومعرفة، وهذا يجعله أشد قبحا، لأن الفاعل يعلم الحق ويخفيه، وهذا من أعظم صور النفاق الأخلاقي، حيث يفارق السلوكُ القولَ والمعرفةَ.

ج. قوله: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يدل على أن الكتمان يضع صاحبه في مواجهة

مع الله ومع الخلق، فاللعنة تعني الطرد من رحمة الله ومن ثقة الناس، وهذا يظهر أن الأخلاق الإسلامية لا تفصل بين العلاقة بالله والعلاقة بالناس.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يضع عالم الأخلاق أمام مبدأ التوبة التي لا تقتصر على الندم القلبي، بل تتطلب إصلاحا عمليا وبيانا علنيا، وهذا يعني أن الأخلاق الإسلامية لا تقبل الاعتذار السلبي، بل تطلب الفعل الإيجابي الذي يعيد الحقوق إلى أصحابها.

هـ. قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يشير إلى أن الأخلاق الإسلامية تقوم على التوازن بين الخوف والرجاء، فالخوف من اللعنة يمنع الكتمان، والرجاء في التوبة يفتح باب الإصلاح، وهذا يمنع اليأس ويحفز على المبادرة بالخير.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن كتمان العلم يؤدي إلى تفشي الجهل في المجتمع، وانتشار الخرافة والبدع، وتعطيل حركة التنمية، فالكاتمون للعلم هم عائق اجتماعي يمنع تقدم المجتمع.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يشير إلى أن البيان الإلهي يمثل نظاما معرفيا متكاملا، وكتمانه يخلق فجوة بين النص والمجتمع، فينشأ جيل لا يعرف دينه ولا يفهم كتابه، وهذا يؤدي إلى انفصال الهوية وتفكك النسيج الاجتماعي.

ج. قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يبين أن المجتمع المؤمن يلعب دورا رقابيا، فاللاعنون هم الناس الذين يرفضون الكتمان ويحتقرون الكاتمين، وهذا يخلق ضغطا اجتماعيا يمنع انتشار هذه الظاهرة، ويحفظ للعلم مكانته في المجتمع.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يوجه عالم الاجتماع إلى أن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح العلاقة بالعلم، فالذين كتموا العلم إذا تابوا وبينوا، فإنهم يتحولون من عناصر هدامة إلى عناصر بناءة، وهذا يؤكد أن التغيير الاجتماعي يبدأ من الأفراد.

هـ. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني أن المجتمع الذي يفتح باب التوبة للعائدين هو مجتمع صحي، لا يحمل الأحقاد ولا يرفض الإصلاح، فالرحمة الإلهية التي تشمل التائبين يجب أن تنعكس على

المجتمع بقبولهم وإعادة دمجهم.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يجد فيه عالم السياسة أن كتمان الحقائق عن الرعية من أخطر آفات الحكم، فالكاتمون للحقيقة هم الذين يضللون الناس ويخدعونهم، وهذا يؤدي إلى فساد النظام السياسي بأكمله.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني أن الحاكم أو العالم الذي يكتم ما أنزل الله بعد أن بينه الله للناس، إنما يحارب الله في أرضه، وهذا يضع الكاتمين في مواجهة مع السلطة الإلهية، ويجعلهم غير مؤهلين للقيادة.

ج. قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يشير إلى أن الشعب له حق محاسبة الكاتمين، فاللعنة من الناس تعبير عن سخطهم ورفضهم، وهذا يمنح المجتمع حق المقاومة ضد الكتمان والتضليل، ويؤكد أن الشرعية السياسية تقوم على الصدق والشفافية.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الإصلاح السياسي يبدأ بالاعتراف بالأخطاء وتصحيح المسار، فالذين كتموا الحقائق إذا تابوا وبينوا، فإنهم يستعيدون شرعيتهم، وهذا يعني أن التوبة السياسية ممكنة إذا توفرت الإرادة الصادقة.

هـ. قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يعني أن النظام السياسي الإسلامي يقوم على الرحمة لا على الانتقام، فالحاكم الذي يخطئ ثم يتوب ويصلح، يجب أن يقبل ويغفر له، وهذا يمنع سياسات الإقصاء والتصفية، ويحقق الاستقرار السياسي.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يجد فيه عالم الإدارة أن كتمان المعلومات داخل المؤسسات من أخطر المشكلات الإدارية، فالموظف الذي يكتم المعلومات يحجب الرؤية عن القيادة، ويعطل اتخاذ القرارات السليمة، ويخلق بيئة عمل غير صحية.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يشير إلى أن البيان الواضح هو أساس العمل المؤسسي الناجح، فإذا كانت المعلومات متاحة وواضحة، فإن الأداء يتحسن، أما الكتمان فيؤدي إلى

الفوضى وسوء الفهم، وهذا يبرز أهمية الشفافية في الإدارة.

ج. قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يعني أن الكاتمين في المؤسسات يفقدون ثقة زملائهم وعملائهم، فاللعنة هنا تعبير عن فقدان المصداقية، وهذا يؤدي إلى انهيار العلاقات المهنية، ويضعف روح الفريق.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن تصحيح الأخطاء الإدارية يتطلب الاعتراف بها ثم إصلاحها ثم إعلانها، فالموظف الذي كتم معلومات ثم تاب وبينها، يستعيد ثقة المؤسسة، وهذا يعزز ثقافة التعلم من الأخطاء.

هـ. قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يعني أن الإدارة الناجحة هي التي تمنح الموظفين فرصة لتصحيح أخطائهم دون إهانة أو إقصاء، فالرحمة في التعامل مع المخطئين تخلق بيئة عمل إيجابية تحفز على الإبداع والابتكار.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن كتمان العلم والمعرفة يسبب اضطرابات نفسية، فالكاتم يعيش في صراع داخلي بين ما يعرفه وما يخفيه، وهذا يؤدي إلى القلق والاكتئاب والشعور بالذنب.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يشير إلى أن الكتمان بعد البيان يزيد حدة الصراع النفسي، لأن الكاتم يعلم أنه على خطأ، ومع ذلك يستمر في كتمانه، وهذا يخلق ازدواجية في الشخصية تؤدي إلى التفكك النفسي.

ج. قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يعني أن الكاتم يعيش في عزلة اجتماعية، فالناس تنفر منه وتلعنه، وهذا يزيد من شعوره بالوحدة والاغتراب، ويؤدي إلى تفاقم الاضطرابات النفسية لديه.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن التوبة والبيان هما علاج نفسي فعال، فالاعتراف بالخطأ والإفصاح عنه يخفف العبء النفسي، ويعيد للشخص توازنه الداخلي، ويحسن علاقته بالآخرين.

هـ. قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يعني أن الشعور بالرحمة الإلهية والمغفرة يمنح الإنسان أملا وطمأنينة، وهذا من أهم عوامل الصحة النفسية، فمن يعلم أن الله يتوب عليه ويقبله، يتحرر من مشاعر

الذنب واليأس، ويعيش في سلام داخلي.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يجد فيه عالم الاقتصاد أن كتمان المعلومات الاقتصادية عن الناس يؤدي إلى فساد السوق، فالكاتمون للمعلومات يخلقون احتكارا للمعرفة، وهذا يضر بالمنافسة العادلة ويؤدي إلى استغلال المستهلكين.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يشير إلى أن الشفافية المعلوماتية هي أساس الاقتصاد العادل، فإذا كانت المعلومات متاحة للجميع، فإن الأسواق تعمل بكفاءة، أما الكتمان فيؤدي إلى عدم تماثل المعلومات، وهو ما يسبب فشل السوق.

ج. قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يعني أن الكاتمين للمعلومات الاقتصادية يفقدون ثقة المستثمرين والمستهلكين، فاللعنة هنا تعبير عن فقدان المصداقية في السوق، وهذا يؤدي إلى انهيار الأعمال التجارية.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الإصلاح الاقتصادي يتطلب الشفافية والإفصاح، فالذين كتموا المعلومات إذا تابوا وبينوا، فإنهم يساهمون في استعادة الثقة في السوق، وهذا يعزز النمو الاقتصادي.

هـ. قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يعني أن النظام الاقتصادي الإسلامي يقوم على الرحمة والعدل، لا على الاستغلال والجشع، فالرحمة في التعاملات الاقتصادية تخلق بيئة أعمال أخلاقية تحقق الرفاهية للجميع.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يجد فيه المربي أن كتمان العلم عن المتعلمين من أعظم الخيانات المهنية، فالمعلم الذي يكتم معلومة عن طلابه يحرمهم من حقهم في المعرفة، ويخون رسالته التربوية.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني أن المعلم الذي يملك بيانا واضحا ثم يكتمه عن طلابه، يكون قد ضل وأضل، وهذا يضع المعلم أمام مسؤولية أخلاقية كبيرة، فالعلم أمانة يجب تبليغها.

ج. قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يشير إلى أن المعلم الكاتم يفقد احترام طلابه وزملائه، فاللعنة هنا تعبير عن فقدان الهيبة والمكانة، وهذا يؤدي إلى فشل العملية التعليمية.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يوجه المربي إلى أن تصحيح الخطأ التربوي يكون بالاعتراف ثم الإصلاح ثم البيان، فالمعلم الذي كتم معلومة ثم عاد وبينها لطلابه، يستعيد ثقتهم ويصبح قدوة في الصدق والأمانة.

هـ. قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يعني أن المربي الناجح هو الذي يربي طلابه على قيم الرحمة والتسامح، ويعلمهم أن الخطأ ليس نهاية المطاف، بل يمكن تصحيحه بالتوبة والإصلاح، وهذا يبني شخصيات متوازنة قادرة على مواجهة الأخطاء.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ يجد فيه القاضي أن كتمان الشهادة أو كتمان الأدلة من أعظم الجرائم، فالكاتم للبينة يعطل العدالة، ويضيع حقوق الناس، وهذا يجعله مستحقا للعنة الله والخلق.

ب. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني أن القاضي الذي يعلم بالحق ثم يكتمه، يكون قد خان أمانة القضاء، فالعدالة لا تقوم إلا على البيان والإظهار، وكتمان البينات يهدم أركان العدل.

ج. قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ يشير إلى أن القاضي الكاتم يفقد ثقة الناس بالقضاء، فاللعنة هنا تعبير عن انهيار الثقة في النظام القضائي، وهذا يؤدي إلى تفشي الظلم والفوضى في المجتمع.

د. قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ يوجه القاضي إلى أن تصحيح الخطأ القضائي يكون بالاعتراف ثم الإصلاح ثم البيان، فالقاضي الذي كتم بينة ثم عاد وأظهرها، يستعيد ثقة الناس، ويعيد للعدالة هيبتها.

هـ. قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يعني أن النظام القضائي الإسلامي يقوم على الرحمة والعدل، لا على الانتقام، فالقاضي الذي يخطئ ثم يتوب ويصلح، يجب أن يقبل، وهذا يحقق التوازن بين العدل والرحمة في القضاء.

٦٧. لعن الكافرين المصرين على الكفر حتى الموت:

المقطع [٦٧] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦١-١٦٢]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يقرر أن الكفر المصر عليه حتى الموت هو الموجب للعنة، وأن مجرد الكفر في لحظة من اللحظات لا يستحق هذا الوعيد الشديد ما دام صاحبه لم يمت عليه، فالعبرة بالخاتمة، وهذا يفتح باب الرحمة للتائبين، ويؤكد أن الله لا يعذب إلا من أصر على الكفر وثبت عليه حتى خروج الروح.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يبين أن اللعنة هنا ليست مجرد طرد من رحمة الله، بل هي إبعاد شامل من الله ومن الملائكة ومن الناس جميعا، فالكافر المصر على كفره يحرم من شفاعة الملائكة ودعائهم، ويحرم من محبة الناس ودعائهم لهم بالمغفرة، فهو في عزلة كونية تامة عن كل خير، وهذا أشد أنواع العذاب النفسي والروحي.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يدل على أن هذا العذاب أبدي لا نهاية له، وأن الخلود في النار حقيقة ثابتة لمن مات على الكفر، وهذا يقرر عقيدة الخلود في العذاب للكفار، وهي من المسائل المجمع عليها في أصول العقيدة الإسلامية، وأنه لا خروج لهم منها ولا انقطاع لعذابهم.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ ينفي عنهم أي تخفيف أو تخفيف للعذاب، فلا تنالهم رحمة ولا تصلهم شفاعة، وهذا يرد على من يزعم أن العذاب قد يخفف عن بعض العصاة، فالتخفيف منفي هنا نفيا مطلقا عن هؤلاء الكفار المصرين، لأن جرمهم بلغ الغاية في العظم.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يعني أنهم لا يمهلون ولا يؤجلون ولا يمنحون فرصة للاعتذار أو الرجوع، فهم في العذاب لا تنفعهم الأعذار ولا تسمع لهم المقال، وهذا يقرر أن باب الإنظار والإمهال قد أغلق عنهم، وأنهم في حالة يأس تام من أي خلاص.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يشير إلى أن العبرة في السلوك الروحي بخاتمة

الإنسان، وأن الصوفي يهتم بتحسين الخاتمة أكثر من اهتمامه ببداية الطريق، فكم من سالك بدأ طريقه ثم انقلب على عقبيه، وكم من عاصٍ ختم له بخير، فيرى الصوفي أن الموت على الإيمان هو ثمرة المجاهدة الدائمة.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن القلب إذا خرج من دائرة الذكر والإيمان فقد خرج من دائرة الرحمة الإلهية، وأن اللعنة هي حجاب بين العبد وبين ربه، فلا يذوق حلاوة المناجاة ولا يجد لذة القرب، وهذا هو العذاب الحقيقي عند الصوفية، إذ أن أشد العذاب هو الحرمان من الله.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يرمز عند الصوفي إلى أن الحجاب عن الله هو الخلود في النار، فالنار ليست مكانا فقط بل هي حالة من البعد والحرمان، ومن عاش في الدنيا محجوبا عن الله بقلبه، فسيكون خلوده في الآخرة على وفق حالته، فالنار هنا هي استمرار للحجاب الذي كان في الدنيا.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يشير إلى أن العذاب الروحي أشد من العذاب الجسدي، وأن من حرم من نور المعرفة والذوق الإلهي في الدنيا، فحرمانه في الآخرة أشد وأبقى، فلا تخفيف عنهم ولا فترة راحة، لأنهم فقدوا مصدر الرحمة والأنس.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الرجاء في رحمة الله هو باب الأمل الوحيد، وأن من أصر على الكفر حتى الموت فقد أغلق هذا الباب على نفسه، فلا ينظر الله إليهم نظرة رحمة، ولا يلتفت إليهم التفاتة لطف، فهم في العذاب لا يرجون خيرا ولا ينتظرون فرجا.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة حرية الإرادة والاختيار، فالإنسان يختار كفره أو إيمانه بإرادته الحرة، والموت على الكفر هو نتيجة لسلسلة من الاختيارات الحرة التي تراكمت حتى وصلت إلى هذه النهاية، وهذا يلتقي مع مبدأ المسؤولية الأخلاقية الذي يقوم عليه الجزاء.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول طبيعة اللعنة، هل هي عقوبة إلهية أم هي نتيجة طبيعية للسلوك؟ فالفيلسوف يرى أن اللعنة هنا يمكن فهمها على

أنها انعكاس للانفصال الكوني بين الكافر وبين مصادر الخير والبركة، فالكون كله يرفض هذا الإنسان لأنه اختار الانفصال عن نظامه الأخلاقي.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يثير مسألة العدالة الإلهية، فالفيلسوف يتساءل: كيف يعقل أن يكون الذنب المحدود في الزمن يستحق عقابا لا نهائيا؟ والإجابة عند الفلاسفة المسلمين أن الكفر ليس ذنبا محدودا، بل هو انقلاب على الحقيقة نفسها، ورفض للوجود كما هو، فهو ذنب يتجاوز حدود الزمن لأنه يتعلق بالعلاقة الجوهرية بين الخالق والمخلوق.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يلفت الفيلسوف إلى أن العذاب الأبدي ليس تعسفا إلهيا، بل هو نتيجة حتمية لطبيعة النفس التي اختارت الكفر، فالنفس التي تصل إلى هذه الدرجة من الإنكار تصبح غير قابلة للخير، تماما كما أن العين التي تعمى لا يمكنها أن ترى النور مهما أشرق.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الإمهال والفرصة، فالفيلسوف يرى أن الحياة الدنيا هي دار الإمهال والاختبار، وأن الآخرة هي دار الجزاء، فمن أضاع فرصة الإمهال في الدنيا لم يبق له في الآخرة إلا الجزاء المحتوم، وهذا يقرر مبدأ أن العدالة الإلهية لا تظلم أحدا، لأنها أعطت الجميع فرصتهم كاملة.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يبين أن الأخلاق في المنظور القرآني ليست مجرد سلوك اجتماعي، بل هي مرتبطة بالإيمان والعقيدة، فالكفر ليس خطأ معرفيا فقط، بل هو فساد أخلاقي شامل، لأن من كفر بالله فقد فقد الأساس الذي تبنى عليه الفضائل.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يشير إلى أن السلوك الأخلاقي المنحرف يؤدي إلى انعزال اجتماعي وروحي، فاللعنة هنا هي نتيجة طبيعية لسلوك الإنسان الذي اختار طريق الشر، والمجتمع الذي يلعن الظالمين إنما يعبر عن رفضه القيمي للسلوك الفاسد.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني أن الأخلاق السيئة إذا تمكنت من النفس وأصبحت طبعا لها، فإنها تلازم صاحبها في كل عوالمه، فالخلود في العذاب هو استمرار للخلود في الأخلاق السيئة، فالظالم يبقى ظالما في الآخرة كما كان في الدنيا، والعذاب هو تجسيد لحالته الأخلاقية.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يبين أن الأخلاق الفاسدة إذا وصلت إلى درجة الكفر المصر عليه، فإنها لا تقبل الإصلاح ولا التخفيف، لأن صاحبها قد أغلق على نفسه أبواب التوبة والرجوع، وهذا يربي في النفس أهمية المسارعة إلى تصحيح الأخلاق قبل فوات الأوان.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يعني أن الفرصة الأخلاقية محدودة، وأن من أضاعها في الدنيا فلن يجدها في الآخرة، فالإمهال في الدنيا هو فرصة للتوبة وإصلاح الأخلاق، ومن لم يستغلها فقد حرم نفسه من كل فرصة مستقبلية، وهذا يدفع الإنسان إلى اغتنام وقته في التزكية والإصلاح.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يلفت عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات التي تنكر الدين وترفض القيم المتعالية تنتهي إلى التفكك والانهيار، فالكفر ليس مجرد موقف فردي، بل هو حالة اجتماعية تؤثر على تماسك المجتمع واستقراره.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يشير إلى أن المجتمع السليم هو الذي يرفض السلوك المنحرف ويلعنه، فاللعن هنا هو تعبير عن الضمير الجمعي الذي يرفض الانحراف، والمجتمع الذي لا يلعن الظالمين ولا ينبذ المفسدين هو مجتمع فقد بوصلته الأخلاقية.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني أن الانحراف الاجتماعي إذا ترسخ في المجتمع وأصبح ثقافة سائدة، فإنه يستمر في إنتاج آثاره السلبية عبر الأجيال، فالخلود في العذاب هنا يمكن فهمه اجتماعيا على أنه استمرار للعقوبات الاجتماعية عبر التاريخ، فالمجتمعات المنحرفة تعيش في عذاب دائم من الصراعات والتفكك.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يبين أن المجتمعات التي تختار طريق الكفر والانحراف لا تجد تخفيفا لآلامها، بل تزداد مشاكلها تعقيدا، لأنها فقدت الأساس الروحي الذي كان يمكن أن يوحدها ويضبطها، وهذا يفسر لماذا تعاني المجتمعات الملحدة من أزمات نفسية واجتماعية متزايدة.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يعني أن المجتمعات التي تصل إلى هذه الدرجة من الانحراف تفقد فرصة الإصلاح، فلا تجد من ينصحها أو يوجهها، لأنها أغلقت أبواب الحوار مع القيم، وهذا يحذر المجتمعات من الاستمرار في طريق الانحراف حتى لا تفقد فرصة التصحيح.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يوجه عالم السياسة إلى أن الأنظمة التي تتبنى الكفر والإلحاد كأيديولوجية رسمية، وتصر على ذلك حتى النهاية، يكون مصيرها اللعنة والطرد من رحمة الله، وهذا يعني أن الأنظمة السياسية التي تحارب الدين محكوم عليها بالفشل والانهيار.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهَّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يشير إلى أن الشعوب تلعن الأنظمة الظالمة التي تحارب دينها، فاللعنة هنا تعبير عن رفض الشعوب للأنظمة المستبدة، وهذا يفسر سقوط الأنظمة الملحدة في التاريخ، لأنها فقدت شرعيتها الدينية والشعبية معا.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني أن الأنظمة التي تختار الكفر والظلم لا تبقى طويلا، بل تسقط وتدوم لعنتها في التاريخ، فالخلود هنا ليس خلودا في الوجود، بل خلود في الذكر السيئ واللعنة، فالأنظمة الظالمة تبقى لعنتها في ضمير الشعوب عبر الأجيال.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يبين أن الأنظمة الكافرة لا تجد تخفيفا لآلامها، بل تزداد أزماتها، لأنها فقدت الأساس الأخلاقي الذي يمكن أن يصلحها، وهذا يفسر لماذا تترنح الأنظمة الملحدة تحت وطأة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يعني أن الأنظمة الكافرة لا تمهل ولا تنظر، بل تسقط سقوطا حاسما، لأنها أضاعت فرصة الإصلاح في الدنيا، وهذا يحذر الحكام من الاستمرار في الكفر والظلم، لأن العاقبة وخيمة.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن المنظمات التي تتبنى قيما منحرفة وتصر عليها حتى النهاية، تكون مصيرها الفشل والانهيار، فالاستمرار في الخطأ دون مراجعة هو وصفة مؤكدة للفشل الإداري.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهَّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يشير إلى أن المنظمات التي تفقد مصداقيتها الأخلاقية تفقد ثقة الجميع، فاللعنة هنا تعبير عن فقدان الثقة والسمعة، والمنظمة التي تفقد سمعتها تفقد عملاءها وشركاءها ومجتمعها، وهذا يؤدي إلى انهيارها.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني أن الفشل الإداري إذا ترسخ في ثقافة المنظمة وأصبح نمطا لها، فإنه يستمر في إنتاج آثاره السلبية، فالمنظمة التي تتعود على الفساد والانحراف تجد صعوبة بالغة في الإصلاح، لأن الفساد أصبح جزءا من هويتها.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يبين أن المنظمات المنحرفة لا تجد تخفيفا لخسائرها، بل تزداد خسائرها مع الوقت، لأنها فقدت القدرة على التعلم من أخطائها، وهذا يفسر لماذا تفشل بعض المنظمات رغم توفر الموارد، لأن المشكلة ليست في الموارد بل في القيم.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يعني أن المنظمات التي تصل إلى هذه الدرجة من الانحراف تفقد فرصة الإنقاذ، فلا تجد من ينقذها أو يصلحها، لأنها أغلقت أبواب النصيحة والمشورة، وهذا يحذر الإداريين من الاستمرار في الانحراف حتى لا يفقدوا فرصة التصحيح.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الإصرار على الكفر والإنكار للحقيقة هو حالة مرضية نفسية، فالإنكار المستمر للحقائق هو أحد آليات الدفاع النفسي غير الصحية، والتي تؤدي إلى اضطرابات نفسية شديدة، فالذي يصر على إنكار الله حتى الموت يعيش في صراع داخلي مستمر.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يشير إلى أن الكافر المصر على كفره يعيش في عزلة نفسية واجتماعية، فاللعنة هنا تعبير عن الرفض الاجتماعي والروحي، والإنسان الذي يشعر بأن الجميع يلعنه ويرفضه يعيش في حالة من الاكتئاب واليأس الشديدين.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني أن الحالة النفسية السيئة إذا ترسخت في الإنسان وأصبحت نمطا له، فإنها تلازمه في كل عوالمه، فالخلود في العذاب هو استمرار للحالة النفسية السيئة، فالذي يعيش في الكراهية والحقد والإنكار يعيش في جحيم نفسي دائم.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يبين أن الاضطرابات النفسية الناتجة عن الكفر والإنكار لا تخفف، بل تزداد مع الوقت، لأن الإنسان الذي يرفض الحقيقة يعيش في قلق دائم وصراع داخلي، وهذا يفسر لماذا يعاني الملحدون من معدلات أعلى من القلق والاكتئاب.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يعني أن الإنسان الذي يصل إلى هذه الدرجة من الإنكار يفقد القدرة على تلقي المساعدة النفسية، لأنه يرفض الاعتراف بمشكلته، وهذا يحذر من خطورة الإصرار على الإنكار، لأنه يغلق أبواب الشفاء.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يوجه عالم الاقتصاد إلى أن الأنظمة الاقتصادية التي تتبنى فلسفات إلحادية وترفض القيم الدينية، تكون مصيرها الفشل والانهيار، فالتاريخ يشهد أن الأنظمة الاقتصادية الملحدة فشلت في تحقيق العدالة والرفاهية لشعوبها.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يشير إلى أن الأنظمة الاقتصادية الظالمة التي تقوم على الاستغلال والربا والاحتكار، تلعنها الشعوب وتفقد ثقتها، فاللعنة هنا تعبير عن رفض الشعوب للأنظمة الاقتصادية الجائرة، وهذا يؤدي إلى عدم الاستقرار الاقتصادي.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني أن الأنظمة الاقتصادية الفاسدة إذا ترسخت في المجتمع، فإنها تستمر في إنتاج الفقر والظلم عبر الأجيال، فالخلود في العذاب الاقتصادي هو استمرار للفقر والبطالة والتفاوت الطبقي، وهذا يفسر لماذا تعاني بعض المجتمعات من فقر مزمن رغم ثرواتها.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يبين أن الأنظمة الاقتصادية المنحرفة لا تجد تخفيفا لأزماتها، بل تزداد أزماتها، لأنها فقدت الأساس الأخلاقي الذي يضبط الأسواق ويضمن العدالة، وهذا يفسر الأزمات المالية المتكررة في الأنظمة الرأسمالية الملحدة.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يعني أن الأنظمة الاقتصادية الفاسدة لا تمهل ولا تنظر، بل تنهار انهيارا حاسما، لأنها أضاعت فرصة الإصلاح، وهذا يحذر الاقتصاديين من تبني نماذج اقتصادية منحرفة لا تراعي القيم والأخلاق.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يوجه المربي إلى أن غاية التربية هي الوصول بالإنسان إلى الإيمان والثبات عليه حتى الموت، فالتربية ليست مجرد نقل معلومات، بل هي بناء عقيدة راسخة في القلب تثبت صاحبها عند الشدائد، وأن الموت على الإيمان هو ثمرة التربية الناجحة.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يشير إلى أن التربية التي تهمل الجانب الإيماني تنتج أفرادا يعيشون في عزلة روحية واجتماعية، فاللعنة هنا تعبير عن فشل التربية في بناء إنسان متصل بالله وبالناس، والمربي الناجح هو الذي يربي أبناءه على القيم التي تجعلهم محبوبين عند الله والناس.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني أن التربية الفاسدة إذا ترسخت في الأجيال، فإنها تستمر في إنتاج أفراد منحرفين عبر الأجيال، فالخلود في العذاب هو استمرار للانحراف التربوي، وهذا يفسر لماذا تنتقل الانحرافات الأخلاقية من جيل إلى جيل.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يبين أن التربية الفاسدة إذا استمرت دون تصحيح، فإن آثارها السلبية تتراكم ولا تخفف، فالطفل الذي يتربى على الكفر والانحراف يعاني من عواقب ذلك طوال حياته، وهذا يحذر المربين من التفريط في التربية الإيمانية.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يعني أن الفرصة التربوية محدودة، وأن من أضاعها في الصغر لا يجدها في الكبر، فالطفل الذي لا يتربى على الإيمان في صغره يجد صعوبة بالغة في اكتسابه في كبره، وهذا يدفع المربين إلى اغتنام فرصة التربية المبكرة.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يوجه القاضي إلى أن العدالة الإلهية تقوم على العلم الكامل بحال الإنسان، فالله لا يحكم على أحد إلا بعد علمه الكامل بحالته، وهذا يذكّر القاضي بأنه يجب أن يكون حريصا على معرفة الحقيقة كاملة قبل إصدار أي حكم.

ب. قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يشير إلى أن العقوبة الإلهية تشمل جميع جوانب الوجود، فالكافر المصر على كفره يعاقب من الله ومن الملائكة ومن الناس، وهذا يذكّر القاضي بأن العقوبة العادلة هي التي تشمل جميع جوانب الجريمة، وأن الإصلاح لا يتحقق بالعقوبة الجزئية.

ج. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني أن بعض الجرائم تستحق عقوبات أبدية، لأنها تتعلق بجوهر الإنسان وعلاقته بالخالق، وهذا يذكّر القاضي بأن هناك جرائم لا يمكن التهاون فيها، لأنها تهدم الأساس

الذي يقوم عليه المجتمع.

د. قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ يبين أن هناك جرائم لا تقبل التخفيف، لأنها بلغت من الخطورة درجة قصوى، وهذا يذكّر القاضي بأن التخفيف ليس مبدأ مطلقا، بل هناك جرائم يجب أن تكون العقوبة فيها حاسمة، لردع المجرمين وحماية المجتمع.

هـ. قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يعني أن هناك مرحلة تفقد فيها الفرصة للاعتذار أو التوبة، وهذا يذكّر القاضي بأن العدالة لا تقوم على الإمهال الدائم، بل هناك لحظة يفصل فيها الحكم ولا رجعة بعده، وهذا يحقق الردع العام ويحفظ هيبة القانون.

٦٨. وحدانية الله وآياته في الكون داعية للعقل والإيمان:

المقطع [٦٨] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٣-١٦٤]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يؤكد أصل التوحيد الذي هو أساس العقيدة الإسلامية، وفيه إشارة إلى أن وحدانية الله ليست مجرد نفي لتعدد الآلهة، بل هي إثبات لكمال الذات الإلهية، إذ أن تعدد الآلهة يستلزم التعدد في الصفات والكمالات، والتعدد يستلزم النقص، فكان التوحيد لازما لكمال الإله.

ب. قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقرر نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وإثباتها له وحده، وهذا هو معنى كلمة التوحيد التي قامت عليها السماوات والأرض، وفيها إشارة إلى أن العبادة لا تصلح إلا لمن اتصف بالرحمة والرأفة، ولذلك عقب بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ليبين أن المعبود الحق هو الرحمن الرحيم، لا القاسي الجبار المتعالي عن خلقه بمعنى الانفصال.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفتح باب الاستدلال العقلي على وجود الله ووحدانيته، فالناظر في هذا الخلق العظيم يدرك أن له خالقا حكيما عليما، وأن هذا النظام البديع لا يمكن

أن يكون صدفة، وهذا هو منهج القرآن في تقرير العقيدة بالبرهان العقلي المشهود.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ فيه إشارة إلى أن تعاقب الليل والنهار ليس عبثا، بل هو آية على قدرة الله وحكمته، وفيه دليل على أن المدبر لهذا الكون واحد، إذ لو كان هناك آلهة متعددة لاختل النظام، ولما انتظم تعاقب الليل والنهار بهذه الدقة.

هـ. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يبين أن هذه الآيات الكونية إنما ينتفع بها أهل العقول السليمة، وأن الإيمان ليس منافيا للعقل، بل هو ثمرة من ثمار التفكر والتدبر، وأن من أعرض عن هذه الآيات فهو ممن لا يعقلون، وإن كانوا أذكياء في أمور الدنيا.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ يشير إلى مقام الجمع والفناء عن رؤية الأسباب والكثرة، فالصوفي يرى أن كل ما في الوجود مظهر من مظاهر الواحد الأحد، وأن القلب إذا تجرد عن رؤية الأغيار اتجه إلى الله وحده، فالتوحيد عنده ليس مجرد نطق باللسان، بل هو شهود القلب للواحد في كل شيء.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن صفة الرحمة هي الغالبة على الذات الإلهية، وأن العبد مهما بلغت ذنوبه فإن رحمة الله أوسع، وهذا يزرع في قلبه الرجاء والأمل، ويدفعه إلى المجاهدة والسلوك، فالله الرحمن الرحيم لا يطرد عبده إذا أقبل عليه.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرى فيه الصوفي أن الكون كله كتاب مفتوح يقرأ فيه العارف أسرار الله، وأن كل مخلوق هو آية تدل على خالقها، فالنظر في الكون عندهم ليس نظرا حسيا فقط، بل هو نظر تأملي يكشف عن جمال الله وكماله، ويحرك القلوب إلى محبته.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يشير عند الصوفي إلى تناوب حالات القلب بين القبض والبسط، والهيبة والأنس، فالليل إشارة إلى مقام الخلوة والمناجاة، والنهار إشارة إلى مقام الشهود والمعاملة مع الخلق، وفي اختلافهما سر من أسرار التربية الروحية.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن القلب كالسفينة تجري في بحر الحياة، ولا تنجو إلا إذا كان قائدها التوحيد، وأن الله يسخر للإنسان ما في الكون ليعينه على الوصول إليه، فالسفينة التي تجري في البحر آية على تسخير الله للكون لخدمة الإنسان.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يرمز عند الصوفي إلى نزول الرحمة الإلهية على القلوب الميتة بالغفلة، فتحيا بذكر الله، كما تحيا الأرض بالمطر، فالقلب الميت يحتاج إلى ماء العلم والإيمان ليحيا، وهذا من أعمق الإشارات الروحية في الآية.

ز. قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ يشير إلى أن الله لم يخلق شيئا عبثا، بل كل دابة لها حكمة وغاية، وفي هذا إشارة إلى أن العبد إذا نظر إلى تنوع المخلوقات أدرك عظمة الخالق، وأن كل ما في الكون يسبح بحمده، وإن كنا لا نفقه تسبيحهم.

ح. قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الله يتصرف في الكون كيف يشاء، وأن العبد يجب أن يستسلم لمشيئة الله كما يستسلم السحاب للرياح، وأن التسخير الإلهي للكون هو مظهر من مظاهر الرحمة والعناية الربانية بعباده.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة وحدة الوجود ووحدة العلة الأولى، فالفلسفة الأولى تبحث عن المبدأ الأول الذي منه صدر كل شيء، والآية تقرر أن هذا المبدأ واحد لا شريك له، وهذا يلتقي مع ما ذهب إليه كبار الفلاسفة من أن العلة الأولى يجب أن تكون واحدة.

ب. قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول إمكانية تعدد الآلهة، ويفند ذلك ببرهان عقلي، إذ لو كان هناك آلهة متعددة لفسد النظام الكوني، وهذا ما عبر عنه القرآن في مواضع أخرى بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾، فالآية تدعو العقل إلى التأمل في استحالة تعدد الخالق.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفتح باب البرهان الكوني على وجود الله، وهو ما يعرف في الفلسفة ببرهان النظم أو الغائية، فالنظام البديع في الكون يدل على وجود مصمم حكيم، وهذا من أقوى البراهين التي استخدمها الفلاسفة المؤمنون في إثبات وجود الله.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الزمن والتغير، فالليل والنهار يمثلان دورة الزمن التي يعيشها الإنسان، وفي اختلافهما إشارة إلى أن الزمن مخلوق لله، وأن التغير الذي نشهده في الكون هو من سنن الله التي لا تتبدل، وهذا يفتح باب التأمل في طبيعة الزمن والمكان.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى مسألة الغائية

في الطبيعة، فالسفينة التي تجري في البحر بما ينفع الناس تشير إلى أن الأشياء في الكون لها غايات نافعة، وأن الإنسان هو محور هذه الغايات، وهذا يثير مسألة مكانة الإنسان في الكون.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الحياة والموت، فإحياء الأرض بعد موتها بالمطر هو نموذج للبعث والنشور، وفيه إشارة إلى أن الحياة والموت ليسا نقيضين مطلقين، بل هما مرحلتان في دورة كونية أوسع، وهذا يفتح باب التأمل في فلسفة الموت والحياة.

ز. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقرر أن العقل هو أداة المعرفة الأساسية، وأن التفكر في الكون هو طريق الوصول إلى الحق، وهذا يلتقي مع المنهج الفلسفي الذي يعتمد على العقل والبرهان، فالآية تدعو إلى استخدام العقل في الوصول إلى اليقين، لا إلى التقليد الأعمى.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يضع أساسا أخلاقيا مهما، وهو أن الأخلاق لا تقوم على تعدد المصادر، بل على مصدر واحد متعالٍ، فإذا كان الإله واحدا، كانت القيم الأخلاقية واحدة ثابتة لا تتغير بتغير الأهواء والمصالح، وهذا يمنح الأخلاق ثباتها وقدسيتها.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يغرس في النفس خلق الرحمة، فمن عرف أن ربه رحمن رحيم، اتصف بالرحمة مع الخلق، فالرحمة الإلهية هي النموذج الأعلى الذي يجب أن يقتدي به الإنسان في تعامله مع الآخرين، وهذا هو جوهر الأخلاق الإسلامية.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدعو إلى خلق التأمل والتفكر، فالنظر في الكون يربي في الإنسان خلق التواضع، إذ يدرك عظمة الخالق وضعفه هو، كما يربي فيه خلق الشكر، إذ يرى نعم الله عليه في كل مخلوق.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يشير إلى أن الحياة قائمة على التناوب والتوازن، فكما يتعاقب الليل والنهار، كذلك يجب أن يتوازن الإنسان في حياته بين العمل والراحة، وبين العبادة والمعاملة، وهذا التوازن هو أساس الأخلاق الفاضلة.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يوجه إلى خلق النفع العام، فالسفينة التي

تجري بما ينفع الناس هي نموذج للعمل النافع الذي يجب أن يسعى إليه الإنسان، وأن الأخلاق ليست مجرد اجتناب للضرر، بل هي سعي لتحقيق النفع للآخرين.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يرمز إلى خلق الأمل والتجديد، فكما تحيا الأرض بعد موتها، كذلك يجب أن لا ييأس الإنسان من إصلاح نفسه، وأن الأخلاق قابلة للتجديد والتحسين مهما كانت حالته، وهذا يزرع التفاؤل والإيجابية.

ز. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يربط الأخلاق بالعقل، فالأخلاق الفاضلة هي التي يدركها العقل السليم، وأن من لا يستخدم عقله في التفكر لا يمكن أن يصل إلى الأخلاق الكريمة، فالعقل هو الأساس الذي تبنى عليه الأخلاق.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يقرر أن الوحدة الإلهية هي أساس الوحدة الاجتماعية، فإذا كان الناس يعبدون إلها واحدا، فإنهم بذلك ينتمون إلى أمة واحدة، وهذا يذيب الفوارق العنصرية والطبقية، ويؤسس لمجتمع متماسك قائم على الأخوة الإيمانية.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يغرس في المجتمع خلق التراحم، فالمجتمع الذي يعرف أن ربه رحمن رحيم، يكون أفراده متراحمين متعاطفين، وهذا هو الضابط الاجتماعي الذي يمنع التفكك والتباغض، ويحقق التكافل بين أفراد المجتمع.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن المجتمعات الإنسانية جزء من هذا الكون، وأنها تخضع لسنن الله الكونية، فكما أن الكون يسير بنظام بديع، كذلك يجب أن تسير المجتمعات بنظام يحقق الاستقرار والتنمية.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يشير إلى أن الاختلاف في المجتمعات هو سنة كونية، فكما يختلف الليل والنهار، كذلك يختلف الناس في ألوانهم ولغاتهم وثقافاتهم، وهذا الاختلاف ليس مدعاة للصراع، بل هو آية من آيات الله تدعو إلى التعارف والتكامل.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يوجه إلى أهمية التجارة والتبادل الاقتصادي بين المجتمعات، فالسفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس هي رمز للعلاقات الاقتصادية

التي تربط المجتمعات ببعضها، وأن التعاون الاقتصادي هو أساس ازدهار الأمم.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يشير إلى أن المجتمعات تمر بدورات من الازدهار والانحطاط، وأن الإصلاح الاجتماعي ممكن دائما، فكما تحيا الأرض بعد موتها، كذلك يمكن للمجتمعات أن تنهض من كبوتها إذا توفرت لها عوامل الإحياء، وفي هذا أمل لكل مجتمع متأخر.

ز. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يبين أن المجتمعات المتقدمة هي التي تستخدم العقل في فهم سنن الله في الكون والمجتمع، وأن التخلف الاجتماعي سببه تعطيل العقل وعدم استخدامه في التفكر والتدبر.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يقرر أن الحاكمية لله وحده، وأن الطاعة المطلقة لا تكون إلا له، وهذا يضع حدا لطغيان الحكام واستبدادهم، فالحاكم ليس إلها يطاع طاعة مطلقة، بل هو عبد من عباد الله، يخضع لحكم الله وشريعته.

ب. قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ينفي كل أشكال التقديس لغير الله، سواء كان تقديسا للأشخاص أو للأحزاب أو للأيديولوجيات، فالسياسة في المنظور الإسلامي لا تقدس أحدا، بل تخضع الجميع لحكم الله، وهذا يمنع ظهور الديكتاتوريات والأنظمة الشمولية.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يلفت نظر عالم السياسة إلى أن السياسة يجب أن تكون قائمة على العلم والمعرفة بسنن الله في الكون، وأن القرارات السياسية يجب أن تراعي القوانين الطبيعية والاجتماعية، لا أن تكون مجرد ردود أفعال عشوائية.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يشير إلى أن تداول السلطة بين الحكام هو سنة من سنن الله، فكما يتعاقب الليل والنهار، كذلك تتداول الدول والأمم، وهذا يمنع الاستبداد ويؤسس لمبدأ التداول السلمي للسلطة.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يوجه إلى أن السياسة يجب أن تكون نافعة للناس، وأن الحاكم مسؤول عن تحقيق مصالح الأمة، كما أن السفينة تجري بما ينفع الناس، فالحكم

ليس تشريفا بل تكليف، وليس وسيلة للثراء بل وسيلة لخدمة الناس.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يشير إلى أن السياسة يجب أن تكون قادرة على إحياء المجتمعات الميتة، وأن الحاكم الصالح هو الذي يستطيع أن ينهض بمجتمعه من التخلف إلى التقدم، كما يحيي المطر الأرض الميتة.

ز. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يبين أن السياسة الرشيدة هي التي تقوم على العقل والحكمة، لا على العاطفة والانفعال، وأن الحاكم العاقل هو الذي يتدبر العواقب ويخطط للمستقبل، وهذا هو أساس السياسة الحكيمة.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يضع أساسا إداريا مهما وهو وحدة القيادة، فكما أن الإله واحد، كذلك يجب أن تكون القيادة في المؤسسة واحدة واضحة، لا تتعدد فيها المراجع، لأن تعدد القيادة يؤدي إلى الفوضى وتضارب الأوامر، وهذا من أهم مبادئ الإدارة الحديثة.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يوجه المدير إلى أن يكون رحيما بمرؤوسيه، وأن يتعامل معهم بلطف وإحسان، فالإدارة الناجحة لا تقوم على القسوة والتسلط، بل على الرحمة والعدل، وهذا يخلق بيئة عمل إيجابية تزيد من إنتاجية الموظفين.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يلفت نظر المدير إلى أهمية التخطيط والتنظيم، فكما أن الكون خلقه الله بنظام بديع، كذلك يجب أن تنظم المؤسسة أعمالها بنظام دقيق، وأن يكون لكل شيء مكانه ووقته، وهذا هو أساس الإدارة الفعالة.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يشير إلى أهمية إدارة الوقت، فكما أن الليل والنهار يتعاقبان بنظام دقيق، كذلك يجب على المدير أن ينظم وقته ويوزعه بين مختلف المهام، وأن يراعي الأولويات، وهذا من أهم مهارات الإدارة الناجحة.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يوجه إلى أن الإدارة يجب أن تكون نافعة ومحققة للقيمة، فالمؤسسة التي لا تقدم نفعا للناس لا تستحق البقاء، وأن الإدارة الناجحة هي التي تحقق التوازن بين الربحية والمسؤولية الاجتماعية.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يشير إلى أن الإدارة الناجحة هي القادرة على إحياء المؤسسات المتعثرة، وأن المدير الناجح هو الذي يستطيع أن يبث الحياة في مؤسسته، كما يبث المطر الحياة في الأرض الميتة، وهذا يتطلب رؤية واستراتيجية واضحة.

ز. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يبين أن الإدارة الناجحة تقوم على العقل والتحليل، لا على العشوائية والارتجال، وأن المدير العاقل هو الذي يدرس الواقع ويحلله قبل أن يتخذ القرارات، وهذا هو أساس الإدارة العلمية الحديثة.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يمنح الإنسان شعورا بالأمان النفسي، فمن يعرف أن له إلها واحدا يدبر أمره، يقل عنده القلق والاضطراب، لأن تعدد الآلهة كان يسبب الحيرة والقلق، أما التوحيد فيجمع القلب على إله واحد يطمئن إليه.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يعالج مشاعر اليأس والقنوط، فمن يعرف أن ربه رحمن رحيم، لا ييأس من رحمة الله مهما عظمت ذنوبه، وهذا يمنع الاكتئاب واليأس الذي ينتج عن الشعور بالذنب، فالرحمة الإلهية هي مصدر الأمل والتفاؤل.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يوجه الإنسان إلى التفكر والتأمل، وهذا يعتبر علاجا نفسيا فعالا، فالتأمل في الكون يخرج الإنسان من دائرة التفكير السلبي في ذاته ومشاكله، ويفتح له آفاقا أوسع، وهذا ما تؤكد عليه الدراسات الحديثة في العلاج بالاسترخاء والتأمل.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يشير إلى أن الحياة قائمة على التغير والتجدد، وأن الحالات النفسية ليست ثابتة، فكما يتبع الليل النهار، كذلك يتبع العسر يسرا، وهذا يمنح المريض النفسي أملا في الشفاء، ويقلل من شعوره باليأس.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يرمز إلى أن الحياة رحلة تحتاج إلى توازن، فكما أن السفينة تسير في البحر بثبات وتوازن، كذلك يجب على الإنسان أن يوازن بين مختلف جوانب حياته، وأن لا يطغى جانب على آخر، وهذا التوازن هو أساس الصحة النفسية.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعالج مشاعر الإحباط

والفشل، فمن يمر بفترة جفاف نفسي أو فشل في حياته، يجد في هذه الآية بشارة بأن الحياة ممكنة بعد الموت، وأن النهضة ممكنة بعد السقوط، وهذا يمنحه القوة للنهوض من جديد.

ز. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يربط الصحة النفسية باستخدام العقل، فالاضطرابات النفسية كثيرا ما تكون ناتجة عن التفكير غير العقلاني، ومن يستخدم عقله في التفكر والتدبر، يكون أقل عرضة للاضطرابات النفسية، وهذا ما تؤكد عليه العلاجات المعرفية الحديثة.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يقرر أن مصدر الرزق واحد، وأن الاقتصاد لا يقوم على التعددية في مصادر الرزق، بل على الإيمان بأن الله هو الرزاق، وهذا يمنع الاحتكار والاستغلال، لأن من يعلم أن الرزق بيد الله لا يطمع في حرمان الآخرين من أرزاقهم.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يوجه إلى أن الاقتصاد يجب أن يكون قائما على الرحمة، لا على الاستغلال والجشع، فالرحمة في التعاملات الاقتصادية تعني العدل والإنصاف، وعدم استغلال حاجة الآخرين، وهذا هو أساس الاقتصاد الأخلاقي.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يلفت نظر عالم الاقتصاد إلى أن الموارد الطبيعية هي من خلق الله، وأنها أمانة في يد الإنسان، فيجب أن يستثمرها بحكمة ولا يفسدها، وهذا يوجه إلى الاقتصاد المستدام الذي يحافظ على الموارد للأجيال القادمة.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يشير إلى أن الاقتصاد يمر بدورات من الازدهار والركود، فكما يتعاقب الليل والنهار، كذلك تتعاقب فترات الرواج والكساد، وهذا يوجه المستثمر إلى الصبر وعدم الجزع عند الركود، والتواضع وعدم الغرور عند الازدهار.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يشير إلى أهمية التجارة والتبادل التجاري في الاقتصاد، فالسفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس هي رمز للتجارة الدولية التي تتبادل بها الأمم منافعها، وأن الاقتصاد المنغلق على نفسه لا يمكن أن يزدهر.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يشير إلى أن الإنتاج الزراعي هو أساس الاقتصاد، وأن الماء هو عصب الحياة الاقتصادية، فكما يحيي الماء الأرض الميتة، كذلك

يحيي الاستثمار في الزراعة الاقتصاد المتعثر، وهذا يوجه إلى أهمية القطاع الزراعي في التنمية الاقتصادية.

ز. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يبين أن الاقتصاد الناجح هو القائم على العقل والدراسة، لا على العشوائية والمضاربة، وأن من يستخدم عقله في فهم سنن الله الاقتصادية، يكون أكثر نجاحا في إدارة أمواله واستثماراته.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ يغرس في نفوس الطلاب مبدأ التوحيد، وأن الله واحد لا شريك له، وهذا هو الأساس الذي تبنى عليه التربية الإيمانية، وأن المربي يجب أن يبدأ بتعليم أبنائه التوحيد قبل أي شيء آخر، لأنه أساس الدين كله.

ب. قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ يوجه المربي إلى أن يكون رحيما بتلاميذه، وأن يتعامل معهم بلطف وحنان، فالتربية الناجحة لا تقوم على القسوة والعنف، بل على الرحمة والرفق، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (من لا يَرحم لا يُرحم)

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدعو المربي إلى استخدام الكون كوسيلة تعليمية، فبدلا من الاقتصار على الكتب النظرية، يمكن أن يخرج المربي بتلاميذه إلى التأمل في الكون، وأن يعلمهم أن كل ما حولهم هو آية من آيات الله، وهذا ينمي فيهم حب الاستطلاع والتفكر.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يعلم المربي تلاميذه أن الحياة قائمة على التناوب، وأن النجاح يحتاج إلى صبر ومثابرة، فكما أن الليل يعقبه النهار، كذلك التعب يعقبه الراحة، والفشل يعقبه النجاح إذا صبر الإنسان واجتهد.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يوجه المربي إلى تعليم تلاميذه أهمية العلم النافع، فكما أن السفينة تجري بما ينفع الناس، كذلك يجب أن يكون العلم الذي يتعلمونه نافعا لهم وللمجتمع، وأن العلم الذي لا ينفع كالسفينة التي لا تجري.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يشير إلى أن التربية يجب أن تكون قادرة على إحياء العقول الميتة، فكما يحيي المطر الأرض الميتة، كذلك يجب أن يحيي التعليم العقول الغافلة، وأن المربي الناجح هو الذي يستطيع أن يوقظ في تلاميذه حب العلم والمعرفة.

ز. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يبين أن غاية التربية هي تنمية العقل، وأن التعليم ليس مجرد حفظ للمعلومات، بل هو تدريب على التفكر والتدبر، وأن المربي الناجح هو الذي يعلم تلاميذه كيف يفكرون، لا ماذا يفكرون.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يقرر أن مصدر التشريع واحد، وأن القاضي يجب أن يحكم بما أنزل الله، لا بما تهواه نفسه أو بما يمليه عليه ضغط المجتمع، فالوحدة الإلهية تقتضي وحدة المصدر التشريعي، وهذا يمنع القاضي من الاجتهاد المخالف للشريعة.

ب. قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ينفي أن يكون لأحد سلطة تشريعية مع الله، فلا يجوز للقاضي أن يشرع من عند نفسه، بل هو منفذ لشريعة الله، وهذا يمنع القاضي من استغلال منصبه لتحقيق مصالح شخصية أو فئوية.

ج. قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يلفت نظر القاضي إلى أن العدل هو أساس النظام الكوني، فكما أن الكون قائم على العدل والنظام، كذلك يجب أن يكون القضاء قائما على العدل، وأن القاضي يجب أن يكون عادلا في أحكامه كما أن الله عادل في خلقه.

د. قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يشير إلى أن القضايا تختلف وتتنوع، وأن القاضي يجب أن يكون قادرا على التعامل مع مختلف القضايا، كما يتعامل مع اختلاف الليل والنهار، وأن لكل قضية ظروفها التي يجب أن يراعيها في حكمه.

هـ. قوله: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يوجه القاضي إلى أن الغاية من القضاء هي تحقيق النفع للناس، وأن الحكم العادل هو الذي يحقق المصلحة العامة، لا الذي يرضي طرفا على حساب آخر، فالقضاء ليس وسيلة للانتقام، بل وسيلة لتحقيق العدل والنفع العام.

و. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يشير إلى أن القضاء يجب أن يكون قادرا على إحياء الحقوق الميتة، فكما يحيي المطر الأرض الميتة، كذلك يجب أن يحيي القضاء الحقوق التي ضاعت، وأن القاضي الناجح هو الذي يستطيع أن يرد الحقوق إلى أصحابها، مهما طال الزمن.

ز. قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يبين أن القضاء يحتاج إلى عقل راجح وفهم عميق، وأن القاضي

يجب أن يستخدم عقله في فهم النصوص وتطبيقها على الوقائع.

٦٩. التبعية العمياء للآلهة الباطلة وندامتهم يوم القيامة:

المقطع [٦٩] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِّ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِّ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِّ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُّ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِّ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِّ﴾ يقرر أن التوحيد لا يتحقق بمجرد الإقرار بالربوبية، بل لا بد من إخلاص المحبة لله وحده، فمن أحب غير الله محبة تليق بالله فقد اتخذه ندا، والمحبة هنا هي أساس العبادة وروحها، وهي التي تميز المؤمن عن المشرك.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِّ﴾ يبين أن محبة المؤمنين لله أعظم من محبة المشركين لآلهتهم، لأن محبة المؤمنين نابعة من معرفة الله بأسمائه وصفاته وآلائه، بينما محبة المشركين قائمة على وهم وظن باطل، فالمحبة الخالصة لله هي ثمرة الإيمان الصادق.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِّ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن القوة كلها لله، وأن من اتخذ أندادا من دون الله قد بنى على وهم، لأن تلك الأنداد لا تملك من القوة شيئا، فإذا جاء يوم القيامة انكشف لهم أن القوة لله وحده، وأنهم كانوا في غرور.

د. قوله: ﴿وَأَنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ يقرر شدة عذاب الله، فالله شديد العذاب لمن استحق ذلك من الكافرين والظالمين.

هـ. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يبين أن التبرؤ من صفات يوم القيامة، فالمتبوعون يتبرؤون من أتباعهم، وهذا يقرر أن الشرك باطل في الدنيا والآخرة، وأن المشركين سيجدون أن آلهتهم التي عبدوها تتبرأ منهم، فلا تنفعهم ولا تدفع عنهم عذاب الله.

و. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يعني انقطاع كل الوسائل والروابط التي كانوا يعتمدون

عليها في الدنيا، سواء كانت نسبا أو صداقة أو شفاعة من الآلهة، فكل سبب يتقطع يوم القيامة إلا ما كان من الإيمان والعمل الصالح.

ز. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ يبين أن المشركين يتمنون العودة إلى الدنيا ليتبرؤوا من آلهتهم، لكن هذا التمني لا ينفعهم، فهو تمني محض لا يتحقق، وفيه إشارة إلى أن الندم يوم القيامة لا يجدي، وأن التوبة قد فات وقتها.

ح. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يبين أن أعمالهم التي كانوا يظنونها نافعة ستصير حسرات، فالحسرة هي شدة الندم على ما فات، وهذا يقرر أن الأعمال التي لا تقوم على الإيمان بالله وإخلاص العبادة له تكون وبالا على صاحبها يوم القيامة.

ط. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يقرر خلود الكفار في النار، وأنهم لا يخرجون منها أبدا، وهذا من أصول العقيدة الإسلامية، فالخلود في النار للكافرين والمشركين، ولا تنفعهم شفاعة ولا وسيلة.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الحب هو ميزان العبودية، فمن أحب شيئا وأخلص له المحبة فقد عبده، والصوفي يرى أن القلب لا يسع محبتين متكافئتين، فإما أن تكون المحبة كلها لله أو تتوزع على غيره، وهذا هو الشرك الخفي الذي يجب تطهير القلب منه.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن المحبة الحقيقية لله هي التي تبلغ درجة الشوق والوله، وأن المؤمنين الصادقين يحبون الله حبا يفوق كل حب، لأنهم ذاقوا حلاوة معرفته، فالمحبة عندهم ليست مجرد شعور، بل هي حال وذوق يصلون إليه بالمجاهدة والذكر.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن القوة الحقيقية ليست في المظاهر الدنيوية، بل هي لله وحده، والصوفي يدرك ذلك في مقام الفناء عن الأغيار، حيث يرى أن كل قوة مستمدة من قوة الله، وأن من تعلق بغير الله فقد تعلق بسراب.

د. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن التعلق بغير الله هو سبب الخذلان، فكل من تعلق بمخلوق أو وسيلة دون الله سيجد أن ذلك المخلوق يتبرأ منه يوم القيامة، فلا بد أن تكون التعلقات كلها بالله وحده.

هـ. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يشير إلى أن الأسباب التي يتعلق بها الناس في الدنيا، سواء كانت مالا أو جاها أو علاقات، كلها ستنقطع يوم القيامة، والصوفي يرى أن التعلق بالأسباب مع نسيان مسبب الأسباب هو عين الغفلة، فلا بد من التعلق بالله مع الأخذ بالأسباب.

و. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى أن الأعمال التي لا تصاحبها الإخلاص ومحبة الله تكون حسرات، فالعمل الصالح عند الصوفي لا يقبل إلا إذا كان خالصا لله، وأي عمل فيه شائبة رياء أو سمعة يكون حسرة على صاحبه.

ز. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يشير إلى أن من حجب قلبه عن الله في الدنيا وتعلق بغيره، فسيحجب عن الله في الآخرة، والحرمان من رؤية الله هو أشد من عذاب النار، فالنار حجاب، والخروج منها مستحيل لمن اتخذ الأنداد.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة الحب بوصفه أساسا للعبادة، فالفيلسوف يرى أن الحب ليس مجرد عاطفة، بل هو قوة دافعة تحرك الإنسان نحو ما يعتقد أنه كمال، والمشرك يخطئ في توجيه هذه القوة نحو غير الله، بينما المؤمن يوجهها نحو الكمال المطلق.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يجد فيه الفيلسوف إشارة إلى أن المحبة العقلية المبنية على معرفة الحق أشد وأبقى من المحبة الوهمية المبنية على الجهل، فالمؤمن يحب الله لأنه أدرك كماله وجماله، بينما المشرك يحب آلهته التي هي من صنع خياله.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يطرح مسألة القوة ومصدرها، فالفيلسوف يرى أن القوة الحقيقية هي لله وحده، وأن كل قوة في الكون مستمدة منه، والمشرك الذي يتخذ أندادا يظن أن فيها قوة تنفعه، لكنه يكتشف يوم القيامة أن القوة كلها لله.

د. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يثير مسألة العلاقة بين المتبوع والتابع، فالفيلسوف يرى أن التبرؤ هنا يكشف زيف العلاقات التي لا تقوم على الحق، وأن كل علاقة مبنية على الوهم والجهل ستنتهي بالتبرؤ والانفصال.

هـ. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يطرح مسألة السببية، فالفيلسوف يرى أن الأسباب التي

يعتمد عليها الناس في الدنيا هي أسباب ظاهرية، لكن الحقيقة أن السبب الحقيقي هو الله وحده، فإذا انقطعت الأسباب يوم القيامة انكشف أن كل شيء كان بيد الله.

و. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يثير مسألة العلاقة بين العمل والنتيجة، فالفيلسوف يرى أن الأعمال التي لا تقوم على أساس صحيح تكون نتائجها عكسية، فبدلا من أن تكون سببا في النجاة تكون سببا في الحسرة والندم.

ز. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يطرح مسألة الخلود والعقاب، فالفيلسوف يرى أن العدالة الإلهية تقتضي أن يكون الجزاء متناسبا مع العمل، فالشرك هو أعظم الظلم، وعقابه الخلود في النار، وهذا ينسجم مع مبدأ العدالة الأخلاقية.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يبين أن الأخلاق لا تقوم على أساس سليم إذا كانت محبة الإنسان موزعة بين الله وغيره، فالمحبة هي البوصلة الأخلاقية، ومن أحب غير الله محبة تليق بالله فقد أفسد منظومته الأخلاقية كلها.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يشير إلى أن محبة الله هي الأساس الذي تبنى عليه الأخلاق الفاضلة، فمن أحب الله أطاعه، ومن أطاعه تحلى بصفاته من العدل والرحمة والصدق، فالمحبة الإيمانية هي المحرك الأخلاقي الأقوى.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يبين أن الظلم ناتج عن وهم القوة، فالظالم يظن أن له قوة ذاتية يستطيع بها أن يظلم الآخرين، لكنه يكتشف يوم القيامة أن القوة كلها لله، وأنه كان في غرور، فالأخلاق الفاضلة تمنع الظلم لأنها تدرك أن القوة الحقيقية لله.

د. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يبين أن العلاقات الأخلاقية الزائفة تنتهي بالتبرؤ، فالذي يتبع غيره في الباطل سيجد أن متبوعه يتبرأ منه يوم القيامة، وهذا يربي في الإنسان الاستقلال الأخلاقي وعدم التقليد الأعمى.

هـ. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يشير إلى أن الأخلاق التي تقوم على المصالح الدنيوية فقط هي أخلاق هشة، فإذا انقطعت الأسباب والمصالح انقطعت الأخلاق، أما الأخلاق التي تقوم على الإيمان

بالله فهي أخلاق ثابتة لا تتغير بتغير المصالح.

و. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يبين أن الأعمال الأخلاقية التي لا تقوم على الإخلاص تكون حسرات، فالرياء في العمل الصالح يفسده، والإخلاص هو روح الأخلاق، وبدونه تصبح الأعمال حسرة وندامة.

ز. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يشير إلى أن الأخلاق التي لا تقوم على الإيمان بالله واليوم الآخر لا يمكن أن تكون ضمانة للسعادة، فالذي يعمل بلا إيمان ولا رجاء في رحمة الله يكون عمله هباء منثورا.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا﴾ يشير إلى أن الظاهرة الدينية هي ظاهرة اجتماعية عامة، فالناس في كل المجتمعات يتخذون آلهة من دون الله، وهذا يلفت نظر عالم الاجتماع إلى أن التدين فطرة إنسانية، لكنه قد ينحرف فيتجه إلى آلهة باطلة، وهذا الانحراف له أسباب اجتماعية ونفسية.

ب. قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ يبين أن الحب هو الرابط الاجتماعي الأقوى، فالمجتمعات تقوم على الحب، لكن الحب إذا وجه لغير الله أصبح سببا في انحراف المجتمع كله، فالمجتمع المشرك مجتمع تتوزع فيه المحبة بين آلهة متعددة، فيتفرق ولا يجتمع.

ج. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ يشير إلى أن المجتمع المؤمن مجتمع تتوحد فيه المحبة، فالجميع يحب الله، وهذه المحبة الموحدة هي التي تجمعهم وتجعلهم أمة واحدة، فتوحيد المحبة هو أساس التماسك الاجتماعي.

د. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ يبين أن المجتمعات التي تبني قوتها على غير الله هي مجتمعات واهمة، فالقوة الحقيقية لله وحده، والمجتمع الذي يظن أن قوته في ماله أو جيشه أو تقنيته دون الله هو مجتمع مغرور سينكشف له الوهم يوم القيامة.

هـ. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يشير إلى أن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على الباطل تنتهي بالتبرؤ، فالتابعون والمتبوعون في الضلال سيتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة، وهذا يبين أن التضامن الاجتماعي القائم على الباطل هو تضامن زائف.

و. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يشير إلى أن الروابط الاجتماعية التي لا تقوم على الإيمان بالله هي روابط هشة، فالنسب والصداقة والمصالح المشتركة كلها أسباب تنقطع يوم القيامة، فلا يبقى إلا الإيمان والعمل الصالح.

ز. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يبين أن المجتمعات التي تعمل بلا إيمان تكون أعمالها حسرات، فالمجتمع الذي يبني حضارته على غير الإيمان بالله يجد أن أعماله كلها حسرات يوم القيامة، فلا تنفعه حضارته ولا تقدمه.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن الطاغوت هو كل من يتخذ ندا من دون الله، سواء كان شخصا أو نظاما أو أيديولوجية، فالسياسي الذي يطيع غير الله في ما يخالف شرع الله قد اتخذ ذلك ندا، وهذا يبين أن الحاكمية لله وحده.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يبين أن ولاء المؤمنين لله وحده، فلا يقدمون ولاء لأي جهة على ولائهم لله، وهذا يضع ضابطا للسياسة، فالمؤمن لا يطيع الحاكم في معصية الله، ولا يقدم حب الوطن أو الحزب على حب الله.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يبين أن القوة الحقيقية لله وحده، فالسياسي الذي يظن أن قوته في جيشه أو ماله أو شعبيته هو مغرور، فإذا جاء يوم القيامة انكشف له أن القوة كلها لله، وأنه كان في وهم.

د. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يشير إلى أن القادة الذين يتبعهم الناس في الباطل سيتبرؤون من أتباعهم يوم القيامة، فلا ينفعونهم بشيء، وهذا يبين أن السياسة التي لا تقوم على الحق تنتهي بالتبرؤ والخذلان.

هـ. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يشير إلى أن التحالفات السياسية التي لا تقوم على الإيمان بالله هي تحالفات هشة، فإذا جاء يوم القيامة تقطعت كل الأسباب، فلا ينفع حليف ولا يدفع عذاب.

و. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يبين أن الأعمال السياسية التي لا تقوم على الإخلاص لله تكون حسرات، فالسياسي الذي يعمل من أجل الشهرة أو السلطة أو المال يجد أعماله

حسرات يوم القيامة، فلا تنفعه ولا تنجيه.

ز. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يشير إلى أن الظلم السياسي والاستبداد والطغيان عاقبته الخلود في النار، فلا مخرج للظالمين من العذاب، وهذا يربي في الحكام الخوف من الله والعدل في الرعية.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ يشير إلى أن المنظمة التي تتخذ أهدافا أو قيما تتعارض مع شرع الله تكون منظمة منحرفة، فالولاء في المنظمة يجب أن يكون لله أولا، ثم للقيادة في حدود طاعة الله.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾ يبين أن المؤمنين في المنظمة يكون ولاؤهم لله أشد من ولائهم لأي شيء آخر، وهذا يضمن أن يكون العمل في المنظمة قائما على الإخلاص والأمانة، وليس على المجاملات والمصالح.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن القوة الحقيقية في المنظمة ليست في المنصب أو المال، بل هي لله وحده، فالمدير الذي يظن أن قوته في منصبه مغرور، فإذا زال المنصب زالت القوة، أما القوة الحقيقية فهي قوة الإيمان والتقوى.

د. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يشير إلى أن العلاقات الإدارية التي تقوم على المصالح فقط تنتهي بالتبرؤ، فالموظف الذي يطيع مديره في معصية الله سيجد أن مديره يتبرأ منه يوم القيامة، وربما في الدنيا، فلا بد أن تكون الطاعة في حدود شرع الله.

هـ. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يشير إلى أن العلاقات الإدارية التي تقوم على المصالح الدنيوية فقط هي علاقات هشة، فإذا انقطعت المصالح انقطعت العلاقات، أما العلاقات التي تقوم على الإيمان بالله فهي علاقات ثابتة.

و. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن الأعمال الإدارية التي لا تقوم على الإخلاص لله تكون حسرات، فالموظف الذي يعمل من أجل المظهر أو الشهرة أو المال يجد أعماله حسرات يوم القيامة، فلا بد من الإخلاص في العمل.

ز. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يشير إلى أن الغش والخيانة والظلم في العمل عاقبته الخلود

في النار، فلا مخرج لمن خان أمانته وظلم من يعمل معه، وهذا يربي في الموظفين الأمانة والصدق والإتقان.

ثامنا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن تعلق الإنسان بغير الله هو سبب من أسباب الاضطراب النفسي، فالقلب الذي يتعلق بمخلوقات متعددة يكون مشتتا قلقا، بينما القلب الذي يتعلق بالله وحده يكون مطمئنا مستقرا.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يبين أن محبة الله تمنح الإنسان أمانا نفسيا لا تمنحه أي محبة أخرى، فالمؤمن الذي يحب الله يعلم أن الله يحبه، وهذا يمنحه الثقة والأمان والطمأنينة، وهي من أهم عوامل الصحة النفسية.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن الظلم له آثار نفسية سيئة على الظالم نفسه، فالظالم يعيش في قلق وخوف من اكتشاف ظلمه، وإذا جاء يوم القيامة ورأى العذاب ازداد قلقه وندمه، وهذا يبين أن الظلم سبب من أسباب الاضطراب النفسي.

د. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يشير إلى أن التعلق بالآخرين تعلقا مطلقا هو سبب من أسباب الاضطراب النفسي، فالذي يعلق آماله على الآخرين سيجدهم يتبرؤون منه يوم القيامة، وهذا يسبب له صدمة نفسية شديدة، فلا بد أن يكون التعلق بالله وحده.

هـ. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يشير إلى أن الاعتماد على الأسباب الدنيوية فقط هو سبب من أسباب القلق النفسي، فالإنسان الذي يعتمد على ماله أو صحته أو علاقاته فقط يعيش في قلق دائم من فقدان هذه الأسباب، بينما المؤمن الذي يعتمد على الله يعيش في طمأنينة.

و. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن الندم والحسرة من أشد الاضطرابات النفسية، فالذي يرى أعماله حسرات عليه يعيش في عذاب نفسي شديد، وهذا يبين أن العمل الصحيح المخلص لله هو سبب السعادة النفسية، بينما العمل الفاسد سبب الحسرة والندم.

ز. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يشير إلى أن اليأس من رحمة الله هو من أشد الاضطرابات النفسية، فالذي يعلم أنه لا مخرج له من العذاب يعيش في يأس وقنوط، وهذا يبين أن الإيمان بالله ورحمته هو سبب الأمل والتفاؤل، بينما الكفر واليأس سبب الاكتئاب والقنوط.

تاسعا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن المال قد يكون ندا من الأنداد، فالذي يحب المال حبا يليق بحب الله قد اتخذه ندا، وهذا يبين أن الاقتصاد الذي يقوم على حب المال لذاته هو اقتصاد منحرف، فلا بد أن يكون المال وسيلة لا غاية.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يبين أن المؤمن لا يقدم حب المال على حب الله، فلا يكسب المال من حرام، ولا يبخل بحق الله في ماله، فالاقتصاد الإسلامي يقوم على الإيمان بالله أولا، ثم على النشاط الاقتصادي.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن القوة الاقتصادية ليست هي القوة الحقيقية، فالذي يظن أن قوته في ماله وثروته هو مغرور، فإذا جاء يوم القيامة انكشف له أن القوة كلها لله، وأن ماله لم ينفعه شيئا.

د. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يشير إلى أن الأموال التي يتركها الإنسان في الدنيا لا تنفعه يوم القيامة، فالذي اتبع ماله وشهواته سيجد أن ماله لا يتبرأ منه، بل هو الذي يتبرأ من ماله، فلا ينفعه إلا ما قدمه من عمل صالح.

هـ. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يشير إلى أن الأسباب الاقتصادية كلها تنقطع يوم القيامة، فلا ينفع مال ولا تجارة ولا استثمار، إلا ما كان خالصا لوجه الله، وهذا يبين أن الاقتصاد الإسلامي يجب أن يكون وسيلة للآخرة لا غاية في الدنيا.

و. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن الأعمال الاقتصادية التي لا تقوم على الإخلاص لله تكون حسرات، فالذي يجمع المال من حرام أو يكتنزه ولا يؤدي حق الله فيه يجد ماله حسرة عليه يوم القيامة.

ز. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يشير إلى أن المال الحرام والربا والغش والاحتكار عاقبتها الخلود في النار، فلا مخرج لمن كسب المال من حرام، وهذا يربي في الاقتصاديين الأمانة والصدق والعدل في المعاملات.

عاشرا ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن التربية يجب أن توجه حب المتعلم نحو الله وحده، فلا يتربى على حب الأصنام أو الأشخاص أو الأيديولوجيات حبا يليق بحب الله، فالتربية الصحيحة هي التي تربي في النشء التوحيد الخالص.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يبين أن التربية الإيمانية تربي في المتعلم محبة الله التي تفوق كل محبة، وهذه المحبة هي التي تدفعه إلى طاعة الله واجتناب معاصيه، فالمربي الناجح هو الذي يزرع في قلوب تلاميذه محبة الله.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن التربية يجب أن تربي في المتعلم إدراك أن القوة كلها لله، فلا يظن أن القوة في العضلات أو المال أو الجاه، بل القوة الحقيقية هي قوة الإيمان والتقوى.

د. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يشير إلى أن المربي يجب أن يربي في تلاميذه الاستقلال الفكري وعدم التقليد الأعمى، فلا يتبعون أحدا في الباطل، بل يتبعون الحق أينما كان، لأن المتبوعين في الباطل سيتبرؤون من أتباعهم يوم القيامة.

هـ. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يشير إلى أن التربية يجب أن تربط المتعلم بالله مباشرة، لا بالوسائط فقط، فكل الأسباب تنقطع يوم القيامة إلا السبب الذي يوصل إلى الله، فلا بد أن تكون التربية تربية إيمانية مباشرة.

و. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن التربية يجب أن تربي في المتعلم الإخلاص في العمل، فالعمل الذي لا يكون خالصا لله يكون حسرة على صاحبه، فلا بد أن يتعلم المتعلم أن الإخلاص هو روح العمل.

ز. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يشير إلى أن التربية يجب أن تربي في المتعلم الخوف من عاقبة الشرك والظلم، فالذي يتخذ الأنداد من دون الله ويظلم الناس يكون مصيره الخلود في النار، وهذا الخوف يدفعه إلى الاستقامة والعدل.

حادي عشر ـ إشارات قضائية:

أ. قوله: ﴿يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يشير إلى أن القاضي يجب أن يكون حكمه

لله وحده، فلا يحكم بهوى نفسه أو بمحاباة أحد، فالذي يحكم بغير ما أنزل الله فقد اتخذ هواه ندا من دون الله.

ب. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يبين أن القاضي المؤمن يحب الله أشد من حبه لأي شيء آخر، فلا يقدم حب المال أو الجاه أو القرابة على حكم الله، فمحبة الله تمنعه من الرشوة والمحاباة والظلم.

ج. قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يظلم الناس يظن أن له قوة يستطيع بها أن يظلم، لكنه يكتشف يوم القيامة أن القوة كلها لله، وأنه كان في غرور، فلا بد أن يكون القاضي عادلا خائفا من الله.

د. قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يتبع هواه أو يتبع رؤساءه في الظلم سيجد أنهم يتبرؤون منه يوم القيامة، فلا ينفعه من اتبعهم، فلا بد أن يكون القاضي مستقلا في حكمه لا يتبع إلا الحق.

هـ. قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يشير إلى أن كل الأسباب التي يعتمد عليها القاضي في ظلمه تنقطع يوم القيامة، فلا ينفعه جاه ولا سلطان ولا مال، فلا بد أن يكون القاضي عادلا في أحكامه.

و. قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يحكم بغير الحق يجد أعماله حسرات عليه يوم القيامة، فكل حكم ظلم به أحدا سيكون حسرة عليه، فلا بد أن يكون القاضي حريصا على العدل.

ز. قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يشير إلى أن القاضي الذي يحكم بغير ما أنزل الله ويظلم الناس يكون مصيره الخلود في النار، فلا مخرج له من العذاب، وهذا يربي في القضاة الخوف من الله والحرص على العدل.

٧٠. الأكل من الحلال الطيب واجتناب خطوات الشيطان:

المقطع [٧٠] من سورة البقرة هو ما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩]، ومن المعاني الباطنة التي يشير إليها:

أولا ـ إشارات عقدية:

أ. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يقرر قاعدة شرعية جامعة في باب الحلال والحرام، وهي أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل بالتحريم، وأن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، وأن الطيب هنا وصف للحلال الذي تطيب به النفس ولا تضر به، فيدخل في ذلك سلامة العقيدة من الشبهات، لأن الأكل من الحرام يفسد القلب والعقيدة كما يفسد البدن.

ب. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يحذر من التساهل في اتباع الشيطان خطوة بعد خطوة، فالشيطان لا يدعو إلى الكفر دفعة واحدة، بل يزين المعصية الصغيرة ثم يجر إلى الكبيرة، وفي هذا إشارة إلى أن العقيدة الإسلامية تقوم على الحذر من مداخل الشيطان، وأن أول خطوة في الضلال هي اتباع الهوى وترك الأمر الإلهي.

ج. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يقرر عداوة الشيطان للإنسان عداوة حقيقية ظاهرة، وأن هذه العداوة ليست عداوة حسية فقط، بل هي عداوة عقدية، لأن الشيطان عدو لله ولأنبيائه ولأتباعهم، وقد نص القرآن على هذه العداوة في مواضع كثيرة، فيجب على المؤمن أن يعامل الشيطان معاملة العدو، فلا يثق به ولا يطيع أمره.

د. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يبين أن الشيطان لا يأمر بخير أبدا، بل كل أوامره تنحصر في السوء والفحشاء، والسوء هو ما يسوء الإنسان من الذنوب، والفحشاء هي ما اشتد قبحه من المعاصي كالزنا والفواحش، وفي هذا إشارة إلى أن كل معصية في الأرض فهي من وحي الشيطان وإغوائه.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعد من أعظم خطوات الشيطان، وهو القول على الله بغير علم، سواء في التحليل والتحريم، أو في الأسماء والصفات، أو في الغيبيات، وهذا يقرر قاعدة عقدية مهمة، وهي أن القول على الله بلا علم من أكبر الكبائر، وأنه ذريعة إلى الشرك والبدع.

ثانيا ـ إشارات صوفية:

أ. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يشير إلى أن الصوفي لا ينظر إلى الأكل على أنه مجرد إشباع للجسد، بل هو عبادة إذا نوى بها التقوي على طاعة الله، وأن الحلال الطيب هو غذاء الروح قبل الجسد، لأن الروح تتغذى بالحلال كما يتغذى الجسد بالطعام، والحرام يظلم القلب ويمنعه من الوصول إلى الله.

ب. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى ضرورة مجاهدة النفس الأمارة بالسوء، لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأن الطريق إلى الله لا يكون إلا بقطع علائق الشيطان، وعدم الوقوف عند أول خطوة من خطواته، لأن الوقوف عندها يؤدي إلى التدرج في الضلال.

ج. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يشير إلى أن العدو الحقيقي للسالك هو الشيطان، وأنه يجب أن يكون على حذر منه في كل لحظة، وأن من علامات صدق السالك أن يعرف عدوه، فلا يغفل عنه في حال من الأحوال، لأن الغفلة عنه تورث الغفلة عن الله.

د. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يرى فيه الصوفي أن الشيطان لا يأمر إلا بما يبعد العبد عن الله، وأن السوء والفحشاء هما حجاب بين العبد وربه، فمن أراد القرب من الله فعليه أن يبتعد عن كل ما يأمر به الشيطان، وأن يطهر قلبه من دنس المعاصي.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يجد فيه الصوفي إشارة إلى ضرورة الأدب مع الله، وعدم الخوض في ذاته، والاكتفاء بما ورد في الكتاب والسنة، وأن القول على الله بلا علم من آفات الطريق، لأن العلم عندهم ذوق وكشف، لا مجرد نقل، فلا يقول العبد على الله إلا ما علمه من مشكاة النبوة.

ثالثا ـ إشارات فلسفية:

أ. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة المعيار الأخلاقي في الأفعال، فالحلال والحرام ليسا مجرد أحكام وضعية، بل هما معياران متعاليان على الذوق البشري، والطيب هنا يشير إلى أن الفعل الأخلاقي لا بد أن يكون خيرا في ذاته وفي آثاره، وهذا يلتقي مع النظريات الأخلاقية التي تجعل الخير معيارا للفعل.

ب. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يطرح إشكالا فلسفيا حول مصدر الشر في العالم، فالشيطان هنا يمثل قوة الشر التي تحاول إغواء الإنسان، والفيلسوف يتأمل في طبيعة هذا الشر، هل هو جوهري أم عرضي؟ والقرآن يقرر أن الشيطان عدو مبين، وأن اتباعه اختيار إنساني حر، وهذا يفتح باب التأمل في علاقة الحرية بالقدر.

ج. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يلفت نظر الفيلسوف إلى أن العداوة هنا ليست عداوة مادية محسوسة، بل هي عداوة ميتافيزيقية بين الخير والشر، وأن الإنسان يعيش في صراع دائم بين قوتين، وهذا

يذكره بنظريات الثنوية التي ظهرت في الفلسفات القديمة، لكن القرآن يقدم حلا توحيديا لهذا الصراع.

د. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يثير عند الفيلسوف مسألة طبيعة الأوامر الإلهية، فالله يأمر بالخير، والشيطان يأمر بالشر، وهذه ثنائية أخلاقية واضحة، والفيلسوف يتساءل: كيف يمكن التمييز بين أوامر الله وأوامر الشيطان؟ والجواب في الآية أن أوامر الشيطان تنحصر في السوء والفحشاء، وهي ما تعرفه الفطرة السليمة قبحه.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعد من أهم الإشارات الفلسفية في المقطع، فهو يضع حدا للمعرفة الإنسانية، ويمنع الإنسان من الخوض في ما لا يعلم، وهذا يلتقي مع المنهج النقدي في الفلسفة الذي يحدد حدود العقل البشري، ويمنعه من تجاوزها إلى ما لا يمكن إدراكه، فالقول على الله بلا علم هو منهج فلسفي فاسد.

رابعا ـ إشارات أخلاقية:

أ. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يضع أساسا أخلاقيا للاستهلاك، فليس كل ما هو متاح في الأرض يجوز تناوله، بل لا بد من التحقق من حليته وطيبه، وهذا يربي في الإنسان خلق الورع والتثبت، ويمنعه من الاندفاع وراء الشهوات دون تمييز بين الحلال والحرام.

ب. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يحذر من التدرج في المعصية، فالأخلاق لا تنهار دفعة واحدة، بل تنهار خطوة خطوة، والشيطان يزين للإنسان الصغيرة حتى يوقعه في الكبيرة، وفي هذا إشارة إلى أن الحذر الأخلاقي يجب أن يكون من أول الخطوات، لا من آخرها.

ج. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يذكر عالم الأخلاق بأن العداوة الأخلاقية الحقيقية هي عداوة الشيطان، وأن الإنسان إذا عرف عدوه استطاع أن يتحرر من أخلاقه السيئة، فالعدو المبين لا يمكن أن يكون صديقا، ولا يمكن أن يأمر بخير.

د. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يحدد طبيعة الأوامر الشيطانية، وأنها لا تخرج عن السوء والفحشاء، والسوء هو كل ما يسوء الإنسان في دينه ودنياه، والفحشاء هي ما اشتد قبحه، وفي هذا إشارة إلى أن الأخلاق الفاضلة لا يمكن أن تصدر عن الشيطان، بل هي من الله وحده.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعد من أعظم الذنوب الأخلاقية، لأنه يتضمن

الكذب على الله، والكذب على الله أعظم من الكذب على الخلق، وفي هذا إشارة إلى أن الأخلاق الإسلامية تقوم على الصدق، وأن القول بلا علم هو من أخلاق الشيطان، لأن الشيطان قال على الله ما لا يعلم.

خامسا ـ إشارات اجتماعية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يوجه الخطاب إلى الناس جميعا، دون تخصيص بطبقة أو جنس أو لون، وفي هذا إشارة إلى أن الأحكام الشرعية عامة لجميع البشر، وأن المجتمع الإنساني كله مخاطب بهذه القواعد، وهذا يعزز فكرة المساواة بين الناس في التكليف.

ب. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يشير إلى أن النظام الغذائي في المجتمع ليس مسألة فردية فقط، بل هو مسألة اجتماعية، لأن الأكل من الحلال يبني مجتمعا سليما، والأكل من الحرام يفسد المجتمع، فالغذاء الحلال الطيب هو أساس الصحة الاجتماعية والبدنية.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يحذر من أن الفساد الاجتماعي لا يأتي دفعة واحدة، بل يأتي بالتدرج، وأن المجتمعات تنهار أخلاقيا خطوة بخطوة، فإذا تساهل المجتمع في الصغيرة وقع في الكبيرة، وهذا يفسر ظاهرة انتشار الفساد في المجتمعات التي تتهاون في أول الخطوات.

د. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يذكر عالم الاجتماع بأن الشيطان ليس فردا واحدا، بل هو نمط من الإغواء يسري في المجتمعات، وأن العداوة له تعني أن المجتمع يجب أن يكون متحسبا من وساوسه، وأن يبني مؤسسات اجتماعية تحمي أفراده من هذا العدو.

هـ. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يبين أن الشيطان لا يأمر إلا بما يفسد المجتمع، والسوء والفحشاء هما من أهم عوامل التفكك الاجتماعي، فالفواحش تهدم الأسر، والسوء يفسد العلاقات، وفي هذا إشارة إلى أن المجتمع الفاضل هو الذي يبتعد عن أوامر الشيطان.

و. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يحذر من ظاهرة اجتماعية خطيرة، وهي ظاهرة القول على الله بلا علم، وهي التي تنتج البدع والخرافات في المجتمعات، وتؤدي إلى تفكك الوحدة الاجتماعية، لأن كل إنسان يقول على الله ما يهواه، فتتفرق الأمة وتختلف.

سادسا ـ إشارات سياسية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يوجه الخطاب إلى الناس جميعا، وهذا يعني أن الدولة الإسلامية مخاطبة

بهذا الأمر كما أن الأفراد مخاطبون، فعلى الدولة أن تضمن توفير الحلال الطيب لمواطنيها، وأن تحمي السوق من الغش والحرام.

ب. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يلقي على عاتق الدولة مسؤولية الرقابة على الأغذية والمواد الاستهلاكية، والتأكد من حليتها وطيبها، وأن لا تترك السوق فوضى، بل تنظمه بما يضمن سلامة الغذاء للمواطنين، وهذا من صميم السياسة الاقتصادية للدولة.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يحذر الدولة من اتباع سياسات شيطانية، كالسياسات القائمة على الربا والغش والاستغلال، وأن الدولة إذا اتبعت خطوات الشيطان في اقتصادها أو سياساتها، فإنها ستؤدي إلى فساد المجتمع كله.

د. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يذكر الدولة بأن الشيطان عدو لها كما هو عدو للأفراد، وأن عليها أن تحارب الفساد الذي يزينه الشيطان، وأن تتخذ من العداوة له مبدأ في سياساتها، فلا تمكنه من النفاذ إلى مؤسساتها.

هـ. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يعني أن الشيطان لا يأمر إلا بما يفسد الدولة، فالفساد الإداري والمالي هو من السوء، والفواحش التي تنتشر في المجتمعات هي من الفحشاء، وعلى الدولة أن تحارب هذه الظواهر لأنها من أوامر الشيطان.

و. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يحذر الدولة من سن القوانين والتشريعات التي تخالف شرع الله، أو نسبتها إلى الله بغير علم، فالدولة التي تسن القوانين الوضعية المخالفة للشريعة، وتدعي أنها من عند الله، تكون قد وقعت في هذا الذنب العظيم.

سابعا ـ إشارات إدارية:

أ. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يوجه عالم الإدارة إلى أن الموارد التي تستخدمها المنظمة يجب أن تكون مشروعة، وأن الربح الحلال الطيب هو أساس استمرار المنظمة، فالمنظمة التي تتعامل بالحرام قد تكسب مالا، لكنها تخسر البركة والاستمرارية.

ب. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يحذر من التدرج في الممارسات الإدارية الفاسدة، فالمنظمة قد تبدأ بمخالفة صغيرة، ثم تتدرج إلى مخالفات أكبر، حتى تنهار أخلاقيا وماليا، والإدارة الناجحة

هي التي تضع خطوطا حمراء من البداية.

ج. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يذكر عالم الإدارة بأن الشيطان عدو للمنظمة كما هو عدو للأفراد، وأنه قد يدخل إلى المنظمة من أبواب المال أو السلطة أو الشهوات، فيفسد العلاقات ويضيع الأمانات، وعلى الإدارة أن تكون واعية لهذا العدو.

د. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يعني أن الشيطان لا يأمر المنظمة إلا بما يضرها، فالغش في المنتجات، والرشوة في العقود، والاستغلال في الأجور، كلها من السوء والفحشاء التي تدمر المنظمة على المدى البعيد.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يحذر من الادعاءات الكاذبة في الإدارة، كالادعاء بأن المنتج حلال وهو حرام، أو أن الممارسة مشروعة وهي غير مشروعة، وهذا يعد من القول على الله بلا علم، وهو من أخطر ما يهدد مصداقية المنظمة.

ثامنا ـ إشارات تاريخية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يلفت نظر المؤرخ إلى أن هذا الخطاب موجه للإنسانية جمعاء، وأن هذا المقطع نزل في سياق تاريخي محدد، لكنه يتجاوز سياقه إلى كل العصور، وهذا يظهر من عموم لفظ الناس، ويدل على أن القرآن خطاب تاريخي متجدد.

ب. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يشير إلى أن الأكل من الحلال كان مبدأ تاريخيا في الأمم السابقة، وأن الأنبياء جميعا دعوا أقوامهم إلى الأكل من الطيبات، وهذا يؤكد وحدة الرسالات في هذا الجانب، ويمكن المؤرخ من تتبع هذا المبدأ عبر التاريخ.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يفسر للمؤرخ سبب انهيار الأمم السابقة، فالأمم التي اتبعت خطوات الشيطان، كقوم عاد وثمود وفرعون، كانت عاقبتها الهلاك، والتاريخ يشهد بأن اتباع خطوات الشيطان هو سبب سقوط الحضارات.

د. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يجد فيه المؤرخ أن الشيطان كان عدوا للبشر منذ آدم، وأن تاريخ البشرية هو تاريخ صراع مع هذا العدو، وأن الأمم التي استجابت لعداوته سلمت، والتي اتبعت خطواته هلكت.

هـ. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يبين للمؤرخ أن الفساد الأخلاقي كان سببا في انهيار الأمم، فالفواحش التي انتشرت في الأمم السابقة كانت من أسباب العقوبات الإلهية، كقوم لوط الذين أهلكوا بسبب الفاحشة.

و. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يفسر للمؤرخ ظاهرة البدع والخرافات التي انتشرت في الأمم السابقة، وكيف أن القول على الله بلا علم أدى إلى تحريف الأديان، وإلى ظهور الشركيات التي حاربتها الرسل، وهذا يفسر التغيرات الدينية عبر التاريخ.

تاسعا ـ إشارات نفسية:

أ. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يجد فيه الطبيب النفسي أن الغذاء الحلال الطيب له أثر على الصحة النفسية، فالغذاء الحرام قد يسبب اضطرابات نفسية، والغذاء الطيب يمنح الإنسان صفاء نفسيا، وهذا ما تؤكده الدراسات الحديثة التي تربط بين نوعية الغذاء والحالة النفسية.

ب. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يشير إلى أن اتباع الشيطان يؤدي إلى الشعور بالذنب والقلق، فالذي يتبع خطوات الشيطان يعيش في صراع نفسي، بين ما يفعله وما يعتقده، وهذا الصراع هو مصدر كثير من الاضطرابات النفسية.

ج. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يذكر الطبيب النفسي بأن الشعور بالعداوة الواضحة يمنح الإنسان وضوحا نفسيا، فإذا عرف الإنسان عدوه استطاع أن يواجهه، أما إذا كان العدو خفيا فإن القلق يزداد، والشيطان هنا عدو مبين، أي واضح العداوة، وهذا يقلل من الغموض النفسي.

د. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يبين أن الشيطان لا يأمر إلا بما يضر النفس، والسوء والفحشاء يسببان الشعور بالخزي والعار، وهما من أشد المشاعر النفسية إيلاما، والابتعاد عنهما يحقق السلام النفسي.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يحذر من القول بلا علم، وهو من مصادر القلق الوجودي، فالإنسان الذي يقول على الله ما لا يعلم يعيش في تناقض داخلي، لأنه يعلم أنه يكذب، وهذا التناقض يسبب اضطرابات نفسية شديدة.

عاشرا ـ إشارات اقتصادية:

أ. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يضع أساسا للنظام الاقتصادي الإسلامي، وهو أن الكسب والاستهلاك يجب أن يكونا من الحلال الطيب، وأن الاقتصاد لا يقوم على الربح فقط، بل على المشروعية، فالحرام يفسد الاقتصاد حتى لو حقق أرباحا ظاهرية.

ب. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يحذر الاقتصاد من الممارسات الشيطانية، كالربا والغش والاحتكار، وأن هذه الممارسات قد تبدو في البداية خطوات صغيرة، لكنها تتدرج حتى تهدم الاقتصاد كله، وهذا ما لاحظه الاقتصاديون في الأزمات المالية التي سببها الطمع.

ج. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يذكر عالم الاقتصاد بأن الشيطان عدو للاقتصاد الإسلامي، وأنه يحاول إفساده من الداخل، عبر نشر ثقافة الاستهلاك المفرط، والربا، والمضاربات الوهمية، وعلى الاقتصاديين أن يكونوا واعين لهذه العداوة.

د. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يعني أن الشيطان لا يأمر الاقتصاد إلا بما يضره، فالرشوة والغش والربا كلها من السوء الذي يفسد الاقتصاد، والفواحش الاقتصادية كاستغلال حاجات الناس تؤدي إلى انهيار الثقة في السوق.

هـ. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يحذر من إصدار الفتاوى الاقتصادية بغير علم، كتحليل الربا أو الغش باسم الاجتهاد، وهذا يعد من القول على الله بلا علم، وهو من أخطر ما يهدد الاقتصاد الإسلامي، لأنه يفتح باب التلاعب بالحلال والحرام.

حادي عشر ـ إشارات تربوية:

أ. قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يوجه المربي إلى أن التربية الإسلامية لا تخص فئة دون أخرى، بل هي تربية للناس جميعا، وأن على المربي أن يخاطب الناس جميعا برسالته، دون تمييز بين غني وفقير، أو عالم وجاهل.

ب. قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ يربي المربي في نفوس تلاميذه خلق التثبت في الطعام، وأن يسألوا عن مصدر طعامهم، وأن يبتعدوا عن الحرام، وهذا يبني فيهم شخصية واعية مسؤولة عن اختياراتها.

ج. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يعلم المربي تلاميذه أن الشيطان لا يأتي دفعة واحدة،

بل خطوة خطوة، وأن عليهم أن يحذروا أول الخطوات، لأن التساهل في الصغيرة يؤدي إلى الكبيرة، وهذا أسلوب تربوي وقائي.

د. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يربي المربي في تلاميذه اليقظة والحذر، وأن يعرفوا عدوهم، فلا يغفلوا عنه، وأن يكونوا على بصيرة من أمره، وهذا يبني فيهم شخصية حذرة لا تنخدع بالمظاهر.

هـ. قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ يعلم المربي تلاميذه أن كل ما يأمر به الشيطان فهو سوء وفحشاء، وأن الخير كله من الله، فيتعلم التلميذ التمييز بين الخير والشر، وبين أوامر الله وأوامر الشيطان.

و. قوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يربي المربي في تلاميذه خلق التثبت في القول، وعدم الخوض في ما لا يعلمون، وأن يقولوا لا أعلم إذا لم يعلموا، وهذا من أعظم الآداب التي يجب أن يربيها المربي في تلاميذه.